



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir



مَجْلَدُ الْوَلَاةِ
 فِي تَرْجُومَةِ بَعْضِ فُقَرَاءِ
 زِيَارَةِ عَاشُورَاءِ

تأليف
 الشيخ رشاد برفهان الحلي

للمجلد الأول

مكتبة دارالكتاب
 طهران - إيران
 الطبعة الأولى 1385 هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زياره عاشوراء

كاتب:

وسام البلداوى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
32	تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زياره عاشوراء
32	اشارة
32	الجزء الاول
32	اشارة
36	نص زياره عاشوراء
40	مقدمة اللجنة العلمية
42	المقدمة
52	منهجنا فى البحث
52	اشارة
56	فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زياره عاشوراء
56	1: فتوى آية الله العظمى السيد السيستانى دام ظلله بخصوص سند الزيارة
58	2: فتوى أخرى مهمة لآية الله العظمى السيد السيستانى دام ظلله
60	3: فتوى آية الله السيد محمد سعيد الحكيم دام ظلله
61	4: فتوى أخرى لآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظلله
62	5: فتوى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى
63	6: فتوى أخرى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى
64	7: فتوى لآية الله العظمى السيد الروحانى دام ظلله
65	8: فتوى أخرى لآية الله السيد الروحانى دام ظلله
66	9: السيد الروحانى: قراءة عاشوراء كل يوم لها الأثر البالغ على الجنين
67	10: السيد الروحانى: ما ذكر فى فضيلة زياره عاشوراء يحير العقول
67	11: السيد الروحانى: لا يجوز الصلاة خلف من يقول بان زياره عاشوراء مزورة
72	السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

72	المبحث الأول: إثبات صحة صدور هذه الفقرة الشريفة
74	المبحث الثاني: تبيان معنى السلام وفوائده وعلة بدء الزيارة به
74	المحور الأول: معنى السلام
74	اشارة
74	1: بمعنى التحية وعلامة من علامات الأمن
75	2: بمعنى التسليم والانقياد له في جميع شؤونه
76	3: بمعنى التذكير بالميثاق والدعاء بتعجيل الفرج والنصر
76	4: شهادة من الزائر لإمامه بأداء أمر الله وإقامة سنة نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
77	المحور الثاني: علة بدء الزيارة بلفظ السلام على أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه
78	المبحث الثالث: سر السلام على الإمام بكنية أبي عبد الله
78	اشارة
78	المدلول الأول: تعليم الزائر أدب الخطاب مع إمامه
81	المدلول الثاني: الخطاب بالكنية دليل على حضور المخاطب وحياته
81	اشارة
82	1: آيات القرآن الكريم تتحدث عن أن للأموات شعوراً وحياة وتفاعلاً مع العالم الخارجي
83	2: إجماع روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سماع الأموات وحياتهم وفرحهم وحزنهم
84	3: روايات أهل السنة في صحاحهم وأسانيدهم وسماعهم لمن يناديهم ويزورهم
85	4: علماء السنة يصرحون بحية الأموات وسماعهم وتعقلهم لما يدور حولهم
86	المدلول الثالث: توجيه نظر الزائر إلى مصيبة الطفل الرضيع
88	السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ
88	اشارة
90	المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة
92	المبحث الثاني: لماذا التأكيد على كون الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
92	اشارة

- 93 جذور هذه المسألة
- 94 ليس للنبي صلوات الله وسلامه عليه من قرابة غير بنى أمية
- 96 نظرة العباسيين لمسألة القرابة
- 97 أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا حجر العثرة بوجه ذلك المخطط
- 99 محاولات أصحاب السقيفة القضاء على هذه العقبة
- 101 استمرار المحاولات على أيدي الأمويين والعباسيين
- 103 موقف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هذا المخطط
- 107 المبحث الثالث: سر السلام على الحسين بابن رسول الله
- 107 إشارة
- 107 المدلول الأول: تبيان أسباب قتل الأمة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه
- 108 المدلول الثاني: تبيان موجبات زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه
- 110 المدلول الثالث: تبيان الفارق ما بين القاتل والمقتول
- 111 المدلول الرابع: الوقوف بوجه مخطط أصحاب السقيفة وأشياعهم
- 112 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنَ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ
- 112 إشارة
- 114 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة
- 116 المبحث الثاني: تبيان السبب الثاني من أسباب واقعة عاشوراء
- 116 إشارة
- 117 اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه
- 119 ابتزاز هذا اللقب من الإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه
- 126 كيف اثر لقب أمير المؤمنين في استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه
- 132 المبحث الثالث: تبيان السبب الثالث من أسباب فاجعة عاشوراء
- 132 إشارة
- 133 ابتزاز لقب الوصي من الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه
- 135 أدلة أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بقية الأوصياء

135	اشارة
135	الدليل الأول
136	الدليل الثاني
137	الدليل الثالث
140	المبحث الرابع: من هم الأوصياء المقصودون في هذه العبارة
140	اشارة
143	ملاحظة لابد منها
144	السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
144	اشارة
146	المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة من الزيارة
147	المبحث الثاني: تبيان السبب الرابع من أسباب فاجعة عاشوراء
147	اشارة
147	الأول: ان اسمها المقدس ووجودها صلوات الله وسلامه عليهما مذكر بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
149	الثاني: ان اسمها المقدس كان على الدوام يذكر الأمة بأعظم رزية ومصيبة
152	المبحث الثالث: سر السلام على الإمام الحسين بابن سيدة النساء
156	السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَارَ اللّهِ وَابْنَ تَارِهِ وَالْوَيْلَ الْمَوْثُورَ
156	اشارة
158	المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة
160	المبحث الثاني: معنى كون الحسين عليه السلام تار الله
160	اشارة
160	المعنى الأول: قد يطلق التار على الدم
162	المعنى الثاني: وقد يطلق التار على الطلب بالدم
163	المعنى الثالث: وقد يطلق التار على التار الذي لا يبقى شيئاً حتى يأخذ بثاره
165	المبحث الثالث: معنى كون الإمام الحسين عليه السلام ابن تار الله
167	المبحث الرابع: الدعاء لفرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يعجل بأخذ تار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

- 170المبحث الخامس: معنى وصف الحسين عليه السلام بالوتر الموتور .
- 170 اشارة
- 170 المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد في الكمال
- 173 المعنى الثاني: وقد يطلق الموتور على من قُتِلَ حميمُهُ وأُفِرِدَ
- 174 المعنى الثالث: وقد يطلق الموتور على من قتل له قتيلا ولم يدرك بدمه
- 176 السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرُحْلِكَ
- 176 اشارة
- 178 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة .
- 181 المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذا المقطع من الزيارة
- 181 أولا: السَّلَامُ عَلَيْكَ
- 182 ثانيا: وَعَلَى الْأَرْوَاحِ
- 182 اشارة
- 182 1: الإنسان
- 183 2: الملائكة
- 184 3: الجن
- 184 ثالثا: الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ
- 185 رابعا: وَأَنَاخَتْ بِرُحْلِكَ
- 186 المبحث الثالث: فضل السلام وفوائده تكراره .
- 186 اشارة
- 187 الفائدة الأولى: السلام سبب من أسباب المغفرة .
- 187 الفائدة الثانية: السلام سبب لكثرة خير بيت المسلم .
- 188 الفائدة الثالثة: وفي السلام الكثير من الحسنات .
- 188 الفائدة الرابعة: ان المسلم يحظى برد من الملائكة .
- 188 الفائدة الخامسة: المسلم يحظى بالرد من قبل إمامه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه .
- 189 الفائدة السادسة: في السلام تكامل لروح الزائر المسلم .

190	المبحث الرابع: المقصود من الأرواح التي ورد ذكرها في هذه الفقرة
190	إشارة
190	الأرواح التي حلت بفناء قبر الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه
196	الأرواح التي أناخت بقبر الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه
198	عَلَيْكُمْ مِنِّْي جَمِيعاً سَلَامُ اللهِ أَبَداً مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
198	إشارة
200	المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة
202	المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة
202	1: عليكم مني جميعاً
202	2: سلام الله
203	3: أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار
204	المبحث الثالث: في معنى سلام الله سبحانه وتعالى
204	إشارة
206	أولاً: السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى
206	إشارة
206	المعنى الأول
207	المعنى الثاني
207	ثانياً: مراتب إفاضة السلامة على سائر البشر
210	ثالثاً: سلام الله سبحانه ومرافق لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في جميع العوالم
210	ألف: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأشباح والأنوار
213	باء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الطينة
217	جيم: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأظلة
219	دال: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الدر
223	هاء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأصلاب
226	رابعاً: فائدة الخوض في مثل هذا البحث

226	اشارة
228	ألف: ان معرفة الله حق معرفته متوقف على معرفة الأنمة حق معرفتهم
232	باء: ان معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجب مضاعفة الحسنات
234	جيم: ان دخول الجنة متوقف على المعرفة وازديادها يوجب الترقى فى درجاتها
238	يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظَمْتَ الرَّزِيَّةَ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
238	اشارة
240	المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة
242	المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة
242	1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
242	2: لَقَدْ عَظَمْتَ الرَّزِيَّةَ
243	3: وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ
244	4: بِكَ عَلَيْنَا
245	5: وَعَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
246	المبحث الثالث: أهل الإسلام ومراتب تحقق وصفهم بالإسلام
246	اشارة
246	المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام الظاهرى
248	المرتبة الثانية: مرتبة الإسلام بشرط الولاية
252	المرتبة الثالثة: مرتبة إسلام الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
254	مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتأثيرها فى هذه المراتب الثلاث
254	اشارة
254	الشاهد الأول
255	الشاهد الثانى
261	المبحث الرابع: شواهد روائية تعكس عظم ما وقع فى عاشوراء
268	وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ
268	اشارة

- المبحث الأول: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة 270
- 1: وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ 270
- 2: عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ 272
- المبحث الثاني: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام 273
- اشارة 273
- أولاً: تصريح السيدة زينب ببيكاء السماء دما يوم عاشوراء 273
- ثانياً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب الإمامية 276
- ثالثاً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب أهل السنة 277
- رابعاً: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما سبق؟ 281
- المبحث الثالث: هل يمكن أن تبكى الحيوانات والجمادات؟ 283
- اشارة 283
- أولاً: شواهد قرآنية على ان لكل الموجودات عقلاً وإدراكاً 284
- اشارة 284
- اذا كان للحيوان وغيره من الموجودات عقل وإدراك، فلماذا لم يكلف بالأحكام الشرعية؟ 287
- ثانياً: ماذا يقول الحلبي في معاجز النبي. وكراماته 289
- ثالثاً: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة 294
- رابعاً: كسفت الشمس وأظلمت المدينة حين أرادوا نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم 296
- خامساً: أظلمت المدينة من جريمة عيد الله بن عمر بن الخطاب 297
- فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ 300
- اشارة 300
- المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة 302
- المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة 304
- 1: فَلَعَنَ اللَّهُ 304
- 2: أُمَّةً 305
- 3: أَسَسَتْ أَسَاسًا 308

308 4: الظُّلْمُ

309 5: وَالْجَوْرُ

310 6: أَهْلَ الْبَيْتِ

311 المبحث الثالث: ماذا يمكن ان يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة

315 المبحث الرابع: دلالة اللعن في المصطلح القرآني

318 المبحث الخامس: جزاء من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة

322 المبحث السادس: لا عبدة بالأكثرية والحق هو المدار

325 المبحث السابع: الإمام الحسين عليه السلام ميزان حساب الأمم

325 اشارة

326 أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين موازين رضا الله وغضبه

327 أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ميزان أولاد الحلال وميزان الإيمان والنفاق

329 الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ميزان غضب الله سبحانه ورضاه

331 الحسين صلوات الله وسلامه عليه ميزان حساب الأمم يوم القيامة

334 وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعْتَكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِكُمْ الَّتِي رَتَّبْتُكُمْ اللَّهُ فِيهَا

334 اشارة

336 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة المباركة

338 المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة المباركة

338 1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعْتَكُمْ

340 2: عَنْ مَقَامِكُمْ

341 3: وَأَزَالَتْكُمْ

342 4: عَنْ مَرَاتِكُمْ الَّتِي رَتَّبْتُكُمْ اللَّهُ فِيهَا

342 المبحث الثالث: تبيان بعض مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام

342 اشارة

344 المرتبة الأولى: مرتبة الاصطفاء على جميع العالمين

344 اشارة

- 345 ألف: اصطفاء الإنسان على بقية موجودات الأرض
- 345 باء: اصطفاء الأكمل من بين أفراد الإنسان
- 346 جيم: اصطفاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الأنبياء والرسل
- 346 دال: اصطفاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 347 هاء: اصطفاء الله سبحانه من أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالأكمل
- 348 واو: علة اصطفاء الله سبحانه لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 349 المرتبة الثانية: مرتبة الوصاية والخلافة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
- 349 ألف: الوصاية خاضعة لقانون تقديم الأفضل على الفاضل
- 350 باء: استمرار النبوة في ذرية نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه
- 350 جيم: وصاية نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم
- 351 دال: حتمية وصاية الإمام على صلوات الله وسلامه عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- 354 هاء: حتمية وصاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعد الإمام على صلوات الله وسلامه عليه
- 355 المرتبة الثالثة: مرتبة تربية الأمة عقائدياً وتزكيتهم روحياً
- 355 إشارة
- 356 من سعادة هذه الأمة ان كان مربيها ومعلمها محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- 357 شروط ومؤهلات المتصدى لتربية الأمة
- 357 هذه الشروط لا تتوفر بعد النبي إلا في أمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه
- 358 حديث (أنا مدينة العلم وعلى بابها) يشهد بذلك
- 361 صعوبة القيام بمهمة التربية وحساسيتها
- 363 المبحث الرابع: بسبب دفع أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مراتبهم
- 363 محق الدين وتحريف الأحكام
- 364 هل في هذه الحقيقة افتراء على الصحابة؟
- 364 إشارة
- 365 الشاهد الأول: انس بن مالك يعترف بأنه لم يبق من الدين شيئاً حتى الصلاة
- 365 الشاهد الثاني: أبو الدرداء يغضب لعدم بقاء شيء من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم

- 366 الشاهد الثالث: سهيل بن مالك يعترف أيضا
- 366 الشاهد الرابع: البراء بن عازب يعترف بان الصحابة أحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- 366 الشاهد الخامس: عبد الله بن عباس يصرح بأن القوم تركوا السنة بغضا لعلی
- 367 الشاهد السادس: عثمان بن عفان يكتفم أحاديث النبي خوف أن يتفرق الناس عنه
- 367 لماذا تراجعت الأمة هذا التراجع الخطير والسريع؟
- 369 المبحث الخامس: سبب مسارعة الأمة إلى دفع أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم ومنزلهم
- 369 إشارة
- 369 حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم زهد وعفة وصلاح
- 370 الفقر عنوان حب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
- 371 تفاعل المسلمين مع نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن بشكل مؤقت
- 372 انقلاب الصحابة على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزوة تبوك أعظم دليل
- 373 سبب غزوة تبوك وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس على الالتحاق بالجيش
- 374 كيف استجاب الصحابة لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالالتحاق بجيش تبوك
- 375 من هم المعبر عنهم بلفظ الناس في القسم الثاني
- 375 إشارة
- 376 القسم الثالث: العاصون لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة
- 377 أفعال يستكرها الدين ويندى لها جبين الأحرار من أهل الإيمان
- 379 نتائج مهمة نختم بها هذا المبحث
- 379 إشارة
- 379 الأولى: انهم ملوا سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه في الزهد وترك الدنيا
- 380 الثانية: دور المتخلفين عن غزوة تبوك في دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم
- 382 الثالثة: تفهقر الأنصار عن نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدى إلى انقلاب موازين الصراع
- 384 وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلْتُمْ
- 384 إشارة
- 386 المبحث الأول: إثبات الصدور لهذه الفقرة الشريفة

- 388المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة .
- 3881: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً
- 3892: فَتَلَّكُمُ
- 389المبحث الثالث: اللعن يتعدد بتعدد السبب الموجب له
- 391المبحث الرابع: هل يمكن أن تكون لأبدان أهل البيت عليهم السلام قابلية البقاء والخلود
- 391إشارة
- 391أولاً: لعدم وجود مانع عقلي من ذلك
- 392ثانياً: وجود المقتضى لذلك
- 392إشارة
- 392المرجح الأول: لإظهار فضلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واختصاصهم وتقديمهم على كل البشر
- 393المرجح الثاني: لمعاصرة أكبر عدد من المكلفين لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 396ثالثاً: وجود الروايات الدالة على وقوع ذلك
- 396إشارة
- 396ألف: روايات الطيبة تدل على ذلك
- 397باء: حديث أبي مويبة من كتب أهل السنة يدل على ذلك أيضاً
- 398جيم: حديث عائشة من مصادر أهل السنة يدل على ذلك أيضاً
- 399فائدة الخوض في هذا البحث
- 399إشارة
- 401الفائدة الأولى: تضع توضيحاً شافياً لطول عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه
- 402الفائدة الثانية: لتبيان الجريمة النكراء التي حالت دون التمتع بوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 403المبحث الخامس: أدلة إثبات قتل الأمة لأهل البيت عليهم السلام
- 403إشارة
- 403الأدلة على قتل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده
- 403إشارة
- 403الدليل الأول: قابلية بدنه الشريف للخلود والبقاء الوجودي تدل على ذلك

- 404 الدليل الثاني: تسالم قتله في مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 404 الدليل الثالث: روايات أهل السنة تشهد بقتله صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده
- 405 من الذى قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- 406 الأدلة على قتل السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها
- 406 اشارة
- 407 الدليل الأول: قابلية بدنها الشريف للخلود والبقاء الرجودى يدل على ذلك
- 407 الدليل الثاني: قصر عمرها يدل على ذلك
- 408 الدليل الثالث: النصوص التاريخية والروائية تدل على ذلك أيضا
- 412 المبحث السادس: أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت عليهم السلام
- 412 اشارة
- 412 الدليل الأول: القاتل للنفس المؤمنة كافر والكافر يجوز لعنه إجماعا
- 414 الدليل الثاني: إن قتل أهل البيت إفساد فى الأرض والمفسد فى الأرض ملعون
- 415 الدليل الثالث: فى قتلهم نقض للعهد وقطعا لما أمر الله به أن يوصل
- 417 الدليل الرابع: ان فى قتلهم إيذاء للنبي وموذى النبي ملعون
- 420 الدليل الخامس: فى قتل أهل البيت إيذاء للمؤمنين ومؤذيههم ملعون
- 421 الدليل السادس: فى قتل أهل البيت قطع للأرحام وحكم بغير ما انزل الله
- 422 وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لَّهُمْ بِالتَّمَكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ
- 422 اشارة
- 424 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة
- 427 المبحث الثاني: المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة
- 427 1: وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
- 427 2: لَّهُمْ بِالتَّمَكِينِ
- 428 3: مِنْ قِتَالِكُمْ
- 430 المبحث الثالث: امتداد التمهيد لقتل أهل البيت جيلا بعد جيل
- 430 اشارة

- 431 اجتماع السقيفة ليس أول اجتماع لغصب الخلافة
- 434 فاطمة ومحسنها صلوات الله وسلامه عليهما أول ضحايا تمهيد يوم السقيفة
- 438 التمهيد لعمر بن الخطاب ومن بعده لأبي عبيدة بن الجراح
- 441 تبدل المخطط السابق وظهور عثمان بن عفان على الساحة
- 444 الشورى مخطط لإيصال آل أمية وإقصاء آل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 447 لماذا شارك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذه الخدعة وهو يعلم بنتائجها؟
- 449 محاولة انتزاع الإمارة من آل أمية وإرجاعها للمهاجرين مرة أخرى
- 453 دور معاوية بن أبي سفيان في مقتل عثمان بن عفان
- 454 دور الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في هذا الصراع
- 456 رجوع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 458 أسباب إشعال الفتنة ونار الحرب بوجه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه
- 461 عائشة بنت أبي بكر تقود تمرد الناكثين
- 464 القاسطون والمارقون امتداد لمسلسل التمهيد لقتلة أهل البيت
- 470 بَرِّئْتُ إِلَى اللَّهِ وَالْيَكُومِ مِنْهُمْ
- 470 اشارة
- 472 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة
- 474 المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحى لهذه الفقرة الشريفة
- 474 1: بَرِّئْتُ
- 475 2: إِلَى اللَّهِ
- 476 3: وَالْيَكُومِ
- 477 4: مِنْهُمْ
- 478 المبحث الثالث: تسعة معان محتملة لهذه الفقرة الشريفة
- 484 المبحث الرابع: فى علة التبرؤ من هذه الأمم السالفة الذكر
- 484 اشارة
- 485 السبب الأول: لخياتهم والخائن يجوز نقض عهده والتبرؤ منه

485 السبب الثاني : وجب التبرؤ منهم لان الله سبحانه وتعالى قد تبرأ منهم
486 السبب الثالث: وجبت البراءة لتبرؤ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم
488 السبب الرابع: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآنى أو روائى
488 السبب الخامس: تجب البراءة لأنهم نواصب
490 السبب السادس: تجب البراءة منهم حتى لا يشاركهم فى أفعالهم
492 المبحث الخامس: أمن فروع الدين الولاية والبراءة أم من أصوله؟
492 هل توجد ضابطة لتمييز أصول الدين من فروعهم؟
492 اشارة
492 أولاً: الأصول هى الأسس الفكرية العقائدية والفروع هى السلوكيات الشرعية
493 ثانياً: الأصل هو الذى ان فقد لم يبق للبناء وجود والفرع بعكسه
493 ثالثاً: الأصول هى التى يستدل على أصل وجودها بالعقل أما الفروع فتثبت بالأدلة الشرعية
494 هل تنطبق الشروط السابقة على مسألة الولاية والبراءة؟
494 اشارة
494 الأول: الولاية والبراءة بمعناها العام
495 الثانى والثالث: الولاية بمعناها الخاص والأنخص
495 الدليل العقلى يثبت ضرورة الاعتقاد بمسألتى الولاية والبراءة
496 القرآن صنف الولاية والبراءة من أجزاء الإيمان والإيمان يتعلق بالأصول
496 الأحاديث الشريفة جعلت الولاية والبراءة من دعائم الإسلام
498 تصريح جملة من العلماء بكون الولاية والبراءة من مسائل أصول الدين
500 لماذا عدّ البعض مسألتى الولاية والبراءة من فروع الدين؟
502 المحتويات
522 الجزء الثانى
522 اشارة
528 وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَاتَّبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَانِهِمْ
528 اشارة

- 528المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة .
- 528المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة .
- 5281: وَمِنْ .
- 5292: أَشْبَاعِهِمْ .
- 5313: وَأَتْبَاعِهِمْ .
- 5324: وَأَوْلِيَانِهِمْ .
- 534المبحث الثالث: فى أدلة البراءة ممن ذكر فى هذه الفقرة .
- 534إشارة .
- 534الدليل الأول: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآنى أو روائى .
- 535الدليل الثانى: من يقف مع أعداء أولياء الله فقد حارب الله سبحانه وتعالى .
- 537الدليل الثالث: كل إنسان مع من يهوى ويشابه ويوالى .
- 540الدليل الرابع: من كثر سواد قوم كان منهم حتى وان لم يرض بأفعالهم .
- 546يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سَلَّمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
- 546إشارة .
- 546المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة .
- 548المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه العبارة الشريفة .
- 5481: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
- 5482: إِنِّي سَلَّمٌ .
- 5503: لِمَنْ سَأَلَكُمْ .
- 5524: وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ .
- 5535: إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
- 554المبحث الثالث: حرمة المؤمن الشيعى وعظمته .
- 554إشارة .
- 556عظمة المؤمن وكرامته عند الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .
- 558وجوب نصره المؤمن والسعى فى حوائجه ونصيحته .

- 560 وجوب موالاة أوليائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومعاداة أعدائهم .
- 566 وَلَعَنَ اللَّهُ آلَ زَيْدٍ
- 566 اشارة .
- 566 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة .
- 567 المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة .
- 567 1: وَلَعَنَ اللَّهُ
- 568 2: آلَ زَيْدٍ
- 569 المبحث الثالث: آل زياد بين ضحالة النسب وعقدة الانتماء .
- 569 اشارة .
- 570 عقدة الحقارة والشعور بالنقص فى شخصية زياد بن أبيه .
- 570 المميزات الفريدة فى شخصية زياد بن أبيه .
- 570 اشارة .
- 571 أولاً: كان يعد من دهاة العرب .
- 571 ثانياً: كان خطيباً مفوهاً .
- 572 ثالثاً: كان كاتباً لأربعة من الولاة قبل ان يصبح بنفسه والياً .
- 572 رابعاً: كانت له خبرة بقمع التمردات والانتفاضات الشعبية .
- 573 استغلال معاوية لعقدة الحقارة والشعور بالنقص التى فى شخصية زياد .
- 577 استمرار عقدة النقص والحقارة حتى بعد إستلحاق معاوية إياه .
- 579 حكومة زياد على الكوفة إحدى أسباب حدوث فاجعة عاشوراء .
- 582 حكومة زياد سبب لإيجاد حكومة ابنه عبيد الله بن زياد .
- 583 المبحث الرابع: لماذا استعمل أمير المؤمنين زياداً وهو يعلم أصله وعاقبته .
- 593 وَأَلَّ مَرْوَانَ
- 593 اشارة .
- 593 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة .
- 596 المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة .

1: وَآلٌ 596

2: مَرْوَانَ 596

المبحث الثالث: آل مروان من موقف العداء إلى مناصب الأمراء 596

اشارة 596

الحكم بن العاص وأذاه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على ارض مكة والمدينة .. 597

دور عثمان بن عفان في صناعة آل مروان وإعلاء نجمهم 600

مروان بن الحكم الحاضر في كل فتنة 604

اشارة 604

مروان يحرض الناس على نكث بيعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه 605

مروان على مسيرة جيش عائشة يوم الجمل 605

مروان يقتل طلحة بسهم أثناء انهزام جيش الجمل 606

مروان يشد ملك معاوية ويتولى إدارة ثلاث مناطق إسلامية مهمة 606

مروان يسب الإمام علياً صلوات الله وسلامه عليه على المنبر 607

مروان يسب الحسين ويمنع من دفن الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه 607

مروان يشارك في قتل أهل المدينة في واقعة الحرة 608

مواقف مروان قبل وبعد قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه 608

اشارة 608

مروان يحرض معاوية على قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه 609

مروان يأخذ من الناس البيعة ليزيد 611

مروان بن الحكم كان السبب في خروج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه خانفا يترب 613

الدولة الأموية كادت أن تندثر لولا أن مروان وآله أحيوها 614

اشارة 614

أبناء مروان أئمة الجور وأرباب الضلالة 617

وَلَعَنَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةٍ قَاتِلِيَهُ 623

اشارة 623

- 623المبحث الأول: إثبات هذه الفقرة الشريفة .
- 626المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة .
- 6261: وَلَعَنَ اللَّهُ .
- 6262: بَنَى أُمِّيَّةً .
- 6263: فَاطِمَةٌ .
- 627المبحث الثالث: هل يشمل عموم اللعن لبنى أمية المؤمن منهم؟
- 630المبحث الرابع: نظرة عابرة إلى شخصية أمية بن عبد شمس .
- 630اشارة .
- 631كان أمية مضعوفا صاحب عهار وكان يسرق الحجيج .
- 631أمية يزوج ابنه من زوجته فى حياته .
- 633حسد أمية لهاشم جد النبى صلى الله عليه وآله وسلم .
- 634المبحث الخامس: عثمان يؤسس لسنة بنى أمية بدلا من سنة الشيخين .
- 634اشارة .
- 634أولا: إلزامية أقوال وأفعال النبى صلى الله عليه وآله وسلم .
- 635ثانيا: ان السنة النبوية قد استوعبت جميع احتياجات الحياة .
- 636ثالثا: لا يحق لأحد من الخلق ان يسن سنة أو يشرع حكما إلا بإذن الهى .
- 637ظهور سنة جديدة بعد استشهاد النبى صلى الله عليه وآله وسلم اسمها سنة الشيخين .
- 637اشارة .
- 638أولا: سنة الشيخين لا قداسة فيها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .
- 641ثانيا: تضخيم شخصية السلطة وإعطاؤها مقام الأنبياء .
- 644ثالثا: إيجاد التغطية الإعلامية وشراء ذمم المغضين .
- 647محاولات عثمان تغيير سنة الشيخين وبناء سنة جديدة .
- 647اشارة .
- 648محاولات يانسة للتغيير والخروج عن سنة أبى بكر وعمر .
- 649عثمان لم يفهم قواعد اللعبة فلذلك اعترض عليه .

- 651 معاوية بن أبي سفيان يكتشف الخطأ ويمرر سنة عثمان
- 653 المبحث السادس: تشييد الأمويين لمذهب جديد اسمه المرجنة
- 657 المبحث السابع: معلومات إضافية حول بني أمية
- 657 إشارة
- 657 أولا: أبغض الأحياء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف
- 657 ثانيا: اهلك الله بني أمية بعد إحراقهم زيد بن علي بسبعة أيام
- 658 ثالثا: لم يعط الله الملك لبني أمية وإنما اغتصبوه
- 658 رابعا: بقاء وجودهم بالشام إلى حين خروج القائم صلوات الله وسلامه عليه
- 659 خامسا: ان في كثرة لعن بني أمية سببا من أسباب التقرب للإمام المهدي عليه السلام
- 663 وَلَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ
- 663 إشارة
- 663 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة
- 665 المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة
- 665 وَلَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ
- 665 المبحث الثالث: ابن مرجانة تاريخ بندي له الجبين
- 665 إشارة
- 668 أولا: ابن مرجانة السفية السفاك للدماء
- 668 ثانيا: تكذيب ابن مرجانة بأحاديث الحوض
- 669 ثالثا: ابن مرجانة ووحشية الوقوف بوجه الثورة الحسينية
- 669 إشارة
- 671 حيرة يزيد بن معاوية ومشورة سرحون النصراني
- 672 البدء بقتل مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه
- 672 رمى هاني بن عروة من أعلى القصر بعد ذبحه
- 672 رمى سفير الإمام الحسين من أعلى القصر وهو حي ثم ذبحه
- 673 رمى قيس بن مسهر الصيدواوي من أعلى القصر وهو حي حتى تقطع

- 673 ما الهدف من وراء كل هذه القسوة؟
- 676 رابعاً: ابن مرجانة يتقلب في أحضان الظلمة ..
- 677 خامساً: ابن مرجانة ضرب رأس الحسين بالقضيب ضرباً اثر فيه ..
- 679 سادساً: ابن مرجانة يبني أربعة مساجد يسب بها أمير المؤمنين ..
- 679 سابعاً: خير مقتله وقصة الحية التي كانت تدخل وتخرج في رأسه ..
- 683 وَلَعَنَّ اللّٰهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ ..
- 683 إشارة ..
- 683 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة ..
- 686 المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة ..
- 686 1: وَلَعَنَّ اللّٰهُ ..
- 686 2: عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ ..
- 686 المبحث الثالث: عمر بن سعد من حين الثورة إلى زمن مقتله ..
- 686 إشارة ..
- 687 عمر بن سعد يكتب ليزيد بأمر مسلم بن عقيل ينبهه ويحرضه ..
- 690 عمر بن سعد يختار بلاد الرى على قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ..
- 692 هل خرج عمر بن سعد لقتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مكرهاً؟ ..
- 694 زحف جيوش الضلالة ومحاصرة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ..
- 698 الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يتفاوض مع عمر بن سعد ..
- 698 إشارة ..
- 701 الشروط المزعومة هي في مصلحة عمر بن سعد دون الإمام صلوات الله وسلامه عليه ..
- 702 الناس قد تحدثوا بالشروط دون ان يعلموها يقيناً ..
- 703 لو كان الإمام صلوات الله وسلامه عليه يريد البيعة ليزيد لباع وهو في المدينة ..
- 703 شاهد رافق الإمام صلوات الله وسلامه عليه من المدينة إلى كربلاء يكذب هذه الشروط ..
- 706 ما هي حقيقة المطالب التي أرادها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ..
- 708 عمر بن سعد لعنه الله يشارك في القتال والسلب والنهب ..

- 714 عمر بن سعد يسبى النساء والأطفال إلى ابن مرجانة ثم إلى يزيد
- 718 هل يمكن بعد كل ذلك القول بان عمر بن سعد ثقة ؟
- 725 عمر بن سعد يلاقى مصيره على يد المختار
- 731 وَلَعَنَ اللَّهُ شُمْرًا
- 731 اشارة
- 731 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة
- 733 المبحث الثاني: بيان المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة
- 733 1: وَلَعَنَ اللَّهُ
- 733 2: شُمْرًا
- 735 المبحث الثالث: شمر بن ذى الجوشن أموى الهوى خارجى الفعل
- 735 اشارة
- 735 الملامح الشخصية لشمر بن ذى الجوشن لعنه الله
- 735 اشارة
- 736 1: ابن راعية المعزى
- 737 2: هو ابن البوال على عقبيه، الجلف الجافى، والبهيمة، الذى لا يحكم من كتاب الله آيتين
- 738 3: انه الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين
- 738 4: انه كلب أبقع بلغ فى دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته
- 739 5: انه مطبوع على قلبه، لم يكن يفهم شيئا مما يقوله الإمام صلوات الله وسلامه عليه
- 740 تخذيل الشمر لعنه الله للناس عن مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه
- 742 بعض جرائم الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله فى يوم عاشوراء
- 742 اشارة
- 742 1: كان الشمر لعنه الله أول من التحق بجيش عمر بن سعد لعنه الله
- 743 2: كان لعنه الله على ميسرة جيش عمر بن سعد لعنه الله
- 744 3: لماذا كان الشمر يتعمد تكرار الإغارة على خيام الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه؟
- 746 4: بقاء الإمام الحسين وحيدا وتحريض الشمر لعنه الله للناس على قتله

- 748 5: الشمر لعنه الله يقطع رأس الإمام الشهيد صلوات الله وسلامه عليه
- 750 6: الشمر لعنه الله يأمر بقتل النساء ويباشر قتل الأسرى
- 752 7: الشمر لعنه الله يأمر بقتل الإمام السجاد ويسوق رؤوس الشهداء إلى الكوفة ثم الشام
- 755 8: الشمر لعنه الله يسرق إبالاً للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وذهباً كان لسائته
- 756 أمن الشيعة كان الشمر لعنه الله أم من أهل السنة؟
- 760 هل اشترك الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله في معركة صفين؟
- 766 هل كان الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله شجاعاً؟
- 768 هل كتب الشمر لعنه الله كتاب أمان للعباس وإخوته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟
- 770 هل اشترك أهل الشام في حرب عاشوراء؟
- 774 هل كان الشمر لعنه الله من الخوارج؟
- 776 نهاية الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله على يد المختار الثقفي
- 779 وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ وَنَهَيْتْ لِقِتَالِكَ
- 779 اشارة
- 779 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة
- 783 المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة
- 783 1: وَلَعَنَ اللَّهُ
- 783 2: أُمَّةً أَسْرَجَتْ
- 785 3: وَأَلْجَمَتْ
- 785 4: وَتَنَقَّبَتْ
- 790 5: وَنَهَيْتْ
- 792 6: لِقِتَالِكَ
- 795 المبحث الثالث: لماذا لعنت هذه الأصناف مع أنها لم تباشر القتال؟
- 795 اشارة
- 796 القسم الأول: لو هم المكلف بما يكون مشتركاً ما بين الحلال والحرام من دون القصد إلى جهة الحرام فيه
- 796 القسم الثاني: لو هم المكلف بما هو محرم، أو هم بما يكون مشتركاً بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، مع عدم إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل ..

القسم الثالث: لو هم المكلف بما هو محرم، أو هم بما يكون مشتركا بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، ومع إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل 800

بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظَمَ مُصَابِي بِكَ 805

اشارة 805

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة 805

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة 807

1: بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي 807

2: لَقَدْ 809

3: عَظَمَ 811

4: مُصَابِي 811

5: بِكَ 811

المبحث الثالث: تأملات حول هذه العبارة الشريفة 812

اشارة 812

أولا: لماذا هذا التأكيد على عظم المصاب والرزية؟ 812

ثانيا: التأثر بالمصيبة يجب ان يكون منسجما مع عظم المصاب 813

ثالثا: الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عبرة أم عبرة؟ 816

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ 823

اشارة 823

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة 823

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة 825

1: فَأَسْأَلُ اللَّهَ 825

2: الَّذِي أَكْرَمَ 825

3: مَقَامَكَ 826

4: وَأَكْرَمَنِي بِكَ 827

المبحث الثالث: أنواع الكرامة الممنوحة للإمام الحسين عليه السلام 827

اشارة 827

- 827 أولًا: المقامات التي أعطيت لسانز الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستثناء مقام النبوة
- 828 ثانيًا: المقامات التي أعطيت للنبي الخاتم وباقي الأنمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 829 ثالثًا: المقامات التي اشترك فيها مع بعض المعصومين واختلف فيها مع البعض الآخر
- 831 رابعًا: المقامات التي انفرد بها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عن باقي المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 831 اشارة
- 832 1: بركة التربة الحسينية وعظيم منفعتها
- 832 اشارة
- 833 ألف: ان السجود عليها يخرق الحجب السبعة
- 833 باء: انها شفاء من كل داء وامن من كل خوف وبأس
- 833 اشارة
- 834 هل الاستشفاء بتربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ينفع المخالفين؟
- 836 تبيهاات مهمة تتعلق بأكل التربة الحسينية
- 836 أولًا: حرمة أكل التراب والطين عموما لثبوت الضرر فى أكله
- 837 ثانيًا: استثناء طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بشرطين مهمين
- 838 ثالثًا: جواز أكل التربة الحسينية لا يتعدى إلى باقى قبور المعصومين
- 839 رابعًا: تفضيل تربة كربلاء على غيرها لا يعنى أفضلية الإمام الحسين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- 839 خامسًا: هل يجب قراءة الأدعية والختومات على التربة قبل تناولها؟
- 841 سادسًا: ضرورة احترام التربة الحسينية وحفظها فى المكان المناسب
- 842 سابعًا: استهزاء المخالفين بالاستشفاء بالتربة الحسينية لا وجه له
- 846 جيم: استحباب اتخاذ التربة الحسينية مسبحة للذكر
- 848 دال: استحباب وضع التربة الحسينية مع الميت عند الغسل وفى القبر
- 850 2و3: فضل زيارته صلوات الله وسلامه عليه وكرامة زواره عند الله سبحانه وتعالى
- 850 اشارة
- 850 فضل زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه
- 850 اشارة

- 851 القسم الأول: منافع وعوائد زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المادية الدنيوية
- 853 القسم الثاني: منافع وعوائد زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المعنوية والأخروية
- 855 كيف يكون كل هذا الأجر والثواب لمجرد الزيارة لقبير الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه؟
- 859 هل يحق للمخالفين السخرية من كثرة ثواب الزيارة وعظمة أجرها؟
- 863 بعض آداب زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه
- 863 إشارة
- 863 القسم الأول: آداب ما قبل الخروج إلى الزيارة، وهي كالتالي:
- 866 القسم الثاني: آداب المسير إلى مرقد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه
- 871 القسم الثالث: آداب الحضور والتشرف في مرقد سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه
- 886 المبحث الرابع: إكرامنا بسيد الشهداء عليه السلام
- 886 إشارة
- 887 أولاً: إكرامنا بأصل نعمة الوجود بسببه صلوات الله وسلامه عليه وسبب بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 892 ثانياً: إكرامنا بما لا يحصى من النعم الدنيوية المحضنة، أو التي لها عوائد أخروية
- 895 ثالثاً: إكرامنا يوم القيامة بغفران الذنوب ورفع الدرجات بفضل سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه
- 899 أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ تَارِكٍ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
- 899 إشارة
- 899 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة
- 904 المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة
- 904 1: أَنْ يَرْزُقَنِي
- 905 2: طَلَبَ تَارِكٍ
- 906 3: مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ
- 907 4: مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
- 912 المبحث الثالث: ثار الإمام الحسين عليه السلام أهميته وبعض المسائل المتعلقة به
- 912 أولاً: هل يمكن لثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أن يكون مهماً؟ وما درجة أهميته؟
- 914 ثانياً: لماذا التأكيد على ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دون غيره من الأنبياء الأوصياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

- 917 ثالثا: ما معنى كون النصرة لطلب ثار الإمام الحسين رزقا من الله سبحانه وتعالى؟
- 919 رابعا: هل يشترط وجود الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في مسألة أخذ الثار؟
- 921 خامسا: كيف يطلب المؤمن ان يرزق طلب الثار واغلب الظن انه سيموت قبله؟
- 926 المبحث الرابع: من هم أهل البيت المقصودون في آية التطهير.
- 926 ألف: تحرير محل النزاع حول هذه الآية المباركة.
- 928 باء: استعمالات لفظ الأهل في القرآن الكريم واللغة.
- 932 جيم: القرآن يجرّد البعض من صفة الأهل مع أنهم موصوفون بها لغة وعرفا.
- 934 دال: هل للسنة النبوية المطهرة إمكانية تخصيص عمومات القرآن الكريم؟
- 940 هاء: هل فسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية التطهير، وهل خصصها بفئة معينة دون أخرى؟
- 945 تطبيق القواعد السابقة على هذه الروايات النبوية.
- 947 لماذا ندخل باقي أفراد الأئمة المعصومين ضمن أهل البيت مع ان حديث الكساء لا يشملهم؟
- 950 المبحث الخامس: الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وبعض ما يتعلق بها.
- 950 أولا: تخصيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة عليه وتعليمه الأمة كيفية الصلاة عليه.
- 952 ثانيا: هل يجوز للمسلم أن يقول: (على صلوات الله عليه)؟
- 954 ثالثا: سبب رفضهم للصلاة على غير الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
- 957 رابعا: حرّموا الصلاة على صلوات الله وسلامه عليه وصلوا على أبي بكر وعمر وعلى الجوّاري.
- 958 بعض فضائل وفوائد الصلاة على النبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
- 961 خاتمة الكتاب.
- 963 المحتويات.
- 994 تعريف مركز.

تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زياره عاشوراء

اشارة

تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء / تأليف وسام برهان البلداوى؛ [تقديم اللجنة العلمية، محمد على الحلوى]. - ط 1. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، 1433ق. = 2012م.

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة 2011: 2189

الرقم الدولى ISBN: 9789933489267

البلداوى، وسام، 1974 - م.

2ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 95).

المصادر.

1. زيارة عاشوراء - نقد وتفسير. 2. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 - 61ق. الزيارة - أحاديث. 3. زيارة عاشوراء - فتاوى الشيعة. 4. عاشوراء - فلسفة. 5. زيارة عاشوراء - فضائل - أحاديث الشيعة. 6. زيارة عاشوراء - مصادر. 7. زيارة عاشوراء - شبهات وردود. ألف. الحلوى، محمد على، 1957 - م.، مقدم. ب. محمد بن على (ع)، الإمام الخامس، 57 - 114ق. زيارة عاشوراء. شرح. ج. العنوان. د. العنوان: زيارة عاشوراء. شرح.

9 ت 8 ب / 6 / 271 BP

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 1

الجزء الاول

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء

الشيخ وسام برهان البلداوى

الجزء الأول

إصدار

وحدة الدراسات التخصصية فى الإمام الحسين عليه السلام

فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

ص: 4

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1434هـ _ 2013م

العراق: كربلاء المقدسة _ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية _ هاتف: 326499

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

نص زيارة عاشوراء

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ، وَالْوَتَرَ الْمُؤْتُونَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ، وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ (1) ، عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلَامَ اللَّهِ أَبَداً مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَجَلَّتْ وَعَظُمَتِ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ.

فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمَكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ. بَرُّتُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَتَبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ.

1- وردت في نص آخر غير الذي إعتدناه ولكننا أوردناها هنا وشرحناها في محله تعميماً للفائدة فتنبه.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سِئَمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَعَنَ اللَّهُ آلَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ وَلَعَنَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةَ فَاطِمَةَ وَلَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ وَلَعَنَ اللَّهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَلَعَنَ اللَّهُ شِمْرًا وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَتَقَبَّتْ وَنَهَيْتُ لِقِتَالِكَ.

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهًا بِالْحُسَيْنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَى فَاطِمَةَ وَإِلَى الْحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُؤَالَاتِكَ وَبِالْبِرَاءَةِ مِمَّنْ فَاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ وَبِالْبِرَاءَةِ مِمَّنْ أَسَسَ الظُّلْمَ وَالْجُورَ عَلَيْكُمْ وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَسَ ذَلِكَ وَبَنَى عَلَيْهِ بُنْيَانَهُ وَجَرَى فِي ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَشَدِّ يَاعِيَكُمْ بَرِّتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُؤَالَاتِكُمْ وَمُؤَالَاتِهِ وَلِيَّكُمْ وَبِالْبِرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَالتَّاصِبِينَ لَكُمْ الْحَرْبَ وَبِالْبِرَاءَةِ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتَّبَاعِهِمْ.

إِنِّي سِئَمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُمْ فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَانِكُمْ وَرَزَقَنِي الْبِرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِي مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ ظَاهِرٍ نَاطِقٍ

مِنْكُمْ وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّانِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصَابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يُعْطَى مُصَاباً بِمُصِيبَتِهِ مُصِيبَةً مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الْإِسْلَامِ وَفِي جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا مِمَّنْ تَنَالُهُ مِنْكَ صَلَوَاتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ وَإِنَّ آكِلَةَ الْأَكْبَادِ اللَّعِينُ بْنُ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَّ فِيهِ نَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُدْفِيَانَ وَمُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُدْفِيَانَ وَيَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدَ الْأَبْدِينَ، وَهَذَا يَوْمٌ فَرَحْتُ بِهِ آلَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ صَاعِفْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَ مِنْكَ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي مَوْقِفِي هَذَا وَأَيَّامِ حَيَاتِي بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ وَاللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ وَبِالْمَوْلَاةِ لِنَبِيِّكَ وَآلِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ.

ثُمَّ تَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَى ذَلِكَ اللَّهُمَّ الْعَنْ الْعِصَابَةَ الَّتِي جَاهَدَتِ الْحُسَيْنَ وَشَايَعَتْ وَبَايَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ جَمِيعاً. «تَقُولُ ذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ».

ثُمَّ تَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِزِيَارَتِكَ السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ. «تَقُولُ ذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ».

ثُمَّ تَقُولُ: اللَّهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظَالِمٍ بِاللَّعْنِ مِنِّي وَإِبْدَأْ بِهِ أَوَّلًا ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثَ ثُمَّ الرَّابِعَ اللَّهُمَّ الْعَنْ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ خَامِسًا وَالْعَنْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وَابْنَ مَرْجَانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَشُمُرًا وَآلَ أَبِي سُفْيَانَ وَآلَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ تَسْجُدُ وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَى مُصَابِهِمُ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَظِيمِ رِزْيَتِي اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شِفَاعَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ يَوْمَ الْوُرُودِ وَتَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَدَلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ.

مقدمة اللجنة العلمية

من عاشوراء الطفوف .. حتى عاشوراء الظهور..

الإعلام والإعلام المضاد.. مفردتان تتناوبان على مجمل الحركة الفكرية التي تشهدها الساحة الإسلامية منذ تاريخها نشوءاً بل استمراريتها حدوداً وبقاءً، والمقصود من الساحة الإسلامية هي الساحة التي تحكمها الحالة الشيعية، تلك الحالة التي تُعد من أبرز متغيرات التحولات العقائدية عند بروز المذاهب الإسلامية، والمقصود من المتغيرات هنا: المتغيرات التي حافظت على أساسيات الاعتقاد الإسلامي الذي معه بدت الحالة الشيعية تأخذ صدارة الأحداث، فالقرارات السياسية الجائرة التي تعمل على طمس الحقائق الإسلامية رافقتها حالة الانكفاء والتحيز إلى النكوص والالتواء على الثوابت العقائدية، دون الأخذ بنظر الاعتبار مصادر التشريع وامتداداته المتمثلة بأئمة أهل البيت عليهم السلام، في حين بقيت الحالة الشيعية - وبالرغم من ظروف المطاردة والإقصاء - تتألق بثقافتها الإعلامية المصادرة، لكنها المصدرة ضمن مشروعها الإعلامي العظيم الذي أسسه أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن خلال قنواتها الإعلامية - الفكرية التي تقرّد بها هذا الكيان المطارد لكنه صاحب المبادرة في طرح الفكرة.. الحادثة.. المظلومية.. القضية.. وكل ما لهذا التاريخ من اعتبارات التأسيس والتأصيل ومن ثم الاستمرار، «فعاشوراء» القضية الأبرز من بين القضايا

الشيعة تأخذ على عاتقها مظلومية أمة تمتد من عاشوراء الطف حتى عاشوراء الظهور.. أى من كربلاء الحسين الشهيد المنتصر.. حتى كربلاء المهدي القائد المنتصر، ولا بد لهذه القضية من آليات الإعلام الحي، ومعنى «الإعلام الحي» ذلك الإعلام المنتصر بأدوات الحقيقة وتفاعلات الحدث، فإعلامنا اليوم يتابع القضية من خلال رؤية شخصية، أو واقعة عامة، أو صيغة خاصة تتأرجح بين الاحتمال واليقين، أو بين الممكن وغير الممكن، أو بين الخطأ والصواب، فى حين الإعلام العاشورائى يقدم الحقيقة كما هى لكنها الحية التى تعيش فى الضمائر والوجدانيات.. فزيارة عاشوراء تلك الفلسفة المختزلة بين حنايا سطور النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، تقدم الصيغة المعتمدة فى قراءة الحدث وبكل تفاصيله، والمختزل بكل بلاغته، والممتد بكل عنفوانه فى مطاوى النفس كما هو ممتد فى آفاق الزمن المطارد والمطارّد بحيثياته الحقيقية والموضوعية.

وزيارة عاشوراء، بما لها من مزايا الطرح الموضوعى بل والتاريخى الا انها بحاجة إلى قراءة تأخذ على عاتقها شروحات الألفاظ كما هى شروحات الأحوال التى رافقت واقعية هذا الطرح المعصومى الرائع.. لذا فإن كتاب تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء لجناب الشيخ وسام البلداوى يوقفنا على حقائق التاريخ بصيغها الموضوعية، وبكل حيثياتها العاطفية.. لكنها الموضوعية...

عن اللجنة العلمية

السيد محمد على الحلو

النجف الأشرف

المقدمة

ان ليوم عاشوراء من عام واحد وستين للهجرة خصوصية امتاز بها عن سائر الأيام، إذ لولاه لمحق الدين وضاعت أحكامه، ولولاه لنحر بنو أمية الإسلام نحر الأضاحي، ولولاه لما رفع على المآذن اليوم صوت يشهد لله سبحانه بالتوحيد وللنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، ولولاه لأصبح دين الناس اليوم هو دين يزيد بن معاوية عليه اللعنة، الذي لا يعرف إلا السكر والمجون واللعب بالكلاب والقروود.

فبعاشوراء عرف الناس معالم دينهم، وبعاشوراء حفظت حرمة الإسلام، وبعاشوراء وحد الله سبحانه وتعالى حق توحيد، وبعاشوراء أقيمت الصلاة وبقيت الفرائض، وبعاشوراء افتضح أرباب الفسق وانكشف أهل الريب والنفاق، وبعاشوراء حفظت حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن تنتهك من قبل الشجرة الملعونة في القرآن، ولو أننا بقينا نعدد فوائد ذلك اليوم لما وقف بنا الحال عند حد معين، فما زالت السنين تمر وفي كل يوم يتضح معنى جديد من معاني عظمة ذلك اليوم، وفي كل يوم يخرج علينا باحث ودارس يكشف الجديد مما غاب عن أقرانه الذين سبقوه، ولسوف لا تتوقف هذه الاكتشافات في يوم من الأيام، إلى أن يقوم الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه فيكشف جوهر العظمة وسر الخلود لذلك اليوم الذي حير عقول العظماء والبسطاء على حد سواء.

وهذه العظمة وتلك الأهمية ليوم عاشوراء امتدت لتشمل كل ما يمت لهذا اليوم بصلة من قريب أو بعيد، وزيارة عاشوراء التي نحن بصدد شرح مضامينها ليست بمستثناة عن هذه القاعدة، فعظمتها مستوحاة من عظمة ذلك اليوم، ومضامينها تحمل أسرار ذلك اليوم الذي لم يكشف الزمان كل جزئياته إلى يوم الناس هذا.

كما ان لهذه الزيارة العظيمة علاقة وثيقة وشبها كبيرا مع أصل واقعة عاشوراء، فواقعة عاشوراء لم يزل أهل العلم وأرباب العقول وهم يكتشفون معنى جديدا من معانيها لم يكن مكتشفا من قبل، وكذلك الحال بالنسبة لزيارة عاشوراء، فلم تزل الأقلام تكتب أسرارها وتبين عظيم مضامينها والى يوم الناس هذا لم تنفذ جميع أسرارها ولا فنيت كل مضامينها، وستبقى الإنسانية تنتهل من مناهل هذه الزيارة العظيمة، ما دام للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ذكر، وما دام ليوم عاشوراء وجود.

ولا تتوقف عظمة هذه الزيارة على مجرد ما تحويه من مضامين عالية وحقائق مهمة، بل قد ثبت بالنقل والتجربة ان لها أثارا تكوينية عجيبة سواء في قضاء الحوائج ونيل المقاصد الدنيوية، أو في رفع الدرجات وحط السيئات في عالم الآخرة، وهو أمر قد ذكره الباحثون من قبل، وليس في ذلك غرابة ولا استكثار على زيارة اهتم بها الجليل من فوق سبع سماوات، واهتم بها أهل البيت عليهم السلام فقد روى عن صفوان عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال له: (تعاهد هذه الزيارة وادع بهذا الدعاء وزر به فإنني ضامن على الله لكل من زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قرب أو بعد، أن زيارته مقبولة وسعيه مشكور وسلامه واصل غير محجوب وحاجته مقضية من الله تعالى بالغة ما بلغت ولا يخيبه. يا صفوان، وجدت هذه

الزيارة مضمونة بهذا الضمان عن أبي، وأبي عن أبيه على بن الحسين عليهما السلام مضمونا بهذا الضمان عن الحسين عليه السلام والحسين عليه السلام عن أخيه الحسن عليه السلام مضمونا بهذا الضمان والحسن عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام مضمونا بهذا الضمان، وأمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام مضمونا بهذا الضمان وجبرئيل عن الله عز وجل مضمونا بهذا الضمان، وقد آلى الله على نفسه عز وجل أن من زار الحسين عليه السلام بهذه الزيارة من قرب أو بعد ودعا بهذا الدعاء قبلت منه زيارته وشفعته في مسألته بالغة ما بلغت، وأعطيته سؤله ثم لا ينقلب عني خائبا، وأقلبه مسرورا قريبا عينه بقضاء حاجته والفوز بالجنة والعتق من النار وشفعته في كل من شفح خلا ناصب لنا أهل البيت آلى الله تعالى بذلك على نفسه، وأشهدنا بما شهدت به ملائكة ملكوته على ذلك، ثم قال جبرئيل: يا رسول الله __ إن الله __ أرسلني إليك سرورا وبشرى لك، وسرورا وبشرى لعلی وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولدك وشيعتكم إلى يوم البعث(1).

ثم قال صفوان: قال لي أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (يا صفوان إذا حدث لك إلى الله حاجة فزر بهذه الزيارة من حيث كنت وادع بهذا الدعاء وسل ربك حاجتك تأتک من الله، والله غير مخلف وعده ورسوله صلى الله عليه وآله بمنه والحمد لله...)(2).

فهذه الزيارة إذن هي ليست كباقي كلامهم المعتاد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان كان كل كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نورا وحكمة وموعظة، إلا أن هذه الزيارة لها سنخية

1- () مصباح المتعجد للشيخ الطوسي: ص 781.

2- () المصدر السابق ص 782.

لأحاديث القدسية التي أوحى الله سبحانه بها إلى جبرائيل ونزل بها جبرائيل عليه السلام إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأودعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خلفائه الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم أفيضت من قبلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى شيعتهم شأنها شأن باقي العلوم التي لولاها لما اطلع على حقيقتها احد من العالمين.

وزيارة عاشوراء على وفق تلك الضمانات التي تقدمت في حديث صفوان السابق لو أردنا أن نشبهها بباقي أحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من حيث قوة النقل والإسناد لما كان لها شبه إلا بما يعرف بحديث سلسلة الذهب المروي عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه (1)، ففي كلتا الروايتين ينقل فيهما الإمام الرواية عن الإمام الذي قبله وكلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ينقلون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل وجبرائيل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى، فإذا كان حديث الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه إنما سمي بحديث سلسلة الذهب لان رواته هم من بمنزلة الإمام عن الإمام عن النبي عن جبرائيل عن الله سبحانه، فحقيق على كل منصف أن يسمي زيارة عاشوراء بزيارة سلسلة الذهب لنفس العلة ولا اتحاد الملاك في كلتا الحالتين.

1- () حديث سلسلة الذهب رواه الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي (ص 305 - 306) حيث قال: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل «رحمه الله»، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن يوسف بن عقيل، عن إسحاق بن راهويه، قال: لما وافى أبو الحسن الرضا «عليه السلام» نيسابور، وأراد أن يرحل منها إلى المأمون، اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يا بن رسول الله، ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك... فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهم السلام» يقول: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: سمعت جبرئيل «عليه السلام» يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي. فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها).

ثم ان أهمية كون زيارة عاشوراء حديثاً قدسياً هو صدق مضامينها وما احتوت عليه من وقائع، سواء الوقائع الكونية، أو الوقائع التاريخية، لان كلام الله عز وجل صادق لا يتخلف ولا يحتمل الكذب، وهو أمر بديهى عند كل المسلمين لا يحتاج بيانه إلى البرهان.

وفى كون مضامينها صادقة لا تحتمل الكذب خدمة كبيرة للموغل بحثا فى أعماق التاريخ، فالحقيقة التى ينشدها كل الأحرار فى العالم موجودة فى طيات هذه الزيارة، لان الباحث المنصف طالما عانى وما زال يعانى من المجاملة التى تحيط بالنص التاريخى، فالنص التاريخى كما هو معروف سواء فى أثناء تدوينه وكتابته فى المراحل الأولى، أو فى أثناء نقله إلى الغير جيلا بعد جيل، قد تعرض إلى التشويه والتشويش والاضطراب لأسباب جمّة ودواعٍ مختلفة من الترغيب والترهيب، مما أدى فى كثير من الأحيان إلى ضياع أصل الحقيقة ومجىء صورة أخرى لا تمت بصلة إلى تلك الحقيقة.

وبناءً على ما سبق يمكن لنا أن نضع قاعدة مهمة هى: لو تعارض النص التاريخى المتداول بين أيدي الناس مع مضمون فقرات الزيارة ومفرداتها، فلا يمكن حينئذ أن نرفع اليد عن الزيارة بحجة ان التاريخ — الذى قد عرفت حاله — لا ينسجم مع تلك الزيارة أو بعض فقراتها، بل فى حال التعارض بين فقرات الزيارة الشريفة وما بين النص التاريخى، لابد وان تقدم نص الزيارة وما احتوته من معلومة على ذلك النص التاريخى المتعارض، وذلك لان زيارة عاشوراء كلام قدسى صادر من اعلى سلطة تكوينية وتشريعية فى هذا الكون وهو الله سبحانه، والذى يعلم كل خافية وكل صغيرة وكبيرة فى هذا العالم، فلا يمكن والحال هذه أن يتسرب إلى إخباراته الكذب بحال من الأحوال، بعكس النص التاريخى الذى ثبت بالتحقيق تعرضه لكثير من

حالات الكذب والتزوير والإخفاء العمدي أو السهوى لكثير من تفاصيله وحيثياته وبالخصوص التي تحدثت عن ظلامه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسوء ما واجهتهم به الأمة ولزم من طويل.

وعليه فإذا ما أراد كل باحث عن الحق أن يتعرف على حقيقة ما جرى في تلك الحقبة التاريخية من دون رتوش أو مجاملات فما عليه إلا أن يمعن الفكر والنظر في ما احتوته زيارة عاشوراء من حقائق، لأنها قد حكمت لنا الواقع بما هو، وبما ينبغي على المؤرخ المنصف أن ينقله.

فنتيجة لكل ما لهذه الزيارة الشريفة من الأهمية العظيمة والمنزلة الرفيعة ارتأيت أن أدلو بدلوى لأسهم في شرح مقاصد هذا السفر العظيم وتبيان إشاراته، غير أنني لم أكمل شرح جميع ما احتوته هذه الزيارة الشريفة، لأسباب كثيرة منها ما هو متعلق بإمكانية كاتبة هذه السطور العلمية والمعرفية، إذ إنني أرى ونتيجة معايشتي الطويلة لهذه الزيارة وفقراتها قلة بضاعتي تجاه ما تحتويه هذه الزيارة من أسرار وإشارات وحقائق يعجز عن فهمها وإدراكها من هم بمثل منزلتي، فعند الله سبحانه وعند الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه التمس العذر في عدم إكمال الشرح والإيضاح لجميع فقرات هذه الزيارة التي حيرت عقول فطاحل العلم وجهاذة الفكر قديما وحديثا فكيف بمن هم مثلي من قليلي الزاد؟!، هذا سبب، والسبب الآخر أن الاستغراق في شرح جميع فقرات هذه الزيارة الشريفة وكلماتها تأخذ من الباحث سنين طويلة من عمره، فيما لو أراد أن يعطى الزيارة حقها، ويحيط بكل جوانبها، وهذا ما لم يكن لنا صبر عليه، لأنني والى هذه الساعة أمضيت ما يقارب الستين في شرح فقرات هذه الزيارة الشريفة وإيضاحها، ولكني لم ابلغ منها النصف، فكيف لو قدر ومضينا لإتمام جمع فقراتها وألفاظها، فاني سأحتاج ولا ريب إلى ثلاث أو أربع سنين أخرى

لإتمام الباقي، وهو وقت طويل، لذلك استشرت بعض الأخوة الأفاضل ممن له الباع الطويل في البحث والتأليف في الاستمرار ومواصلة البحث أو التوقف والاكتفاء بما تم شرحه، فأشار على جزاه الله خيرا بالاستخارة وطلب المشورة من الله سبحانه، فاستخرت الله سبحانه وقد اختار لي وهو علام الغيوب ان التوقف والاكتفاء بما تم شرحه وإيضاحه هو المتعين، وان التفرغ لأبحاث أخرى هو اللازم، ولا عجب في ذلك فالهجمة اليوم من أعداء المذهب باتت بأوجها، وان تكالب النواصب لمحقق دعائم هذا المذهب الحق قد بلغ منتهاه، فأصبح من الضروري بل من الواجب أن يبذل كل من له القدرة على الدفاع غاية مجهوده لرد أباطيل أولئك النواصب الأشرار وتقنيدها، وفقنا الله سبحانه لذلك، ونسأله سبحانه العون والتوفيق، والمدد والمعونة من سادتي وأئمتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

عبدكم يا سادتي الشيخ وسام برهان البلداوى

من داخل حرم مولاي الحسين الشهيد صلوات الله وسلامه عليه

9 صفر الخير 1432 للهجرة النبوية الشريفة

14 كانون الثاني 2011 ميلادى

منهجنا فى البحث

فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زيارة عاشوراء

1: فتوى آية الله العظمى السيد السيستانى دام ظله بخصوص سند الزيارة

2: فتوى أخرى مهمة لآية الله العظمى السيد السيستانى دام ظله

3: فتوى آية الله السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

4: فتوى أخرى لآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

5: فتوى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى

6: فتوى أخرى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى

7: فتوى لآية الله العظمى السيد الروحانى دام ظله

8: فتوى أخرى لآية الله السيد الروحانى دام ظله

9: السيد الروحانى: قراءة عاشوراء كل يوم لها الأثر البالغ على الجنين

10: السيد الروحانى: ما ذكر فى فضيلة زيارة عاشوراء يحير العقول

11: السيد الروحانى: لا يجوز الصلاة خلف من يقول بان زيارة عاشوراء مزورة

منهجنا في البحث

إشارة

لا يخفى أن كل نص أو حديث تاريخي أو ديني مركب في الحقيقة من أمرين:

الأول: سند هذا الحديث والحاوي على مجموعة من الرجال الذين قاموا بإيصال ذلك الحديث إلينا.

الثاني: متن ذلك الخبر والحديث، والمتضمن لجملته أو عدة جمل لفظية، نطق بها المتكلم أراد من خلالها إفهام الآخرين لمقصده سواء في ذلك السامع المباشر أو الأعم منه.

وزيارة عاشوراء غير خارجة عن هذا التركيب، وقد اعتاد من أراد إثبات صحة صدورها عن المعصوم الدخول في معترك حرب السند ورجال الرواية، فهم ما بين قاطع مسلم، أو مشكك نافٍ، أو مثبت لبعض أجزائها ومنكر للبعض الآخر، وقد دارت بين هؤلاء وهؤلاء مناوشات كلامية يطول سردها ولا طائل من ذكرها.

غير أننا رأينا أن نعالج قضية إثبات صدور هذه الزيارة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والقطع بصحة كل ما احتوت عليه من مضامين من جهة أخرى تغنينا والقارئ الكريم عن الخوض في معترك الرجال ومصطلحات هذا الفن، وذلك بثلاثة طرق:

الأول: عرض لأقوال مجموعة من العلماء الأعلام وآرائهم وفتاواهم بخصوص صحة زيارة عاشوراء من حيث السند والتمتن، وهذه الأقوال والفتاوى تعدّ كما لا يخفى على عاقل شهادة يمكن الاعتماد عليها من الناحية العلمية، لان هؤلاء الأعلام حينما يصححون الإسناد والتمتن لأى خبر من الأخبار والنصوص الدينية فإنهم لا- شك قد بذلوا الجهد فى التقصى والبحث عن كل حيثيات ذلك السند أو التمتن وملاساتهما وبشكل علمى متخصص، ووفق قواعد الجرح والتعديل المعروفة والمعمول بها فى علمى الدراية والرجال، فإذا ما اقر هؤلاء الأعلام صحة رواية ما فإن المكلف لا شك يطمئن إلى صحة ما صححوه، بوصفهم من أهل الخبرة وممن قضى العمر فى هذا الميدان، وهذا ما يغنيننا عن البحث اعتمادا على أقوالهم وما وصلوا إليه من النتائج(1).

الثانى: إثبات مضمون كل فقرة من فقرات هذه الزيارة العظيمة فى بقية الأدعية والزيارات الصادرة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيكون وجودها فى تلك الزيارات وذكرها فى تلك الأدعية أو الروايات شاهد صدق على صحة صدورها عن الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

الثانى: إثبات صدق تحقق هذه المضامين فى الخارج، فحينما نأتى مثلا إلى عبارة (فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ) نجد أنّ الذى أشارت إليه هذه الفقرة قد تحقق فعلا، فقد ثبت تاريخيا ان هنالك مجموعة من الأولياء عرفوا باسم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان هنالك ظلماً وجوراً قد مارسته الأمة ضدهم، وان هنالك من أسس لهذا الظلم والجور، فنستنتج من صدق وقوع ذلك خارجا صدق صدورها عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

1- هذه الوثائق والفتاوى سيتم عرضها بعد إكمال منهجنا فى البحث وتوضيحه.

هذا هو منهجنا لإثبات هذه الزيارة الشريفة ومعالجتها من حيث صحة صدورها عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما من حيث متن هذه الزيارة الشريفة، ولأن كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أشبه شىء بالقرآن الكريم، فكما أن للقرآن ظاهراً وباطناً، كذلك لكلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معنى ظاهر ومعنى أو عدة معانٍ باطنة، كما قال المحقق البحراني في (الحقائق الناضرة): (فإن أخبارهم كالقرآن لها ظهر وبطن)(1)، وقال الحسن بن سليمان الحلبي في (مختصر البصائر): إن أحاديث الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وأهل بيته صلوات الله عليهم تحذو حذو القرآن العزيز، ففيها المحكم والمتشابه، والخاص والعام، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصل، إلى غير ذلك(2)، لذلك وجب التفتيش قدر المستطاع عن كل ما يمكن أن يكون معنى محتملاً لعبارات الزيارة وفقراتها، وذلك بالاستعانة بالآيات القرآنية والنصوص الروائية والمعاجم اللغوية والنصوص التاريخية وكل ما يكون من شأنه أن يساعدنا على فهم النص أكثر، وسوف يثبت بالدليل الذي لا يقبل الشك ان هذه الزيارة العظيمة المضامين أوسع وأعمق من أن تفهم بالقراءة السطحية العابرة، وان مضامينها ما زالت ومنذ صدورها إلى اليوم بل إلى يوم القيامة طرية حية.

1- الحقائق الناضرة للمحقق البحراني ج 7 ص 439.

2- مختصر البصائر للحسن بن سليمان الحلبي ص 19.

فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زيارة عاشوراء

1: فتوى آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظلّه بخصوص سند الزيارة

فى سؤال وجه إلى سماحة آية الله العظمى السيد على الحسينى السيستانى دام ظلّه حول صحة سند كل من الزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء ومضمونهما وما هو الرأى العلمى فيهما.

فأجاب مكتب الاستفتاء التابع له دام ظلّه بالآتى:

باسمه تعالى: زيارة عاشوراء والجامعة الكبيرة من أهم الزيارات وأحسنها وأصحها سندا ومتنا ومضمونهما وارد فى كثير من الروايات الصحيحة فينبغى للمؤمنين المداومة عليهما ولا يصغون لتسويلات المغرضين.

وهذا هو نص الفتوى المباركة:

ص: 26

تصوير (1)

2: فتوى أخرى مهمة لآية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله

وفى سؤال آخر وجهه لسماحة السيد السيستاني دام ظله حول تحفظ البعض وتشكيكه فى دعاء التوسل والشهادة الثالثة فى الأذان والزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء.

فأجاب مكتب سماحة السيد السيستاني دام عزه بالآتى:

باسمه تعالى: إن أمثال هؤلاء لابد من التحرز والاحتراز عنهم وترك معاشرتهم وعدم اخذ معالم الدين منهم فإنهم لا يقصدون الخير والصالح للأمة بمثل هذه الشبهات والتحفظات والإفالسؤال الأساسى: ما هو المانع من قراءة دعاء التوسل حتى لو كان من تأليف بعض العلماء مع ان المحدث القمى يسنده إلى المعصوم (عليه السلام).

وما المانع من الشهادة الثالثة فى الأذان بدون قصد الجزئية مع أن الأدلة المعتمدة تثبت استحبابها بل ظاهرها وجوب الشهادة الثالثة بعد الشهادتين؟ وهل المجتمع الشيعى أو الإسلامى سوف يتضرر من ذكر الشهادة الثالثة.

وهكذا الزيارة الجامعة التى قال عنها الأعظم كالمجلسى ووالده وغيرهما إنها من اصح الزيارات متنا وإسنادا، وهل قراءتها يوجب الكفر والشرك أو الانحراف؟! وهل ذكر المعصومين (عليهم السلام) بهذه الأوصاف والنعوت التى تثبت أكثرها بالدلائل القطعية للأئمة يكون فيه ضرر وفساد حتى تتحفظ منه؟!

وزيارة عاشوراء التى اشتهرت عند العلماء والفقهاء وتلقوها بالقبول وداوموا على قراءتها وذكروا لها الآثار العجيبة والبركات العظيمة وقد رواها المحدثون الأجلاء بطرق متعددة وروى مضامينها فى زيارات وروايات أخرى حيث تكون متواترة مضمونا، لماذا يكون موردا للتحفظ عند هؤلاء ويذكرون الشبه حولها؟

ان أمثال هؤلاء سوف يأتى عليهم زمان ينكرون أكثر مبادئ الإسلام وأحكامه

ويفسرون القرآن بأرائهم بل إذا سمحت لهم الظروف ينكرون محكمات القرآن وذلك لسببين أساسيين مع أسباب أخرى لا يعلمها إلا الله تعالى:

السبب الأول: حب الدنيا والرئاسة والاشتهار فإنهم عملوا بقاعدة (خالف تعرف).

السبب الثاني: إرضاء الشباب المنحرف والجمعيات والمذاهب والمسالك الباطلة والأديان الأخرى بل إرضاء من ينكر الله تعالى ويدعو إلى العولمة والإلحاد لكسبهم وجلب محبتهم وتأليف قلوبهم. وهذا هو نص الفتوى المباركة:

تصوير (2)

3: فتوى آية الله السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

وقد سئل سماحته عن التشكيك والطعن في زيارة عاشوراء والزيارة الجامعة الكبيرة والطعن في سنديهما ودعوى وقوع التزوير والزيادة فيهما وغيرها من الشبهات.

فأجاب مكتب سماحته دام عزه بالآتي:

زيارة عاشوراء معتبرة سندا ومنتا على مباني سماحة السيد الحكيم دام ظله، والمنصرف من اللعن هو غير المؤمن منهم لو فرض وجود مؤمن فيهم واقعا.

والظاهر اعتبار سند زيارة الجامعة مضافا إلى أن متن الزيارة شاهد بأنه من كلام الأئمة عليهم السلام بملاحظة أسلوبها البياني ومضامينها العالية، وكذلك زيارة عاشوراء.

مع انه لا يشترط في الدعاء والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون واردا بسند صحيح. وهذا هو نص الفتوى المباركة:

تصوير (3)

4: فتوى أخرى لآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

وقد وُجّه إلى سماحته أيضا سؤال عن مدى اعتبار زيارة عاشوراء الموجودة في كتاب مفاتيح الجنان وغيره من كتب الدعاء والزيارة، وهل وقع فيها تزوير أو زيادات في بعض مقاطعها؟.

فأجاب مكتب سماحة آية الله العظمى محمد سعيد الحكيم دام ظله بالآتي:

...لقد صرح سماحة السيد الحكيم (دام ظله) بالوثوق بصدور الزيارة الجامعة كما ان زيارة عاشوراء المشهورة معتبرة على مبانيه الرجالية بكامل فقراتها.

وهذا هو نص الفتوى المباركة:

تصوير (4)

5: فتوى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى

وقد سئل رحمه الله تعالى عن صحة سند زيارتى عاشوراء والجامعة ومضمونها فى ضمن أسئلة أخرى فأجاب رحمه الله بالآتى:

بعض الزيارات كزيارة عاشوراء والزيارة الجامعة معتبرة ومروية فى كتاب المزار ومضمونها صحيح قطعاً. وفيما يأتى نص هذه الفتوى المباركة:

تصوير (5)

6: فتوى أخرى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزي رحمه الله تعالى

وقد أكد الشيخ التبريزي رحمه الله تعالى في استفتاء آخر على صحة وسلامة تمام متن وسند زيارة عاشوراء، وأفتى بعدم جواز التردد أو التشكيك فيها وحث على المواظبة على قراءتها لنيل قضاء حوائج الدنيا والآخرة.

وهذا هو نص جوابه رحمه الله تعالى:

تصوير (6)

7: فتوى آية الله العظمى السيد الروحاني دام ظلّه

وقد سئل السيد الروحاني عن قطعة سند زيارة عاشوراء، فأجاب دام ظلّه بقوله:

زيارة عاشوراء ثابتة من طريق سند معتبر و الأصحاب عاملون به ولا إشكال فيه وعلى فرض عدم قوة السند بمقتضى قاعدة التسامح الدال عليها النبوى المعتبر يحكم باستحبابها وترتب الثواب المذكور في الروايات عليها.

وهذه نص فتواه مقتبسة من الموقع الإلكتروني التابع لمكتبه دام ظلّه:

تصوير (7)

8: فتوى أخرى لآية الله السيد الروحاني دام ظله

وقد وجه إليه بعض المستفتين سؤالاً مفاده ان البعض يقولون بان زيارة عاشوراء غير صادرة عن الإمام المعصوم أو غير صحيحة، وان هذا البعض يشكك في عبارة (ولعن الله بنى أمية قاطبة) وغير ذلك. فأجاب السيد الروحاني بما هو نصه:

1: زيارة عاشوراء صادرة عن الإمام المعصوم عليه السلام وسندها معتبر ووثق جدا.

2: من صدر عنه اللعن على بنى أمية قاطبة كان عالما بجواز ذلك ونحن اعتمادا عليه نتحدث به.

3: لا ريب ان في الروايات المنسوبة إلى الأئمة الأطهار عليهم صلوات الله كثير منها لم تصدر عنهم إحدى وظائف العلماء تشخيص الصادر عن غير الصادر وعلم الرجال انما هو لذلك.

وهذا نص فتواه كما في الموقع الالكتروني التابع لمكتب سماحته:

تصوير (8)

9: السيد الروحاني: قراءة عاشوراء كل يوم لها الأثر البالغ على الجنين

وقد وجهت إليه إحدى المؤمنات سؤالاً عن إفادتها بمعلومة أو مصدر يمكن الرجوع إليه لتهيئة جنينها قبل الولادة ليصبح في المستقبل عالماً نابغاً محباً لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم وخادماً لهم، ويوفق لحفظ القرآن ونهج البلاغة وغير ذلك من وجوه التوفيق.

فأجابها حفظه الله بما نصه: قراءة دعاء العهد في كل يوم وكذا زيارة عاشوراء لها التأثير.

وهذا نص فتواه من الموقع التابع لمكتب سماحته:

تصوير (9)

10: السيد الروحاني: ما ذكر في فضيلة زيارة عاشوراء يحير العقول

وفيما يأتي نص فتواه حفظه الله كما وردت في الموقع التابع لسماحته:

تصوير (10)

11: السيد الروحاني: لا يجوز الصلاة خلف من يقول بان زيارة عاشوراء مزورة

وقد سئل حفظه الله عن صحة الصلاة خلف من يعتقد وقوع التزوير في زيارة عاشوراء.

فأجاب السيد الروحاني بما هو نصه: أنا اعتقد ان من كان من أهل الفضل والكمال وتبع ودقق النظر لا يمكن أن يعتقد بوقوع التزوير فيها. ومع عدم الاعتقاد فان نفس الإخبار بوقوع التزوير فيها يكون كذبا يمنع من الصلاة خلفه.

وهذا هو نص الفتوى المباركة كما وردت في الموقع التابع لسماحته:

أقول: هذه بعض فتاوى مراجع الدين العظام حول اعتبار ووثاقة زيارة عاشوراء من حيث الإسناد والتمتن، وقد اجتمعت كلمتهم كما رأينا على تكذيب كل من يدعى ضعف طريق إسنادها، أو وقوع التزوير والزيادة في بعض فقراتها، ومثل هذه الشهادة كما لا يخفى لها قيمة علمية عظيمة، لأنها صادرة عن شهود أعمار في مجال البحث والدرس وتمحيص الأسانيد والتتبع للرجال والنصوص الروائية، ومثل هؤلاء العظماء لا يمكن للمؤمن الإعراض عن كلامهم والأخذ بكلام أناس لم يعرف لهم شأن علمي ولا يد طولى أو ممارسة طويلة في تمحيص الأسانيد ومعرفة الرجال مما أدى بهم إلى تضييف أسانيد هذه الزيارة الشريفة إما جهلا أو تعمدا للخلاف وإثارة الفوضى.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

المبحث الأول: إثبات صحة صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: تبيان معنى السلام وفوائده وعلّة بدء الزيارة به

المحور الأول: معنى السلام

1: بمعنى التحية وعلامة من علامات الأمن

2: بمعنى التسليم والانتقاد له في جميع شؤونه

3: بمعنى التذكير بالميثاق والدعاء بتعجيل الفرج والنصر

4: شهادة من الزائر لإمامه بأداء أمر الله وإقامة سنة نبيه الأعظم

المحور الثاني: علّة بدء الزيارة بلفظ السلام على أبي عبد الله

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام بكنية أبي عبد الله

المدلول الأول: تعليم الزائر أدب الخطاب مع إمامه

المدلول الثاني: الخطاب بالكنية دليل على حضور المخاطب وحياته

1: آيات القرآن الكريم تتحدث عن أن للأموات شعوراً وحياة وتفاعلاً مع العالم الخارجي

2: إجماع روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سماع الأموات وحياتهم وفرحهم وحنينهم

3: روايات أهل السنة في صحاحهم وأسانيدهم وسماعهم لمن يناديهم ويزورهم

4: علماء السنة يصرحون بحياة الأموات وسماعهم وتعقلهم لما يدور حولهم

المدلول الثالث: توجيه نظر الزائر إلى مصيبة الطفل الرضيع

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

إشارة

وفى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة عدة مباحث منها:

المبحث الأول: إثبات صحة صدور هذه الفقرة الشريفة

وهذه الفقرة من الزيارة مما لا يحتاج إثبات وجودها في غير زيارة عاشوراء إلى كثير جهد، لأننا لا نجد زيارة من زيارات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المطلقة أو غيرها من الزيارات المخصصة خالية من هذه الفقرة، ولكن إلزاماً لأنفسنا بما سبق في منهج البحث نذكر مجموعة من النصوص التي ورد فيها ذكر لهذه الفقرة، منها:

ما في مصباح المتعجب عند ذكره الصلاة على الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما: (اللهم صل على الحسن والحسين عبديك وولييك وابني رسولك...أفضل ما صليت على أحد من أولاد النبيين والمرسلين... اللهم صل على الحسين بن علي المظلوم الشهيد قتيل الكفرة وطريح الفجرة السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن

رسول الله(1).

ومنها ما عن العلامة الحلي في منتهى المطلب عند ذكره لزيارة أبي محمد الحسن صلوات الله وسلامه عليه قال: (كان محمد بن الحنيف يأتي قبر الحسن صلوات الله وسلامه عليه فيقول السلام عليك يا بقية المؤمنين و ابن أول المسلمين... ثم يلتفت للحسين صلوات الله وسلامه عليه ويقول السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى أبي محمد السلام)(2).

وفي الكافي بسنده عن أبي الحسن صاحب العسكر صلوات الله وسلامه عليه قال: (تقول عند رأس الحسين عليه السلام: السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا حجة الله في أرضه وشاهده على خلقه، السلام عليك يا بن رسول الله...)(3).

وعن الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (...اصعد فوق سطحك ثم تلتفت يمنا ويسرة ثم ترفع رأسك إلى السماء ثم أنح نحو القبر وتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك ورحمة الله وبركاته، تكتب لك زورة والزورة حجة وعمرة)(4).

ولو أردنا أن نسرد كل الروايات والزيارات التي ورد فيها لفظ (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) لطال المقام، وخرج الأمر عن حد الاعتدال، وبالجملة فقد تواترت هذه العبارة في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وزياراتهم للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه حتى لا تكاد زيارة من زيارته صلوات الله وسلامه عليه تخلو من هذه الكلمات.

1- () مصباح المتعجد للشيخ الطوسي ص 401 __ 402.

2- () منتهى المطلب (ط.ق) للعلامة الحلي ج 2 ص 891.

3- () الكافي للشيخ الكليني ج 4 ص 577 __ 578.

4- () المصدر السابق ص 589.

المبحث الثاني: تبيان معنى السلام وفوائده وعلّة بدء الزيارة به

المحور الأول: معنى السلام

إشارة

تشعبت كلمات الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعدهم العلماء الأعلام حول مفهوم السلام ومعناه، وهذا الاختلاف ناتج عن الزاوية التي ينظر منها لموضوع السلام ومفهومه، وفيما يأتي جملة من المعاني التي جاء لها ذكر على لسان الروايات الشريفة وكلمات الأعلام:

1: بمعنى التحية وعلامة من علامات الأمن

المعنى المتبادر والمصداق المتعارف عند عامة الناس وهو بمعنى التحية من الشخص المسلم على الشخص المسلم عليه، وقد ورد هذا المعنى في آيات القرآن الكريم كما في قوله سبحانه ((دَعُواهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا عَنْهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) (1)، وقال سبحانه في آية أخرى: ((وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)) (2).

والسلام بهذا المعنى علامة من علامات الأمن يعطيها الإنسان المسلم إلى المسلم عليه وفي هذا المعنى ورد الحديث عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه والمنقول عن عبد الله بن الفضل الهاشمي: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن معنى التسليم في الصلاة، فقال: التسليم علامة الأمن وتحليل الصلاة، قلت: وكيف ذلك جعلت فداك؟ قال: كان الناس فيما مضى إذا سلم عليهم وارد أمنوا شره وكانوا إذا ردوا عليه أمن شرهم، فإن لم يسلم لم يأمنوه وإن لم يردوا على المسلم لم يأمنهم،

1- () سورة يونس الآية رقم 10.

2- () سورة إبراهيم الآية 23.

وذلك خلق في العرب...)(1).

فيصيح معنى قول الزائر (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) هو: (انك يا أبا عبد الله آمن من أن يصلك مني أذى كما وصل إليك من قبل أعدائك وقاتليك وناصبي الحرب لك ولأهل بيتك).

وعدم إيصال الأذى إلى أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي من شيمة المؤمن ومن صفات شيعتهم كما ورد في الحديث المروى عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في تفسير قوله سبحانه: ((وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ)) (2)، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام: هم شيعتك فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم) (3).

2: وقد يكون السلام هنا بمعنى الدعاء من الزائر المسلم للإمام المسلم عليه بالحفظ والسلامة من كل الآفات، وان يبعد عنه كل مكروه قد يصله من الآخرين.

2: بمعنى التسليم والانقياد له في جميع شؤونه

وقد يكون سلام الزائر بمعنى التسليم من قبل الزائر لإمامه المسلم عليه، والتفويض له في كل أموره وجميع شؤون دينه ودنياه، وتوطين النفس على الطاعة والانقياد المطلق له صلوات الله وسلامه عليه وللمن هو في منزلته من بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دون غيرهم من العالمين.

1- () معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص 176.

2- () سورة الواقعة الآية 90 __ 91.

3- () الكافي للشيخ الكليني ج 8 ص 260.

3: بمعنى التذكير بالميثاق والدعاء بتعجيل الفرج والنصر

وقد يكون السلام بمعنى تذكر الزائر بالميثاق وتجديده مع الإمام المزور، لان الله سبحانه قد اخذ على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسائر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم الميثاق على الطاعة والمرابطة والصبر ووعدهم بأن يمكن لهم فى الأرض ويستخلفهم ويجعل كلمتهم هى العليا، والسلام وفقا لهذا المعنى: تذكير بهذا الميثاق، ودعاء لتعجيل ذلك الوعد.

وفى هذا المعنى وردت الرواية عن محمد بن سنان، عن داود بن كثير الرقى قال: قلت لأبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (ما معنى السلام على رسول الله؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وأن يتقوا الله، ووعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور، ويظهر لهم السقف المرفوع ويريحهم من عدوهم والأرض التى يبدلها الله من السلام ويسلم ما فيها لهم لا شية فيها، قال: لا خصومة فيها لعدوهم وأن يكون لهم فيها ما يحبون وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك، وإنما السلام عليه تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله، لعله أن يعجله عز وجل ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه)(1).

4: شهادة من الزائر لإمامه بأداء أمر الله وإقامة سنة نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

وقد يكون السلام من قبل الزائر على إمامه المزور شهادة من المسلم لإمامه بأداء أمر الله سبحانه وإقامة سنة نبيه والخضوع والخشوع منه صلوات الله وسلامه عليه حتى استحق بذلك الأمان فى الدنيا والآخرة، لان هذه الأمور من معانى السلام ومصاديقه

فقد روى عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (معنى السلام فى دبر كل صلاة معنى الأمان، أى من أدى أمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله خاضعا له خاشعا منه فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة)(1).

هذه هى أهم معانى السلام التى لها شواهد من كتاب الله سبحانه وأقوال المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد تركنا الكثير مما ذهب إليه البعض خوف الإطالة، ولأن كثيرا منها عبارة عن تفسير ذوقى وقد صيغت أكثرها بعبارات فلسفية أو عرفانية معقدة لا يستدوقها عامة القراء فلذلك غرضنا الطرف عنها.

المحور الثانى: علة بدء الزيارة بلفظ السلام على أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه

ان زيارة عاشوراء وبوصفها صادرة عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه فقد روعيت فيها قواعد الشريعة الإسلامية التى جعلت من السلام مقدمة لابتداء الكلام، فعن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه. وقال: ابدؤوا بالسلام قبل الكلام فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه)(2).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا: (أولى الناس بالله ورسوله من بدأ بالسلام)(3).

وبما ان الزائر لمقرّد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه له من الحوائج والطلبات والذنوب ما يريد من الله قضاءها وغفرانها، لذلك لا ينبغى له البدء بالكلام عن أى طلب أو حاجة قبل أن يسلم، وإلا كان الزائر معرضا لعدم قبول حوائجه وإجابة دعائه والتجاوز عن سيئاته عملا بالأحاديث السابقة فتنبه.

1- () مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه ص 95 فى السلام.

2- () الكافى للشيخ الكلينى ج 2 ص 644.

3- () المصدر السابق.

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام بكنية أبي عبد الله

إشارة

لا يخفى ان أبا عبد الله هو كنية (1) الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبها اشتهر حتى قال بعض الباحثين ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لا كنية له غيرها (2)، غير ان الحسين ابن حمدان الخصبى المتوفى سنة 334 هجرية ذكر فى كتابه (الهداية الكبرى) كنى أخرى حيث قال: (واسمه الحسين وفى التوراة شبير ولما علم موسى بن عمران عليه السلام قبل التوراة ان الله سمي الحسن والحسين سبطى محمد شبر وشبير سمي أخوه هارون ابنه بهذين الاسمين، وكان يكنى أبا عبد الله والخاص أبو على ولقبه الشهيد والسبط والتام وسيد شباب أهل الجنة والرشيد والطيب) (3).

وعلى أى الأحوال فإن الخطاب بالكنية دون الاسم له مداليل متعددة، وكذلك الخطاب باسم ولده عبد الله له مدلول إضافى فوق تلك المداليل التى سنوضحها فيما يأتى:

المدلول الأول: تعليم الزائر أدب الخطاب مع إمامه

لقد عانى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أيام حياته المباركة من تعامل أمته معه على أساس انه كأحدهم لا خصوصية له زائدة سوى انه ينزل عليه الوحي دونهم وقد ذكر القرآن الكريم هذه النظرة بقوله ((لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا)) (4).

-
- 1- () قال الزبيدى فى تاج العروس ج 20 - ص 135 (والكنية على ما اتفق عليه أهل العربية هو ما صدر بأب أو أم أو ابن أو بنت على الأصح فى الأخيرين... وفى المصباح: الكنية اسم يطلق على الشخص للتعظيم نحو أبى حفص وأبى حسن؛ أو علامة عليه).
 - 2- () الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه سماته وسيرته. السيد محمد رضا الجلالى - ص 15
 - 3- () الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصبى ص 201 __ 202.
 - 4- () سورة النور الآية 63.

فكانت هذه النظرة السطحية الغافلة عن مقام ومنزلة سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم تجعل البعض يتمادى فى سوء أدبه فينادى النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من خارج البيت باسمه المبارك من دون أى إضافة أخرى، قائلين: (يا محمد يا محمد أخرج إلينا) غير مراعين لمقام نبوته ولا لعلوقه وعظيم شرفه، فعابهم الله سبحانه بقوله ((إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)) (1)، فالعقل والذوق والعرف يحكم على الإنسان إذا وقف أمام ملك من الملوك أو شخص له منزلة اجتماعية أو دينية أن لا يخاطبه باسمه تأدبا فكيف إذا كان الخطاب مع أعظم وأكمل شخصية عرفتها الإنسانية، وعليه فمن الطبيعى أن يكون الإنسان بلا عقل حال عدم التزامه للأدب مع إنسان عظيم كهذا.

وقد تمادى بعض آخر فى سوء أدبه مع نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فصار يرفع صوته فوق صوت النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى أثناء محاوراته ومناقشاته مع النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو مع مؤمن آخر فى مجلس النبى الأعظم وفى أثناء حضوره صلى الله عليه وآله وسلم، إما لطلب الغلبة، أو لعدم مراعاة القدسية لشخص النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو لطبع قد فطر عليه ذلك الرفع لصوته، لان هذا التصرف ينم عن شخصية وحشية جلفة غير ملتزمة بأدنى مراتب اللطف والأدب، ولكى يردع الله سبحانه أمثال هذه الظواهر المنافية للإيمان هدد هؤلاء الذين لا يراعون الأدب بمحضر نبيهم أن يحبط أعمالهم الصالحة إن كان لهم عمل صالح، فقال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)) (2).

ثم ان الأسباب والحشيات نفسها التى تلزم المسلم والمؤمن أن يراعى بموجبها

1- () سورة الحجرات الآية 4.

2- () سورة الحجرات الآية 2.

قواعد الأدب مع نبيه ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، توجب عليه كذلك أن يراعى قواعد الأدب مع الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وباقي أئمة أهل البيت من ذرية الإمام الحسين عليه وعليهم السلام، وذلك لاتحادهم في الكمال والفضل والرفعة وعلو الشأن، فكل ما لا يجوز الخطاب به مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كذلك لا يجوز الخطاب به مع أهل بيته والأئمة من ذريته، وكل ما يجب التقييد به مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كذلك يجب التقييد به مع أهل بيته والأئمة من ذريته صلوات الله وسلامه عليه.

وهذا التأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومع أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثلما هو واجب في حياتهم كذلك هو واجب بعد مماتهم وخصوصا عند حضور المؤمن إلى رياض قبورهم للزيارة والتبرك والدعاء، فينبغي أن تكون المراعاة أشد والالتزام أكبر لان حرمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمواتا كحرماتهم حال حياتهم.

فزيارة عاشوراء وفقا لما تقدم جارية على وفق قاعدة الأدب في التعامل وحسن الخطاب مع سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وقواعد الأدب الرفيع تقضى بقبح مناداة الزائر لإمامه صلوات الله وسلامه عليه بمثل ما ينادى أحدهم الآخر بالاسم دون الكنية أو الصفة أو اللقب، فهي تريد أن تربي الإنسان الموالى على أن لا يكون في تعامله مع إمامه بمنزلة أولئك الذين كانوا ينادون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وراء الحجرات، أو يجهرون له بالقول كجهر بعضهم لبعض.

فيكون الخطاب والسلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بكنيته وجهاً من أوجه التعظيم والتوقير والتفخيم لشخصه المقدس صلوات الله وسلامه عليه(1).

1- () قال ابن منظور في لسان العرب ج 15 ص 233: (الكنية على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا وتعظيما، والثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب اسمه عبد العزى، عرف بكنيته فسماه الله بها).

المدلول الثاني: الخطاب بالكنية دليل على حضور المخاطب وحياته

إشارة

في حديث عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (إذا ذكرت الرجل وهو حاضر فكفه، وإذا كان غائبا فسمه)⁽¹⁾، والإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه ونتيجة لعلمه بحياة جده الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وعلمه بالزائر له والقاصد لمشهده خاطبه في الزيارة بكنيته لا باسمه.

وحياة الأموات في قبورهم حياةً برزخية تتناسب وعالمهم مما أجمعت عليه كلمة المسلمين بجميع مذاهبهم إلا شذمة قليلة من المتأخرين من أتباع ابن تيمية الذين ذهب بهم تعصبهم ونصبهم إلى عدِّ (الاستغاثة به — بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم — وطلب الشفاعة منه إلى الله والتوسل به إليه بقول يا رسول الله أو يا رسول الله إشفع لي أو أتوسل بك إلى الله والتبرك بقبره والصلاة والدعاء عنده وتعظيمه كل ذلك شركاً وكفراً وعبادة للأصنام والأوثان موجبة لحل المال والدم وأنه يحرم السفر لزيارته ويجب هدم ضريحه وقبته ويحرم التبرك بتبرته ولمس ضريحه وتقبيله وأن ضريحه صنم من الأصنام ووثن من الأوثان بل هو الصنم الأكبر والوثن الأعظم وكذلك سائر الأنبياء والصالحين)⁽²⁾، وتقضيل بعض أئمتهم الجهال عصاه على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقوله الشهير: (عصاي هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً وإنما هو طارش وقد مضى)⁽³⁾ هو أشهر من نار على علم.

وليس لنا مع هؤلاء النصاب كلام بعد أن ثبت إجماع المسلمين على ان للأموات حياةً يسمعون معها ويشاهدون من يأتيهم ويسلم عليهم ويجيبونه ويأنسون

1- () تحف العقول لابن شعبة الحراني ص 443.

2- () كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهاب للسيد محسن الأمين ص 127.

3- () الدرر السنية في الرد على الوهابية لأحمد زيني دحلان ص 42.

بزيارته، لكن الله قد حجب عن الأحياء في دار الدنيا لحكمة بالغة جوابهم ومشاهدة أحوالهم، ونحن هنا نورد جملة من الآيات الشريفة والأحاديث الصحيحة وجملة أخرى من أقوال علماء أهل السنة التي تثبت بما لا يقبل الشك أن للأموات عقلاً وحياءً ونطقاً وسماعاً منها:

1: آيات القرآن الكريم تتحدث عن أن للأموات شعوراً وحياءً وتفاعلاً مع العالم الخارجي

قال تعالى: ((وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)) (1)، وقال سبحانه: ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) (2)، قال الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان: (فإن قيل: هل الشهداء أحياء على الحقيقة، أم معناه أنهم سيحيون وليسوا أحياء؟ قلنا: الصحيح أنهم أحياء إلى أن تقوم الساعة، ثم يحييهم الله في الجنة، لا خلاف بين أهل العلم فيه إلا قولاً شاذاً من بعض المتأخرين) (3).

وقال ابن حزم في كتابه المحلى: (وأما الشهداء فإن الله عز وجل يقول «ولا- تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون» وقال تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله» ولا خلاف بين مسلمين (4) في أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدراً ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامة من كل من دونهم، ومن خالف في هذا فليس مسلماً) (5).

1- () سورة البقرة الآية 154.

2- () سورة آل عمران الآية 169.

3- () التبيان للشيخ الطوسي ج 2 ص 34.

4- () تثنية لكلمة مسلم.

5- () المحلى لابن حزم ج 1 ص 25.

أقول: ولا يخفى ان كلام ابن حزم ينطبق أيضا على الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلى السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لأنها وإياهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نفس النبي وروحه قد خلقوا من طينته وهم من شجرة واحدة وباقي الناس من شجر شتى، وهم أفضل من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى اقل التقادير فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين شهداء بل سادة الشهداء الذين أعطوا لله كل ما سألهم، ففضل الله سبحانه عليهم بأن ضمن لهم أن يعطيهم كل ما سألوه لهم ولشيعتهم وزوارهم.

2: إجماع روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سماع الأموات وحياتهم وفرحهم وحنينهم

الروايات الكثيرة عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أجمعت على سماع الأموات وحياتهم ونطقهم وغير ذلك الكثير نختار منها ما يأتي:

منها ما عن عبد الله بن سليمان، عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال: (سألته عن زيارة القبور. قال: إذا كان يوم الجمعة فزرهم، فإنه من كان فيهم في ضيق وسع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يعلمون بمن أتاهم في كل يوم، فإذا طلعت الشمس كانوا سدى. قال: قلت: فيعلمون بمن أتاهم، فيفرحون به؟ قال: نعم، ويستوحشون له إذا انصرف عنهم)(1).

ومنها ما عن إسحاق بن عمار عن أبي الحسن صلوات الله وسلامه عليه قال: (قلت له المؤمن يعلم من يزور قبره؟ قال نعم لا يزال مستأنسا به ما زال عند قبره فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة)(2).

ومنها ما عن الشيخ الصدوق عن محمد بن مسلم قال (قلت لأبي عبد الله عليه

1- () الأمالى للشيخ الطوسى ص 688 زيارة القبور فى الجمعة.

2- () وسائل الشيعة للحر العاملى ج3 ص223 باب تأكد استحباب زيارة القبور.

السلام الموتى نرورهم؟ قال نعم. قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ قال إى والله إنهم ليعلمون بكم ويفرحون بكم ويستأنسون إليكم(1).

3: روايات أهل السنة فى صحاحهم وأسانيدهم وسماعهم لمن يناديهم ويزورهم

ومنها ما أخرجه البخارى وغيره من علماء العامة عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (العبد إذا وضع فى قبره وتولى وذهب أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأفعداه...)(2).

ومنها ما أخرجه مسلم قال: (عن ثابت البنانى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدت ما وعد ربكم حقا فإنى قد وجدت ما وعدنى ربي حقا فسمع عمر قول النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبوا وقد جيفوا قال والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر)(3).

ومنها ما أخرجه ابن عبد البر عن ابن عباس قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)(4).

1- () من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 1 ص 181 الميت يزور أهله.

2- () صحيح البخارى ج 2 ص 92 باب فى الجنائز، وصحيح مسلم ج 8 ص 161 باب عرض مقعد الميت فى الجنة أو النار.

3- () صحيح مسلم ج 8 ص 163 __ 164 باب إثبات الحساب.

4- () الاستذكار لابن عبد البر ج 1 ص 185.

ومنها ما عن عائشة أنها قالت: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده، إلا استأنس به حتى يقوم)(1).

فالروايات المروية عن العامة والخاصة كما ترى مستفيضة بتأكيد وجود حياة للأموات في قبورهم ولهم علم بمن يزورهم ويأتيهم ولهم إدراك وسمع لمن يتكلم معهم ويسلم عليهم.

4: علماء السنة يصرحون بحياة الأموات وسماعهم وتعقلهم لما يدور حولهم

ألف: قال ابن القيم في أول (كتاب الروح): (المسألة الأولى: وهي هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا؟... وقد شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمته إذا سلموا على أهل القبور، أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم أن الميت يعرف زيارة الحي له، ويستبشر له)(2).

وقال السبكي: (عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء)(3).

وقال الإيجي: (إحياء الموتى في قبورهم، ومسألة منكر ونكير لهم، وعذاب القبر للكافر والفاسق كلها حق عندنا، اتفق عليه سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والأكثر بعده __ أي بعد ظهور الخلاف __)(4) وقد تركنا الخوض في المزيد مخافة الإطالة.

1- (تفسير ابن كثير ج3 ص447، أضواء البيان للشنقيطي ج6 ص137).

2- (نقلا عن أضواء البيان للشنقيطي ج6 ص135).

3- (الأصول الأربعة في ترويض الوهابية لحكيم معراج الدين ص55).

4- (المواقف للإيجي: ج3، ص516).

ثم اعلم ان كمالات الأنبياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتصرفاتهم التكوينية لا تفنى ولا تضحل حال انتقالهم عن هذه الدنيا إلى عالم البرزخ والقبر، بل تزداد أرواحهم بعد الموت كمالاتهم وقربا إلى الله سبحانه، وتزداد أيديهم بالعطاء انبساطا، لان النبي والإمام في عالم الدنيا مقيّد بمراعاة العوام من الناس ومداراة أهل الضلال والذين في قلوبهم مرض فلا يظهر كامن أسراره ومنتهى قدرته في التصرف بإذن الله سبحانه، لكنه وبعد الموت وانقطاع تلك العوائق يصبح النبي والإمام أكثر حرية في ممارسة سلطته التكوينية الممنوحة له من قبل الله سبحانه، وقضائهم لحاجات زائرهم، واستجابة ما عظم من توسلاتهم وشفائهم لمن عجز عن شفائه أهل الدنيا، وقوانين هذا العالم خير دليل على هذه الحقيقة.

المدلول الثالث: توجيه نظر الزائر إلى مصيبة الطفل الرضيع

لما كان الهدف الأساس من زيارة عاشوراء هو ذكر المصائب والويلات التي جرت على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عامة، وعلى الإمام الحسين وأبنائه وبقية أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بشكل خاص، لذلك صيغت فقراتها بشكل يثير في نفس الزائر وعقله أمرين مهمين:

الأول: توعيته وتعريفه بالأسباب التي أدت إلى حدوث فاجعة عاشوراء، عن طريق تبيان الأشخاص والجماعات والظروف التي شاركت مشاركة فاعلة في إيجاد هذه المصيبة الجلييلة والرزية العظيمة.

الثاني: إثارة الحزن والأسى في نفسه عن طريق عرض المشاهد المؤلمة، أو الأسماء التي تثير في نفس الزائر صورا وأحداثا معينة من الواقعة، فذكر اسم الشمر وعمر بن سعد وأبي سفيان وغيرهم من الملعونين الذين بمجرد ذكر أسمائهم ينتقل

ذهن الزائر وفكره إلى تلك الجرائم التي ارتكبوها بحق سيد الشهداء وأهل بيته وصحبه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبالعكس فحينما تذكر الزيارة نوعاً آخر من الأسماء مثل الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعلى بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحاب الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن هذه الأسماء تنقل ذهن الزائر وفكره إلى تلك المآسى والفجائع التي حلت بهؤلاء الأبطال ومقدار الخسارة التي منيت بها الأمة الإسلامية جراء فقدهم وقتلهم بتلك الطريقة المريعة.

وذكر اسم عبد الله في أثناء السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه داخل ضمن هذا الذي تقدم فالإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يريد ومن خلال ذكر عبد الله التذكير والتذكير بمصيبة ذلك الرضيع الذي (رفعه __ الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه __ أمام القوم يريد استعطفهم، ليسمحوا بإعطائه ماء. غير أن الروح الدموية التي ما رآها التاريخ ولا شهدتها ملاحم البشر، كانت توجد في هذا المعسكر المشؤوم، فرغ «حرملة بن كاهل الأسدي» سهمه ورمى بها الطفل فسال دم البراءة على كف الحسين، وأخذ يرمى به نحو السماء وهو يقول: اللهم تقبل منا قربان آل محمد. وقال: هون ما نزل بي إنه بعين الله تعالى، اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل، اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك ثم نزل عليه السلام عن فرسه ودفن طفله الرضيع وصلى عليه(1).

فالسalam على عبد الله بن الحسين، الطفل الرضيع، المرمى الصريع، المتشطح دماً، المصعد دمه في السماء، المذبوح في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

المبحث الثاني: لماذا التأكيد على كون الحسين عليه السلام ابن رسول الله قدس الله روحه

ليس للنبي صلوات الله وسلامه عليه من قرابة غير بنى أمية

نظرة العباسيين لمسألة القرابة

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا حجر العثرة بوجه ذلك المخطط

محاولات أصحاب السقيفة القضاء على هذه العقبة

استمرار المحاولات على أيدي الأمويين والعباسيين

موقف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هذا المخطط

المبحث الثالث: سر السلام على الحسين بابن رسول الله

المدلول الأول: لتبيان أسباب قتل الأمة للإمام الحسين عليه السلام

المدلول الثاني: لتبيان موجبات زيارة الإمام الحسين عليه السلام

المدلول الثالث: لتبيان الفارق ما بين القاتل والمقتول

المدلول الرابع: للوقوف بوجه مخطط أصحاب السقيفة وأشياعهم

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ

فى هذه الفقرة الشريفة من زيارة عاشوراء عدة من المباحث المهمة نستعرض بعضها فيما يأتى:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

لا- شك فى تواتر الخطاب بلفظ (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) لكل من الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما فى النصوص الروائية وامتون الأدعية والزيارات الشريفة، ولا تكاد زيارة من زيارات الإمام أبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه تخلو من وصفه بابن رسول الله.

والتزاما منا بمنهج البحث نستعرض بعض تلك النصوص التى ورد فيها الخطاب للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلفظ (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) منها:

ما روى فى زيارة الأربعين للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عن صفوان بن مهران قال: (قال لى مولاي الصادق صلوات الله وسلامه عليه: فى زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على ولى الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجييه... السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا ابن سيد الأوصياء أشهد أنك أمين الله وابن أمينه)(1).

ومنها ما عن جعفر بن محمد بن قولويه قال: (حدثنى حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة بن الخطاب، عن الحسين بن زكريا، عن سليمان بن حفص المروزي، عن المبارك، قال: تقول عند قبر الحسين عليه السلام: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا حجة الله فى أرضه وشاهده على خلقه، السلام عليك يا ابن رسول الله...)(2).

وعنه أيضا قال: (حدثنى أبى وغير واحد، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد ابن محمد بن عيسى، عن العباس بن موسى الوراق، عن يونس، عن عامر بن جذاعة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام فقل: السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا أبا عبد الله، لعن الله من قتلك، ومن بلغه ذلك فرضى به، أنا إلى الله منهم برئ)(3).

وبالجملة فإن الزيارات والأدعية والروايات التى ذكرت أنّ الإمام الحسين ابن رسول الله تفوق حد الإحصاء على ما نحن فيه من العجالة وقد اكتفينا بالبعض منها وتركنا الكثير مخافة الخروج عن حد الاعتدال.

1- () مصباح المتهدجد للشيخ الطوسى ص 788 __ 789.

2- () كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 380.

3- () المصدر السابق ص 385.

المبحث الثاني: لماذا التأكيد على كون الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إشارة

لعل نظرة عابرة إلى كتب الحديث والأدعية والزيارات تكفي للكشف عن تأكيد وإصرار أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم وعلماء المذهب الحق على كون الحسن والحسين وبقية أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أولاد وأبناء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مما يثير في النفس سؤالاً ربما يكون للوهلة الأولى سؤالاً ساذجاً وهو لماذا كل هذا التأكيد على قضية تكاد تكون بديهية، فمن هذا الذي ينكر ان ابن البنت ابن شأنه شأن ابن الابن غير من كان يعاني من نقص في إدراكاته البديهية والفطرية.

ولكن المتتبع لحركة التاريخ الإسلامى وما مر به أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من ظروف مأساوية وتعسف ونكران لأبسط حقوقهم وامتيازاتهم لا يجد ذلك السؤال ساذجاً ولا التأكيد على بنوة الحسين صلوات الله وسلامه عليه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أمراً من دون أهمية ومن غير هدف، لان هنالك __ كما يحدثنا التاريخ __ أناساً حاولوا وما زال أتباعهم إلى الآن يحاولون نكران تلك البديهية وعدم عدّ ابن البنت ابناً للرجل وحصروا البنوة بالأبناء وأولاد الأبناء، وعلى نكران هذه البديهية صاغت دول ومذاهب منظومتها الفكرية والعقائدية.

وفيما يأتى جولة تاريخية تضع بين يديك أسباب التأكيد المتكرر والتذكير المستمر من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على كون الحسن والحسين وباقي أبنائهم المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أولاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

جدور هذه المسألة

من يتتبع أشكال الردة التي حصلت للمجتمع الإسلامى بمجرد موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، يجدها غير مقتصرة على الردة عن الإمامة، وتنصيب الخليفة الشرعى الذى أخذت العهود والمواثيق على مناصرته ومؤازرته فى غدیر خم وغيره من المواقف والمواطن، بل تعدت هذه الردة لتشمل جميع أو أغلب المفاهيم التى زرعها النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغرسها فى قلوب وعقول أمتة من خلال أفعاله وأقواله المعصومة التى لا تصدر عن الهوى، وقد كان مفهوم القرابة والرحم والانتساب لشخص النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من ضمن تلك المفاهيم التى تعرضت للتشويه والاستغلال والتحريف.

فبينما النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يربى الأمة طوال مدّة حياته المباركة على ان كلاً من الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه والسيدة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها والإمامين المعصومين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما هم أهل بيته وذوو قرابته وخاصته وموضع سره ومعدن علمه، نراهم وبمجرد ارتحاله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا قلبت هذه المفاهيم وسلبت عن أهلها الشرعيين واغتصبت شأنها شأن كثير من الحقائق والنفائس التى اغتصبتها القوم من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبدأت محاولات جديدة لتوسيع مفهوم القرابة والاختصاص بالنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليشمل ما هو أوسع من الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بهدف الاستعلاء فى الأرض والسيطرة على العباد والبلاد باسم القرابة للنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وأول من أسس هذه المحاولة وفتح هذا الباب هم أصحاب السقيفة فقد روى الطبرى فى تاريخه قال: (فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله بعث محمدا

رسولا إلى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه... فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمؤاساة له... فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم...)(1).

وتبعه على هذا الأمر الحادث عمر بن الخطاب في نفس تلك الحادثة بعد أن اقترحت الأنصار أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير آخر: (فقال عمر هيهات لا يجتمع اثنان في قرن والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونيبها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة)(2).

فتغيرت المعادلة ودخل في القرابة أناس ما أشار إليهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولا خصهم فيها بيوم من الأيام، وابتعد عنها من كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يتحين كل فرصة ومناسبة للتأكيد على قريتهم منه واختصاصهم به.

ليس للنبي صلوات الله وسلامه عليه من قرابة غير بني أمية

وما أن وصل بنو أمية إلى كرسى الحكم حتى بدأت مرحلة جديدة من مراحل مفهوم القرابة والاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهي تلك التي

-
- 1- () تاريخ الطبري ج 2 ص 457 ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة، وراجع أيضا كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 ص 329 حديث السقيفة وخلافة أبي بكر.
- 2- () المصدر نفسه.

بينها غير واحد من المؤرخين بقولهم: (قال أبو الحسن المدائني: أخبرني أبو العباس الفلسطيني وكان من غلبة أهل العلم في عصره قال: بعث عبد الله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس بمشايع أهل الشام، فلما دخلوا إليه قال لهم أبو العباس: يا أهل الشام! ما حملكم على الخروج مع بني أمية على بني هاشم وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم أولى الناس بهذا الأمر من غيرهم؟ قال: فحلف الشاميون بالله الذي لا إله إلا هو أنهم ما علموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له ذرية ولا أهل بيت غير بني أمية حتى وليتم أنتم هذا الأمر...)(1).

وبذلك ضيق بنو أمية ولأسباب غير خافية مفهوم القرابة والاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليصير حكرا على بني أمية خاصة دون بقية العالمين، مع أنهم أبعد الناس عن هذه الصفة وقد أثار هذا الأمر تعجب الكثيرين حتى صار اختصاصهم بالقرابة دون العالمين مادة يتخذها الشعراء والأدباء للسخرية منهم والاستهزاء بهم ويفكرتهم هذه، منهم إبراهيم بن المهاجر القائل:

أيها الناس اسمعوا أخبركم *** عجا زاد على كل العجب

عجا من عبد شمس أنهم *** فتحوا للناس أبواب الكذب

ورثوا أحمد فيما زعموا *** دون عباس بن عبد المطلب

كذبوا والله فيما ادعوا *** يحرز الميراث إلا من قرب(2)

وهذا الشاعر وإن كان يتكلم من وجهة نظر عباسية إلا أن تعجبه في محله وهو كما قال باب من أبواب الكذب جديد ما استحدثه غيرهم.

1- () كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج 8 ص 339 _ 340.

2- () المصدر السابق.

نظرة العباسيين لمسألة القرابة

قاتل العباسيون بضراوة أكثر من غيرهم لتحريف موضوع القرابة والاختصاص بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وحصره بالمتولدين من ذرية العباس بن عبد المطلب، فمنذ اليوم الأول لتوليهم الحكم اجتمعوا على كلمة واحدة وهي ان الإمارة والخلافة التي صارت بأيديهم بعد زوال الدولة الأموية هي حق طبيعي لهم وانها من ضمن ما ورثه العباس بن عبد المطلب من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخرج الطبري في تاريخه كتابا أرسله المنصور العباسي إلى محمد بن عبد الله بن الحسن: (... ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيره فكان وراثته من عمومته ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده فالسقاية سقايته وميراث النبي له والخلافة في ولده فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورثه)(1).

وهكذا يصبح واضحا لدينا تاريخ هذا النكران لقرابة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية آل على صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان مسألة القرابة والاختصاص بالرسول الأعظم كانت قد مرت بمراحل عديدة، فتارة توسع دائرة القربى والاختصاص ليدخل فيها أصحاب السقيفة وغيرهم، وتارة تضيق فلا يسمح بأن يدخلها إلا من كان أمويا أو عباسيا، وهذا التوسيع والتضييق كان يخضع للظرف السياسي وللمصلحة التي يراد استخدام القرابة من أجلها، فإن كانت المصلحة في التوسيع كما في السقيفة وسع ذلك الباب وفتح على مصراعيه، وإلا ضيق وفتحت منه كوة لا يدخل منها إلا من كان أمويا أو عباسيا.

1- () تاريخ الطبري ج 6 ص 199 كتاب المنصور إلى محمد بن عبد الله بن الحسن وكتاب محمد بن عبد الله اليه.

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا حجر العثرة بوجه ذلك المخطط

كان الجميع قد استفاد من ميزة القرابة وعلى أحسن وجه وأكمله سواء في ذلك أصحاب السقيفة أو غيرهم من الأمويين والعباسيين، ولكن كانت هنالك عقبة مهمة أمامهم أفشلت الكثير من مساعيهم، بحيث صارت غصة في قلوب أولئك المنتهزين.

وهذه العقبة كانت تتمثل بوجود كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء وابنيهما الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد علم القاصي والداني شدة قرب هؤلاء الأطهار للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعظيم اختصاصهم به، وقد حفظت الأمة عن نبيها أحاديث وروايات لا تحصى، تدل على أنهم أحب الناس إليه، وأعزهم عليه، وان لحمهم لحمه، ودمهم دمه، وانهم لا يفترون عنه طرفة عين أبداً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وقد نزلت آيات القرآن تترى مؤيدة لنظرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموقفه تجاه هؤلاء الأهل، فنزلت آية التطهير بحقهم وحكمت لهم بالطهارة من كل رجس ونزعتهم عن كل دنس، ونزلت آية المباهلة بشأنهم لتبين أنهم نفس النبي وأبناؤه ونساؤه دون العالمين.

فكل الحجج التي حاول من خلالها أصحاب السقيفة إثبات أن لهم نوعاً من أنواع القربى والاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانت تنهشم عند وصولها لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان القربى ان كانت هي الميزان في التفاضل والاختيار والاصطفاء والخلافة فأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كل أحد، وعليه فهم أحق بأمر الخلافة من كل احد، لأنهم الأقرب إليه من كل احد، وإذا استطاع أهل السقيفة سلب الإمارة من الأنصار بحجة أنهم: (أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك

إلا- ظالم) كما قال أبو بكر، أو كما قال عمر بن الخطاب: (من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة) فان هذا المنطق لا ينفع مع الإمام على بن أبي طالب وبقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنهم الأقرب والألصق به منزلة وقربى وشأننا، ويكون فعل من تقدم عليهم وغضبهم أمرهم مشمولاً بالقانون الذي ألزم به أبو بكر نفسه بقوله: (ولا- ينازعهم ذلك إلا ظالم)، وبما ألزم به عمر بن الخطاب نفسه بقوله: (من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة).

وبعبارة أخرى: إذا كان أبو بكر يعدّ تقدم الأنصار على المهاجرين ومنازعتهم ظلماً بحجة ان المهاجرين أولياؤه وعشيرته وأحق الناس به، فإن تقدم أبي بكر وعمر ابن الخطاب وسائر المهاجرين ومنازعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الأمر ظلم أيضاً، بل من أقبح الظلم، لان قريشا عشيرته والإمام علياً من أهل بيته بل هو نفسه كما في آية المباهلة، وتقدم العشيرة على أهل البيت ظلم لا ريب فيه، ومن يرتكبه لا يكون إلا مدلاً بباطل أو متجانفاً لإثم أو متورطاً في هلكة.

وقد احتج الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذا الأمر حينما انتهت إليه أنباء السقيفة قال: (... فماذا قالت قريش؟ قالوا احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عليه السلام احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة)(1)، وقد واجه الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ابا بكر بهذه الحقيقة وبشكل مباشر حينما خاطبه بقوله:

1- () شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلى ج6 ص4 من كلام له عليه السلام فى معنى الأنصار.

فان كنت بالقربى حججت خصيمهم *** فغيرك أولى بالنبي وأقرب

وان كنت بالشورى ملكت أمورهم *** فكيف بهذا والمشيرون غيب(1)

وقال صلوات الله وسلامه عليه أيضا متحدثا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (والله إني لأخوه ووليه، وابن عمه، ووارث علمه فمن أحق به منى...) (2).

وقد كتب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى معاوية بن أبي سفيان لعنه الله رسالة جاء فيها: (قالت قريش: منا أمير. وقالت الأنصار: منا أمير. فقالت قريش: منا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن أحق بذلك الأمر. فعرفت ذلك الأنصار، فسلمت لهم الولاية والسلطان. فإذا استحقوها بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم دون الأنصار، فإن أولى الناس بمحمد صلوات الله وسلامه عليه أحق بها منهم) (3).

فكانت هذه الاحتجاجات غصة في حلق السلطة الغاصبة، وجرحاً دائماً للنزف كلما حاولوا رتقه انفتق، فرأى القوم ان بقاء وانحصار صفة القرب في النسب بعلى وفاطمة وأبنائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين غاية في الخطورة، وبوجودهم تتقوض كل الجهود التي تبذل من اجل استعلاء أصحاب السقيفة وغيرهم باسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقربته، فتعاوض أصحاب السقيفة وآل أمية والعباس على سلب هذا القرب منهم وإخراجهم من ذلك الاختصاص بكل وسيلة وطريقة.

محاولات أصحاب السقيفة القضاء على هذه العقبة

وكما كان أصحاب السقيفة هم أول من فتح باب استغلال القرابة والعشيرة من اجل السيطرة وكسب الشعبية والتأييد كذلك كانوا أول من حاول سلب هذه الصفة

1- () شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج18 ص416 تحت رقم 185.

2- () المستدرک للحاکم النیسابوری ج3 ص126 فی أنا مدينة العلم وعلى بابها،

3- () شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج15 ص78 فصل في ذكر بعض مناقب جعفر بن أبي طالب.

عن أقربائه الحقيقيين وأهل بيته الواقعيين، وكانت أول ضربة لهم في هذا الخصوص هي سلبهم حق ذوى القربى من الخمس، لان الخمس له علاقة وثيقة بذوى قربي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخذه يذكر الناس على الدوام بأنه اقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غيره، فتفطن القوم إلى ان استمرار اخذ أهل البيت لحق ذوى القربى سيقوض كل محاولة لحشر أنفسهم من ضمن ذوى القربى.

وليست كذبة ان النبي لا يورث بخارجة عن هذا المخطط لان الميراث شأنه شأن الخمس، ففيه إشارة واضحة على ان المختص به هو مختص بالقرابة دون غيره فلو ان فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها وبعلمها الإمام أمير المؤمنين وابنيتها الحسنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا قد ورثوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرهم من ذوى قرباه لدل اختصاصهم بالميراث على اختصاصهم بقرب النسب، والأقرب نسبا أولى من غيره بالاختصاص، فلكى لا تكتشف الأمة هذا القرب ولكى يبقى الباب مفتوحا أمام الآخرين ولكى لا يبقى الاختصاص بالقربى حكرا على خمسة أشخاص دون العالمين منعوا آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إرثهم من أبيهم.

وكخطوة أخرى متممة لهذا المشروع، لم توكل لأفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أى ولاية على أى منطقة من مناطق المسلمين طوال مدة حكم أصحاب السقيفة(1)، وتم تجاهل وجودهم، وحصر انتشار كونهم اقرب الناس وأخصهم بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى حدود المدينة لا غير، حتى ان بنى أمية ونتيجة هذا الحصار الذى استمر لسنوات طويلة استطاعوا أن يقنعوا أهل الشام بأن ليس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قرابة تختص به غيرهم.

1- () راجع تفصيل الكلام حول عمال أصحاب السقيفة وأسمائهم فى كتاب النزاع والتخاصم للمقريزى ص 84 __ 87 تجده فى الفهرس تحت عنوان لعن بنى مروان وبنى العاص.

استمرار المحاولات على أيدي الأمويين والعباسيين

ثم جاءت أمية لتحكم رقاب الأمة وتمسك بمقدراتها ولتتغير معركة القرابة وحرب الاختصاص بالنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من طور التكنم والسرية إلى مرحلة الجهر والعلن، ولتعلن الحرب ويوضع السيف فوق رقبة كل من يدعى ان الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن صلبه وقد لعب سيف الحجاج لعنه الله دورا هاما فى القضاء على اكبر عدد ممكن ممن يعتقد بانحصار القرابة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والاختصاص بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقتل منهم من قتل، وسجن منهم من سجن، وشرد منهم الآلاف، ودفن منهم المئات وهم أحياء، حتى كان الناس يتقربون إلى الله يوم العيد بذبح الأضاحى وتوزيع لحومها على فقراء المسلمين، ويتقرب هو بذبح من يقول ان الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (1).

وجاء العباسيون وحشدوا كل طاقاتهم وإمكاناتهم المادية لدعم وتأييد كل ما له علاقة بإخفاء وإزالة رابطة القربى والاختصاص التى لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، واستغل بنو العباس مسألة كونهم أولاد عم النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لمحاولة إثبات أن العم وبنى العم اقرب نسبا ورحما للرجل من بنته وأبناء بنته، وان أبناء البنت ليسوا أبناء للرجل بل هم أبناء آبائهم، وعليه فأهل النبى صلى الله عليه وآله وسلم بزعمهم هم العباس وأبناء العباس، أما الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما فهما من أولاد الإمام على صلوات الله وسلامه عليه وليسا من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وحت العباسيون الشعراء والأدباء والفقهاء والمفكرين الذين يمكن لضمائرهم

1- () راجع شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى ج 3 ص 92 __ 95.

أن تباع وتشتري على تأييد هذه النظرية، وترسيخ هذا المبدأ، فانبرى بعض أهل الدنيا بالخصوص الشعراء منهم لتلبية هذا الأمر وإرساء هذا المبدأ، منهم مروان بن أبي حفصة القائل:

أنى يكون وليس ذاك بكائن *** لبنى البنات وراثة الأعمام

ألغى سهامهم الكتاب فما لهم *** ان يشرعوا فيه بغير سهام

ومنهم طاهر بن علي بن سليمان بن عبد الله بن العباس الذي خاطب الطالبين بقوله:

لو كان جدكم هناك وجدنا *** فتنازعا فيها لوقت خصام

كان التراث لجدنا من دونه *** فحواه بالقربى وبالإسلام

حق البنات فريضة معروفة *** والعم أولى من بنى الأعمام

فأعطى كل واحد منهم مئة ألف درهم من بيت المال، وأضافوا لمروان بن أبي حفصة عشرة آلاف فوق تلك المئة؛ لأنه شاعر البلاط العباسي (1).

وعن مروان بن أبي الجنوب أبي السمط قال: (أنشدت أمير المؤمنين وذكرت الرافضة فيه فعقد لي على البحرين واليامة وخلع عليّ أربع خلع في دار العامة وخلع عليّ المنتصر وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فنثرت على رأسي وأمر ابنه المنتصر وسعدا ان يلقطها لي ولا أمس منها شيئاً فجمعها فانصرفت بها قال والشعر الذي قال فيه:

ملك الخليفة جعفر *** للدين والدنيا سلامه

لكم تراث محمد *** وبعدلكم تنفى الظلامه

1- () راجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 13 ص 145 ذكر من اسمه مروان (مروان بن سليمان بن يحيى).

يرجو التراث بنو البنات ***	وما لهم فيها قلامه
والصهر ليس بوارث ***	والبنت لا ترث الإمامة
ما للذين تنحلوا ***	ميراثكم إلا الندامة
أخذ الوراثة أهلها ***	فعلام لومكم علامة
لو كان حقكم لها ***	قامت على الناس القيامة
ليس التراث لغيركم ***	لا والإله ولا كرامة
أصبحت بين محبكم ***	والمبغضين لكم علامة

ثم نثر على رأسى بعد ذلك لشعر قلته فى هذا المعنى عشرة آلاف درهم(1).

موقف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هذا المخطط

كان المخطط لسلب صفة القرابة والبنوة والاختصاص عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كبيرا ومعقدا ومدعوما من خمس دول عظمى، ثلاثة منها هى دول أصحاب السقيفة، والرابعة دولة بنى أمية، والخامسة هى الدولة العباسية، وقد رأينا كيف خصصت هذه الدول لأجل إنجاح هذا المشروع ميزانية مالية ضخمة من جهة وسيف بتار يحز رقبة كل من لا يقر بمصداقية هذا المخطط من جهة ثانية.

وقد عانى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم الكثير فى سبيل الوقوف بوجه هذا الباطل، وبذلوا فى سبيل إفهام الأمة بقرب منزلتهم ودنو مراتبهم من أيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل غال ونفيس، وما استشهاد السيدة الطاهرة ريحانة النبى فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها إلا بسبب وقوفها حائلا وسدا أمام سلب قربها واختصاصها وإرثها من أيها صلى الله عليه وآله وسلم، وما حرب الاستتصال التى شنت على أهل

1- () تاريخ الطبرى ج 7 ص 397 ذكر الخبر عن بعض أمور المتوكل وسيرته.

هذا البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يوم عاشوراء إلا بسبب ان وجودهم كان مذكرا للأمة على الدوام بوجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهرانيهم، فكان على الطغاة ولكي يقطعوا ذكر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسنته وتعاليمه أن يجتثوا أصل أهل بيته ويمحوا عن الأرض ذكرهم، ألا ترى منادى القوم في ذلك اليوم الرهيب يدعوا إلى ذلك بقوله: (لا تدعوا منهم صغيرا ولا كبيرا) (1) وكيف رفعوا شعار (لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية) أرادوا بذلك أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأسيافهم وأبى الله سبحانه إلا أن يتم نوره ولو كره الغاصبون.

وقد حشد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فضلاً عن دمائهم الطاهرة آيات القرآن وأحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مستغلين كل موقف لنشر كونهم من أولاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وانهم أخص الناس به وأقربهم إليه وحثوا شيعتهم على استغلال كل فرصة لنشر ذلك، وبثوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين آلاف الجمل الدالة على ذلك في ضمن محاوراتهم وادعيتهم وزياراتهم.

وفيما يأتي جملة من الأحاديث الدالة على ما بيناه:

منها ما عن الشيخ الكليني رحمه الله عن أبي الجارود، عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه قال: (يا أبا الجارود ما يقولون لكم في الحسن والحسين عليهما السلام؟).

قلت: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فأى شيء احتججتهم عليهم؟.

قلت: احتججتنا عليهم بقول الله عز وجل في عيسى ابن مريم عليهما السلام:

1- () مقتل الحسين للعلامة السيد عبد الرزاق الموسوي المرقوم ص316، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت __ لبنان.

((وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ)) (1)، فجعل عيسى بن مريم من ذرية نوح عليه السلام.

قال: فأى شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصلب.

قال: فأى شيء احتججتم عليهم؟

قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله: ((فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ)) (2).

قال: فأى شيء قالوا؟

قلت: قالوا: قد يكون فى كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول: أبناؤنا.

قال: فقال أبو جعفر «عليه السلام»: يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله جل وتعالى أنهما من صلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردّها إلا الكافر.

قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟

قال: من حيث قال الله تعالى: ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ)) (3)، الآية إلى أن انتهى إلى قوله تبارك تعالى: ((وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصَابِكُمْ))، فسلهم يا أبا الجارود هل كان يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا: نعم كذبوا وفجروا وإن قالوا: لا فهما ابناه

1- () سورة الأنعام الآية 84 __ 85.

2- () سورة آل عمران الآية 61.

3- () سورة النساء الآية 23.

لصلبه(1).

وعن عابد الأحمسى قال: (دخلت على أبي عبد الله وأنا أريد أن أسأله عن صلاة الليل فقلت: السلام عليك يا بن رسول الله فقال: وعليك السلام إى والله إنا لولده، وما نحن بذوى قرابته، ثلاث مرات قالها)(2).

وفى حديث عن الإمام الكاظم صلوات الله وسلامه عليه مع الرشيد، قال له: (لم لا تنهون شيعتكم عن قولهم لكم يا بن رسول الله وأنتم ولد على، وفاطمة إنما هى وعاء، والولد ينسب إلى الأب لا الأم، فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفنى عن هذه المسألة فعل، فقال: لست أفعل أو تجيب).

فقلت: فأنا فى أمانك أن لا يصيبنى من آفة السلطان شىء؟

فقال: لك الأمان.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ووهبنا له إسحاق إلى أن قال وعيسى، فمن أبو عيسى(3)؟

فقال: ليس له أب إنما خلق من كلام الله عز وجل وروح القدس.

فقلت: إنما الحق عيسى بذرارى الأنبياء من قبل مريم، وألحقنا بذرارى الأنبياء من قبل فاطمة لا من قبل على عليه السلام...(4).

1- () الكافى للشيخ الكلينى ج 8 ص 317 _ 318.

2- () المصدر السابق ج 3 ص 487 باب النوادر الحديث رقم 3.

3- الآية بتمامها كالتالى: ((وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ)) سورة الأنعام الآية رقم 84 _ 85.

4- () كتاب الاختصاص للشيخ المفيد ص 56 حديث موسى بن جعفر عليهما السلام مع هارون الرشيد.

المبحث الثالث: سر السلام على الحسين بابن رسول الله

إشارة

الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه ويوصفه أحد المعصومين لا يتكلم إلا بما يكون موزوناً بدقة ومصاغاً لأجل غايات وأهداف قد تكون ظاهرة معروفة وقد تكون خفية تظهر للعالم في وقتها المناسب، وسلام الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه على جده الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) فيه لمن تأمل أسرار وأهداف ومداليل مهمة نستطيع أن نكتشف بعضها فيما يأتي ونوكل علم البقية إلى نفس الإمام صلوات الله وسلامه عليه:

المدلول الأول: تبيان أسباب قتل الأمة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

احتوت زيارة عاشوراء على تبيان واضح وشافٍ لكل الأسباب أو لأهم الأسباب التي أدت إلى حدوث فاجعة عاشوراء، فبينت الزيارة المؤسسين والأشياء والأتباع والغايات والعائلات التي اشتركت كآل أمية وبنى مروان وغيرهم، وذكرت بعض الأشخاص الذين كانت لهم ادوار مهمة قبل تلك الفاجعة وبعدها كعمر بن سعد وابن مرجانة والشمر بن ذى الجوشن لعنهم الله جميعاً، وأوضحت هذه الزيارة الشريفة بعض الحالات النفسية لهؤلاء المتسببين لهذه الواقعة العظيمة، وذكرت على سبيل المثال فرح آل مروان بقتلهم الحسين صلوات الله وسلامه عليه وغير ذلك، وبالجملة فلم تغفل هذه الزيارة عن تبيان وإيضاح كل صغيرة وكبيرة كان لها دور فاعل في إيجاد وإحداث مجزرة عاشوراء الرهيبة.

وقد ذكرنا فيما سبق ان واحدة من أهم الأسباب التي أدت إلى استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وإبادة أهل بيته هي كونه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو انه صلوات الله وسلامه عليه كان ابناً لأبى بكر أو عمر بن الخطاب أو حتى لأبى سفيان لما تجرأ عليه

ولا- على أهل بيته احد من أولئك الطغاة العتاة، ولرأينا كيف يرفعه التاريخ الإسلامى علما ويصيره أسطورة من أساطير العلم والعمل والشجاعة، ولما تجرأ عليه التاريخ باتهامه تارة بأنه قتل بسيف جده، وأخرى انه خرج على إمام زمانه ونكث البيعة وفرق صف المسلمين، وثالثة بأن بيعة يزيد شرعية وخروج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد سبب للأمة شرخا وصدعا حاشاه من جميع هذه الافتراءات الكاذبة.

وعليه فيكون سلام الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) داخلاً فى ضمن تبيان الأسباب والمسببات التى أدت إلى مقتل واستشهاد الإمام وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المدلول الثانى: تبيان موجبات زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

كلما كان الولى أعظم قدرا وأكمل مقاما وارفح منزلة يكون الداعى إلى زيارته وصلته أشد وأوكد، ولا يوجد أفضل من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين من الله سبحانه على البشرية جمعاء بهم وبجدهم صلى الله عليه وآله وسلم، فبهم أخرج الله سبحانه العباد من الضلالة إلى الهدى، وبهم فتح الله سبحانه على العالم كل أبواب الخير، وبهم عرف الله سبحانه وعبد حق عبادته، وبهم علمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما فسد من ديانا، وبهم ينزل كل خير ويدفع كل شر، فبسبب كل هذه الكمالات وبسبب أياديهم العظوفة على البشرية صار الداعى إلى زيارتهم ووصلهم والحضور إلى قبورهم أوجب وأشد وأوكد من كل صلة أخرى.

وواحدة من أهم الأمور التى توجب (1) على المؤمنين صلة أبى عبد الله الحسين

1- () روى صاحب كتاب كامل الزيارات محمد بن قولويه ص 246 عن أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه انه قيل له: (جعلت فداك ما تقول فيمن ترك زيارته وهو يقدر على ذلك؟ قال: أقول انه قد عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقنا واستخف بأمره...)، وفى ص 238 عن أم سعيد الاحمسية عن أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قالت: (قال لى يا أم سعيد تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت نعم، فقال لى: زوريه فان زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء) ومن هذه الروايات وغيرها استظهر العلامة المجلسى وجوب زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: (ولا يبعد القول بوجوبها فى العمر مرة مع القدرة، وإليه يميل الوالد العلامة) راجع بحار الأنوار ج 98 ص 10 فيمن ترك زيارة الحسين عليه السلام.

صلوات الله وسلامه عليه وزيارة قبره والحضور في مشهده هي كونه ابن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فصلاة النبي صلوات الله وسلامه عليه توجب صلاة أبنائه، وفضل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أمته يوجب لزوم تققد مجالسهم والأخذ والتزود منهم حال حياتهم وزيارة قبورهم حال استشهادهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

لذلك وردت روايات كثيرة تحث الزائر على زيارة قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه حبا برسول الله صلوات الله وسلامه عليه وصرحت جميعها ان لهذه الزيارة الأجر الجزيل والثواب الكبير منها:

ما عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين زوار الحسين بن علي، فيقوم عنق من الناس لا يحصيهم إلا الله تعالى، فيقول لهم: ما أردتم بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيقولون: يا رب أتيناك حبا لرسول الله وحبا لعلي وفاطمة ورحمة له مما ارتكب منه، فيقال لهم: هذا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فالحقوا بهم، فأنتم معهم في درجتهم الحقوا بلواء رسول الله فينطلقون إلى لواء رسول الله، فيكونون في ظله واللواء في يد علي عليه السلام حتى يدخلون الجنة جميعا، فيكونون أمام اللواء، وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه) (1).

وعن أبي بصير، قال سمعت أبا عبد الله أو أبا جعفر صلوات الله وسلامه عليهما يقول: (من أحب أن يكون مسكنه الجنة ومأواه الجنة فلا يدع زيارة المظلوم، قلت: ومن هو،

قال: الحسين بن علي صاحب كربلاء من أتاه شوقاً إليه وحبا لرسول الله وحبا لأمر المؤمنين وحبا لفاطمة، أقعده الله على موائد الجنة، يأكل معهم والناس في الحساب(1).

المدلول الثالث: تبيان الفارق ما بين القاتل والمقتول

استعرضت زيارة عاشوراء صنفين ونوعين من الشخصيات ضمن فقراتها الشريفة، الصنف الأول هم: من وقع الظلم والحيث والقتل والجور عليهم، فذكرت ضمن هذا الصنف كلاً من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأولاد الإمام الحسين وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والصنف الثاني هم: من تسبب بإيقاع الظلم والحيث والقتل والجور على الصنف الأول، فذكرت عدة مصاديق لهذا الصنف بعضهم ذكرته بالفعل والبعض الآخر ذكرته بالاسم، فذكرت المؤسسين للظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذكر آل أبي سفيان وآل مروان وابن مرجانة وعمر بن سعد وشمرا وغيرهم من الملعونين.

واستعراض هذين الصنفين في فقرات الزيارة واحدة من أهم فوائده وغاياته وأهدافه هو: بيان الفارق النسبي والأخلاقي والعلمي والإيماني وغير ذلك من الفوارق التي تميز كلاً من القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والجائر والمجور عليه.

فحينما تذكر الزيارة الشريفة ان الحسين الشهيد هو ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين وابن فاطمة سيدة نساء العالمين، ثم تذكر بعد ذلك ان ظالمه وقاتله ابن مرجانة وأمثاله ممن عرفوا تاريخياً بوضاعة النسب وخمول الحسب وفقد الإيمان، فحينئذ يدرك المؤمن فداحة يوم عاشوراء وعظم الجريمة التي ارتكبت فيه، ويستبين

معالم الفاجعة حينما يقارن بين أولئك القتلة المطعون في أحسابهم وأنسابهم وإيمانهم وبين أولئك الشهداء المقتولين المظلومين الذين هم غاية في الكمال والطهر والإيمان.

المدلول الرابع: الوقوف بوجه مخطط أصحاب السقيفة وأشياهم

تعرفنا في المبحث الثاني المنصرم كيف أراد أعداء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين القضاء على قربهم واختصاصهم وانتسابهم للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف بدأ هذا المخطط بالدعوة إلى إخراج أهل البيت عن كونهم أبناء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف انتهى بالدعوة والتحريض يوم عاشوراء على استئصالهم وان لا يبقى لهم باقية.

وتعرفنا أيضا على الجهد العظيم الذي قام به أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين للحفاظ على صدق انتسابهم وحقيقة اختصاصهم بجدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم دون العالمين، فاستخدموا لأجل ذلك كل وسيلة، واتبعوا كل طريقة ممكنة، وواحدة من هذه الوسائل والطرق هي زجها في متون ادعيتهم وزياراتهم، وأمر الشيعة بترديدها وتكرار قراءتها، ما يؤدي هذا التكرار إلى ترسيخ هذا الأمر في نفس الزائر وعقله رسوخا لا يقبل الشك أو الانفكاك.

وعليه فيصيح قول الزائر لقبر أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ومخاطبته إياه بقوله (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) مشاركة في نصرة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في حربهم مع أعدائهم، وفيه إثبات وإقرار حق من حقوقهم المسلوبة، وفيه نكران للمنكر الذي أراد أصحاب السقيفة وأتباعهم تأسيسه وترسيخ قواعده، والزائر مأجور على هذه المناصرة والشهادة والرفض للظلم ويكتب له اجر الواقف بوجه ذلك الباطل وان لم يكن ملتفتا في اغلب الأحيان إلى أهمية فعله أو الهدف من السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والشهادة له بأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

المبحث الثاني: تبيان السبب الثاني من أسباب واقعة عاشوراء

اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام علي بن أبي طالب

ابتزاز هذا اللقب من الإمام علي بن أبي طالب

كيف أثر لقب أمير المؤمنين في استشهاد الحسين

المبحث الثالث: تبيان السبب الثالث من أسباب فاجعة عاشوراء

ابتزاز لقب الوصي من الإمام أمير المؤمنين

أدلة أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بقية الأوصياء

الدليل الأول

الدليل الثاني

الدليل الثالث

المبحث الرابع: من هم الأوصياء المقصودون في هذه العبارة

ملاحظة لا بد منها

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ وهذه الفقرة الشريفة من الزيارة كغيرها من الفقرات فيها مباحث مهمة وإشارات جليلة القدر نستعرض بعضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

من يرجع إلى كتب الأدعية والزيارات يجد أنّ السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والشهادة له بأنه ابن أمير المؤمنين أو أنه صلوات الله وسلامه عليه ابن سيد الوصيين مما قد اشتهر ووصلت شهرته إلى حد يستغنى عن الإطالة في الخوض بتفاصيله وذكر جميع شواهد، ونحن هنا نذكر من باب التزامنا بالمنهج الذي وضعناه للبحث بعض تلك النصوص التي منها:

الصلاة التي ذكرها الشيخ الطوسي قدس الله روحه على الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما: (اللهم صل على الحسين بن علي المظلوم الشهيد قتيل الكفرة وطريح الفجرة السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا بن رسول الله السلام عليك يا بن

أمير المؤمنين، أشهد موقنا أنك أمين الله وابن أمينه قتلت مظلوما ومضيت شهيدا(1).

ومنها الزيارة المختصرة التي ذكرها الشيخ المفيد رحمه الله قال: (باب مختصر زيارته عليه السلام إذا أتيت مشهده عليه السلام فاغتسل قبل أن تدخله، والبس أظهر ثيابك وقف على القبر، واستقبله بوجهك، واجعل القبلة بين كتفيك، وقل: السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا بن الصديقة الطاهرة، سيدة نساء العالمين...)(2).

ومنها ما ذكره ابن قولويه في كامل الزيارات بقوله: (حدثني أبي، عن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال، عن عمرو بن سعيد المدائني، عن مصدق بن صدقة، عن عمار بن موسى الساباطي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: تقول إذا أتيت إلى قبره: السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا سيد شباب أهل الجنة ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا من رضاه من رضى الرحمان وسخطه من سخط الرحمان)(3).

ومنها ما ذكره ابن طاوس رحمه الله في إقبال الأعمال من زيارة الأربعين: (تزور عند ارتقاع النهار فتقول: السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه... يا سيدي، استشفع إلى الله بجذك سيد النبيين، وبأبيك سيد الوصيين، وبأماك سيدة نساء العالمين، السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين سيد الأوصياء...)(4).

1- () مصباح المتعجد للشيخ الطوسي ص 401 __ 402.

2- المقنعة للشيخ المفيد ص 469

3- () كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 382 __ 383.

4- () إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 101 __ 102.

ومنها الزيارة التي يزار بها الإمام الحسين في أول شهر رجب والتي نقلها السيد ابن طاوس قدس الله روحه بقوله: (إن هذه الزيارة مما يزار بها الحسين عليه السلام أول رجب أيضا... ثم ادخل وقف عند ضريحه وكبر الله تعالى مائة مرة وقل: السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن خاتم النبيين، السلام عليك يا بن سيد المرسلين، السلام عليك يا بن سيد الوصيين)(1).

واستقصاء هذه الفقرة من الزيارة في كل كتب الأدعية والزيارات يخرج بنا عن حد الاختصار والاعتدال، وشهرتها تغني عن الإسناد.

المبحث الثاني: تبيان السبب الثاني من أسباب واقعة عاشوراء

إشارة

ان تكرار السلام على أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقرنه تارة بابن رسول الله وتارة بابن أمير المؤمنين وغير ذلك من العبارات الشريفة هو في الحقيقة ليس مجرد ترديد ساذج لعبارة السلام وتكثيرها وحشوها داخل فقرات الزيارة(2)، بل ان السلام وتكراره __ كما رأينا في شرح الفقرة السابقة __ هو سلام هادف وتكرار هادف، ويحمل بين طياته معاني سامية وإشارات جليلة تكشف لنا وبوضوح عن الأسباب والحديث التي من اجلها حدثت فاجعة عاشوراء، والتي بسببها انتهكت حرمة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وحرمة أهل بيته وأصحابه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأريقت دماؤهم الطاهرة.

وقرن السلام في هذه الفقرة بعبارة يا ابن أمير المؤمنين، ليس بخارج عن هذه

1- () المصدر السابق ج 3 ص 341، وراجع أيضا كتاب المزار للشهيد الأول ص 142 __ 143.

2- كما اعتقده بعض الجهال ممن حاول إسقاط زيارة عاشوراء عن الاعتبار لمجرد كثرة ترديد السلام فيها، لأنه يعتقد ان سلاما واحدا يكفي ويغني عن كل تلك الأنواع من السلام، وهو اعتقاد ساذج وسطحى كما سنعرف.

القاعدة، والإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يهدف من وراء ذلك إلى ذكر سبب آخر من أسباب حدوث فاجعة عاشوراء، والذي يتلخص في كون الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن أمير المؤمنين.

اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه

ولقب أمير المؤمنين أطلق أول ما أطلق على الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ولنا على هذه الحقيقة نصوص تاريخية عدة منها:

ما عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه وقد سأله رجل عن القائم يسلم عليه بإمرة المؤمنين؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه: (لا، ذاك اسم سمى الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسم به أحد قبله ولا يتسمى به بعده إلا كافر، قلت جعلت فداك كيف يسلم عليه؟ قال: يقولون: السلام عليك يا بقية الله، ثم قرأ ((بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (1)(2).

وقال المولى محمد المازندراني في شرح هذا الحديث: (لم ينقل أن أحدا سمى بأمر المؤمنين قبله، وأما بعده فقد سمى به بعض جبابرة هذه الأمة، ولعل المراد بالكافر هنا ضد المؤمن، وهو من لم يؤمن بالله وبرسوله، فضلا عما جاء به الرسول، إن اعتقد جواز ذلك شرعا أو مطلقا، كمن سمى نفسه باسم الله أو نبي الله أو رسول الله، ويحتمل أن يراد بالكفر كفر النعمة، بتغييرها ووضعها في غير موضعها، أو تغطية الحق، وأصل الكفر هو التغطية، والمتصف بهما يسمى كافرا وإن لم يكن خارجا عن الإيمان، والله أعلم)(3).

1- سورة هود الآية 86.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 411 __ 412 باب نادر.

3- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 7 ص 48 __ 51.

عن أحمد بن عمر قال: (سألت أبا الحسن عليه السلام لم سمي أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: لأنه يميهم العلم، أما سمعت في كتاب الله ((وَمِمَّنْ أَلْمَنَّا)) (1). وفي رواية أخرى قال: (لأن ميرة المؤمنين من عنده، يميهم العلم) (2).

وعن فضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: (... يا فضيل لم يسم بها والله بعد على أمير المؤمنين إلا مفتر كذاب إلى يوم الناس هذا) (3).

أما من مصادر العامة فقد نقل ابن عساكر عن القاسم بن جنيد بن أنس بن مالك قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسكب إلى ماء أو وضوءاً فتوضأ ثم قام فصلى ركعتين ثم قال يا أنس أول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين سيد المؤمنين على) (4).

وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (على يعسوب الدين والمال يعسوب المنافقين) (5) إشارة إلى نفس المعاني المتقدمة.

وقال المناوي في شرح هذا الحديث: ((على يعسوب المؤمنين)) أى سيدهم ((والمال يعسوب المنافقين)) قال فى المحكم: اليعسوب أمير النحل ثم كثر حتى سمو كل رئيس يعسوباً، وقال ثعلب: اليعسوب ذكر النحل الذى يتقدمها ويحامي عنها) (6).

1- سورة يوسف الآية 65.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 412 باب نادر.

3- اليقين للسيد ابن طاوس ص 303.

4- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 42 ص 303.

5- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج 2 ص 178 حرف العين،

6- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج 4 ص 472.

ابتزاز هذا اللقب من الإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه

لقب أمير المؤمنين شأنه شأن غيره من حقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وألقابهم وفضائلهم التي اختصوا بها عن العالمين والتي ابتزت منهم واغتصبت، وأسباب هذا الابتزاز واضحة للمؤمن الفطن، إذ إن هذا اللقب كان يذكر الأمة الإسلامية بأن عليا صلوات الله وسلامه عليه هو الأولى من غيره باعتراف منصب الإمامة والخلافة بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه أميرهم وسيدهم ويعسوبهم، ومن غير اللائق لأحد من المسلمين أن يتقدم على أميره، أو يتأمر على سيده، ومن يفعل ذلك فإنه ظالم متعدّد لحدود الله.

فتنبه القوم إلى أن بقاء هذا اللقب وانحصاره بأمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه يعد تهديدا دائما ومستمرا يدين صحة اعتلائهم لمنصب قيادة المسلمين، ويفضح تقدمهم لأميرهم وسيدهم ويعسوبهم. فكان عليهم والحال هذه، وفيما لو أرادوا أن يحافظوا على تلك المناصب المغتصبة أن يعمدوا إلى أمرين:

الأول: توسيع إطلاق هذا اللقب ليشمل أفرادا غير الإمام على بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

الثاني: القضاء على ما كان مشاعا من اختصاص الإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بلقب أمير المؤمنين، وإيداله بشياع جديد يخرج هذا اللقب من حيز الاختصاص إلى العموم.

وأول من وسع إطلاق لقب أمير المؤمنين بحسب الوثائق التاريخية هو عمر بن الخطاب في أيام حكومته، قال الطبري: (قال أبو جعفر: أول من دعى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم جرت بذلك السنة واستعمله الخلفاء إلى اليوم)⁽¹⁾.

وقال الطبري أيضا: (حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري قال حدثتني أم عمرو بنت حسان الكوفية عن أبيها قال لما ولي عمر قيل يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر هذا أمر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة رسول الله بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمى أمير المؤمنين(1)).

وقيل إن مسيلمة الكذاب قد تلقب بلقب أمير المؤمنين قبل عمر بن الخطاب كما نقله ابن حجر في كتابه فتح الباري حيث قال: (وجدت في كلام أبي الخطاب بن دحية الإنكار على من أطلق أن عمر أول من لقب أمير المؤمنين وقال قد تسمى به مسيلمة قبله كما أخرجه البخاري في قصة وحشي(2)).

واستمر هذا التوسيع للقب أمير المؤمنين ليشمل كل من يتولى الحكم على المسلمين براً كان أو فاجراً قال النووي: (يجوز أن يقال للإمام الخليفة والإمام وأمير المؤمنين، قال الماوردي: ويقال أيضا: خليفة رسول الله، قال البغوي في شرح السنة: ويقال له أمير المؤمنين وإن كان فاسقا، وقد أوضحت ذلك وما يتعلق به في أواخر كتاب الأذكار(3)).

وقال البهوتي في كشف القناع: (قال أحمد في رواية عبدوس بن مالك العطار: ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله يبيت ولا يراه إماما برا كان أو فاجرا(4)).

بل نجد ان لقب أمير المؤمنين وسع ليدخل فيه غير الحكام وأصحاب السلطة

1- المصدر السابق.

2- فتح الباري لابن حجر ج 7 ص 285.

3- روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج 7 ص 270 الفصل الثالث في أحكام الإمام.

4- كشف القناع للبهوتي ج 6 ص 202.

أمثال بعض المحدثين الذين أطلق عليهم لقب (أمير المؤمنين في الحديث) منهم مالك بن أنس فقيه وإمام المذهب المالكي الذي يقول عنه (يحيى بن سعد القطان ويحيى بن معين: مالك أمير المؤمنين في الحديث)(1).

ومنهم محمد بن إسحاق الذي وصفه شعبة بقوله: (محمد بن إسحاق أمير المحدثين هو أمير المؤمنين في الحديث)(2)، ومنهم الثوري ذكر النووي في شرح صحيح مسلم: (وكان الثوري يسمى أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث)(3).

فأصبح لقب أمير المؤمنين كما ترى شرعة لكل وارد، وخرج من حالة الاختصاص بأمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه إلى العموم ليشمل البر والفاجر، بل صار إطلاقه ولشديد الأسف على الطغاة والجبابرة والمسرفين هو الأكثر شيوعاً عند الاستعمال.

أما كيف أمكن القضاء على ما كان مشاعاً من اختصاص أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بهذا اللقب، وإبداله بشياع آخر فهذا ما سنتناول أسبابه وباختصار فيما يأتي:

السبب الأول: اختراع روايات تقابل وتعاكس تلك التي خصت على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بلقب أمير المؤمنين، ونحن هنا نشير إلى روايتين فقط رغبة في الاختصار.

1- المدونة الكبرى للإمام مالك ج6 ص465 في ترجمة الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس، وراجع أيضاً تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي ص3 في كتاب وقت الصلاة.

2- المحلى لابن حزم ج3 ص241 في المسألة 360 لا يجوز للمأموم أن يقرأ خلف الإمام شيئاً غير أم القرآن.

3- شرح مسلم للنووي ج1 ص87 باب بيان ان الإسناد من الدين.

الأولى عن النعمان بن بشير بن سعد قال: (توفى رجل منا يقال له خارجة بن زيد فسجينا عليه ثوبا وقمت أصلى قال سمعت ضوضأة قال فانصرف فإذا به يتحرك فظننت أن حية دخلت بينه وبين الثوب.

فلما وقفت عليه قال: أجد القوم أوسطهم عبد الله عمر أمير المؤمنين الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم وهو فى الكتاب الأول صدق القوى فى جسمه القوى فى أمر الله الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم، كان فى الكتاب الأول.

صدق صدق عبد الله أبو بكر أمير المؤمنين الضعيف فى جسمه القوى فى أمر الله هو فى الكتاب الأول.

صدق صدق عبد الله عثمان أمير المؤمنين العفيف المتعفف الذى يعفو عن ذنوب كثيرة خلت ليلتان وبقيت أربع اختلف الناس فلا نظام لهم أبيض الأحماء.

أيها الناس أقبلوا على إمامكم اسمعوا له وأطيعوا فمن تولى فلا يعهدن دما كان أمر الله قدرا مقدورا هذا رسول الله سلام عليك يا رسول الله هذا عبد الله بن رواحة، ما فعل خارجة بن زيد، ثم رفع صوته يقول "كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى" أخذت بئر أريس ظلما ثم خفت الصوت فرفعت الثوب فإذا هو على حاله ميت(1).

وعدم ذكر اسم الإمام على بن أبى طالب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فى الرواية دليل قاطع على ان ذكر تلك الأسماء فى الرواية وإطلاق لقب أمير المؤمنين عليهم مقصود منه التغطية على اسم الشخص الحقيقى الذى اختص بهذا اللقب دون جميع العالمين.

والرواية الثانية هي التي نقلها البكرى الدمياطى على شكل زيارة يزار بها عمر ابن الخطاب مصاغة بنفس الطريقة التي يزار بها أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتي جاء فيها: (...ثم يتأخر قدر ذراع آخر، فيسلم على سيدنا عمر رضى الله عنه، ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، يا سيدنا عمر بن الخطاب، يا ناطقا بالحق والصواب. السلام عليك يا حليف المحراب، السلام عليك يا من بدين الله أمر، يا من قال فى حقك سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم: لو كان بعدى نبي لكان عمر. السلام عليك يا شديد المحاماة فى دين الله والغيره، يا من قال فى حقك هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ما سلك عمر فجا إلا- سلك الشيطان فجا غيره أستودعك...)(1).

السبب الثانى: ترويح لقب أمير المؤمنين وإدخاله بعد الأذان ليسمعه المسلمون صغيرهم وكبيرهم خمس مرات فى اليوم، ولسنين طويلة، حتى يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، وحتى نشأ بمرور تلك السنين جيل اعتاد على سماع إطلاق لقب أمير المؤمنين على غير على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، بل أكثر من ذلك فإن هذا الجيل الجديد والأجيال التى ستليه اعتادوا على عدم دخول الإمام على صلوات الله وسلامه عليه عند إطلاق هذا اللقب فيه، ولنا على هذه الطريقة الخبيثة عدة شواهد تاريخية نختار منها:

قال جلال الدين السيوطى: (قال الواقدى وغيره... فلما ولى أبو بكر كان سعد القرظ يقف على بابه فيقول السلام عليك يا خليفة رسول الله الصلاة يا خليفة رسول الله(2)).

1- إعانة الطالبين للبكرى الدمياطى ج 2 ص 357.

2- التأكيد والتركيذ على كون أبى بكر خليفة رسول الله يدخل فى نفس المخطط الذى نحن بصدد الكلام عنه، باعتبار ان المسلمين الأوائل كانوا يعلمون ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف أبى بكر من بعده، بل ان أبى بكر نفسه يعترف بذلك حينما جاءه أعرابى فقال له: أنت خليفة رسول الله؟ فقال: لا، فقال: ما أنت؟ قال: أنا الخالفة من بعده، أخرجه الممتقى الهندى فى كنز العمال ج 12 ص 531 فى وفاة أبى بكر، وقال جار الله الزمخشري فى كتابه الفائق فى غريب الحديث ج 1 ص 339 بعد إيراده لهذه الرواية: (الخالف والخالفة الذى لا غناء عنده ولا خير فيه...) وقال ابن الأثير فى كتابه النهاية فى غريب الحديث ج 2 ص 69 باب الخاء مع اللام بعد إيراده لهذا الخبر: (فأما الخالفة فهو الذى لا غناء عنده ولا خير فيه، وكذلك الخالف، وقيل هو الكثير الخلاف).

فلما ولي عمر ولقب أمير المؤمنين كان المؤذن يقف على بابه ويقول السلام عليك يا أمير المؤمنين ثم إن عمر أمر المؤذن فزاد فيها رحمك الله.

ويقال إن عثمان زادها، وما زال المؤذنون إذا أذنوا سلموا على الخلفاء وأمرء الأعمال ثم يقيمون الصلاة بعد السلام فيخرج الخليفة أو الأمير فيصلى بالناس. هكذا كان العمل مدة أيام بني أمية ثم مدة أيام بني العباس حتى ترك الخلفاء الصلاة بالناس فترك ذلك(1).

السبب الثالث: ترويح بعض ضعفاء النفوس من الصحابة والتابعين لهذا اللقب لأسباب منفعية أو عقد نفسية.

وعلى سبيل المثال نأخذ كلاً من ابن عمر وزيد بن ثابت كمثالين كان لهما التأثير البالغ في نشر هذا اللقب وإطلاقه على غير مستحقه، فقد أخرج البخارى فى صحيحه رواية توضح إقرار ابن عمر لعبد الملك بن مروان بإمارة المؤمنين قال: (حدثنا عمرو بن على حدثنا يحيى عن سفيان قال حدثنى عبد الله بن دينار قال لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر: إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت وان بنى قد أقروا بذلك(2) مع العلم ان ابن عمر لم يقر للإمام على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه بالإمارة ولا بايعه طوال مدة خلافته.

1- تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطى ص 92 كتاب الصلاة باب ما جاء فى النداء للصلاة.

2- صحيح البخارى ج 8 ص 122 _ 123 فى كتاب الأحكام.

وعن البخارى أيضا فى كتابه الأدب المفرد أن زيد بن ثابت كتب إلى معاوية بن أبى سفيان بما نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زيد ابن ثابت سلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو... والسلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته)(1).

وعن ابن حجر قال: (ومن طريق زيد بن ثابت انه كتب إلى معاوية السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته وطيب صلواته)(2).

ولهذه الأسباب وبهذه الجهود ضيع حق من حقوق أهل البيت عليهم السلام وتم القضاء على أهم ألقاب مولى الموحدين الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه.

ولا ينبغى التوهم بأن مقصد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم فى الدفاع عن لقب أمير المؤمنين وإصرارهم على انحصاره بشخص الإمام على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه هو دفاع وإصرار على مجرد لقب مؤلف من حروف جوفاء أو مجرد وسام افتخارى يمكن أن يرفع من مكانة ومنزلة أهل البيت الدنيوية شأنه شأن بعض المناصب الدنيوية التى يمنحها بعض الملوك لبعض خواصه، بل ان جوهر الدفاع والإصرار على لقب أمير المؤمنين واختصاصه بشخص الإمام على تكمن أهميته بما وراء ذلك اللقب، لان لقب أمير المؤمنين يستبطن فى جوهره الإقرار لصاحب اللقب باستحقاق أعلى منصب من مناصب الدولة الإسلامية، ويجعل حامله والمختص به مؤهلا ومقدما على من غيره لتسلم موقع السيادة والصدارة والخلافة بعد رحيل النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

1- الأدب المفرد للبخارى ص 241 فى الجواب على كيف أصبحت.

2- فتح البارى لابن حجر ج 11 ص 5 باب بدء السلام.

وبعبارة أخرى: فإن لقب أمير المؤمنين يمكن أن يعد أعلى منصب من مناصب الدولة الإسلامية يمكن أن يعطى لأحد من الناس بعد لقب نبي المؤمنين(1) الذى انفرد به نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون بذلك الدفاع عن لقب أمير المؤمنين من أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم هو فى الحقيقة دفاعاً عن أصل الخلافة، وإصرارنا على اختصاص هذا اللقب فى الإمام على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه يعد نفس إصرارنا على اختصاص الخلافة بشخصه الشريف، واستماتتنا فى الحفاظ على هذا اللقب هو نفس استماتتنا فى الحفاظ على مبدأ الإمامة وأحقية أهل البيت به من دون العالمين.

كيف اثر لقب أمير المؤمنين فى استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه

بعد أن زويت الإمارة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لسنين طويلة عادت لهم بعد تولى الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه الخلافة بعد عثمان بن عفان، فأوجس أصحاب نظرية توسيع إمارة المؤمنين(2) فى أنفسهم خيفة من رجوع

1- جاء وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنبي المؤمنين على لسان كثير من الصحابة ونخص بالذكر منهم عباس بن مرداس حيث يقول فى بعض أشعاره كما فى (البداية والنهاية لابن كثير ج 4 ص 394). وقال نبي المؤمنين تقدموا *** وحب إلينا أن نكون المقدم

2- روى الشريف الرضى فى كتابه خصائص الأئمة (ص 61 __ 62) عن الإمام أبى جعفر محمد بن على الباقر صلوات الله وسلامه عليهما انه قال: (لما قدم عبد الله بن عامر بن كريز المدينة لقي طلحة والزبير، فقال لهما بايعتما على بن أبى طالب عليه السلام؟ «فقالا نعم») فقال: أما والله لا يزال ينتظر بها الحبالى من بنى هاشم، ومتى تصير إليكما، أما والله ما جئت حتى ضربت على أيدى أربعة آلاف من أهل البصرة كلهم يطلبون بدم عثمان فدونكما فاستقبلا أمركما). وفى كتاب الأمالى للشيوخ الطوسى (ص 177) ان إبليس لعنه الله (تصور يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى صورة المغيرة بن شعبة فقال: أيها الناس، لا تجعلوها كسروانية ولا قيصرانية، وسعوها تتسع، فلا تردوها فى بنى هاشم، فتنتظر بها الحبالى).

الإمارة إلى الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وتيقنوا ان الأمور لو صفت وخلصت واستقرت للإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وعاش حياةً سياسية مستقرة كما عاشها كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب، فانه صلوات الله وسلامه عليه سيربى الأمة على المبادئ التي يؤمن بها، وأحد هذه المبادئ هي كونه الوحيد المستحق للقب (أمير المؤمنين)، فيعيد للأمة ما جهد الذين سبقوه بإخفائه وتبديله، وانه سيمهد للإمام الذي يليه من أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذلك سيفعل الذي يليه، وبهذا سوف لن تخرج منهم الإمارة والخلافة مرة أخرى بأى حال من الأحوال، وستعود مخصوصة بأهل بيت محددين كما أراها الله سبحانه ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

فقررروا ان لا يعطوا لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الفرصة بأن يلتقط أنفاسه أو يهنأ بعيشه ويستقر في خلافته، فأشعلوا بوجهه نيران الفتن، ودقوا من حوله طبول الحرب، واجبروه على أن يخوض مع الناكثين من أصحاب الجمل حرباً ضروساً أشغلته لعدة أشهر، ثم أتبعوها بحرب ثانية مع الباغيين في صفين، واختلقوا له فتنة رفع المصاحف والتحكيم التي أفرزت وكانت أساساً لظهور فئة الخوارج المارقين، ثم لم يهنأ الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه وشيعته إلا أياماً حتى اجتمع الخوارج على حربه في النهروان فصار هنالك ما صار، وفي هذه الأثناء كانت غارات معاوية على المناطق المتاخمة للشام تشتد أكثر وأكثر، إلى أن ختمت جميع هذه المؤامرات بمؤامرة دنيئة أدت إلى اغتيال واستشهاد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ورحيله عن هذه الدنيا من دون أن تتاح له فرصة تربية الأمة وتعليمها وإرجاعها إلى الخط النبوي الصحيح.

ولما استشهاد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وعمل بما هو الحق وأوصى لابنه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه ازدادت مخاوف القوم المناهضين لمبدأ تخصيص الإمارة بأهل البيت من دون العالمين، واستيقنوا ان استخلاف الإمام الحسن من بعد أبيه أمير

المؤمنين خطوة مهمة لترسيخ هذا المبدأ، ومحاولة لبث الحياة إليه مرة ثانية بعدما كاد يموت وينسى، وانهم لو تركوا الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه يستقر في خلافته فسيوصى لأخيه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وسيوصى الإمام الحسين للإمام الذي بعده وهلم جرا، وسيعتاد المسلمون على رؤية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم يوصون لأحدهم بعد الآخر، وهذا ما سيقوض كل الجهود التي بذلها أصحاب فكرة توسيع الإمارة، فكان الحل الجذرى لكل هذا هو منع استمرار خلافة الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بعد أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وبأى ثمن كان، لينتهى بذلك قانون الوصاية والاستخلاف من إمام إلى إمام آخر.

فأشعلوا تبعاً لذلك نار الحرب بوجه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه كما أشعلوها بوجه أبيه أمير المؤمنين من قبل، وتوالت عليه الطعنات من كل حذب وصوب، وتعاضدت أيدي المتآمرين بوجهه صلوات الله وسلامه عليه واستغل المتآمرون الضعف العقائدى والإيمانى عند تلك الأمة التي كانت تقيس كل شىء بالمال والثروة، وتنظر إلى الأمور والأحداث على أساس مادية بحت، فما ان فتح معاوية كنوزه المذخورة، وما ان رأى وجهاء تلك الأمة بريق الدنانير والدراهم حتى عادت بهم الذكريات إلى ما قبل أيام خلافة الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، أيام كان الواحد منهم تكسر مدخراته من الذهب والفضة بالفؤوس، فاشتقت نفوسهم إلى تلك الأيام وخذلوا الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه واضطروه لترك الخلافة والصلح مع معاوية بن أبى سفيان بعد أحداث يطول شرحها وليس هنا محل تناولها، فخرجت بذلك الإمارة والخلافة مرة ثانية عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعادت إلى دعاة التوسيع لمبدأ الإمارة.

وما أن وصلت الإمارة المغتصبة ليد معاوية بن أبى سفيان ونُصب لتولى الحكم بالقوة والجور، قرر أن يعيد مبدأ التخصيص للإمارة لكن بثوب جديد، وذلك عن

طريق الوصية لابنه يزيد بن معاوية من بعده، ويوصى بها يزيد للذي بعده وهكذا إلى أن تصير مخصوصة لآل أبي سفيان يتوارثها منهم الخلف عن السلف كما يتوارث القياصرة والأكاسرة الملك واحداً بعد واحد وظالماً بعد ظالم.

فشارت ثائرة البعض وبالخصوص سعد بن أبي وقاص، وعائشة وأخوها عبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عمر وعبد الله بن الزبير، إذ ان كل واحد من هؤلاء كان يرجو الإمارة لنفسه أو لشخص من أهل بيته، وأملهم الوحيد في ذلك بقاء مبدأ توسيع الإمارة على ما كان عليه زمن أبي بكر وعمر، لان في إبقاء الباب مفتوحاً فرصة كبيرة لا تتاح في حالة غلق هذا الباب وتخصيصه بأهل بيت معينين.

لكن معاوية سرعان ما حل كل هذه العقبات فاغتال بعض هؤلاء المعترضين أمثال سعد بن أبي وقاص (1) وعبد الرحمن بن أبي بكر (2)، وأسكت البعض الآخر بقوة السيف وقهر السلطة، والبعض الآخر اشترى سكوته (3)، وسكت البعض الآخر

1- قال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين ص 48: (أراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدرس إليهما سما فماتا منه).

2- عن العلامة الأميني في كتابه الغدير (ج 10 ص 246) وابن قتيبة في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 159) (وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فخلاً به قال: بأى يد أو رجل تقدم على معصيتي؟ فقال عبد الرحمن: أرجو أن يكون ذلك خيراً لى. فقال معاوية: والله لقد هممت أن أقتلك. فقال: لو فعلت لأتبعك الله في الدنيا، ولأدخلك في الآخرة النار) ثم خرج عبد الرحمن إلى مكة بعد هذا التهديد ومات في الطريق دون أن يعرف احد سبب مماته.

3- كما فعل مع عائشة حيث فتح عليها أبواب بيت المال فبعث إليها مرة كما أخرجه الذهبي في تذكرة الحفاظ ج 1 ص 28 مائة ألف درهم، وقال ابن الأثير في البداية والنهاية ج 8 ص 146: (بعث معاوية إلى عائشة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته)، وبعث لها أيضاً بمال أعطت منه المنكدر بن عبد الله عشرة آلاف درهم ليشتري بها جارية يتزوج بها (راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج 5 ص 28)، وروى ابن كثير في البداية والنهاية ج 8 ص 146 عن سعيد بن العزيز وقال: (قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه الناس).

ووافق على هذا التخصيص الجديد للإمارة ما دام يمنع آل على من الوصول مرة أخرى إلى موقع الإمارة للمؤمنين.

إلا ان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بقى العقبة الكؤود أمام معاوية، لان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه كان قد اشترط على معاوية أن لا يعهد إلى أحد من بعده(1)، فكان الاغتيال الذى اعتاده معاوية للخلاص من معارضيه هو الحل الوحيد للتنصل من كل التزاماته وشروطه وعهوده المأخوذة فى وثيقة الصلح، فما ان استشهد الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بعد تعرضه للسم الذى دسه إليه معاوية بيد زوجته جعدة بنت الأشعث حتى بدأ معاوية بتنفيذ مخططه الجديد لحصر الإمارة بآل أبى سفيان وحدهم، قال ابن عبد البر فى كتابه الاستيعاب: (كان معاوية قد أشار بالبيعة ليزيد فى حياة الحسن وعرض بها ولكنه لم يكشفها ولا عزم عليها إلا بعد موت الحسن)(2)، وبهذا يتضح جليا ان يزيد عليه اللعنة وولايته وإمارته المشؤومة لم تقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فحسب بل انها كانت سببا مهما من أسباب استشهاد الإمام الحسن المجتبى صلوات الله وسلامه عليه أيضا.

ولم تمض إلا مدّة وجيزة بعد أخذ معاوية البيعة من المسلمين على ولاية العهد لابنه الفاسق يزيد عليه اللعنة حتى مات معاوية لعنه الله، لتطوى بموته صفحة سوداء من صفحات التاريخ، وليترك للمسلمين أسوأ اثر من آثاره يزيد بن معاوية لعنه الله.

فتولى يزيد وثار الغيرة أو الحمية فى نفوس بعض المسلمين، ورفضوا أن يتأمر عليهم أمير خير صفاته انه قاتل للنفس وشارب للخمر ولاعب بالكلاب والقروء، فتزلزل بذلك الوضع الأميرى للدولة الأموية، وبدأت الأنظار تتجه مرة أخرى إلى

1- النصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص 192.

2- الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 391.

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبالتحديد إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأصبح وضعه صلوات الله وسلامه عليه شبيها بوضع أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يوم اتجهت إليه الأنظار بعد مقتل عثمان بن عفان حيث ذقت الأمة من ويلات إمارته وحبوته لبنى عمومته وأهل بيته وعشيرته ما أدى إلى حصره وقتله بعد أن رفض التنازل عن الإمارة، فرأوا ان المخلص لهم من كل معاناتهم هذه هو الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه لا غير، فتداكوا على بيعته تذاك الإبل الهيم يوم وردها، وها هي نفس الأمة ترى من جديد بعدما ذاقت من جور معاوية بن أبي سفيان وظلمة ما ذاقت ترى فى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المنقذ والمخلص من جور يزيد واستهتاره، وبانت للعيان بوادر عودة إمارة المؤمنين من جديد لأصحابها الشرعيين الذين ارتضاهم الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لها، فبايع الآلاف من أهل العراق للإمام وشرطوا له السمع والطاعة وخلعوا عنهم بيعة يزيد بن معاوية لعنه الله، واستحكمت القرائن بعزم الإمام صلوات الله وسلامه عليه للمسير نحوهم إجابة لدعوتهم وإحساسا بالمسؤولية الشرعية تجاه استصراخهم له، فأصبحت الأمور بذلك تسير وبشكل سريع ومنظم لعودة الإمارة من جديد تحت تصرف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فرجعت المخاوف القديمة من تخصيص وحصر الإمارة بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيما لو تولها الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعد معاوية بن أبي سفيان، فقرر الجميع باستثناء القلة القليلة من تلك الأمة ورموزها الدينية التواطؤ من جديد لتقويض هذه الإمارة وقتلها فى مهدها وسحق بذرتها قبل أن ترى النور وقبل أن تشتد ويقوى عودها، حتى وان استلزم الأمر إلى المواجهة الدامية، وحتى لو كانت هذه المواجهة تؤدي إلى قتل كل البقية الباقية من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين صغيرهم وكبيرهم حتى لا يبقى منهم من يطالب بالإمارة ويعيدها إلى كنف أهل البيت

ويخصصها بهم مرة ثانية، وهذا هو ما حصل يوم عاشوراء.

فالحسين صلوات الله وسلامه عليه إذن وبالتوضيح الذى مر هو شهيد إمامة المؤمنين كما كان أبوه وأخوه صلوات الله وسلامه عليهما شهيدى هذه الإمارة.

المبحث الثالث: تبيان السبب الثالث من أسباب فاجعة عاشوراء

إشارة

وهذا السبب يوضحه الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه فى خطابه للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بـ قوله: (وَإِنَّ سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ)، فلقب سيد الوصيين كان له الأثر البالغ فى نشوء وحدث فاجعة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وسيد الوصيين هو لقب من ألقاب الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه اختص به دون العالمين، وهو كلقب أمير المؤمنين من حيث كونه لم يأت ذكره فى فقرات الزيارة بشكل عشوائى من دون هدف، وهو كذلك ليس مجرد لقب تشرىفى يهدف إلى رفع المكانة الاجتماعية لأمير المؤمنين على بن أبى طالب أو أفراد أسرته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل هو ينطوى على عدة من الحقائق المهمة منها:

أولاً: ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أفضل وأكمل من كل أوصياء الأنبياء الذين سبقوا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والذين كان بعضهم يحمل رتبة النبوة __ كما سيأتى فى محله __، وإذا كان الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه أفضل من كل أولئك الأوصياء العظام، ومقدم فى الفضل عليهم، فمن البديهي أن يكون أكمل من كل الصحابة ومقدماً عليهم.

ثانياً: ان وصايته صلوات الله وسلامه عليه ليست على نحو الوصاية البشرية، بل هى وصاية إلهية من سنخ وصاية الأنبياء وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتي هى فى

حقيقتها منصب الهى لا ينال ولا يعطى إلا بإذن وقبول ورضا من الله سبحانه وتعالى شأنه فى ذلك شأن النبوة والرسالة.

ثالثاً: ان مسألة الوصاية والخلافة ليست شرعة لكل وارد ولا تتاح لكل صعلوك آثم⁽¹⁾، ويلزم منها ان الوقوف بوجه على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه صاحب هذا اللقب والحيلولة دون تصديه للوصاية هو فى حقيقته وقوف بوجه كل الأوصياء والأنبياء السابقين لان عليا صلوات الله وسلامه عليه سيدهم والوقوف بوجه السيد يعدّ وقوفاً بوجه من هو أقل منه كمالاً وشرفاً ومنزلة.

ابتزاز لقب الوصى من الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

لم تكن تلك المعانى التى يثبتها لقب الوصى أو سيد الأوصياء تروق لمن تقمص ثوب الخلافة وتقدم وتأمّر على أميره ووصى رسوله، وقد أحس هو وحزبه بأن بقاء هذا اللقب سيبقى غصة تنكد عليهم صنفو عيشهم وتعرقل خططهم التوسعية، وان الأمة ستبقى تتذكر تلك الوصية المغضوبة ما دام للقب الوصى أو سيد الأوصياء وجود فى أذهان الناس ومدوناتهم التاريخية، لذلك قرروا ان يتبعوا طريقتين كان لهما الأثر الفعال فى إنساء الأمة لهذا اللقب وأمثاله:

الطريقة الأولى: وضع الأحاديث وتكثيرها فى عدم وصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأحد من بعده، وقد لعبت عائشة بنت أبى بكر دوراً هاماً فى نكران الوصية وإبعادها عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فقد روت لتثبيت هذه البدعة أحاديث عدة، ما أخرجه البخارى وغيره عن الأسود قال: (ذكر عند عائشة ان النبى صلى الله عليه

1- وهى كما قال تعالى: ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)) سورة البقرة الآية 124.

___ وآله ___ وسلم أوصى إلى علي فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله ___ وسلم وانى لمسندته إلى صدرى فدعا بالطست فانخث فمات فما شعرت فكيف أوصى إلى علي(1).

وحيثما كان المنكرون للوصية يواجهون بسؤال بديهي هو: كيف يجوز على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي أوجب على الأمة الوصية وأكد على أنه لا يحل لمسلم أن يموت ولم يكن قد أوصى بكل ما يهمه عن أمور آخرته ودينه، فكيف يجوز أن يغفل هو عن هذا الأمر البديهي ويرحل هن هذه الدنيا من دون أن يوصى، فيترك أمته تائهة من بعده مختلفة، حاشاه عن مثل هذا الفعل الذي لو قلناه ونسبناه لأبي بكر أو عمر لاستفزعوه ولما قبلوه، فحيثما كان المنكرون للوصية يواجهون بهذا السؤال المحرج يعمدون إلى بتر بعض الأحاديث التي تخدم مصالحهم وإخفاء الأجزاء الأخرى التي يستشعر منها الخطر، كما فعل عبد الله بن أبي أوفى حينما سئل: أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: لا، فقيل له: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بها، قال: أوصى بكتاب الله(2)، وهذا الحديث كما هو واضح مبتور لان النبي أوصى بالكتاب والعترة كما في حديث الثقلين المتواتر، لكنهم اختاروا ما يناسب هواهم ولا يجعل للشريعة وأنصار أهل البيت حجة ودليلاً عليهم.

الطريقة الثانية: اتباع وسائل الإرهاب الفكرى ضد كل من يقول بأفضلية على ابن أبي طالب على بقية أوصياء الأنبياء الذين كان بعضهم يحمل رتبة النبوة، وذلك برميهم بالكفر والردة وإخراجهم عن حضيرة الإيمان بل عن عنوان الإسلام.

قال محيي الدين النووي: (وكذا يقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى

1- صحيح البخارى ج 5 ص 143 باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته.

2- المصدر السابق ص 144.

تضليل الأمة، أو تكفير الصحابة، وكذا من فعل فعلا أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر، وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام مع فعله، كالسجود للصليب، أو النار والمشى إلى الكنائس مع أهلها بزيهم... فكل هذا أو شبهه لا شك في تكفير قائله... وكذا من غير شيئا من القرآن... قال: الأئمة أفضل من الأنبياء(1).

ووافقه على ذلك محمد بن أحمد الشربيني فقال: (يكفر من نسب الأمة إلى الضلال أو الصحابة إلى الكفر... أو قال: إنى دخلت الجنة وأكلت من ثمارها وعانقت حورها، أو قال: الأئمة أفضل من الأنبياء، هذا إن علم معنى ما قاله لا إن جهل ذلك لقرب إسلامه أو بعده عن المسلمين فلا يكفر لعذره كما مر(2) وبه قال أيضا الشرواني والعبادي(3).

وبهذه الطريقة منعوا انتشار لقب الوصى وحاصروا فكرة ان عليا صلوات الله وسلامه عليه هو سيد الأوصياء وانه الأفضل من بينهم والأكمل.

أدلة أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بقية الأوصياء

إشارة

سنستعرض فيما يأتي وعلى عجالة جملة من الأدلة التي تشير وتدلل دلالة واضحة على أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على جميع الأوصياء، ومن هذه الأدلة ما يأتي:

الدليل الأول

قال تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

1- روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج 7 ص 290 تجده في كتاب الردة الطرف الأول في حقيقتها وهي قطع الإسلام.

2- مغنى المحتاج لمحمد بن أحمد الشربيني ج 4 ص 136 كتاب الردة.

3- حواشى الشروانى للشروانى والعبادى ج 9 ص 91 كتاب الردة.

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (1)، وبديهي ان الآية لا تريد تفضيل كل الأمة الإسلامية بحيث يشمل فساقها ورعاعها على كل الأمم الأخرى، بل التفضيل كما لا يخفى هو للأمة المتصفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمتصفة بصفة الإيمان بالله سبحانه، فهؤلاء مفضلون على من يؤمن بالله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من باقي الأمم الأخرى.

ويكون هذا التفاضل ما بين الأمتين __ الإسلامية وغيرها __ كل بحسبه فمؤمن هذه الأمة المتصف بتلك الشروط أفضل وأكمل من مؤمن تلك الأمم المتصف بنفس هذه الشروط، ووصى هذه الأمة المتصف بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الصفات التي لا بد من توفرها في الوصي أفضل من جميع أوصياء الأمم السالفة ممن يتصف بنفس تلك الصفات، وهذا التفاضل لا يقتصر على المؤمن العادي أو الوصي بل انه ينسحب ليشمل حتى الأنبياء فنبى هذه الأمة أكمل وارفح مقاما وأفضل من أنبياء جميع تلك الأمم الغابرة، فيثبت ان نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووصينا المرتضى صلوات الله وسلامه عليه سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأئمتنا عليهم أفضل الصلاة والسلام سادة الأئمة، ومؤمنينا سادة المؤمنين كل ذلك بالاستفادة من الآية المباركة.

الدليل الثانى

أحاديث (على خير البشر) دالة على ذلك، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (على خير البشر فمن أبى فقد كفر) (2). وعن أبى الزبير المكى قال: (رأيت جابرا متوكيا على عصاه وهو يدور فى سلك الأنصار ومجالسهم وهو يقول: على خير البشر فمن أبى فقد كفر يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب على فمن أبى

1- سورة آل عمران الآية 110.

2- تفضيل أمير المؤمنين للشيخ المفيد ص 34.

فانظروا في شأن أمه(1)، وروى عبد الله بن عدي عن الساجي عن عبد الله بن الحسين ابن الحسن الأشقر قال: (سمعت أبا داود الدهان يقول سمعت شريك بن عبد الله يقول على خير البشر فمن أبي فقد كفر)(2) وروى أيضا عن (حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال على خير البشر فمن أبي فقد كفر)(3).

وإطلاق لفظ البشر في هذه الأحاديث يشمل الأوصياء وغيرهم من أفراد تلك الأمم، بل يشمل حتى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان جميعهم بشر، وإذا كانوا بشرا كان على أفضل منهم وأكمل بنص الحديث النبوي فيكون سيدهم.

وكذلك هو أفضل أفراد الأمة الإسلامية من بداية الدعوة النبوية إلى آخر يوم من أيام الدنيا، لان جميعهم بشر فيكون على أفضلهم وخيراً منهم وأكمل، ويستثنى من هذه القاعدة شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو وان دخل تحت لفظ البشر إلا أن الدليل القطعي قام على أفضليته على الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وعلى كل بنى آدم إلى قيام الساعة.

الدليل الثالث

وتثبت أفضليته صلوات الله وسلامه عليه على جميع الأوصياء بل على جميع البشر باستثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله تعالى: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ))(4).

1- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 142، وراجع أيضا من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 3 ص 493.

2- الكامل لعبد الله بن عدي ج 4 ص 10.

3- المصدر السابق.

4- سورة آل عمران الآية 61.

فقد أجمع المفسرون على ان المقصود من قوله تعالى فى الآفة ((وَأَنْفُسَنَا)) هو نفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونفس الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، فقد عدّهما القرآن الكريم نفساً واحدة، فثبتت تبعاً لذلك المساواة ما بين النفسين فى الكمال والصفاء وكل شأن رفيع باستثناء النبوة، والثابت القطعى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جميع الأنبياء والأوصياء فىكون على بن أبى طالب أفضل أيضاً لان المساوى للأفضل أفضل أيضاً.

الدليل الرابع: وحديث الطائر المشوى يدل على ذلك أيضاً، فقد روى قطن بن بشير... عن أنس بن مالك قال: (أهدى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجل مشوى بخبزه وضيافه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم أنتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطعام، فقالت عائشة: اللهم اجعله أبى، وقالت حفصة: اللهم اجعله أبى، وقال أنس: اللهم اجعله سعد بن عبادة، قال أنس: فسمعت حركة بالباب فخرجت فإذا على بالباب فقلت إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فسلم على فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوتته فقال: انظر من هذا؟ فخرجت فإذا هو على فجننت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال: ائذن له يدخل على فأذنت له فدخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم وال (1).

فعلى بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه وبحسب حديث الطائر المشوى الذى صححه جميع علمائنا، وجملة كبيرة من علماء أهل السنة، هو أحب الخلق إلى الله من بعد

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 7 ص 387 حديث الطير، وقد اتفق الفريقان على روايته.

النبي الأَعْظَم صلى الله عليه وآله وسلم فيكون أفضل من جميع الأنبياء والأوصياء وأممهم لان هؤلاء كلهم يجمعهم لفظ الخلق، وهو صلوات الله وسلامه عليه كذلك أفضل من جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة؛ لأن الجميع يدخل تحت عنوان الخلق، وكذلك هو صلوات الله وسلامه عليه أفضل من جميع الملائكة حتى المقربين منهم؛ لأنهم جميعا مشمولون بلفظ الخلق.

الخامس: هنالك مجموعة من الأحاديث الشريفة التي وصفت كل نبي من أنبياء أولى العزم أو غيرهم بأوصاف امتاز بها عن غيره، وجعلت من أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه جامعا لكل تلك الفضائل، فيكون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وفقا لهذه الأحاديث أفضل من جميعهم(1)، لبداية ان الجامع لكل صفات الكمال أفضل من الحائز على بعضها، ومن هذه الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنته، وإلى محمد في تمامه وكمالهِ فلينظر إلى هذا الرجل المقبل، فتناول الناس فإذا هم بعلی بن أبی طالب كأنما ينقلع من صلب(2) وينحط من جبل) وقد استقصى العالم التحرير العلامة الشيخ الأميني في كتابه الغدير جملة من طرق هذا الحديث بألفاظه المختلفة فمن أراد التفصيل فليرجع إلى هناك(3).

ويجب ان ننبه على ان إثبات كون الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أفضل من كل الأنبياء والرسل الذين سبقوا نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يستبطن أفضليته على

1- باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لقيام الدليل على أفضليته على سائر الخلق كما ذكرنا ذلك من قبل.

2- هذه العبارة والتي بعدها وصف لمشيته صلوات الله وسلامه عليه فخطواته كانت ثابتة ورشيقة.

3- الغدير للشيخ عبد الحسين الاميني ج3 ص355 تحت عنوان حديث الأشباه في أمير المؤمنين عليه السلام.

أوصياء هؤلاء الأنبياء والرسل بالغ ما بلغ عددهم؛ لان الأنبياء والرسل أفضل وأكمل من أوصيائهم، وعليه فيكون إثبات أفضليته على أولى العزم كافياً لإثبات أفضليته على جميع أوصيائهم.

كانت هذه بعض الأدلة التي تثبت وبوضوح أفضلية الإمام أمير المؤمنين على جميع الأوصياء بل والأنبياء والملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد تركنا الخوض في المزيد منها رجاء الاختصار.

المبحث الرابع: من هم الأوصياء المقصودون في هذه العبارة

إشارة

لكلمة (الْوَصِيَّيْنَ) التي ورد ذكرها في هذه العبارة الشريفة من الزيارة ثلاثة معانٍ محتملة نستعرضها على سبيل الاختصار دون الخوض في تفاصيل هذه الاحتمالات؛ لان التفصيل فيها يحتاج إلى مساحة أكبر من مساحة هذه المباحث المثارة في هذا الكتاب والذي نشدنا فيه الاختصار بقدر المستطاع، وهذه المعاني الثلاثة هي كالتالي:

الأول: قد يراد من الأوصياء هم خلفاء الأنبياء الذين سبقوا نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، والذين أوكلت لهم مهام القيادة والإمامة بالوصاية والنيابة عن أنبيائهم، فيكون الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه سيدهم وأكملهم وارفعتهم رتبة ومحلا عند الله سبحانه وتعالى، لان الشريعة الخاتمة كما بينا سابقا أفضل الشرائع ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء والرسل وكتابها خير الكتب ومؤمنها أفضل من كل مؤمنى الأمم السابقة فمن الطبيعي والعاقل أن يكون وصيها أفضل من جميع الأوصياء وسيدا لهم.

الثاني: وقد يراد من الأوصياء في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة هم نفس الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين سبقوا نبينا ورسولنا الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتكون تسميتهم أوصياء لان كل واحد من هؤلاء العظام

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كان يبشر أمته بالنبي الذي سيأتي من بعده ويوصى باتباعه كما أوضح القرآن الكريم عن عيسى بن مريم بشارته بنبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)) (1).

أولاً لأن بعضهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يصل ويكمل دور البعض الآخر فيكون بعضهم لبعض وصياً إذ إن أحد معاني الوصاية هو الوصل، ومنه أخذ اسم وصية الميت التي إنما (سميت وصية لاتصالها بأمر الميت) (2).

فيكون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بذلك أفضل من جميعهم باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لقيام الدليل القطعي على أفضلية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الخلق، ومن ضمنهم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

الثالث: وقد يراد من الأوصياء في هذه الفقرة المباركة خصوص الأئمة الأطهار من أولاد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لاتصال وصايتهم بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لاتصال وصاية النبي بوصاية من سبقه من الأنبياء والرسل وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فتكون بذلك وصاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين استمراراً وامتداداً لسلسلة الأوصياء التي ابتدأت بأبي البشر آدم صلوات الله وسلامه عليه وستختم بالإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

وأفضلية الإمام أمير المؤمنين على بقية أولاده الأوصياء مما لا شك فيه وهو مؤيد بجملة كبيرة من الأدلة، منها حديث الطائر المشوى، وآية المباهلة وغيرها من الأدلة التي استعرضناها في المبحث السابق، ونضيف هنا قول الرسول الأعظم

1- سورة الصف الآية رقم 6.

2- لسان العرب لابن منظور ج 15 ص 394 فصل الواو مادة وصى.

صلى الله عليه وآله وسلم بحق الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما (هذان سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما)⁽¹⁾، وما رواه أبان بن عياش، قال: (سألت الحسن البصرى عن على عليه السلام، فقال: ما أقول فيه! كانت له السابقة، والفضل والعلم والحكمة والفقہ والرأى والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقراءة، إن عليا كان فى أمره عليا، رحم الله عليا، وصلى عليه! فقلت: يا أبا سعيد، أتقول: «صلى عليه» لغير النبى! فقال: ترحم على المسلمين إذا ذكروا، وصل على النبى وآله وعلى خير آله. فقلت: أهو خير من حمزة وجعفر؟ قال: نعم، قلت: وخير من فاطمة وابنيها؟ قال: نعم، والله إنه خير آل محمد كلهم، ومن يشك أنه خير منهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وأبوها خير منهما» ولم يجر عليه اسم شرك، ولا شرب خمر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «زوجتك خير أمتى»، فلو كان فى أمته خير منه لاستثناه، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه، فأخى بين على ونفسه، فرسول الله صلى الله عليه وآله خير الناس نفسا، وخيرهم أخوا. فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذى يقال عنك إنك قلت فى على؟ فقال: يا بن أخى، أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولولا ذلك لشالت بى الخشب)⁽²⁾.

وأهل الكساء الخمسة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما هو معلوم أفضل من غيرهم من الأئمة وعلى صلوات الله وسلامه عليه أفضل أهل الكساء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون على أفضل الجميع، وبالجملة فإن أفضلية أمير المؤمنين على بقية أولاده مما لا يحتاج إلى كثير عناء وهو من بديهيات معتقدات الفرقة الناجية، ومما اجتمعت عليه كلمتهم وإجماعهم حجة بنفسه كما لا يخفى.

1- الخصال للشيخ الصدوق ص 551، وعيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج 1 ص 36.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 4 ص 96 تجده فى فصل فى ذكر المنحرفين عن على.

وثبوت كون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أفضل من كل أفراد الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يستبطن أيضا أفضليته على جميع الأنبياء والرسل وأوصيائهم لما ثبت من أفضلية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على جميع الأنبياء والرسل وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستثناء نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (1) والأفضل من الأفضل هو أفضل من الأدنى من باب أولى.

ملاحظة لا بد منها

لقد اثر لقب سيد الوصيين في حدوث فاجعة عاشوراء وكان سببا من أسباب استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ويمكن توضيح هذه المسألة بنفس ما تقدم في مسألة (كيف اثر لقب أمير المؤمنين في استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه) والتي أسهنا الكلام فيها آنفا، فمن أراد أن يفهم ذلك فليراجع المطلب المزبور.

ويمكن كذلك الرجوع إلى مبحث (سر السلام على الحسين صلوات الله وسلامه عليه باب رسول الله) والذي تقدم ذكره أيضا لفهم سر السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعبارة (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ) بنفس الأسباب التي تم توضيحها هناك تنطبق هنا أيضا.

وبهذا ينتهي بنا الكلام حول شرح وتبيان هذه العبارة المباركة نسأل الله أن يمن علينا بمعرفة فضل محمد وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإقرار بكمالهم انه ولى التوفيق.

1- قال الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتابه الهداية ص 23 _ 25: (باب النبوة... ويجب أن يعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقا أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده الأئمة صلوات الله عليهم، وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه، وأولهم إقرارا به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر، وأشهدهم على أنفسهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى، وبعدهم الأنبياء عليهم السلام، وأن الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأنبياء عليهم السلام في الذر، وأن الله أعطى ما أعطى كل نبي على قدر معرفته).

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة من الزيارة

المبحث الثاني: تبيان السبب الرابع من أسباب فاجعة عاشوراء

الأول: ان اسمها المقدس ووجودها صلوات الله وسلامه عليهما مذكور بالنبى الأعظم

الثانى: ان اسمها المقدس كان على الدوام يذكر الأمة بأعظم رزية ومصيبة

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام الحسين بابن سيدة النساء

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وتحوى هذه الفقرة المباركة من الزيارة على مباحث مهمة لا غنى للفرد المؤمن عن معرفتها والتوجه إلى مضامينها نذكر منها على سبيل الاختصار ما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة من الزيارة

قد تقدم في أثناء إثبات الفقرات السابقة من الزيارة تكرار السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والشهادة له بالبنوة للصديقة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها وكذلك تكرر وصف السيدة الطاهرة بلفظ (سيدة نساء العالمين) فلا نرى ان من اللازم التفصيل أكثر لان هاتين الفقرتين مما تواتر ذكرهما ونقلهما لفظاً أو معنى في كتب وتصانيف المذاهب الإسلامية، وسيأتي ذكر لبعض تلك الأحاديث في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: تبيان السبب الرابع من أسباب فاجعة عاشوراء

إشارة

كان ولا يزال اسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها حينما يذكر يحمل معه إلى الأذهان شيئين مهمين:

الأول: ان اسمها المقدس ووجودها صلوات الله وسلامه عليهما مذكر بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

ان الإنسان المؤمن وبمجرد سماع ذلك الاسم المقدس اسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها ينتقل ذهنه من حيث يشعر أو لا يشعر إلى شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاسم فاطمة كان ولا يزال يجذب القلوب وينقل الفكر وينعش الذاكرة بتذكر شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه خصوصية لا نجد لها لى اسم آخر مهما كان قريبا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم باستثناء أمير المؤمنين على بن أبي طالب وابناه سيدها شباب أهل الجنة الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما.

ولهذا الترابط وجه غيبى الهى فى كثير من جوانبه، ويحكى عن سر وجودى كان قبل خلق السماوات والأرض يوم كانت الزهراء روى فداها نورا واحدا هى وأبوها وبعلمها وولداها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يسبحون الله ويقدمونه قبل أن يخلق الله السماوات والأرض.

ولما شاء الله سبحانه وتعالى وأراد أن يخلق عالم المادة والطبيعة خلقوا أيضا من طينة واحدة أطلقت عليها الروايات الشريفة اسم (طينة عليين)، فنورهم وطينتهم واحدة طابت وطهرت، فمن الطبيعى بعد كل هذا الاتحاد أن يكون ذكر فاطمة صلى الله عليه وآله وسلم يجذب ذكر أبيها النبي صلوات الله وسلامه عليه.

وبعدما منّ الله سبحانه على هذه الأمة بنعمة إيجاد هذه البضعة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهما، جعلت كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم تترى فى حق ابنته يتبع بعضها البعض

الآخر، محاولة إفهام الأمة وجذب انتباهها إلى ان وجود السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهما نعمة من النعم الإلهية التي خص الله بها هذه الأمة من دون الأمم فيجب على كل فرد من أفرادها أن يحسن مجاورة هذه النعمة ويراعى حرمتها.

وكثيراً ما كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يحاول إفهام الأمة ان فاطمة صلوات الله وسلامه عليها ليست موجودا بشريا عاديا كسائر البشر وعوام الناس(1)، وانها صلوات الله وسلامه عليها موجود يجمع ما بين صفات عالم الملك وعالم الملكوت وهي مزيج الهى خاص لا يتكرر ولن يتكرر في غير القالب الوجودى للسيدة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها فهي حوراء إنسية(2)، وهي ليست كسائر نساء العالمين أيضا، ولا يصح مقارنتها بواحدة منهن، لأنها سيدة نساء العالمين(3)، والسيدة لا تقارن بمن دونها من آحاد الأمة.

1- روى الطبراني فى المعجم الكبير ج 22 ص 401 فى مناقب فاطمة عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخاطب عائشة بقوله: (يا حميراء إن فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتل كما يعتلون).

2- روى ابن الجوزى فى كتابه الموضوعات ج 1 ص 412 قال: (نبأنا عبد الرحمن بن محمد أنبأنا أبو بكر محمد بن على الخياط أنبأنا أحمد بن محمد بن درست أنبأنا أبو الحسين عمر بن الحسن الأشناني حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن حاتم بن عبيد الله العجل [العجلى] حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الهاشمي قال: كنت أنا وأبو على القوقساني فى جماعة فيهم غلام خليل فذكروا فاطمة، فقال غلام خليل: حدثنى حسين بن حاتم حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت " قلت يا رسول الله مالى أراك إذا قبلت فاطمة أدخلت لسانك فى فيها كأنك تريد أن تلحقها عسلا؟ قال: نعم إن جبريل الروح الأمين نزل إلى بعنقود قطف من الجنة فأكلت وجامعت خديجة، فولدت فاطمة، فإذا اشتقت إلى الجنة قبلتها فهي حوراء إنسية ". قال فقال عبد العزيز: لا إله إلا الله هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الإسناد، والله لا كتبه إلا قائما على رجلى ولا كتبه إلا فى ورقة تهامية بماء الذهب. قال فقام على رجليه وجاؤوه بورقة تهامية وبماء الذهب فكتب الحديث).

3- ورد وصفها صلوات الله وسلامه عليها بسيدة نساء العالمين أو سيدة نساء أهل الجنة أو سيدة نساء المؤمنين عند الخاصة والعامه فأما عند الإمامية أعزهم الله فهو مسلم به متواتر لا يقبل تأويلاً ولا تشكيكاً، وأما عند العامة فقد ورد هذا الوصف بطرق يصعب حصرها وفى مصادر يصعب إحصاؤها لكننا نذكر على سبيل المثال كلاً من: البخارى فى صحيحه ج 4 ص 183 باب علامات النبوة فى الإسلام، وص 209 باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وص 219 من نفس الباب، ج 7 ص 142 كتاب الاستئذان، وفى صحيح مسلم ج 7 ص 143 وص 144 باب فضائل فاطمة بنت النبي، وفى المستدرک للحاكم النيسابورى ج 3 ص 156 فى إذا سافر النبي كان آخر الناس عهدا به فاطمة، وغير ذلك مما لا يحصى عده.

وهذا البين والفرق فيما بينها صلوات الله وسلامه عليها وبين باقى أفراد البشر نساءً ورجالاً لم يكن ليقصر على تركيبها المادية، بل شمل أيضاً ما يتعلق بميولها النفسية وكمالاتها الروحية، فصارت صلوات الله وسلامه عليها لا تميل إلا للحق ولما فيه رضا لله سبحانه ورضاً نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا- ترفض إلا- ما فيه باطل وبعد عن الله سبحانه ومخالفة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، حتى صار حبها ورضاها وبغضها وغضبها مقياساً لحب الله ورضاه وبغضه وغضبه، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الخصوصية لفاطمة صلوات الله وسلامه عليها بقوله مخاطباً ابنته: (ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)⁽¹⁾، فمن أراد أن يستكشف رضا الله سبحانه وتعالى ورضاً نبيه فلينظر إلى من رضيت عنه فاطمة ومن أراد أن ينظر إلى من غضب الله عليه ورسوله فلينظر إلى من غضبت عليه فاطمة لان فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كما كررنا ذلك سابقاً مقياس درجة الرضا والحب الإلهي والغضب والبغض الإلهي، وكفى بها درجة يقصر دون نيلها جميع العالمين.

الثانى: ان اسمها المقدس كان على الدوام يذكر الأمة بأعظم رزية ومصيبة

والشئ الثانى الذى يحمله اسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بمجرد مروره على الأذهان، هو تلك الرحلة الجهادية الطويلة للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها والتي بدأتها يوم ظهرت بوادر التغيير والتبديل فى شريعة أبيها سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، ويوم تيقنت ان حدود الله وحرماته انتهكت فى سقيفة بنى ساعدة بإقصاء أوليائه عن مناصبهم التى نصبهم الله

1- المعجم الكبير للطبرانى ج1 ص109 فى ما اسند على بن أبى طالب.

فيها واختارهم لها، فغضبت لله وحده فغضب الله لغضبها، ولم ترص إلى اليوم عمن غير وبدل، ومن بقاء غضبها نستكشف بقاء غضب الله سبحانه وعدم رضاه عن أولئك المبدلين المغيرين إلى يومنا هذا بل إلى يوم القيامة.

فاسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها وشخص فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كان على الدوام سكيناً يمزق شرعية المنتحلين لإمارة المسلمين، وعقبة كؤوداً تحول دون إضفاء الشرعية على سلب حقوق أهل البيت، وكم من مرة ومرة حاول أولئك المغضوب عليهم استرضاءها واستعطافها وكسب الشرعية من خلال التقرب إليها بعد غضبها لكنها صلوات الله وسلامه عليها أبت إلا الإغضاء عنهم والتنكر لأفعالهم وإفهام القريب والغريب والصديق والعدو ومن حضر عصرها ومن جاء بعد زمانها إلى يوم القيامة وبمختلف الطرق بأن غضبها وعدم رضاها مستمر على ما تم التعاقد عليه في السقيفة المشؤومة وعلى من قام بذلك كله.

واكبر ضربة وجهتها صلوات الله وسلامه عليها للغاصبين هي وصيتها بأن تدفن ليلاً من دون أن يصلى عليها أو يحضر جنازتها احد ممن ظلمها وغضب حقها وحق أهل بيتها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى لا يتقول متقول ولا يدعى مدع أن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها قد رضيت عن المغضوب عليهم بدليل أنهم صلوا على جنازتها وحضروا دفنها وتغسيلها، وليبقى قبرها المجهول يثير في قلوب من يريد الاستبصار والهداية التساؤل عن الأسباب والمبررات التي اخفت من اجلها السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها قبرها الشريف ليصل من ثم إلى الحقيقة التي أرادت فاطمة صلوات الله وسلامه عليها إبقاءها حية شاهدة على ما وقع في ذلك العصر.

إذن فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن تلك اللبوة التي دافعت عن عرين

التوحيد والرسالة إلى أن استشهدت، وهو صلوات الله وسلامه عليه المذكر للأمة بشخص فاطمة، وصوت فاطمة، وثوراة فاطمة، وغضب فاطمة، وهو الامتداد الذى اكتسب جل ما عنده من كمال ومكارم أمه فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

فلولاها لم يكن له نسب واتصال برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولولاها صلوات الله وسلامه عليها لم يكن صلوات الله وسلامه عليه من الخمسة أصحاب الكساء المطهرين بنص الكتاب العزيز، ولولاها صلوات الله وسلامه عليها لم يرث منزلة الإمامة الإلهية، ولولا إمامته وتصديه لإحياء شريعة جده والحفاظ على مبادئ وقيم الإسلام لما تجرأ عليه آل أمية وأشياعهم.

ولو كان الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن هند آكلة الأكباد، أو ابن سمية وغيرهما من نساء الرذيلة، لصبروه قطب الوجود وكعبة النظر، لكنه ابن التى أذاقت الظالمين كؤوس السم الزعاف، وصار ذكرها يرعب أسماع الغاصيين لتراث الأنبياء ومنازل الأوصياء، فكرهوها وكرهوا أبناءها وقتلوا أبناءها، بل ونصبوا الحرب وأعلنوا الكره لكل ما يذكر بها وبهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حتى انهم كرهوا النبتة التى كانت تحب أكلها صلوات الله وسلامه عليها فقد ورد عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (ليس على وجه الأرض بقلة اشرف ولا انفع من الفرفخ، وهى بقلة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، ثم قال: لعن الله بنى أمية هم سموها بقلة الحمقاء بغضا وعداوة لفاطمة صلوات الله وسلامه عليها)⁽¹⁾.

فليس من الغريب بعد هذا التوضيح أن نقول بأن واحدة من أهم أسباب استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو كونه ابن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها سيدة نساء العالمين.

1- الكافى للشيخ الكلينى ج6 ص367 باب الفرفخ الحديث رقم1، وراجع أيضا المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقى ج2 ص517 باب الفرفخ الحديث رقم 713.

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام الحسين بابن سيدة النساء

ولعل سبب اختيار الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه للقب (سيدة نساء العالمين) في فقرات الزيارة والسلام دون بقية ألقاب وأوصاف وأسماء السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هو لتبيان الفارق ما بين فريق الحق المتمثل بالحسين صلوات الله وسلامه عليه ومعسكره، وما بين فريق الباطل المتمثل بيزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومعسكرهم معسكر الشيطان وحزب إبليس.

فالقتيل الشهيد صلوات الله وسلامه عليه هو ابن سيدة النساء، والقاتل هو ابن آكلة الأكباد، وابن مرجانة المعروف بولادته وولادة أبيه من الحرام، والقتيل الشهيد صلوات الله وسلامه عليه هو ابن من عرفها القاصي والداني بتورم قدميها من طول الوقوف بين يدي الجبار حين مناجاتها وتبتلها وصلاتها، والقاتل الظالم هو ابن من عرفها القاصي والداني بالبغيء والزنا، حتى نصبت لطلابها رايات ترشد أهل الفجور إلى بيتها.

وليس أحد من قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا وهو مشهور بنسبته إلى غير أبيه، وخذ على ذلك ابن مرجانة مثلاً وقس عليه الباقين، ومن نسب منهم إلى أبيه ظاهراً فقد افترض أمره وانكشف سر أمه بمشاركته بقتل الحسين صلوات الله وسلامه عليه، لان الأحاديث الصحيحة صرحت وبشكل لا يقبل الشك، بأن قتلة الأنبياء وأبناء الأنبياء من الأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يكونون إلا من ولادة غير شرعية، فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (كان قاتل يحيى بن زكريا عليهما السلام ولد زنا وكان قاتل الحسين عليه السلام ولد زنا) وعن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (إن الله جعل قتل أولاد النبيين من الأمم الماضية على يدي أولاد الزنا) (1).

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 161 الباب (25) ما جاء في قاتل الحسين وقاتل يحيى بن زكريا عليه السلام.

فالظليمة الظليمة من مقتل الشهداء الأبرار من أبناء النبيين، وذرية سيدة نساء العالمين، بسيف الأشرار الفجار، ومن تربي في حجور
الفسق والفجور والمجون، ورضع بغض الأنبياء والأوصياء وأبناؤهم من آكلات لحوم الشهداء.

ثم ليس تفسيرنا لعلة السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلقب ابن سيدة النساء على النحو السابق بعجيب أو مستغرب،
لان من تتبع كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في مناظراتهم ومحاوراتهم مع أعدائهم يجد أنهم صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين كانوا كثيرا ما يؤكدون على مسألة فارق النسب والحسب الذى ما بينهم وبين أعدائهم ومناوئهم، ذلك النسب الطيب
الظاهر الخالى من كل دنس ورجس فى الجاهلية والإسلام، والشواهد على هذه الحقيقة كثيرة جدا، نختار منها ما أخرجه ابن شهر آشوب
عن المنهال بن عمرو قال: (ان معاوية سأل الحسن أن يصعد المنبر وينتسب فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من عرفنى فقد
عرفنى ومن لم يعرفنى فسأبين له نفسى بلدى مكة ومنى، وأنا ابن المروة والصفاء، وأنا ابن النبي المصطفى، وأنا ابن من علا الجبال الرواسى،
وأنا ابن من كسا محاسن وجهه الحياء، أنا ابن فاطمة سيدة النساء، أنا ابن قليلات العيوب نقيات الجيوب)(1).

ونظير هذه المحاوراة قد جرت بين الإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه ويزيد بن معاوية لعنه الله، فعن الشيخ الطبرسى رحمه الله
قال: (قال يزيد: يا على اصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة، وما رزق الله أمير المؤمنين من الظفر! فقال على بن الحسين: ما أعرفنى بما
تريد. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم
يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفاء، أنا ابن محمد

1- مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج 3 ص 178 باب امامة أبى محمد الحسن بن على.

المصطفى(1)، قال العلامة المجلسي رحمه الله: (نقيات الجيوب: كناية عن عفتهم كما أن طهارة الذيل في عرف العجم كناية عنها)(2). وهذا الوصف كما لا يخفى وإن كان مدحا لأهل بيت العصمة والطهارة إلا أنه في نفس الوقت تعريض صريح وواضح بأعدائهم وظالمهم وإشارة بعدم خلوص أنسابهم من الرجس والدنس.

1- الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج 2 ص 39 احتجاج على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام على يزيد بن معاوية لما ادخل عليه.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 43 ص 356 الخطبة التي خطبها عليه السلام في حضور معاوية عليه الهاوية.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَارَ اللَّهِ وَابْنَ نَارِهِ وَالْوَتْرَ الْمَوْتُورَ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: معنى كون الحسين صلوات الله وسلامه عليه نار الله

المعنى الأول: قد يطلق النار على الدم

المعنى الثاني: وقد يطلق النار على الطلب بالدم

المعنى الثالث: وقد يطلق النار على الثائر الذي لا يبقى شيئاً حتى يأخذ بثاره

المبحث الثالث: معنى كون الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن نار الله

المبحث الرابع: الدعاء لفرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يعجل بأخذ نار الإمام الحسين عليه السلام

المبحث الخامس: معنى وصف الحسين صلوات الله وسلامه عليه بالوتر الموتور

المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد في الكمال

المعنى الثاني: وقد يطلق الموتور على من قتل حميمه وافرد

المعنى الثالث: وقد يطلق الموتور على من قتل له قتيل ولم يدرك بدمه

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ وَالْوَتَرَ الْمُؤْتُونَ

وفى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مجموعة من المباحث المهمة نستعرضها فيما يأتي من كلام.

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

ان وصف الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بشار الله وابن ثاره، أو وصفه صلوات الله وسلامه عليه بالوتر الموتور هو مما تواتر استعماله على لسان الروايات والأدعية والزيارات المنقولة عن أهل بيت العصمة والطهارة واستغنى بشهرته عن إقامة البرهان، لكننا سنختار جملة من تلك الموارد التزاماً منا بمنهج البحث:

فمن تلك الموارد ما فى زيارة الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوم عرفة: (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله... السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور اشهد انك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة...) (1).

ومنها ما عن الحسن بن عطية عن أبى عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (إذا دخلت الحائر فقل: اللهم ان هذا مقام أكرمتى به وشرفتنى به... ثم تقول:... اشهد انك أمرت بالقسط ودعوت إليه وانك ثار الله فى أرضه حتى يستشير لك من جميع خلقه) (2).

ومنها ما عن الحسن بن يونس قال كنت أنا ويونس بن زبيان والفضيل بن عمرو بن سلمة السراج جلوسا عند أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وكان المتكلم يونس بن زبيان وكان أكبرنا سنا فقال له جعلت فداك إذا أردت زيارة الحسين صلوات الله وسلامه عليه كيف اصنع وكيف أقول قال له: (اغتسل على شاطئ الفرات وتلبس ثيابك الطاهرة ثم امش حافيا فإنه فى حرم من حرم الله تعالى وحرم رسول صلى الله عليه وآله وعليك بالتكبير والتهليل والتمجيد والتعظيم لله كثيرا والصلاة على محمد وأهل بيته حتى تصير إلى باب الحائر ثم تقول: السلام عليك يا حجة الله وابن حجته... السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره السلام عليك يا وتر الله الموتور فى السماوات والأرض اشهد ان دمك سكن فى الخلد واقشعرت له أظلة العرش...) (3).

وغير ذلك ما لا يمكن إحصاؤه فى هذه العجالة.

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 463 الباب 18 زيارة أبى عبد الله عليه السلام فى يوم عرفة.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 358 الباب 79.

3- منتهى المطلب (ط.ق) للعلامة الحلى ج 2 ص 892 _ 893.

المبحث الثاني: معنى كون الحسين عليه السلام ثار الله

إشارة

وردت لكلمة (ثار) معانٍ عديدة في اللغة العربية نختار منها فيما يأتي ما يتناسب مع بقية ألفاظ الزيارة:

المعنى الأول: قد يطلق الثار على الدم

قال الزبيدي في تاج العروس: (الثار، بالهمز وتبدل همزته ألفا: الدم نفسه)⁽¹⁾.

فيصبح معنى قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ) هو: (السلام عليك يا دم الله وابن دمه)، وهو إطلاق مجازي؛ لأن الله سبحانه ليس بجسم مادي حتى يكون له دم، وأنى يكون له ذلك وقد وصف سبحانه نفسه بقوله ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))⁽²⁾، وهذا الإطلاق شبيه بإطلاق (بيت الله) على الكعبة، و(شهر الله) على شهر رمضان، والقصد من هذه الإضافات (الدم، البيت، الشهر) ونسبتها إلى الله سبحانه وتعالى هو تشریفها وتكريمها وتنزيهها وإعلاء شأنها وتبيان منزلتها عند الله سبحانه⁽³⁾، قال الطريحي في مجمع البحرين: (إذا أضيف

1- تاج العروس للزبيدي ج 6 ص 138 فصل الثاء المثلثة مع الراء، أقول: وقد اعترض آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي في كتابه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج 3 ص 559 __ 560 عند تفسيره للايتين 174 و 175 من سورة النساء) بأن: (العرب لم تطلق كلمة الثار أبدا لتعني بها الدم، بل اعتبرت الثار دائما ثمنا للدم، ولذلك فإن معنى العبارة أن الله هو الذي يأخذ ثمن دم الحسين الشهيد، وأن هذا الأمر منوط به سبحانه وتعالى... كما أن الحسين هو ابن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي استشهد في سبيل الله، والله هو الذي يطالب ويأخذ ثمن دمه أيضا)، ويرد عليه حفظه الله بأن العرب قد استخدمت الثار بمعنى الدم والصحاح والمعاجم خير دليل على هذا الاستعمال.

2- سورة الشورى الآية 11.

3- قال الشيخ علي النمازي الشاهرودي في مستدرک سفينة البحار ج 1 ص 501 __ 502: (ثار: في الزيارات: يا ثار الله وابن ثاره. والثار أى الدم إضافة تشريفية كما تقول: بيت الله وروح الله ووجه الله. وفي القاموس: الثار: الدم والطلب به).

شء إلى عظيم اكتسى عظما كبيت الله، فإذا وجد من الولد ما يحسن موقعه قيل: "لله أبوك" للمدح والتعجب، أى لله أبوك خالصا حيث أتى بمثلك(1).

وهناك معنى آخر غير التعظيم، فبالدم يحيا البدن ولولاه لمات، وبالحسين صلوات الله وسلامه عليه استعاد الدين حياته ولولاه لمات الإسلام واندثر فهو كالدم بالنسبة إليه.

ثم ان لإطلاق (دم الله) على الحسين صلوات الله وسلامه عليه علة واضحة وهى إثبات محبوبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ودمه المسفوك بالنسبة إلى الله سبحانه، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرة دم فى سبيل الله)(2) ودم الإمام الحسين وبلا أدنى ريب مشمول بهذا الحديث الشريف، لأنه من الدماء التى سقطت وأريقت لوجه الله سبحانه، بل هو من أعظمها وأطهرها وأكثرها خلوصا وقربة لله جل شأنه، فيكون وبلا أدنى ريب من أكثرها محبوبة ومقبولية له سبحانه.

فكان الزائر لأبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعند مخاطبته للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَارَ اللَّهِ)، فانه يقصد: (السلام عليك يا أيها الدم المقدس المكرم المشرف من جهة الله سبحانه على كل الدماء كما شرف بيته وشهره على كل البيوت والشهور، والذي لولاه لمات دين الله واندثر التوحيد، فأنت روح الإسلام ودمه الذى لولاه لما بقى فى جسد هذا الدين حياة).

ولعل الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يريد من خلال هذا المعنى أن يشير إلى مسألة بالغة الأهمية، وهى: ان الذين تجرؤوا على سفك دم سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه،

1- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 1 ص 28.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 5 ص 53 كتاب الجهاد باب فضل الشهادة الحديث رقم 3.

قد تجرؤوا على حرمة من حرم الله سبحانه، فهم كمن تجرأ واعتدى على بيت الله الحرام، أو شهر الله الحرام، أو شعائر الله وحدوده، وركائز الدين وأصوله، وإذا عرفنا ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أعظم وأشرف وأكرم على الله سبحانه من البيت الحرام والشهر الحرام، ومن جميع شعائر الله سبحانه وحدوده، فتصبح الجناية حينئذ عليه، وإهراق دمه الطاهر، وانتهاك حرمة، أعظم وأكبر وأشد عند الله سبحانه من انتهاك جميع حرمت الدين وشعائره وحدوده. وبناءً على هذا التوضيح يصبح قصد الزيارة من وصف الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بـ(دم الله) هو تعظيم وتهويل ما اقترف بحقه من جرائم واعتداءات أدت بمجموعها إلى سفك دمه الطاهر بتلك الطريقة المرعبة الرهيبة.

المعنى الثانى: وقد يطلق النار على الطلب بالدم

قال الخليل الفراهيدى: (الثأر: الطلب بالدم. ثأر فلان لقتيله، أى: قتل قاتله)(1)، وقال ابن الأثير: (ثأر: فى حديث محمد بن مسلمة يوم خيبر «أنا له يا رسول الله الموتور الثائر» أى طالب الثأر، وهو طالب الدم. يقال ثأرت القتل، وثأرت به فأنا ثائر: أى قتلت قاتله)(2). فيصبح معنى العبارة وفقاً لما مر هو: (السلام عليك يا من سيطلب الله سبحانه بدمك، ويتولى القصاص من وارك، ويقتل كل من قتلك). وتصيح قضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقاتله وانتهاك حرمة وفقاً لهذا التفسير ليست قضية شخصية أو قبلية وقعت ما بين آل أمية وحزبهم حزب الشيطان

1- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 8 ص 236 باب الثلاثى المعتل من الثاء باب الثاء والراء (و اى ء) معهما.

2- النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج 1 ص 204 باب الثاء مع الهمزة.

وبين آل على وأنصارهم أنصار الإيمان، بل هي قضية كونية إلهية، لان الحرب التي راح ضحيتها الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم تكن موجهة ضد شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بوصفه شخصا عاديا من سائر أفراد المجتمع الإسلامي، بل بوصفه السد المنيع المنصوب من قبل الله سبحانه والذي كان يحول دون عبث الأمويين واستهتارهم بالحرمان الإلهية والمقدرات الإسلامية، فلم يستطيعوا تجاوز هذا السد الإلهي ولا إسكاته إلا بقتله وسفك دمه الطاهر، لذلك تكفل الله سبحانه بأخذ ثاره، والاقتصاص من قتلته بنفسه، لأن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه استشهد في سبيله، فكان حقا على الله سبحانه أن يكون هو الضامن لدمه وحقه وثاره.

فكان الزائر حينما يسلم عليه بقوله: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ) فانه يقصد: (السلام عليك يا من أعطى لله سبحانه حقه، وبذل غاية مجهوده في الدفاع عن حرمانه، فضمن الله سبحانه له الأخذ بثاره ودمه والانتقام من قتلته).

المعنى الثالث: وقد يطلق الثار على الثائر الذي لا يبقى شيئا حتى يأخذ بثاره

قال الزبيدي: (ويقال للثائر أيضا: الثار، وكل واحد من طالب ومطلوب ثار صاحبه)⁽¹⁾ وقال الجوهري في الصحاح: (والثائر: الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثاره)⁽²⁾ وكذا قال ابن منظور في لسان العرب⁽³⁾.

فيصبح بذلك معنى قول الزائر لإمامه (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ) هو: (السلام عليك يا من سيثور الله سبحانه لأجل الأخذ بدمك وحقك والاقتصاص من قتلتك،

1- تاج العروس للزبيدي ج 6 ص 139 مادة ثار.

2- الصحاح للجوهري ج 2 ص 603 فصل الثاء.

3- لسان العرب لابن منظور ج 4 ص 97 فصل الثاء المثلثة.

حتى لو لم يبق في سبيل تحقيق هذا الأمر شيء من الأرض وأهلها، وهو يدل على ان دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والأخذ بحقه أهم عند الله سبحانه من الأرض ومن عليها، ولو أن أهل الأرض كلهم اشتركوا في دمه ثم اقتصر الله منهم جميعا ولم يترك على الأرض منهم دابة لما كان ذلك على الله بعزير، لان الأرض وما فيها لا تساوى عند الله سبحانه دمعة من دموع الإمام الحسين التي ذرفها على أولاده وأصحابه ومصائب أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكيف بسفك دمه وإزهاق نفسه الشريفة، ورض صدره المقدس بحوافر الخيل وسنابكها.

ثم ان الثورة الإلهية التي ستكون سببا للأخذ بحق الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ودمه المقدس إما أن تقع من الله سبحانه مباشرة، كما فعل سبحانه وانتقم من كل من شارك في تلك الحرب الخؤون، أو تقع على يد بعض عباده الذين اصطفاهم ووقفهم للثورة والأخذ بثارات الإمام السبط الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، منهم المختار الثقفى وغيره من الذين ثاروا وساموا قتلة الإمام الحسين سوء العذاب، ولكن الانتقام الحقيقى سيكون على يد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه الذى سيعيد بإذن الله جميع قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقتلة سائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويذيقهم أنواع العذاب وألوان الهوان، بل سيقصص حتى من ذرارى قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ممن رضى بفعل آبائه، بل وسيقتص من كل من شايع وبيع وتابع ورضى بقتله من الأولين والآخريين، حتى لو نال واستوعب ذلك القصاص أكثر أهل الأرض، لان أهل الأرض جميعا لا يعدلون ذلك السهم المثلث الذى وقع فى قلب الحسين صلوات الله وسلامه عليه، بل ولا قطرة دم سقطت من طفله الرضيع.

وأطلق الثار على معان أخرى لم نذكرها ضرورة هنا.

المبحث الثالث: معنى كون الإمام الحسين عليه السلام ابن ثار الله

أكدت الزيارات والأحاديث الشريفة على أن هنالك وجه شبه كبير ما بين كل من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وبين ابنه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فجملة من الزيارات الشريفة صرحت بأن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو ثار الله وابن ثاره، أو قتيل الله وابن قتيله، أو حجة الله وابن حجته، أو أنه صلوات الله وسلامه عليه ثار الله وابن ثاره، وغير ذلك من أوجه الشبه.

وهذا التشابه إن دل على شىء فإنه يدل على أن هنالك وجه تشابه في الأهداف والحوافز والمنطلقات، فكلاهما كان يتغى وجه الله سبحانه في حركته ونهضته، وكلاهما كان يهدف إلى إعلاء دين الله سبحانه وحفظ شريعته من أن تدنس أو تحرف أو ينتهكها المنتهكون.

وليس هذا التشابه بمنحصر فيهما صلوات الله وسلامه عليهما بل نراه مشتركا أيضا بين أعدائهما، فأهداف قتلة هذين العظيمين واحدة وغاياتهم مشتركة، فجميعهم قاتل في سبيل الدنيا والجاه والمنصب وليطفنوا نور الله بأفواههم وأيديهم، فأهداف وغايات ونوايا أصحاب الجمل هي نفسها أهداف وغايات أصحاب النهروان من الخوارج، وكلاهما نسخة عن أهداف وغايات معاوية بن أبي سفيان عليه وعليهم اللعنة، وجميعهم يحمل نفس الحوافز والنزعات العصبية الجاهلية والأطماع الدنيوية التي كانت في نفوس وقلوب أولئك الطغاة الذين قتلوا الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في يوم عاشوراء الرهيب، فالجميع وجوه متعددة لعملة واحدة، لعنهم الله جميعا وحشرهم إلى نار جهنم وبئس المصير.

ونستطيع أيضا أن نجد وجهها آخر من أوجه التشابه فيما بينهما صلوات الله وسلامه عليهما، وذلك عن طريق التأمل في الظرف الزماني والموضوعي الذي قامت فيه كل من النهضتين

العلوية والحسينية، فالثورة العلوية جاءت لإصلاح المسير المعوج الذي ابتداءً منذ التحاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى وإلى أن وصل الاعوجاج إلى أقصى غياته في الأيام التي سبقت خلافته صلوات الله وسلامه عليه، حيث اتخذ من كان قبله من الحكام مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً، فجاءت الثورة العلوية لتعيد الروح إلى جسد الإسلام الذي بدأت تزهد روحه يوماً بعد يوم، وما ردت فيه الحياة غضة طرية إلا على يد الإمام أمير المؤمنين والأوصياء من أولاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والأمر نفسه قد تكرر قبل ثورة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فالدين على يد معاوية وابنه يزيد قد تمزق وتفرق، وشاع الظلم، ونسى العدل، وتأمّر الفساق على الأخيار، والمجرمين على الصالحاء، ولم ترجع للإسلام العزة والكرامة، ولا نهض الإسلام من كبوته إلا على يد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

فالإمام الحسين ومن قبله أبوه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما لهما من المنة والفضل على الإسلام والمسلمين ما لا يعلمه إلا الله سبحانه، فلذا صار أثار الله وقتيليه، وصار الله سبحانه متكفلاً بدمائهما آخذاً بثأريهما صلوات الله وسلامه عليهما.

ولم يشارك الإمامين أمير المؤمنين والحسين صلوات الله وسلامه عليهما في لقب (ثار الله) من سائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحسب ما تتبعت غير الإمام المهدي روحى فداه، فقد ورد وصفه بـ(ثار الله) في الزيارة التي رواها العلامة المجلسي عن السيد على بن طاوس نور الله مرقده حيث قال: (إذا فرغت من زيارة العسكريين عليهما السلام فامض إلى السرداب المقدس وقف على بابهِ وقل: ... السلام عليك يا باب الله، السلام عليك يا ثار الله، السلام عليك يا محيي معالم الدين وأهله) (1).

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 99 ص 83 __ 86 الباب السابع زيارة الإمام المستتر عن الأبصار الحاضر في قلوب الأخيار المنتظر في الليل والنهار الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليها في السرداب وغيره.

وفى وصف الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه بـ (ثار الله) دليل على ان ثورة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه تحمل نفس الأهداف والحوافز والمنطلقات التي حملتها كل من الثورة العلوية والحسينية على حد سواء، وان ظروف وحيثيات ثورة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ونهضته ستكون مشابهة لظروف وحيثيات الثورة الإصلاحية والتغييرية للإمام أمير المؤمنين وابنه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليها، لأن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وكما ورد في كثير من الروايات الشريفة سيخرج بعدما لا يبقى من الدين إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، وبعد أن يكاد الإسلام تزهق روحه وتجتث جذوره، فيخرج ليعيد له الحياة ويحقق عدل الله سبحانه في الأرض، ويأخذ بحق الله سبحانه من رقاب المغيرين والمبدلين، كما اخذ أمير المؤمنين الحق واقتص بسيفه وسيوف أصحابه من الناكثين والقاسطين والمارقين، وكما اقتص جده الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من أولئك اللئام يوم عاشوراء.

المبحث الرابع: الدعاء لفرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يعجل بأخذ ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

ذكر الميرزا محمد تقى الأصفهاني في كتابه القيم (مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام) ان واحدة من فوائد الدعاء للإمام الثاني عشر صلوات الله وسلامه عليه بتعجيل الفرج والظهور هي الفوز بطلب اخذ الثأر للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونحن نورد فيما يأتي نص كلماته مع مراعاة المهم منها وما يتعلق بموضوعنا:

قال رحمه الله: (ومما يحصل بالدعاء لتعجيل فرج مولانا صاحب الزمان عليه السلام وظهوره، الفوز بثواب طلب ثأر مولانا الحسين الإمام المظلوم الغريب الشهيد عليه السلام: وهذا أمر لا يقدر على إحصاء ثوابه أحد إلا الله العزيز الحميد جل شأنه،

لأن عظمة شأن الثأر بقدر عظمة صاحبه، فكما لا يقدر أحد على الإحاطة بالشؤون الحسينية إلا الله عز وجل، كذلك لا يقدر غيره على إحصاء ثواب طلب ثأره.

فإنه الذى ورد فى زيارته: «السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره» ولو لم يكن فى الدعاء بتعجيل ظهور مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه سوى هذا الثواب، لكفى فضلا وشرفا وشأنا فكيف وفيه من الفضل ما لا يحصى، ومن الثواب ما لا يستقصى.

وأما حصول الفوز بثواب طلب ثأر مولانا الشهيد عليه السلام بهذا الدعاء، فتقريره أن طلب ثأره عليه السلام وظيفة كل مؤمن ومؤمنة، لأنه والدهم الحقيقى، بمقتضى، ما قدمناه فى الباب الثالث، من كون الإمام عليه السلام والدا حقيقيا، ويؤيده تفسير الوالدين فى قوله تعالى: ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا))⁽¹⁾، بالحسنين عليهما السلام كما فى تفسير القمى⁽²⁾ وغيره، ولذا يصح أن ينسب المؤمن ثأره عليه السلام إلى نفسه ويجعل كل أحد من المؤمنين نفسه ولى دمه عليه السلام، كما فى زيارة عاشوراء: «وأن يرزقنى طلب ثارى مع إمام مهدي ظاهر ناطق منكم».

ووجه آخر مضاف إلى هذا الوجه أن النبى صلى الله عليه وآله أمر أمته بأمر الله عز وجل بالمودة فى القربى، وقد تقدم أخبار عديدة دالة على كون المراد بالقربى الأئمة عليهم السلام، ولو حملنا القربى على مطلق الأقارب، أو الذرية نظرا إلى ظاهر اللفظ، فلا ريب أن الأئمة عليهم السلام أفضل أفرادهم، وأكمل مصاديقهم، ولا ريب أيضا فى أن طلب ثأرهم وحقوقهم من أظهر مصاديق المودة، وأجل أقسام إظهار المحبة.

1- سورة الأحقاف الآية 15.

2- تفسير القمى لعلى بن إبراهيم القمى ج 2 ص 297 سورة الأحقاف الجزء 26.

إذا تقرر ما ذكرنا، فنقول: إن لطلب الثأر مراتب عديدة ودرجات أربع:

الأولى: أن يكون ولى الدم ذا قوة واستيلاء واستعلاء، وسلطنة فيأمر بعض عبيده بقتل قاتل المظلوم.

والثانية: أن يقتل هو قاتل المظلوم، وبهذين القسمين يطلب الله عز وجل ثأر مولانا الشهيد المظلوم فإنه تعالى ولى دمه فى الحقيقة ولذا ورد فى زيارات عديدة: «السلام عليك يا ثار الله»...

وكما يطلب القادر المنتقم جل شأنه ثأره بهذين القسمين يطلب القائم المنتظر ثأره أى ثأر جده الحسين بهذين القسمين أيضا. باعتبار آخر فإنه يقتل قتلة أجداده «عليهم السلام»، والراضين بفعلهم ويأمر شيعته وأنصاره بقتلهم أيضا.

الثالثة: أن يكون الطالب بالثار ضعيفا لا يقدر على ذلك إلا بالتظلم والاستعداد إلى سلطان مقتدر يأخذ بحقه من ظالمه فهذا أيضا نوع من طلب الثأر، كما هو واضح عند أولى الأبصار.

والرابعة: أن يكون بسبب ضعفه غير قادر على أخذ الثأر، إلا بالاستعانة إلى غيره من ذوى الاقتدار فيتعاونان على ذلك.

وبعبارة أخرى: إن الإعانة فى تهيو أسباب أخذ الثأر قسم من أقسام الطلب والانتصار، وحيث إنا لا نقدر فى زماننا هذا على طلب ثأر مولانا الحسين إلا بهذين القسمين، فاللازم علينا بمقتضى وظيفتنا الثابتة المبادرة إلى المطالبة بهذين النحوين وهما يحصلان بمسألة تعجيل ظهور مولانا صاحب الزمان، من القادر المنان، والتظلم والتضرع إليه فى هذا الشأن فإنه أقدر من كل سلطان والمنتقم من أهل البغى والعدوان، لأننا علمنا بالمتواتر من الأخبار أن القادر الجبار ادخر مولانا الغائب عن

الأبصار لطلب هذا الثار، فاللازم علينا فى آناء الليل والنهار التظلم والتضرع إلى الله عز وجل فى تعجيل ظهوره عليه السلام لأخذ الثار والانتقام من الجبارة الكفار إذ ليس لنا سبيل فى زمان غيبته عليه السلام إلى غير هذا القسم من طلب الثار...فالدعاء لذلك إعانة له عليه السلام فى المبادرة إلى الانتصار وأخذ ثار الأئمة الأطهار من القتلة اللثام الفجار) (1) انتهى كلامه مختصراً رضى الله عنه وأرضاه، وإنما أوردناه طلباً للفائدة وتتميماً للبحث.

المبحث الخامس: معنى وصف الحسين عليه السلام بالوتر الموتر

إشارة

جاءت لكلمة الوتر والموتر معانٍ متعددة فى كتب اللغة نستعرض منها فيما يأتى ما ينسجم ويتناسب مع أجواء الزيارة:

المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد فى الكمال

ربما أطلقت العرب الوتر على العدد وقصدت به الشىء الواحد الفرد الذى ليس بزواج، قال ابن منظور: (وتر: الوتر والوتر: الفرد أو ما لم يتشفع من العدد)(2).

وربما أطلقت العرب الوتر على من يتصف بصفة لا يشاركه احد غيره بها، كإطلاقهم الوتر على نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه لأنه أول موجود بشرى خلقه الله سبحانه، فلما خلقت حواء أم البشر شفع بها قال ابن منظور: (وروى عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أنه قال: الوتر آدم عليه السلام، والشفع شفع بزوجته)

1- مكيال المكارم للميرزا محمد تقى الأصفهاني: ج1، ص 419 إلى ص 422.

2- لسان العرب لابن منظور ج 5 ص 273 فصل الواو، وراجع أيضا تاج العروس للزبيدي ج7 ص 579 مادة وتر.

وكذا قال الزبيدي في تاج العروس(1).

والوتر صفة من صفات الله سبحانه (لأنه البائن من خلقه الموصوف بالوحدانية من كل وجه ولا نظير له في ذاته ولا سمي له في صفاته ولا شريك له في ملكه، فتعالى الله الملك الحق)(2).

فيتبين من مجموع ما مر ان من معاني الوتر هو الموجود المتفرد بصفة أو صفات لا يشاركه فيها أحد غيره. وهذا المعنى متحقق في شخص الإمام الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، والى هذا أشار العلامة المجلسي قدس الله روحه بقوله: (وتر الله أى الفرد المتفرد فى الكمال من نوع البشر فى عصره الشريف) (3).

ووجه تحقق هذا المعنى فى شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه: من حيث انه من الخمسة أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين كانوا فى عصر وجودهم الشريف أفضل أهل الأرض وأكملهم، والمتفردين بكل مراتب الكمال من سائر الأنام، فلما فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وارتحل من دار الفناء، وارتحلت من بعده ابنته الصديقة الشهيدة صلوات الله وسلامه عليها، والتحق بهما الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه مغدورا مسلوب الحق، وبعد مدة ليست بالطويلة التحق بهما ابنهما الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه المسموم المهتضم، بقى الإمام السبط الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليه بعد رحيل هؤلاء الأطهار وحيد أهل زمانه بالفضل، والمتفرد من دونهم بالكمال، فانطبق عليه لقب الوتر الذى بمعنى المتفرد فى الكمال من نوع البشر. لذا كان فقده صلوات الله وسلامه عليه يوم عاشوراء فقدا لعامة أهل الكساء الأطهار، لان بركة وجوده المبارك كانت مذكرة بهم، وسادة

1- المصدر السابق.

2- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 462 باب الواو.

3- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 98 ص 154.

مسد غيبتهم ووقدهم، فلما فقد من الدنيا أثره، ورفع من بين العالمين شخصه، بانت وحشة فراقهم، ورفعت من بين العالمين أطاف وجودهم.

وقد استشهد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بهذا المعنى يوم عاشوراء، حينما خطب في جيش البغي والظلم بقوله: (فانسبوني وانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلى وانتهاك حرمتي، ألسنت ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه، أوليس حمزة سيد الشهداء عمي، أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي، أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة... أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي...)(1)، فبقوله هذا أراد صلوات الله وسلامه عليه من الأمة أن تعي وتفهم ان وجوده بين ظهرانيهم فرصة ونعمة لن تتكرر، وسترفع منهم إلى يوم القيامة فيما لو قوبلت بالجحود والنكران، وهو ما حدث بالفعل.

وكلام السيدة زينب العقيلة صلوات الله وسلامه عليها مع أخيها الحسين صلوات الله وسلامه عليه ليلة عاشوراء يدل دلالة واضحة على هذا المعنى، فحينما سمعت العقيلة زينب صلوات الله وسلامه عليها أخاها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يردد ليلة العاشر أبياتا من الشعر مشهورة ومذكورة في كتب المقاتل، علمت انه قد عزم على الموت، وان فقد هذا الموجود العظيم بات وشيكا، وان فرصة وجوده في الحياة الدنيا صارت قصيرة جدا، فأحست بعظم المصيبة، وبهول الخطب، فصاحت: (وا ثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضين وثمان الباقيين)(2).

1- الإرشاد للشيخ المفيد ج 2 ص 97 _ 98 خطبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

2- مثير الأحزان لابن نما الحلبي ص 35 المقصد الأول على سبيل التفصيل للأحوال السابقة لقتال آل الرسول.

فمن كلامها صلوات الله وسلامه عليها نستكشف ان أشخاص أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقيمهم وكمالاتهم كانت مجتمعة جملة وتفصيلا في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وان فقدته كان يمثل فقدنا للكل، كما ان الاعتداء عليه كان يمثل اعتداءً على جميع أولئك الأطهار.

ومن هنا أيضا نفهم سبب مخاطبة الزائر للشهداء الذين دافعوا عن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوم عاشوراء ونصروه وذبوا عنه بأرواحهم وأجسامهم بقول: (السلام عليكم يا أنصار رسول الله السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين السلام عليكم يا أنصار فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الزكي الناصح الولي السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله(1))، فإن كلاً من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين والزهراء والإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يكونوا بموجودين يوم عاشوراء بأشخاصهم وأبدانهم المادية حتى يتم نصرتهم من قبل أولئك الشهداء الكرام، ولكن ولان شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد جمع كمالات بقية أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عدت نصرته نصرته لهم والذب عنه ذباً عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين(2).

المعنى الثاني: وقد يطلق الموتور على من قُتِلَ حميمه وأُفرد

قال الزبيدي في تاج العروس: (والموتور المفعول، وتقول منه: وتره يتره ترة ووتر، إذا قتل حميمه فأفرده منه)(3) وهكذا كان حال الإمام الحسين بن علي

1- المزار للشهيد الأول ص 129 زيارة الشهداء رضوان الله عليهم.

2- توجد معانٍ أخرى لهذا المقطع من زيارة الشهداء ليس هاهنا محل تبيانها، وانما اقتصرنا على هذا المعنى لموافقته مع ما نحن فيه.

3- تاج العروس للزبيدي ج 7 ص 583 مادة وتر.

صلوات الله وسلامه عليه فقد قتل أولاده وفلذات أكباده وإخوته وبنو أخيه وبنو عمومته وأصحابه بتلك الصورة المريعة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً أبداً، وأعداء الحسين صلوات الله وسلامه عليه ما استطاعوا أن يقتلوه ويصلوا إليه إلا بعد أن افردوه ووتروه، وهى لأصحابه ولأهل بيته فضيلة ليست كمثلها فضيلة، إذ ان وجودهم كان مانعاً عن قتله، وبذلهم لمهجمهم كان دافعاً لوصول شتى أنواع الأذى إلى شخصه المبارك فجزاهم الله خيراً عن إمامهم وعن أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

المعنى الثالث: وقد يطلق الموتور على من قتل له قتيلاً ولم يدرك بدمه

قال الجوهري في الصحاح: (والموتور: الذى قتل له قتيلاً فلم يدرك بدمه)(1)، وقال ابن منظور: (والموتور: الذى قتل له قتيلاً فلم يدرك بدمه، تقول منه: وتره يتره وترا وتره)(2).

والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لم يُدرك دم أبائته وأهل بيته وأصحابه من أولئك الأجلاف الطغام اللئام، والى اليوم ما زال صوته صلوات الله وسلامه عليه يدوى ويتردد فى آذان الزمان، وهو يستغيث ولا يغاث، ويستجير ولا يجار، ويستنصر ولا ينصر، رافعا صوته قائلاً: هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هل من موحد يخاف الله فينا.

هل من مغيث يرجو الله فى إغاثتنا.

هل من معين يرجو ما عند الله فى إعانتنا.

1- الصحاح للجوهري ج 2 ص 843 فصل الواو.

2- لسان العرب لابن منظور ج 5 ص 273 __ 276 فصل الواو.

هل من راحم يرحم آل الرسول المختار.

هل من ناصر ينصر الذرية الأطهار.

هل من مجير لأبناء البتول.

هل من ذاب يذب عن حرم الرسول.

لكنه صلوات الله وسلامه عليه لم يجد جوابا لكل استغاثاته إلا صرخات خرجت من حناجر النسوة الثواكل، ولم يُعَثَّ بغير دموع تفجرت بها عيون أيتامه وأيتام البقية من أهل بيته الذين تقدموه بالشهادة، فهو الموتور الوحيد الخائف الطريد الذي فاقت وحدته كل وحدة وعظمت غربته على كل غربة.

فسلام عليك أبا الشهداء (سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف، وبذل حشاشته دونك، وجاهد بين يديك، ونصرک على من بغى عليك، وفداک بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرک المقذور، ولم أكن لمن حاربك محاربا، ولمن نصب لك العداوة مناصبا، فلأندينك صباحا ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دما، حسرة عليك وتأسفا على ما دهاك وتلهفا، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب) (1).

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذا المقطع من الزيارة

أولاً: السَّلَامُ عَلَيْكَ

ثانياً: وَعَلَى الْأَرْوَاحِ

1: الإنسان 2: الملائكة 3: الجن

ثالثاً: الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ

رابعاً: وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ

المبحث الثالث: فضل السلام وفوائد تكراره

الفائدة الأولى: السلام سبب من أسباب المغفرة

الفائدة الثانية: السلام سبب لكثرة خير بيت المسلم

الفائدة الثالثة: وفي السلام الكثير من الحسنات

الفائدة الرابعة: ان المسلم يحظى برد من الملائكة

الفائدة الخامسة: المسلم يحظى بالرد من قبل إمامه المعصوم

الفائدة السادسة: في السلام تكامل لروح الزائر المسلم

المبحث الرابع: المقصود من الأرواح التي ورد ذكرها في هذه الفقرة

الأرواح التي حلت بفناء قبر الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام

الأرواح التي أناخت بقبر الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَزْوَاجِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرِحْلِكَ

وفى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة معانٍ جليلة نستعرض بعض ما يتيسر لنا منها، وهي كما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

اشتهر في نصوص زيارات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ان هنالك ارواحا تحل وتزور وتبيخ بقبره الشريف وضريحه المنيف، حتى بلغت من الشهرة مبلغا استغنت به عن استقصاء جميع مواردها في متون تلك الزيارات ولكننا سنذكر للقارئ الكريم فيما يأتي جملة منها حبا للفائدة والتزاما منا بمنهج البحث الذي ألزمتنا به أنفسنا في بداية هذا الكتاب.

أخرج جعفر بن محمد بن قولويه قدس الله روحه قال: (حدثني أبي عن سعد بن عبد الله، عن أبي عبد الله الرازي، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن الحسن بن

محمد بن عبد الكريم أبو علي، عن المفضل بن عمر، عن جابر الجعفي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام للمفضل: كم بينك وبين قبر الحسين عليه السلام، قال: قلت: بأبي أنت وأمي يوم وبعض يوم آخر، قال: فتزوره، فقال: نعم، فقال: ألا أبشرك ألا أفرحك ببعض ثوابه، قلت: بلى جعلت فداك، قال: فقال لي: إن الرجل منكم ليأخذ في جهازه ويتهيأ لزيارته فيتبأشر به أهل السماء، فإذا خرج من باب منزله راكبا أو ماشيا وكل الله به أربعة آلاف ملك من الملائكة يصلون عليه حتى يوافي قبر الحسين عليه السلام. يا مفضل إذا أتيت قبر الحسين بن علي عليهما السلام فقف بالباب وقل هذه الكلمات، فإن لك بكل كلمة كفلا من رحمة الله، فقلت: ما هي جعلت فداك، قال: تقول: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله... السلام على الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك، السلام على ملائكة الله المحققين بك(1).

وعنه قدس الله روحه أيضا قال: (حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين العسكري ومحمد بن الحسن جميعا، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه علي بن مهزيار، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن مروان، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال الصادق عليه السلام: إذا أردت المسير إلى قبر الحسين عليه السلام فصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا أردت الخروج فاجمع أهلك وولدك وادع بدعاء السفر، واغتسل قبل خروجك وقل حين تغتسل: اللهم طهرني وطهر قلبي، واشرح لي صدري... فإذا وقفت على التل فاستقبل القبر فقف وقل: الله أكبر الله أكبر ثلاثين مرة، وتقول: لا إله إلا الله في علمه منتهى علمه، ولا إله إلا الله بعد علمه منتهى علمه، ولا إله إلا الله مع علمه منتهى علمه... السلام عليكم يا ملائكة الله

ويا زوار قبر أبي عبد الله عليه السلام... السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك(1).

وعن السيد ابن طاوس قدس الله روحه قال: (... بإسنادنا إلى عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا الحسن بن علي الكوفي، عن الحسن بن محمد الحضرمي، عن عبد الله بن سنان قال: دخلت على مولاي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يوم عاشوراء وهو متغير اللون ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ، فقلت له: يا سيدي مما بكاؤك، لا أبكي الله عينيك، فقال لي: أما علمت أن في مثل هذا اليوم أصيب الحسين عليه السلام... فان في ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيبة عن آل الرسول عليه وعليهم السلام، وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعا يعز على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم. قال: ثم بكا بكاء شديدا حتى اخضلت لحيته بالدموع... يا عبد الله بن سنان أفضل ما تأتي به هذا اليوم ان تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها... وتحول وجهك نحو قبر أبي عبد الله عليه السلام وتمثل بين يديك مصرعه، وتفرغ ذهنك وجميع بدنك وتجمع له عقلك، ثم تلعن قاتله ألف مرة يكتب لك بكل لعنة ألف حسنة، ويمحي عنك ألف سيئة، ويرفع لك ألف درجة في الجنة... فإذا فرغت من ذلك وقفت في موضعك الذي صليت فيه وقلت سبعين مرة: اللهم عذب الذين حاربوا رسلك وشاقوك وعبدوا غيرك واستحلوا محارمك، والعن القادة والأتباع... السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت بساحتك، وجاهدت في الله معك، وشرت نفسها ابتغاء مرضاة الله فيك، السلام على الملائكة المحققين بك(2).

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 393 __ 402.

2- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 65 __ 70.

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه علم أبا حمزة الثمالي زيارة جاء فيها: (...السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك السلام على ملائكة الله المحققين بك السلام على ملائكة الله وزوار قبر ابن نبي الله... السلام على ملائكة الله المقربين السلام على ملائكة الله المنزلين السلام على ملائكة الله المسومين السلام على ملائكة الله الذين هم مقيمون في هذا الحائر بإذن ربهم السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحائر يعملون ولأمر الله مسلمون... وتقول يا أبا عبد الله يا حسين ابن رسول الله جئتك مستشفعا بك إلى الله اللهم إني استشفع إليك بولد حبيبي وبالملائكة الذين يضحجون عليه ويكفون ويصرخون لا يفترين ولا يسأمون وهم من خشيتك مشفقون ومن عذابك حذرون لا تغيرهم الأيام ولا ينهزمون من نواحي الحير يشهقون وسيدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلبون قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ واشتد منهم الحزن بحرقة لا تطفئ)(1).

وفي هذا المقدار كفاية لإثبات ان من الأرواح ما هو زائر لقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومنها ما هو مقيم أو حاف أو محقق أو عامل أو صارخ أو غير ذلك مما سنتعرف عليه في بحث لاحق إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذا المقطع من الزيارة

أولاً: السَّلَامُ عَلَيْكَ

مرت معاني السلام مفصلاً في شرح الفقرة الأولى من هذه الزيارة الشريفة، وأما الضمير في (عليك) فانه عائد إلى الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

1- جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى ج 12 ص 477 _ 486.

ثانياً: وَعَلَى الْأَرْوَاحِ

إشارة

الواو هنا عاطفة وما بعدها معطوف على (عليك) ومعنى العبارة (والسلام على الأرواح التي حلت بفنائك) والأرواح جمع لكلمة روح، والروح مما لا- يعلم حقيقتها وجوهرها إلا- الله سبحانه، وقد حجب عن الناس الإمام بتعريفها والاطلاع على كنهها قال تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا))⁽¹⁾، فليس لنا ولا لأحد من العالمين الوصول إلى تعريف جامع مانع للروح، وكل ما قيل في تعريفها فهو إما ذكر للوازمها، أو تعداد لآثارها، أو تبيان لمراتبها الوجودية من حيث القوة والضعف في التجرد، وأما الإحاطة بكامل حقيقتها وكنه جوهرها فهو مما حجب عن العالمين خبره ولم نكلف بالبحث عنه، فيكون العدول عن الخوض في تفاصيل ذلك أولى للمؤمن.

ولكنها من حيث الإطلاق اللغوي أو الشرعي فقد أطلقت على حقائق خارجية شتى منها:

1: الإنسان

الذى يتكون من حيث الخلقة من جسد وروح يتقوم بها ذلك الجسد، وتنبعث بفضلها فيه الحياة، وقيل ان الروح هي النفس⁽²⁾، قال أبو بكر بن الأنباري: (الروح والنفس واحد غير ان الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب)⁽³⁾.

وقد أطلق القرآن الكريم اسم الروح على نبي الله عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه

1- سورة الإسراء الآية 85.

2- راجع تاج العروس للزبيدي ج4 ص57 مادة روح.

3- تاج العروس للزبيدي ج4 ص57 مادة روح.

فى قوله تعالى ((إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ))⁽¹⁾، وأطلق القرآن الكريم الروح على سائر البشر وفى طليعتهم نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه قال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَاذًا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ))⁽²⁾.

والإنسان وان كان فى وجوده مركباً من جسد وروح إلا ان العرف لا يطلق عليه روحاً إلا بعد موته، وفى الحديث: (أرواح المؤمنين على صورة أبدانهم لو رأيتهم لقلت فلان وفلان)، أما قبل موته فيمكن تسميته روحاً من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل⁽³⁾.

2: الملائكة

وسميت الملائكة روحاً أو روحانيين بسبب من انهم خلقوا من روح مجردة عن الجسد المادى، قال ابن منظور: (والروحانى من الخلق: نحو الملائكة ممن خلق الله روحاً بغير جسد)⁽⁴⁾.

والملائكة وان كانوا كلهم بحسب التحقيق أرواحاً مجردة، إلا ان الآيات الكريمة وأحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أطلقت لفظ (الروح) أو (روح) على فئة خاصة من الملائكة، منهم جبرائيل الأمين فى قوله سبحانه: ((نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ))⁽⁵⁾، وقوله سبحانه ((فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا))⁽⁶⁾.

1- سورة النساء الآية 171.

2- سورة الحجر الآية 28 _ 29.

3- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 2 ص 240 باب الرءاء.

4- لسان العرب لابن منظور ج 2 ص 463 مادة روح.

5- سورة الشعراء الآية رقم 193.

6- سورة مريم الآية رقم 17.

وأطلق القرآن الروح فى قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (1)، وأراد به صنفاً من الملائكة أعظم من جبرائيل وميكائيل، فعن أبى بصير قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ)) قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده) (2).

3: الجن

والجن كالملائكة أرواح مجردة ولكنها وبحسب الآيات القرآنية مقرونة بجسم لطيف أوضحه القرآن بقوله: ((قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسَّ جُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)) (3)، فالفارق بين نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه وإبليس لعنه الله هو فى مادة الجسد فآدم من تراب أو طين وإبليس من نار، والتفصيل فى هذا ليس محل بحثه هاهنا.

ثالثاً: التَّى حَلَّتْ بِفَنَائِكَ

و (حَلَّتْ) بمعنى نزلت فى فنائك وأصلها كما قال ابن منظور من: (حلل: حل بالمكان يحل حلولاً ومحلاً وحلاً وحللاً... وذلك نزول القوم بمحلة وهو تقيض الارتحال... وحله واحتل به واحتله: نزل به) (4).

1- سورة الشورى الآية 52.

2- الكافى للشيخ الكلينى ج 1 ص 273 باب الروح التى يسدد الله بها الأئمة عليهم السلام.

3- سورة الأعراف الآية رقم 12.

4- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 163 فصل الحاء المهملة.

وقال الزبيدي: (وحللت: نزلت، من حل الأحمال عند النزول، ثم جرد استعماله للنزول، فقييل: حل حلولاً: نزل)(1).

أما الفناء فهي المساحة الفارغة المحيطة بالقبر الشريف، قال الفراهيدي: (والفناء: سعة أمام الدار، وجمعه: الأفنية)(2)، وقال الجوهري: (وفناء الدار: ما امتد من جوانبها، والجمع أفنية)(3) وقال الشيخ الطريحي: («فناء الكعبة») بالمد: سعة أمامها. وقيل: ما امتد من جوانبها دوراً وهو حريمها خراج المملوك منها، ومثله فناء الدار، والجمع «أفنية»(4).

رابعاً: وأناخت برحلك

رابعاً: وأناخت برحلك(5)

أناخت مأخوذة من ال_ (نوخ: أنخت البعير فاستناخ ونوخته فتنوخ وأناخ الإبل: أبركها فبركت، واستناخت: بركت... والمناخ: الموضع الذي تناخ فيه الإبل. والنوخة: الإقامة)(6).

فشبهت الزيارة حلول الأرواح بفناء الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه بإناخة الإبل وبروكها على الأرض، لأن الإبل إذا ما بركت واستقر جسمها على الأرض صارت من كثرة ثباتها واستقرارها كالشيء اللاصق بالأرض، كذلك تلك

1- تاج العروس للزبيدي ج 14 ص 159 مادة حلل.

2- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 8 ص 376 أبواب الثلاثي الصحيح من النون أبواب الثلاثي المعتل من النون باب النون والفاء و (واى ء) معهما.

3- الصحاح للجوهري ج 6 ص 2457.

4- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 3 ص 432.

5- هذه العبارة غير موجودة في الرواية التي اعتمدها لزيارة عاشوراء وإنما أوردناها وشرحناها طلباً للفائدة.

6- لسان العرب لابن منظور ج 3 ص 65 فصل الواو.

الأرواح التي استقرت وحلت بفناء الحسين صلوات الله وسلامه عليه فهي من شدة ملازمتها ومكوئها وبقائها بذلك الفناء صارت كالشيء اللاصق الذي لا يقبل الانفكاك والانفصال.

والرحل كما عرفه الفراهيدى بقوله: (ورحل الرجل: منزله ومسكنه)⁽¹⁾، وقال الجوهرى فى الصحاح: (الرحل: مسكن الرجل وما يستصعبه من الأثاث)⁽²⁾، وقال ابن منظور: (قال الأزهري: فقد صح أن الرحل والرحالة من مراكب الرجال ومسكنه وبيته. ويقال: دخلت على الرجل رحله أى منزله... واتتهينا إلى رحالنا أى منازلنا. والرحل: مسكن الرجل وما يصعبه من الأثاث)⁽³⁾.

ولا يخفى ان المراد بالرحل فى الزيارة هو مسكن ومثوى جسد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومحل دفنه وموضع قبره وقبور أصحابه وأهل بيته وقبر أخيه العباس صلوات الله وسلامه عليه.

المبحث الثالث: فضل السلام وفوائد تكراره

إشارة

بعد أن بدأت الزيارة الشريفة بالسلام على الإمام أبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ثم تحولت بعد ذلك إلى تبيان أهم الأسباب التي أدت إلى مقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بالتوضيح الذى قدمناه، عادت فى هذه الفقرة لتبيان حقيقة جديدة تتمثل فى تبيان الأهمية الكونية التي يتمتع بها موضع قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وما جاوره من الأرض التي طابت وطهرت وبوركت ببركة حلول

1- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 3 ص 208.

2- الصحاح للجوهرى ج 4 ص 1706.

3- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 275.

الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بها وتشريفه لها، بحيث صار قبره الشريف وروضته المنيفة وما يحوطها مركز اهتمام الخالق الجبار سبحانه وتعالى ومحط نزول أنبيائه ومهبط ملائكته وسكان سماواته مما يجعل هذه الترخة التي هي من ترع الجنة محور الوجود ومركز اهتمام عالم الإمكان، وهذه الحقيقة ستتضح جليا فى المبحث الرابع الذى سيلي هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

وبما ان السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه سيتكرر ذكره مرات عديدة فى فقرات هذه الزيارة المنيفة أحببنا أن نوضح بعض فوائد هذا التكرار، ونبين ان هذا التكرار لم يأتِ إلا- لهدف شريف ومهم، وانه ليس تكرارا ساذجا لا طائل منه حاشا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أن يصدر عنهم ما هو لغو لا طائل منه ولا فائدة، وهذه الفائدة فى التكرار لا يمكن أن تعلم ويحاط بأهميتها ما لم نتعرف على الفوائد الجليلة والعظيمة للسلام، والتي تكفلت الروايات الشريفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتبيانها وإيضاحها بأقوال وتصريحات لا تحصي على هذه العجالة نذكر منها ما يأتى:

الفائدة الأولى: السلام سبب من أسباب المغفرة

فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام)(1).

الفائدة الثانية: السلام سبب لكثرة خير بيت المسلم

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أفش السلام يكثر خير بيتك)(2).

1- () بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 73 ص 11 أبواب التحية والتسليم إذا سلم اليهودى والنصرانى والمشرك.

2- () ميزان الحكمة لمحمد الرشهرى ج 2 ص 1348.

الفائدة الثالثة: وفي السلام الكثير من الحسنات

قال الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه: (السلام سبعون حسنة، تسعة وستون للمبتدئ وواحدة للراد)⁽¹⁾.

الفائدة الرابعة: ان المسلم يحظى برد من الملائكة

فعن إسحاق بن عمار الصيرفي قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وكنت تركت التسليم على أصحابنا في مسجد الكوفة وذلك لتقية علينا فيها شديدة فقال لي أبو عبد الله يا إسحاق متى أحدثت هذا الجفاء لإخوانك تمر بهم ولا تسلم عليهم فقلت له ذلك لتقية كنت فيها فقال ليس عليك في التقية ترك السلام وإنما عليك في التقية الإذاعة، إن المؤمن ليمر بالمؤمنين فيسلم عليهم فترد الملائكة سلام عليك ورحمة الله وبركاته)⁽²⁾.

الفائدة الخامسة: المسلم يحظى بالرد من قبل إمامه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه

ان الزائر لقبر إمامه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه يحظى برد السلام من الإمام المسلم عليه نفسه، وذلك لأن سلام الزائر على إمامه مستحب، ولكن رد هذا السلام من الإمام صلوات الله وسلامه عليه واجب كما قال الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (السلام تطوع والرد فريضة)⁽³⁾ وحاشى الإمام أن يخل بواجب ويضيع فريضة.

فمن أراد أن يكلمه إمامه المعصوم وان يرد عليه الجواب فيسلم عليه صلوات الله وسلامه عليه، وأفضل أنواع السلام هو ما جاء على لسان الزيارات الشريفة ومنها هذه الزيارة الجليلة القدر العظيمة الفائدة.

1- () بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 73 ص 11 أبواب التحية والتسليم إذا سلم اليهودي والنصراني والمشرک.

2- جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي - ج 15 - ص 585

3- () الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 644.

الفائدة السادسة: في السلام تكامل لروح الزائر المسلم

ان الحضور عند الإمام والتعلق بتربته ومخاطبته بالسلام يحدث في النفس تأثيرا روحانيا غيبيا يتكامل من خلاله الإنسان الزائر مستمدا ذلك كله من إمامه المعصوم، وهذه الحقيقة قد اقر بها الموافق والمخالف، قال فخر الدين الرازي: (إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوى النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه من تلك التربة حصل لنفس الزائر تعلق بتلك التربة وقد عرفت أن لنفس الميت تعلقا بتلك التربة أيضا فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرأتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من واحدة منهما إلى الأخرى فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضى بقضاء الله، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت وكل ما حصل في نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرفة والآثار العلوية الكاملة فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سببا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظيمة لروح الزائر ولروح المزمور، فهذا هو السبب الأصلي في مشروعية الزيارة، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدق وأحق مما ذكرناه، وتمام العلم بالحقائق ليس إلا عند الله(1).

فالزائر للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ولروضته التي هي ترعة من ترع الجنة يحظى بوقوفه وسلامه على إمامه صلوات الله وسلامه عليه بهذه الزيارة العظيمة بكل هذه الفوائد والألطف الإلهية، وواحدة من علل التكرار للسلام في الزيارة تكرر لكل ذلك الثواب وزيادة لجميع تلك الألطف التي يحاط بها الشخص المسلم.

1- () المطالب العالية للفخر الرازي الفصل الثامن عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى، وراجع الفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ج 5 ص 622.

المبحث الرابع: المقصود من الأرواح التي ورد ذكرها في هذه الفقرة

إشارة

لا- يخفى ان الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في هذه الزيارة الشريفة استعمل في لفظ الأرواح الألف واللام، ومعلوم ان الجمع المحلى بالألف واللام يدل على العموم، فتدخل وبناءً على هذا العموم مصاديق متعددة كثيرة، وقد خص الإمام صلوات الله وسلامه عليه بالذكر مصداقين من مصاديق ذلك العام وهما كل من:

الأرواح التي حلت بفناء قبر الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه

والحلول لفظ مطلق غير مقيد بالحلول الدائم، فيشمل كلاً من الحلول الدائم والمؤقت، لان الذي يحل بقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وينزل بجواره يوماً أو ساعة من النهار يصح أن يقال حل فيه لمدة يوم أو ساعة، كما يصح أن يقال للحاج الذي يقف بعرفة لساعة من الزمن أو اقل انه وقف يوم عرفات، إذ ان مسمى الوقوف يكفي في صحة إطلاق الوصف عليه(1).

وهذا الوصف بهذا التوضيح يشمل كل الشهداء السعداء الذين بذلوا مهجهم دون سيدهم وإمامهم الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وكذلك يشمل أبناء الحسين وبقية أهل بيته وأخاه أبا الفضل العباس صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

1- ويشهد لهذا المعنى أيضا ما أخرجه الشيخ الكليني قدس الله روحه في (الكافي ج 8 ص 348 __ 349 نصائح لقمان لابنه في آداب السفر) عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (قال لقمان لابنه: إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتك إياهم في أمرهم وأمورهم وأكثر التبسم في وجوههم... وإذا أردت النزول فعليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها عسبا وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وإذا أردت قضاء حاجة فابعد المذهب في الأرض وإذا ارتحلت فصل ركعتين وودع الأرض التي حللت بها وسلم عليها وعلى أهلها فإن لكل بقعة أهلا من الملائكة...) ومحل الشاهد في قوله صلوات الله وسلامه عليه (وودع الأرض التي حللت بها) ففيها دليل على ان الحلول لا يستلزم الاستقرار والبقاء الطويل الأمد، فيصدق على المكث والنزول بمكان لمدة محدودة كما يصدق على النزول والمكث الطويل.

لان الجميع حال بفناء إمامه ومقيم بضيافة مولاه.

وكذلك يشمل زوار قبر أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه من الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والملائكة والمؤمنين الذين يستأذنون الله سبحانه بزيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيمكنون ويحلون بقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وحرمة من الزمان ما شاء لهم الله سبحانه ان يحلوا ويمكثوا، وقد تحدثت الروايات الشريفة عن هؤلاء الزوار الكرام بصورة مفصلة وأحاديث كثيرة نختار منها فيما يأتي عشر روايات:

الرواية الأولى: عن ابن سنان، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (قبر الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسراً روضة من رياض الجنة، وفيه معراج الملائكة إلى السماء، وليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو يسأل الله أن يزوره، ففوج يهبط وفوج يصعد)⁽¹⁾.

الرواية الثانية: عن داود الرقي، قال: (سمعت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وانه ينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت الحرام ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك، فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تغيب الشمس)⁽²⁾.

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 222.

2- المصدر نفسه.

الرواية الثالثة: عن الفضل بن يحيى، عن أبيه، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (زوروا كربلاء ولا تقطعوه، فان خير أولاد الأنبياء ضمته، ألا وان الملائكة زارت كربلاء ألف عام من قبل ان يسكنه جدى الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وما من ليلة تمضى إلا وجبرائيل وميكائيل يزوران، فاجتهد يا يحيى أن لا تفقد من ذلك الموطن)(1).

الرواية الرابعة: عن يونس، عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه، قال: (من زار قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فقد حج واعتمر، قال: قلت: يطرح عنه حجة الإسلام، قال: لا، هي حجة الضعيف حتى يقوى ويحج إلى بيت الله الحرام، أما علمت أن البيت يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك حتى إذا أدركهم الليل سعدوا ونزل غيرهم فطافوا بالبيت حتى الصباح، وان الحسين صلوات الله وسلامه عليه لأكرم على الله من البيت، وانه فى وقت كل صلاة لينزل عليه سبعون ألف ملك شعث غبر لا تقع عليهم النوبة إلى يوم القيامة)(2).

الرواية الخامسة: عن أبان، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (ان الله وكل بقبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه أربعة آلاف ملك شعث غبر سيكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، فإذا زالت الشمس هبط أربعة آلاف ملك وصعد أربعة آلاف ملك، فلم يزل سيكونه حتى يطلع الفجر)(3).

الرواية السادسة: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: وكّل الله تعالى بالحسين صلوات الله وسلامه عليه سبعين ألف ملك، يصلون عليه كل يوم شعثا غبرا

1- كامل الزيارات: ص 453.

2- المصدر نفسه: ص 299.

3- المصدر نفسه: ص 175.

منذ يوم قتل إلى ما شاء الله __ يعني بذلك قيام القائم صلوات الله وسلامه عليه (1).

الرواية السابعة: عن عبد الملك بن مقرن، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (إذا زرتم أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فالزموا الصمت إلا من خير، وإن ملائكة الليل والنهار من الحفظة تحضر الملائكة الذين بالحائر فتصافحهم فلا يجيبونها من شدة البكاء فينتظرونهم حتى تزول الشمس وحتى ينور الفجر، ثم يكلمونهم ويسألونهم عن أشياء من أمر السماء، فأما ما بين هذين الوقتين فإنهم لا ينطقون ولا يفترون عن البكاء والدعاء، ولا يشغلونهم في هذين الوقتين عن أصحابهم، وإنما شغلهم بكم إذا نطقتم).

قلت: جعلت فداك وما الذى يسألونهم عنه وأيهم يسأل صاحبه الحفظة أو أهل الحائر، قال: أهل الحائر يسألون الحفظة، لأن أهل الحائر من الملائكة لا يبرحون والحفظة تنزل وتصعد.

قلت: فما ترى يسألونهم عنه؟ قال: انهم يمرون إذا عرجوا بإسماعيل صاحب الهواء، فربما وافقوا النبي صلوات الله وسلامه عليه وعنده فاطمة والحسن والحسين والأنمة، من مضى منهم، فيسألونهم عن أشياء وعمن حضر منكم الحائر ويقولون: بشروهم بدعائكم، فتقول الحفظة: كيف نبشرهم وهم لا- يسمعون كلامنا، فيقولون لهم: باركوا عليهم وادعوا لهم عنا، فهي البشارة منا، فإذا انصرفوا فحفوهم بأجنتكم، حتى يحسوا مكانكم، وأنا نستودعهم الذى لا تضيع ودائعه.

ولو يعلموا ما فى زيارته من الخير ويعلم ذلك الناس لا يقتتلوا على زيارته بالسيف، ولباعوا أموالهم فى إتيانه، وإن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبي وألف صديق وألف شهيد ومن الكرويين ألف ألف يسعدونها على البكاء، وإنها لتشهب شهقة، فلا تبقى فى السماوات ملك إلا بكى رحمة لصوتها، وما تسكن

حتى يأتيها النبي صلوات الله وسلامه عليه فيقول: يا بنية قد أبكيت أهل السماوات وشغلتمهم عن التسييح والتقدّيس فكفى حتى يقدسوا، فإن الله بالغ أمره، وانها لتتظر إلى من حضر منكم، فتسأل الله لهم من كل خير، ولا تزهّدوا في إتيانه، فإن الخير في إتيانه أكثر من أن يحصى(1).

الرواية الثامنة: عن عبد الله بن حماد البصرى، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: قال لى: (فى قربكم لفضيلة ما أوتى أحد مثلها، وما أحسبكم تعرفونها كنه معرفتها، ولا تحافظون عليها ولا على القيام بها، وأن لها لأهلا خاصة قد سموها وأعطوها بلا حول منهم ولا قوة، إلا ما كان من صنع الله لهم، وسعادة حباهم بها ورحمة ورأفة وتقدم.

قلت: جعلت فداك وما هذا الذى وصفت ولم تسمه؟ قال: زيارة جدى الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فإنه غريب بأرض غربة، يبكيه من زاره، ويحزن له من لم يزره، ويحترق له من لم يشهده، ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجله فى أرض فلاة... قد أوحش قلبه فى الوحدة والبعد عن جده، والمنزل الذى لا يأتیه إلا من امتحن الله قلبه للإيمان وعرفه حقنا... فقال صلوات الله وسلامه عليه: هل تدرى ما فضل من أتاه، وماله عندنا من جزيل الخير؟ فقلت: لا، فقال: أما الفضل فيباهيه ملائكة السماء، وأما ماله عندنا فالترحم عليه كل صباح ومساء، ولقد حدثنى أبى صلوات الله وسلامه عليه: أنه لم يخل مكانه منذ قتل من مصل يصلى عليه من الملائكة، أو من الجن، أو من الإنس، أو من الوحش، وما من شىء إلا وهو يغبط زائرته ويتمسح به، ويرجو فى النظر إليه الخير لنظره إلى قبره(2).

1- كامل الزيارات ص 177.

2- مستدرک الوسائل للميرزا النورى ج 10 ص 251 __ 252.

الرواية التاسعة: عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (كأنى والله بالملائكة قد زاحموا المؤمنين على قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه، قال، قلت: فيتراؤون؟ قال: هيهات هيهات، قد لزموا والله المؤمنين، حتى أنهم ليمسحون وجوههم بأيديهم، قال، وينزل الله على زوار الحسين صلوات الله وسلامه عليه غدوة وعشية من طعام الجنة، وخدامهم الملائكة، لا يسأل الله عبد حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا أعطاهما إياه، قال، قلت: هذه والله الكرامة، قال: يا مفضل أزيدك؟ قلت: نعم سيدي، قال: كأنى بسرير من نور قد وضع، وقد ضربت عليه قبة من ياقوتة حمراء مكللة بالجوهر، وكأنى بالحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما جالس على ذلك السرير، وحوله تسعون ألف قبة خضراء، وكأنى بالمؤمنين يزورونه، ويسلمون عليه، فيقول الله عز وجل لهم: أوليائي سلوني فطالما أوذيتم، وذللتهم، واضطهدتم، فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها لكم، فيكون أكلهم وشربهم من الجنة، فهذا والله الكرامة التي لا انقضاء لها، ولا انتهاها شيء) (1).

الرواية العاشرة: وفي الزيارة ورد: (السلام عليك أيها الإمام الهادي الزكي وعلى أرواح حلت بفنائك وأقامت في جوارك ووفدت مع زوارك السلام عليك منى ما بقيت وبقي الليل والنهار فلقد عظمت بك الرزية) (2).

فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كما مر في هذه الروايات العشر يزوره كل نبي وكل ملك مقرب كما في الرواية الأولى، يزوره ملائكة الليل وملائكة النهار كما في الرواية الثانية، يزوره جبرائيل وميكائيل كل ليلة كما في الرواية الثالثة، وينزل عليه في كل وقت صلاة سبعون ألف ملك لا تصلهم نوبة زيارته صلوات الله وسلامه عليه مرة ثانية إلى

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 98 ص 73.

2- جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى ج 12 ص 418.

يوم القيامة كما فى الرواية الرابعة، وأربعة آلاف ملك ييكونه صلوات الله وسلامه عليه إلى وقت الزوال وأربعة آلاف آخرون ييكونه من الزوال إلى الفجر كما فى الرواية الخامسة، وسبعة آلاف ملك مهمتهم الصلاة على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه حتى يقوم القائم كما فى الرواية السادسة، ويزوره ملائكة الليل والنهار من الحفظة كما فى الرواية السابعة، ولا يخلو مرقد الشريف منذ قتل إلى يوم القيامة من مصلى عليه من الملائكة أو الجن أو الإنس أو الوحوش كما فى الرواية الثامنة، ويزوره المؤمنون ويسلمون عليه كما فى الرواية التاسعة، وتزوره بعض الملائكة الذين يفدون عليه مع زواره من الأحياء كما فى الرواية العاشرة ولعلمهم الكرام الكاتبون الموكلون بكل إنسان مكلف، ولعلمهم صنف آخر قد حجب عنا خبرهم.

فالإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه فى هذا الفقرة من زيارة عاشوراء يغتنم الفرصة ليسلم على من هو موجود فى تلك الساعة من أرواح الأنبياء والرسل والأوصياء والملائكة والمؤمنين من الجن والإنس ممن يكون حلولهم ومكوثهم فى حرم الحسين مؤقتا غير دائم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الأرواح التى أناخت بقبر الإمام أبى عبد الله الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليه

وهى التى استقرت إلى جواره من غير مفارقة، حتى صارت من شدة ملازمتها ومكوثها وبقائها بذلك الفناء كالشئ اللاصق الذى لا يقبل الانفكاك والانفصال. وقد تحدثت متون الزيارات الشريفة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عن عدة أصناف منهم، فمنهم الشهداء الذين قدموا أنفسهم قرابين لنيل مرضاة الله سبحانه وتعالى ورضا إمامهم صلوات الله وسلامه عليه، وقد تمت الإشارة إليهم فى زيارة أخرى بالقول: (السلام عليك وعلى الأرواح التى حلت بفنائك وأناخت بساحتك، وجاهدت فى الله معك، وشرت

نفسها ابتغاء مرضاة الله فيك(1)، السلام على الملائكة المحققين بك(2).

وهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المذكورون في هذه الزيارة الأخرى: (السلام عليكم أيها الأرواح التي حلت بفناء قبر الحسين وأناخت برحله. أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين)(3).

ومنهم الملائكة المذكورون بالقول: (السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا المشهد بإذن الله مقيمون)(4).

ومنهم الملائكة المذكورين بالقول: (السلام على ملائكة الله الذين هم مقيمون في هذا الحائر بإذن ربهم السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحائر يعملون ولأمر الله مسلمون... اللهم إني استشفع إليك بولد حبيبي وبالملائكة الذين يضحون عليه ويكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون وهم من خشيتك مشفقون ومن عذابك حذرون لا تغيرهم الأيام ولا ينهزمون من نواحي الحير يشهقون وسيدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلبون قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ واشتد منهم الحزن بحرقه لا تطفى)(5).

ولعل هنالك ما لا يحصيه إلا الله من أصناف الملائكة من الذين حجب عنا العلم بهم أو لم نستوفهم إحصاءً في بحثنا هذا الذي جاء على عجلة، فجميع هؤلاء الأطهار يشملهم خطاب (وأناخت برحله) فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

-
- 1- المقصود من هذه العبارة هم الشهداء السعداء من أصحاب الحسين وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهم الذين جاهدوا في الله معه، وشروا أنفسهم فيه ابتغاء مرضاة الله.
 - 2- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 65 __ 70.
 - 3- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 98 ص 195 __ 196.
 - 4- المزار للشيخ المفيد ص 104 __ 105.
 - 5- جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج 12 ص 477 __ 486.

عَلَيْكُمْ مِنْ جَمِيعاً سَلامُ اللهِ أَبَداً ما بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة

1: عليكم مني جميعاً

2: سلام الله

3: أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار

المبحث الثالث: في معنى سلام الله سبحانه وتعالى

أولاً: السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى

ثانياً: مراتب إفاضة السلامة على سائر البشر

ثالثاً: سلام الله سبحانه ومرافق لأهل البيت عليهم السلام في جميع العوالم

ألف: سلامتهم عليهم السلام في عالم الأشباح والأنوار

باء: سلامتهم عليهم السلام في عالم الطينة

جيم: سلامتهم عليهم السلام في عالم الأظلة

دال: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الذر

هاء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأصلاب

رابعاً: فائدة الخوض في مثل هذا البحث

ألف: ان معرفة الله حق معرفته متوقف على معرفة الأئمة حق معرفتهم

باء: ان معرفتهم عليهم السلام توجب مضاعفة الحسنات

جيم: ان دخول الجنة متوقف على المعرفة وازديادها يوجب الترقى في درجاتها

عَلَيْكُمْ مِنْ جَمِيعاً سَلَامُ اللَّهِ أَبَداً مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة عدة من المباحث المهمة نستعرضها فيما يأتى من الكلام بحسب ما تتيحه لنا المكنة والتوفيق:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

توجيه السلام من قبل الله سبحانه وتعالى للإمام أبى عبد الله الحسين مما اشتهر على لسان الروايات الشريفة والزيارات التى وردت عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى حق الإمام الشهيد وأهل بيته وأصحابه الذين بذلوا مهجهم دونه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ونحن نورد فيما يأتى جملة من تلك الموارد:

فعن جعفر بن محمد بن قولويه قدس الله روحه قال: (حدثنى محمد بن جعفر الرزاز

الكوفى، عن محمد بن الحسين بن أبى الخطاب، عن عبد الرحمان بن أبى نجران، عن يزيد بن إسحاق شعر، عن الحسن بن عطية، عن أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: إذا دخلت الحائر فقل: اللهم إن هذا مقام أكرمتنى به وشرفتنى به، اللهم فأعطنى فيه رغبتى على حقيقة إيمانى بك وبرسلك، سلام الله عليك يا ابن رسول الله، وسلام ملائكته، فيما تروح وتغتدى به الرائحات الطاهرات لك وعليك(1).

ونقل العلامة المجلسى زيارة أخرى جاء فيها: (تقف على باب قبته الشريفة وتقول: اللهم صل على محمد وآل محمد وأعطنى فى هذا المقام رغبتى على حقيقة إيمانى بك وبرسولك وبولاة أمرك، الحرم حرم الله وحرم رسوله و حرمك يا مولاي... وصلوات الله وبركاته وتحياته عليك وعلى آبائك الطيبين المنتجبين... سلام الله عليك ورحمة الله وبركاته يا ابن سيد العالمين، وعلى المستشهدين معك سلاما متصلا ما اتصل الليل والنهار)(2).

وعن الشهيد الأول فى كتابه المزار قال: (دعاء آخر يستحب أن يدعى به عقب صلاة الزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام. يا الله يا الله يا الله يا الله يا محب دعوة المضطرين ويا كاشف كرب المكروبين ويا غياث المستغيثين ويا صريخ المستصرخين... يا أمير المؤمنين ويا أبا عبد الله عليهما منى سلام الله أبدا ما بقى الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد من زيارتكما ولا فرق الله بينى وبينكما)(3).

وقد تركنا ذكر المزيد من الموارد والشواهد خوف الإطالة والخروج عن المقصود.

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 358.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 98 ص 222 __ 224.

3- المزار للشهيد الأول ص 55 __ 59.

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة

1: عليكم منى جميعا

ضمير الجمع في (عليكم) عائد إلى من مر ذكره في الفقرة السابقة، وهم كل من شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية الأرواح التي حلت بفناء الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وأناخت برحله الطاهر، فيكون قصد الإمام ان هؤلاء جميعا وبلا استثناء عليهم منى سلام الله أبدا ما بقيت وبقى الليل والنهار.

(ومنى) قد يقصد بها الزائر نفسه فتكون الجملة بذلك إنشائية، ويكون الزائر طالبا من الله سبحانه توجيه السلام لشخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وللأرواح التي حلت بفنائه وأناخت برحله.

وقد يكون الضمير راجعا إلى الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه الذي خرجت هذه الزيارة على لسانه، وتكون الجملة بذلك إخبارية، وتكون مخبرة عن وقوع هذا السلام من الله فيما سبق، أو انه قد وقع وما زال مستمرا ما بقى الليل والنهار.

(وجميعا) لفظ دال على الشمول، وفيه إشارة إلى أن سلام الله الموجه في الزيارة شامل للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه وجميع الأرواح التي حلت بفنائه وأناخت برحله.

2: سلام الله

سيأتي لاحقا بحث مفصل حول معنى سلام الله سبحانه ومراتب تحقيقه بالنسبة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية الأرواح التي حلت بفناء الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأناخت برحله.

3: أبدا ما بقيت وبقى الليل والنهار

والأبد لفظ يدل على طول المدة وامتداد زمن الفعل، قال الجوهري: («أبد»): الأبد: الدهر، والجمع آباد وأبود... والأبد أيضا: الدائم(1). وقال الزبيدي في تاج العروس: (الأبد، محرّكة: الدهر مطلقا، وقيل: هو الدهر الطويل الذي ليس بمحدود. ج آباد وأبود... والأبد: الدائم... والأبد القديم الأزلي... قال الراغب في المفردات: الأبد، بالتحريك، عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان وذلك أنه يقال زمان كذا، ولا يقال أبد كذا(2).

فيصبح معنى العبارة (عليكم منى جميعا سلام الله دائما ممتدا ما امتد بقائى وما دام لليل والنهار وجود).

وفى ذلك إشارة إلى أن الزائر فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة يريد أن يمتد سلامه وسلام الله سبحانه على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعلى الأرواح التى حلت بفنائها وأناخت برحله لأبعد مدّة زمنية ممكنة، والتى أشار إلى ثلاثة منها وهى:

ألف: تمام مدة حياة الزائر وهى التى عبرت عنها الفقرة بلفظ (أبدا ما بقيت).

باء: تمام ما يتبقى من عمر الدنيا، وهو ما عبرت عنه الفقرة بـ (وبقى الليل والنهار).

جيم: تمام مدة بقاءه فى البرزخ والقبر، إذ ان عالم القبر والبرزخ مشمول أيضا بنظام الليل والنهار، إما بنفس النظام الموجود فى عالم الدنيا، أو بنظام يتناسب وذلك العالم، وفى قوله تعالى: ((جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا * لَا

1- الصحاح للجوهري ج 2 ص 439 فصل الألف.

2- تاج العروس للزبيدي ج 4 ص 327 فصل الهمزة مع الدال المهملة.

يَسَّ مَعُونَ فِيهَا لَعُونًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا»(1) إشارة واضحة إلى حقيقة ان للبرزخ ليلاً ونهاراً وبكرة وعشيا، فعن علي بن إبراهيم القمي قدس الله روحه في تفسير هذه الآية قال: (حدثني محمد بن جعفر قال حدثني محمد بن أحمد عن يعقوب بن يزيد عن يحيى بن المبارك عن عبد الله بن جبلة عن رجل عن أبي عبد الله صلوات الله عليه: ... قال: ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة والدليل على ذلك قوله: بكرة وعشيا فالبكرة والعشى لا تكون في الآخرة في جنات الخلد وإنما يكون الغدو والعشى في جنات الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين وتطلع فيها الشمس والقمر)(2).

المبحث الثالث: في معنى سلام الله سبحانه وتعالى

إشارة

اختلفت الأقوال في تفسير وتبيان معنى دقيق ومتفق عليه للسلام الإلهي، فمنهم من ذهب إلى ان السلام من الله سبحانه بمعنى هبة السلامة منه لعباده، وفي هذا الصدد يقول الشيخ مكارم الشيرازي: (وفي آية أخرى إشارة واضحة إلى أن السلام هو التحية حيث تقول: فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله ويمكن الاستدلال من هذه الآية على أن عبارة «السلام عليكم» هي في الأصل «سلام الله عليكم» أي ليهبك الله السلامة والأمن)(3).

وذهب بعضهم إلى أن (سلام الله) يعني (أمان الله) قال علي بن إبراهيم القمي في تفسير قوله تعالى ((سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ)) (4): (السلام منه تعالى يعني الأمان)(5).

1- سورة مريم الآية رقم 61 __ 62.

2- تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج 2 ص 52 تفسير سورة مريم.

3- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج 3 ص 366 __ 367.

4- سورة يس الآية رقم 58.

5- تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج 2 ص 216 الجزء 23.

وقال المولى محمد صالح المازندراني: (سلام الله هو الرحمة والسلام من الآفات في الدنيا والمكارة في الآخرة)(1).

وقال السيد فاخر الموسوي: (إن الله يبعث بالسلام لكل إنسان مؤمن حاملا أنواعا من السلامة له في الحياة الدنيا وفي الآخرة مصاحبة له ما دام مصاحبا لمقتضاها وهو الهدى والإيمان قال تعالى: «والسلام على من اتبع الهدى»...)(2).

وقال في مكان آخر: (إن في حياة الإنسان وانتقاله من عالم إلى عالم آخر ثلاثة أيام صعبة: يوم يضع قدمه في هذه الدنيا: «يوم ولد» ويوم موته وانتقاله إلى عالم البرزخ: «ويوم يموت» ويوم بعثه في العالم الآخر الغريب عنه: «ويوم يبعث حيا»، ولما كان من الطبيعي أن تكون هذه الأيام مرافقة للاضطرابات والقلق فإن الله تعالى يكتنف خاصة عباده بسلامة، وعافية ويجعل هؤلاء في ظل حمايته، ومنعته في هذه المراحل المتلازمة الثلاثة، فيحتاج حينئذ إلى فيض السلامة والهدوء والطمأنينة)(3).

وهذه الأقوال وإن كانت جميعها تدرج تحت عنوان السلام والتي أخذت بمجموعها من المعنى اللغوي لكلمة السلام(4)، أو مشتقة من اسم السلام الذي هو احد الأسماء الإلهية الحسنى، وهي صحيحة إلى حد ما، إلا أنها تبقى قاصرة عن تبيان المعنى الحقيقي لسلام الله سبحانه على الأنمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ويمكن لنا فيما يأتي وبلاستفادة من الجمع ما بين المعنى اللغوي والدليل

1- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 11 ص 109.

2- التجلي الأعظم للسيد فاخر الموسوي ص 126 معنى السلام على وجه العموم.

3- المصدر السابق ص 127 معنى السلام في اشد حالات الإنسان.

4- قال ابن منظور في (لسان العرب ج 12 ص 290 __ 291) (والسلام: السلامة. والسلام: الله عز وجل، اسم من أسمائه لسلامته من النقص والعيب والفناء... والسلام في الأصل: السلامة، يقال: سلم يسلم سلا وسلامة، ومنه قيل للجنة: دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات).

الروائي ان نخرج بمعنى جديد لحقيقة السلام الإلهي، يجمع ما بين كل تلك المعاني السابقة وما بين الحقائق الروائية التي بينها أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا المعنى سنتدرج في بيانه ليسهل على القارئ الكريم فهمه واستيعابه.

أولاً: السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى

إشارة

السلام اسم سمي الله به نفسه في محكم كتابه العزيز حيث قال تعالى: ((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) (1)، وعن النبي. انه قال: (السلام اسم من أسماء الله تعالى فأفشوه بينكم فإن الرجل المسلم إذا مر بالقوم فسلم عليهم فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب) (2)، وعن الإمام أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (سلم عمار على رسول الله. وهو في الصلاة فرد عليه ثم قال أبو جعفر صلوات الله وسلامه عليه إن السلام اسم من أسماء الله تعالى) (3).

ويمكن أن نتزع من هذا الاسم المبارك معنيين اثنين وباعتبارين:

المعنى الأول

أن يكون السلام وصفاً لذاته المقدسة ويقصد به (سلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء) (4)، قال ابن منظور: (والسلام: الله عز وجل، اسم من أسمائه لسلامته من النقص والعيب والفناء، حكاه ابن قتيبة، وقيل: معناه أنه سلم

1- سورة الحشر الآية رقم 23.

2- روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص 459.

3- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 1 ص 368 التسليم على المصلي وجوابه.

4- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين احمد بن فارس زكريا ج 3 ص 90 باب السين واللام وما يثلاثهما مادة سلم.

مما يلحق الغير من آفات الغير والفناء، أنه الباقي الدائم الذى تفنى الخلق ولا يفنى، وهو على كل شىء قدير(1).

المعنى الثانى

أن يكون السلام وصفاً لأفعاله سبحانه، بوصفه مصدر السلام بكل ما للسلام من معنى، ومفيض السلامة، ومانح السلامة لعباده ومخلوقاته، وإليها يشير قوله تعالى: ((قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمَتُّعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (2).

والى كلا القسمين يشير الدعاء الذى ورد بصيغ وروايات متعددة عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والقائل: (اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام) (3).

ثانياً: مراتب إفاضة السلامة على سائر البشر

لم يجعل الله سبحانه ألطافه وعطاياه ومواهبه فى دار الدنيا خاصة بالمؤمنين دون غيرهم، ولا بالأولياء عمن سواهم، بل كان فيض عطائه ورحمته شاملاً- لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، ومن يسأله من عباده ومن لم يسأله منهم، صغيرهم وكبيرهم، أبرارهم وفجارهم، وهى ما يطلق عليها فى علم العقائد بالرحمة العامة، أو اللطف العام، وهى التى تمت إليها الإشارة فى قوله تعالى: ((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)) (4)، وأشير إليها فى الدعاء المشهور: (يا من أرجوه لكل خير، وآمن سخطه عند

1- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 290.

2- سورة هود الآية رقم 48.

3- مصباح المتعجد للشيخ الطوسى ص 322 صلاة الهدية.

4- سورة الأعراف الآية رقم 156.

كل شر، يا من يعطى الكثير بالقليل، يا من يعطى من سأله، يا من يعطى من لم يسأله ومن لم يعرفه تحننا منه ورحمة، أعطى بمسألتى إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة، واصرف عنى بمسألتى إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة، فإنه غير منقوص ما أعطيت، وزدنى من فضلك يا كريم(1).

ولكن هنالك رحمة أخرى ولطف ثانٍ أطلق عليه اسم الرحمة الخاصة أو اللطف الخاص، وهى الرحمة التى كتبها الله سبحانه لعباده المؤمنين المخلصين، فمن عدله سبحانه وحكمته انه لم يساوٍ فى مواهبه وعطاياه ورحمته بين المؤمن وغيره، وبين من جحد وكفر وتكبر عن عبادته وبين من آمن وأجاب وافر بوحدانيتها وأطاعه فى أوامره ونواهيه وتكاليفه، لا فى تساوى كلا الصنفين ظلم للمطيع وإجحاف فى حق المؤمن تعالى الله عن هذا الظلم علوا كبيرا، لذلك وتحقيقا للعدل خص الله سبحانه المؤمنين به بمزيد اللطاف ونعم اجتباهم وخصهم بها، وقد أشار الله سبحانه إلى هذه الحقيقة فى آيات كثيرة من كتابه العزيز، كقوله تعالى: ((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)) (2)، وقوله تعالى: ((وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)) (3).

ومن عدله سبحانه أيضا انه لم يساوٍ فى رحمته ولطفه وعطاياه بين المؤمنين أنفسهم، لأنهم ليسوا على مستوى واحد من الإيمان والإخلاص والعبادة والطهارة والكمال، فلا بد والحال هذه ان تكون مراتب فيضه ودرجات رحمته متناسبة مع درجات أولئك المؤمنين، فكلما كان إيمان احدهم وإخلاصه وكماله اشد كانت

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 211

2- سورة الأعراف الآية رقم 156.

3- سورة الأحزاب الآية رقم 43.

الرحمة به أكبر واللفظ عليه أعظم، وهذه الحقيقة هي من الحقائق القرآنية التي تحدثت عنها الآيات المباركة بما لا يدع للباحث أى شك فى ذلك، قال تعالى: ((لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)) (1)، فمع ان الله سبحانه فى هذه الآية قد وعد كل أولئك الحسنى إلا أن أجر المجاهدين على غيرهم من المؤمنين القاعدين يبقى عظيما.

وقال تعالى: ((أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ)) (2)، فتنزيل الأكل على غيره بالألطف والنعم والأجر والكرامة هو من السنن الإلهية وقوانين عالم الإمكان ((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)) (3).

ثم لكون النبى الأكرم. وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أفضل المؤمنين، وسادة المتقين، وهم أكمل من أوجهه الله سبحانه منذ أن خلق آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى آخر يوم من أيام الدنيا، فمن العدل والطبعى أن يميزهم الله سبحانه وتعالى بالألطف وخصائص لا يشاركهم فيها أحد من الإنس والجان حتى أولو العزم من الرسل والأنبياء، بل وحتى الملائكة المقربون الكرام فضلا عن غيرهم من سائر الأنام.

فينبغى وفقا لما مر ان يكون نصيبهم من الرحمة الإلهية أعظم من كل نصيب، ويكون اختصاصهم باللفظ الإلهى أكبر من جميع اختصاصات باقى العالمين،

1- سورة النساء الآية رقم 95.

2- سورة الزمر الآية رقم 9.

3- سورة الأحزاب الآية 62.

بوصفهم الأكمل والأفضل، ومن النعم التي اختصهم الله بها دون العالمين هي نعمة السلام والسلامة التي رافقتهم في جميع العوالم التي سبقت عالم الدنيا وفي عالم الدنيا وما بعده من العوالم كما سنتعرض إلى تفصيل هذا الأمر فيما يأتي من الكلام.

ثالثاً: سلام الله سبحانه مرافق لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في جميع العوالم

ألف: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأشباح والأنوار

إنّ القرآن الكريم والروايات الشريفة أوضحت وبشكل لا يقبل الشك ان عالم الدنيا ليس هو العالم الوحيد الذي كان للإنسان فيه وجود وتحقق، فقد سبقت هذا العالم المادى عوالم أخرى، كما ان هنالك عوالم أخرى تأتي من بعده، وواحد من تلك العوالم التي سبقت عالم الدنيا هو عالم الأنوار والأظلة، والذي كان قبل أن يكون زمان أو مكان أو ارض أو سماء، وقبل أن يخلق ملك أو انس أو جان، وقد صرحت الروايات المستفيضة على ان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن ضمنهم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد أفيض عليه وعليهم الوجود والتحقق في ذلك العالم، وان هذا العالم قد انحصر فيهم ولم يشاركهم فيه احد من الخلق، فسلمهم الله سبحانه من ان يشاركهم في فضلهم هذا مشارك، وسلمهم من أن ينال مرتبتهم هذه نائل، وسلمهم من أن يطمع في كمالهم طامع من الأولين والآخرين، فالسلامة لهم والسلام عليهم متحقق لهم في هذا العالم بهذا المعنى.

واليك بعض الأخبار والأقوال التي تحدثت وأثبتت وجود ذلك العالم وبينت اختصاصهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتقردهم بالوجود فيه:

فعن أبي حمزة قال: سمعت على بن الحسين عليه السلام يقول: (إن الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره

يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدمونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله(1).

وعن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا، في ظلة خضراء، نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذى روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا(2)(3).

وعن معاذ بن جبل: (ان رسول الله قال: إن الله عز وجل خلقني وعليها وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام قلت فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدام العرش نسبح الله تعالى ونحمده ونقدسه ونمجده قلت: على أى مثال؟ قال أشباح نور...)(4).

قال السيد الخميني قدس الله روحه: (فان للإمام عليه السلام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وان من ضروريات مذهبنا أن لائمتنا مقاما لا- يبلغه ملك مقرب ولا- نبى مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة

1- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 531، باب فيما جاء فى الإثنى عشر والنص عليهم السلام، الحديث رقم 6.

2- ولعل المقصود بقوله صلوات الله وسلامه عليه: ثم أنهى علم ذلك إلينا، هو شبيه قوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها).

3- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 441 باب بلد النبى صلى الله عليه وآله ووفاته الحديث رقم 7.

4- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 208 __ 209 الباب 156 العلة التى من اجلها صارت الإمامة فى ولد الحسين دون الحسن عليهما السلام.

عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محققين وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله... (1).

وقد يكون السلام عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من قبل الله سبحانه في هذا العالم هو تطهيرهم وتسليمهم من كل رجس حتى قبل ان يخلق الرجس ليكون تطهيرهم دفعا لا- رفعا، كما نبه عليه السيد على عاشور بقوله: (زمان إذهاب الرجس هو قبل الزمان والمكان، في عالم الأظلة وهم حول العرش يسبحون الله ويقدمونه، فمنذ ذلك الحين تعلقت إرادة الله بإذهاب الرجس عنهم وعدم إمكان حلوله في ساحتهم عليهم السلام. وبعبارة علمية موجزة: إرادة الله عز وجل في مورد دفع الرجس عن أهل البيت عليهم السلام، وليست في مورد رفع الرجس عنهم. والدفع معناه منع المعاصي عن الحلول في ساحة آل محمد عليهم السلام، وتحويطهم بسور نوراني المقتضى لعدم وجوده سابقاً) (2).

هذا غيظ من فيض وقطرة من بحر، وقد تركنا من الأحاديث وأقوال العلماء والمفكرين ما يملأ الخافقين، وعليه فليس لمؤمن مقر بسر آل محمد أن ينكر هذا العالم أو تنفر نفسه عن الإقرار بتفردهم واختصاصهم بالوجود فيه، وان لا يسلك في اعتقاداته سبيل من شدته الدنيا وحبس عقله في سجنها، فأنكر كل ما لا يراه ويسمعه أو يشمه ويتذوقه (3).

1- الحكومة الإسلامية للسيد روح الله الخميني ص 52.

2- طهارة آل محمد عليهم السلام للسيد على عاشور ص 206 __ 207.

3- الإنسان ابن هذه الدنيا المحدودة الضيقة، فلا غرو أن يكون فكر أكبر أهلها محدوداً بحدود المادة ومقتصراً على هذا العالم الضيق الذي هو أدنى العوالم وأضيقها وأقلها شأنًا، لذي نرى أكثرهم معرضين أو متهاونين أو منكرين للمطالب الدينية الدقيقة، والحقائق الغيبية الرفيعة التي أخبرت بوقوعها الشريعة المقدسة، وصرح بإمكانها بل وحدوثها الأنبياء العظام والأوصياء الكرام +، وليس لإنكارهم ذاك مبرر سوى ان تلك الحقائق لا تتناسب وذوقهم المادي ومقاييسهم الدنيوية الضيقة.

باء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الطينة

باء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الطينة(1)

الآيات القرآنية المباركة جاءت صريحة في تبيان أن أصل المادة التي تكون منها الإنسان وخلق هي الطين كما قال تعالى: ((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ)) (2)، وكما في قوله تعالى أيضا: ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)) (3)، وقد تكفلت الروايات الشريفة في توضيح وتفصيل هذا الخلق، وتبيان أن حكمة الله سبحانه تعلقت بإيجاد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من طينة مميزة عن سائر أفراد البشر، وان طينتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يشاركهم فيها أحد حتى الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثم خلق أرواح شيعتهم من فاضل طينتهم، وخلق أعداءهم من طينة أخرى وسيأتي تفصيل الكلام عنها عند استعراضنا لبعض روايات الطينة.

فيكون معنى السلام في مرحلة عالم الطينة هو ان الله سبحانه بحكمته وقدرته سلمهم من ان تتكرر طهارة طينتهم بخبث وظلمانية طينة أعدائهم وشائبيهم فلذا خلقهم من طينة طاهرة طيبة اصطفاهم لهم ليكون فيها مستقر أنوارهم التي اصطفيت من قبل في عالم الأنوار والأشباح، وكذلك سلمهم وعصمهم من ان يشاركهم بهذه المزية أحد من العالمين.

واليك بعض الروايات الشريفة التي توضح بعض تفاصيل عالم الطينة:

1- قال الجوهري في الصحاح (ج 6 ص 2159)، وابن منظور في لسان العرب (ج 13 ص 270) (والطينة: الخلقة والجبلة. يقال: فلان من الطينة الأولى).

2- سورة السجدة الآية رقم 7.

3- سورة المؤمنون الآية رقم 12.

فعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم: الناس، وصار سائر الناس همجاً، للنار وإلى النار)(1).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية: ((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيٍّ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَسِّرُهُ الْمُقَرَّبُونَ)) (2)، وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: ((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ)) (3)(4).

وقد ورد في الزيارة ما يؤيد هذا المعنى فقد أخرج ابن قولويه قدس الله روحه في كامل الزيارات: (ثم تأتي قبر الحسين عليه السلام فتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله... أشهد أنكم كلمة التقوى، وباب الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على من يبقى ومن تحت الشرى.. أشهد أن أرواحكم وطينتكم طينة

1- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 389.

2- سورة المطففين الآية رقم 18 _ 21.

3- سورة المطففين الآية رقم 7 _ 9.

4- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 390.

طيبة، طابت وطهرت هي بعضها من بعض... (1).

وهذا الاختصاص والاصطفاء لطينة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم أو لطينة أعداء أهل البيت ومن سار على نهجهم لا يستلزم الجبر أو نسبة الظلم لذات الباري جل وعلا وقد فصل علماؤنا الأعلام القول في توجيه ذلك بعبارات شتى وأدلة عدة اخترنا منها ما يأتي:

منها ما ذكره المولى محمد صالح المازندراني قدس الله روحه بقوله: (لا يقال هذا الحديث ومثله يرفع الاختيار ويوجب الجبر لأننا نقول: __والله أعلم__ ان الله جل شأنه لما خلق الأرواح كلها قابلة للخير والشر، وعلم أن بعضها يعود إلى الخير المحض وهو الإيمان، وبعضها يعود إلى الشر المحض وهو الكفر، باختيارهما، وأمرها حين كونها مجردات صرفة بأمر كما سيجىء، ووقع معلومه مطابقا لمعلمه، خلق للأول (2) مسكنا وهو البدن من طينة عليين، وخلق للآخر (3) مسكنا من طينة سجين، كما خلق للمؤمن جنة وللكافر نارا، وذلك ليستقر كل واحد فيما يناسبه، ويعود كل جزء إلى كله، وكل فرع إلى أصله، ومن ههنا ظهر أن الخلق من الطينتين تابع للإيمان والكفر، ومسبب عن العمل دون العكس، فلا يستلزم الجبر ولا ينافى الاختيار، ألا ترى أنه تعالى لما علم أن بين النبيين والمؤمنين اتصالا من وجه وانفصالا- من وجه آخر، لأن المؤمنين من طينة النبيين، وخلق أبدانهم من دون ذلك لانحطاط درجاتهم وشرفهم، فوضع كلا في درجته، وانك إذا قررت لعبدك المطيع بيتا شريفا، ولعبدك العاصي بيتا وضيعا، صح ذلك عقلا وشرعا، ولا يصفك عاقل بالظلم والجور، إذ الظلم وضع

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 369 __ 370.

2- وهو الذى ذكره قدس الله روحه بقوله السابق: (وعلم أن بعضها يعود إلى الخير المحض وهو الإيمان).

3- وهو الذى ذكره قدس الله روحه بقوله السابق: (وبعضها يعود إلى الشر المحض وهو الكفر).

الشيء في غير موضعه، فهو إنما يلزم لو انعكس الأمر، أو وقع التساوى، وبما قررنا تبين فساد توهم أن الإيمان والفضل والكمال وأضدادها تابعة لطهارة الطينة وصفاتها، وخبائة الطينة وظلمتها، وهذا التوهم يوجب الجبر وبطلان الشرائع والتأديب والسياسة والوعد والوعيد نعوذ بالله منه(1).

وقال السيد نعمة الله الجزائري: (إن الأرواح لما خلقت قبل الأشباح وورد عليها قلم التكليف في عالم الأظلة، وكانوا بين مطيع وعاص، صارت كل روح من الأرواح مستعدة لان تركب مع قالب يناسبها في الاستعداد والطاعة، فدخلت روح المؤمن في طينة من عليين، وروح الكافر في سبخة من سجين. وأنت إذا أحطت علما بما ألقيناه إليك من هذا الكلام يسهل عليك الجواب عن كثير من الشبه والاعتراضات الواردة فيما يناسب هذا المقام...)(2).

ثم ان زيارة عاشوراء ذكرت في الفقرة التي نحن بصدد شرحها ان سلام الله سبحانه متوجه أيضا للشهداء الكرام الذين استشهدوا بين يدي الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء لانها قالت (عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلامُ اللَّهِ أَبْداً مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) وهذا السلام والسلامة من الله سبحانه في عالم الطينة مثلما شمل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كذلك شمل الشهداء الذين استشهدوا دون الحسين ونصرتهم؛ إذ خلق أرواحهم من فاضل طينة أبدان أئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبهذا اللطف وفقوا لمحبتهم ونصرتهم والدفاع عنهم والقتل في سبيلهم، فسلمهم الله سبحانه من ان يكونوا من طينة أعدائهم فيسلبوا توفيق النصره وحلاوة المحبة التي دفعتهم للوجود بالنفس الذي هو غاية الجود.

1- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 8 ص 5 _ 6.

2- نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ج 1 شرح ص 542.

جيم: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأظلة

الظاهر من الروايات الشريفة ان عالم الأظلة يقع في مرتبة متأخرة عن عالم الطينة، فبنو آدم بعد ان وضعهم الله سبحانه وتعالى في قوالب تتناسب وما سيختارونه في عالم الدنيا، فوضع من سيختار الطيب والخير في طينة طيبة، ومن سيختار الشر والظلمة في طينة خبيثة ظلمانية، بعثهم بعد ذلك في عالم خاص أسمته الروايات الشريفة بعالم الأظلة، وكلفهم وامتحنهم بما يتناسب وذلك العالم، فمنهم من نجح في ذلك التكليف، وهم من صيرت أرواحهم في طينة طيبة، ومنهم من أخفق، وهم من صيرت أرواحهم في طينة خبيثة، فعن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال: (إن الله خلق، فخلق ما أحب مما أحب، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق ما أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم في الظلال. فقلت: وأى شىء الظلال؟ قال: ألم تر إلى ذلك في الشمس شىء وليس بشىء، ثم بعث الله فيهم النبيين يدعونهم إلى الإقرار بالله وهو قوله: ((وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ)) (1)، ثم دعاهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقر بعضهم وأنكر بعضهم، ثم دعاهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض، وهو قوله: ((فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ)) (2) (3).

وفى تفسير العياشى عن زرارة وحمزان، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: (إن الله خلق الخلق وهى أظلة، فأرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وآله فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه، ثم بعثه فى الخلق الآخر فأمن به من كان آمن

1- سورة الزخرف الآية رقم 87.

2- سورة يونس الآية رقم 74.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 436 باب فيه نتف وجوامع من الرواية فى الولاية الحديث رقم 4، وراجع علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 118 الباب 97 علة المعرفة والجحود.

فى الأظلة، وجحد من جحد به يومئذ، فقال: ((فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ)) (1)(2).

وعن أبى بكر الحضرمى، عن حذيفة بن أسيد الغفار قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تكاملت النبوة لنبى فى الأظلة حتى عرضت عليه ولايتى وولاية أهل بيتى، ومثلوا له، فأقروا بطاعتهم وولايتهم) (3).

ووقوع التكليف فى ذلك العالم مما صرح بحدوثه الأجلء من علمائنا الأعلام رضوان الله تعالى عليهم تبعاً لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإقراراً بهذه الروايات المتقدمة وغيرها، منهم المولى محمد صالح المازندراني قدس الله روحه حيث قال: (يفهم من الروايات أن التكليف الأول وهو ما وقع قبل التكليف فى دار الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب متعدد، الأول كان فى عالم الأرواح الصرفة، الثانى كان وقت تخمير الطينة قبل خلق آدم منها، الثالث كان بعد خلق آدم منها حين أخرجهم من صلبه وهم ذر يدبون يمينا وشمالا، وكل من أطاع فى هذه التكاليف الثلاثة فهو يطيع فى تكليف الدنيا، كل من عصى فيها فهو يعصى هنا، وتكليف خامس يقع فى القيامة وهو مختص بالأطفال والمجانين والشيوخ الذين أدركوا النبى وهم لا يعقلون وغيرهم ممن ذكر فى محله) (4).

وقال الفاضل الأسترآبادى قدس الله روحه: (يفهم من الروايات أن التكليف الأول وقع مرتين مرة فى عالم المجرد الصرفة ومرة فى عالم الذر، بأن تعلقت الأرواح فيه بجسد صغير مثل النمل ولما لم يكن تصل أذهان أكثر الناس إلى إدراك الجوهر المجرد عبروا عليهم السلام عن المجردات بالظلال لتفهيم الناس، وقصدهم من ذلك أن

1- سورة يونس الآية رقم 74.

2- تفسير العياشى للعياشى ج 2 ص 126.

3- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 93 باب 8 ما خص الله به الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله من ولاية الأنبياء لهم فى الميثاق وغيره وما اعلموا من ذلك، الحديث رقم 7.

4- شرح أصول الكافى للمولى محمد صالح المازندراني ج 8 ص 15.

موجودات ذلك العالم مجردة عن الكثافة الجسمانية كما أن الظل مجرد عنها فهي شىء وليست كالأشياء المحسوسة الكثيفة وهذا نظير قولهم عليهم السلام فى معرفة الله تعالى: شىء بخلاف الأشياء الممكنة(1).

فىكون سلام الله سبحانه وتعالى لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى هذا العالم هو تسليمهم من أن يكونوا سببا لضلال الناس كما كان أعداؤهم سببا لذلك، وسلمهم من أن يلحق بمرتبتهم لـحق ويطمع فى إدراك منازلهم طامع، حتى صار الخلق كلهم دون أدنى مراتبهم، وحتى صارت نبوة الأنبياء وإيمان من آمن من أممهم مشروطة بالإقرار بولايتهم ومحبتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكذلك يمكن لنا ان نفهم سلام الله سبحانه للشهداء من أصحاب الحسين بمعنى تسليم الله سبحانه لهم من أن يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من إتباع الظالمين، وتسليمهم من إنكار دعوة الأنبياء وعدم الإقرار بولاية النبى الأعظم وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتوفيقهم للإتباع بعد أن عرف الله سبحانه منهم الصدق والإخلاص فى الدفاع والنصرة وبذل الروح فى سبيل إمامهم وسيدهم الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليهما.

دال: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى عالم الذر

وردت الإشارة إلى هذا العالم فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)) (2). وقد تكفلت الروايات الشريفة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتبيان بعض

1- شرح أصول الكافى للمولى محمد صالح المازندراني ج 7 ص 130 _ 131.

2- سورة الأعراف الآية رقم 172.

تفاصيل ذلك العالم وكشف جزء من أسراره، وفيما يأتي بعض تلك الأخبار مع بعض الأقوال لعلماء الطائفة الأعلام رضوان الله تعالى عليهم:

فعن الحسن بن علي بن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: (سألت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه عن قول الله: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى))، قال ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف، سيدكرونه يوماً ما، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه(1).

وعن أحمد بن محمد عن الحسن بن موسى عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم إلى آخر الآية قال: (أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرفهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه ثم قال الست بربكم قالوا بلى وان هذا محمد رسولى وعلى أمير المؤمنين خليفتى وأمينى(2).

وعن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام: (أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأى شىء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إني كنت أول من آمن بربى وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم فكنت أنا أول نبي قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل(3).

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي بصير قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذر؟ قال: جعل

1- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقى ج 1 ص 241.

2- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 91.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 10.

فيهم ما إذا سألهم أجابوه، يعنى فى الميثاق(1).

عن داود الرقى عن أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (ما أراد الله عز وجل أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه ثم قال لهم من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة هؤلاء حملة دينى وعلمى وأمانتى فى خلقى وهم المسؤولون، ثم قيل لبنى آدم أقرؤا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية فقالوا نعم ربنا أقرنا، فقال الله جل جلاله للملائكة اشهدوا، فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا غدا إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنما أشرك أبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، يا داود، الأنبياء مؤكدة عليهم فى الميثاق(2).

وعن على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن ابن مسكان عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله وإذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى قلت معاينة كان هذا قال نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه فمنهم من أقر بلسانه فى الذر ولم يؤمن بقلبه فقال الله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل(3).

وقال المولى محمد صالح المازندراني: (والحق أن الإخراج والإشهاد والإقرار واخذ الميثاق بالمعانى المذكورة كلها واقعة، لأنه تعالى أخرجهم وخاطبهم بقوله

-
- 1- المصدر السابق ص 12 باب كيف أجابوا وهم ذر الحديث رقم 1.
 - 2- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 118.
 - 3- مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي ص 168.

«ألست بربكم» وأجابوا ببلى حقيقة ولا بعد فيه، نظرا إلى قدرته القاهرة، وأنه تعالى جعل فيهم قوة يقدرون بها على المعرفة والتوحيد والنظر في آياته... ثم ان بعضهم بعد الوجود العيني نقضوا الميثاق وأبطلوا تلك القوة والفطرة، وأنكروا ما أقرروا به بلسان تلك القوة بحاضر لذاتهم النفسانية والوساوس الشيطانية(1).

وقال الحر العاملى قدس الله روحه: (وروى الصدوق فى كتبه هذه الأحاديث وأمثالها وكذا الصفار، والبرقى، والحميرى، وغيرهم. أقول: والأحاديث فى ذلك كثيرة جدا قد تجاوزت حد التواتر تزيد على ألف حديث موجودة فى جميع كتب الحديث وربما ينكرها بعض المتكلمين من أصحابنا لدليل ضعيف ظنى غير تام يظهر من الأحاديث جوابه(2).

فتحصّل مما سبق ان عالم الذر هو: العالم الذى أخرج الله سبحانه من ظهر أبينا آدم صلوات الله وسلامه عليه ذريته إلى يوم القيامة، وجعل فيهم من العقل والإدراك ما لو سألهم لأجابوه، فعرفهم نفسه وسأل منهم الإقرار بوحدانيته، فكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أول من أجاب ببلى، ثم تبعه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ثم بقية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فحملهم علمه وكلف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والملائكة بقبول رسالته وولايته ووجب عليهم مودته ومعرفته، فأجابوه سبحانه بالرضا والقبول، وكلف بقية الخلق بذلك، فأقرّ بعضهم بلسانه وآمن بما أقر قلبه، والبعض الآخر أقرّ بلسانه ولم يؤمن بها قلبه، وكل من أقرّ بلسانه وقلبه فى ذلك العالم فانه فى هذا العالم يوفق لولايتهم ومحبتهم واتباعهم، وأما من لم يؤمن بها بقلبه ولم يعقد عليها ضميره، فإنه فى هذا العالم مخالف لهم ولولايتهم.

1- شرح أصول الكافى للمولى محمد صالح المازندراني ج 8 ص 18.

2- الفصول المهمة فى أصول الأئمة للحر العاملى ج 1 ص 424 __ 425.

ويمكن أن نفهم السلام والسلامة من قبل الله سبحانه في عالم الذر لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بمعنى ان الله سبحانه قد منّ عليهم فجعلهم من أهل الإجابة بل من أول من أجاب وافر لله بالوحدانية والهيمنة، وحفظهم من نسيان ذكره وسددهم من التلذذ والتباطؤ في الإقرار والشهادة، وعصمهم من الإنكار أو الإقرار باللسان دون القلب.

ويكون معنى سلام الله سبحانه على الشهداء من أصحاب الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو تسليمهم من إنكار ما عرض عليهم من الإقرار بوجود الله سبحانه ووحدانيته، والإيمان برسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وقبول ولايته وولاية أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومودتهم ونصرتهم، وتسليمهم من الإقرار اللسانى دون القلبى.

هاء : سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأصلاب

ان أول منازل الإنسان ومراحل وجوده في هذا العالم هو منزل الأصلاب، ورعاية الله سبحانه وسلامته مثلما شملت أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل عالم الدنيا، كذلك شملتهم في هذا العالم، فمنذ أن خلق الله سبحانه أبانا آدم صلوات الله وسلامه عليه أودع في صلبه جميع ذريته إلى يوم القيامة، ثم فرق الله سبحانه تلك الذرية في أصلاب أولاده، وفرق ما في صلب أولاده في صلب أولادهم وهكذا إلى يوم القيامة، فوضع سبحانه من يشاء في صلب من يشاء من عباده، وأخرج المؤمن من صلب الكافر، والكافر من صلب المؤمن، وانزل الخبيث من ظهر الطيب، والطيب من ظهر الخبيث، كل ذلك ليبلى بعض عباده ببعض، فيجزى المطيع الصابر، ويعذب الجاحد الكافر.

وكان من حكمته سبحانه ولطفه ورحمته أن اختار واصطفى بعض العباد من أولاد نبي الله آدم عليه السلام وميزهم بفضيلة النقل من صلب طاهر إلى صلب آخر طاهر أو أظهر، ومن رحم طاهر إلى رحم طاهر أو أظهر، فسلمهم في تقلبهم في عالم الأصلاب من دناءة الآباء والأمهات، وعصمهم من كل دنس ورجس يمكن أن يشوب ذلك العالم، وكان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في مقدمة هؤلاء الذين سلمهم الله سبحانه وعصمهم وتقلهم من صلب شامخ إلى رحم طاهر، لم تنجسهم الجاهلية الأولى بأنجاسها ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها، واليك بعض النصوص وأقوال بعض العلماء الأعلام التي تثبت حقيقة ما ذكرنا بلا أدنى شك وشبهة:

منها ما ورد في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك أيها البشير النذير، السلام عليك أيها السراج المنير السلام عليك أيها السفير بين الله وبين خلقه، اشهد يا رسول الله انك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها)(1).

وعن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في وصف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انه قال: (فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر. تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام. كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف. حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا وأعز الأرومات مغرسا. من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتخب منها أمناءه. عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر. نبتت في حرم وبسقت في كرم، لها فروع طوال وثمرة لا تنال. فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى. سراج لمع

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 129 فصل 12 فيما نذكره من زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا اليوم من بعيد المكان وزيارة مولانا على صلوات الله وسلامه عليه عند ضريحه الشريف.

ضوءه. وشهاب سطم نوره(1).

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمدا وعليا. فلم يزالا نورين أولين، إذ لا شيء كونهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهم السلام(2).

وجاء في زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه: (السلام عليك يا أبا عبد الله إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم مصيبتك عند أبيك رسول الله... كنت نورا في الأصلاب الشامخة، ونورا في ظلمات الأرض، ونورا في الهواء، ونورا في السماوات العلى، كنت فيها نورا ساطعا لا يطفى، وأنت الناطق بالهدى(3).

وفي زيارة أخرى: (يا مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين(4).

وعن علي بن أبي حمزة، عن يحيى بن أبي إسحاق، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال: (سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 7 ص 62 من خطبة له عليه السلام يصف فيها حال الأنبياء.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 441 __ 442.

3- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 402 __ 203.

4- مصباح المتعجب للشيخ الطوسي ص 721.

يلتق لى أبوان على سفاح قط، ولم يزل الله عز وجل ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة هاديا مهديا حتى أخذ الله بالنبوة عهدى، وبالإسلام ميثاقى، وبين كل شىء من صفتى، وأثبت فى التوراة والإنجيل ذكرى، ورقى بى إلى سمائه، وشق لى اسما من أسمائه الحسنى، أمتى الحمادون، فذو العرش محمود وأنا محمد(1).

فتبين من كافة أجزاء هذا البحث أن سلام الله سبحانه وتعالى قد رافق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى كافة عوالم وجودهم ومراحل تقلبهم، وقد تركنا الخوض فى عوالم أخرى كسلامتهم فى عالم البرزخ والقيامة والجنة وغيرها خوف الإطالة على القارئ العزيز.

رابعاً: فائدة الخوض فى مثل هذا البحث

إشارة

لا يخفى ان البحث فى مراتب الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفضلهم واصطفائهم فى عوالم ما قبل عالم الحياة الدنيا هو من المباحث التى قلما يتم التعرض لها فى الكتب الحديثة، وانها ولشديد الأسف من المباحث التى تم هجرانها من قبل الباحثين المعاصرين، لذا صارت غريبة على الفهم العامى، وأصبح من يتكلم بهذه المباحث الشريفة والحقائق المنيفة يتكلم بشىء غير مسموع لعامة الناس ولا- مستساغ عند أكثرهم، مع ان هذه المباحث هى مما أشار إليها القرآن الكريم فى كثير من آياته الكريمة، وتناولتها الأحاديث الشريفة عن النبى الأ-عظم وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتفصيل قلما حظيت به الكثير من المواضيع العقائدية أو الغيبية الأخرى.

وهو أيضا مما فصل العلماء الأعلام القول به قديما، فعقدوا له فصولا وأبوابا فى كتب الرواية والحديث، ويندر أن ترى فى أصول كتب السابقين من الأعلام

رضوان الله تعالى عليهم تجاهلاً لهذه المباحث الشريفة(1).

فهذا التجاهل من الكتاب والمفكرين المعاصرين لهذه الحقائق القرآنية والروائية أقل ما يمكن ان يقال عنه هو تجاهل وتنكر واضح لحقيقة من حقائق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وإغضاء للطرف عن مقام من مقاماتهم ومنزلة من منازلهم التي أنزلهم الله سبحانه فيها، هذا إن لم نقل انه مشاركة من قبلهم مع من أشارت إليه الزيارة بقولها: (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا) لان ترك مثل هذه المباحث السامية إلى أن تندثر يعد مشاركة ولو من حيث لا يقصد في ذلك المخطط السام الذي كان ولا يزال قائماً لهدم مقامات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ودفعهم عن تلك المراتب التي هي حقهم الطبيعي الممنوح من قبل الله سبحانه.

ولزيادة الفائدة وتنوير الأذهان الغافلة والقلوب الشاكرة أردنا اختتام هذا

1- فراجع على سبيل المثال كتاب المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي في كتاب الصفوة والنور والرحمة باب ما خلق الله المؤمن من نوره، وباب خلق المؤمن من عليين، وباب خلق المؤمن من طينة الأنبياء، وباب خلق المؤمن من طينة الجنان، وباب خلق المؤمن من طينة مخزونة، وباب الميثاق، وباب اختلاط الطينتين، وباب خلق المؤمن، وراجع أيضا كتاب بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار في الباب التاسع باب خلق أبدان الأئمة وقلوبهم، والباب العاشر في خلق أبدان الأئمة وفي خلق أرواحهم وشيعتهم، وأورد الكثير من هذه الأحاديث في الباب الثاني عشر أيضا، وكذلك في الباب السادس عشر، وراجع أيضا كتاب الكافي للشيخ الكليني ج 1 باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام، وباب فيما جاء ان حديثهم صعب مستصعب وغيره، وفي ج 2 كتاب الإيمان والكفر باب طينة المؤمن والكافر، والباب الذي يأتي هذا الباب، وكذلك الباب الذي يأتي هذين البابين، وراجع أيضا علل الشرائع للشيخ الصدوق الباب الأول العلة التي من اجلها سميت السماء والدنيا والآخرة وآدم وحواء، والباب 77 العلة من خروج المؤمن من الكافر وخروج الكافر من المؤمن، والباب 96 علة الطباع والشهوات، والباب 97 علة المعرفة والجحود، والباب 240 العلة التي من اجلها قد يرتكب المؤمن المحارم ويعمل الكافر الحسنات، وغير ذلك الكثير الكثير.

المبحث ببعض الفوائد المختصرة توضح وبشكل جلي فائدة الخوض في مثل هذه الأبحاث، وذلك لان كثيرا من الجاهلين يأنفون من الخوض في مثل هذه الحقائق ومعرفة وسماع مثل هذه المناقب بحجة أن لا فائدة ترجى من الخوض فيها والبحث عنها، وهذا كله من تسويلات الشيطان الرجيم الذى يريد أن يحرم ابن آدم من المعرفة التى بها يتكامل إيمانه ويتعظم أجر أعماله كما سنعرف ذلك فيما يأتى:

ألف: ان معرفة الله حق معرفته متوقف على معرفة الأئمة حق معرفتهم

عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن على عن الحسين بن سعيد عن على بن الصلت عن الحكم وإسماعيل عن بريد قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (بنا عبد الله وبنا عرف الله وبنا وعد الله ومحمد صلى الله عليه وآله حجاب الله) (1).

وعن على بن جعفر عن أخيه قال: قال أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (إن الله خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا فجعلنا خزانة فى سماواته وأرضه ولولانا ما عرف الله) (2).

عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبى المقدام، عن جابر قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت ومن لا يعرف الله عز وجل و [لا] يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا) (3).

عن أبى بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الأوصياء هم أبواب الله عز

1- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 84.

2- المصدر السابق ص 125.

3- الكافى للشيخ الكلينى ج 1 ص 181.

وجل التي يؤتى منها ولولا هم ما عرف الله عز وجل وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه(1).

وقال المولى المازندراني في شرح هذا الحديث الأخير ما نصه: (قوله: «الأوصياء هم أبواب الله تعالى» أى أبواب جنته أو أبواب علمه كما قال «أنا مدينة العلم وعلى بابها، والبيوت إنما تؤتى من أبوابها» ومراده أن من طلب العلم والحكمة وأسرار الشريعة والتقرب إلى الله فليرجع إلى الأوصياء وليأت البيوت من أبوابها وليتق الله فان من أتاه من غير بابها سمى سارقاً.

قوله: «ولولا هم ما عرف الله» لأن عظمته أرفع من أن يصل إليه كل طالب، ورفعته أجل من أن ينظر إليه كل شاهد وغائب، وصراطه أدق من أن يتطرق إليه قدم الأوهام، وشرعه أشرف من أن يقبل مخترعات الأفهام، فلولا هداية الأوصياء وإرشاد الأولياء لبقوا متحيرين فى تيه الجهالة وراقدين فى مرقد الضلالة كما ترى من أعرض عن التوسل بهدايتهم والتمسك بذيول عصمتهم فإن بعضهم يقول بالتجسيم وبعضهم يقول بالتصوير وبعضهم يقول بالتحديد وبعضهم يقول بالتخطيط وبعضهم يقول إنه محل للصفات وبعضهم يقول بأنه قابل للحركة والانتقال إلى غير ذلك من المذاهب الباطلة وبالله العصمة والتوفيق(2).

وجاء عن بعض المحققين ما يؤيد هذه الروايات الشريفة حيث قال: (...كل حكمة وعلم من الحق صدرت فمن طريقهم إلى الخلق وصلت، وكل رحمة من الله انتشرت فيهم انتشرت، وكل عناية منه على الخلائق وقعت فبسببهم تحققت، لأنهم عيبة علمه، ومعدن حكمته، وسبب خيره، ووسائل فيضه، ويده الباسطة، وعينه

1- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 193.

2- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 5 ص 175.

الناظرة، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق، والمخلوقون من نوره، والمؤيدون بروحه وبهم يقضى فى الخلق قضيته، وإليهم تهبط فى مقادير أموره إرادته. بلى، بلى، أيها السالك سبيل الحكمة والطالب بالعرفان طريق السعادة، إليهم، إليهم فإن عندهم الحكمة، واتباعهم تحصل السعادة، وبهم عرف الله وبهم عبد الله(1).

وقال العلامة المجلسى: (بيان: قوله: وبنا عبد الله، أى نحن علمنا الناس طريق عبادة الله، أو نحن عبدنا الله حق عبادته بحسب الإمكان، أو بولايتنا عبد الله فإنها أعظم العبادات، أو بولايتنا صحت العبادات فإنها من أعظم شرائطها. قوله: ولولانا ما عرف الله، أى لم يعرفه غيرنا، أو نحن عرفناه الناس، أو بجلالتنا وعلمنا وفضلنا عرفوا جلاله قدر الله وعظم شأنه)(2).

وقال السيد على خان المدنى الشيرازى: (وفى استعارة لفظ الباب إشعار بأنه لا مدخل يتوصل به إليه سبحانه سوى من جعله بابا للوصول إليه إذ لا يدخل إلى الدار ولا يتوصل إليها إلا من بابها، فمن ظن أنه يتوصل إليه سبحانه من غير هذه الأبواب فقد ظن باطلا وأخطأ سهمه الثغرة وضل سواء السبيل)(3).

إذن فعبادة الله حق عبادته ومعرفته تعالى حق معرفته لا تتأتى لأحد من العالمين إلا عن طريق القبول عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنهم الباب الذى يدخل منه إلى التوحيد الصادق غير المشوب بالباطل، ولأنهم الوجهة الصحيحة التى يتوجه إليها طالبو الهداية إلى الله سبحانه ودينه وأحكامه، وإن من اخذ بيد غيرهم، واتخذ غير

1- التوحيد للشيخ الصدوق ص 5 كلمات حول الكتاب.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 26 ص 247.

3- رياض السالكين فى شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام للسيد على خان المدنى الشيرازى ج 7 شرح ص 25.

وجهتهم، ضل سواء السبيل.

وهذا القبول عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يتم من دون معرفتهم، لان السائر على الطريق من دون معرفة بالطريق لا يزيده كثرة المسير إلا جهلا وتخبطا، بل وربما يحدد عن الطريق وتزل قدمه وينجرف في غير طريقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من دون أن يعرف، كما حصل للكثيرين، وذلك لان أهل البيت هم بوصلة الهداية الإلهية فمن لا يعرف البوصلة كيف له أن يسير سيرا مستقيما سليما.

أما السائر على طريقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عارفا بحقهم وكمالاتهم ومراتب فضائلهم ومنزلهم التي اصطفاهم الله سبحانه ووضعهم فيها لا يزيده كثرة المسير إلا ترقيا في سلم الكمالات، وبصيرة بكل ما يحيط بدرج غيرهم من الظلمات المتراكم بعضها فوق بعض ((أَوْ كُظِّلِمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)) (1).

وما ورد على لسان الروايات من التعبير عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالأسماء الحسنى دال على هذه الحقيقة فعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)) (2) قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا (3) ومعلوم ان معرفة الصفات الإلهية واجبة على كل مكلف فكذلك معرفتهم، ومعرفة الصفات الإلهية يتوقف عليها معرفة الله سبحانه حق معرفته، وكذلك هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأنهم مرآة الصفات الإلهية، بل هم تجسيد لها في عالم الإمكان.

1- سورة النور الآية رقم 40.

2- سورة الأعراف الآية رقم 180.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 143 _ 144.

باء: ان معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجب مضاعفة الحسنات

عن الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال: (نحن قوم لا نعطي المعروف إلا على قدر المعرفة)⁽¹⁾ فإذا عرفنا أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ميزان الله سبحانه وتعالى في الأرض، وهم أسماؤه الحسنى، فيكون قانون إعطائهم للمعروف على قدر المعرفة هو قانوناً الهيئاً ومنهجاً ربانياً يتعامل به الله سبحانه مع عباده كما يتعامل به أولياؤه مع بقية خلقه، فيكون المؤمن الأكثر معرفة بالله وصفاته وبأهل البيت وصفاتهم ومنازلهم وفضائلهم هو الأحق بزيادة المعروف، وواحدة من وجوه المعروف هي الثواب الذى يجزى به المؤمن العارف، والعكس بالعكس.

واختلاف الدرجات فى العطاء والثواب والجزاء الإلهى من مؤمن لآخر هو حقيقة قرآنية أوضححتها نصوص الكتاب العزيز منها قوله تعالى ((الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ))⁽²⁾.

وواحدة من أهم أسباب التفضيل ورفع الدرجات هى الإيمان والعلم كما قال تعالى: ((يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))⁽³⁾. وأشرف العلوم على الإطلاق هو علم التوحيد ومعرفة الخالق جل وعلا، وقد علمت ان هذا العلم لا يأتى بنتائجه الرفيعة العظيمة من دون أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن أهم مقدمات الوصول إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هى معرفتهم ومعرفة منازلهم وفضائلهم ومراتبهم التى رتبهم الله فيها، حتى يُخرج الإنسان هؤلاء الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن حدى الغلو والتقصير.

1- نهج السعادة للشيخ المحمودى ج 8 ص 286.

2- سورة الإسراء الآية رقم 24.

3- سورة المجادلة الآية رقم 11.

وبناءً على ما تقدم يصبح العلم والمعرفة بمنازل ومراتب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مقدمة لكل خير، وفتحة لكل فضل، وزيادة لكل كمال، وبه يرفع الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات درجات كل بحسب سعة معرفته وشدة يقينه وإيمانه وتسليمه بتلك المنازل والصفات.

وقد جاء تصديق كل ذلك على لسان الروايات الشريفة، نختار منها ما يتناسب مع المقام، فمنها ما عن المفضل أنه دخل على مولانا الصادق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقال له: (يا مفضل هل عرفت محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيدي وما كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضل من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمناً في السنام الأعلى. قال: قلت: عرفني ذلك يا سيدي. قال: يا مفضل تعلم أنهم علموا ما خلق الله عز وجل وذراه وبراه وأنهم كلمة التقوى وخزان السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار وأنهارها وعيونها، وما تسقط من ورقة إلا علموها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وهو في علمهم، وقد علموا ذلك. فقلت: يا سيدي قد علمت ذلك وأقررت به وآمنت. قال: نعم يا مفضل، نعم يا مكرم، نعم يا محبور، نعم يا طيب، طبت وطابت لك الجنة، ولكل مؤمن بها(1).

وروى البنزطي قال: (قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام بخطه: أبلغ شيعتي أن زيارتي تعدل عند الله ألف حجة وألف عمرة متقبلة كلها، قال __ يعني البنزطي __: قلت لأبي جعفر ألف حجة؟ قال: أي والله وألف ألف حجة لمن يزوره عارفاً(2). وفيه دلالة قطعية على ان المعرفة تضاعف الحسنات وتجعل الحجة بألف

1- مستدرک سفینه البحار للشیخ علی النمازی الشاهرودی ج 7 ص 180 __ 182.

2- الدروس للشهید الأول ج 2 ص 14 کتاب المزار ثواب زیارة النبی والأئمة علیهم السلام.

حجة، وترفع الدرجات بألف مثلها، وكلما ازداد المؤمن بأئتمته معرفة ازداد كمالا وتألفت درجاته في جنات النعيم، والعكس صحيح فكلما ازداد الإنسان عن أهل البيت بعدا ولفضائلهم إنكارا ولأشخاصهم المقدسة حربا ازداد من الله بعدا، وتسافل منزله ومأواه ومستقره في جهنم ودركاتها.

جيم: ان دخول الجنة متوقف على المعرفة وازديادها يوجب الترقى في درجاتها

دلت الآثار المستفيضة على أن معرفة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجب دخول الجنة، وان معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على النحو اللائق بهم يجر على المؤمن الخير الوافر الكثير، وواحدة من أهم هذه الخيرات والنعم هو تغيير الشقاوة والذنوب إلى غفران وسعادة، فعن جعفر بن محمد بن قولويه عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (قلت له: ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام زائرا عارفا بحقه غير مستكبر ولا مستتكف، قال: يكتب له ألف حجة وألف عمرة مبرورة، وإن كان شقيا كتب سعيدا ولم يزل يخوض في رحمة الله عز وجل)(1).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سألته عن قوله وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال نحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منا ومن كان منا كان في الجنة ومن أنكرناه في النار)(2).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: في الجنة ثلاث درجات، وفي النار ثلاث دركات، فأعلى درجات الجنة لمن أحبنا بقلبه ونصرنا بلسانه ويده، وفي الدرجة الثانية من أحبنا

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 307 الباب 67 في ان زيارة الحسين عليه السلام تعدل عتق الرقاب.

2- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 519.

بقلبه ونصرنا بلسانه، وفي الدرجة الثالثة من أحبنا بقلبه، وفي أسفل درك من النار من أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه و يده، وفي الدرك الثانية من النار من أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه، وفي الدرك الثالثة من النار من أبغضنا بقلبه(1).

وقد عد الشيخ الصدوق كون المعرفة شرطاً لدخول الجنة من اعتقادات الإمامية حيث قال في باب الاعتقاد في الأعراف: (اعتقادنا في الأعراف أنه سور بين الجنة والنار، عليه رجال يعرفون كلا بسيماهم والرجال هم النبي وأوصياؤه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه)(2).

فإذا ثبت ان دخول الجنة لا يكون إلا بمعرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان معرفة حقهم توجب مضاعفة ثواب الأعمال فتصير زيارة واحدة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه تعدل عند الله ثواب ألف حجة وألف عمرة، وتغير مصير الإنسان وقدره من شقى إلى سعيد، فمن الطبيعي بعد هذا التوضيح ان تصبح درجات المؤمنين في الجنة متفاوتة بتفاوت معرفتهم بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومتغايرة بتغاير سعة تلك المعرفة ورسوخها في القلب والعقل، وذلك لبداية ان درجات المعرفة تختلف من مؤمن إلى آخر، فيجب ووفقاً للعدل الإلهي أن تتغاير درجاتهم بتغاير معرفتهم، وتتفاوت منازلهم بتفاوت إحاطتهم بأسرار مقامات ومنازل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فليس من يعرف الاسم والكنية كمن يعرف منازلهم ومراتبهم وشؤونهم وأسرارهم، وليست معرفة أحد عوام هذه الأمة كمعرفة سلمان الفارسي أو غيره من أعظم وأجلاء أصحاب الأئمة +، فمن العدل إذن أن

1- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج 1 ص 153.

2- الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص 70.

تختلف الدرجات باختلاف مراتب المعرفة، ومن العدل أيضا أن يتعاضم الثواب ويزيد الأجر باختلاف العقول والمدارك التي تؤدي إلى زيادة المعرفة، ومن الظلم ان يتساوى العالم والجاهل، ومن الظلم أن يشترك سلمان العارف بأهل البيت حق معرفتهم مع إنسان لا يفقه من أهل البيت إلا أسماءهم ولا يقر لهم بمنزلة إلا بان زيارتهم تقضى له الحاجات.

نسأل الله سبحانه وتعالى زيادة معرفتهم وقوة اليقين بمراتبهم وشدة البصيرة بمنازلهم والارتقاء في درجات الجنان ببركة رضاهم ورضا الله سبحانه وتعالى انه أرحم الراحمين.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

2: لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ

3: وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ

4: بِكَ عَلَيْنَا

5: وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

المبحث الثالث: أهل الإسلام ومراتب تحقق وصفهم بالإسلام

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام الظاهري

المرتبة الثانية: مرتبة الإسلام بشرط الولاية

المرتبة الثالثة: مرتبة إسلام الأنبياء والأوصياء

مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتأثيرها في هذه المراتب الثلاث

المبحث الرابع: شواهد روائية تعكس عظم ما وقع في عاشوراء

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

وفى هذه الفقرة المباركة من الزيارة عدة من المباحث نستعرضها فيما يأتي من الكلام:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

ورد في متون الزيارات الشريفة وجملة من روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وصف مصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالمصيبة العظيمة والرزية الجليلة ونحن فيما يأتي نختار جملة من تلك الموارد، مع الأخذ بنظر الاعتبار الاقتصار على بعضها وعدم استقصاء كل ما ذكر في متون الزيارات الشريفة، ومن هذه الموارد ما يأتي:

منها ما رواه الشيخ الطوسي قدس الله روحه عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاة بن صفوان بن مهران الجمال عن أبيه عن جده صفوان قال: (استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام، فسألته أن يعرفني ما أعمل عليه، فقال: يا صفوان: صم ثلاثة أيام قبل خروجك واغتسل في اليوم الثالث... ثم تأتي باب القبة وقف من حيث يأتي الرأس، وقل: السلام عليك يا وارث آدم صفوة

الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله... بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله لقد عظمت الرزية وجلت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض... (1).

ومنها ما ذكره محمد بن المشهدى قدس الله روحه في كتابه المزار حيث قال: (زيارة أبي عبد الله عليه السلام في يوم عرفة ومن لم يمكنه حضور الموقف للحج وقدر على إتيان قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة فليحضر... ثم انكب على القبر وقبله وقل: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، لقد عظمت الرزية وجلت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض... (2).

ومنها ما ذكره السيد ابن طاوس قدس الله روحه في إقبال الأعمال: (إذا كنت بمشهد الحسين عليه السلام في يوم عرفة، فاغتسل غسل الزيارة والبس أطهر ثيابك وطهر عقلك وقلبك مما يقتضى الإبعاد بعقابك وعتابك، لتكون طاهرا من الأدناس، فيصح لك أن تقف بباب طاهر من الأرجاس، واقصد مقدس حضرته وقف على باب حرمة وكبر الله تعالى وقل: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا... السلام عليك يا صريع العبرة الساكبة، وقرين المصيبة الراتبة، لعن الله أمة استحلحت منك المحارم، فقتلت صلى الله عليك مقهورا، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله بك موتورا، وأصبح دين الله لفقدك مهجورا... بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، لقد عظمت الرزية، وجلت المصيبة بك علينا، وعلى جميع أهل السماوات والأرض... (3).

وستأتى أحاديث أخرى تؤيد هذا المعنى.

1- مصباح المتعبد للشيخ الطوسي ص 717 __ 721.

2- المزار لمحمد بن المشهدى ص 462 __ 464، وكذلك راجع كتاب المزار للشهيد الأول ص 125 __ 126.

3- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 2 ص 62 __ 64 فصل 18: فيما ذكره من لفظ الزيارة المختصة بالحسين عليه السلام يوم عرفة.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

قد ذكرنا في الفقرة الأولى من فقرات هذه الزيارة الشريفة تفصيل الكلام عن سبب إطلاق كنية أبي عبد الله في هذه الزيارة دون غيرها من الكنى، وعن المداليل التي يحتويها هذا الإطلاق فراجع.

2: لَقَدْ عَظَمَتِ الرَّزِيَّةُ

لقد: قد وردت معانٍ عدة للحرف (قد) فصلها صاحب كتاب الجنى الدانى فى حروف المعانى(1) وغيره، والظاهر ان (قد) هنا بمعنى التحقق وهى شبيهة بقوله تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)) (2) أى ان الفلاح واقع ومتحقق للمؤمنين، فيكون معنى هذه الفقرة من الزيارة (ان عظم الرزية وجلل المصيبة بالحسين صلوات الله وسلامه عليه واقع ومتحقق علينا وعلى جميع أهل الإسلام).

عظمت: بمعنى كبرت واشتدت وفضعت، قال الفراهيدى: (والعظم: مصدر الشىء العظيم... وسمعت خبرا فأعظمته أى: عظم فى عينى. ورأيت شيئا فاستعظمته... والعظم: جل الشىء وأكثره... والعظيمة: الملمة النازلة الفطية) (3).

وقال الجوهري: (عظم الشىء عظما: كبر، فهو عظيم. والعظام بالضم مثله... والعظيمة والمعظمة: النازلة الشديدة) (4).

1- راجع الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المروريد ص 253 _ 259.

2- سورة المؤمنون الآية رقم 1.

3- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 2 ص 91 _ 92.

4- الصحاح للجوهري ج 5 ص 1987 _ 1988.

وقال ابن منظور: (والعظيمة والمعظمة: النازلة الشديدة والملمة إذا أعضلت) (1).

الرزية: وهى المصيبة بفقد خيار الأعزة، قال ابن منظور: (والرزء: المصيبة... والمرزئة والرزينة: المصيبة، والجمع أرزاء ورزايا. وقد رزأته رزينة أى أصابته مصيبة. وقد أصابه رزء عظيم... والرزء: المصيبة بفقد الأعزة) (2).

قال الفراهيدى: (وقوم مرزؤون، وهم الذين تصيبهم الرزايا فى أموالهم وخيارهم) (3).

وربما كان معنى الرزية هى الفجعة الموجعة، لان الفجعة هى: (الرزية. وقد فجعته المصيبة، أى أوجعته. وكذلك التفجيع. ونزلت بفلان فاجعة. وتفجعت له، أى توجعت) (4).

وقال ابن منظور: (الفجعة: الرزية الموجعة بما يكرم... وفجعته المصيبة أى أوجعته. والفواجع: المصائب المؤلمة التى تفجع الإنسان بما يعز عليه من مال أو حميم) (5).

3: وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ

جلت: الجلل والجليل وصف يوصف به الأمر العظيم، قال ابن منظور: (والجليل: من صفات الله تقديس وتعالى، وقد يوصف به الأمر العظيم... والجلل:

1- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 411.

2- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 86.

3- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 7 ص 382 __ 383.

4- الصحاح للجوهري ج 3 ص 1256.

5- لسان العرب لابن منظور ج 8 ص 245.

الأمر العظيم(1).

المصيبة: وهي كما عبر عنها ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: (مصيبة، ومصوبة، ومصابة، والجمع مصائب، ومصاوب. وهو الأمر المكروه ينزل بالإنسان)(2)، وكذا قال ابن منظور(3)، والشيخ الطريحي(4).

أو هي النائبة لأنهم عرفوا النائبة بقولهم: (والنائبة، المصيبة، واحدة نوابب الدهر)(5).

أو هي النكبة لأنهم عرفوا النكبة بقولهم: (والنكبة: المصيبة من مصائب الدهر، وإحدى نكباته، نعوذ بالله منها)(6).

أو أن المصيبة مرادفة للرزية وقد تقدم إن إحدى تعاريف الرزية هي المصيبة.

4: بَكَ عَلَيْنَا

بك: (الباء) حرف استعمال في معانٍ شتى(7)، وقد استعمل هنا بمعنى السببية أو التعليل، قال ابن مالك: (هي التي تصلح غالباً في موضعها اللام)(8) وهو شبيه قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ)) (9) أى بسبب

- 1- لسان العرب لابن منظور: ج 11، ص 116 __ 118.
- 2- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج 3 ص 57.
- 3- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 536.
- 4- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 2 ص 642.
- 5- الصحاح للجوهري ج 1 ص 229.
- 6- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 772 __ 773.
- 7- راجع الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المرواريد ص 36 __ 56.
- 8- المصدر السابق ص 39.
- 9- سورة البقرة الآية رقم 54.

إتخاذكم العجل.

و(الكاف) ضمير متصل يرجع إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيكون المعنى هو (ان علة عظمة الرزية وسبب جلاله المصيبة علينا هو أنت يا أبا عبد الله) أو (لك وبسببك يا أبا عبد الله عظمت علينا الرزية وجلت المصيبة).

علينا: وضمير الجمع (نا) إما يقصد الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه منه نفسه المقدسة، لأنه هو من أخرج هذه الزيارة الشريفة للوجود، أو المقصود منها جميع الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين سبقوا الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه مع شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والسيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهما، لان الزيارة منقولة كما عرفنا في بداية الكتاب عن الإمام الباقر عن آبائه عن جبرائيل عن الله سبحانه، أو يكون المقصود كل من تقدم إضافة إلى شيعتهم وأصحابهم والزائرين لقبره صلوات الله وسلامه عليه، لان الجميع يصدق عليه أن الرزية عمته والمصيبة قد شملته.

5: وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

وعلى جميع: جميع بمعنى كل، فتقول جاءوا جميعا، أى كلهم، وجميع أهل الإسلام أى كلهم.

أهل الإسلام: الأفراد المنتمون إلى دين الإسلام أو من يدين من الناس بدين الإسلام.

قال الفراهيدي: (وأهل الإسلام من يدين به) [\(1\)](#) وهو المعنى الظاهري، وستأتى معانٍ أخرى فى بحث سنفرده لها.

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج4 ص89 باب الهاء واللام.

المبحث الثالث: أهل الإسلام ومراتب تحقق وصفهم بالإسلام

إشارة

ذكرت الزيارة الشريفة ان مصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه ورزقته قد عظمت وجلت على جميع أهل الإسلام، ويمكن لنا وبملاحظة الآيات الكريمة والروايات الشريفة أن نجد ثلاث مراتب، أو ثلاثة مصاديق لأهل الإسلام ومن خلال معرفة هذه المراتب الثلاث نستطيع ان نعرف مع أى من تلك الأقسام ينسجم كلام الإمام صلوات الله وسلامه عليه ومع أى منها لا ينسجم، وبعبارة أخرى إننا وبمعرفة تلك الأقسام الثلاثة نستطيع أن نحدد وبدقة مراد الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه ومقصده من قوله (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ) وهذه المراتب الثلاث هي:

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام الظاهري

وركيزة هذه المرتبة شهادة أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله، وتشمل كلاً من:

ألف: من يتشهد الشهادتين بلسانه من دون الإيمان والإقرار القلبي بها وبلوازمها، ويدخل في هذا القسم المنافقون وكثير من التيارات السياسية والعلمانية وغيرهم، ممن يتخذ الإسلام شعاراً يتصيد به السذج والمغفلين.

باء: من تشهد الشهادتين بلسانه واعتقدها بقلبه، ولكن من دون الإقرار اللساني أو القلبي بمبدأ ولاية وإمامة الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذ ان ولايتهم وإمامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ركيزة مهمة لا تقل أهمية عن الركيزتين السابقتين — التوحيد والنبوة —.

جيم: من يتشهد بالشهادتين بلسانه ويعتقدها بقلبه، ويشهد للأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالولاية والإمامة بلسانه دون الاعتقاد بها أو بلوازها في قلبه، فمثل هذا الصنف من الناس إن وجد فهو وإن كان محسوبا على أهل الإيمان في الظاهر إلا انه عند الله يعامل معاملة القسم الثاني من أقسام أهل الإسلام الظاهري، فلا ينتفع بولايته ولا يترقى مثل ما يترقى غيره من أتباع الأئمة عليهم السلام وأوليائهم.

وبهذه المرتبة الظاهرية من الإسلام حققت الدماء وأديت الأمانات وصحت المناكح والعقود وبقية التعاملات الدنيوية الظاهرية، فعن القاسم شريك المفضل قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام الصادق صلوات الله وسلامه عليه يقول: (الإسلام يحقن به الدم وتؤدى به الأمانة وتستحل به الفروج، والثواب على الإيمان)(1).

وقد فسر الإمام الصادق معنى أهل الإسلام في قوله المنقول عن محمد بن الحسن الصفار عن علي بن محمد القاساني عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وسئل عن قسم بيت المال فقال: أهل الإسلام هم أبناء الإسلام أسوى بينهم في العطاء وفضائلهم بينهم وبين الله أجملهم كبنى رجل واحد لا يفضل أحدا منهم...)(2).

إذن فجميعهم سواء من حيث التعامل الدنيوي الظاهري ولهم حقوقهم كاملة في دار الدنيا، والفرق ما بينهم وبين القسم اللاحق هو في ثوابهم عند الله سبحانه، فمنازل الآخرة كما ثبت في محله مشروطة بالإيمان بولاية وإمامة الأئمة الأطهار، ومن لم يأت بالشرط لا ينال المشروط الذي هو الثواب والجنة.

1- الكافي للشيخ الكليني: ج 2، ص 25، ح 6.

2- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج 6 ص 146 باب كيفية قسمة الغنائم.

المرتبة الثانية: مرتبة الإسلام بشرط الولاية

وهذه المرتبة أخص من السابقة حيث اخذ فيها إضافة إلى شرط الشهادتين بالربوبية والنبوة شرط ثالث هو شرط الإقرار اللسانى والقلبى بإمامة وولاية الأئمة الطاهرين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمكن أن يدخل تحت هذه المرتبة كل من:

ألف: من يقر بالتوحيد والنبوة والإمامة بلسانه وقلبه ولكنه لا يعتقد بإمامة جميع الأئمة الاثنى عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كالزيدية الذين لا يعتقدون إلا بإمامة أربعة من أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وينكرون إمامة الباقين، وكمثل الواقفية الذين وقفوا على إمامة الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه، وكبعض الذين يعتقدون بإمامة أحد عشر إماماً من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وينكرون إمامة الإمام المهدي عليه السلام، وغيرهم، وبالجملة فهذه المرتبة شاملة لكل من يعتقد بإمامة وولاية أهل البيت ولكنه ينكر إمامة واحد أو أكثر من الأئمة الاثنى عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا الصنف من المسلمين وان اقروا بالإمامة لسانا وقلبا ولكنهم يلحقون بأصحاب المرتبة الأولى، ولا يدخلون فى أهل الإيمان بالمعنى الأخص إلا من حيث الظاهر، وإلا فواقعهم عند الله سبحانه مشابه لواقع من آمن بالتوحيد والنبوة وأنكر الإمامة، لان الروايات الكثيرة عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين صرحت وبشكل واضح أن من أنكر واحدا من الأئمة الاثنى عشر، كان كمن أنكرهم جميعا، وبهذا المعنى وردت روايات كثيرة نختار منها على عجالة ما يأتى:

منها ما أخرجه الشيخ الصدوق قدس الله روحه فى (كمال الدين وتمام النعمة) قال: (حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رضى الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا موسى بن جعفر بن وهب البغدادي قال: سمعت أبا محمد الحسن بن

على عليهما السلام يقول: كأتى بكم وقد اختلفتم بعدى فى الخلف منى، أما إن المقر بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدى كمن أقر بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله كمن أنكر جميع أنبياء الله لان طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا. أما إن لولدى غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله عز وجل(1).

وعن الشيخ الكليني فى (الكافى) عن: (الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن صفوان، عن ابن مسكان قال: سألت الشيخ(2)، عن الأئمة عليه السلام قال: من أنكر واحدا من الأحياء فقد أنكر الأموات(3).

وقد نقل العلامة المجلسى فى (بحار الأنوار) اتفاق الإمامية على هذا الأمر: (وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه فى كتاب المسائل: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود فى النار(4).

باء: من يقر بالتوحيد والنبوة والإمامة لجميع الأئمة الاثنى عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قلبا ولسانا، وينقاد لهم روحا وعقلا وعملا، ويقبل عنهم ولا يرد عليهم، ويعترف لهم بالفضل وعلو المنزلة والرفعة على جميع البشر باستثناء النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ويقر لهم بجميع منازلهم التى أثبتها الله سبحانه لهم وأثبتوها هم لأنفسهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

1- كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص 409.

2- المقصود بالشيخ هنا هو الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه.

3- الكافى للشيخ الكليني ج 1 ص 373.

4- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 8 ص 366.

وبهذه المرتبة تقبل العبادات ويتضاعف الأجر، وهي المرتبة الكاملة والنعمة التامة، التي قصدتها سبحانه بقوله: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا)) (1)، فالولاية لآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يوم غدیر خم كمل الدين وبالانقياد إليهم تمت النعمة، وكل من جاء يوم القيامة بغير هذه النعمة، فقد جاء بإسلام ناقص مبتور لا يقبل منه.

وقد وردت الأخبار المستفيضة والتي نصت بما لا يقبل الشك على أن الولاية لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي ركيزة الإسلام المهمة ودعامته التي يقوم بها، وان من ضيعها لم يصب الإسلام الحقيقي، ومن هذه الأخبار ما يأتي:

فعن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (بنى الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودى بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه __ يعنى الولاية __) (2).

وعن زرارة، عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه قال: (بنى الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: فقلت: وأى شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن والوالى هو الدليل عليهن) (3).

وعن أبان عن فضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (بنى الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودى بالولاية يوم الغدير) (4).

1- سورة المائدة الآية رقم 3.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 18 باب دعائم الإسلام حديث رقم 3.

3- المصدر السابق الحديث رقم 5.

4- المصدر السابق الحديث رقم 8.

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا حتى تصدقوا ولا تصدقوا حتى تسلموا أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها، ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهها بعيداً. إن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلا- العمل الصالح ولا- يقبل الله إلا الوفاء بالشروط والعهود، فمن وفى لله عز وجل بشرطه واستعمل ما وصف فى عهده نال ما عنده واستكمل ما وعده.

إن الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون، فقال: ((وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)) (1)، وقال: ((إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَمِّينِ)) (2)، فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله.

هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا ووطنوا أنهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون. إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ فى غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعة ولى أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاية الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما انزل من عند الله عز وجل، خذوا زينتكم عند كل مسجد والتمسوا البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدقين بذلك فى نذره، فقال: ((وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)) (3) تاه من جهل، واهتدى من أبصر وعقل، إن الله عز

1- سورة طه الآية رقم 82.

2- سورة المائدة الآية رقم 72.

3- سورة فاطر الآية رقم 24.

وجل يقول: ((فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) (1) وكيف يهتدى من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟ اتبعوا رسول الله وأهل بيته وأقربوا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الأمانة والتقى واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن، اقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم (2).

المرتبة الثالثة: مرتبة إسلام الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

لا يخفى ان الإسلام هو الدين الرسمي الذي شرعه الله سبحانه لسائر البشرية، واليه دعا الأنبياء العظام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من لدن نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وما إرسال الرسل، ويعثهم الواحد تلو الآخر، إلا ليكمل بعضهم بعضا، ويتمم بعضهم شريعة بعض، وليبلغوا بأجمعهم شريعة واحدة وديناً محدداً اسمه عند الله سبحانه الإسلام، قال تعالى: ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) (3)، وقال سبحانه: ((وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (4).

فيمكن على وفق هذه النظرة القرآنية عدّ جميع الأنبياء والرسل والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أهل الإسلام، واليه يشير حديث المفضل مع الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه حين سأله المفضل قائلاً: (يا سيدي والدين الذي أتى به آدم ونوح،

1- سورة الحج الآية رقم 46.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 181 __ 183 باب معرفة الإمام والرد إليه الحديث رقم 6.

3- سورة آل عمران الآية رقم 19.

4- سورة آل عمران الآية رقم 85.

وإبراهيم وموسى، وعيسى ومحمد هو الإسلام، قال: نعم يا مفضل هو الإسلام لا غير، قلت فنجده في كتاب الله، قال: نعم من أوله إلى آخره وهذه الآية منه: ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ))، وقوله عز وجل: ((مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ))، وفي قصة إبراهيم وإسماعيل: ((رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ))، وقوله في قصة فرعون: ((حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ))، وفي قصة سليمان وبلقيس قالت: ((وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))، وقول عيسى للحواريين: ((مَنْ أَنْصَرِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَرُ بِاللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))، وقوله تعالى: ((وَلَهُ أَسَّ لَمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))، وقوله في قصة لوط: ((فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ))، ولوط قبل إبراهيم، وقوله: ((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))، وقوله: ((أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))... (1).

فيتبين من خلال هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ان جميع الأنبياء وأوصيائهم وأممهم كانوا يعتقدون ويدينون بدين الإسلام، بل ويقرون بنبوة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وإمامة الأئمة الإثني عشر من بعده، كما قد ثبت في بحث سابق ان ولايتهم وإمامتهم عرضت على الأنبياء في هذا العالم وفي عوالم سابقة، وما نبى نبي أو أرسل رسول إلا بعد الاعتراف بنبوة نبينا الأعظم وإمامة الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعليه فيمكن دخولهم بهذا الاعتبار في المرتبة الثانية التي مرت آنفا.

مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتأثيرها في هذه المراتب الثلاث

إشارة

بعد أن عرفنا ان للمسلمين ثلاث مراتب صار حقا علينا ان نعرف أى المراتب هى المقصودة من قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: (عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ)، ولا نجد صعوبة فى استبعاد أهل المرتبة الأولى (1) من هذه المقولة الشريفة، وهذا الاستبعاد إن لم يشمل جميع أفراد هذه المرتبة، فهو شامل للغالبية العظمى منهم، ولنا على هذا الاستبعاد عدة أدلة وشواهد، منها:

الشاهد الأول

قال الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (وكلما عظم قدر الشىء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده) (2) فإن من تعظم عليه مصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتشتد عليه رزيته لا بد ان يكون عارفا بمقام سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وحائزا على المعرفة الحقيقية بشخصه المقدس ومقاماته ومنازل كرامته ومؤهلاته التى منحها له الله سبحانه وتعالى، وهو غير متحقق فى أهل هذه المرتبة، لان أفرادها مترددون ما بين صنفين:

الصنف الأول: من لا يعترف للحسين صلوات الله وسلامه عليه بفضل مطلقا، كما لم يكونوا يعترفون بفضل أخيه الحسن وأبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما وجده النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهم أهل الإسلام اللسانى ممن لم يدخل الإسلام فى قلبه، وهؤلاء وان تغيرت أعيانهم فى كل عصر ومصر، إلا أن صفاتهم تبقى متشابهة على الدوام،

1- مرتبة الإسلام الظاهرى.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 19 ص 156.

فهم وان شهدوا لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة، وهم وان أبدوا الأسى والحزن على قتل الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا ان هذه الأمور تبقى موصوفة بقوله تعالى: ((يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)) (1)، وتبقى عقائدهم اللسانية داخلية في قوله تعالى: ((إِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِّقُونَ قَالُوا نَسَّ هَدْيُكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَأَفِّقِينَ لَكَاذِبُونَ)) (2)، ومن يكون حاله ما ذكرنا لا يمكن أن تكون مصيبة الحسين عليه عظمة ورزيته بالنسبة إليه جليلة.

الصنف الثاني: وهم الذين يقرون بالشهادتين ويقرون بلوازمها ولكنهم وبسبب الخلفية العقائدية التي تربوا عليها وتبنوها يعدون الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه شأنه شأن غيره من سائر الناس، بل ويعدون مصيبتهم من حيث الأهمية أقل بكثير من مصائب كثير من الصحابة، كما سيأتي الإشارة إلى بعض الشواهد الموضحة لهذه الحقيقة لاحقاً، فمن لم يعظم عنده قدر الحسين صلوات الله وسلامه عليه لا يصح أن يقال عنه بأنه قد أصيب وفجع وعظمت وجلت عليه رزية قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهم وان ابدوا التأثر والاهتمام بمقتله إلا أن هذا الاهتمام والتأثر لا يصل بهم إلى مرتبة من عظمت عنده المصيبة وجلت لديه الرزية، لان مصيبة غيره عندهم أعظم ورزايا من هم دونه عندهم أجل وأكبر.

الشاهد الثاني

إن من يريد أن يتعرف على معتقدات فرقة ما أو ديانة ما لا بد عليه أن يرجع إلى ما كتبه علماء ومفكر وتلك الفرق ومثقفوها، ونحن لو رجعنا إلى علماء ومفكرى ومثقفى الطائفة الأولى ممن لا يقر لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليه بالإمامة والولاية،

1- سورة الفتح الآية رقم 11.

2- سورة المناقون الآية رقم 1.

وسألناهم عن حسن ومشروعية أن يحزن الإنسان على مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ويظهر عظيم رزقته وفداحة مصيبته، لأجابوك بما صرح به ابن كثير بقوله: (ثم دخلت سنة ثنتين وأربعمائة في المحرم منها أذن فخر الملك الوزير للروافض أن يعملوا بدعتهم الشنعاء، والفضيحة الصلحاء، من الانتحاب والنوح والبكاء، وتعليق المسوح وأن تغلق الأسواق من الصباح إلى المساء، وأن تدور النساء حاسرات عن وجوههن ورؤوسهن، يلطنن خدودهن، كفعل الجاهلية الجهلاء، على الحسين ابن علي، فلا جزاه الله خيرا، وسود الله وجهه يوم الجزاء، إنه سميع الدعاء)(1).

وقال في موضع آخر: (وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتذ موافقة للحسين لأنه قتل عطشانا. ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطنن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة، والأهواء الفظيعة، والهتاتك المخترعة وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية، لأنه قتل في دولتهم)(2)، ومن هذا النص يظهر ان انزعاج ابن كثير هو لأجل مساس هذه المراسم الشريفة في إقامة العزاء على سيد الشهداء بأرباب نعمته من بني أمية الشجرة الملعونة وقتلة أولاد الأنبياء.

وقال في مكان ثالث: (ولكنه لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء، وقد كان أبوه أفضل منه فقتل، وهم لا يتخذون مقتله

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 397.

2- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 220 __ 221.

مأتما كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة، وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتما، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي، قتل وهو قائم يصلى في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن، ولم يتخذ الناس يوم مقتله مأتما، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتما، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتما يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين، ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شىء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة، مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء وغير ذلك(1).

وصرح ابن تيمية وبكل وقاحة ان الشيطان قد استغل مقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه واستشهاده، ليحدث البدع الشيطانية، ومن بدعه بزعم ابن تيمية إظهار الحزن والبكاء وقراءة مصيبتيه وما جرى عليه وعلي أهل بيته وأصحابه يوم عاشوراء، فقال هذا المخذول: (وصار الشيطان بسبب قتل الحسين يحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي، وما يفضى إلى ذلك من سب السلف ولعنهم، وإدخال من لا ذنب له مع ذوى الذنوب، حتى يسب السابقون الأولون، وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب. وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس

واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياح للمصائب القديمة من أعظم ما حرمه الله ورسوله... وأما ما ذكره من سبى نسائه والذراري، والدوران بهم في البلاد، وحملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب وباطل، ما سبى المسلمون هاشمية قط، ولا استحلت أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبى بنى هاشم قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيرا، وفي الجملة، فما يعرف في الإسلام أن المسلمين سبوا امرأة يعرفون أنها هاشمية، ولا سبى عيال الحسين، بل لما دخلوا إلى بيت يزيد قامت النياحة في بيته و أكرمهم وخيرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المدينة، فاختروا الرجوع إلى المدينة(1).

وقد نقل الشيخ الأميني في سفره القيم الغدير عن الشيخ إسماعيل البروسوي في تفسيره روح البيان(2): (قال في عقد الدرر والالائي ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين رضى الله عنه، فقد تشبه بالروافض، خصوصا إذا كان بألفاظ مخللة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين، وفي كراهية القهستاني: لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولا مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض. وقال حجة الإسلام الغزالي: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج بغض الصحابة والظعن فيهم وهم أعلام الدين، وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة، ولعل ذلك لخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة والدنيا كما لا يخفى(3).

1- منهاج السنة لابن تيمية ج4 ص554 دار النشر مؤسسة قرطبة، سنة النشر 1406 رقم الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

2- ج4 ص142 كما في الغدير.

3- الغدير للشيخ الأميني ج 10 ص 211.

وقال ابن كثير: (ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلاثمائة في عاشر محرمها أمر الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي — ويعرف بابن المعلم وكان قد استحوذ على السلطان — أهل الكرخ وباب الطاق من الرفضة بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع التي كانوا يتعاطونها في عاشوراء: من تعليق المسوح وتعليق الأسواق والنياحة على الحسين، فلم يفعلوا شيئاً من ذلك ولله الحمد. وقد كان هذا الرجل من أهل السنة)(1).

وقال الذهبي: (أحداث سنة إحدى ستين وثلاثمائة أقامت الشيعة بدعة عاشورا ببغداد)(2).

وقال الذهبي أيضاً: (حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة فمن الحوادث فيها أن أبا الحسن علي بن محمد بن المعلم الكوكبي كان قد استولى على أمور السلطان بهاء الدولة كلها، فمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء، ومن تعليق المسوح، كان كذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة)(3).

وقال ابن كثير: (ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة... وفيها عملت الرفضة بدعتهم الشنعاء، وحادثتهم الصلحاء في يوم عاشوراء، من تعليق المسوح، وتعليق الأسواق، والنوح والبكاء في الأزقة، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من الفريقين طوائف كثيرة، وجرت بينهم فتن وشور مستطيرة)(4).

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 355.

2- تاريخ الإسلام للذهبي ج 26 ص 245.

3- المصدر السابق ج 27 ص 12.

4- البداية والنهاية لابن كثير ج 12 ص 35.

فهل يبقى شك بعد كل هذا فى عدم شمول قول الباقر صلوات الله وسلامه عليه فى هذه الزيارة الشريفة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ) لهؤلاء الذين يعلنون ويتجاهرون بأن إقامة المآتم وإظهار الحزن على مصيبة سيد الشهداء ورزيتهم بدعة شنعاء وحادثه صلعاء تستحق وبلا خوف من الله سبحانه أن يخرج عليهم أتباعهم بالحديد ليقتلوهم شر قتلة، فانا لله وإنا إليه راجعون.

أما أصحاب المرتبة الثانية وهم من جمع بين ركيزتى التوحيد والنبوة وبين ركيزة الولاية والإمامة، فلا شك فى دخولهم فى قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ) فقد شهد القاصى والدانى والمخالف قبل الموالف بأنهم بالغوا وحق لهم أن يبالغوا فى إظهار عظيم مصيبة إمامهم المظلوم صلوات الله وسلامه عليه وجلل مصابه ومصاب أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتحملوا فى سبيل إظهار ذلك شتى ألوان القهر والاضطهاد ومختلف أنواع القتل والتعذيب والى اليوم.

وكيف لا يكون مصاب إمامهم عندهم جللا ومصيبته لديهم عظيمة، وهم من خلق من فاضل طينتهم وعرفوه وأهل بيته والأئمة من ولده حق معرفته ومعرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما أصحاب المرتبة الثالثة من النبيين والمرسلين وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقد وردت الأحاديث المستفيضة التى توجب الاطمئنان بأن الله سبحانه وتعالى قد عرض عليهم ما سيجرى على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وصحبه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما ستفعله به أمة جده ممن تسربت بالإسلام وكررت الشهادتين باللسان دون الجنان، وأظهر هؤلاء العظام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين شديد الحزن وعظيم

الوجد والتأثر، فكانت مصيبتة صلوات الله وسلامه عليه عليهم عظيمة، ورزيتة في نفوسهم جليلة، فلا شك في شمولهم بقول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ).

وقد أخرج الشيخ عبد الله البحراني في كتابه العوالم أخبارا يطول الوقوف عندها وذكرها في مثل هذا الاختصار، فمن يرد التفصيل فليرجع إلى الكتاب المومأ إليه.

المبحث الرابع: شواهد روائية تعكس عظم ما وقع في عاشوراء

قلنا ان ضمير الجمع في كلمة (علينا) في قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في هذه الزيارة الشريفة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا) قد يكون مرجعه إلى سائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بإضافة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهو افتراض منطقي بعد أن مرت علينا كلمة الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده) [\(1\)](#) ولا أحد من الأولين والآخرين يعرف قيمة وقدر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقدر أولئك الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فتصبح رزيتة عليهم أعظم من كل الرزايا، ومصيبتهم به اجل من كل المصائب، ومن تتبع أقوال وأفعال الأئمة صلوات الله وسلامه عليه يجد عظمة المصيبة وحجم هول الرزية واضحا في أقوالهم وأفعالهم وانفعالاتهم، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ما بين باك عليه لدرجة تقرح الجفون وبين معول كالثاكل لا يتهاى بطعام أو شراب قبل أن يمزجه بدموع عينيه أو دم جفونه، وفيما يأتي جملة من كلماتهم وبعض من أفعالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التي تبين وبوضوح ما قدمناه وأوضحنا معالمه:

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 19 ص 156.

منها: ما أخرجه الشيخ الصدوق قدس الله روحه بسنده عن: (سليمان بن عبد الله الخزاز الكوفي قال: حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا بن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض منه رسول الله صلى الله عليه وآله واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسهم؟، فقال: إن يوم الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذي كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة.

فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة فلما مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم فلذلك صار يومه أعظم مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له يا بن رسول الله فلم لم يكن للناس في علي بن الحسين عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟، فقال: بلى ان علي بن الحسين كان سيد العابدين وإماما وحجة على الخلق بعد آبائه الماضين ولكنه لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمع منه وكان علمه وراثته عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن

والحسين عليهم السلام قد شاهدتهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحوال في آن يتوالى فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقول رسول الله له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين عليه السلام لأنه مضى آخرهم فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له يا بن رسول الله فكيف سمت العامة يوم عاشوراء، يوم بركة فبكى عليه السلام ثم قال: لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليه الجوائز من الأموال فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وأنه يوم بركة ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه حكم الله مما بيننا وبينهم.

قال: ثم قال عليه السلام يا بن عم وان ذلك لأقل ضررا على الإسلام وأهله وضعه قوم انتحلوا مودتنا وزعموا أنهم يدينون بموالاتنا ويقولون يامامتنا زعموا ان الحسين عليه السلام لم يقتل وأنه شبه للناس أمره كعيسى بن مريم فلا لائمة إذن على بنى أمية ولا عتب على زعمهم، يا بن عم من زعم أن الحسين عليه السلام لم يقتل فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وعليا وكذب من بعده الأئمة عليهم السلام في أخبارهم بقتله، ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم ودمه مباح لكل من سمع ذلك منه... (1).

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليها قال: (إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائما نهاره وقائما ليله فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه

وشرا به فيضعه بين يديه فيقول كل يا مولاي فيقول: قتل ابن رسول الله جائعا قتل ابن رسول الله عطشانا فلا يزال يكرر ذلك ويبكى حتى يبل طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل(1).

وحدث مولى للإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه أن الإمام (برز يوما إلى الصحراء قال فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكائه وأحصيت عليه ألف مرة لا إله إلا الله حقا حقا لا إله إلا الله تعبدا ورقا لا إله إلا الله إيمانا وصدقا ثم رفع رأسه من السجود وإن لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه. فقلت: يا سيدي ما آن لحزنك أن ينقضى ولبكائك أن يقل: فقال لى ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام كان نبيا ابن نبي كان له اثنا عشر ابنا فغيب الله سبحانه واحدا منهم فشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء وابنه حى فى دار الدنيا وأنا فقدت أبى وأخى وسبعة عشر من أهل بيتى صرعا مقتولين فكيف ينقضى حزنى ويقل بكائى)(2).

وكان صلوات الله وسلامه عليه: (إذا أخذ إناء بشرب الماء بكى حتى يملأها دمعا فليل له فى ذلك فقال وكيف لا أبكى وقد منع أبى من الماء الذى كان مطلقا للسباع والوحوش وقيل له إنك لتبكى دهرك فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا فقال نفسى قتلتها وعليها أبكى)(3).

وعن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل

1- اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص 121.

2- اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص 122.

3- مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج 3 ص 303 باب إمامة على بن الحسين، وفى البحار ج 46 ص 109 نقلا عن حلية الأولياء ج 3 ص 138.

دموعنا وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلا- وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانتضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام.

ثم قال صلوات الله وسلامه عليه: كان أبى إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضى عشرة أيام منه فإذا كان يوم العاشر كان ذلك يوم مصيبتة وحزنه وبكائه).

وعن الريان بن شبيب قال: (دخلت على الرضا عليه السلام فى أول يوم من المحرم، فقال لى: يا ابن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذى كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمة، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله، إذ قتلوا فى هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبدا. يا ابن شبيب، إن كنت باكيا لشيء، فابك للحسين عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم فى الأرض شبيهه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله... يا ابن شبيب، إن سرك أن تكون معنا فى الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وأفرح لفرحنا، وعليك بولايتنا...)(1).

وفى الزيارة التى خرجت عن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه: (...السلام عليك، سلام العارف بحرمتك، المخلص فى ولايتك، المتقرب إلى الله بمحبتك، البرىء من أعدائك، سلام من قلبه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع المحزون، الواله المستكين. سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك

1- الأمالى للشيخ الصدوق ص 192 حديث الرضا عليه السلام عن يوم عاشوراء.

وقاء فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محاربا، ولمن نصب لك العداوة مناصبا، فلأندبنيك صباحا ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دما، حسرة عليك وتأسفا على ما دهاك وتلهفا، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب... فقام ناعيك عند قبر جدك الرسول صلى الله عليه وآله، فنعاك إليه بالدمع الهطول، قائلا: يا رسول الله قتل سبطك وفتاك، واستبيح أهلک وحماک، وسبيت بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وذويك. فانزعج الرسول وبكى قلبه المهول، وعزاه بك الملائكة والأنبياء، وفجعت بك أمك الزهراء، واختلفت جنود الملائكة المقربين، تعزى أباك أمير المؤمنين، وأقيمت لك المآتم في أعلى عليين، ولطمت عليك الحور العين، وبكت السماء وسكانها، والجنان وخزانها، والهضاب وأقطارها، والأرض وأقطارها، والبحار وحيثانها، ومكة وبنيانها، والجنان وولدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحل والإحرام... (1).

ولو سردنا كل كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومواقفهم ودعوتهم للشعراء وإقامة مجالس العزاء في بيوتهم الطاهرة وشديد بكائهم وعظيم جزعهم لطال بنا المقام، فنكتفي بما أوردنا ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما خصص لجمع هذه الأخبار المفجعة المؤلمة من كتب الأعلام رضوان الله تعالى عليهم.

وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

إشارة

المبحث الأول: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

1: وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ

2: عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

المبحث الثاني: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام

أولاً: تصريح السيدة زينب بكاء السماء وما يوم عاشوراء

ثانياً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام في كتب الإمامية

ثالثاً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام في كتب أهل السنة

رابعاً: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما سبق؟

المبحث الثالث: هل يمكن أن تبكى الحيوانات والجمادات؟

أولاً: شواهد قرآنية على ان لكل الموجودات عقلاً وإدراكاً

ثانياً: ماذا يقول الحلبي في معاجز النبي. وكراماته

ثالثاً: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة

رابعاً: كسفت الشمس وأظلمت المدينة حين أرادوا نقل منبر النبي

خامساً: أظلمت المدينة من جريمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب

وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتِكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ قَدْ مَرَّ إِثْبَاتُ صُدُورِ هَذِهِ الْفَقْرَةِ فِي أَثْنَاءِ إِثْبَاتِ صُدُورِ الْفَقْرَةِ السَّابِقَةِ مِنْ هَذِهِ الزِّيَارَةِ الشَّرِيفَةِ لِذَلِكَ لَمْ نَرِ مِنَ الضَّرُورِيِّ التَّكَرَّارِ لِأَنَّ فِيهَا مَرَّ كِفَايَةً لِمُتَدَبِّرٍ.

المبحث الأول: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

1: وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتِكَ فِي السَّمَاوَاتِ

تقدم في شرح الفقرة السابقة من الزيارة معنى (جلت) و(عظمت) و(مصيبتك) وبقي هنا أن نعرف معنى:

السموات: وهي جمع سماء والسماء كما عرفها الفراهيدي: (سقف كل شيء، وكل بيت) (1).

وقال الجوهري: (السماء يذكر ويؤنث أيضا، ويجمع على أسمية وسموات. والسماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء) (2).

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 7 ص 319.

2- الصحاح للجوهري ج 6 ص 2381 __ 2382 مادة سما.

وقال ابن منظور: (وسماء كل شيء: أعلاه، مذكر. والسماء: سقف كل شيء وكل بيت. والسموات السبع سماء، والسموات السبع: أطباق الأرضين، وتجمع سما وسموات. وقال الزجاج: السماء في اللغة يقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو. وكل سقف فهو سما، ومن هذا قيل للسحاب السماء لأنها عالية، والسماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت سماء. والسماء التي تظل الأرض أثنى عند العرب لأنها جمع سماءة)(1).

وأما المعنى الشرعي للسماء فهو وان كان مبهما وخافيا في كثير من تفاصيله فلا يعلم ما فيها، ومن فيها، ولا من أي شيء هي، ولا ما هي ماهيتها، ومن بالتحديد سكانها وعمارها، إلا ان الآيات الشريفة، ذكرت على سبيل الإيجاز والإشارة عدة من الحقائق المهمة، والتي ترسم صورة إجمالية عن السماء وحقيقتها، وبالمقدار الذي يحتاجه الإنسان، وتركت الباقي مبهما، لعدم حاجة عالم التكليف إليه، إذ لو علم الله سبحانه ان للتفصيل أهمية يمكن أن تنفع الإنسان في عالم تكليفه وتكامله وترقيه، لتفضل عليه بإطلاعه عليه، واليك فيما يأتي جملة من تلك الحقائق القرآنية:

فهي كالأرض من جهة أنها كانت عدماً ثم أوجدها الله سبحانه ((بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) (2).

وإنها كالأرض منقادة لإرادة الله وسلطانه هي ومن فيها كما قال تعالى ((لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (3)، وقال تعالى: ((وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)) (4).

1- لسان العرب لابن منظور ج 14 ص 397 _ 398.

2- سورة البقرة الآية رقم 117.

3- سورة المائدة الآية رقم 120.

4- سورة الأنعام الآية رقم 3.

وإنها ببدیع صنعها وكثرة أسرارها جعلها الله سبحانه وتعالى آية تدل على بدیع صنعته وترشد إلى وجوده كما قال تعالى: ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصَوَّرَ رِيفَ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) (1)، وقال تعالى ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) (2).

وانها سبع سماوات يعلو بعضها على بعض كما قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (3).

وانها مخلوقة هي والأرض في ستة أيام كما قال تعالى: ((إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) (4).

2: عَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

على جميع: بيانا في شرح الفقرة السابقة من الزيارة ان (جميع) بمعنى (كل).

أهل السماوات: وهم سكان السماوات بحسب الظاهر، فيشمل الملائكة وبقية أصناف الروحانيين، وأرواح الأنبياء والأوصياء، وأرواح المؤمنين، وما لم يصلنا خبره ولم نحط به علما من خلق الله وإبداعه.

1- سورة البقرة الآية رقم 164.

2- سورة آل عمران الآية رقم 191.

3- سورة البقرة الآية رقم 29.

4- سورة الأعراف الآية رقم 54.

ولا يشترط ان يكون الموجود السماوى موجودا فى السماء حتى يقال له بأنه من أهل السماء، فلو كان الموجود أصله وعالمه هو السماء لكنه مأمور بالمكث فى الأرض لحكمة إلهية، فهذا المكث فى الأرض لا يخرجهم عن كونهم من أهل السماء، كالملائكة الموكلين بعمارة الأرض أو المكلفين بكتابة أعمال العباد أو الماكثين والحافين والمصدقين والعاملين فى حرم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فهؤلاء وغيرهم لا يخرجهم مكثهم فى الأرض عن كونهم من أهل السماء فيكونون مشمولين بهذه الفقرة من الزيارة.

المبحث الثانى: التأثير الكونى لمصيبة الحسين عليه السلام

أشارة

لم تقتصر مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه على من تقدم ذكرهم فى الفقرة السابقة من البشر، بل تعدى اثر مصيبيته وجليل رزيته إلى سائر أجزاء الوجود، وتأثر الكون برمته، ومن يتتبع الروايات والنصوص التاريخية التى ذكرت هذا التفاعل الكونى مع مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه يجد ان بعد عظيم مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وجليل رزيته أصبح هنالك تغيير كونى واضح وقد امتد هذا التغيير إلى يومنا الحاضر وسيستمر إلى يوم القيامة ليحكى للأجيال عظيم ما وقع وجليل ما ارتكب، وفيما يأتى تفصيل ذلك:

أولاً: تصريح السيدة زينب بكاء السماء دما يوم عاشوراء

ان أول من أشار وبكل صراحة إلى تفاعل السماء مع مصيبة سيد الشهداء بالبكاء عليه دما هى السيدة زينب العقيلة بنت على صلوات الله وسلامه عليهما، فقد جهرت بهذه الحقيقة فى خطبتها التى ألقته فى الكوفة بعد أن أحضرهم إلى الكوفة عدو الله عبيد الله بن زياد، فعن إسماعيل بن راشد، عن حذلم بن ستير قال: (قدمت الكوفة فى المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف على بن الحسين عليهما السلام

بالنسوة من كربلاء ومعهم الأجناد محيطون بهم وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء أهل الكوفة يبكين وينتدين... قال: ورأيت زينب بنت علي عليهما السلام ولم أر خفرة قط أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام. قال: وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات فقالت: الحمد لله والصلاة على أبي رسول الله، أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والخذل... ويلكم أتدرون أي كبد لمحمد فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أصبتم ((لَقَدْ حِجَّتُمْ شَيْئًا إِذَا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا)) (1) ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء... أفعجبتكم أن قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى... (2)، وفي كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي أنها صلوات الله وسلامه عليها قالت: (...أفعجبتكم ان تمطر السماء دما... (3)).

وفي قولها صلوات الله وسلامه عليها هذا عدة ملاحظات يجب التنبيه عليها:

الملاحظة الأولى: ان في قولها هذا تصريحاً واضحاً بوقوع تفاعل كوني لم يكن معهود الوقوع من قبل، وهذا التفاعل الكوني الجديد هو ما عبرت عنه صلوات الله وسلامه عليها بقولها: (أفعجبتكم أن قطرت السماء دما).

الملاحظة الثانية: ان هذا الحدث الكوني قد استغربه الناس عامة وتعجبوا من وقوعه وحصوله، وما تعجب الناس هذا الحدث الكوني إلا لغرابته وعدم إلفته، إذ لو كان معهودا لديهم ومعروفا وقوعه في زمانهم أو الأزمنة القريبة عليهم لما لزم من وقوعه أي تعجب.

1- سورة مريم الآية رقم 89 _ 90.

2- الأمالى للشيخ المفيد ص 321 _ 323، وراجع أيضا بلاغات النساء لابن طيفور ص 24.

3- الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج 2 ص 31.

الملاحظة الثالثة: عدم رد الناس عليها صلوات الله وسلامه عليها ومخالفة قولها أو محاولة تكذيبها حاشاها من كل زلل، دليل آخر على وقوع مثل هذا الحدث الكوني المهم، إذ لو كان كلامها صلوات الله وسلامه عليها غير مطابق للواقع لوجدت العشرات من أتباع ابن زياد لا يتوانون في الوقوف بوجه مقاتلتها وتكذيبها علانية، لمحاولة سلب شرعية أقوالها وليحولوا بينها وبين تأثيرها في الناس.

الملاحظة الرابعة: في قولها صلوات الله وسلامه عليها: (ويلكم أتدرون أى كبد لمحمد فريتم، وأى دم له سفكتم، وأى كريمة له أصبتم «لقد جئتم شيئاً إذا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتشق الأرض وتخر الجبال هدا») ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء...أفعبجتم أن قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى) ثلاثة مداليل مهمة:

ألف: أرادت الحوراء زينب صلوات الله وسلامه عليها من خلال كلماتها هذه تبيان سبب وقوع هذه الحادثة الكونية الغريبة، فسفك هذه الأمة لدم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو الذى سبب هذا التغير الكوني الرهيب.

باء: أرادت صلوات الله وسلامه عليها أن تظهر منزلة وعظمة دم الإمام الحسين عليه السلام من خلال تأكيدها على ان الدم الذى جرى فى يوم عاشوراء، والكبد الذى اصطفى من العطش ومن السهام وطعنات السيوف والرماح هو دم رسول الله وكبده قبل أن يكون دم الحسين صلوات الله وسلامه عليه وكبده، لان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كما هو ثابت فى أحاديث جميع فرق المسلمين بضعة من رسول الله وجزء لا يتجزأ منه وكيف لا يكون كذلك وهو صلى الله عليه وآله وسلم القائل (حسين منى وأنا من حسين)(1).

جيم: إن بكاء السماء دما يحمل فى طياته معنيين فهو غضب إلهى على كل من

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص116، ومسند أحمد بن حنبل ج4 ص172.

اشترك وساهم وأعان ورضى بإقامة دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وفرى كبده الشريف، وهو حزن للسماء وسكانها ومن فيها على ما ارتكب في حق ولي الله الأعظم من الجرائم والجرائر التي يندى لها جبين الأحرار.

ثانياً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب الإمامية

منها ما عن الشيخ الطوسي في أماليه قال: (حدثني بذلك محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الكوفي، عن نصر بن مزاحم، عن لوط بن يحيى، عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت علي صلوات الله عليهما: ثم إن يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع علي بن الحسين عليهما السلام في محبس لا يكنهم من حر ولا قر حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع بيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عييط، وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنها الملاحف المعصفرة، إلى أن خرج علي ابن الحسين عليهما السلام بالنسوة، ورد رأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء(1)).

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه قال: (بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي عليهما السلام حتى ذرفت دموعها)(2)).

وعن يونس وأبي سلمة السراج والمفضل بن عمر قالوا: (سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما مضى الحسين بن علي عليهما السلام بكى عليه جميع ما خلق الله إلا ثلاثة أشياء: البصرة ودمشق وآل عثمان)(3)).

1- الأمالي للشيخ الصدوق ص 231 __ 232.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 165 الباب 26 بكاء جميع ما خلق الله على الحسين بن علي عليهما السلام الحديث رقم 1.

3- المصدر السابق ص 166 الحديث رقم 6.

منها ما روى عن الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه حين رجوعه إلى المدينة بعد رحلة السبي حينما اجتمع له الناس فخطبهم صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسموات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون...) (1).

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن أبا عبد الله عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى) (2) وسيأتى ذكر للمزيد لاحقاً.

ثالثاً: التأثير الكونى لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه فى كتب أهل السنة

قال عبد الكريم الرافعى: (اشتهر أن قتل الحسين بن على رضى الله عنهما كان يوم عاشوراء وروى البيهقى عن أبى قبيل أنه لما قتل الحسين رضى الله عنه كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هى) (3) أى ظننا انها القيامة.

وقال محبى الدين النووى فى روضة الطالبين: (فقد صبح أن الشمس كسفت يوم مات إبراهيم ابن رسول الله، وروى الزبير بن بكار فى الأنساب: أنه توفى فى العاشر من شهر ربيع الأول. وروى البيهقى مثله عن الواقدى. وكذا اشتهر أن قتل الحسين رضى الله عنه كان يوم عاشوراء. وروى البيهقى عن أبى قبيل أنه لما قتل

1- مثير الأحزان لابن نما الحلى ص 91 المقصد الثالث من الأمور اللاحقة لقتله وشرح سبى ذريته وأهله.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 166 الباب 26 بكاء جميع من خلق الله على الحسين بن على عليهما السلام.

3- فتح العزيز لعبد الكريم الرافعى ج 5 ص 83 __ 84.

الحسين، كسفت الشمس(1).

وقال محمد بن احمد الشريبي: (وقد صح أن الشمس كسفت يوم مات سيدنا إبراهيم ابن النبي، وفي أنساب الزبير بن بكار أنه مات عاشر ربيع الأول، وروى البيهقي مثله عن الواقدي. وكذا اشتهر أنها كسفت يوم قتل الحسين، وأنه قتل يوم عاشوراء(2).

وقال الدسوقي: (إن الرافعي نقل أن الشمس كسفت يوم مات الحسين وكان يوم عاشوراء، وورد أنها كسفت يوم مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان موته في العاشر من الشهر عند الأكثر(3).

وقال البيهقي: (وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنبا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان حدثني أبو الأسود النضر بن عبد الجبار أنبا ابن لهيعة عن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي(4).

وعن الهيثمي في مجمع الزوائد قال: (وعن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا انها هي. رواه الطبراني وإسناده حسن(5).

قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء»: «ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام

1- روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج 1 ص 598.

2- مغنى المحتاج لمحمد بن أحمد الشريبي ج 1 ص 320.

3- حاشية الدسوقي للدسوقي ج 1 ص 404 __ 405.

4- السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 337.

5- مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 197.

والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء، وكسفت الشمس ذلك اليوم واحمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله. وقيل: إنه لم يقلب حجر بيت المقدس يوماً إلا وجد تحته دم عبيط، وصار الورس الذى فى عسكرهم رماداً، ونحروا ناقة فى عسكرهم فكانوا يرون فى لحمها مثل النيران، وطبخوها فصارت مثل العلقم، وتكلم رجل فى الحسين بكلمة، فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره(1) قال الهيثمى: (رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح)(2).

وأخرج الطبرانى بسنده إلى ابن شهاب الزهرى قال: (ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن على إلا عن دم، رضى الله عنه)(3) قال الهيثمى: (رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح)(4).

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: (وعن الزهرى قال: قال لى عبد الملك أى واحد أنت إن أعلمتتى أى علامة كانت يوم قتل الحسين فقال قلت: لم ترفع حصاة بيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط فقال لى عبد الملك إنى وإياك فى هذا الحديث لقرينان. رواه الطبرانى ورجاله ثقات)(5).

وعن ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق عن على بن محمد عن على بن مدرك عن جده الأسود بن قيس قال: (احمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر يرى ذلك فى آفاق السماء كأنها الدم قال فحدثت بذلك شريكا فقال لى سألت من

-
- 1- تاريخ الخلفاء للسيوطى ص 160، ترجمة يزيد بن معاوية، دار الكتاب العربى.
 - 2- مجمع الزوائد للهيثمى ج 9 ص 196 باب مناقب الحسين بن على عليهما السلام.
 - 3- المعجم الكبير للطبرانى ج 3 ص 113 ذكر مولده وصفته.
 - 4- مجمع الزوائد للهيثمى ج 9 ص 196 باب مناقب الحسين بن على عليهما السلام.
 - 5- مجمع الزوائد للهيثمى ج 9 ص 196.

الأسود قلت هو جدى أبو أمى قال أما والله إن كان لصدوق الحديث عظيم الأمانة مكرما للضيف(1).

وقال الزرندى الحنفى: (ونقل الإمام أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب التبصرة عن ابن سيرين قال: لما قتل الحسين أظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة فى السماء. وقال أبو سعيد ما رفع حجر فى الدنيا لما قتل الحسين إلا وتحتة دم عبيط، ولقد مطرت السماء دما بقى أثره فى الثياب مدة حتى تقطعت. وقال سليم القاضى لما قتل الحسين مطرنا دما. وقال السدى: لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها. قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى: كان الغضببان يحمر وجهه عند الغضب فيستدل على غضبه وهو إمارة الشخص، الحق سبحانه وتعالى ليس بجسم فأظهر تأثير عظمتة على من قتل الحسين بحمرة الأفق وذلك دليل على عظيم الجنابة. وقال أيضا: لما أسر العباس يوم بدر سمع النبى أنينه فما نام تلك الليلة، وكيف لو سمع أنين الحسين. وقال: لما أسلم وحشى قاتل حمزة قال له النبى: غيب وجهك عنى فانى لا أحب من قتل الأحبة، قال: وهذا والإسلام يجب ما قبله فكيف يقدر الرسول أن يرى من ذبح الحسين، أو أمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال(2).

وقد تركنا ذكر واستقصاء كل ما ذكر للاختصار ومن يشأ فليرجع إلى الكتب التى ذكرت هذه الوقائع العظام والحوادث الجسام وهى بحمد الله كثيرة(3) وجميعها شاهد ناطق بصحة ما جاء فى زيارة عاشوراء.

-
- 1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 14 ص 227.
 - 2- نظم درر السمطين للزرندى الحنفى ص 221 __ 223.
 - 3- راجع على سبيل المثال: تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 14 ص 225 __ 230، وتهذيب الكمال للمزى ج 6 ص 432 __ 434، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج 3 ص 312 __ 316، ترجمة الإمام الحسين لابن عساکر ص 353 __ 363، وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص 90 وما بعدها.

رابعاً: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما سبق؟

لقد أعمت العصبية بصيرة ابن كثير الدمشقي الأموي، وابن تيمية الحراني فكذباً جميع ما تم تصحيحه من قبل علماء العامة قبل الخاصة، ولكنهم ولله الحمد لم يقدموا دليلاً واحداً على رفضهم واستنكارهم لبكاء السماء وما غيرها من الحوادث الاليمية المفجعة واكتفوا بكلمات التشنيع والقدح والذم للشيعنة ولمن يقول بقولهم، وهو دليل على ضعف حججهم ومستوى أخلاقهم ومكانتهم العلمية والفكرية، لان العالم يواجه الحجة بالحجة والجاهل المتعصب يرد الحجة بالنباح والصياح والسب والشتم، وهذا هو ما صدر من ابن كثير وابن تيمية، ومن أراد التأكد من ذلك فلينظر الى قول ابن كثير حيث يقول: (... إن يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء وقطرت دماً وإن الحسين بن علي رضي الله عنهما لما قتل احمرت السماء. وحدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد بن عمر وزنيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكاؤها وهكذا قال السدي في الكبير وقال عطاء الخراساني بكاؤها أن تحمر أطرافها وذكروا أيضاً في مقتل الحسين رضي الله عنه أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة، وفي كل من ذلك نظر والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه(1).

وقال في موضع آخر: (وقد ذكروا في مقتله أشياء كثيرة أنها وقعت من كسوف الشمس يومئذ، وهو ضعيف، وتغيير آفاق السماء، ولم ينقلب حجر إلا وجد تحته

دم، ومنهم من خصص ذلك بحجارة بيت المقدس، وأن الورس استحال رمادا، وأن اللحم صار مثل العلقم وكان فيه النار، إلى غير ذلك مما في بعضها نكارة، وفي بعضها احتمال(1).

وقال في موضع ثالث: (وقد ذكر الطبراني ههنا آثارا غريبة جدا، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم، وأن أرجاء السماء احمرت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم، وصارت السماء كأنها علقمة، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضا، وأمطرت السماء دما أحمر، وأن الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذ، ونحو ذلك. وروى ابن لهيعة: عن أبي قبيل المعافري: أن الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جعلت الحيطان تسيل دما، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، ولم يمس زعفران ولا ورس بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسه، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط، وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم. إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء(2).

وقال ابن تيمية: (إن كثيرا مما روى في ذلك كذب، مثل كون السماء أمطرت دما، ومثل كون الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين، وكذلك قول القائل: ما رفع حجر في الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط هو أيضا كذب بين(3).

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 6 ص 258 __ 259.

2- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 219.

3- منهاج السنة النبوية ج 4 ص 560.

أقول:

بل الكذب البين هو تكذيب ابن كثير وابن تيمية لتلك النصوص الصحيحة، وما مر من تصحيح علماء السنة لتلك النصوص المثبتة لوقوع البكاء من السماء على مصيبة سيد الشهداء وغيرها من الانفعالات الكونية حجة عليهما، ومن عرف منهج وأسلوب وحقد كل من ابن كثير وابن تيمية لا يستغرب عليهما إنكارهما لمثل هذه الحقائق الواضحة الناصعة، فالحديث الكذب بالنسبة لهما كل ما تقول به الشيعة الإمامية أو يؤيد أفكارهم ومتبنياتهم، حتى لو كان ذلك الحديث بحسب الموازين الرجالية صحيحاً ورجاله ثقات، وأما الحديث الصحيح برأيهما فهو كل حديث يقدح بالشيعة ويؤدي إلى مس كرامتهم وعقائدهم حتى وإن كان هذا الحديث ساقطاً من حيث الاعتبار السندی والرجالي.

المبحث الثالث: هل يمكن أن تبنى الحيوانات والجمادات؟

إشارة

جاءت الروايات ناطقة وموضحة بأن الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد أثر مقتله في سائر أجزاء الكون إنسها وجننها سمائها وأرضها وكل ما فيهما من الحجر والمدر والحيوان والشجر، وقد مرت نصوص تشير إلى هذا المعنى بوضوح.

وليس لأحد يؤمن بآيات القرآن وأحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الاعتراض على بكاء الوحوش والحيتان والطير، أو السماوات وكواكبها، أو الأرض وأشجارها، أو البحار وأمواجها، لان القرآن الكريم وأحاديث النبي وأقوال علماء المسلمين بجميع طوائفهم، صرحت بوقوع هذه الأشياء أو قريب منها، وفيما يأتي جملة من تلك الموارد:

أولاً: شواهد قرآنية على ان لكل الموجودات عقلاً وإدراكاً

إشارة

قال الله سبحانه: ((وَحُشِرَ لِرَسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)) (1).

وقال تعالى: ((وَتَقَدَّمَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَىٰ الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)) (2).

قال السيد المرتضى فى توضيح هاتين الآيتين: (إن فى الناس من ذهب إلى أنه لا يجوز أن يكون الهدهد وما أشبهه من البهائم كامل العقل، وهو على ما هو عليه من الهيئة والبنية، وعد ذلك فى جملة المستحيل، وهذا ليس بصحيح ولا دلالة عقلية تدل على ذلك. ومن أين لنا أن بنية قلب الهدهد وما جرى مجراه لا- تحتل العلوم التى هى كمال العقل، وإذا كان العقل من قبل العلوم والاعتقادات، وقلب البهيمة يحتل الاعتقادات لا محالة، بل كثيرا من العلوم وإن لم يكن تلك العلوم عقلا. فأى فرق بين العلم الذى هو عقل، وبين العلم الذى ليس بعقل فى احتمال القلب له؟ وما احتمال الجنس الذى هو الاعتقاد، لا بد أن يكون محتملا للنوع الذى هو العلوم) (3).

1- سورة النمل الآية رقم 17 __ 19.

2- سورة النمل الآية رقم 20 __ 24.

3- رسائل المرتضى للشريف المرتضى ج 1 ص 424 __ 425.

وقال ابن قتيبة: (قال أبو محمد ونحن نقول إن المعتقد أن الهوام والسباع والطيور لا يجوز عليها عصيان ولا طاعة مخالف لكتاب الله عز وجل وأنبياؤه ورسوله وكتب الله المتقدمة؛ لأن الله تعالى قد أخبرنا عن نبيه سليمان عليه السلام أنه تفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعدبته عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسُلطان مبین، أى بعذر بين وحجة فى غيبته وتخلفه ولا يجوز أن يعذبه إلا على ذنب ومعصية والذنوب والمعاصي تسمى فسوقا وما جاز أن يسمى عاصيا جاز أن يسمى فاسقا، ثم حكى الله تعالى عن الهدهد بعد أن اعتذر إلى سليمان فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم... وهذا لو كان من أقاويل الحكماء بل لو كان من كلام الأنبياء لكان كلاما حسنا وعظة بليغة وحجة بينة فكيف لا يجوز على هذا مطيع وعاص وفاسق ومهتد وقد حكى الله تعالى أيضا عن النمل ما حكاه فى هذه السورة، فقال: وورث سليمان داود وقال: يا أيها الناس علمنا منطق الطير، فجعلها تنطق كما ينطق الناس وقال حتى أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل، الآية، فجعلها تنطق كما ينطق الناس، وقال وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال يا جبال أوبي معه والطيور، أى سبّحى... (1).

أقول: وتحذير النملة لباقي النمل من جيش نبي الله سليمان عليه السلام وأمرها لهن بدخول مساكنهن، ومعرفتها بأن هذا الذي أمامها هو نبي الله سليمان عليه السلام، وإن أولئك الذين خلفه هم جيشه وأفراد جنوده، فيه دلالة قاطعة على أنّ لها مستوى من الإدراك والعقل، وإن كان ليس بمستوى العقل والإدراك الذي منحه الله سبحانه للإنسان، بل وربما كان فهمها وعقلها وإدراكها لبعض

الحقائق الكونية يفوق ويعلو على فهم وإدراك وعقل كثير من جهال البشر.

وليست النملة بأعجب حالا من الهدهد في قصة سليمان السابقة الذكر، والذي كان يدرك المدينة التي كان فيها ويعرف اسمها حيث قال ((وَجِئْتِكَ مِنْ سَبَائِلِ بَنِي يَمِينٍ))، ويعلم أن لهذه المدينة ملكة لا ملكا، وانها محاطة بشتى أنواع النعم والقوة والمنعة وان لها عرشاً عظيماً ((إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ))، وانها وأهل تلك المدينة يعبدون ويسجدون لغير الله سبحانه وبالتحديد للشمس ((وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ))، وقد تعجب لفعالهم هذا، لأنه يخالف قانون الفطرة، وان هذا الانحراف عن فطرة التوحيد وعبادة الله سبحانه سببه الشيطان فهو الذى زين ذلك إليهم فصداهم بتزيينه هذا عن السبيل فصاروا باتباعه لا يهتدون، ثم يتساءل مستفهما ومستنكرا لفعالهم بقوله ((أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)) (1) فهل يصح كل تلك الأقوال والأفعال والاعتقادات إلا ممن له مرتبة من الكمال والعقل والإدراك والفهم، تفوق مرتبة من يسجد للشمس من دون الله سبحانه.

ثم انظر إلى أسلوب وطريقة كلام نبي الله سليمان معه من خلال قوله تعالى ((قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)) (2) فهل يصح أن يوصف بالصدق أو الكذب من لا يعقل شيئا، وليس له إدراك وفهم.

ثم هل يصح من نبي الله سليمان عليه السلام وهو الحكيم والمعصوم أن يرسل بيد الهدهد كتابا إلى تلك الملكة وقومها قائلا له: ((أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)) (3) ويحمله من المضامين أشدها أهمية: ((إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ

1- سورة النمل الآية رقم 25.

2- سورة النمل الآية رقم 27.

3- سورة النمل الآية رقم 28

اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ)) (1)، لو لم يكن عليه السلام يعترف مسبقاً بعقل ذلك الحيوان وإدراكه وفهمه.

وبالجملة لا يصح بعد كل هذا التوضيح أن ينكر بعض من لا يتحمل عقله ولا تطمئن نفسه إلى هذه الحقائق القرآنية شعور وإدراك الحيوانات وان لها مرتبة من الكمال والتعقل تتناسب وعالمها وليس بالضرورة ان تكون بمستوى عقل وفهم وإدراك الإنسان السوى، لكنها أو بعضها ربما تحمل من الإدراك والتعقل ما يتصاغر أمامه عقل وإدراك وشعور كثير من جهلة أبناء آدم.

إذا كان للحيوان وغيره من الموجودات عقل وإدراك، فلماذا لم يكلف بالأحكام الشرعية؟

وربما يحلو للبعض القول بأن لو كان للحيوان أو الشجر أو غيرهما من باقى الموجودات الأخرى عقل وإدراك لكلفوا بتكاليفنا، وأمروا ونهوا وأثيبوا وعوقبوا مثلنا.

ويجاب عن هذا الإشكال: بأن مشكلة كثير من الناس هي انه يقيس كل الأشياء على نفسه فإذا ما قال الله سبحانه مثلاً يد الله فوق أيديهم تصور أن لله سبحانه يداً ووجهاً ورجلاً وغير ذلك من التجسيم الذى أساسه قصور العقل وقلة الفهم، وكذلك حينما يقال أن للحيوان حظاً ونصيباً من التعقل والإدراك تتناسب وعالمه فانه يقيس ذلك على نفسه ويتصور ان الحيوان له قدرة عقلية مثل قدرة الإنسان العقلية فى ضرب الأعداد مثلاً وتقسيمها وإخراج جذور الأرقام ووضع الخرائط الهندسية وإجراء البحوث العلمية المعقدة وغير ذلك، غافلاً عن ان هذا

المستوى الرفيع من العقل إنما خص الله سبحانه به الإنسان دون غيره وعلى هذا المستوى العقلي أجرى التكليف، والحيوان اقل من مستواه العقلي بكثير قطعاً، فلذلك لم يكلف بتكاليفنا، أو انه قد كلف ولكن بتكاليف تتناسب ومرتبته الكمالية، ألا ترى أن كل شىء فى الوجود يسبح لله سبحانه قال تعالى ((تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)) (1) ولعل هذا التسبيح هو إشارة إلى نوع من أنواع التكليف قد خفى علينا خبره وتفصيل حاله، ولعل الآية بصدد تبيان أن الوجود كله مأمور بالطاعة والانقياد لله سبحانه، ولكل فرد من أفراد تكليفه الخاص به ولكن لا تفقهون تكليفهم.

وكذلك الحال بشأن إثابتها أو عقابها فانه قد ورد فى الأثر ان الحيوانات تحشر قال تعالى ((وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ)) (2) وتعرض للحساب حتى يقتص الله للجماة من القرناء (3) ثم يقول لها كوني تراباً فترجع تراباً، وهذا المستوى من الإثابة أو العقاب إنما يتناسب ومستواها ومرتبته الكمالية.

وعلى هذا الأمر نقيس بقية أجزاء الكون، من الأرض والحجر والشجر وغير ذلك، فان لكل إدراكاً يتناسب ومراتبها الكمالية، وقد ورد فى الأثر ان كل ما فى الكون يشهد للإنسان بالخير يوم القيامة، وكذلك يشهد عليه إن قد أساء وأذنب عليها أو بقربها، فالأرض تشهد له بالطاعة، وبقاع الأرض يفتخر بعضها على بعض لان مؤمناً قد صلى عليها، فهل يصح أن يشهد من لا يدرك، أم هل يتفاخر من لا يعقل، وسيأتى ذكر الجذع الذى كان يخطب عنده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما

1- سورة الإسراء الآية رقم 44.

2- سورة التكوير الآية رقم 5.

3- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 7 ص 92 الباب الخامس صفحة المحشر.

بنى له صلى الله عليه وآله وسلم المنبر تركه فصار الجذع يئن ويصرخ كما يصرخ الصبي وما هداً إلا حين احتضنه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا ننسى قبل كل ذلك قوله تعالى ((تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)) (1)، فالتسبيح لا يصدر إلا ممن له إدراك، ولو لم يكن المسيح مدركاً للشئء المسيح له أو المسيح به لصار فعلاً لغويا لا يستحق من البارى الذكر فى محكم كتابه العزيز، ولكن كما كررنا مرارا المشكلة فى الإنسان انه ينكر كل ما لا يدركه بحواسه، لذلك اخبر القرآن بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) كى لا يكون عدم إدراكنا لهذه الحقائق دليلاً على إنكارها وقد جاء التصريح بها فى القرآن الذى فيه تبيان كل شئء.

ثانياً: ماذا يقول الحلبي فى معاجز النبى. وكراماته

قال الحلبي فى السيرة الحلبية عند استعراضه لمعاجز النبى الأعظم. وكراماته التى اخترنا منها ما يتناسب والمقام الذى نحن فيه: (ومنها شهادة الشجرة له صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة فى خبر الأعرابي الذى دعاه إلى الإسلام فقال هل من شاهد على ما تقول قال نعم هذه الشجرة ادعها فدعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثاً ثم رجعت إلى منبتها (2). (3)

ومنها مجيء الشجرة إليه صلى الله عليه وآله وسلم لتظله وتسلم عليه فقد

1- سورة الإسراء الآية رقم 44.

2- أورد هذا الحديث الهيثمى فى مجمع الزوائد فى ج8 ص292 وقال: (رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح)، ورواه ابن حبان فى كتابه صحيح ابن حبان ج14 ص436 فى شهادة الشجر للمصطفى.

3- أقول: وقد اجتمعت كلمة المسلمين على قبول شهادة العاقل المدرك لألفاظ الشهادة العالم بموضوعها، وقبول النبى. بشهادة الشجرة ودعوتها للشهادة له بالنبوة دليل على ان لها مستوى من التعقل والإدراك يؤهلها لتلك الشهادة.

جاء أنه صلى الله عليه __ وآله __ وسلم نام أى فى الشمس فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه لما استيقظ ذكر له ذلك فقال هى شجرة استأذنت ربها عز وجل فى أن تسلم على فأذن لها(1). (2)

ومنها حنين الجذع إليه صلى الله عليه __ وآله __ وسلم كما تقدم(3). (4)

1- راجع أيضا تهذيب الكمال للمزى ج 1 ص 237، والوفى بالوفيات للصفدى ج 1 ص 82، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج 2 ص 360 فى ذكر نبذة من معجزاته عليه السلام.

2- وفى هذا المقطع عدة من المعانى الدالة على المطلوب، منها ان الشجرة كانت تدرك أن هذا النائب هو رسول الله.، وتدرك انه. نائب فى الشمس، وتدرك ان الشمس تؤذيه، وتدرك ان أغصانها يمكن ان تريح النبى. فيما لو صارت حائلا ما بين الشمس وبينه.، وتدرك انها لكى تتحول من مكانها وتتحرك عن موضعها لابد ان تستأذن الله سبحانه لعلمها ان الله سبحانه وحده من يملك هذه القدرة، فاخبرونا يا أولى الألباب أليس العقل والإدراك إلا هذا.

3- أخرج البخارى فى ج 4 ص 173: (حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان حدثنا أبو حفص واسمه عمر بن العلاء أخو أبى عمرو بن العلاء قال سمعت نافعا عن ابن عمر رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه) وقد أخرج أيضا فى نفس الصفحة قوله (عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا قال إن شئتم فاجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ثم نزل النبى صلى الله عليه وسلم فضمه إليه تأن أنين الصبى الذى يسكن قال كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها) وقال فى ص 173 __ 174 من نفس هذا الجزء: (عن يحيى بن سعيد قال أخبرنى حفص بن عبيد الله بن أنس ابن مالك انه سمع جابر بن عبد الله يقول كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت).

4- أقول وليس فراق النبى. لجذع الشجرة بأعظم من قتل ابنه فإذا كان الجذع قد حن وصاح كالصبى لمجرد فراق النبى له. أفلا يحق للأرض والسماء والبحار والأشجار أن تبكى الحسين وتحن عليه وتبكى لعظيم رزقته وجيل مصيبتة وفادح ما نزل به فلماذا جوزتم تلك واستعظمت هذه مع ان مصيبة الحسين * ورزقته ومحنته أعظم وأدهى وأمر.

ومنها شكوى البعير له صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم قلة العلف وكثرة العمل(1).

ومنها شكوى بعض الطيور له صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم بسبب أخذ بيضه أو فراخه فقد جاء أن حمرة جاءت فوق رأسه فقال صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم أيكم فجع هذه فقال رجل من القوم أنا أخذت بيضها فقال رده رده رحمة لها(2). (3)

ومنها سجود البعير له صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم الذى استصعب على أهله وصار كالكلب لا يقدر أحد أن يقرب إليه(4).

1- قد رويت روايات كثيرة فى شكايه الحيوانات لرسول الله. أيام كان فى المدينة منها ما أخرجه احمد بن حنبل فى مسنده ج 4 ص 170 ___ 171 قال: (حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا عبد الله بن نمير عن عثمان بن حكيم قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد العزيز عن يعلى بن مرة قال لقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ما رآها أحد قبلى ولا يراها أحد بعدى... وكنت عنده جالسا ذات يوم إذ جاءه جمل يخيب حتى صوب بجرانه بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال ويحك أنظر لمن هذا الجمل ان له لشأنا قال فخرجت ألتمس صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه فقال ما شأن جملك هذا فقال وما شأنه قال لا أدرى والله ما شأنه عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فاتمرونا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه قال فلا تفعل هبه لى أو بعنيه فقال بل هو لك يا رسول الله قال فوسمه بسمة الصدقة ثم بعث به)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج 9 ص 6: (رواه أحمد بإسنادين والطبرانى بنحوه، وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح).

2- راجع مسند أبى داود الطيالسى لسليمان بن داود الطيالسى ص 44، وراجع أيضا تاريخ الإسلام للذهبي ج 1 ص 350، وفى الأدب المفرد للبخارى ص 88 عدم تكرار (رده رده رحمة لها).

3- وفيه كما لا يخفى إشارة واضحة إلى معرفة هذا الطائر بشخص النبى. وكذلك معرفته بتأثيره فى أصحابه وان لا احد يستطيع أن يرجع إليها فراخها أو يبيضها غيره. وهل يكون العقل والإدراك إلا هذا.

4- نقل احمد بن حنبل فى مسنده ج 3 ص 310 عن جابر بن عبد الله قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بنى النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحدٌ إلا شدد عليه قال فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعا مشفره إلى الأرض حتى برک بين يديه قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم هاتوا خطاما فخطمه ودفعه إلى صاحبه قال ثم التفت إلى الناس قال إنه ليس شىء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والإنس)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج 9 ص 7: (رواه احمد ورجاله ثقات). أقول: ولا يخفى ما فى هذا الحديث من الإشارات المهمة الدالة على المطلوب والتي منها ان كل الموجودات تعرف النبى. وانه رسول الله وهو موافق لما روى عند الإمامية بان الولاية للرسول والإمام عرضت على كل شىء وعليه فإذا كانت الموجودات تعرف النبى. فإنها تعرف الإمام كذلك، وإذا كانت تسجد للنبي. فإنها كذلك للإمام ولمعرفتها بمنزلة النبى والإمام تأثرت حين استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم فى بعض حوائط الأنصار(1).

ومنها شهادة الجمل عنده صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم أنه لصاحبه الأعرابي دون من ادعاه ففى المعجم الكبير للطبرانى(2) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم فبصرنا بأعرابي آخذاً بخطام بعيره حتى

1- راجع إمتاع الأسماع للمقرئى ج5 ص247 رابع وسبعون سجود الغنم له. قال: (وأما سجود الغنم له، فخرج أبو نعيم من حديث جعفر بن محمد الفريابي قال: أخبرنا إبراهيم بن العلاء الزبيدى، حدثنا عباد بن يوسف الكندى، أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: دخل النبى صلى الله عليه وسلم حائطاً للأنصار، ومعه أبو بكر وعمر فى رجال من الأنصار، وفى الحائط غنم فسجدن له، فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم، فقال: إنه لا ينبغى من أمتى أن يسجد أحد لأحد، لو كان ينبغى أن يسجد أحد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. وراجع أيضاً كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض ج1 ص312 فصل فى الآيات فى ضرور الحيوانات، وراجع أيضاً كتاب سبل الهدى والرشاد للصالحى الشامى ج9 ص561 جماع أبواب معجزاته. الباب الخامس فى سجود الغنم له.

2- المعجم الكبير للطبرانى ج5 ص141 ويوجد اختلاف فى بعض ألفاظ الرواية فيما بين رواية الحلبي هنا وبين ما هو موجود فى معجم الطبرانى فتنبه.

وقف على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن حوله فقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاء رجل آخر كأنه حرسى فقال الحرسى يا رسول الله هذا الأعرابي سرق سرب البعير (1) فرغا البعير ساعة وحن فأنصت له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعة فسمع رغاءه وحنينه فلما هدا البعير أقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال للرجل انصرف عنه فإن البعير شهد عليك أنك كاذب فانصرف وأقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأعرابي فقال أى شىء قلت حين جئت لى قال قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله اللهم صل على محمد حتى لا تبقى بركة اللهم سلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لا يبقى رحمة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله عز وجل أبداها لى والبعير ينطق بعذرک وإن الملائكة قد سدوا الأفق.

ومنها سؤال الظبية له صلى الله عليه وآله وسلم أن يخلصها لترضع ولدها وتعود فخلصها وعادت وتلطفت بالشهادتين فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ظبية مربوطة إلى خباء فقالت يا رسول الله خلصنى حتى أذهب فأرضع خشفى ثم أرجع فتربطنى فقال لها صيد قوم وربيطه قوم ثم استحلفها أن ترجع فحلفت له فحلها فمكثت قليلا ثم جاءت وقد نفضت ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبها له فحلها (2).

1- فى المعجم الكبير للطبرانى هكذا: (يا رسول الله هذا الغلام سرق البعير).

2- راجع فيض القدير فى شرح الجامع الصغير للمناوى ج 5 ص 401 حرف اللام، وراجع تاريخ الإسلام للذهبي ج 1 ص 350، وراجع أيضا سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج 12 ص 406 الباب الرابع فى ذكر من توسل به..

ومنها شهادة الذئب له صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة (1)(2).

فليس على من نقل هذه الوقائع وأمثالها وما لم نذكره أكثر وأكثر ان يستغرب ويستنكر بكاء السماء والملائكة والحيوانات والبحار والجنة وما فيها على مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

ثالثاً: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة

اشتهر في الأخبار التي رواها الفريقان ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر إلى المدينة وأراد أن ينزل فيها ويستقر، صار يمشى في سكك المدينة ويطوف على بطونها وهو على ناقته، فصار صلى الله عليه وآله وسلم لا يمر على أهل حي من أحيائها أو بطن من بطونها إلا يأخذوا بزمام ناقته ويعرضوا عليه النزول عندهم والاستقرار بقربهم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم في كل ذلك يقول: (خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة) وفيما يأتي نصان يوضحان هذه الحادثة بكامل تفاصيلها: ففي الكافي بسنده عن الإمام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (... ثم راح يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها

1- قال الذهبي في تاريخ الإسلام ج 1 ص 351: (عن أبي سعيد الخدري قال: بينما راع يرعى بالحرّة إذ عرض ذئب لشاة فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه ثم قال للراعي: ألا تتقى الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلى فقال الراعي: العجب من ذئب مقع على ذنبه يتكلم بكلام الإنس! فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب مني: رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فساق الراعي شاة حتى أتى المدينة فزواها زاوية ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بحدث الذئب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فقال للراعي: قم فأخبرهم قال: فأخبر الناس بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق الراعي ألا إنه من أشراط الساعة كلام السباع للإنس والذي نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده. أخرجه الترمذى وقال: صحيح غريب. وقال عبد الحميد بن بهرام ومعقل بن عبيد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري نحوه وهو حديث حسن صحيح الإسناد).

2- راجع السيرة الحلبية للحلبى ج 3 ص 351 __ 353.

وعلى عليه السلام معه لا- يفارقه، يمشى بمشيه وليس يمر رسول الله صلى الله عليه وآله ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة، فانطلقت به ورسول الله صلى الله عليه وآله واضع لها زمامها حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى __ وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يصلى عنده بالجنائز __ فوقفت عنده وبركت ووضعت جرائنها على الأرض فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وأقبل أبو أيوب مبادرا حتى احتمل رحله فأدخله منزله ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام معه حتى بنى له مسجده بنيت له مساكنه ومنزل على عليه السلام فتحولا إلى منازلهما(1).

وفى تاريخ الطبرى: (حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وآله __ وآله __ وسلم ركب ناقته وأرعى لها الزمام فجعلت لا تمر بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم وقالوا له هلم يا رسول الله إلى العدد والعدة والمنعة فيقول لهم صلى الله عليه وآله __ وآله __ وسلم خلوا زمامها فإنها مأمورة حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده(2).

أقول: وفى هذه الحادثة دليل قطعى على ان لناقته صلوات الله وسلامه عليه إدراكاً لما تفعله وانها قابلة للتكليف؛ لان الحديث واضح فهو ينص على انها مأمورة وليس الأمر سوى الله سبحانه، ولكن يجب ان لا يغيب عن الذهن ما كررناه مرارا من ان التكليف ليس بالضرورة يكون بمستوى التكليف البشرى وإنما يكلف كل موجود بما يتناسب ومستواه الكمالى.

1- الكافى للشيخ الكلينى ج 8 ص 339 __ 340 حديث إسلام على عليه السلام.

2- تاريخ الطبرى للطبرى ج 2 ص 116، وراجع أيضا فتح البارى لابن حجر ج 7 ص 192 باب هجرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وراجع أيضا الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 42.

وليس لأحد أن يفترض أن معنى مأمورة هو أن ملكا هو الذى كان يقودها، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نسب الفعل إلى الناقة وأوكل مسؤولية تحديد المكان إليها، ولو لم يكن للناقة مدخلية في التحديد ولو كان هنالك ملك يقودها لما صار ضروريا أن تعلق مسألة نزول النبي على الناقة ولكان من الأنسب أن يقول النبي وبكل صراحة ان الملك بأمر الله أمرنى أن انزل فى المكان الفلانى.

رابعاً: كسفت الشمس وأظلمت المدينة حين أرادوا نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال ابن حجر فى فتح البارى: (ولم يزل المنبر على حاله ثلاث درجات حتى زاده مروان فى خلافة معاوية ست درجات من أسفله وكان سبب ذلك ما حكاه الزبير ابن بكار فى أخبار المدينة شوال إلى حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال بعث معاوية إلى مروان وهو عامله على المدينة أن يحمل إليه المنبر فأمر به فقلع فأظلمت المدينة فخرج مروان فخطب وقال إنما أمرنى أمير المؤمنين أن أرفعه فدعا نجارا وكان ثلاث درجات فزاد فيه الزيادة التى هو عليها اليوم ورواه من وجه آخر قال فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم)(1).

وقال المقرئى: (قال سفيان بن حمزة قال كثير فأخبرنى الوليد بن رباح قال: كسفت الشمس يوم زاد معاوية فى المنبر حتى رؤيت النجوم. وذكر الواقدى وغيره: أنه لما كانت سنة خمسين أمر معاوية بن أبى سفيان بحمل المنبر إلى الشام وقال: لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة... فلما حرك المنبر ليخرج من موضعه كسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية فأعظم الناس ذلك فترك المنبر على حاله... وذكر ابن زبالة من حديث عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن

1- فتح البارى لابن حجر ج 2 ص 331 باب التأذين عند الخطبة.

عوف عن أبيه قال: بعث معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة يأمره أن يحمل إليه منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ما وضعه فأمر به أن يقلع فأظلمت المدينة وأصابتهم ريح شديدة... وعن عبد الله بن زياد عن ابن فطن قال: قلع مروان بن الحكم منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان درجتين والمجلس وأراد أن يبعث به إلى معاوية فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم... ولما ولى عبد الملك بن مروان الخلافة هم بنقل المنبر فقال له قبيصة بن ذؤيب: أذكرك الله أن تفعل إن معاوية حركه فكسفت الشمس (1).

أقول: وليس إخراج منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام بأعظم من إخراج نساء رسول الله وحريمه وعترته سبايا يساقون إلى الشام، وليس نقل المنبر بأعظم من نقل رأس سيد الشهداء إلى ابن معاوية يزيد اللعين، فهل يحق للسماء أن تنكسف شمسها على نقل منبر صعد عليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنكسف أو تبكي السماء على سبط النبي الذي طالما اعتلى منكب النبي وظهره وصدره الشريف.

خامسا: أظلمت المدينة من جريمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب

لما طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب ثار ولده عبيد الله بن عمر فقتل على الظنة والتهمة ثلاثة من الأبرياء غدرا وهم الذين ذكرهم الصنعاني بقوله: (فخرج عبيد الله ابن عمر مشتملا على السيف، حتى أتى الهرمزان، فقال: اصحبنى حتى ننظر إلى فرس لى، وكان الهرمزان بصيرا بالخيل، فخرج يمشى بين يديه، فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حر السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله، ثم أتى جفينة، وكان نصرانيا، فدعاه، فلما أشرف له علاوة بالسيف، فصلب بين عينيه، ثم أتى ابنة أبي

1- إمتاع الأسماع للمقرئ ج 10 ص 107 _ 109 فصل في ذكر منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لؤلؤة، جارية صغيرة تدعى الإسلام فقتلها، فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها، ثم أقبل بالسيف صلتا في يده وهو يقول: والله لا أترك في المدينة سبياً إلا قتلته وغيرهم، وكأنه يعرض بناس من المهاجرين(1).

وعن ابن حجر ان المدينة قد أظلمت يومئذ ثلاثة أيام حيث قال: (...فخرج يمشى بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف فلما وجد حر السيف قال لا إله إلا الله ثم أتى جفينة وكان نصرانيا فقتله ثم أتى بنت أبي لؤلؤة جارية صغيرة فقتلها فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها ثلاثاً...)(2).

أقول: فإذا أظلمت الدنيا لقتل ابنة أبي لؤلؤة لأنها قد قتلت وهي صغيرة لا ذنب لها فكيف لا تظلم لقتل عبد الله الرضيع يوم عاشوراء وقد ذبح عطشانا من الوريد إلى الوريد، والذي هو بشهادة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أكرم على الله من فضيل ناقة صالح وأعظم، وإذا كان لقتل الهرمزان وجفينة النصراني حرمة عند الله حيث بانت آثار مظلمتهم في السماء، فكيف لا تكون حرمة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأولاده وأصحابه وبناته أعظم واجل واكبر، وكيف لا تبين آثار مظلمتهم في السماوات والأرض وما فيهن وما فيهن لأجلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإذا ذكرت مصابكم قال الأسي *** لجفونى اجتنبى لزيد كراک

وابكى قتيلا بالطفوف لأجله *** بكت السماء دما فحق بكاك

إن تبكهم فى اليوم تلقاهم غدا *** عيني بوجه مسفر ضحاک

يارب فاجعل حبهم لى جنة *** من موبقات الظلم والإشراك

1- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج 5 ص 478 _ 480، وراجع أيضا تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 297، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 38 ص 62.

2- الإصابة لابن حجر ج 5 ص 43،

فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

- 1: فَلَعَنَ اللَّهُ
2: أُمَّةً
3: أَسَّسَتْ أَسَاسَ
4: الظُّلْمَ
5: وَالْجَوْرَ
6: أَهْلَ الْبَيْتِ

المبحث الثالث: ماذا يمكن ان يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة

المبحث الرابع: دلالة اللعن في المصطلح القرآني

المبحث الخامس: جزاء من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة

المبحث السادس: لا عبرة بالأكثرية والحق هو المدار

المبحث السابع: الإمام الحسين عليه السلام ميزان حساب الأمم

أهل البيت موازين رضا الله وغضبه

أمير المؤمنين ميزان أولاد الحلال وميزان الإيمان والنفاق

الزهراء ميزان غضب الله سبحانه ورضاه

الحسين ميزان حساب الأمم يوم القيامة

فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث جديرة بالاهتمام نستعرض فيما يأتى بعضها:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

ورد ذكر هذه الفقرة فى عدة زيارات أخرى نذكر منها على سبيل المثال ما يأتى:

منها: ما ورد فى زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فى أول يوم من رجب وليلته وليلة النصف من شعبان والتى جاء فيها: (بابى أنت وأمى ونفسى يا أبا عبد الله لقد عظمت المصيبة وجلت الرزية بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التى رتبكم الله فيها بابى أنت وأمى ونفسى يا أبا عبد الله أشهد لقد اقشعرت لدمائكم أظلة العرش مع أظلة الخلائق وبكتكم السماء والأرض

وسكان الجنان والبر والبحر...)(1).

ومنها: ما ورد في زيارة الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه والتي ذكرها الشيخ الصدوق قدس الله روحه بقوله: (باب في ذكر زيارة الرضا عليه السلام بطوس ذكرها شيخنا محمد بن الحسن في جامعه فقال: إذا أردت زيارة الرضا عليه السلام بطوس فاغتسل عند خروجك من منزلك... ثم تجلس عند رأسه وتقول: السلام عيك يا ولي الله، السلام عليك يا حجة الله السلام عليك يا نور الله في ظلمات الأرض... السلام عليك يا أبا الحسن ورحمة الله وبركاته إنه حميد مجيد، لعن الله أمة قتلتك لعن الله أمة ظلمتك لعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور والبدعة عليكم أهل البيت)(2).

ومنها: ما في إقبال الأعمال للسيد بن طاوس قدس الله روحه من دعاء الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في يوم عرفة:

(... ثم تقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، وأمينه على وحيه، السلام عليك يا مولاي يا أمير المؤمنين. السلام عليك يا مولاي، أنت حجة الله على خلقه، وباب علمه ووصى نبيه والخليفة من بعده في أمته، لعن الله أمة غصبتك حقك، وقعدت مقعدك، أنا برىء منهم، ومن شيعتهم إليك. السلام عليك يا فاطمة البتول، السلام عليك يا

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 341 __ 342 فصل (53) فيما نذكره من لفظ زيارة الحسين عليه السلام في نصف شعبان، وراجع أيضا المزار للشهيد الأول ص 142 __ 144 زيارة أول يوم من رجب وليلته وليلة النصف من شعبان، وراجع أيضا المصباح للكفعمي ص 491 __ 492 زيارة أول ليلة من رجب ويومه ونصفه.

2- عيون أخبار الرضا الشيخ الصدوق ج 1 ص 300 __ 302 باب في ذكر زيارة الرضا عليه السلام بطوس.

زين نساء العالمين، السلام عليك يا بنت رسول الله رب العالمين صلى الله عليك وعليه، السلام عليك يا أم الحسن والحسين، لعن الله أمة غصبتك حقك ومنعتك ما جعله الله لك حالاً، أنا بريء إليك منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا محمد الحسن الزكي، السلام عليك يا مولاي، لعن الله أمة قتلتك وبايعت في أمرك وشايعت أنا بريء منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله الحسين بن علي صلوات الله عليك وعلى أهلك وجدك محمد صلى الله عليه، لعن الله أمة استحلّت دمك، ولعن الله أمة قتلتك واستباححت حريمك، ولعن الله أشياعهم وأتباعهم، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، أنا بريء إلى الله وإليك منهم... (1).

وغير ذلك الكثير وقد تركنا الإطالة رغبة في الاختصار.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: فَلَعَنَ اللَّهُ

اللعن: هو وكما يقول الراغب الأصفهاني: (الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه ومن الإنسان دعاء على غيره) (2).

وقال الطريحي في مجمع البحرين: (واللعن: الإبعاد، وكانت العرب إذا تمرد الرجل منهم أبعده منهم وطرده لثلاث تلحقهم جرائره فيقال: لعن بني فلان) (3).

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 2 ص 135.

2- مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 452 كتاب اللام وما يتصل بها.

3- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 124.

وقال الفراهيدي: (اللعن: التعذيب، والملعن: المعذب... واللعنة: الدعاء عليه. واللعنة: الكثير اللعن، واللعنة: الذى يلعنه الناس...) (1).

واللعنة من الله سبحانه كما تقدم عن الراغب هو: (فى الآخرة عقوبة وفى الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه).

2: أُمَّةٌ

وردت لكلمة أمة عدة معانٍ ذكرت فى كتب اللغة منها:

ألف: هى الجماعة من الناس (2) قال تعالى ((وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)) (3)، أى وجد على الماء جماعة من الناس.

فيكون بذلك معنى الفقرة التى نحن بصدد شرحها هو: (اللهم اسخط وعذب واطرد من رحمتك الجماعة التى أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت).

باء: وقد تطلق على الشخص المفرد الذى يدين بدين ما لوحده (4) كما سمي القرآن الكريم إبراهيم الخليل عليه السلام أمة فى قوله تعالى: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (5).

فيصبح معنى الفقرة الشريفة من الزيارة: (اللهم العن واسخط وعذب واطرد من رحمتك الشخص الذى انفرد وأسس أساس الظلم والجور على أهل البيت).

1- كتاب العين ج 2 ص 142.

2- مجمع البحرين ج 1 ص 106.

3- سورة القصص الآية 23.

4- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 27.

5- سورة النحل الآية رقم 120.

جيم: وقد تطلق على الطريقة والدين (1)، كما فى قوله تعالى: ((بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ)) (2)، أى إنا على دينهم وطريقتهم مهتدون.

فيكون معنى الفقرة فى الزيارة هو:

(اللهم العن الطريقة التى كانت أساسا لظلم أهل البيت عليهم السلام والتى بها خرج حقهم عن موضعه).

والطريقة التى أسست أساس الظلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما لا يخفى هى التى سماها احد مؤسسيها بفلتة السقيفة، والتى كانت باب كل شر فتح على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم، بل وعلى جميع أهل الإسلام.

دال: وقد تطلق على القدوة والإمام (3).

فيكون المعنى هو: (اللهم اطرده من رحمتك واسخط وعذب الذى كان قدوة لغيره وإماما يستن بسنته ويحتذى حذوه فى الظلم والجور لأهل البيت).

وقد يكون هذا القدوة والإمام فرداً واحداً وقد يكونون جماعة، وهذا هو الفارق بين هذا المعنى والمعنى الثانى.

هاء: وقد تطلق على الحين والزمان (4) كما فى قوله تعالى: ((وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)) (5)، أى وتذكر بعد حين ومدة من الزمن.

ومثل قوله تعالى ((وَلَيْنِ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ

1- الصحاح للجوهري ج 5 ص 1864.

2- سورة الزخرف الآية رقم 22.

3- معجم مقاييس اللغة ج 1 ص 27.

4- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 27.

5- سورة يوسف الآية رقم 45.

لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)) (1) أى أخرنا عنهم العذاب إلى مدة من الزمن محدودة.

فيصبح المعنى: (اللهم أبعد ___ لان إحدى معانى اللعن هو الإبعاد ___ عن بركتك ورحمتك تلك الحقبة من الزمن وذلك الحين الذى أسس فيه الظلم والجور على أهل البيت) (2).

1- سورة هود الآية رقم 8.

2- والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل يمكن أن يلعن أو يبعد أو يوصف بالسوء الزمان والحين والأيام، مع أن الأيام لا ذنب لها والذنب ذنب الناس وبعبارة أخرى الذنب ذنب المظروف لا ذنب الظرف؟ ويمكن الجواب عن هذا الأمر بان الأيام فى النصوص الشرعية تكتسب البركة أو السوء والنحوسة بسبب ما يقع ويحدث فيها، أو بسبب أمر خطير يقترن بها، ألا ترى إلى القرآن كيف يطلق ويصف اليوم الذى اهلك فيه عاد بأنه يوم نحس مستمر ((كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَذُنُوبِي * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا رَأَى يَوْمَ نَحْسٍ مُّسْتَمِرًّا)) _ سورة القمر الآية 18_ 19. _ ووصف أيام العذاب التى تصيب الكافرين قال تعالى ((وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ)) _ سورة الحج الآية 55 _ وصرحت الروايات الشريفة أيضا بأن بعض الأيام والأزمنة والساعات يمكن ان تكون أيام شؤم ونحس فحينما سُئل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن آخر أربعاء من الشهر لماذا صار يوم نحس وشؤم فقال صلوات الله وسلامه عليه: (آخر أربعاء فى الشهر وهو المحاق وفيه قتل قابيل هايبيل أخاه ويوم الأربعاء ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار ويوم الأربعاء وضعوه فى المنجنيق ويوم الأربعاء اغرق الله فرعون ويوم الأربعاء جعل الله عز وجل قرية لوط عاليها سافلها ويوم الأربعاء أرسل الله عز وجل الرياح على قوم عاد ويوم الأربعاء أصبحت كالصريم ويوم الأربعاء سلط الله عز وجل على نمرود البقرة ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى ليقتله ويوم الأربعاء خر عليهم السقف من فوقهم... ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريا... ويوم الأربعاء ادخل يوسف عليه السلام السجن ويوم الأربعاء قال الله عز وجل " إنا دمرناهم وقومهم أجمعين " ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة ويوم الأربعاء عقروا الناقة ويوم الأربعاء أمطرت عليهم حجارة من سجيل ويوم الأربعاء شج وجه النبى صلى الله عليه وآله وكسرت ربايعيته ويوم الأربعاء أخذت العمالقة التابوت) راجع جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى ج 16 ص 377 _ 378.

3: أُسِّتُ أُسَّسٌ

وهاتان الكلمتان مأخوذتان من (الأس) وهو كما عرفه الفراهيدي بقوله: (والأس: أصل تأسيس البناء، والجميع: الأساس، وفي لغة: الأسس، والجميع: الأساس، ممدود... وأسست دارا: بنيت حدودها، ورفعت من قواعدها)(1).

وقال الجوهري: (الأس: أصل البناء، وكذلك الأساس، والأسس مقصور منه. وجمع الأس إساس مثل عس وعساس، وجمع الأساس أسس مثل قذال وقذل، وجمع الأسس أساس مثل سبب وأسباب. وقد أسست البناء تأسيسا)(2).

فيكون المعنى: (فلعن الله الأمة(3) التي أصّلت منهج الظلم ورفعت قواعد الجور وبنّت حدودهما عليكم أهل البيت).

وقد يطلق على الشيء الوطيد الثابت، قال صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة: (أس: الهمزة والسين يدل على الأصل والشيء الوطيد الثابت)(4).

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة وطدت لظلم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وثبتت قواعد الجور عليهم).

4: الظُّلْمُ

قد يطلق الظلم على اخذ حق الغير، قال الفراهيدي: (والظلم: أخذك حق غيرك)(5).

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 7 ص 334.

2- الصحاح للجوهري ج 3 ص 903.

3- الأمة بكافة معانيها المتقدمة سواء الجماعة أو القدوة أو الإمام أو الطريقة.

4- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج 1 ص 14.

5- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 8 ص 63.

وقد يراد من الظلم إزالة الحق عن جهته واخذ الإنسان ما ليس له، قال ابن قتيبة في كتابه غريب الحديث: (الظالم هو الذى يزيل الحق عن جهته ويأخذ ما ليس له)(1).

وقد يراد منه ما ذكره الجوهري بقوله: (ظلم...وأصله وضع الشيء في غير موضعه...وفي المثل: من استرعى الذئب فقد ظلم)(2).

فيكون معنى العبارة هو: (لعن الله امة أسست أساس إزالة الحق عن أهل البيت، وأخذت منهم ما ليس لها، ووضعته في غير موضعه الذى أراده الله سبحانه وأمر به).

5: وَالْجَوْرُ

قد يقصد به ما يكون نقيض العدل، فيكون مرادفاً للفظ الظلم، قال الفراهيدي: (الجور: نقيض العدل. وقوم جارة وجورة، أى: ظلمة)(3).

وقد يراد منه السير على الطريق غير السوى، فكل من حاد عن الطريق السوى المستقيم فهو جائر، قال ابن منظور: (والجور: ترك القصد فى السير، والفعل جار يجور، وكل ما مال، فقد جار. وجار عن الطريق: عدل)(4).

فيكون معنى العبارة هو: (لعن الله امة أسست أساس الظلم عليكم أهل البيت، وتركت طريقكم طريق الحق والاستقامة، وحادت عنه إلى الطريق الباطل فسارت على الطريق الجائر غير السوى).

1- غريب الحديث لابن قتيبة ج 1 ص 58.

2- الصحاح للجوهري ج 5 ص 1977.

3- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 6 ص 176.

4- لسان العرب لابن منظور ج 4 ص 153.

وقد يطلق الجور على أصل الطريق أو الطريقة المائلة عن الاستقامة والموصوفة بالضلالة، قال الزبيدي في تاج العروس: (والجور: الجائر يقال: طريق جور، أى جائر، وصف بالمصدر. وفي حديث ميقات الحج، وهو جور عن طريقنا، أى مائل عنه ليس على جادته: من جار يجور، إذا ضل ومال)(1).

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة أسست طريق الضلال المائل عن طريق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه، والذي به هضم حق أهل البيت واستبيحت حرمتهم).

6: أَهْلَ الْبَيْتِ

أطلق لفظ أهل البيت في اللغة على من يسكن البيت قال الفراهيدي: (وأهل البيت: سكانه)(2) وكذا قال ابن منظور(3).

ومن المتيقن ان الزيارة لا تقصد من لفظ أهل البيت هذا المعنى اللغوي، لان هذا المعنى قد يدخل فيه أزواج الرجل، وجميع أولاده، بل وخدامه وعبده، لان الجميع يسكن البيت، وهو غير مراد في هذه الفقرة حتما.

والمتيقن انها بصدد قصد الخمسة من أهل الكساء المشار إليهم في قوله تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))(4) وهم كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب والسيدة فاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة أسست أساس الظلم والجور على نبيه

1- تاج العروس للزبيدي ج 6 ص 217.

2- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 4 ص 89.

3- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 29.

4- سورة الأحزاب الآية 33.

الأعظم ورسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانتهجت غير نهجه وجارت عن طريقته وسنته إلى طريقة غيرهما، وابتدعت سنة جائزة حائدة عن الحق مضلة للأمة، وأسست أساس الظلم والجور على أمير المؤمنين وزوجته الطاهرة وابنيه الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فسلبتهم حقهم ووضعتهم ووضعت حقوقهم في غير مواضعها التي وضعها الله فيها).

وقد يكون المراد من أهل البيت هم كل من ذكر في الفقرة السابقة إضافة إلى الأئمة التسعة المنصوص على عصمتهم وإمامتهم من أبناء الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين⁽¹⁾.

المبحث الثالث: ماذا يمكن ان يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة

من خلال التأمل في ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة يمكن لنا :

أولاً: ان هذه الفقرة الشريفة من الزيارة أطلقت لفظ الأمة على هؤلاء الذين أسسوا أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو لفظ عام يشمل جنس الأمة، لذلك جرى به بصيغة النكرة، للدلالة على إرادة الشمول لجميع أفراد الأمة المتصرفة بصفة تأسيس الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام، فيكون اللعن بناءً على ذلك متوجهاً للأمة بجميع أفرادها بشرط اتصافها بوصف التأسيس لأساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بغض النظر عن عددهم وأسمائهم، وبغض النظر أيضاً عن كون المشمول بهذا اللعن فرداً وقد أطلق عليه أمة

1- وهم كل من الإمام علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري والحجة المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

__ لان الفرد كما تقدم يمكن أن يطلق عليه أمة __ أو مجموعة من الأمة أو الأمة بأسرها.

ثانيا: ان هذه الفقرة الشريفة لا تتحدث عن الأمة التي باشرت قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ولا عن المرحلة الزمنية التي استشهد فيها أبو الأحرار صلوات الله وسلامه عليه، فهي تتحدث عن حقبة زمنية سبقت وقعة كربلاء بمدة زمنية طويلة، لانها تتحدث عن حقبة زمنية كان اهل البيت موجودين فيها بأعيانهم وأشخاصهم، بقرينة أنها تأتي بلفظ أهل البيت وهو لفظ يشمل الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن ضمنهم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فتكون الحقبة المتينة والمقصودة من فقرة الزيارة هذه هي الممتدة من حين استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والتحاقه بالرفيق الأعلى إلى حين استشهاد السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهذا متوافق مع الوثائق التاريخية المعروفة والتي صرحت بشكل قاطع ان هذه الحقبة بالتحديد هي التي تم تأسيس أساس الظلم والجور فيها على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان كل المظالم والمآسى التي ابتلى بها أهل البيت فيما بعد كانت مستندة بأسبابها وممتدة جذورها إلى هذه الحقبة بالتحديد.

ثالثا: ان هذه الأمة وان لم تباشر قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا أنها أسست منهجا اقتدى به من جاء بعدها من الأمم، وإحدى خصائص هذا المنهج هو استخفافه بحرمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتهوين أمرهم وشأنهم في نظر المسلمين، ومع تطاول زمان انتهاج هذا النهج اعتادت هذه الأمة المؤسسة والأمم التي تلتها على رؤية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مظلومين مقهورين مستهاناً بحقوقهم كأنهم قد اقترفوا جرما أو أتوا بذنب عظيم، فصارت الجراة عليهم واستباحة حقوقهم والتقليل من شأنهم مما تعارف أمره عند الناس، وصار المعتدى عليهم لا يلام ولا ينظر إلى اعتدائه مثل ما ينظر إلى الاعتداء على رموز باقى الصحابة، ونتيجة لهذه النظرة الاستخفافية وهذا التهاون

الاجتماعى بحقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومظلوميتهم نشأ جيل جديد وأمة جديدة بعد انقراض تلك الأمة المؤسسة؛ صار يرى فى قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمراً لا يعاب عليه، ولا يلاحق عليه من قبل الدولة مثلما يلاحق من يقتل غيرهم من عوام الأمة، بل نرى الدولة هى التى تتصدى لقتلهم وسبيهم وإذلالهم.

رابعاً: ان اللعن الموجه لهذه الأمة المؤسسة للظلم والجور على أئمة أهل البيت عليهم السلام هو لعن وجيه ومشروع ومتوافق مع آيات القرآن وقواعد الشريعة المقدسة، وله مبررات منطقية ومشروعة قد ذكرتها نفس الفقرة الشريفة للزيارة، وهذه المبررات:

ألف: فهم كما وصفتهم الزيارة ممن أسس أساس الظلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والظلم كما لا يخفى من الكبائر التى توعد الله سبحانه عليه بالنار والعذاب، إضافة إلى انه من الأعمال التى عدّها القرآن الكريم سبباً من الأسباب التى تستحق اللعن والطرده من الرحمة الإلهية، كما قال سبحانه: ((وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)) (1).

وقال تعالى: ((يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (2).

وقال سبحانه أيضاً: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)) (3).

باء: تأسيسهم لمبدأ الجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والجور كما هو

1- سورة الأعراف الآية رقم 44.

2- سورة غافر الآية رقم 52.

3- سورة هود الآية رقم 18.

معلوم من الأمور التي صرحت الأحاديث الشريفة بأنه موجب للدخول والخلود في النار، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في مستدرکه قال: (أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه أنبأ محمد بن أيوب أنبأ عتيان بن مالك ثنا عيينة بن عبد الرحمن أخبرني مروان ابن عبد الله مولى صفوان بن حذيفة عن أبيه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أهل الجور وأعوانهم في النار. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)(1).

وقد لعنوا أيضا بلحاظ آخر على لسان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حيث أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک أيضا: (...عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب: المكذب بقدر الله والزائد في كتاب الله والمتسلط بالجبروت ليدل ما أعز الله ويعز ما أذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي. هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه)(2).

فهم مشمولون بفقرات هذا الحديث الأخير، فهي قد استخدمت سلطتها وجبروتها لإذلال آل الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الذين أعزهم الله وفضلهم على العالمين، فاستحلوا من عترة النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ما حرم الله سبحانه، فتركوا سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت جارية على إعزاز وإكرام أهل بيته بمختلف وجوه الإكرام، وفي المقابل أعزوا ورفعوا قدر ومنزلة الأراذل من الطلقاء وأبناء الطلقاء، فأذلوا بذلك ما أعز الله وأعزوا ما أذل الله سبحانه، فاستحقوا بأفعالهم هذه اللعنة من الله ومن رسوله ومن كل نبي مستجاب الدعوة.

1- المستدرک للحاكم النيسابورى ج4 ص89.

2- المصدر السابق ص90.

المبحث الرابع: دلالة اللعن في المصطلح القرآني

المتتبع لآيات القرآن الكريم يجدها مشحونة بلفظ اللعن، فقد جاء استخدام هذه المفردة في آيات الكتاب العزيز مع مشتقاتها ما يقارب الست والستين مرة تقريبا، في ست وستين آية، وهو عدد لا يستهان به ويستدعى الوقوف عنده والتأمل في مضامينه واستخراج ما خفى من مكنونه.

ونستطيع من خلال التأمل في آيات اللعن في القرآن الكريم أن نكتشف أهدافاً عديدة قد صيغ من أجلها اللعن في آيات الذكر الحكيم، ومن هذه الأهداف ما يأتي:

أولاً: قد يأتي اللعن في القرآن الكريم للحكم بالطرد والإبعاد عن الرحمة الإلهية وعدم شمول اللطف والمغفرة لأفعال معينة لا تتسجم مع الشريعة الإلهية. أو يأتي اللعن للحكم بالطرد والإبعاد لأشخاص تلبسوا بأفعال غير مرضية لله سبحانه.

كما في قوله سبحانه ((وَمَنْ يَفْعَلْ مُؤْمِنًا مَّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا))⁽¹⁾. فهذه الآية المباركة تحكم على من يتلبس بصفة القتل للمؤمن، ويأتي بمثل هذا الفعل الشنيع، بالطرد من ساحة الرحمة واللطف الإلهي، وعدم شمول فعله بقانون المغفرة والرحمة فيكون بناء على ذلك دخوله في جهنم وخلوده فيها وبقاؤه في العذاب العظيم أمراً طبيعياً، لان من لم يدخل في رحمة الله ولطفه صار إلى عذابه وسخطه، ومن لم يذق طعم نعيم مغفرته ذاق طعم أليم عذابه ونقمته.

ثانياً: وقد يأتي اللعن لإعلان الموقف العملي والرفض تجاه فكرة منحرفة كقوله تعالى: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ

1- سورة النساء، الآية 93.

يَسَاءُ)) (1)، فاللعن هنا بمنزلة إعلان الرفض القاطع لهذه الفكرة المنحرفة وإبعاد لها عن مقام الرضا الإلهي وطردها عن الفكر الإسلامي حتى لا- تلحق الدين ولا- المسلمين جرائر هذا القول المنحرف مثلما كانت العرب تلعن وتطرد من يسيء منها ويتمرد حتى لا تلحقهم جرائره.

ثالثا: وقد يأتي اللعن ليكون بمنزلة جرس إنذار للمجتمع المسلم بأن الشخص الملعون في هذه الآية هو خطر يحرق بالمجتمع، يمكن أن يفتك به، فالواجب على الجميع أخذ الحيطة والحذر منه وتوقيه، كما في قوله تعالى ((إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَا ضَلَّتَّهُمْ وَلَا مَنِيَّتَهُمْ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلَيُبَسِّطَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلَيُعَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا)) (2) فهذه الآية واضحة لا يخفى وهو تحذير للناس من خبث الشيطان وفتكه لعنه الله.

وقد يكون التحذير من فئة معينة فيصاغ هذا التحذير على شكل لعن لهم كما في قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ)) (3) ففي الآية تحذير من اليهود وعدائهم ضد الأهداف الإلهية وضد الأنبياء والرسل، ذلك العداء الذي أدى بهم إلى أن مسخوا بأمر الله إلى قرود وخنازير، لكنهم رغم ذلك لم يتوبوا ولم يرجعوا إلى الحق، وبقيت سيرة النفاق

1- سورة المائدة، الآية 64.

2- سورة النساء، الآية 117-119.

3- سورة المائدة، الآية 59-61.

والكذب ملازمة لهم، حتى أن مكرهم قد بلغ إلى درجة أنهم كانوا يأتون الذين آمنوا فيدعون الإيمان برسالة النبي ودين الإسلام وهم ما زالوا لم يخرجوا من كفرهم وضلالهم.

أو كقوله تعالى: ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ))⁽¹⁾ ففي اللعن هنا تنبيه لكل من يفكر بأن هذه الفئة الخطرة يمكن لها في يوم من الأيام أن تهتدى إلى الصراط القويم، لأن الآية توضح وبكل صراحة، أن العدا لمنهج الحق، وتكذيب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من قبل اليهود، ليس هو وليد اليوم، بل إن لهذا الحقد والعداء جذوره التاريخية الممتدة إلى زمن نبي الله داود وعيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهما ومن كثرة أذاهم لعنوا على لسان هذين النبيين العظيمين صلوات الله وسلامه عليهما، فينبغي والحال هذه أخذ الحيطة والحذر من هذه الفئة الخطيرة، وإن لا يتوقع منهم الكثير من الهداية والكف عن منهجهم المنحرف، لأن من لم يهتد كل تلكم السنين حقيق أن لا يرجي منه الكثير ولا يؤمن جانبه ساعة من الزمن.

رابعا: وقد يأتي اللعن في آيات القرآن الكريم ليكشف الآثار التكوينية للعن على الشخص الملعون، وانه مسلوب التوفيق للتوبة، محجوب القلب والعقل عن الوصول إلى الحقائق الإلهية كما في قوله تعالى: ((وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ))⁽²⁾ فالكفر والتمادي به يسبب اللعن، واللعن يسبب سلب التوفيق وتغليف القلب عن نيل المراتب الكمالية في المعرفة، لذلك نجدهم قليلا ما يؤمنون، لأن الإيمان يحتاج إلى معرفة ورؤية واضحة للحق، وهؤلاء المتمادون في الكفر قد سلب الله منهم

1- سورة المائدة ، الآية 78.

2- سورة البقرة ، الآية 88.

ذلك نتيجة أعمالهم التي اختاروها، ووضعوا أنفسهم في ضمن قانونها.

والآية المباركة وان كانت تشير إلى أن البعض منهم يمكن أن تدركه الرحمة من جديد ويهتدى بهدى الإيمان فيما لو غير من مقدمات حياته لتتغير تبعاً لتلك المقدمات المترتبة عليها، قال تعالى ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) (1).

وأخيراً لابد من الإشارة إلى أمر هام هو: ربما تجتمع كل هذه الأسباب الأربعة في مورد قرآني معين، وربما تجتمع بعضها دون بعض، وكل ذلك يفهم من القرآنية المحيطة بالآية التي ورد فيها اللعن، كما في قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) (2) فهم بسبب لعن الله لهم حكم عليهم بالطرد من الرحمة، ولعنة الناس لهم عبارة عن إعلان موقف عملي واضح تجاه هؤلاء وذلك بطردهم من صفوف المؤمنين والمرحومين، والبراءة من أعمالهم وكفرهم ووقوفهم بوجه الأنبياء عليهم السلام حتى لا تلحقهم جرائمهم، وأما لعن الملائكة فهو بخذلانهم حال الحياة وعدم نصرتهم، وأخذهم بأشد العذاب بعد مماتهم.

المبحث الخامس: جزاء من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة

جرت حكمة الله سبحانه وتعالى على أن يحصى عمل كل عامل من عباده، قال تعالى: ((وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)) (3).

1- سورة الرعد، الآية 8.

2- سورة البقرة، الآية 161.

3- سورة يونس الآية رقم 61.

واقترضى عدله سبحانه أن يجزى أهل الإحسان والعمل الصالح بجزاء يتناسب وصلاح عملهم، قال تعالى ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (1)، ويجزى من عمل من عباده السوء بمثله ((لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)) (2).

وأن الفعل الصالح يعود بالصلاح على صاحبه، وكذا الفعل الطالح فلا يحق ضرره بغير أهله، لأن الله سبحانه ارفع وأعلى مرتبة من أن يصله خير عباده أو يتضرر بسوء فعلهم قال تعالى ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)) (3)، وقال سبحانه أيضا: ((وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)) (4).

وأوضحت آيات القرآن الكريم أن العباد يوم القيامة على قسمين، فمنهم من يأتي حاملا وزر نفسه فقط كما قال تعالى: ((قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ)) (5).

ولكن بعضهم الآخر يأتي يوم القيامة حاملا وزره ووزر غيره، وهؤلاء هم الذين سنوا سنة سيئة في حياتهم الدنيا وتبعهم الناس على ضلالتهم، فهم ضالون بأنفسهم، ومضلون لغيرهم، فيحملوا أوزار أنفسهم وأوزار كل من يقع في شباك ضلالهم، كما قال تعالى: ((لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ

1- سورة النحل الآية رقم 97.

2- سورة النساء الآية رقم 123.

3- سورة الجاثية الآية رقم 15.

4- سورة فاطر الآية رقم 43.

5- سورة الأنعام الآية رقم 31.

بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ)) (1)، وقال تعالى: ((وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)) (2).

وقد عضدت الروايات الشريفة ما جاء على لسان الآيات آنفا، فعقدت كتب الحديث للفريقين أبوابا تضم أحاديث تفصل ما أوجز في آيات القرآن الكريم، نختار منها ما يأتي:

منها ما أخرجه أحمد بن محمد بن خالد البرقي قدس الله روحه في كتاب المحاسن عن ابن محبوب، عن إسماعيل الجعفرى قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من استن بسنة عدل فاتبع، كان له أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن استن بسنة جور فاتبع، كان له مثل وزر من عمل به من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) (3).

وعنه قدس الله روحه أيضا عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: (حدثني أبان بن محمد البجلي، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (من علم باب هدى، كان له أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم، ومن علم باب ضلال كان عليه مثل وزر من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم) (4).

وعن الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتابه ثواب الأعمال عن أبان عن عبد

1- سورة النحل الآية رقم 25.

2- سورة الأحزاب الآية 67 _ 68.

3- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج 1 ص 27 ثواب من سن سنة عدل.

4- المصدر السابق ثواب من علم باب هدى، وراجع الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 35 باب ثواب العالم والمتعلم الحديث رقم 4.

الرحمن بن أبي عبد الله قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام لا يتكلم الرجل بكلمة حق فأخذ بها إلا كان له مثل أجر من أخذ بها ولا يتكلم بكلمة ضلال يؤخذ بها إلا كان عليه وزر من أخذ بها)(1).

وعنه قدس الله روحه أيضا عن ميمون القداح عن أبي جعفر عليه السلام قال: (أيما عبد من عباد الله سن سنة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيما عبد من عباد الله سن سنة ضلال كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)(2).

وعن البخارى فى صحيحه قال: (حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها وربما قال سفيان من دمها لأنه أول من سن القتل)(3).

وقد عقد الترمذى بابا أسماه (باب فى من دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة) جاء فيه: (حدثنا على بن حجر، أخبرنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا». هذا حديث حسن صحيح)(4).

1- ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص 132 ثواب من تكلم بكلمة حق فأخذ بها.

2- المصدر السابق ثواب من سن سنة هدى.

3- صحيح البخارى ج 8 ص 151 باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة لقول الله تعالى: ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية، وراجع أيضا صحيح مسلم ج 5 ص 106 __ 107.

4- سنن الترمذى ج 4 ص 149.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: (باب بيان إثم من سن القتل قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منهن لأنه كان أول من سن القتل»... وهذا الحديث من قواعد الإسلام وهو أن كل من ابتدع شيئاً من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلى يوم القيامة ومثله من ابتدع شيئاً من الخير كان له مثل أجر كل من يعمل به إلى يوم القيامة، وهو موافق للحديث الصحيح من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة، وللحديث الصحيح: من دل على خير فله مثل أجر فاعله، وللحديث الصحيح: ما من داع يدعو إلى هدى وما من داع يدعو إلى ضلالة والله أعلم(1).

أقول: لا يشك في أن الأمة المؤسسة لأساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مشمولة بما تقدم من الآيات والروايات، وتحمل إضافة إلى أوزارها أوزار كل من عمل بعملها واستن بسنتها إلى يوم القيامة.

المبحث السادس: لا عبرة بالأكثرية والحق هو المدار

غالباً ما يواجه المؤمن الذي يعتقد بفكرة ظلم الأمة لأفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بسؤالين من قبل المخالفين:

الأول: هل يمكن أن نتصور أن تتعاضد أمة بكاملها وتتفق على تأسيس وترسيخ الظلم والجور على خمسة أشخاص من أهل بيت واحد؟.

الثاني: هل يعقل أن تكون هذه الأقلية هي التي على الحق والصواب بينما تكون تلك الأمة المترامية الأطراف في تعداد أفرادها على الباطل والخطأ ومجانبة الحق؟.

1- شرح مسلم للنووي ج 11 ص 166.

وليس الجواب على هذين السؤالين بصعب ولا عسير بعد ان أوضح القرآن الكريم بآيات كثيرة ان أولياء الله سبحانه كانوا على مر التاريخ يتصفون بالأقلية في مقابل مجتمعاتهم وأممهم، وان هؤلاء الأولياء مع كونهم أقلية إلا ان الحق كان معهم وفي صفهم، وتلك المجتمعات مع انها كانت تمثل الأكثرية إلا ان الباطل لم يكن يفارقها وقد تحدثت آيات القرآن بإسهاب عن هذا الموضوع، قال تعالى: ((حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)) (1).

وقال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)) (2).

وقال تعالى: ((قَالَ الَّذِينَ يَبْطِئُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (3).

ويكفي في جريان هذه السنة في امتنا الإسلامية قوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نقله الهيثمي في (مجمع الزوائد): (عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا ببيع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم. رواه البزار ورجاله ثقات) (4).

وعن الحاكم النيسابوري في المستدرک قال: (حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد

1- سورة هود الآية رقم 40.

2- سورة الحديد الآية رقم 26.

3- سورة البقرة الآية 249.

4- مجمع الزوائد للهيثمي ج 7 ص 261.

العنبري ثنا محمد بن عبد السلام ثنا إسحاق بن إبراهيم أنبا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن همام قال كنا عند حذيفة فذكروا: من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، فقال رجل من القوم: إن هذا في بني إسرائيل فقال حذيفة نعم الأخوة بنو إسرائيل إن كان لكم الحلو ولهم المر كلا والذي نفسى بيده حتى تحذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(1).

وقال صاحب كتاب تحفة الأحوذى: (وفى حديث أبي سعيد عند البخارى لتتبعن سنن من قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن، ورواه الحاكم عن ابن عباس وفى آخره وحتى لو أن أحدكم جامع امرأته فى الطريق لفعلمتموه. قال المناوى: إسناده صحيح والسنة لغة الطريقة حسنة كانت أو سيئة والمراد هنا طريقة أهل الهوى والبدع التى ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل وقال النووى المراد الموافقة فى المعاصى والمخالفات لا فى الكفر وفى هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم(2).

وبعد هذه المقدمة يصبح ليس عجيبا أن نرى امة كاملة تتصف بأنها مسلمة تجتمع على عداوة وظلم أهل بيت معين يتكون من عدة أشخاص، وفى قصة بنى إسرائيل واجتماعهم على ظلم موسى وأخيه هارون مع كونهم من أتباعه وأنصاره خير دليل على هذه الحقيقة، الم يعبدوا العجل وكادوا أن يقتلوا هارون بعد أن

1- المستدرک للحاکم النیسابوری ج 2 ص 312.

2- تحفة الأحوذى للمبارکفوری ج 6 ص 339__340.

استضعفوه(1)، ألم يرفضوا دخول أرض الجبابة وقالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا، حتى اشتكى نبي الله موسى وصرح بأنه لا يملك إلا نفسه وأخاه(2)، وهو يعنى ترك الأمة بأجمعها واجتماعهم على ظلم هذين النبيين العظيمين صلوات الله وسلامه عليهما.

فلا يستغرب مستغرب بعد كل الذى مر ما صرحت به زيارة عاشوراء من انحراف الأمة الإسلامية — إلا ما خرج بالدليل — عن الحق ومخالفتها وصايا النبي. وتأسيسها للظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا ينكر ذلك منكر بحجة ان أكثر الأمة لا يمكن ان يجتمع على خطأ وضلال.

المبحث السابع: الإمام الحسين عليه السلام ميزان حساب الأمم

إشارة

ان لله سبحانه وتعالى فى هذا الكون قوانين خلقها وأوجدها وأودع فيها سرّاً أن تكون كاشفة عن حقائق كونية أخرى، فتمدد الزئبق مثلاً دليل على ارتفاع درجات

1- تمام القصة المذكورة فى قوله تعالى: ((وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَوْا عَفْوَني وَكَادُوا يَكْتُلُونِي فَلَا تُشْجِمِ بِي الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَاخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) سورة الأعراف الآية رقم 148 __ 151.

2- كما هو مذكور فى الآية المباركة التالية: ((قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)) سورة المائدة الآية رقم 24 __ 25.

الحرارة، وانقباضه وتقلصه دليل على انخفاضها، وبلوغ درجة الماء إلى مئة درجة مئوية دليل على غليانه، كما ان انخفاض درجته إلى الصفر أو اقل دليل على انجماده، والمتر وأجزاؤه ميزان يقاس به المسافات، وهكذا في بقية الأشياء التي يكون وجودها ميزانا يوزن به غيرها ويقاس بالنسبة إليها بقية الأشياء.

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين موازين رضا الله وغضبه

ولا تختص هذه الموازين بعالم المادة، وإنما تتعدى لتشمل ما هو غير مادي كالحب والبغض الإلهي، والرحمة والعذاب الإلهي، والرضا والسخط الإلهي، فإن الله سبحانه وتعالى قد خلق موازين ومقاييس تقاس بها تلك الأشياء وتوزن، وقد وردت الروايات وتضافرت الأخبار على ان أهل البيت ميزان تقاس به تلك الأمور السابقة، فعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سألته عن قول الله عز وجل: ((وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) (1) قال: إن الله تعالى أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، حيث يقول: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)) (2) يعني الأئمة منا (3).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ((فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)) (4) فقال: إن الله عز وجل لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، فلذلك صاروا

1- سورة البقرة الآية رقم 57.

2- سورة المائدة الآية رقم 55.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 146.

4- سورة الزخرف الآية رقم 55.

كذلك وليس أن ذلك يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال: من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ودعانى إليها وقال: ((مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)) (1) وقال: ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)) (2) فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك (3).

أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ميزان أولاد الحلال وميزان الإيمان والنفاق

والأدلة الروائية مثلما جعلت من كافة أفراد أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والذى من ضمنهم الأئمة التسعة من أولاد الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كذلك جعلت كل فرد من أفرادها ميزاناً بذاته وميزت كل فرد منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بميزة اختص بها، ومن هذه الميزات الخاصة هى جعل الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه ميزاناً لمعرفة طيب الأصل وخبثه، وكذلك جعل حبه وموالاته ميزاناً لتمييز أهل الإيمان وأهل النفاق، وكون حربه حرباً لله ولرسوله، وان الداخلى بحزبه داخل بحزب الله ورسوله والخارج عنه خارج عن ذلك، وبهذا الصدد وردت أحاديث لا يمكن استيعابها بهذا المبحث لكننا نذكر بعضاً منها تيمناً بذكر فضائل سيد الموحدين وإمام المتقين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه :

منها ما عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنه قال: (لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى على خصالاً، لو كانت واحدة منها فى جميع الناس لاكتفوا بها فضلاً: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلى مولاه. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على منى

1- سورة النساء الآية رقم 80.

2- سورة الفتح الآية رقم 10.

3- الكافى للشيخ الكلينى ج 1 ص 144 __ 145.

كهارون من موسى. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على منى وأنا منه. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على منى كنفسى، طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حرب على حرب الله، وسلم على سلم الله. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ولي على ولي الله، وعدو على عدو الله. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على حجة الله وخليفته على عبادته. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حب على إيمان، وبغضه كفر. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حزب على حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على مع الحق والحق معه لا يفترقان حتى يردا على الحوض. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على قسيم الجنة والنار. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من فارق عليا فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله عز وجل. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: شيعة على هم الفائزون يوم القيامة(1).

ومنها ما عن إبراهيم القرشى قال: (كنا عند أم سلمة رضی الله عنها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلى صلوات الله وسلامه عليه لا يبغضكم إلا ثلاثة ولد زنا ومنافق ومن حملت به أمه وهي حائض)(2).

عن فضيل بن عثمان، عن أبي الزبير المكي قال: (رأيت جابرا متوكيا على عصاه وهو يدور في سلك الأنصار ومجالسهم وهو يقول: على خير البشر فمن أبى فقد كفر يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي فمن أبى فانظروا في شأن أمه)(3).

وعن أبي أيوب الأنصاري انه قال: (اعرضوا حب علي على أولادكم، فمن أحبه فهو منكم، ومن لم يحبه فاسألوا أمه من أين جاءت به؟ فإنى سمعت رسول الله

1- الأمالى للشيخ الصدوق ص 149 __ 150.

2- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 142.

3- (المصدر السابق).

صلى الله عليه وآله يقول لعلى بن أبى طالب: لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق أو ولد زنية أو حملته أمه وهى طامث(1).

عن أبى الصلت الهروى قال: قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام يا أبا الحسن أخبرنى عن جدك أمير المؤمنين بأى وجه هو قسيم الجنة والنار وبأى معنى فقد كثر فكرى فى ذلك؟ فقال له الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حب على إيمان وبغضه كفر؟ فقال: بلى فقال الرضا عليه السلام: فقسمة الجنة والنار إذا كانت على حبه وبغضه فهو قسيم الجنة والنار، فقال المأمون: لا أبقانى بعدك يا أبا الحسن أشهد أنك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أبو الصلت الهروى: فلما انصرف الرضا عليه السلام إلى منزله أتته فقالت له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين؟ فقال الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت إنما كلمته حيث هو ولقد سمعت أبى يحدث عن آبائه عن على عليه السلام إنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا على أنت قسيم الجنة يوم القيامة تقول للنار: هذا لى وهذا لك(2).

الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ميزان غضب الله سبحانه ورضاه

والسيدة الطاهرة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانت ولا تزال ميزان سخط الجبار ورضا الرحمن، وهى صلوات الله وسلامه عليها ميزان رضا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغضبه، التى من يؤذيها فقد آذى الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن يرضيها فقد أرضى الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا الصدد وردت روايات كثيرة نختار منها:

1- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 145.

2- عيون أخبار الرضا صلوات الله وسلامه عليه للشيخ الصدوق ج 1 ص 92.

عن الإمام الصادق جعفر بن محمد صلوات الله وسلامه عليهما، عن أبيه صلوات الله وسلامه عليه، عن علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه، عن الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: (يا فاطمة، إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك، قال: ف جاء صندل، فقال لجعفر بن محمد صلوات الله وسلامه عليهما: يا أبا عبد الله، إن هؤلاء الشباب يجيئوننا عنك بأحاديث منكرة فقال له جعفر صلوات الله وسلامه عليه: وما ذاك يا صندل؟ قال: جاءنا عنك أنك حدثتهم أن الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها؟ قال: فقال جعفر صلوات الله وسلامه عليه: يا صندل، أستم رويتم فيما تروون أن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب عبده المؤمن، ويرضى لرضاه؟ قال: بلى. قال: فما تنكرون أن تكون فاطمة صلوات الله وسلامه عليها مؤمنة، يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها(1) قال: فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته(2).

وعن الحاكم النيسابورى فى كتابه المستدرک على صحيح مسلم والبخارى قال: (حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن على بن عفان العامرى وأخبرنا محمد بن على بن دحيم بالكوفة ثنا أحمد بن حاتم بن أبى غرزة قال ثنا عبد الله محمد بن سالم ثنا حسين بن زيد بن على عن عمر بن على عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين عن أبيه عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(3).

-
- 1- هذا الكلام من الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو من باب تقريب هذه الحقائق لأذهان العامة الذين يستثقلون مقامات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومنازلهم التى أنزلهم الله فيها، وإلا فان رضا السيدة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها وغضبها لا يقاس برضا عامة المؤمنين والمؤمنات ورضاهم.
 - 2- الأمالى للشيخ الصدوق ص 467 __ 468.
 - 3- المستدرک للحاكم النيسابورى ج 3 ص 153 __ 154.

وقال الهيثمي: (وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. رواه الطبراني وإسناده حسن)(1).

الحسين صلوات الله وسلامه عليه ميزان حساب الأمم يوم القيامة

والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في زيارة عاشوراء يتبين ان له حسابا خاصا، فكما ان مصيبيته أعظم من كل المصائب وأجل من كل الرزايا، كذلك حسابه وميزانه يختلف عن كل الموازين، فالله سبحانه سيحاسب بالحسين صلوات الله وسلامه عليه وبدمه ومصيبته ورزيته أمما بأكملها، وزيارة عاشوراء توضح هذه الحقيقة، فستحاسب به أمة أسست أساس الظلم والجور عليه وعلى أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأمة دفعته وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم وأزالتهم عن مراتبهم.

وستحاسب به أمة قتلتها وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأمة مهّدت ومكّنت من قتله وقتل أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأشياعهم وأتباعهم وأوليائهم، وأمة أسرجت وألجمت وتنقبت وتهيات لقتاله. وسيحاسب الله به بيوتا كاملة من أمثال آل زياد وآل مروان وبنى أمية قاطبة، وسيحاسب به أفرادا شاركوا في أحداث مجزرة عاشوراء من أمثال ابن مرجانة وعمر بن سعد وشمر ويزيد وغيرهم من الملعونين.

وسيحاسب به الله سبحانه أمما وجدت بعد استشهاد واستشهاد أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد رضيت بفعل تلك الأمم السابقة، وبررت فعل أعدائه، وخطأت الحسين صلوات الله وسلامه عليه في خروجه، ودافعت عن انتهاك حرمة أهل بيته وأصحابه يوم عاشوراء وبعده، فقد ورد في الرواية ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه يقتل ذراري قتلة الحسين صلوات الله وسلامه عليه ممن رضى بفعال آبائه، وممن لو

كان موجودا فى الطفوف يوم عاشوراء لشارك ضده وعاون على قتله، فقد روى الشيخ الصدوق قدس الله روحه عن عبد السلام بن صالح الهروى قال: (قلت لأبى الحسن على ابن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه يا بن رسول الله ما تقول فى حديث روى عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: إذا خرج القائم قتل ذرارى قتلة الحسين صلوات الله وسلامه عليه بفعال آبائها فقال صلوات الله وسلامه عليه هو كذلك فقلت فقول الله عز وجل ((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)) (1) ما معناه؟ فقال صدق الله فى جميع أقواله لكن ذرارى قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها ومن رضى شيئا كان كمن أتاه ولو أن رجلا قتل فى المشرق فرضى بقتله رجل فى المغرب لكان الراضى عند الله شريك القاتل وإنما يقتلهم القايم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم... (2).

وليس إهلاك الأمم لعة قتلهم للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أو الرضا بقتله أو مشايعة ومبايعة قتلته أو غير تلك الأمم والبيوت والأفراد الذين سبق ذكرهم بعزيز على الله سبحانه، بعد ان ذكر القرآن الكريم إهلاك وعذاب الأمم السابقة بذنوبهم وإسرافهم وقتلهم لأنبيائهم وصلحائهم قال تعالى: ((أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)) (3).

وقال تعالى: ((وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)) (4) وقال تعالى: ((وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ

1- سورة فاطر الآية رقم 18.

2- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 229.

3- سورة الأنعام الآية رقم 6.

4- سورة يونس الآية رقم 13.

وَالْمُسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» (1).

وليس من سبق من الأنبياء بأعز وأكرم على الله سبحانه من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فإذا جاز إهلاك وعذاب الأمم التي قتلت أنبياءها وأوصياءها جاز وحسن إهلاك من سبق ذكره من الأمم لان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما ثبت بالدليل من قبل أكمل من جميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالاعتداء عليه وعلى حرمة أشد وأعظم من الاعتداء على كل الأنبياء والرسل، بل ان الاعتداء عليه هو في حقيقته اعتداء على كل الأنبياء والرسل، وعليه فمن العدل ان يكون الانتصاف له من أعدائه والانتقام له أعظم وأشد وأكبر من كل انتقام قد شهدته الأمم السالفة السابقة التي أهلكت في أزمنة الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَن مَّرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة المباركة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة المباركة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ
2: عَن مَّقَامِكُمْ
3: وَأَزَالَتْكُمْ

4: عَن مَّرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا

المبحث الثالث: تبيان بعض مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام.

المبحث الرابع: بسبب دفع أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مراتبهم

المبحث الخامس: سبب مسارعة الأمة إلى دفع أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم ومنازلهم.

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا فِي هَذِهِ الْفُقْرَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الزِّيَارَةِ مَبَاحِثٍ مَهْمَةٌ نَسْتَعْرِضُهَا
فِي مَا يَأْتِي مِنَ الْكَلَامِ:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة المباركة

تواترت الروايات وأجمعت نصوص الأدعية والزيارات الشريفة عن النبي الأعظم والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أن الله سبحانه قد منح لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مقامات أنزلهم بها ومراتب رتبهم فيها، وقد تم دفعهم عنها وإزالتهم منها، وسنذكر فيما يأتي جملة من تلك النصوص الشريفة:

فمنها ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: (بلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات أوصياء المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع، حتى لا يبقى ملك مقرب ولا

نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دنى ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مرید ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلاله أمركم وعظم خطرکم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلکم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه(1).

ومنها ما ورد في زيارة أئمة البقيع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: (يا موالى يا أبناء رسول الله، عبدكم وابن أمتكم، الدليل بين أيديكم، والمضعف في علوق دركم، والمعترف بحقكم، جاءكم مستجيرا بكم، قاصدا إلى حرمكم، متوسلا إلى مقامكم، متوسلا إلى الله بكم. أَدْخِلْ يا موالى، أَدْخِلْ يا أمناء الله، أَدْخِلْ يا أولياء الله، أَدْخِلْ يا ملائكة الله المحققين بهذا الحرم، المقيمين بهذا المشهد...) (2).

ومنها زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في أول شهر رجب والنصف من شعبان، والتي ذكرها السيد ابن طاوس في إقبال الأعمال حيث قال قدس الله روحه: (فيما نذكره من لفظ زيارة الحسين عليه السلام في نصف شعبان أقول: إن هذه الزيارة مما يزار بها الحسين عليه السلام أول رجب أيضا، وإنما أخرجنا ذكرها في هذه الليلة لأنها أعظم، فذكرناها في الأشرف من المكان، وهى: ... بأبى أنت وأمى ونفسى يا أبا عبد الله لقد عظمت المصيبة وجلت الرزية بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام، فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها. بأبى أنت وأمى ونفسى يا أبا عبد

1- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 2 ص 613 _ 614، عيون أخبار الرضا عليه السلام الشيخ الصدوق ج 1 ص 307.

2- المزار لمحمد بن المشهدى ص 88.

الله أشهد لقد اقشعرت لدمائكم أظلة العرش مع أظلة الخلائق، وبكتكم السماء والأرض وسكان الجنان والبر والبحر، صلى الله عليك عدد ما فى علم الله... (1).

وسياتى تفصيل الكلام حول بعض مقاماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحقيقة إبعاد الأمة لهم عن تلك المراتب والمقامات التى منحها لهم الله سبحانه وتعالى فى مبحث مستقل لاحقاً.

المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه الفقرة المباركة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعْتَكُمْ

قد سبق فى الفقرة السابقة توضيح وتبيان معنى كل من كلمة (لَعَنَ) و (أُمَّةً) وبقي أن نعرف معنى (دَفَعْتَكُمْ) وضمير الجمع عائد بلا ريب إلى أهل البيت الذين مر ذكرهم فى الفقرة السابقة، أما لفظ (دفع) فقد استعمل بمعان أربعة هى:

الأول: استعمل بمعنى المنع، قال الفراهيدى: (دفع: دفعت عنه كذا وكذا دفعا ومدفعا، أى: منعت) (2). فيصبح معنى العبارة هو (ولعن الله أمة منعتكم عن مقاماتكم وأزالتمكم عن مراتبكم التى رتبكم الله فيها).

الثانى: وقد يكون الدفع من المدافعة فيكون بمعنى المماثلة، قال الجوهرى فى الصحاح: (والمدافعة: المماثلة) (3). وقال ابن منظور: (والمدافعة: المماثلة. ودافع فلان فلانا فى حاجته إذا ماطله فيها فلم يقضها) (4) فيكون المعنى لعن الله أمة ماطلتكم

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 341 __ 342 فصل 53.

2- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 2 ص 45 باب العين والبدال والفاء معهما.

3- الصحاح للجوهرى ج 3 ص 1208 فصل الدال مادة دفع.

4- لسان العرب ابن منظور ج 8 ص 89.

عن مقامكم ومراتبكم التي رتبكم الله فيها)، أو (لعن الله امة ماطلت دون وصولكم إلى مقاماتكم ومراتبكم التي رتبكم الله فيها).

وأهل البيت وكما هو الثابت في الآيات والروايات سيرد لهم الله سبحانه هذه المنازل والمراتب في زمن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وستجتمع له السلطة الظاهرية والباطنية، ولكن بعد مفاطلة من الظالمين يطول أمدها، ويهلك فيها الكثير ممن سار على نهج تلك الفئة التي جلست في مجلس أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وغصبت مقامهم، فهم ملعونون مسخوط عليهم بسبب منعهم ومفاطلتهم التي تسببت في إضلال فئة من الناس ليست بالقليلة، وكذلك تسببت في تعطيل حدود الله من أن تقام على أيدي أصحابها الشرعيين، وأيضا أسهمت تلك المفاطلة بتكبيد أهل البيت عليهم السلام المتاعب والمصاعب والمحن والآلام بل وتكبدوا في سبيل إعادة السلطة الإلهية من أيدي الغاصبين إلى التصحية بدمائهم الزكية ونفوسهم المقدسة ثمنا لذلك.

الثالث: وقد يكون الدفع بمعنى الإسراع: (دفع دفعت إلى فلان شيئا ودفعت الرجل فان دفع. واندفع الفرس، أى أسرع في سيره، واندفعوا في الحديث)(1).

فيكون معنى العبارة (ولعن الله امة أسرع في دفعكم عن مقامكم وأزالتم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها) وهذا ما حصل فعلا فبمجرد أن مات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والتحق بربه سارعت أمته وهو بعد لم يمدفن إلى دفع أهل البيت عن مقاماتهم ومراتبهم ومن أجلى مراتبهم ومقاماتهم مقام الولاية ومرتبة الإمامة.

الرابع: وقد يكون بمعنى الإزالة بقوة، قال ابن منظور: (دفع: الدفع: الإزالة

بقوة. دفعه يدفعه دفعا ودفاعا ودفاعه ودفعه فاندفع وتدفع وتدافع(1). فيكون المعنى (ولعن الله أمة أزالكم بالقوة عن مقامكم ومراتبكم التي رتبكم الله فيها) فيكون هذا المعنى مرادفا للفظ (وأزالكم) الوارد ذكره في نفس هذه الفقرة.

وكل هذه المعاني الأربعة محتملة المراد من قبل الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه لان جميعها قد وقع في الخارج، فان التاريخ يثبت وبصورة لا تقبل الشك ان الأمة قد منعت وماطلت وأسرعت واستعملت القوة في إزالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم ومنازلهم التي رتبهم الله فيها.

2: عَنْ مَقَامِكُمْ

عَنْ: وردت لها معانٍ عدة في اللغة، والمعنى الأنسب لها في هذه الفقرة أن تكون بمعنى (من) لأنها إحدى معانيها(2) وهي نظير قوله تعالى ((وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)) (3).

مَقَامِكُمْ: ضمير الجمع عائد إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين ذكرتهم الفقرة السابقة من الزيارة، ولفظ (مقام) جاء في اللغة بمعنى (موضع) (4) ومنه قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا)) (5) أى لا موضع لكم فارجعوا، وقوله تعالى: ((خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)) (6)، أى حسنت مستقرا وموضعا.

1- لسان العرب ابن منظور ج 8 ص 87.

2- موسوعة معاني الحروف العربية ص 134 للدكتور على سلمان.

3- سورة الشورى الآية رقم 25.

4- الصحاح للجوهري ج 5 ص 2017 مادة قوم.

5- سورة الأحزاب الآية رقم 13.

6- سورة الفرقان الآية رقم 76.

3: وَأَزَالْتَكُمْ

الواو كما لا يخفى هنا للعطف والجملة معطوفة على ما قبلها والمعنى (ولعن الله أمة أزالتمكم عن مراتبكم) وضمير الجمع راجع إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولفظ (أزال) استعملت في اللغة بمعان عدة وجميعها محتملة المراد:

الأول: قد يكون (أزال) من الزوال بمعنى الذهاب أو الاستحالة من شىء إلى شىء أو الاضمحلال، قال ابن منظور: (الزوال: الذهاب والاستحالة والاضمحلال) (1) والاستحالة تشمل كل ما تحول أو تغير من الاستواء إلى الاعوجاج (2).

فيكون معنى الفقرة من الزيارة هو (ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم، وذهبت بكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها، وتحول حالها معكم من الاستواء إلى الاعوجاج، فاضمحلّت بذلك مراتبكم وذهبت مقاماتكم).

الثاني: وقد يكون من الزوال بمعنى التنحية والتحريك، قال ابن منظور: (الزول الحركة، يقال رأيت شبحاً ثم زال أى تحرك. وزال القوم عن مكانهم إذا حصوا عنه وتنحوا) (3).

وقال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: (ونحى الشىء: أزاله، يقال: نحيت فتتحى ونح هذا عنى أى أزاله وأبعده عنى) (4).

فيكون معنى فقرة الزيارة هو: (ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم ونحتكم وحركتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها).

1- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 313 فصل الزاى المعجمة.

2- القاموس المحيط ج 3 ص 364.

3- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 313 فصل الزاى المعجمة.

4- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 284.

4: عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا

عَنْ: تقدم الحديث عن لفظ (عَنْ) وقلنا انها هنا بمعنى (من).

مَرَاتِبِكُمْ: ضمير الجمع عائد إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، و(مَرَاتِبٍ) جمع (رتبة) أو (مرتبة) والمرتبة كما جاء في اللغة هي المنزلة الرفيعة الثابتة عند الملوك وأشباههم، قال الجوهري: (رتب: الرتبة: المنزلة، وكذلك المرتبة)(1)

وقال ابن منظور: (والرتبة والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها. وفي الحديث: من مات على مرتبة من هذه المراتب، بعث عليها، المرتبة: المنزلة الرفيعة)(2).

التي: اسم إشارة وضع في اللغة للدلالة على المؤنث.

رتبكم الله فيها: وهذه العبارة تريد بيان ان الفاعل والمنزل والواضع والمثبت لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في تلك المراتب والمنازل المتقدمة هو الله سبحانه وتعالى، وبمعنى آخر ان تلك المراتب والمنازل التي ذكرت سابقا لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي رتب ومنازل إلهية ربانية، وان شرعيتها وأهميتها مستمدة من الله سبحانه فإذا قبلها الناس فعن الله سبحانه وتعالى يقبلون، وإذا رفضوها فلا أمر الله سبحانه وتعالى وحكمه يردون.

المبحث الثالث: نبيان بعض مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام**إشارة**

لابد قبل البدء بالكلام من الاعتراف والتأكيد على مسألة مهمة وهي أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يعلم بحقيقة مراتبهم ومقاماتهم إلا الله سبحانه، ولا يحصيها إلا هو جل شأنه، فبعضها كشف لنا على لسان الآيات المباركة والروايات الشريفة، وكثير منها قد حجب خبره عنا لأسباب غيبية ربما، وربما

1- الصحاح للجوهري ج 1 ص 133.

2- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 410 فصل الرءاء.

لعدم وجود قلوب تسع وتحتمل تلك الحقائق، لأنه وبسبب التربية الخاطئة للأمة التي أخذت أكثر تعاليمها من مناوئى أهل البيت وأعدائهم والذين كانوا سببا أساسيا فى طمس تلك المنازل والتكتم على تلك المراتب، صار علماء الإمامية رضوان الله تعالى عليه وأتباعهم يرمون بالكفر والشرك والخروج عن جادة الحق والإسلام لأدنى تصريح بأدنى مرتبة من مراتبهم ومقاماتهم ومنازلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فصار أعداؤهم يحاربون تلك المراتب والمقامات حقدا وبغضا، وصار أولياؤهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يكتمونها تقية وخوفا.

ثم وبسبب طول زمن التقية والخوف من الظالمين، وبسبب قلة ما يكتب فى مجال مراتب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومقاماتهم ولاسيما تلك التى تتعلق بمراتبهم ومنازلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل عالم الدنيا، صار كثيرا من أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه يستثقل ويستغرب أكثر مقامات أئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويعدّها وبسبب الجهل وعدم الاطلاع على الأحاديث والروايات غلوا ومبالغة.

وربما اعتبر البعض الآخر ومن باب المجاملة والمماشة للمخالفين من بقية المذاهب الأخرى وغيرهم بان الكلام فى مراتبهم وتوضيح منازلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ليس مناسبا فى هذا الوقت الذى تعيش فيه الأمة الحساسية والاحتقان السياسى والمذهبى، متناسين باجمعهم أن السكوت والتأجيل وعدم توضيح مقامات أهل البيت ومراتبهم التى رتبهم الله فيها خيانة عظمى ومشاركة من حيث يعلمون أو لا يعلمون فى مخطط القضاء والإقصاء والدفع لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم، وان السكوت وعدم تبيان هذه المقامات والمنازل لعوام الشيعة وبسطائهم تعد معونة مجانية لأولئك المزيلىين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم التى رتبهم

الله فيها وخصهم بها.

لذلك يجب على كل من له القدرة والقوة، تبيان ما يقدر على تبيانه من تلك المراتب والمقامات، نصرة ودفاعا عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في حربهم مع من حاول ويحاول إلى الآن دفع وإزالة أهل البيت عن مراتبهم الإلهية، وإخفاء وطمس منازلهم الربانية، وما هذه الوريقات في هذا المبحث وغيره إلا تطبيق وعمل بما أسلفت من وجوب النصرة والتصريح على كل من يقدر على ذلك ويستطيع.

ونحن قد أوضحنا في مبحث سابق جملة من منازلهم وما خصهم الله سبحانه وتعالى به قبل الخلق وفي عالم الأضلاب والأرحام، وسنكمل للقارئ العزيز جملة أخرى من تلك المراتب التي دفعوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عنها وأزيلوا منها.

المرتبة الأولى: مرتبة الاصطفاء على جميع العالمين

إشارة

هنالك سنن وقوانين خلق الله سبحانه وتعالى على أساسها الكون، وبها يدار نظام الحياة، وواحدة من تلك السنن الكثيرة هي سنة الاصطفاء وقانون الاختيار، فالله سبحانه وتعالى كامل ليس لكمال حد والكمال صفة من صفاته الذاتية، فلا عجب والحال هذه أن يصطفى ويختار كل ما هو كامل في عالم الوجود ويفضله بعد أن يختاره ويصطفيه على من هو أقل منه كمالاً ومرتبته، ونستطيع فيما يأتي ان نستفيد من هذه القاعدة لإثبات أن الله سبحانه خص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بمرتبة الاصطفاء على جميع الموجودات وأنزلهم منزلة لا يطمع في إدراكها طامع لعلوها ورفيها، وذلك من خلال الخطوات التالية:

ألف: اصطفاء الإنسان على بقية موجودات الأرض

ومن دقق النظر في هذا الكون بكل جزئياته يجده قائما على أساس الاصطفاء والاختيار للأكمل فالأكمل، والإنسان له من الكمال ما يفوق ويعلو على باقى الموجودات على هذه الأرض، فهو الأفضل وهو المصطفى وهو المختار من قبل الله سبحانه وDonها، بل لأجله قد خلق كل ما على الأرض، ولولا- وجوده لما أوجدها قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))⁽¹⁾، وفي الآية المباركة تصريح بأن كل ما فى الكون قد خلق لأجل هذا الإنسان لأنه أكملها وسيدها فهو علة وجودها⁽²⁾ وتحققها فى الخارج.

باء: اصطفاء الأكمل من بين أفراد الإنسان

وقانون الاصطفاء والاختيار جار على أفراد الإنسان أيضا، لأن أفراد الإنسان ليسوا كلهم على وتيرة واحدة من الكمال والنقاوة، ففيهم الكامل وفيهم الأكمل، كما ان فيهم السيئ وفيهم الأسوأ، فلما كان الله سبحانه كاملاً ومن صفاته الكمال فمن الطبيعى انه سيختار الكامل من جنس الإنسان بل الأكمل ويفضله من بعد أن يصطفيه على بقية خلقه، قال تعالى: ((قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ))⁽³⁾.

وقال تعالى: ((اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))⁽⁴⁾.

1- سورة البقرة الآية رقم 29.

2- المقصود بالعلة هنا هو العلة الغائية.

3- سورة الأعراف الآية 128.

4- سورة الحج الآية رقم 75.

جيم: اصطفاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الأنبياء والرسل

وقد شاء الله سبحانه أن يصطفى من أهل كل زمان أفضلهم وخيرتهم فيجعلهم رسلا وأنبياء كما قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ))⁽¹⁾ فنصبتهم سبحانه خلفاء في أرضه وحججا على البقية من عباده.

ثم اختار سبحانه من هؤلاء الصفوة صفوة أخرى، ومن هؤلاء الكاملين من هو الأكمل، فكانوا أربعة عشر معصوما هم كما في الروايات فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها وتسعة من ذرية الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم صفوة الصفوة، وخيرة الخيرة، وقد مر في بحث سابق إثبات أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أفضل وأكمل من جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن أمهم أيضا.

دال: اصطفاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ثم اختار سبحانه من هؤلاء الأربعة عشر أكثرهم كمالا وارتفاعهم منزلة فاصطفاه عبدا ورسولا وحيبيا، فكان سيد من خلق، وصفوة من اصطفى، وأكرم من اعتمد، قدمه على أنبيائه وبعثه إلى الثقليين من عباده.

فإذا كان هؤلاء الأربعة عشر معصوما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أكمل من جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أكمل هؤلاء الأربعة عشر معصوما.

وإذا كان هؤلاء الأربعة عشر معصوما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم صفوة الصفوة كما بينا، فنبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم صفوة هؤلاء الصفوة، فلذلك صار أهلا لان تحتم بنبوته النبوات، وبشريعته الشرائع، وقد ورد في الحديث المشهور عند السنة والشيعة

ما يؤيد هذا المعنى ويؤكد، فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم)(1).

هاء: اصطفاء الله سبحانه من أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الأكمل فالأكمل

ثم اختار سبحانه من بعد النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أكمل الثلاثة عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فاختار أمير المؤمنين عليا صلوات الله وسلامه عليه، فجعله كنفس رسوله دمه من دمه، ولحمه من لحمه، ثم اختار له كفؤا ونظيرا وزوجه من فاطمة صلوات الله وسلامه عليها من فوق سبع سماوات، كما هو مروى فى الحديث عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما خاطب ابنته الصديقة بقوله: (إن الله اطلع على أهل الأرض إطلاعة فاختار منهم أباك فجعله نبيا، واطلع على عليهم ثانية فاختار منهم بعلك(2) فجعله وصيا، وأوحى إلى أن انكحه، أما علمت يا فاطمة انك بكرامة الله إياك زوجتك أعظمهم حلما، وأكثرهم علما)(3).

فكانا صلوات الله وسلامه عليهما سببا لإيجاد خيرة الأوصياء بعد أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، فولدا الحسن صلوات الله وسلامه عليه، ثم تبعه الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ثم شاء سبحانه وتعالى ولحكمة هو أعلم بها، أن يجعل امتداد الإمامة والوصاية على الأمة فى ذرية الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليهما فكانوا تسعة لا يغيب منهم نجم إلا وطلع نجم آخر

1- سنن الترمذى ج 5 ص 243 ، المصنف لابن أبى شيبة ج 7 ص 430 ، الدر المنثور ج 3 ص 294 ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج 1 ص 20.

2- النص إلى هنا منقول فى كتاب المواقف للايجى ج 3 ص 634، ومثله فى كنز العمال للمتقى الهنذى ج 11 ص 605.

3- إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسى ج 1 ص 317.

مكانه، حتى لا تخلو الأرض من حجة، إقامة لدينه وحجة على عباده، ولئلا يزول الحق عن مقره، ويغلب الباطل على أهله، ولكي لا يقول أحد من العباد لولا أرسلت إلينا إماماً منذراً، وأقمت لنا علماً هادياً فتبعه من قبل أن نذل ونخزي.

واو: علة اصطفاء الله سبحانه لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ولا يظن ظان أو يتوهم متوهم بأن هذا الاصطفاء الإلهي كان عفويا ومن غير حكمة وموازن اقتضت هذا التفضيل، فالله سبحانه وتعالى ليس بينه وبين احد من العباد قرابة ولا نسب، وكل العباد بالنسبة إليه سبحانه وتعالى من حيث الخلق والعبودية على حد سواء، فهو الخالق وهم المخلوقون، وهو السيد ومالك الملك والملكوت وهم عبيد لا يملكون إلا ما ملكه لهم سيدهم وخالقهم.

والميزان في التفاضل والتكامل عند الله سبحانه وتعالى قد تم إيضاحه في قوله سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))⁽¹⁾، فالتقوى والذوبان في الطاعة والخضوع لله سبحانه وتعالى هي ميزان الفضل وعليها الاعتماد في رفع الدرجات والمنازل عنده سبحانه، فأكمل العباد أتقاهم، وأرفعهم أكثرهم ذوباناً في طاعته وأشدهم سعياً في مرضاته.

والتفضيل للرسول والأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على بقية الناس ليس بخارج عن هذه القاعدة، فهم الأفضل لتفاضلهم بتقواهم وترفعهم عن هذه الدنيا الدنية وذوبانهم في العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى، وهو السبب من وراء اصطفاؤهم واختيارهم.

واصطفاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على بقية الأنبياء والمرسلين والأوصياء

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ناتج أيضا عن أنهم الأكمل في مقام العبودية والطاعة والذوبان في الله سبحانه وتعالى، وهم الأشد زهدا وترفعا عن هذه الدنيا وزبرجها وزخرفها، ولشدة تعلق قلوبهم بالله.

وفي الدعاء المعروف بدعاء النذبة الشريف الذي يقرأ في زمن الغيبة، توضيح جلي لهذه الحقيقة، ففي بداية فقرات هذا الدعاء تصريح واضح لسبب اجتناب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واصطفائهم حيث ورد فيه: (اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به. فقبلتهم وقربتهم وقدرت لهم الذكر العلى والثناء الجلى، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك، وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك)(1).

المرتبة الثانية: مرتبة الوصاية والخلافة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

ألف: الوصاية خاضعة لقانون تقديم الأفضل على الفاضل

قد تبين لنا فيما مر أن النظام الكونى قائم على تقديم الأكمل على الكامل، والأفـضل على الفاضل، ومسألة الوصاية والخلافة ليست بخارجة عن هذا القانون، ومن تتبع آيات القرآن الكريم يجدها صريحة في جعل خلافة الرسل والأنبياء خاضعة لنظام الاصطفاء، فيختار سبحانه وتعالى من كل أمة الأفضل من بينهم فيرسله نبيا، فإذا مات أو قتل ناب عنه الأكمل من أهل ذلك الزمان.

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 574 الدعاء للنذبة.

إلى أن وصلت النبوة والإمامة والخلافة إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام فجعل الله سبحانه النبوة والتوحيد الخالص في ذريته كما قال تعالى: ((وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) (1)، وقال ابن العربي في كتابه أحكام القرآن: (الكلمة وهي النبوة في قول والتوحيد في قول آخر ولا جرم لم تزل النبوة باقية في ذرية إبراهيم والتوحيد هم أصله وغيرهم فيه تبع لهم) (2).

باء: استمرار النبوة في ذرية نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه

واستمر الأنبياء والأوصياء من ولد إبراهيم يتلو بعضهم بعضا يتوارثون الكتاب والنبوة على حسب نظام الاصطفاء والكمال قال تعالى: ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)) (3).

جيم: وصاية نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم

إلى أن وصلت النبوة إلى إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه فصارت النبوة في عقبه وولده وذريته، وكانت كنانة أفضل بيوت ذريته، فانتقلت إليها النبوة دون غيرها، وكانت قريش أفضل بيت في كنانة فخصهم الله سبحانه بالاصطفاء وجعل فيهم النبوة دون غيرها من سائر بيوت كنانة، ثم كان بيت هاشم بن عبد المطلب هو أكمل بيت في قريش وأفضلها، فاختره الله سبحانه بالنبوة دون سائر بيوت قريش، ثم كان نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل بني هاشم فاختره سبحانه للنبوة دونهم وأورثه

1- سورة الزخرف الآية 28.

2- أحكام القرآن لابن عربي ج4 ص 102.

3- سورة فاطر الآية 32.

الكتاب على وفق نظام الاستحقاق والأفضلية، وقد روى واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤكد هذا المعنى حيث قال: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم)(1).

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: (قد ذكرنا بالأسانيد الحسان والطرق الصحاح قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم)(2).

إذن فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفقا لهذه الرواية قد استحق الوصاية عن نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه بشيئين:

الأول: كونه صلى الله عليه وآله وسلم من بنى هاشم الذين هم أفضل ولد نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه.

الثاني: كونه صلى الله عليه وآله وسلم الإنسان الأفضل والأكمل من بنى هاشم.

دال: حتمية وصاية الإمام على صلوات الله وسلامه عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فلما جاء وعد الله سبحانه ونزل بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ما نزل بكل الأنبياء والرسل، وحان وقت استشهاده ورحيله إلى خالقه، ولم يكن من المعقول أن يتوقف نظام الوصاية الذي امتد منذ نزول آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى وقت نبينا الأعظم

1- صحيح مسلم ج 7 ص 58 باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

2- الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 26 __ 27.

صلى الله عليه وآله وسلم، فكان ولا بد ووفقاً لـ ((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)) (1) ان يستمر وجود الأوصياء وأن لا يترك العباد من غير حجة ودليل يستدلون به عليه، فكان لا بد أن ينوب عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من يؤدي دور الحجة على الناس، ولكي لا يقول العباد ((رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) (2).

ولكن يبقى السؤال المهم هو: من الذى سيقوم بدور الخليفة والحجة ويؤدي دور ومهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟.

ولا اعتقد ان هنالك صعوبة فى تعيين من هو ذلك الخليفة فيما لو طبقنا القاعدتين المتقدمتين اللتين على أساسهما استحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرتبة الوصاية عن أبيه إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه واللتين تقدم ذكرهما آنفاً.

فوفقاً للقاعدة الأولى: يجب أن يكون هذا الخليفة من ذرية نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ومن كنانة بالتحديد، ثم من قريش ومن بنى هاشم على وجه الخصوص.

ووفقاً للقاعدة الثانية: يجب أن يكون هذا الخليفة والحجة من المصطفين حتى يمكن له أن يرث الكتاب وفقاً لقوله تعالى: ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)) (3).

ولو تتبعنا أحوال الصحابة وحواربي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لما وجدنا من يشتمل على تلك الميزتين غير الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه فهو من آل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، وهو من كنانة، ومن قريش ومن بنى هاشم،

1- سورة الأحزاب الآية رقم 62.

2- سورة القصص الآية رقم 48.

3- سورة فاطر الآية 32.

فيكون هو المتعين دون غيره من الذين اعتلوا كرسى الحكم بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو صلوات الله وسلامه عليه ممن اصطفى الله سبحانه وتعالى وممن عنده علم الكتاب وهو المقصود بقوله سبحانه وتعالى: ((وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) (1)، فقد تواتر الخبر عند الشيعة الإمامية تبعاً لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بان المقصود من قوله سبحانه وتعالى: ((وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

فعن محمد بن الحسن الصفار وغيره قال: (... عن عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال كنت عنده فذكروا سليمان وما أعطى من العلم وما أوتي من الملك فقال لي وما أعطى سليمان بن داود إنما كان عنده حرف واحد من الاسم الأعظم وصاحبكم الذي قال الله ((قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) وكان والله عند علي عليه السلام علم الكتاب فقلت صدقت والله جعلت فداك(2).

وعن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن إبراهيم الأشعري عن محمد بن مروان عن نجم عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه في قول الله سبحانه وتعالى ((قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) قال: (صاحب علم الكتاب علي عليه السلام)(3).

1- سورة الرعد الآية رقم 43.

2- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 232 باب مما عند الأئمة عليهم الصلاة والسلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب الحديث رقم 1.

3- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 234 باب مما عند الأئمة عليهم الصلاة والسلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب الحديث رقم 6.

وقد وافق الإمامية من ان المقصود من قوله سبحانه وتعالى: ((وَمَنْ عِنْدَ عَلْمِ الْكِتَابِ))، هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه الثعلبي في تفسيره، حيث أخرج حديثين ذكر فيهما ان المراد من صاحب علم الكتاب هو ما ذكرنا(1).

وكذلك وافقنا الحاكم الحسكاني(2) حيث أخرج في كتابه شواهد التنزيل(3) مجموعة كبيرة من الأحاديث تنص بأجمعها على أن صاحب علم الكتاب هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

فيكون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه مشتملا على كونه من بنى هاشم وعنده علم الكتاب فيكون هو المصطفى من بين جميع الصحابة للوصاية والخلافة والنيابة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

هاء: حتمية وصاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعد الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه

ويمكن لنا أن نسير بنفس هذا الطريق لإثبات إمامة ووصاية كل من الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، فهما من بنى هاشم فلا يجوز تقديم أحد عليهما حتى وان كان من قريش، لان بنى هاشم اصطفاهم الله سبحانه على قريش.

وهما صلوات الله وسلامه عليهما ممن اصطفاهما الله سبحانه وتعالى على بقية بنى هاشم بنص آية التطهير فيكونان من ورثة الكتاب ((ثُمَّ أُورِثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)) (4)،

1- تفسير الثعلبي ج 5 ص 302 __ 303 في تفسير سورة الرعد الآية رقم 43.

2- قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ ج 3 ص 1200: (الحسكاني القاضي المحدث أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسان القرشي العامري النيسابوري الحنفي الحاكم ويعرف بابن الحذاء شيخ متقن ذو عناية تامة بعلم الحديث، وهو من ذرية الأمير عبد الله بن عامر بن كريز الذي افتتح خراسان زمن عثمان وكان معمرا على الإسناد).

3- شواهد التنزيل الحاكم الحسكاني ج 1 ص 400 __ 405.

4- سورة فاطر الآية 32.

فتكون الوصاية لهما من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أبيهما صلوات الله وسلامه عليه بلا منازع، وذلك بغض النظر عن كل النصوص الأخرى التي بينت فضلها ومنزلتها من الله سبحانه ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبنفس هذه الطريقة أيضا نستطيع أن نثبت إمامة الأئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واحدا بعد واحد، فهم من بنى هاشم وهم أفضلهم، فتكون الوصاية ووراثة الكتاب حقا طبيعيا لهم، وبهذا المعنى وردت الأخبار عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه في قول الله سبحانه: ((قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) قال: (إيانا عنى وعلى عليه السلام أولنا وأفضلنا وخيرنا)(1).

وعن عمر بن أذينة عن بريد بن معاوية قال قلت لأبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه: ((قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) قال: (إيانا عنى وعلى عليه السلام أولنا وعلى أفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله)(2).

المرتبة الثالثة: مرتبة تربية الأمة عقائديا وتزكيتهم روحيا

إشارة

إن واحدة من أعظم التكاليف التي كلف بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هي مرتبة تربية الأمة وتعليمها والأخذ بيدها إلى سبيل الاستقامة والصلاح قال الله سبحانه: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (3) وقد قام بها على أحسن وجه وأكمله نبينا الأعظم

1- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 234 باب مما عند الأئمة عليهم الصلاة والسلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب الحديث رقم 7.

2- المصدر السابق ص 235 الحديث رقم 12.

3- سورة الجمعة الآية 2.

صلى الله عليه وآله وسلم فجزاه الله عن أمته أفضل وأحسن جزاء المحسنين.

من سعادة هذه الأمة ان كان مربيا ومعلمها محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

معلوم بالوجدان أن المعلم كلما كان ارفع درجة كلما كان تعليمه أرقى وأنفع، وكلما كان زكيا طاهرا كلما كان منهجه أوقع فى القلب وأنجع، وقد كان من سعادة هذه الأمة ان كان المربي والمعلم والمهذب لها هو شخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والذى قد ثبت بالدليل القطعى انه أكمل البشرية وأرفعهم مقاما. فينبغى على هذه الأمة أن تقوم بشكر الله سبحانه الذى منّ عليهم بهذه الفضيلة، ووهبهم مثل هذا المعلم والمربي الكامل.

ولذلك عدّ القرآن الكريم إرسال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الأمة فضلا ومنة وينبغى على الجميع تذكرها وعدم تجاهلها والتغاضى عنها، قال سبحانه: ((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (1).

فهو صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة التى ذكرها نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لهذه الأمة المسلمة لما ناجى ربه سبحانه وتعالى بقوله: ((رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (2).

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (أنا دعوة إبراهيم، وكان آخر من بشرى عيسى بن مريم) (3).

1- سورة آل عمران الآية 164.

2- سورة البقرة الآية 129.

3- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى ج 1 ص 414 __ 415.

شروط ومؤهل المتصدى لتربية الأمة

لابد وبحسب العقل قبل النقل أن يتمتع الشخص المتصدى لتربية الأمة بشرطين أساسيين ليتسنى له القيام بهذه المهمة الإلهية العظيمة:

الشرط الأول: أن يكون أفضل من جميع أفراد الأمة، وتكون مرتبته الكمالية أعلى كل المراتب الكمالية في عالم الوجود، وذلك لان القصد من نصبه مربيا للناس هو الأخذ بأيديهم إلى أعلى درجات الكمال الذى من أجله خلقوا، وما لم يكن ذلك المربي حائزا لذلك الكمال، وجامعا لكل تلك الرتب، فانه لا يتمكن من الأخذ بيد غيره ليوصله إلى ذلك الكمال وتلك المراتب، لان فاقد الشيء لا يعطيه.

الشرط الثانى: لابد لهذا المربي قبل أن يعلم الأمة الكتاب والحكمة أن يكون هو وبالدرجة الأولى عالما بهذا الكتاب متبحراً فيه ومطلعاً على كل أسراره وجميع غوامضه، لعدم إمكان أن يكون هذا المربي يعلم غيره ما لا يعلمه، ولا أن يلقى من الحكمة ما لا يحسنه، وفقاً لقاعدة فاقد الشيء لا يعطيه بحال من الأحوال.

هذه الشروط لا تتوفر بعد النبي إلا فى أمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه

ولا خلاف بين المسلمين فى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجمع بين كلا الشرطين أيام حياته المباركة، ولكن الكلام فىمن يجمع هاتين المنزلتين بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم وارتحاله إلى الرفيق الأعلى.

والنبوة وان انتهت بموته صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن الأمة ما زالت بعد بحاجة إلى المربي والمعلم والمزكى من بعده، لأنها لم تبلغ مرحلة العصمة والكمال فى حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حتى يمكن أن تستغنى وتترك من دون مرب ومعلم وقائد يضع

لها الحلول لمشاكلها المادية والمعنوية، لذلك يصبح من اللازم والضروري وجود من يخلف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في مقام التربية والتزكية لهذه الأمة، ويلزم كذلك أن يتمتع هذا الخليفة المربي بالشرطين السابقين اللذين بينهما آنفاً ولنفس السبب الذي تم ذكره من قبل.

وبناء على ما تقدم شرحة في المرتبتين الأولى والثانية(1) من مراتب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا نجد صعوبة في تحديد الذي يستحق أن يكون خليفة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في تولى مرتبة التزكية والتربية والتعليم للأمة.

فأمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه هو الأكمل وهو الأفضل على الإطلاق من بعد شخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا يتحقق الشرط الأول من شروط المتصدى لتربية الأمة.

وكذلك هو الأعلم من بين كل الصحابة بالقرآن وأحكامه ولطائفه ودقائق تركيبته، وهو الأكثر إحاطة بأسرار الشريعة وأحكامها، فينحصر مقام المربي به دون غيره من الصحابة أجمعين.

حديث (أنا مدينة العلم وعلى بابها) يشهد بذلك

ويشهد بأعلمية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن والشريعة قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بحقه: (أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأتته من بابها)(2).

1- الأولى هي مرتبة الاصطفاء والثانية هي مرتبة الوصاية والخلافة.

2- (المعجم الكبير للطبراني ج 11 ص 55، الاستيعاب لابن عبد البر ج 3 ص 1102، فيض القدير للمناوي ج 1 ص 49، تفسير القرطبي ج 9 ص 633).

وقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين خمسة أحاديث حکم علیها بالصحة تنص بأجمعها علی أن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه علیه هو باب علم المصطفى صلى الله علیه وآله وسلم فراجع (1).

وقال الفتى فى تذكرة الموضوعات ردا على من أنكر صحة الحديث وحكم بضعفه: (أنا مدينة العلم وعلى بابها أورده من حديث على وابن عباس وجابر، قلت: قد تعقب العلاءى على ابن الجوزى فى حكمه بوضعه فإنه ينتهى بطرقه إلى درجة الحسن فلا يكون ضعيفا فضلا عن أن يكون موضوعا، وقال ابن حجر صححه الحاكم وخالفه ابن الجوزى فكذبه، والصواب خلاف قولهما والحديث حسن لا صحيح ولا كذب) (2).

وقال المناوى فى الفيض القدير: (وقال ابن معين: لا أصل له. وقال الدارقطنى: غير ثابت وقال الترمذى عن البخارى: منكر، وتعقبه جمع أئمة منهم الحافظ العلاءى فقال: من حكم بوضعه فقد أخطأ والصواب أنه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف وليس هو من الألفاظ المنكرة التى تابها العقول... وقال الزركشى: الحديث ينتهى إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفا فضلا عن كونه موضوعا، وفى لسان الميزان هذا الحديث له طرق كثيرة فى المستدرک أقل أحوالها أن يكون للحديث أصل فلا ينبغى إطلاق القول عليه بالوضع... ورواه الخطيب فى التاريخ باللفظ المزبور من حديث ابن معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس ثم قال: قال القاسم: سألت ابن معين عنه فقال: هو صحيح. قال الخطيب: قلت أراد أنه صحيح من حديث أبى معاوية وليس باطل إذ رواه غير واحد عنه وأفتى

1- المستدرک للحاكم النيسابورى ج 3 ص 126 __ 127 أنا مدينة العلم وعلى بابها.

2- تذكرة الموضوعات للفتى ص 95.

بحسنه ابن حجر وتبعه البخارى فقال: هو حديث حسن(1).

وقال المناوى أيضا: (قال الراغب: والباب يقال لمدخل الشئ وأصله مداخل الأمكنة كباب الدار والمدينة ومنه يقال فى العلم باب كذا وهذا العلم باب إلى كذا أى منه يتوصل إليه ومنه خبر: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» أى به يتوصل(2).

وقال فى موضع آخر: (أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب فإن المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلها، ولا بد للمدينة من باب فأخبر أن بابها هو على كرم الله وجهه فمن أخذ طريقه دخل المدينة ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمخالف والمعادى والمخالف، خرج الكلاباذى أن رجلا سأل معاوية عن مسألة فقال: سل عليا هو أعلم منى فقال: أريد جوابك قال: ويحك كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزه بالعلم عزا وقد كان أكابر الصحب يعترفون له بذلك وكان عمر يسأله عما أشكل عليه، جاءه رجل فسأله فقال: ههنا على فأسأله فقال: أريد أسمع منك يا أمير المؤمنين قال: لا أقام الله رجليك ومعى اسمه من الديوان(3).

ويشهد بذلك أيضا قول عمر بن الخطاب: (على أقضانا(4) والقضاء كما لا يخفى يستلزم علوما كثيرة يجب أن يحيط بها القاضى ومن أهم تلك العلوم علم الكتاب وجميع تفاصيل أحكامه وغوامض أسرار.

1- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ج 3 ص 61.

2- المصدر السابق: ج 1 ص 49.

3- المصدر السابق: ج 3 ص 60 __ 61.

4- مسند احمد بن حنبل ج 5 ص 113 ، فتح البارى لابن حجر ج 7 ص 60 ، الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 17 ، تفسير ابن كثير ج 1 ص 155.

وبنفس هذه الطريقة من الاستدلال وبالاستفادة مما سبق يمكن إثبات أحقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لتولى منصب التربية والتعليم والأخذ بيد الأمة نحو أعلى مراتب الكمال، بوصفهم الأكمل والأعلم.

صعوبة القيام بمهمة التربية وحساسيتها

ولا يتوهم بأن مرتبة تربية الأمة وتركيتها يمكن أن تمنح لكل من هب ودب من البشر، وذلك لعظيم أهميتها وجسيم خطرها، ولأنه لا يجيدها غير أربابها الشرعيين ومن جعلت له من الله على نحو الاصطفاء والاختيار.

والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على عظيم منزلته وكماله وشديده تحمله كان يضيق صدره في بعض الأحيان كما قال الله ((وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ)) (1) فكان غالباً ما يواسيه الله سبحانه ويوصيه بالصبر والثبات كما في قوله تعالى: ((فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى)) (2)، وقال سبحانه وتعالى ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ)) (3)، فإذا كان صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضيق ويستدعي المواساة والوصية بالصبر فكيف حال من هو غير معصوم ولا مؤيد ومسدد من قبل الله سبحانه وتعالى.

وأمر التربية والتزكية والتوجيهات يسير به المعصوم نبياً كان أو إماماً على وفق برنامج محدد ومعين ووفق نظام وإشراف الهى لا يزيد المعصوم صلوات الله وسلامه عليه من تلقاء نفسه شيئاً إلا على وفق إذن خاص ولو حاد عن هذا النهج __ وحاشاه أن يحيد __

1- سورة الحجر الآية 97.

2- سورة طه الآية رقم 130.

3- سورة الأحقاف الآية رقم 35.

لتعرض من الله سبحانه وتعالى إلى ما أشارت له الآية المباركة ((وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذَكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ))⁽¹⁾، فكيف يكون يا ترى حال من يتسلق إلى هذا المنصب ويتصدى له من دون أن يكون لذلك أهلاً.

ولا يخفى أيضاً ما للتربية من اثر سلبي أو ايجابي بحسب جنسها فإن تولأها أولياء الله الكاملون المعصومون المطهرون من كل رجس وعيب فإن أثرها سيكون ايجابيا تنمو به الأمة وتتكامل وترقى في سلم الفضائل، أما لو تصدى لتربية الأمة غير المعصوم والخائن والغاصب والمداهن والمقصر فإن أثره سيكون وخيما وسوف لن تؤول أمور الأمة إلى أكثر من أن يصبح حال أفرادها عين حال ذلك المربي وأوصافهم وأوصافه ومعائبهم معائبه، فيقع ذلك المربي في محذور حمل أثقاله وأوزاره وإثم توليه وتقديمه على الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بغير حق، وأثقال وأوزار من يسقط في حبال اتباعه وطاعته.

إذن فمسألة تولي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لمقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها، ودفع أعداء أهل البيت لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن تلك المراتب والمنازل وتسلبهم عليها ظلما وعدوانا هي مسألة غاية في الأهمية وعلى أساسها يترتب هلاك الأمة أو صلاحها، وعلى اتباع احد الفريقين⁽²⁾ يتوقف رضوان الله والجنة أو غضبه والنار فليُنظر كل مسلم ومؤمن في أي ركاب يضع قدمه.

وهناك مقامات ومراتب لأهل البيت عليهم السلام أعرضنا عن الخوض في تفاصيلها طلبا للاختصار.

1- سورة الحاقة الآية 44 _ 46.

2- الفريق الأول هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه، والثاني هم الذين غضبوا مراتبهم ونزوا على مواضعهم.

المبحث الرابع: بسبب دفع أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مراتبهم

محق الدين وتحريف الأحكام

من يتابع التاريخ الإسلامى ويمعن النظر فى مرحلة ما بعد وفاة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يجد أنّ كارثة عظيمة ورززية جليلة قد حلت بالدين الإسلامى وأحكامه، وهذه الكارثة هى ما يمكن أن نسميها بكارثة محق الدين وتحريف معالم الإسلام وأحكامه.

فجميع المسلمين مجمعون على أن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يرحل عن هذه الدنيا إلا بعد أن أكمل مهمته فى التبليغ وإكمال الدين، وهو ما نص عليه القرآن الكريم بقوله: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا))⁽¹⁾، وعليه فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أكمل دينه الذى ارتضاه للناس، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أدى جميع ذلك بكل إخلاص وحرص إلى أمته، فما الذى جرى لينقلب هذا الدين الكامل التام الذى لا يشوبه نقص ولا يعتريه اعوجاج وخلال بضعة سنين ليتحول إلى دين مشوه لا روح له، ويصبح المجتمع الإسلامى وخلال مدّة قصيرة لا يتذكر ولا يعرف أوضاع الأحكام الشرعية التى جاء بها النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والتى مارسها هو وأصحابه ولسنين عديدة، كالصلاة والصيام وغيرها من الأحكام الواضحة التى كان من المفترض أن تكون بديهية لجميع أفراد الصحابة، فهذه ظاهرة جديدة بالبحث والتمحيص لمعرفة الأسباب التى أدت إلى هذا الانقلاب السريع والواسع لمبادئ وأسس الشريعة والنظام فى المجتمع الإسلامى بعد رحيل النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وسنثبت فيما يأتى بما لا

يقبل الشك ان السبب الأساس لهذا الانقلاب الخطير هو دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم وإزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، وفيما يأتي تفصيل لهذه الحقيقة.

هل في هذه الحقيقة افتراء على الصحابة؟

إشارة

وليس فيما تقدم أى نوع من أنواع الافتراء والتجنى على الصحابة، لان ما ذكرناه أنفاً ليس من الأشياء الخفية، وكل ما قلناه مبنى على الاعترافات الكثيرة التي شهد بها الصحابة أنفسهم على أنفسهم، أو على بعضهم البعض، أو على حقبة هم عاشوا أيامها ونقلوا لنا حقائقها المريرة.

فالصحابة أنفسهم قد اعترفوا وبمناسبات شتى بوقوع هذا المحق والتحريف الذي طرأ على الإسلام وأحكامه وتشريعاته، ولا يخفى أن شهادة الصحابة على أنفسهم، أو شهادتهم على بعضهم البعض، أو شهادتهم على عصرهم الذي عاشوا فيه وشهدوا أيامه، تعدّ مهمة وخطيرة في نفس الوقت، لأنها شهادة حضور ودراية ومعايشة للواقع الذين عاشته الأمة الإسلامية في تلك المرحلة المهمة من مراحل التاريخ الإسلامي والتي تعدّ مرحلة تأسيس وتأصيل بالنسبة لما بعدها من المراحل.

ولكى لا- يكون كلامنا مجرد إدعاء، فاننا نقدم للقارئ العزيز بعض تلك الشهادات التي عكست وبشكل لا يقبل التأويل فداحة تلك الفاجعة، وبشاعة تلك المصيبة التي نزلت على الإسلام وأهله، وقد اخترنا على عجل مجموعة من الشواهد لأفراد عاشوا تلك الأيام وسجلوا شهاداتهم ومعانياتهم تارة بأسلوب الحسرة والألم على ما فات وتمنى أن يعود ما قد كان، وتارة بأسلوب الرفض والنقمة على الواقع

الذى وصلت إليه الأمة، وغالبا ما تصاحب هذه الشهادات دموع تجرى على خدود الشهود عليها تمسح عنهم بعض الشعور بوخز الضمير لمشاركتهم بنحو أو بآخر فى إيجاد هذا الواقع المرير.

وستترك التعليق على تلك الشهادات والاعترافات، لأنها وحدها كافية فى إيضاح الصورة وبشكل لا يقبل الشك.

الشاهد الأول: أنس بن مالك يعترف بأنه لم يبق من الدين شيئا حتى الصلاة

قال البخارى فى صحيحه: (حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا مهدي عن غيلان عن أنس قال: ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم؟ قيل: الصلاة، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها؟! (1).

وقال أيضا: (حدثنا عمرو بن زرارة قال أخبرنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد عن عثمان بن أبى رواد أخو عبد العزيز قال سمعت الزهري يقول دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له ما يبكيك فقال لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت) (2).

الشاهد الثانى: أبو الدرداء يغضب لعدم بقاء شيء من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وقال البخارى أيضا: (حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبى قال حدثنا الأعمش قال سمعت سالما قال سمعت أم الدرداء تقول دخل على أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد صلى الله عليه

1- صحيح البخارى ج 1 ص 134 باب تضييع الصلاة عن وقتها.

2- صحيح البخارى ج 1 ص 134 باب تضييع الصلاة عن وقتها.

وسلم شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً(1).

الشاهد الثالث: سهيل بن مالك يعترف أيضاً

وروى الإمام مالك بن أنس بن مالك فى كتابه الموطأ: (حدثنى يحيى عن مالك، عن عمه أبى سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال: ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس، إلا النداء بالصلاة(2)).

الشاهد الرابع: البراء بن عازب يعترف بأن الصحابة أحدثوا بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم

وعن البخارى فى صحيحه قال: (حدثنى أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال لقيت البراء بن عازب رضى الله عنهما فقلت طوبى لك صحبت النبى صلى الله عليه وسلم وبايعته تحت الشجرة فقال يا ابن أخى إنك لا تدري ما أحدثنا بعده(3)).

الشاهد الخامس: عبد الله بن عباس يصرح بأن القوم تركوا السنة بغضا لعلى

أخرج البيهقى فى السنن الكبرى: (عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس بعرفة فقال: يا سعيد مالى لا أسمع الناس يلبون فقلت يخافون معاوية فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال لبيك اللهم لبيك وإن رغم أنف معاوية اللهم عنهم فقد تركوا السنة من بغض على رضى الله عنه(4)).

1- صحيح البخارى ج 1 ص 159 باب وجوب صلاة الجماعة.

2- كتاب الموطأ للإمام مالك ج 1 ص 72 كتاب الصلاة باب ما جاء فى النداء للصلاة.

3- صحيح البخارى ج 5 ص 65 __ 66 باب غزوة الحديبية.

4- السنن الكبرى للبيهقى ج 5 ص 113 باب الوقوف بعرفة.

الشاهد السادس: عثمان بن عفان يكتُم أحاديث النبي خوف أن يتفرق الناس عنه

أخرج احمد بن حنبل في مسنده:

(عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان قال: سمعت عثمان يقول على المنبر: أيها الناس إنى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفرقكم عنى ثم بدا لى أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رباط يوم فى سبيل الله تعالى خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)(1).

لماذا تراجعت الأمة هذا التراجع الخطير والسريع؟

والسؤال الذى يجب أن نبحث له عن إجابة حقيقية هو: ما الذى جرى على الصحابة حتى تغيروا وتبدلت أحوالهم بهذه السرعة المذهلة؟ فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تمض عليه إلا سنوات معدودات، ومع ذلك ماتت سنته وأحكامه، بل مات الإسلام وشرعه، بشهادة من كان يعيش من الصحابة فى تلك الأيام.

ولا نجد جوابا يمكن أن نركن إليه سوى أن هذا الانحراف والتردى الذى وقعت فيه الأمة كاب بسبب فقدانها للمربي والمعلم والحافظ للشريعة، وذلك لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمارس هذا الدور طوال مدّة حياته الطيبة المباركة، فلما حل اجله ودعاه خالقه سبحانه وتعالى لجواره أوكل هذه المهمة العظيمة والخطيرة إلى أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومن بعده إلى الأئمة من أهل بيته، لكن الأمة وبسبب سوء اختيارها قد حالت بينهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبين هذا المرتبة التى رتبهم الله فيها، فتقمص هذا المنصب من لا أهلية له لمنصب المربي والمرشد للأمة، وتصدى لهذه المهمة أناس كانوا

1- مسند احمد للإمام احمد بن حنبل ج 1 ص 65 مسند عثمان بن عفان.

بحاجة مستمرة ودائمة إلى هداية الآخرين وإرشادهم، وهو ليس افتراء منا على أحد، فقد قال الأول بعد أن صار حاكما: (إنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني فإذا رأيتموني استقمتم فاتبعوني وان رأيتموني زغت فقوموني واعلموا أن لى شيطانا يعتريني)(1).

فمن يكون بحاجة دائمة إلى مشورة ومساعدة وهداية الآخرين كيف له أن يهدى أو يرشد غيره؟ وكيف يستطيع أن يهدى إلى الحق من هو محتاج إلى الآخرين ليقوموه إذا زاغ، وكيف يمنع عن الأمة ويدفع عن المسلمين كيد الشيطان ومخططاته من كان له شيطان يعتريه ((قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ))(2).

فسبب التراجع المستمر والانحطاط المتواصل لمستوى الدين والإسلام هو دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم وإزالتهم عن منازلهم، واعتلاء غيرهم ممن لا أهلية له ولا لياقة لتلك المناصب والمراتب، ولهذه الحقيقة شاهد من السنة النبوية الشريفة فقد روى عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إذا أم الرجل القوم وفيهم من هو خير منه لم يزالوا في سفال)(3) وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضا قال: (ما من قوم ولوا أمورهم رجلا- وفيهم من هو خير منه إلا- كان أمرهم إلى سفال)(4).

1- الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص212، تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج30 ص303.

2- سورة يونس الآية رقم 35.

3- المغني لعبد الله بن قدامة ج2 ص20، والشرح الكبير لعبد الرحمن بن قدامة ج2 ص20، وكنز العمال للمتقى الهندي ج6 ص78.

4- شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج1 ص197.

المبحث الخامس: سبب مسارعة الأمة إلى دفع أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم ومنازلهم

إشارة

اتّسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته الشخصية بنمط وأسلوب خاصين، فسيرة الزهد والإعراض عن الحياة الدنيا وملذاتها كانت صفته التي لازمته طوال مدّة بقائه صلى الله عليه وآله وسلم في دار الدنيا.

حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم زهد وعفة وصلاح

وقد نقل لنا الصحابة الذين عاشوا أيام حياته الطيبة المباركة هذه الحقيقة فعن عائشة قالت: (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض) (1).

وعن ابن عباس قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير) (2).

وقد أخرج النووي في رياض الصالحين عن عبد الله بن مسعود قال: (نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه. قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء. فقال: ما لى وللدنيا ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) (3).

-
- 1- سنن الترمذى ج4 ص9 ، مسند أبى داود الطيالسى ص198 ، البداية والنهاية لابن كثير ج6 ص58.
 - 2- مسند أحمد بن حنبل ج1 ص255 ، سنن الترمذى ج4 ص10 ، المعجم الكبير للطبرانى ج11 ص259.
 - 3- رياض الصالحين ليحيى بن شرف النووى ص269 _ 270.

ولا يتوهم بأن هذا التقشف في العيش ناتج عن قصور في منزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الله سبحانه وتعالى أو هوانه في الملائكة الأعلى حاشاه، بل لأجل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينظر إلى الدنيا بنظر القرآن الكريم وبعين الملائكة الأعلى، فكانت عنده وكل ما فيها متاعاً زائلاً وان من يركن إليها ويغتر بها فقد ((أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَدِّ مَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارٌ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) (1) ولو شاء صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو الله سبحانه وتعالى أن يملأ له الأرض ذهباً لفعل، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً. قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً...) (2).

الفقر عنوان حب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

لم يكتف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من جعل الزهد والترفع عن هذه الدنيا ولذاتها شعاراً له، حتى جعل ميزان القرب والبعد عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن الله سبحانه هو مقدار زهد العبد وترفعه عنها، فأقربهم إليه أزهدهم فيها، وأغبطهم عنده أشدهم تعلقاً بالآخرة لأنها الأبقى، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الميزان بقوله: (إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك) (3).

1- سورة التوبة الآية رقم 109.

2- مسند احمد ج 5 ص 254، فتح الباري لابن حجر ج 11 ص 250، الجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 152.

3- تفسير البغوي ج 1 ص 177، كنز العمال ج 3 ص 153، الجامع الصغير ج 1 ص 337، سنن الترمذي ج 4 ص 6.

وفى حديث آخر جعل صلى الله عليه وآله وسلم الفقر من علامات حبه، فعن الحاكم النيسابورى فى المستدرک على الصحيحين قال: (فقد حدثنا على حمشاذ العدل ثنا محمد بن غالب ثنا عفان ثنا همام حدثنى إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبى ذر رضى الله عنه انه أتى صلى الله عليه وآله فقال إني أحبكم أهل البيت فقال له النبى صلى الله عليه وآله فأعد للفقر تجفافا فان الفقر أسرع إلى من يحبنا من السيل من أعلى الأكمة إلى أسفلها. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين (1) ولم يخرجاه (2)، فجعل صلى الله عليه وآله وسلم وفقا لهذا الحديث علامة الحب الصادق لشخص النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو الفقر، لأنك لا تجد واحدا من الناس سواء من الصحابة أو من بقية المؤمنين برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ويدعى بأنه يحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لكل شىء علامة وعلامة صدق المحبة هي الفقر والزهد فى هذه الدنيا الدنية.

وعن النووى فى رياض الصالحين عن عبد الله بن مغفل قال: (قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله والله إني لأحبك. فقال: انظر ماذا تقول، قال: والله إني لأحبك «ثلاث مرات» فقال: إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه، رواه الترمذى وقال حديث حسن (3).

تفاعل المسلمين مع نهج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولكن بشكل مؤقت

وقد سار المسلمون على هذا النهج فى التقشف والزهد وترك الدنيا سنين عدة، حتى إن بعضهم كان يغمى عليه من شدة الجوع والفقر والحاجة، فعن فضالة بن عبيد قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم

1- يقصد بالشيخين البخارى ومسلم فمع ان الحديث صحيح وفقا لموازينهما إلا أنهما لم يخرجاه.

2- المستدرک للحاكم النيسابورى ج 4 ص 331.

3- رياض الصالحين ليحيى بن شرف النووى ص 269.

فى الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى تقول الأعراب هؤلاء مجانين فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف إليهم، فقال لو تعلمون: مالكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة(1).

وبروحية الزهد فى الدنيا والإعراض عن زخارفها كان يخرج أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقتال والجهاد فى سبيل الله سبحانه وتعالى، فعن سعد بن مالك قال: (إنى أول رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله، ولقد رأيتنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا الحبلة وهذا السمر، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة(2)، وقال سعد بن أبى وقاص أيضا: (ولقد رأيتنى أغزو فى العصابة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما نأكل إلا ورق الشجر والحبلة حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة والبعير(3).

انقلاب الصحابة على نهج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغزوة تبوك أعظم دليل

لم يستمر ولشديد الأسف ذلك الانشداد والعمل والسير على نهج النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أصحابه سنين طويلة، فقد صار الشعور بعدم كون الدنيا ذات قيمة وأهمية يضعف يوما بعد يوم فى قلوب الصحابة، وبدأ الصحابة يتجهون اتجاها ماديا دنيويا ولاسيما فى السنين الأخيرة من عمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وخير شاهد على

-
- 1- صحيح ابن حبان ج 2 ص 502، فيض القدير فى شرح الجامع الصغير للمناوى ج 5 ص 404، المعجم الكبير ج 18 ص 310.
 - 2- مسند احمد بن حنبل ج 1 ص 181، سنن الترمذى ج 4 ص 12، السنن الكبرى للبيهقى ج 1 ص 106.
 - 3- صحيح مسلم ج 8 ص 215، مسند احمد بن حنبل ج 1 ص 174، سنن الدارمى ج 2 ص 208، سنن الترمذى ج 4 ص 11.

هذه الحقيقة هو ما وقع في السنة التاسعة للهجرة النبوية المباركة وبالتحديد في غزوة تبوك.

ففي هذه السنة وبحسب ما يدعى المؤرخون كان المسلمون يمرون بعسرة شديدة جراء القحط والجفاف الذي أصاب الحجاز حتى أطلق على ذلك العام بعام العسرة أو سنة العسرة، وسموا جيش تبوك بجيش العسرة، ولعل سبب تسميته بهذا الاسم يعود إلى تلك المصاعب الجسام التي واجهها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتهيئة هذا الجيش والتي سنعرف قسماً منها في أثناء تسلسل البحث.

سبب غزوة تبوك وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس على الالتحاق بالجيش

وقد كان سبب الغزوة كما نص عليه المؤرخون هو أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد وصلت إليه أخبار مفادها أن ملك الروم قد هيا جيشاً عظيماً لغزو المسلمين؛ لأنهم وبحسب رؤيته القاصرة صاروا يشكلون تهديداً حقيقياً للدولة الرومانية، بسبب ان دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمد الإسلامي وصل إلى أرض الشام التي كانت مستعمرة من مستعمرات الدولة الرومانية في ذلك الوقت، فقرر ملك الروم بسبب هذا التهديد غزو الجزيرة العربية وإخضاعها للسلطة الرومانية والقضاء على الدولة الإسلامية في نفس الوقت، فحشد جيوشه في منطقة تبوك المتاخمة لأرض الحجاز، ليبدأ من هنالك الجيش المعتدى بالتحرك.

ف رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان في مثل هذا التحرك تهديداً لأساس الدولة التي شيدت بدماء الشهداء والمضحيين والمخلصين من الصحابة، والتي بذل النبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الغالي والنفيس من اجل إرساء قواعدها، لذلك قرر مواجهة هذا التهديد بنفسه الشريفة، وان يحشد لمواجهة الجيش الروماني اكبر عدد ممكن من

المسلمين وحلفائهم.

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسله إلى القبائل العربية وصرح لهم بأنه يريد غزو الروم، خلافا لعادته صلى الله عليه وآله وسلم في سائر غزواته وحروبه التي سبقت تبوك، إذ لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يخبر عن مقصده إلا خواص أصحابه، حتى لا يتسرب الخبر إلى مسامع العدو، وليس هذا التصريح بالمقصد إلا من أجل أن يضع النبي الجميع على محك الاختبار كي يتبعه من يتبعه على بينة، ويتخلف من يتخلف عنه عن بينة أيضا، وليكشف، من ثم، إلى الأجيال وعلى امتداد العصور تلك الظروف القاسية التي كانت تحيط به وبدعوته، وليبين لنا وللأجيال زيف تلك الأمة المتسترة بلباس الإسلام والإيمان والتي متى ما محصت بالبلاء والاختبار ظهرت حقيقتها جلية واضحة للعيان.

كيف استجاب الصحابة لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالالتحاق بجيش تبوك

بعدهما دعا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الناس للتجهز وإعداد العدة للمسير إلى تبوك لقتال الروم استقبال الناس هذه الدعوة على ثلاثة أقسام نستطيع أن نجمل حولهم القول فيما يأتي:

القسم الأول: وهم الذين استجابوا لدعوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بنفس مطمئنة وقلب عامر بالإيمان تاركين من خلفهم النساء والأطفال امثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء ولشديد الأسف القلة القليلة من ذلك الجيش كما سنعرف.

القسم الثاني: وهم الذين تجهزوا واستجابوا لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كرها وبلا أدنى رغبة للخروج والشخص لمواجهة العدو وترك المدينة، وهذه الشريحة من الناس كانت تمثل الطبقة الكبرى من الجيش، والذين تشبثوا بمختلف الأعدار

والحجج في سبيل التخلف عن الجيش، فتجهزوا يوم تجهزوا وهم كارهون.

وهذه الحقيقة المرة صرح بها المؤرخون أمثال ابن هشام في سيرته، إذ قال: (إن رسول الله أمر بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمن من عسرة الناس وشدة من الحر وجذب في البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص)(1).

وقال ابن الأثير في تاريخه: (وكانت الثمار قد طابت فأحب الناس المقام في ثمارهم فتجهزوا على كره)(2).

وقال المقرئ وغيره من المؤرخين: (وكان الناس في حر شديد وحين طابت الثمار وأحبت الظلال والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص عنها...)(3).

من هم المعبر عنهم بلفظ الناس في القسم الثاني

إشارة

ويظهر من النصوص السابقة عدة من الحقائق المهمة:

1: إن عدد الكارهين للخروج والرافضين للاستجابة لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بلغ مقدارا كبيرا جدا بحيث استدعى المؤرخين إلى وصفهم بكلمة الناس، فقال عنهم ابن هشام (والناس يحبون المقام... ويكرهون الشخوص) وقال ابن الأثير (فأحب الناس المقام... فتجهزوا على كره) وقال المقرئ (والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص) فإطلاق اسم الناس عليهم دليل على أن أغلب من التحق بجيش العسرة

1- السيرة النبوية لابن هشام ج4 ص943، السيرة الحلبية ج3 ص99، الدر المنثور للسيوطي ج3 ص248، تاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص627.

2- الكامل في التاريخ لابن الأثير ج2 ص277.

3- إمتاع الأسماع ج2 ص48، تاريخ الطبري ج2 ص366، الدر المنثور ج3 ص248، تاريخ مدينة دمشق ج2 ص33.

كان موصوفاً بالتشاغل والكرهية للشخص والامثال لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لو كان الرفض والمثاقل فئة قليلة محدودة لما صح وصفهم بالناس، إذ إن إطلاق لفظ الناس يقتضى الأعم الأغلب من سكان المدينة المنورة لا فئة قليلة منهم، وعلى هذا جرت عادة العرب فى كلامهم، وهو فى آيات القرآن الكريم من الوضوح بمكان قال سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (1)، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)) (2)، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)) (3).

2: وكذلك يظهر من النصوص السابقة، ان العدد الغالب من الصحابة بدأ يتجه اتجاهها دنيويا محضاً غير ما كان يعهده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم منهم، فقد كانت غاية كل واحد منهم فيما سبق من الأيام، أن ينال الثواب والأجر الذى وضعه الله سبحانه وتعالى للمجاهدين، فكانوا فيما سبق على استعداد لترك الدنيا وما فيها من أهل وولد وأموال وثمار من أجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقتل فى سبيل الله والجنة. أما اليوم وفى تبوك بالذات وبعد طول المدة واشتداد المحنة قست القلوب فتشاقلوا عن النصره ورضوا بالعرض الأدنى وحلت الدنيا فى أعينهم.

القسم الثالث: العاصون لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة

وهم المتخلفون الذين واجهوا أمر النبي بالتجهيز لجيش العسرة بالعصيان والتحدى، وهم ما بين الثلاثين ألفا والسبعين ألفا من المقاتلين، قال جلال الدين السيوطى: (قال ابن إسحاق كانوا ثلاثين ألفا وقال أبو زرعة الرازى كانوا سبعين

1- سورة البقرة الآية رقم 21.

2- سورة الإسراء الآية رقم 89.

3- سورة الحج الآية رقم 1.

وقد نص المؤرخون على ان عدد المتخلفين عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة تبوك (هم ليسوا بأقل العسكرين)(2) أى إن عدد من خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عسكره كان مساوياً لعدد من تخلف، فإذا عرفنا أن عدد من خرج مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يتراوح ما بين الثلاثين والسبعين ألف مقاتل على اختلاف التقادير، فيصلح عدد المتخلفين عنه صلى الله عليه وآله وسلم يتراوح ما بين الثلاثين والسبعين ألف متخلف.

أفعال يستنكرها الدين ويندى لها جبين الأحرار من أهل الإيمان

لم يكتف هذا القسم الثالث من العاصين بمخالفة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعدم التهيؤ والاستعداد للخروج معه حتى تعدى خبثهم الحد، وبدأ وضعهم يأخذ أبعاداً جديدة وخطيرة ليست فى صالح النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا الرسالة، فتشكلت بعض الجماعات المناوئة لتحركات النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان هدفها الوقوف بوجه مخططاته وإفشال مساعيه لجمع الجيش وتجهيزه.

منهم الذين اجتمعوا فى بيت من بيوت المدينة يثبطون الناس ويخوفونهم من لقاء الروم حتى اضطر النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى ان يبعث إليهم من يفرقهم ويحرق البيت عليهم وينهى اجتماعهم(3).

ومنهم الجدل بن قيس الذى كان يحرض الناس علنا ويخوفهم قتال الروم

1- الديباج على مسلم لجلال الدين السيوطى ج 6 ص 120.

2- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 165، تاريخ الطبرى ج 2 ص 368، البداية والنهاية ج 5 ص 11، السيرة النبوية ج 4 ص 12، تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 631.

3- السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 944، البداية والنهاية لابن كثير ج 5 ص 7، السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 6.

ويشبطهم عن الالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنهم الذين كانوا يشيعون بين المسلمين ان لا تنفروا في فصل الصيف وحره وانتظروا فصل الشتاء وطيب جوه فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله: ((فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (1).

وأضمر كثير من هؤلاء المتخلفين بل وحتى كثير من الملتحقين على كره وإجبار ما في نفوسهم من العداوة والنفاق والتثاقل مخافة أن ينزل فيهم قرآن يتلى يخبر الناس بحقيقة ضمائرهم ويكشف الستار عن مكنون سرائرهم وهم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله ((يَحْذَرُ الْمُتَأَفِّقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ)) (2).

وأنت خبير بحكمة نزول القرآن الكريم في كل حدث في هذه الأيام وفي كل فعل بل وحتى في كل ضحكة لهؤلاء المتمردين كما في قوله تعالى ((فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا)) (3) فهو دليل على أن تلك الأقوال والأفعال وحتى الضحكات كانت تجد لها أرضا خصبة تؤثر فيها، وهو دليل على أن هذه الجماعات المتمردة كان لها نفوذ واسع وقوى وكلمة مسموعة في صفوف تلك الأمة، وإلا كيف استطاعوا التأثير في الأمة وإقناع ثلاثين ألفا أو سبعين ألفا.

وعلى أي حال فقد كانت هذه الظاهرة من العصيان الجماعي لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوقوف العلني بوجهه صلى الله عليه وآله وسلم هي بداية تحول جديد للصحابة وهو ما

1- البداية والنهاية ج 5 ص 6، إمتاع الأسماع للمقريزي ج 8 ص 392، السيرة الحلبية ج 3 ص 103.

2- سورة التوبة الآية رقم 64.

3- سورة التوبة الآية رقم 82.

يمكن أن نعدّه بداية ظهور الردة العلنية والجماعية التي أعقبتها فتناً وردات.

وليست هذه الحادثة الشاهد الوحيد الذى يبين هذا التحول والتبدل فإن شئت فتأمل فى بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم لجيش أسامة وتخلفهم عن الجيش ورفضهم تسييره حتى لعنهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها من الحوادث التى تجعل الحق أمامك كالشمس.

نتائج مهمة نختم بها هذا المبحث

إشارة

يمكن ومن خلال ما مر أن نخلص إلى عدة نتائج مهمة يتضح من خلالها علة مسارعة الأمة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتتحية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم ومراتبهم التى رتبهم الله فيها، ومن هذه النتائج ما يأتى:

الأولى: انهم ملوا سيرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه فى الزهد وترك الدنيا

ان كراهة المسلمين للقتل والتثاقل عن التضحية والركون إلى الدنيا وكراهية خروجهم مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى تبوك وغيرها(1) والتخلف عنه بحجة ان الثمار قد طابت والظلال قد حلت فى أعينهم وغير ذلك من الأسباب التافهة، كل هذه الحجج والأعذار توضح ان المسلمين قد ملوا فى السنوات الأخيرة

1- منها: أنهم كرهوا الجهاد وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى تركه ورغبوا فى الدنيا وزهدوا فى ثواب الآخرة وبخلوا بأنفسهم عن نصره حتى أنزل الله تعالى فيهم قرآنا، فقال تعالى: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون* يجادلونك فى الحق من بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» سورة الأنفال 5 ___ 6. ومنها: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بالخروج إلى بدر فتثاقلوا عنه واحتجوا عليه ودافعوه عن الخروج معه فأنزل الله تعالى فيهم: (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) راجع كتاب وقفة مع الدكتور البوطى لهشام آل قطيط ص 149.

من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفقر وحياة التقشف التي كان يمتاز بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويشجع المجتمع عليها، وخافوا من القتل والقتال في سبيل الله سبحانه.

ونفس هذا السبب قد شارك ولحد بعيد في انقلاب الناس وإعراضهم عن بيعة الإمام على صلوات الله وسلامه عليه بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فانهم قد تيقنوا بأن عليا صلوات الله وسلامه عليه لو قدر له أن يصل إلى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه سيسير فيهم بنفس سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيستمر من ثم في جهاد الكفار والمنافقين وسيستمر على نفس المنهج في التقشف والزهد، فكرهوا ذلك وأحبوا الراحة وطمحوا إلى الدعة والترف في العيش، وأحبوا الدنيا التي هي رأس كل خطيئة وركنوا إليها، وضربوا بكل وصايا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عرض الحائط.

فالأمة جميعا إلا ما خرج بالدليل كانت تتمنى أن يتغير الحال الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك ما إن بادر جمع منهم إلى تنحية الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقامهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها حتى أطاعتهم الأمة بكل أفرادها، وهو ما يدل على وجود تواطؤ اجتماعي على غضب حق أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم ورفض ولايتهم وكراهية أمرهم، ولكن لم يكن للبعض الجرأة على المبادرة في التغيير والرفض، وما إن تجرأ بعضهم وأسس هذا الأساس حتى عمه الجميع بالرضا والقبول فعمهم الله سبحانه باللعن والسخط.

الثانية: دور المتخلفين عن غزوة تبوك في دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم

لقد حاول البعض ان يضع ذلك العدد الضخم من المتخلفين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك في خانة (عبد الله بن أبي) المنافق تمويها وطمسا للحقيقة(1)،

1- قال ابن كثير في السيرة النبوية ج4 ص 11 __ 12: (قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : ثم استتب برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره وأجمع السير، فلما خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفا من الناس، وضرب عبد الله بن أبي عدو الله عسكره أسفل منه وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين. فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي في طائفة من المنافقين وأهل الريب).

والتحقيق يكشف لنا ان العدد الأكبر منهم كان من المهاجرين والأنصار من غير جماعة عبد الله بن أبي، ويدل على ذلك رواية كلثوم بن الحصين لما سأله النبي عن أقوام قد تخلفوا عنه صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله لكلثوم وقلبه يعتصر ألماً: (ما منع احد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأً شيطاً في سبيل الله، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: إن أعز أهلى على أن يتخلف عنى المهاجرون والأنصار وغفار وأسلم)(1).

وقال الثعلبى فى تفسير قوله سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)) (2): (الآية فيها حث من الله سبحانه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة تبوك، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم، وذلك فى زمان عسرة من الناس وجذب من البلاد وشدة من الحر فأحرقت النخل وطابت الثمار وعظم على الناس غزوة الروم، وأحبوا الظلال والمقام فى المسكن والمال، فشق عليهم الخروج إلى القتال)(3) فالآية باعتراف الثعلبى فيها حث لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم من عظم

-
- 1- () صحيح ابن حبان ج 16 ص 248، المعجم الكبير للطبرانى ج 19 ص 186، موارد الظمان للهيشمى ج 5 ص 355، البداية والنهاية ج 5 ص 24، السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 956، السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 34، المستدرک للحاكم النيسابورى ج 3 ص 594.
- 2- سورة التوبة الآية رقم 38.
- 3- تفسير الثعلبى ج 5 ص 46 تفسير سورة التوبة الآية 38.

وشق عليهم الخروج إلى القتال.

وقال السمعاني في تفسير هذه الآية: (نزلت الآية في غزوة تبوك، وكانت الغزوة في حارة القيظ حين أئبعت الثمار وطابت الظلال فشق على المسلمين مشقة شديدة وتخلف بعضهم بالعدر، وتخلف بعضهم بلا عذر، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقوله: «اثاقلتم إلى الأرض» أى: ثاقلتم؛ وحقيقة المعنى: قعدتم عن الغزو وكرهتم الخروج) (1). وقوله: فشق على المسلمين، وقوله: وتخلف بعضهم، أى بعض المسلمين بعذر، وقوله: وتخلف بعضهم، أى بعض المسلمين بلا عذر، فيه إشارة واضحة لما قدّمنا.

والمهم أن نعرف أن هذه التكتلات المتمردة من المهاجرين والأنصار وغفار وأسلم كان لها الأثر البالغ في سلب البيعة من الإمام أمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه وإنكار الوصية له، لأن من لا يطيع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتجهيز غزوة، كيف يعقل أن يطيعه في تولية الإمام على صلوات الله وسلامه عليه من بعده، والذي يعلم الجميع بأنه صلوات الله وسلامه عليه نسخة منه صلى الله عليه وآله وسلم لا بل هو نفسه.

الثالثة: تقهقر الأنصار عن نصره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدى إلى انقلاب موازين الصراع

إن الأنصار بوصفهم قد بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على النصر والمؤازرة وردع كل من يحاول تشييط الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم في تبوك بالذات صار يعصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمرأى ومسمع منهم دون أن يحركوا ساكناً، فلم يتكلف واحد منهم الرد على التحريض العلني للجد بن قيس، أو غيره من الذين اجتمعوا في بيت من بيوت المدينة، يحرضون الناس على التخلف حتى أحرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عليهم البيت، وهذا السكوت إن دل على شيء، فإنه يدل على أن الأنصار قد اتصلوا عن البيعة، وتخاذلوا عن النصر، فلم يعودوا يردون جوراً ولا هم ينصرون، حتى إن كثيراً منهم بقي مع القواعد والمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا التخاذل والنكث للبيعة والنصرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان له الأثر البالغ في سلب أهل البيت حقهم وتنحيتهم عن مراتبهم وإزالتهم عن مقامهم الذي أقامهم الله سبحانه وتعالى فيه، لأن الأنصار لو كان قد قدر لهم أن يقفوا مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما كان لأحد القدرة على منازعة أهل البيت حقهم ولما طمع في إزالتهم عن مراتبهم طامع.

من هذا المنطلق نفهم سبب قيام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بحمل السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ليلاً ليظف وإياها على مجالس الأنصار يسألانهم النصر على من ظلمها وظلم أهل بيتها، وإلقاء الحجة عليهم ووضعهم أمام مسؤولياتهم وشروطهم التي اشترطوها على أنفسهم يوم بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووعدوه النصر لدينه، لكنهم وبعد كل مرة يطلب منهم ذلك يجيبون: (يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به فقال لهم على عليه السلام: أفكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم ادفنه وأخرج أنازع سلطانه؟ فقالت لهم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم⁽¹⁾ ولم يكن جوابهم هذا بمستغرب بعد أن سبق وشرحنا حالهم وتناقضهم عن النبي ونصرتهم، فكيف يا ترى ينصرون علياً وأهل بيته وهم قد ملوا أيام رسول الله وكل شيء يمكن أن يذكرهم أيامه ويعيد عليهم سنته.

1- الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 19 تحقيق الزيني، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 13، غاية المرام للسيد هاشم البحراني ج 6 ص 18، شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج 10 ص 295.

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ

إشارة

المبحث الأول: إثبات الصدور لهذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً

2: قَتَلَتْكُمْ

المبحث الثالث: اللعن يتعدد بتعدد السبب الموجب له

المبحث الرابع: هل يمكن أن تكون لأبدان أهل البيت عليهم السلام قابلية البقاء والخلود

المبحث الخامس: أدلة إثبات قتل الأمة لأهل البيت عليهم السلام

المبحث السادس: أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت عليهم السلام

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ الشَّرِيفَةِ كغيرها من الفقرات مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات الصدور لهذه الفقرة الشريفة

تواتر اللعن على قتلة أهل البيت عامة وعلى قتلة الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه خاصة في متون الزيارات والروايات اخترنا منها ما يأتي:

عن صفوان الجمال قال: (استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام، فسألته أن يعرفني ما أعمل عليه... ثم تأتي باب القبة وقف من حيث يأتي الرأس وقل: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله... فلعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به يا مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين...) (1).

ومنها ما عن يونس بن عبد الرحمن انه قال للإمام الصادق: (جعلت فداك إني كثيرا ما أذكر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فأى شىء أقول؟ فقال: قل صلى الله عليك يا أبا عبد الله تعيد ذلك ثلاثا فإن السلام يصل إليه من قريب ومن بعيد، ثم قال: إن أبا عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه لما قضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن ينقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى... ثم امش إليه حتى تأتيه من قبل وجهه فاستقبل وجهك بوجهه وتجعل القبلة بين كتفيك ثم قل: السلام عليك يا حجة الله وابن حجته، السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله... لعنت أمة قتلتك وأمة خالفتك وأمة جحدت ولا يتكلم وأمة ظاهرت عليكم وأمة شهدت ولم تستشهد، الحمد لله الذى جعل النار مشواهم وبس ورد الواردين وبس الورد المورود والحمد لله رب العالمين وصلى الله عليك يا أبا عبد الله أنا إلى الله ممن خالفك برىء(1).

وعن الإمام أبى عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضا قال: (إذا دخلت الحائر فقل: اللهم ان هذا مقام أكرمتني به وشرفتنى به، اللهم فأعطني فيه رغبتى على حقيقة إيماني بك وبرسلك، سلام الله عليك يا ابن رسول الله... ثم كبر سبع تكبيرات، ثم تمشى قليلا، ثم تستقبل القبر وتقول: الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا، اشهد انك دعوت إلى الله وإلى رسوله، ووفيت لله بعهده، وقيمت لله بكلماته، وجاهدت فى سبيل الله حتى أتاك اليقين لعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة خذلتك، ولعن الله أمة خذلت عنك(2).

1- الكافي للشيخ الكليني ج 4 ص 575 _ 577.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 358 _ 362 الباب 79 زيارات الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليها.

وعن أبان بن عثمان، عن أبي همام، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (إذا أتيت قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فقل: السلام عليك يا أبا عبد الله، لعن الله من قتلك، ولعن الله من شرك في دمك، ومن بلغه ذلك فرضى به، وأنا إلى الله منهم بريء)(1).

وعن الحسين بن عطية أبي ناب بياع السابري قال: سمعت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول: (من أتى قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه كتب الله له حجة وعمرة وعمرة وحجة، قال: قلت: جعلت فداك فما أقول إذا أتيت، قال: تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حيا، اشهد انك حي شهيد ترزق عند ربك، وأتوالى وليك وأبرأ من عدوك، وأشهد أن الذين قاتلوك وانتهكوا حرمتك ملعونون على لسان النبي الأمي)(2).

ولو أردنا الاستقصاء لكل ما ورد من لعن للأمة التي قتلت أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لطلال بنا المقام وفيما قدمنا كفاية لمتدبر.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً

الواو عاطفة وما بعدها معطوف على ما سبق، وقد مر في الفقرات السابقة معنى اللعن والأمة، فراجع(3).

1- المصدر السابق ص 392 __ 393.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 390 __ 391.

3- راجع شرح عبارة (فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ النَّبِيِّ) المتقدم شرحها.

2: قَتَلْتَكُمْ

القتل: وهو كما عرفه الفراهيدى بقوله: (قتله إذا أماته بضرب أو جرح أو علة)(1).

وهو كما فى الجواهر: (إزهاق النفس المعصومة وإخراجها من التعلق بالبدن)(2).

وقال أبو هلال العسكرى فى الفرق ما بين القتل والموت: (القتل هو نقض البنية الحيوانية ولا يقال له قتل فى أكثر الحال إلا إذا كان من فعل آدمى... والموت عرض أيضا يضاد الحياة... ولا يكون إلا من فعل الله... والموت ينفى الحياة مع سلامة البنية، ولا بد فى القتل من انتقاض البنية)(3).

والقتل غالبا ما يصحبه إذلال حين الإماتة، قال صاحب معجم مقاييس اللغة: (قتل: القاف والتاء واللام أصل صحيح يدل على إذلال وإماتة يقال قتله قتلا)(4).

وضمير الجمع فى (قَتَلْتَكُمْ) يعود إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والجملة معطوفة على ما قبلها.

المبحث الثالث: اللعن يتعدد بتعدد السب الموجب له

كثيرا ما نرى فى زيارة عاشوراء أن اللعن للشخص الواحد أو للفئة الواحدة يتكرر لأكثر من مرة، وعليه فربما يتصور البعض بأن هذا التكرار يعد غير منسجم مع البلاغة ومع ما عرف من فصاحة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

1- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 5 ص 127 باب القاف والتاء واللام معهما.

2- جواهر الكلام للشيخ الجواهرى ج 42 ص 11.

3- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ص 420 تحت رقم 1688 الفرق بين القتل والموت.

4- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس زكريا ج 5 ص 56.

والصحيح انه ليس كل أقسام وأنواع التكرار يعدّ لغواً وغير منسجم مع البلاغة، لان التكرار الذى يكون من ورائه هدف يستدعى التكرار يستثنى من اللغو وعدم البلاغة. والقرآن الكريم ملئ بالآيات المكررة كقوله سبحانه وتعالى ((فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) فقد تكرر ذكرها فى سورة الرحمن واحداً وثلاثين مرة، ولا- يوجد قائل من المسلمين يقول بزيادتها ولغويتها والعياذ بالله بحجة تكرارها وذلك لان فى تكرارها، هدفاً يصحح هذا التكرار.

وتكرار اللعن للأمة أو غيرها من المفردات التى كررت أو ستكرر لاحقاً فى فقرات الزيارة ليس بخارج عن مثل هذا التكرار الهادف، ومن أهم أهداف تكرار اللعن فى الزيارة هو تبيان الأدوار المتعددة التى قامت بها تلك الجماعات والشخصيات الملعونة، والتى أوجبت تعدد اللعن وتكراره.

فقد تلعن الأمة نتيجة تأسيسها للظلم والجور على أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم، فتستحق بذلك الشمول بالغضب والطرده من الرحمة الإلهية، وقد تلعن تارة أخرى ومن منظور آخر ولسبب ثانٍ يستوجب اللعن، كمثل أن يكونوا من الدافعين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم ومراتبهم التى رتبهم الله فيها أو بسبب قتلهم لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو غير ذلك.

وقد يلعن الفرد بصفته فرداً ضمن أمة ارتكبت فعلاً موجبا للعن، كأن يكون ممن شارك فى قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أو يكون ممن مهد ومكن الآخرين من قتلهم، وقد يلعن بصفته فرداً ينتمى إلى بيت من البيوت الملعونة كآل أمية وغيرهم، وقد يلعن كفرد بقطع النظر عن ارتباطه بالأمة أو بالبيت الذى ينتمى إليه، فيلعن

على اعتبار ان له دوراً شخصياً مهماً فى معركة كربلاء كما لعن الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله وأمثاله.

فيتبين مما سبق ان لتكرار بعض فقرات وألفاظ زيارة عاشوراء هدفاً مهماً للغاية، فبالتكرار نكتشف الأدوار المتعددة التى قامت بها تلك الشخصيات والجماعات التى كان لأفعالهم وأقوالهم تأثير مباشر أو غير مباشر فى إحداث فاجعة كربلاء.

المبحث الرابع: هل يمكن أن تكون لأبدان أهل البيت عليهم السلام قابلية البقاء والخلود

إشارة

الظاهر لمن تأمل فى نصوص الروايات الشريفة الواردة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو أن الله سبحانه وتعالى خلق النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث ميزهم عن باقى العالمين، وقد مر بعض التفصيل فى مبحث (سلامتهم عليهم السلام فى عالم الطينة)، وسنضيف هنا ميزة أخرى وهى: ان الله سبحانه قد خلق أبدانهم من طينة قابلة للبقاء والاستمرار الوجودى ما لم يحل بين هذا البقاء والاستمرار حائل، ويمكن أن نستدل على هذه الحقيقة بما يأتى:

أولاً: لعدم وجود مانع عقلى من ذلك

العقل لا يمنع من خلق الله سبحانه وتعالى لبدن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبدان بقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالكيفية التى تقبل البقاء والاستمرار الوجودى. وذلك لان القدرة الإلهية غير محدودة ولا مقيدة بقيد، إلا أن يكون ذلك القيد مستحيل التحقق

عقلا، وخلق النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتلك الكيفية مما لا يستحيله العقل، فيكون داخلاً في نطاق القدرة الإلهية، فعلينا حينئذ ان نبحث في الأدلة الشرعية والروائية لتتأكد هل وقعت وتحققت تلك المسألة في الخارج أم لا، وهو ما سيتبين في الأدلة اللاحقة.

ثانياً: وجود المقتضى لذلك

إشارة

وإضافة إلى عدم وجود المانع العقلي الذي أوضحناه سابقاً، يمكن ان نجد مقتضياً أو عدة مقتضيات ترجح خلق بدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وباقي أبدان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث يكون لها قابلية البقاء والاستمرار الوجودي، ومن هذه المقتضيات والمرجحات ما يأتي:

المرجح الأول: لإظهار فضلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واختصاصهم وتقديمهم على كل البشر

جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن يظهر عظيم شأن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كل مراحل وأطوار الخلق، وقد مر علينا سابقاً عنايته سبحانه لهم في عالم الأشباح والظلال والذر والأصلاب وغيرها من العوالم، فيكون خلقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخلق أبدانهم في عالم الدنيا على الكيفية التي تقدمت داخلاً تحت عنوان إظهار الفضل والاختصاص والامتياز على بقية أفراد البشر.

وهذا مقصد مقبول عقلاً ونقلًا، أما العقل فلعدم وجود المانع، وأما النقل فقد وردت الروايات والزيارات على أن كثيراً من الألفاظ الإلهية تعطى لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعلّة تبيان منازلهم وقربهم واختصاصهم بالله سبحانه وتعالى ويكفي أن نستعرض ما جاء في الزيارة الجامعة الشريفة وبالتحديد عند قوله صلوات الله وسلامه عليه: (...فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقرّبين وأرفع درجات المرسلين

حيث لا - يلحقه لا - حق ولا - يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مرید ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلاله أمركم وعظم خطرکم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلکم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي... (1).

المرجح الثاني: لمعاصرة أكبر عدد من المكلفين لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ان في نعمة بقائهم وطول عمرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وديمومة وجودهم فائدة لأكثر عدد ممكن من المكلفين وعلى اختلاف العصور والأزمان، لان في وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فوائد لا تحصى ولا تعد، ويمكن لنا اختيار بعض فوائد وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

ألف: أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمان لأهل الأرض من العذاب، كما قال سبحانه وتعالى بخصوص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)) (2)، وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه قال: (قال رسول صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل

1- عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج 1 ص 307 ما يجزى من القول عند زيارة جميع الأئمة عليهم السلام عن الرضا عليه السلام ذكر الزيارة الجامعة الكبيرة. وراجع نفس المصدر ج 2 ص 613 الزيارة الجامعة.

2- سورة الأنفال الآية رقم 33.

الأرض(1)، وعن جابر بن يزيد الجعفي قال: (قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: لأي شيء يحتاج إلى النبي صلى الله عليه وآله والإمام؟ فقال لبقاء العالم على صلاحه وذلك أن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام قال الله عز وجل: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وقال النبي صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون(2)).

باء: وهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسيلة من وسائل قبول التوبة والاستغفار لعامة المخطئين والعاصين من أفراد الأمة، وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة فيما يخص نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله سبحانه: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)) (3)، وفيما يخص باقي أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين روى أبو ذر الغفاري قوله: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركب فيها نجي ومن تخلف عنها غرق إنما مثل أهل بيتي فيكم باب حطة من دخله غفر له ومن لم يدخل لم يغفر له(4)).

وفي رواية جابر بن يزيد الجعفي قال: (قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: لأي شيء يحتاج إلى النبي صلى الله عليه وآله والإمام؟ فقال...)

-
- 1- كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص 205.
 - 2- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 123 __ 124.
 - 3- سورة النساء الآية رقم 66.
 - 4- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 317.

وبهم يمهل أهل المعاصى ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب... (1).

جيم: أهمية وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من الناحية التشريعية، فباستمرار وجود النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يستمر نزول القرآن، ويستمر الممثل الحقيقي والمرجع الحقيقي للسماء على الأرض، ولا يحتاج الناس إلى اخذ معالم دينهم وأحكام شريعتهم بالقياس والاستحسان بل وحتى بالاجتهاد.

أقول: وتوجد فوائد أخرى لوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يطول استقصاؤها في هذه العجالة، وقد وردت بأجمعها في كتب الحديث ومتون الزيارات (2).

وبناء على ما تقدم ففي طول بقائهم ودوام وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فرصة لأكثر عدد ممكن من المكلفين للاستفادة والانتفاع من هذه النعمة العظيمة، التي لا تخفى على أولى الألباب، ولو كان للنبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اليوم وجود بين الناس، لكان للحياة طعم آخر وقيمة أخرى، ولمنعوا بوجودهم كثيراً من المظالم والمآسى، ولما انتكست أحوال الأمة هذا الانتكاس الرهيب.

1- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 124.

2- راجع على سبيل المثال ما ورد في الزيارة الجامعة التي رواها الشيخ الصدوق في (من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 615) (وأنتم نور الأخيار، وهداة الأبرار، وحجج الجبار، بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبكم ينفس الهم ويكشف الضر). وما رواه الشيخ الصدوق في (الأمالي ص 252 __ 253) (عن سليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين «عليهم السلام»، قال: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها).

ثالثاً: وجود الروايات الدالة على وقوع ذلك

إشارة

وردت روايات عديدة فيها إشارات واضحة على مسألة خلق أبدان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث يكون لها قابلية الخلود والبقاء والاستمرار ما دام للدنيا وجود، نختار فيما يأتي عدة شواهد روائية مع مراعاة المهم منها:

ألف: روايات الطينة تدل على ذلك

عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: سمعته يقول: (إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم: الناس، وصار سائر الناس همجاً، للنار وإلى النار) (1).

ومنها ما عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يقول: (إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا...) (2).

ويمكن لنا ان نستنتج من هذين الحديثين حقيقتين مهمتين هما:

أولاً: ان أرواح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين خلقت من نور عظمة الله سبحانه وتعالى، وهو شيء لم يشاركهم فيه أحد.

ثانياً: وأما أبدانهم الشريفة فخلقت من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش،

1- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 389.

2- المصدر السابق ج 1 ص 390.

وان أرواح شيعتهم وقلوبهم قد خلقت من نفس طينة أبدان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لم يشاركهم في ذلك أحد غير الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وعليه فأبدان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لها مجانسة ومثابهة وسنخية مع أرواح شيعتهم، وبما أن واحدة من صفات الأرواح هي قابلية الاستمرار والخلود والبقاء الوجودي، فيكون لأبدانهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نفس هذه الخاصية لوجود حالة السنخية بينهما كما تقدم.

وقد أشار إلى ذلك المولى محمد صالح المازندراني في شرح الرواية الأولى حيث قال ما نصه: (قوله «وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا» فيه دلالة على أن جسدهم جسد روحاني وبدنهم بدن نوراني حتى أنه اشتق منه الروح المجرد الصرف... وأنت إذا تأملت فيما ذكر علمت أن بين أبداننا وأبدانهم مباينة في المادة مقارنة في المحل وكذا بين أرواحنا وأرواحهم ويظهر بواقى النسب بالتأمل الصادق إن شاء الله تعالى(1).

باء: حديث أبي مويهبة من كتب أهل السنة يدل على ذلك أيضا

ذكر الطبراني في كتابه المعجم الكبير: (عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: طرقتني النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: أبا مويهبة انطلق فإني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلقت أو قال فانطلقنا فلما توسط البقيع استغفر لأهل المقابر، ثم قال: ليهن لكم ما أصبحتم فيه لو تدرن مما نجاكم الله منه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى، ثم قال: يا أبا مويهبة هل علمت أن الله خيرني أن يؤتيني خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة وبين لقاء ربي قال: قلت بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن

1- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 6 ص 395.

الأرض والخلد فيها، قال: كلا يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي، ثم استغفر لأهل المقابر وانصرف فلما انصرف بدأه شكواه الذي قبض فيه صلى الله عليه وسلم(1).

وقوله: (هل علمت أن الله خيرني أن يؤتيني خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة وبين لقاء ربي) دال دلالة واضحة على انه صلى الله عليه وآله وسلم لو اختار البقاء والخلود في الدنيا لكان له ذلك، وهذا البقاء والخلود لا يكون إلا بوجود قابلية لبدنه الشريف لهذا الخلود والاستمرار، ولا- يقال ان ذلك ربما يحصل بمعجزة، لان المعجزة لا يصل الأمر إليها ما دام القانون الطبيعي كافياً في تحقيق الغرض، وقد ثبت بالعقل والنقل إمكان ان يحدث ذلك بصورة طبيعية من خلال خلق بدنه الشريف من طينة قابلة للدوام والبقاء والاستمرار، فلا تصل النوبة حينئذ إلى المعجزة.

جيم: حديث عائشة من مصادر أهل السنة يدل على ذلك أيضا

أخرج احمد بن حنبل في مسنده: (عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مما أسمعته يقول إن الله لم يقبض نبيا حتى يخيره قالت فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول بل الرفيق الأعلى من الجنة قالت قلت إذا والله لا يختارنا وقد عرفت انه الذي كان يقول لنا ان نبيا لا يقبض حتى يخير)(2).

1- المعجم الكبير للطبراني ج 22 ص 347، وراجع ايضا سنن الدارمي لعبد الله بن بهرام الدارمي ج 1 ص 36 __ 37، وأيضا راجع مسند احمد لأحمد بن حنبل ج 3 ص 488 __ 489.

2- نحن لا نتفق مع عائشة في ان كل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كان لهم ميزة الاختيار ما بين البقاء في الدنيا والرحيل إلى الرفيق الأعلى، لما صح في رواياتنا التي ورد ذكر بعض منها من ان هذه المرتبة والميزة خص بها أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ونبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على رأسهم دون جميع العالمين، لكن عائشة وغيرها دأبوا على أن لا يجعلوا الرسول الله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين خصوصية يتفردون بها ويمتازون بها عن غيرهم.

ويعلق على هذه الرواية بنفس ما مر في رواية أبي مويهبة خادم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم السابقة الذكر.

فائدة الخوض في هذا البحث

إشارة

بسبب عدم تذوق مباحث مهمة كهذه، وبسبب ضعف التوجه العقائدي لدى الكثير من متفلسفة هذا العصر، وبسبب غلبة بعض التوجهات المعاصرة التي تحاول بكل حدها وحديدها تسطيح المفاهيم العقائدية ولاسيما تلك التي تتعلق بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومقاماتهم ومراتبهم ومنازلهم، بسبب كل ذلك وغيره ربما يعترض البعض على إثارة مثل هذه المباحث التي تكاد تدرس في كتابات المعاصرين، وربما يحلو للبعض الآخر بسبب الجهل وقلة الإكتراث لحقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المغصوبة المهضومة أن يرى ترك الخوض في هذه المباحث وأمثالها، لأنها غير مألوفة ولا متداولة عند العوام، وربما تشير سخيرية أو استهزاء بعض المذاهب الإسلامية الأخرى أو حتى بعض الأديان السماوية الأخرى، وعليه فيجب بحسب نظر أولئك القاصر ترك البحث وضرب الجهد عن مثلها صفحا، والالتفات إلى المباحث التي تحمل سمة الحداثة والعصرية والتي تحاول تقريب وجهات النظر الإسلامية بعضها من البعض الآخر، من دون الإساءة إلى مشاعر الآخرين واستجلاب سخريتهم.

ويمكن ان يجاب هؤلاء وأمثالهم بما يأتي:

أولا: ان عدم مألوفية هذه المباحث عند العوام وباقي المذاهب والأديان لا يعدّ دليلا كافيا للإعراض والخجل من ذكر وإيراد مثل هذه المباحث، لان العوام والبسطاء من الناس ليسوا ميزانا لتبيين الحقائق وعدمها، بل ان عدم معرفة العوام بهذه المباحث يكون دليلا إضافيا يستدعي نشر هذه المباحث الشريفة ليستفيد منها من

لا يعرف ويتعلم منها من ليس له القدرة على البحث والتحليل.

ثانيا: ان إثارة هذه المباحث للسخرية والاستهزاء والاستهجان على فرض تحققه من بقية الأديان والمذاهب الأخرى لا يعد مبررا لرفض هذا المبحث وأمثاله، لأننا لو جعلنا الميزان في ذكر الحقائق هو سخرية الآخرين وعدمها لما أمكن لمؤلف شيعي ان يكتب كتابا واحدا، لان جميع أفكار الشيعة الإمامية تستدعي السخرية والاستهزاء من وجهة نظر الآخرين، وعليه يجب ان يكسر علماء الشيعة أفلامهم ويتركوا البحث والكتابة والنقاش لان كل ما يتم كتابته من قبلهم يستهزأ به ويستهجن من قبل الآخرين، ولا يوجد عاقل يقول بمثل هذا الرأي.

بل يجب أيضا إلغاء القرآن والشريعة الإسلامية بكاملها لان الغرب وباقي الديانات تشنع عليه وتستهجنه ويجب ان يلغى الحجاب وتشيع الفاحشة وتباع الخمر على الأرصفة لان الغرب وباقي الديانات تتراح لذلك، وقد صدق الله سبحانه وتعالى حيث قال ((وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)) (1).

ثالثا: لا يجوز التحجج بالوحدة بين الأديان أو بين باقى المذاهب الإسلامية لرفض هذه المباحث المهمة، لان الوحدة إذا صارت على حساب إنكار مبادئ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتعظيم على حقوقهم ومقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها فستتحول حينئذ إلى أداة تهديم لأركان المذهب، لان من يبدأ برفض هذه المباحث بسبب الوحدة، فانه سوف لن يقف عند حد، فسيستتبعها يقينا نكران الشهادة الثالثة في الأذان، وبعدها ستمحى الشهادة بحى على خير العمل، وبعدها سيلغى السجود على التربة، وبعدها ستلغى وتحارب زيارات أهل البيت

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشعائرهم ومراسم عزائهم، وهكذا ستستمر سياسة الإلغاء حتى يمسخ الدين وتضمحل الحقائق، كل ذلك بسبب شعار الوحدة، أو بسبب الفهم الخاطئ أو التطبيق الخاطئ لشعار الوحدة، حتى نصبح وبالتدريج ممن يشارك في غضب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حقوقهم، ودفعهم بقصد أو بغير قصد عن مراتبهم ومقاماتهم التي ابعدوا عنها.

إضافة إلى كل ما سبق فإن البحث في هذا الموضوع يستبطن عدة من الفوائد الكبيرة، وله نتائج يمكن الاستفادة منها في إثبات مباحث عقائدية أخرى كما سنرى، وفيما يأتي نختار فائدتين يمكن أن تترتب على هذا المبحث، ونترك البقية الأخرى موكولة إلى القارئ وفطنته.

الفائدة الأولى: تضع توضيحا شافيا لطول عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه

ان طول عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو من المباحث التي طال الكلام حولها، وتعددت مشارب الباحثين في كيفية تقريبه للأذهان من جهة، وإثبات إمكان وقوعه وحدوثه من جهة أخرى، لكن جميعهم أكدوا على أن طول بقائه صلوات الله وسلامه عليه وامتداد وجود شخصه المقدس راجع إلى قانون المعجزة، وعلى هذا الأمر بنيت الأدلة وأسست الحجج.

غير ان هذا المبحث الذي أثبتنا من خلاله أن أبدان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، — والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه واحد منهم — بذاتها قابلة للبقاء والاستمرار والخلود سيكون بمنزلة تغيير جذري لمسألة العلة الحقيقية التي من أجلها استمر وامتد عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه إلى وقتنا هذا بل إلى اليوم الموعود، وستخرج هذه المسألة من كونها مسألة إعجازية غيبية إلى مسألة طبيعية، على اعتبار ان البقاء والخلود من

خواص بدنه المقدس، ما لم يحلّ دون ذلك حائل، وإذا كان لبدنه الشريف صفة البقاء والخلود فلا تبقى أى حاجة للتدخل الإعجازى، لان المعجزة كما هو ثابت فى محله، لا يصار إليها إلا بعد انسداد وقصور الأسباب الطبيعية، وهذا الشرط منفى هنا، لإمكان تحقق طول البقاء بالطرق الطبيعية وبالتوضيح السابق، فلا يلجأ إلى المعجزة بحال من الأحوال.

الفائدة الثانية: لتبيان الجريمة النكراء التى حالت دون التمتع بوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ان أصل وجود النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بغض النظر عن أى حيثية أخرى هو نعمة إلهية يجب على الجميع معرفتها والإقرار بها، إذ ان وجود الأبرار والصالحين والأخيار ومن فضلهم الله سبحانه وتعالى على جميع العالمين من الأولين والآخرين لهو نعمة ومنة، لا ينكرها إلا من عميت بصيرته، فكيف لو اقترنت بوجودهم فوائد عظيمة ومنن إضافية جسيمة، فان المننة ستكون ولا ريب أعظم والنعمة أتم، وقد بينا أنفا ان وجودهم وسيلة يستجلب بها كل خير ويدفع بهم كل سوء وشر.

وعليه فأعظم جريمة وقعت فى تاريخ المسلمين هى إزهاق تلك الأرواح الطاهرة والحيلولة دون ان تستفيد الأمة من نعمة خلود هؤلاء الأطهار بين صفوفها، فالأمة التى أزهدت أرواح أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحالت دون استمرار وجودهم ودون فرصة الاستفادة من ثمرات بقائهم وخلودهم تستحق اللعن والطرده والإبعاد عن الرحمة الإلهية، وتحمل جميع التبعات المترتبة على ذلك، وكذلك تتحمل جميع المفاسد التى ترتبت على فقد أولئك الأطهار، والتى منها انقطاع الوحي والتشريع عن أهل الأرض، وتشتت كلمة الأمة وتشعبهم شيعا وأحزابا، وما نتج عن ذلك من فساد فى الأرض وإراقة للدماء.

المبحث الخامس: أدلة إثبات قتل الأمة لأهل البيت عليهم السلام

إشارة

ان ضمير الجمع فى كلمة (قتلتكم) فى فقرة (ولعن الله امة قتلتمكم) كما أوضحنا فى المعنى اللغوى راجع إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشامل للخمسة أصحاب الكساء، وهذا الإطلاق فى العبارة يدل وبوضوح على أن جميع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد تعرضوا للقتل وما مات منهم احد حتف انفه.

وتطبيق تعريف القتل الذى هو بمعنى: (الإماتة بضرب أو جرح أو سم أو علة...إذا كان من فعل آدمى)(1) واضح فى مورد أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، والإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما فان موتهم كان بفعل الغير، وإذا كان بفعل الغير فهو داخل فى معنى القتل، وتواتر وقوعه خارجاً أشهر من ان يستدل عليه بدليل.

الأدلة على قتل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده

إشارة

يمكن لنا أن نقدم عدة أدلة على أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج عن هذه الدنيا إلا مقتولا شهيدا، نخص بالذكر منها ما يأتى:

الدليل الأول: قابلية بدنه الشريف للخلود والبقاء الوجودى تدل على ذلك

بناء على ما تقدم فى المبحث السابق من ان بدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبدان بقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد خلقت بطريقة قابلة للخلود والاستمرار الوجودى، ما لم يحل بوجه هذا الخلود والاستمرار حائل، فيصبح واضحاً ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما لم يستمر وجوده المقدس فهذا يعنى ان حائلاً قد حال دون ذلك، وان هذا الحائل من

1- () لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 547، كتاب العين للفراهيدى ج 5 ص 127.

فعل آدمى لان الله سبحانه وتعالى خلقه صلى الله عليه وآله وسلم وله قابلية الاستمرار فمن غير المعقول أن يكون ذلك الحائل حائلا إلهيا، وإذا لم يكن إلهيا لا بد أن يكون آدميا، وبه يتحقق معنى القتل.

الدليل الثاني: تسالم قتله في مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

تسالم عند علماء مذهب أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسموما، وبهذا الصدد يقول الشيخ الطوسى قدس الله روحه: (قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مسموما ليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة) (1).

وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (وقبض صلى الله عليه وآله بالمدينة مسموما يوم الاثنين ليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته، وهو ابن ثلاث وستين سنة) (2).

الدليل الثالث: روايات أهل السنة تشهد بقتله صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده

قد اشتهر في كتب العامة بأنه صلى الله عليه وآله وسلم مات مسموما، فعن احمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود قال: (لان أحلف تسعا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل قتلا أحب إلى من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك إن الله اتخذ نبياً واتخذ شهيدا) (3)، قال الهيثمي معلقا على هذا الحديث: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) (4).

وقد كان الشعبي يقول: (والله لقد سم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسم أبو بكر

1- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى ج 6 ص 2، وأيضا بحار الأنوار للمجلسي ج 22 ص 514،

2- المقنعة للشيخ المفيد ص 456، وراجع أيضا منتهى المطلب للعلامة الحلى ج 2 ص 891.

3- مسند احمد بن حنبل ج 1 ص 408 مسند عبد الله بن مسعود.

4- مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 341.

وقتل عمر بن الخطاب صبيرا وقتل عثمان بن عفان صبيرا وقتل علي بن أبي طالب صبيرا وسم الحسن بن علي وقتل الحسين(1).

والذى يتبين من كلام الطبرى وغيره ان مسألة موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم بفعل الغير هو مما كان مشتتها أمره بين كافة أفراد المسلمين من الصحابة وغيرهم حيث قال فى تاريخه: (وكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات شهيدا، مع ما أكرمه الله به من النبوة)(2).

من الذى قتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم

على الرغم من إجماع المسلمين تقريبا على استشهادة صلى الله عليه وآله وسلم بالسم، إلا أن الاختلاف قد وقع بينهم فى تحديد الجهة التى قامت بسمه وإزهاق روحه المقدسة، فالعامة تروى بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد سم من قبل اليهود قبل سنتين من وفاته صلى الله عليه وآله وسلم حينما قامت يهودية بتقديم شاة مشوية ومسمومة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأكل منها لقمة فبقى أثر هذه اللقمة يتكرر كل عام عليه بالأذى ورووا عنه انه صلوات الله وسلامه عليه قال: (ما زالت أكلة خبير تعتادنى كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهرى _ شريانى _)(3).

وأما علماء الخاصة فقد تباينت آراؤهم فى سبب موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فمنهم من ذهب إلى ما يذهب إليه أبناء العامة، ومنهم من ذهب إلى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد سم على يد بعض المقربين من الصحابة.

1- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى ج 3 ص 59.

2- تاريخ الطبرى ج 2 ص 303 ، تفسير الثعلبى ج 9 ص 53 ، تفسير البغوى ج 4 ص 198.

3- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى ج 2 ص 497 ، وقريب منه فى مسند احمد ج 6 ص 18 ، المحلى لابن حزم ج 11 ص 27 ، معرفة السنن والآثار للبيهقى ج 7 ص 298.

وليس هنا محل تحقيق ذلك إلا ان فقرة (ولعن الله امة قتلتمكم) فيها تصريح واضح بان الأمة التي قتلت أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي بذاتها التي قتلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إضافة إلى وجود روايات تؤكد على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأكل من الطعام المسموم الذي قدم له بخبير، قال الطبرى: (فلاك صلى الله عليه وآله وسلم منها مضغ فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور الأنصارى من بنى سلمة من الخزرج قدّمها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني انه مسموم)⁽¹⁾.

فمن هذا وغيره استبعد بعض الباحثين أن يكون اليهود هم من قام بسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ليس من باب تبرئتهم، فهم أهل لكل سوء، وكهف لكل نفاق ومؤامرة، ولكن الإنصاف فى البحث وحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة تستدعى أن يزاح الستار عن الفاعل الحقيقى لهذه الفاجعة النكراء والجريمة الشنعاء، وأصابع الاتهام تشير إلى بعض الأطراف القريبة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إما مستقلة وإما متعاونة مع أطراف يهودية أخرى.

الأدلة على قتل السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها

إشارة

اجتمعت كلمة العامة والخاصة على أن السيدة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها قد ماتت وهى بعمر الثمانية عشر سنة، ولكن اختلفوا فى أن موتها هل كان بفعل الغير أم لا، ونحن وبسبب ما بين أيدينا من أدلة روائية تقطع بموتها بسبب فعل الغير، ولنا على ذلك عدة من الأدلة نستعرض بعضها فيما يأتى:

1- تاريخ الطبرى ج2 ص303، السيرة النبوية لابن هشام ج3 ص801، البداية والنهاية لابن كثير ج4 ص240.

الدليل الأول: قابلية بدنها الشريف للخلود والبقاء الوجودى يدل على ذلك

تقدم فيما سبق طريقة الاستدلال بهذا الدليل على حتمية قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإماتته بفعل الغير ونفس الطريقة تلك يمكن تطبيقها هنا لنتج عين ما نتج سابقا.

الدليل الثانى: قصر عمرها يدل على ذلك

إن قصر عمر السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها(1) يدل وبغض النظر عن كل دليل روائى أو تاريخى على ان وفاتها صلوات الله وسلامه عليها كانت بفعل فاعل، إذ انه وبحسب ما اعتاده الناس فى الحياة العامة لا يكون موت الإنسان وهو بمثل هذه السن إلا لأحد سببين:

الأول: أن يكون الممرض هو الذى يعجل بموت من يكون بهذا العمر.

الثانى: تعرضه للاعتداء والقتل من قبل إنسان آخر.

والثابت تاريخيا إن كلا الأمرين قد اجتماعا فى موت السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فقد تعرضت للضرب والاعتداء المباشر من قبل بعض الصحابة، ونتيجة لهذا الاعتداء مرضت واعتلت وبقيت فى علة دائمة إلى أن ماتت روحى فداها.

والأفطع من هذا وبحسب ما يفهم من عبارة (ولعن الله امة قتلتمكم) هو أن تشترك الأمة جميعها بقتلها تارة بالمباشرة، وأخرى بتهيئة الأسباب والمقدمات لقتلها

1- () قال الشيخ الكلينى فى كتاب الكافى ج 1 ص 458: (ولدت فاطمة عليها وعلى بعلمها السلام بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين وتوفيت عليها السلام ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما وبقيت بعد أبيها صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما).

وهضمها، أو بالسكوت على الاعتداء على حرمتها وعدم الاكتراث لما جرى عليها، وفي قول أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام تصريح بهذه الحقيقة فبعد ما فرغ من دفنها روى فداها وقف مخاطبا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (وستبتك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها فأحفظها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا... ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاما معكوكا ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرا وتهضم حقها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر وإلى الله يا رسول الله المشتكى وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلى الله عليك وعليها السلام والرضوان)(1).

الدليل الثالث: النصوص التاريخية والروائية تدل على ذلك أيضا

والأخبار عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مجمعة على أن السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قد ماتت بفعل الغير، حتى اشتهرت بلقب الشهيدة في متون الروايات والزيارات الشريفة منها:

أولا: ما روى عن الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليهما انه قال: (ان فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة)(2).

قال المولى محمد صالح المازندراني في شرحه لهذا الحديث: (والشهيد من قتل من المسلمين في معركة القتال المأمور به شرعا، ثم اتسع فأطلق على كل من قتل منهم

1- روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص 152 ، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 7 ص 214.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 458.

ظلما كفاطمة عليها السلام إذ قتلوها بضرب الباب على بطنها وهي حامل فسقط حملها فماتت لذلك(1).

وقال العلامة المجلسي قدس الله روحه في تعليقه على الخبر السابق: (ثم إن هذا الخبر يدل على أن فاطمة صلوات الله عليها كانت شهيدة، وهو من المتواترات. وكان سبب ذلك: أنهم لما غصبوا الخلافة، وبايعهم أكثر الناس بعثوا إلى أمير المؤمنين ليحضر للبيعة، فأبى. فبعث عمر بنار ليحرق على أهل البيت بيتهم، وأرادوا الدخول عليه قهرا، فمنعتهم فاطمة عند الباب، فضرب قنذ غلام عمر الباب على بطن فاطمة، فكسر جنبها، وأسقط لذلك جنينا كان سماه رسول الله محسنا. فمرضت لذلك، وتوفيت صلوات الله عليها في ذلك المرض(2).

وفي رواية ثانية ان عمر بن الخطاب هو الذى ضربها فماتت صلوات الله وسلامه عليها متأثرة بضربته، فقد أخرج الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص: (فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوما مريضة مما ضربها عمر(3)).

وقال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه: (ومما أنكر عليه: ضربهم لفاطمة عليها السلام. وقد روى أنهم ضربوها بالسياط. والمشهور الذى لا خلاف فيه بين الشيعة: أن عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسمى السقط محسنا، والرواية بذلك مشهورة عندهم. وما أرادوا من إحراق البيت عليها، حين التجأ إليها قوم، وامتنعوا من بيعته. وليس لأحد أن ينكر الرواية بذلك، لأننا قد بينا الرواية الواردة من جهة العامة، من طريق البلاذرى، وغيره ورواية الشيعة مستفيضة

1- شرح أصول الكافي ج 7 ص 213.

2- مرآة العقول ج 5 ص 392.

3- الاختصاص للشيخ المفيد ص 185 حديث بنى ساعدة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

به، لا يختلفون في ذلك(1).

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: (طفحت واستفاضت كتب الشيعة، من صدر الإسلام والقرن الأول، مثل كتاب سليم بن قيس، ومن بعده إلى القرن الحادى عشر وما بعده بل وإلى يومنا هذا، كل كتب الشيعة التي عنيت بأحوال الأئمة، وأبيهم الآية الكبرى، وأمهم الصديقة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين، وكل من ترجم لهم، وألف كتابا فيهم، وأطبقت كلمتهم تقريبا أو تحقيقا في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة، أنها بعد رحلة أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ضرب الظالمون وجهها، ولطموا خدها، حتى احمرت عينها وتناثر قرطها، وعصرت بالباب حتى كسر ضلعها، وأسقطت جنينها، وماتت وفي عضدها كالدملج. ثم أخذ شعراء أهل البيت سلام الله عليهم هذه القضايا والرزايا ونظموها في أشعارهم ومراثيهم، وأرسلوها إرسال المسلمات: من الكميت والسيد الحميرى، ودعبل الخزاعى، والنميرى، والسلامى، وديك الجن، ومن بعدهم، ومن قبلهم إلى هذا العصر. وتوسع أعظم شعراء الشيعة فى القرن الثالث عشر، والرابع عشر، الذى نحن فيه، كالخطى، والكعبى، والكوازين، وآل السيد مهدي الحلبيين، وغيرهم ممن يعسر تعدادهم، ويفوق الحصر جمعهم وآحادهم. وكل تلك الفجائع والفظائع، وإن كانت فى غاية الفظاعة والشناعة، ومن موجبات الوحشة والدهشة، ولكن يمكن للعقل أن يجوزها، وللأذهان والوجدان أن تستسيغها، وللأفكار أن تقبلها، وتهضمها، ولا سيما وأن القوم قد اترفوا فى قضية الخلافة، وغصب المنصب الإلهى من أهله ما يعد أعظم وأفظع(2).

1- تلخيص الشافى ج 3 ص 156.

2- جنة المأوى ص 78 _ 81.

ثانياً: ما تواتر في زيارتها صلوات الله وسلامه عليها من إطلاق لقب الشهيدة عليها، فقد أخرج الشيخ الصدوق زيارة لها صلوات الله وسلامه عليها جاء فيها: (السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية...) (1).

ومنها ما ذكره الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتاب المزار قال: (إذا أردت زيارتها فقف بالروضة وقل: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله، السلام على ابنتك الصديقة الطاهرة السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يا سيدة نساء العالمين أيتها البتول الشهيدة الطاهرة، لعن الله مانعك إرثك ودافعك عن حقك والراد عليك قولك لعن الله أشياعهم وأتباعهم وألحقهم بدرك الجحيم صلى الله عليك وعلى أبيك وبعلك وولدك الأئمة الراشدين وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته) (2).

وقد أخرج العلامة المجلسي قدس الله روحه زيارة أخرى لها صلوات الله وسلامه عليها جاء فيها: (اللهم صل على السيدة المفقودة، والكرامة المحمودة، والشهيدة العالية) (3).

وبهذا وغيره مما لم نذكره لمراعاة الاختصار نستطيع أن نقطع بأن أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين شملتهم آية التطهير كلهم قد تعرض للقتل وما مات منهم احد حتف أنفه، فلعنن امة قتلتهم ولعنن امة أعانت على قتلهم ولعنن امة رضيت بقتلهم إلى يوم القيامة.

1- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 2 ص 573.

2- المزار للشيخ المفيد ص 179 مختصر زيارة أخرى لها صلوات الله وسلامه عليها.

3- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 99 ص 220 الباب التاسع زيارتهم عليهم السلام في أيام الأسبوع والصلاة عليهم مفصلاً.

المبحث السادس: أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت عليهم السلام

إشارة

قد يجد البعض في نفسه بعض الحرج من اللعن الوارد في زيارة عاشوراء وغيرها في حق قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين متناسيا أنّ أئمة أهل البيت لا يلعنون جزافا وان مسلكهم مسلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومسلك القرآن الكريم الذى لا يلعن إلا من يستحق اللعن، ولا يطرد من الرحمة إلا من أساء وطرده نفسه منها بسوء عمله واختياره، ونستطيع فيما يأتى ان نستعرض وعلى عجلة ستة أدلة تدل على جواز لعن قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهى كما يأتى:

الدليل الأول: القاتل للنفس المؤمنة كافر والكافر يجوز لعنه إجماعا

وفى هذا المعنى آيات كريمة وأحاديث شريفة كثيرة تطبق بأجمعها على أن القاتل للنفس المؤمنة عن عمد وإصرار خارج عن الإيمان داخل فى سلك الكفار، ومن هذه النصوص الشريفة ما يأتى:

قال الله سبحانه وتعالى: ((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)) (1)، والخلود فى النار لا يكون إلا مع عدم الإيمان، لان المؤمن حتى لو دخل النار فانه لا يخلد فيها، والإيمان فى الآخرة لا يقابله إلا الكفر، فمن لم يكن مؤمنا لا يكون إلا كافرا (2).

وفى الحديث عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من قتل

1- سورة النساء الآية رقم 93.

2- لا يخفى ان قوانين الدنيا تختلف اختلافا جذريا عن قوانين الآخرة، ففى القوانين الدنيوية يوجد إسلام وإيمان وكفر ونفاق، وفى الدنيا جعلوا الإسلام مقابلاً للكفر، وصيروا الإيمان مقابلاً للنفاق، وهذا التفريق بين الإسلام والإيمان فى عالم الدنيا هو لأسباب غير خافية على النبيه الفطن، أما فى الآخرة فلا يوجد غير الإيمان ويقابله الكفر، فمن لم يكن مؤمنا كان كافرا.

مؤمننا متعمدا فقد كفر بالله(1).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضا قال: (من أعان على قتل امرئ مسلم بشرط كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله(2) واليأس من رحمة الله وروحه لا يكون إلا من صفات الكافرين كما قال الله سبحانه وتعالى: ((إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)) (3)، ويمكن لنا الاستفادة من هذا الحديث بعدة أوجه، منها ان ما ورد في الحديث الشريف هو جزء لمن أعان على قتل المسلم فيكون القاتل للمسلم مشمولاً بالكفر من باب أولى، هذا أولا، وثانيا: هذا الحديث الشريف لا يجوز لنا لعن القاتل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقط بل ويجوز لنا لعن من أعان على قتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (أيها الناس لا ترجعوا بعدى كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه(4)).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وفيما قدمنا كفاية لمتدبر وبه نستطيع إثبات ان القاتل للنفس المؤمنة عن عمد كافر والكافر يكون مشمولاً بقوله سبحانه وتعالى ((فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ)) فيجوز حينئذ لعن كل قاتل، ويكون أولى الناس باللعن من قتل خيرة المؤمنين وسادة المسلمين وصفوة الناس أجمعين من الأولين والآخرين فلو كان هنالك وصف أشد من الكفر لما ترددنا في إطلاقه عليهم لعظيم ما جنوه وفداحة ما اقترفوه.

1- ميزان الاعتدال للذهبي ج2 ص100، تفسير ابن كثير ج1 ص549، الكامل لابن عدى ج3 ص203.

2- مسند أبي يعلى لأبي يعلى الموصلى ج10 ص308.

3- سورة يوسف الآية رقم 87.

4- مجمع الزوائد للهيثمي ج6 ص283 باب لا يجنى أحد على أحد ولا يؤخذ أحد بجريرة غيره، وقال الهيثمي بعد إيراده: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح).

الدليل الثاني: إن قتل أهل البيت إفساد في الأرض والمفسد في الأرض ملعون

قال الله سبحانه وتعالى ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)) (1) فبين تعالى ان الإفساد في الأرض يستتبع اللعن والطرود من الرحمة الإلهية، وقد اتفقت الروايات الشريفة على أن القتل هو من مصاديق الإفساد في الأرض، وقد ورد في الحديث الشريف أن السماوات والأرض وما فيهن لا تعدل عند الله سبحانه وتعالى نفساً مظلومة تزهق بباطل.

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (والذى نفس محمد بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا) (2). وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لزوال الدنيا وما فيها أهون على الله من قتل مسلم بغير حق) (3). وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لزوال الدنيا جميعاً أهون على الله من دم يسفك بغير حق) (4).

فإذا كان القتل من مصاديق الإفساد في الأرض وموجباً لللعن فإن قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أكبر وأعظم مصاديق ذلك الإفساد وصاحبه يستحق أغلظ درجات اللعن وأشدّها.

وقد يكون للفساد وجه تحقق آخر، وهو أن قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إفناء وإبادة للأخيار وإبقاء للأشرار والمفسدين، وهو من باب رفع أحد النقيضين

1- سورة محمد الآية 22.

2- كنز العمال للمتقى الهندي ج 15 ص 32، الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج 2 ص 198، المجموع لمحيى الدين النووي ح 18 ص 345، مغنى المحتاج لمحمد بن احمد الشرييني ج 4 ص 2، إعانة الطالبين للبكرى الدمياطي ج 4 ص 124.

3- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 65 ص 193، كنز العمال للمتقى الهندي ج 15 ص 32.

4- كنز العمال للمتقى الهندي ج 15 ص 32، الكامل لعبد الله بن عدى ج 3 ص 145، تهذيب الكمال للمزى ج 9 ص 237.

وإثبات الآخر، وهذا الإفناء والإبادة للأخيار وإبقاء الفجار والأشرار وهو من أعظم الفساد في الأرض والمفسد يصح لعنه والتبرؤ منه بنص كتاب الله سبحانه وتعالى.

الدليل الثالث: في قتلهم نقض للعهد وقطعا لما أمر الله به أن يوصل

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه ((وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (1).

ويمكن أن نتصور لنقض العهد وقطع ما أمر الله سبحانه وتعالى به أن يوصل عدة صور:

ألف: ان القاتل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ناقض للعهد الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على العباد، لأنه سبحانه وتعالى قد أمر عباده بحفظ النفس وأخذ عليهم العهد والميثاق أن لا يقتلوا أنفسهم ولا أولادهم ولا غيرهم من بنى جنسهم قال سبحانه وتعالى ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ)) (2). وقال سبحانه وتعالى أيضا ((وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)) (3) وقال سبحانه وتعالى في آية الثالثة ((مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)) (4) فالقاتل لأهل البيت ناقض لجميع هذه العهود والمواثيق المأخوذة من قبل الله سبحانه وتعالى على عباده وناقض العهد والميثاق يجوز لعنه قال الله سبحانه وتعالى ((فَبِمَا نَقُضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)) (5).

1- سورة الرعد الآية رقم 25.

2- سورة البقرة الآية رقم 84.

3- سورة الإسراء الآية رقم 33.

4- سورة المائدة الآية 32.

5- سورة المائدة الآية رقم 13.

باء: إن الله سبحانه وتعالى أوجب على الناس مودة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بقوله: ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)) (1) وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرباه حينما سأله المسلمون: (من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم فقال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وابناهما) (2) وقاتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قاطع لهذه المودة حتما فيكون مشمولاً بقوله سبحانه وتعالى ((وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (3) فيجوز حينئذ لعنهم لهذه العلة.

جيم: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدنيا حتى اخذ على المسلمين العهد والميثاق والبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه في يوم غدِير خم عند رجوعه من حجة الوداع حيث ارتقى منبرا اعد له وصاح في الناس: (... يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. ثم قال: أيها الناس إنى فرطكم وإنكم واردون على الحوض، حوض أعرض مما بين بصري وصنعاء، فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة، وإنى سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيها الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به، لا تضلوا ولا تبدلوا، والثقل الأصغر عترتى أهل بيتى فإنه قد نبأنى اللطيف الخبير إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) (4).

1- سورة الشورى الآية 23.

2- المعجم الكبير للطبرانى، تفسير الكشاف للزمخشري ج3 ص467، تفسير الثعلبي ج8 ص37، شواهد التنزيل للحاكم الحسكى ج2 ص194، تفسير النسفى ج4 ص101، تفسير الرازى ج27 ص166، تفسير ابن عربى لابن العربى ج2 ص219، فتح القدير للشوكانى ج4 ص537.

3- سورة الرعد الآية رقم 25.

4- المعجم الكبير للطبرانى ج3 ص180، كنز العمال للمتقى الهندى ج1 ص189 وج5 ص289، تاريخ دمشق لابن عساكر ج42 ص220، البداية والنهاية لابن كثير ج7 ص386.

ومهما فهمنا من كلمة الولي فلاإن معانيها تجمع على ضرورة رعاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحفظ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم الذي هو عهد الله سبحانه وتعالى، والقاتل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ناقض لهذا العهد ناكث للميثاق فيكون مشمولاً بقول الله سبحانه وتعالى ((وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (1).

الدليل الرابع: ان في قتلهم إيداءً للنبي ومؤذى النبي ملعون

قد اتفقت كلمة المسلمين ومن دون مخالف على ان أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرام قليله وكثيره، قال الحطاب الرعيني نقلاً عن القرطبي في شرح صحيح مسلم: (يحرم علينا كل فعل يؤذيه وإن كان في أصله مباحاً لكنه إذا أدى إلى أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارتفعت الإباحة وحصل التحريم) (2).

وقال الشيخ الطبرسي: (والأذى قد يكون بالفعل، وقد يكون بالقول) (3)، وقد أفتى علماء العامة قبل الخاصة بكفر من أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوجبوا قتله منهم:

ابن حزم حيث قال: (إن كل من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر مرتد يقتل ولا بد وباللله تعالى التوفيق) (4). وقال ابن حجر: (إن من أذى النبي صلى الله عليه وسلم بقول أو فعل يقتل) (5). وقال ابن تيمية: (من أذى الرسول فقد أذى الله لان حق الله وحق رسوله متلازمان وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله

1- سورة الرعد الآية رقم 25.

2- مواهب الجليل للحطاب الرعيني ج 5 ص 12.

3- تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج 5 ص 79.

4- المحلى لابن حزم ج 11 ص 414.

5- فتح الباري ابن حجر ج 8 ص 369.

تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا- سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور(1).

ودليل الجميع هو قوله سبحانه وتعالى ((إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)) (2) وقوله سبحانه وتعالى ((وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (3).

ويلزم من حرمة إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرمة من يتأذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأذيتهم وقد ثبت على نحو القطع انه صلى الله عليه وآله وسلم يؤذيه ما يؤذى أهل بيته وعترته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إن الله عز وجل اشتد غضبه على اليهود أن قالوا عزير ابن الله، واشتد غضبه على النصارى أن قالوا المسيح ابن الله، وأن الله اشتد غضبه على من أراق دمي وأذاني في عترتي) (4).

وقد ورد أيضا انه صلى الله عليه وآله وسلم قال في حق ابنته السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها: (فاطمة بضعة مني من أذاها فقد أذاني) (5).

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في حق أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

-
- 1- الصارم المسلول لابن تيمية ص 40-41.
 - 2- سورة الأحزاب الآية 57.
 - 3- سورة التوبة الآية 61.
 - 4- الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج 3 ص 230، والكامل لعبد الله بن عدى ج 6 ص 302.
 - 5- المجموع لمحيي الدين النووي ج 20 ص 244، شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج 3 ص 30، السنن الكبرى للبيهقي ج 10 ص 202، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 16 ص 273.

صلوات الله وسلامه عليه: (من أذى علياً فقد أذاني) (1).

وعن أنس بن مالك قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم راقد في بعض بيوته على قفاه إذ جاء الحسن يدرج حتى قعد على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ثم بال على صدره فجئت أميطة عنه فاستنبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أنس دع ثمرة فؤادي فإن من أذى هذا فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله) (2).

وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً من بيت عائشة فمر على فاطمة صلوات الله وسلامه عليها فسمع حسينا يبكي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ألم تعلمي إن بكاءه يؤذيني) (3).

فإذا كان بكاء الحسين صلوات الله وسلامه عليه يؤذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يا ترى لو رآه على الرمضاء مقتولاً، ورأسه على الرمح مشهوراً، يطاف به وبحريمه من بلد إلى بلد. وإذا كان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه ثمرة فؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤذيه ما يؤذيه فكيف به لو رآه يتلوى من السم يخرج كبده قطعة بعد قطعة، أم ماذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم لو شاهد جنازته صلوات الله وسلامه عليه ترمى بالسهام والحجارة ليس من ذنب إلا لأنه أراد أن يدفن قرب جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أم كيف يصبر قلبه صلى الله عليه وآله وسلم وهو يرى المسمار يخترق قلب التقى ويكسر صدر الهدى ويقع في صدر ابنته الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، أم كيف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يتأذى من أمته ولا يلعنها وهو يراها تجرع ابن عمه ووصيه أنواع المحن وألوان الرزايا.

1- مسند احمد بن حنبل ج 3 ص 484، صحيح ابن حبان ج 15 ص 367، الاستيعاب لابن عبد البر ج 3 ص 1183، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج 2 ص 547، التاريخ الكبير للبخارى ج 6 ص 307، الإصابة لابن حجر ج 4 ص 534، تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 631.

2- المعجم الكبير للطبراني ج 3 ص 43، كنز العمال للمتقى الهندي ج 12 ص 125.

3- المعجم الكبير ج 3 ص 116، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 14 ص 171، ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص 190.

الدليل الخامس: فى قتل أهل البيت إيداء للمؤمنين ومؤذيههم ملعون

قال تعالى ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)) (1) وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من آذى مسلماً فقد آذانى ومن آذى مسلماً فقد آذى الله) (2)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: (من آذى مسلماً فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله) (3) وقد مر فى الدليل السابق ان آذى النبى صلى الله عليه وآله وسلم محرم وانه من الأفعال التى تستوجب اللعن.

وفى قتل احد أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين آذى له على المستوى الشخصى، وهو مؤمن ومسلم، بل من سادة المسلمين وخيرة المؤمنين، فىكون أذاه بوصفه واحداً من المسلمين آذى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ومؤذى النبى صلى الله عليه وآله وسلم يستحق اللعن.

وفى قتل احد أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كذلك آذى لبقية أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من المؤمنين فىكون مؤذيههم ملعوناً قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً.

وفى قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إيداء لبقية المؤمنين من غير أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن نار مصابهم باقية فى قلوب المؤمنين منذ يوم مقتلهم إلى يوم الناس هذا بل إلى يوم القيامة، والمتسبب فى إيداء المؤمنين عامة يستحق أشد درجات اللعن والطرده من الرحمة الإلهية.

1- سورة الأحزاب الآية 58.

2- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 42 ص 201.

3- كنز العمال للمتمقى الهندى ج 16 ص 10، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى ج 2 ص 547، البداية والنهاية لابن كثير ج 7 ص 383.

الدليل السادس: فى قتل أهل البيت قطع للأرحام وحكم بغير ما انزل الله

قال سبحانه وتعالى:

((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)) (1)، وقال سبحانه وتعالى أيضاً ((وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) (2).

وهذه الآيات الكريمة تتحدث عن أولئك الذين يتولون الحكم وإدارة أمور الناس فيستغلون هذه المناصب ليفسدوا فى الأرض بالظلم والجور، فتكون إحدى نتائج ظلمهم وفسادهم قطعهم للأرحام وحكمهم بما لم ينزل الله سبحانه وتعالى، فيكون فعلهم هذا مستوجبا للعن والطرده والإبعاد من الرحمة الإلهية.

وقد تقدم ان قتل النفس المحترمة من أوضح مصاديق الظلم والفساد، وأعظم منه قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيكون فاعله مشمولاً بقوله سبحانه وتعالى ((أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)).

والقتل هو أيضا حكم بما لم ينزل الله سبحانه، فالله سبحانه وتعالى قد انزل بشريته حفظ النفس والرحم ووصلهما وعدم قطيعتهما، وهؤلاء الظالمون قد حكموا على العباد بإزهاق النفوس وقطع الأرحام فيكون حكمهم غير مطابق لحكم الله سبحانه فيصح حينئذ لعنهم بهذا السبب.

كما أنّ الله سبحانه وتعالى قد انزل فى جميع شرائعه وجوب حفظ النفس والرحم ووصلهما وعدم قطيعتهما، فيكون الحكم بقتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من قبل الحكام الظالمين غير مطابق لحكم الله سبحانه وتعالى فيصح حينئذ لعنهم بهذا السبب.

1- سورة محمد الآية 22 و23.

2- سورة المائدة الآية 44.

وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُم بِالْتَّمَكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ 2: لَهُم بِالْتَّمَكِينِ 3: مِنْ قِتَالِكُمْ

المبحث الثالث: امتداد التمهيد لقتل أهل البيت جيلا بعد جيل

اجتماع السقيفة ليس أول اجتماع لغضب الخلافة

فاطمة ومحسنها صلوات الله وسلامه عليهما أول ضحايا تمهيد يوم السقيفة

التمهيد لعمر بن الخطاب ومن بعده لأبي عبيدة بن الجراح

تبدل المخطط السابق وظهور عثمان بن عفان على الساحة

الشورى مخطط لإيصال آل أمية وإقصاء آل البيت عليهم السلام

لماذا شارك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذه الخدعة وهو يعلم بنتائجها؟

محاولة انتزاع الإمارة من آل أمية وإرجاعها للمهاجرين مرة أخرى

دور معاوية بن أبي سفيان في مقتل عثمان بن عفان

دور الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في هذا الصراع

رجوع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين

أسباب إشعال الفتنة ونار الحرب بوجه أمير المؤمنين

عائشة بنت أبي بكر تقود تمرد الناكثين

القاسطون والمارقون امتداد لمسلسل التمهيد لقتلة أهل البيت عليهم السلام

وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمَكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ

وفي هذه الفقرة مباحث مهمة كما في غيرها من فقرات الزيارة الشريفة نستعرضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

قد ورد لعن الممهدين والممكنين من قتال أهل البيت في متون الزيارات الشريفة والأحاديث النبوية تارة بشكل صريح وتارة مع ضم بعض المقدمات، نذكر فيما يأتي نبذة منها:

منها ما عن السيد ابن طاوس قدس الله روحه في إقبال الأعمال قال: (عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: سمعته يدعو في يوم عرفة في الموقف بهذا الدعاء، فنسخته: تقول إذا زالت الشمس من يوم عرفة وأنت بها... السلام

عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله... السلام عليك يا أم الحسن والحسين، لعن الله أمة غضبتك حقك ومنعتك ما جعله الله لك حالاً، أنا بريء إليك منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا محمد الحسن الزكي، السلام عليك يا مولاي، لعن الله أمة قتلتك وبايعت في أمرك وشايعت أنا بريء منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله الحسين بن علي صلوات الله عليك وعلى آبيك وجدك محمد صلى الله عليه، لعن الله أمة استحلت دمك، ولعن الله أمة قتلتك واستباححت حريمك، ولعن الله أشياعهم وأتباعهم، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، أنا بريء إلى الله وإليك منهم... (1).

ومنها ما عن جعفر بن محمد بن قولويه قدس الله روحه في كتابه المزار قال: (حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين العسكري ومحمد بن الحسن جميعاً، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه علي بن مهزيار، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن مروان، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال الصادق صلوات الله وسلامه عليه: إذا أردت المسير إلى قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة... وتقول: صلى الله عليك يا أبا عبد الله ثلاثاً، وعلى روحك وبدنك، لعن الله قاتليك، ولعن الله ساليك ولعن الله خاذليك، ولعن الله من شايع على قتلك ومن أمر بذلك وشارك في دمك، ولعن الله من بلغه ذلك فرضى به أو سلم إليه، أنا أبرأ إلى الله من ولايتهم وأتولى الله ورسوله وآل رسوله... وتقول: لعن الله من رماك، لعن الله من طعنك، لعن الله من اجتز رأسك، لعن الله من حمل رأسك، لعن الله من نكت بقضيبه بين ثناياك، لعن الله من أبكى نساءك. لعن الله من أيتّم أولادك، لعن الله من أعان عليك، لعن الله من سار إليك، لعن الله من منعك ماء الفرات، لعن الله من

غشك وخلاك، لعن الله من سمع صوتك فلم يجبك. لعن الله ابن آكلة الأكباد، ولعن الله ابنه وأعوانه وأتباعه وأنصاره وابن سمية، ولعن الله جميع قاتليك وقاتلي أبيك ومن أعان على قتلكم، وحشى الله أجوافهم وبطنونهم وقبورهم نارا، وعذبهم عذابا أليما... قتل الله من قتلكم بالأيدى والألسن(1).

ويمكن أيضا ان نستفيد من المبحث السابع من مباحث الفقرة السابقة للزيارة والذي هو بعنوان (أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فى إثبات جواز لعن الممهدين والممكنين من قتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالإعانة والتمهيد والتمكين من قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إفساد فى الأرض والمفسد فى الأرض يجوز لعنه بنص الكتاب العزيز ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)) (2).

وكذلك فان الممكن والممهد والمعين على قتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مؤذ للنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومؤذى النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصح لعنه بصريح قوله سبحانه وتعالى ((إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)) (3).

وهو داخل أيضا فى باب أذى المؤمنين والمسلمين ومؤذيههم ملعون لقوله سبحانه وتعالى ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)) (4).

وتوجد إضافة إلى ذلك أدلة أخرى كثيرة تركناها طلبا للاختصار.

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 393 __ 414.

2- سورة محمد الآية 22.

3- سورة الأحزاب الآية 57.

4- سورة الأحزاب الآية 58.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ

(وَلَعَنَ اللَّهُ) الواو هنا عاطفة وما بعده معطوف على ما سبق ذكره في فقرات الزيارة السابقة، و(الْمُمَهِّدِينَ) جمع (مُمَهِّد) من (التمهيد) والمشتق من (المهد) أو (المهاد)، واصله من التهيئة والتسوية والتوطئة للشيء قال الفراهيدي: (مهد: المهد: الموضع يهياً لينام فيه الصبي. والمهاد اسم أجمع من المهد، كالأرض جعلها الله مهادا للعباد... ومهدت لنفسى خيراً، أى: هيأته ووطأته)(1).

وقال الشيخ الطريحي قدس الله روحه في مجمع البحرين: (ومهدت الأمر تمهيداً: وطأته وسهلته. والمهد: الموضع يهياً للصبي ويوطأ)(2).

وقد يطلق أيضاً على الارتفاع ومنه قولهم: (وامتهد سنام البعير وغيره ارتفع)(3) فيصبح كل من رفع غيره فقد مهد له.

والتمهيد يكون تارة للموضع وتارة أخرى للعدر، قال الجوهرى وابن منظور وغيرهم: (وتمهيد الأمور: تسويتها وإصلاحها: وتمهيد العذر: بسطه وقبوله)(4).

2: لَهُمْ بِالْثَمَكِينَ

لَهُمْ: والضمير عائد إلى قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المذكورين في الفقرة السابقة (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ).

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 4 ص 31 __ 32 باب الهاء والتاء والراء هتر، هرت، تره.

2- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 242 مادة (م ه د).

3- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج 5 ص 280.

4- الصحاح للجوهري ج 2 ص 541.

بالتمكن: قد يأتي التمكين بمعنى الإقدار على الشيء قال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: (ومكنته من الشيء تمكيناً: جعلت له عليه سلطاناً، وقدراً، فتمكن منه. واستمكن الرجل من الشيء، وتمكن منه بمعنى، أى قدر عليه)(1).

وقد يكون بمعنى توفير الوسائل والعدد ورفع كل الموانع، قال الشيخ الطبرسي في تفسير مجمع البيان: (التمكين: إعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع، لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة، فقد يحتاج إلى آلة، وإلى دلالة، وإلى سبب، ويحتاج إلى ارتفاع المنع، فالتمكين عبارة عن جميع ذلك)(2).

وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: (إن التمكين إعطاء ما يصح به الفعل كائناً ما كان من الآلات والعدد والقوى)(3).

3: من قَاتَلِكُمْ

مِنْ: وهي لتبيان الغاية، فقد وردت لحرف الجر (مِنْ) معانٍ عدة، وأحد معانيها الموضوعة لها في اللغة هي لتبيان الغاية(4)، فتكون (مِنْ) في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة هو لتبيان ان غاية الممهدين من تمهيدهم وتمكينهم للآخرين هو قتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقد تكون (مِنْ) بمعنى (على) للاستعلاء لأنه احد معانيها(5).

قَاتَلِكُمْ: لا يخفى ان ضمير الجمع راجع إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولفظ (قَاتَل) وهو بكسر القاف مصدر قاتل، وسنورد فيما يأتي عدة معانٍ محتملة المراد

- 1- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 221 باب الميم مادة (م ك ن).
- 2- تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج 4 ص 222.
- 3- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 142 الفرق بين التمكين والإقدار.
- 4- راجع الجنى الداني في حروف المعاني الباب الثاني في الثنائي (من) المعنى الثامن ص 313.
- 5- المصدر السابق المعنى التاسع.

للإمام صلوات الله وسلامه عليه منها:

ألف: قال محمد القلعجي: (القتال بكسر القاف مصدر قاتل، ويقصد به الحرب والمدافعة بالسلح) (1) فيشمل هذا الوصف على وفق هذا التعريف كل من رفع السلاح بوجه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ودافعهم بحرب أو غيرها، سواء أدى هذا الرفع للسلاح أو تلك المدافعة إلى قتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو لم يؤدّ، لان القتال اعم من القتل قال ابن منظور فى لسان العرب: (وليس كل قتال بمعنى القتل) (2).

باء: وقد يكون قتالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بمعنى إنزالهم بمنزلة المقتول الهالك لا يعتد بوجودهم ولا يؤخذ بقولهم، وبمعنى آخر يتم إلغاؤهم اجتماعيا، ومنه قول عمر بن الخطاب فى حق سعد بن معاذ كما نقله ابن الأثير وعلق عليه بقوله: (وفى رواية «إن عمر قال يوم السقيفة: اقتلوا سعدا قتله الله» أى اجعلوه كمن قتل واحسبوه فى عداد من مات وهلك، ولا تعتدوا بمشده ولا تعرجوا على قوله. ومنه حديث عمر أيضا «من دعا إلى إماراة نفسه أو غيره من المسلمين فاقتلوه» أى اجعلوه كمن قتل ومات، بأن لا تقبلوا له قولا ولا تقيموا له دعوة. وكذلك الحديث الآخر «إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» أى أبطلوا دعوته واجعلوه كمن مات) (3).

جيم: وقد يأتى القتال بمعنى القتل، واللعن، والإبعاد (4).

فيصبح معنى قول الإمام صلوات الله وسلامه عليه (وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ بِالتَّمَكِينِ مِنْ

1- معجم لغة الفقهاء لمحمد القلعجي ص 357.

2- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 549، تاج العروس للزبيدي ج 15 ص 609، النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج 4 ص 13.

3- النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج 4 ص 13 باب القاف مع التاء.

4- المصدر السابق.

قَتَالِكُمْ) وفقا للمعنى اللغوى الذى تقدم هو: (ولعن الله المهيين لقتلة أهل البيت وظالمهم والموطنين لهم العذر والموضع الذى من خلاله استطاعوا مدافعة أهل البيت عليهم السلام بالسلاح وغيره، فسفكوا دماءهم، وأنزلوهم منزلة الهالك الذى لا يعتد بوجوده ولا يؤخذ بقوله، فباقدارهم على ذلك وتوفير الوسائل والعدد لهم ورفع الموانع عن طريقهم استحقوا اللعن من الله ومن الزائرين لقبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه).

المبحث الثالث: امتداد التمهد لقتل أهل البيت جيلا بعد جيل

إشارة

إن ما وقع من انقلاب بعد استشهاد النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن وليد الصدفة ومن دون ميعاد، لان أى تحول تاريخى لا بد وان تكون له جذور قديمة، وأسباب ليست وليدة لحظة ذلك التحول، ولا بد أيضا أن تكون له عقول تدبر ذلك التحول، وتخطط له، وتتحين الفرصة، وتمهد الصعوبات التى تحول دون تحقيق ذلك التغيير.

وتحول التاريخ الإسلامى بعد يوم السقيفة ليس بخارج عن هذه القاعدة، فقد كانت له أسباب استعرضنا بعضها فى مبحث سابق، أما الأشخاص فلا نجد صعوبة فى التعرف عليهم، لان إلقاء نظرة سريعة على الأحداث التى سبقت السقيفة أو التى تلتها، كافية لإيضاح أن هنالك أفرادا كانوا يشكلون تكتلات صغيرة أو كبيرة يعين بعضهم بعضا، ويشد بعضهم على أيدى البعض الآخر، ويمهد بعضهم للبعض الآخر، وقد كان لهذه التكتلات الأثر البالغ فى تغيير مسار التاريخ الإسلامى، وليس هذا القول من محض الخيال أو مما ينكره التاريخ الإسلامى، لان أخبار التاريخ مليئة بذكر الشواهد القاطعة بصحة وجود مثل هذه التكتلات وتأثيرها فى مسار المسلمين،

وفيما يأتي جملة من الأخبار المؤكدة والموضحة لبعض تحركات هذه التكتلات وكيف شارك بعضهم لتمهيد الأمر للبعض الآخر وكيف شارك الجميع في تمهيد الأمر لقتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

اجتماع السقيفة ليس أول إجتماع لغصب الخلافة

يوجد توهم تاريخي وقع فيه كل من كتب وحلل أحداث ووقائع تلك الأيام التي أعقبت استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لان كل من كتب حول سقيفة بنى ساعدة وبيعة أبي بكر فيها، أكد على أن الأنصار كانوا أول من بادر إلى إخراج الإمامة والخلافة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن ثم وكردة فعل أو تميماً لهذا الاجتماع حضر أبو بكر وعمر بن الخطاب وثلة أخرى سيأتي ذكرها في طيات هذا البحث فصار بينهم وبين الأنصار ما صار.

ولكن الحقيقة غير ذلك، فوفقاً لعدة شواهد تاريخية يتضح بما لا يقبل الشك أن اجتماع الأنصار لم يكن إلا رد فعل على تجمع آخر كان معقوداً لغصب الخلافة من قبل بعض الشخصيات المهاجرة الذين تذكر الرواية التالية عن عمر بن الخطاب بعضاً منهم، حيث قال: (... وإنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار بأسرها واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم فلقينا رجلاً صالحاً قد شهدا بدرًا فقالا- أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا من الأنصار قالوا فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم فقلنا والله لنائينهم قال فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة بنى ساعدة قال وإذا بين أظهرهم رجل مزمل قال قلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ما شأنه قالوا وجع

فقام رجل منهم فحمد الله وقال أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط نبينا وقد دفت إلينا من قومكم دافة فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر... (1).

وعن البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب قال: (انه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم فى سقيفة بنى ساعدة وخالف عنا على والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت لأبى بكر يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا رجلا من منهم صالحان فذكرا ما تمالى عليه القوم فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا لا عليكم أن لا تقرّبوهم اقضوا أمركم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرائهم فقلت من هذا قالوا هذا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا يوعك فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله لما هو أهله ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وان يحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زورت مقالة أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدي أبى بكر وكنت إدارى منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسلك (2).

وفى هذه الروايات مجموعة من الأمور المهمة التى تتضح من خلال تحليل الرواية وتبيان ما وراء سطورها فيما يأتى:

- 1- تاريخ الطبرى ج 2 ص 446 __ 447 حديث السقيفة، والبداية والنهاية لابن كثير ج 5 ص 266 قصة سقيفة بنى ساعدة وغير ذلك.
- 2- صحيح البخارى ج 8 ص 26 __ 27 كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة.

أولاً: ان أحداث هذه الرواية كانت بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بدليل قول عمر بن الخطاب (وإنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم).

ثانياً: ان الناس يومئذ كانوا على ثلاثة أصناف ومشارب، فالإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والزبير وبقية بنى هاشم كانوا في دار فاطمة مجتمعين لتجهيز النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه.

وأما الأنصار فقد اجتمعوا في سقيفة بنى ساعدة، وهنالك صنف ثالث من الصحابة اجتمعوا في مكان لم يصرح به عمر بن الخطاب، ويظهر من قوله (واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر) إن هذا الصنف هم من المهاجرين حصراً، وان هدفهم من الاجتماع كان تنصيبهم لأبي بكر أميراً من دون علم كل من الأنصار ومن كان موجوداً في دار فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

ثالثاً: وفي عبارة (...قالا فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم فقلنا والله لنائينهم) دليل قاطع على ان اجتماع المهاجرين في ذلك المكان كان قبل اجتماع الأنصار في سقيفتهم، ولكن القوم لما سمعوا بان الأنصار قد عقدوا اجتماعاً ثانياً لتنصيب أحدهم قرروا المضي نحوهم ونقض ما هموا به وعزموا عليه.

رابعاً: وفي قول خطيب الأنصار حينما قال (...فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون ان يختزلونا من أصلنا وان يحضنونا من الأمر) تصريح آخر على أن تحرك الأنصار واجتماعهم في سقيفة بنى ساعدة إنما جاء نتيجة تخوفهم من اجتماع آخر عقده بعض المهاجرين ومن بينهم عمر بن الخطاب وأبو بكر وآخرون أرادوا منه ان يختزلوا الأنصار عن أصلهم، ويستبدوا بالإمارة دون مشورتهم.

فكان هذا اليوم أول يوم مهد فيه لقتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان الخلافة حالما خرجت عن أهلها الشرعيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دخلت في أيدي أناس كانوا مستعدين لفعل أى عظيم فى سبيل الحفاظ عليها، ولو أدى هذا الحفاظ إلى رفع السيف بوجه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسفك دمهم الطاهر، وهذا ما حصل بالفعل.

فاطمة ومحسنا صلوات الله وسلامه عليهما أول ضحايا تمهيد يوم السقيفة

قد مر فى مبحث سابق ان السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ونتيجة للتنازع والفتنة التى حصلت بعد يوم السقيفة ضربت وألقت جنينا كان النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم سماه محسنا، فكانت أول شهيدة طالتها يد التمهيد والتمكين الذى أسس أساسه فى يوم السقيفة.

ونحن فى هذا المبحث لا نريد ان نعيد ما سبق ذكره، وإنما نريد الإجابة عن تساؤل حاول البعض إثارة مرات عديدة محاولة منه إسقاط كل التهم التى تدين قتلها صلوات الله وسلامه عليها بحجة (إن الناس كانوا يحترمونها ويجلونها، ولن يكون من السهل القيام بأى عمل ضدها) أو ان المعاصرين لها صلوات الله وسلامه عليها (كانت قلوبهم مملوءة بحبها فكيف تتصور أن يهجموا عليها).

والجواب ان هذه الكلمات مجرد ادعاءات صيغت بإسلوب نثرى يمكن التأثير به فى مشاعر البسطاء من العامة الذين تؤثر فيهم الشعارات والكلمات الخلافة البراقة، إلا أنها لا يمكن أن تصمد أمام الحقيقة التاريخية بحال من الأحوال، فليت الأمر كما قال هذا البعض، وليت الحقيقة كما صورها، وليت قلوب الأمة كانت بالفعل مملوءة بحبها صلوات الله وسلامه عليها مما يمنعهم من الهجوم على دارها وإحراق بابها وقتل جنينها، وليت احترامهم وإجلالهم لهذا الموجود الملكوتى منعهم من القيام بأى عمل ضدها، ولكن

الحقيقة أمر بكثير مما يحاول البعض تصويره، بل كل ما كتب حول تلك الفجيرة العظيمة والذي يستعظمه البعض ويستبعد وقوعه لم يكشف النقاب بشكل مفصل ولا صور ما وقع تلك الأيام على نحو دقيق يعكس الحقيقة كما هي، لان المنقول لنا مجرد ألفاظ وكلمات، والألفاظ والكلمات تبقى عاجزة ومحدودة بحدودها الضيقة، فكيف يا ترى يمكن للكلمات أن توصل إلينا الألم واللوعة وحرارة المسمار الذي اخترق أضلاع الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وكيف يمكن لهذه الألفاظ والكلمات أن تعكس لنا حالات الهلع والدهشة لسكان ذلك البيت الطاهر وهم ينظرون إلى النار تشتعل في باب الدار، وأنى يمكن لهذه الألفاظ أن تحكى لنا ألم السوط الذي لوعت به خيرة النسوان فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وأنى للكلمات ان تنقل لنا بكاء الحسين صلوات الله وسلامه عليهما ودهشة زينب صلوات الله وسلامه عليها وصبر الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهو يرى كل تلك الانتهاكات وكلمات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تدوى في مسامعه وهو يوصيه بالصبر والتحمل في سبيل حفظ أهل هذا البيت الذين بحفظهم سيحفظ الإسلام.

ثم كيف يستبعد ان تعتدى الأمة على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتردى البضعة الطاهرة وجنينها صلوات الله وسلامه عليهما قتيلين شهيدين بعد ان صار من بدييات التاريخ ان انهارا من الدم قد سالت وان اكبر المجازر قد ارتكبت في سبيل ترسيخ إمارة أبي بكر ومن جاء بعده، وان القوم الممهدين كانوا على استعداد لسحق كل من يقف أمامهم ويمنع تقدمهم، وما محاولة قتل سعد بن عباد في نفس اجتماع السقيفة إلا خير دليل على ما أوضحننا، فقد روى البخارى في صحيحه عن عمر بن الخطاب قال وهو يتحدث عن أحداث يوم السقيفة: (كسر اللغظ وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عباد فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عباد فقلت

قتل الله سعد بن عبادة(1) وقوله ونزونا على سعد دليل على ان عمر بن الخطاب كان متعمدا لقتل سعد بن عبادة بحجة الزحام وارتفاع الأصوات واللغط لولا أن بعض قومه قد تنبه لذلك.

وعن اليعقوبي في تاريخه قال: (وقال عمر: اقتلوا سعدا، قتل الله سعدا)(2).

وعن ابن حبان في صحيحه قال: (ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل من الأنصار قتلت سعدا قال عمر فقلت وأنا مغضب قتل الله سعدا فإنه صاحب فتنة وشر)(3).

وقال الطبري في تاريخه: (فأقبل الناس من كل جانب يبائعون أبا بكر وكادوا يطؤون سعد بن عبادة فقال ناس من أصحاب سعد اتقوا سعدا لا تطؤوه فقال عمر اقتلوه قتله الله ثم قام على رأسه فقال لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك فأخذ سعد بلحية عمر فقال والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرفق ههنا أبلغ فأعرض عنه عمر وقال سعد أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يحجرک وأصحابك أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع احمولوني من هذا المكان فحملوه)(4).

وفي نص آخر عن الطبري قال: (وقال قائل حين أوطئ سعد قتلت سعدا فقال عمر قتله الله إنه منافق)(5).

1- صحيح البخارى ج 8 ص 27 __ 28 كتاب المحاريين من أهل الكفر والردة.

2- تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 124.

3- صحيح ابن حبان ج 2 ص 157.

4- تاريخ الطبري ج 2 ص 458 __ 459.

5- المصدر السابق ص 459.

فإراقة الدم والحكم بالنفاق والدعوة إلى القتل بل والإقدام عليه كانت أسهل بكثير على الممهدين من ضياع الإمارة وعودة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى مقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها.

وإزهاق دم الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وقتل المحسن بن علي صلوات الله وسلامه عليهما كان رسالة واضحة لأمير المؤمنين وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجميع من يواليه بان هذه الدولة الجديدة كانت على أتم الاستعداد لسحق أى تمرد وقمع أى صوت معارض وان قتل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ما هو إلا بداية يتبعها بدايات أخرى ودماء ثانية لو أراد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الاستمرار بمعارضته وليس بمستثنى من ذلك حتى الأطفال والنساء.

وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قد فهم هذه الرسالة جيدا فأغضى على القذى وصبر من كظم الغيظ على أمر من العلقم، فترك الأمة وما اختارته وأصبح جليس بيته والمحراب حفظا للبقية الباقية من آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من ان تسفك دماؤهم فتخلو الأرض من نسل النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فتكون الخسارة بذلك أكبر والضرر بفقدهم أعظم من موادعة الغاصبين ومجاراة الممهدين، وهذه الحقيقة صرح بها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على منبر الكوفة يوم صار مبسوط اليد واللسان بعد خلافته حيث قال: (فصبر كمدا أو مت أسفا وحنقا، فنظرت فإذا ليس معى رافد ولا ذاب ولا ناصر ولا مساعد إلا أهل بيتى فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى وتجرعت ريقى على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار)(1).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلى ج 11 ص 109 خطبة رقم 211 من كلام له عليه السلام يشكوفيه أمر قریش معه.

التمهيد لعمر بن الخطاب ومن بعده لأبي عبيدة بن الجراح

نصت المصادر التاريخية على ان كلاً من أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة ابن الجراح وآخرين قد حضروا اجتماع الأنصار، ويومها اقترح أبو بكر على الأنصار أن يبايعوا أحد الرجلين عمر أو أبا عبيدة، قال ابن سعد في طبقاته: (فقال أبو بكر لا ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً وأكرمهم أحساباً يعنى قريشاً فبايعوا عمر أو أبا عبيدة فقال عمر بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وأنت خيرنا وأحبنا إلى نبينا صلى الله عليه وسلم فأخذ عمر بيده فبايعه، فبايعه الناس فقال قائل قتلتم سعد بن عبادة فقال عمر قتله الله...) (1).

ولم يكن قول أبي بكر وتقديمه لأحد الرجلين، ومن ثم تقديم عمر بن الخطاب لأبي بكر بتلك الحجج مجرد صدفة، بل كان أمراً دبر بليلاً، فبوصول كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح تبعاً إلى الإمارة أخذت العهود وأبرمت المواثيق.

ولم يكن الأمر المدبر بخاف عن المجتمع الإسلامي وبالخصوص على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ففي محاوره جرت ما بين أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وعمر بن الخطاب قال له الإمام صلوات الله وسلامه عليه: (إحلب حلبياً لك شطره (2)، أشدد له اليوم ليرد عليك غداً) (3).

وقال صلوات الله وسلامه عليه في خطبته الشقشقية ما نصه: (فيا عجبا بينا هو يستقبلها في

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 2 ص 269.

2- قال الجوهري في الصحاح ج 2 ص 697 فصل الشين: (شطر الشيء: نصفه وفي المثل احلب حلبياً لك شطره).

3- الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج 1 ص 96.

حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشظرا ضرعيها(1) فالإعانة والتمهيد والنصرة من أجل تشاطر الإمارة والزعامة مما ليس خبره بمحجوب.

وعلى هذا التسلسل والترتيب __ أبو بكر ثم عمر ثم أبو عبيدة __ سخرت جهود الرواة الذين كانوا يقتاتون على مائدة السلطة لتغطية هذه الفكرة إعلاميا من أجل ترويض النفوس وتمهيد الطريق أمامها، وقد لعبت عائشة بنت أبي بكر وأبو هريرة وابن عمر وغيرهم دورا هاما في هذه التغطية والتمهيد، فعن ابن أبي مليكة قال (سمعت عائشة وسئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلفه قالت أبو بكر فقيل لها ثم من بعد أبي بكر قالت عمر ثم قيل لها من بعد عمر قالت أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى هذا(2).

وعن الترمذى فى سننه قال: (عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة أى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت أبو بكر، قلت ثم من؟ قالت عمر. قلت ثم من؟ قالت ثم أبو عبيدة بن الجراح، قال قلت ثم من؟ قال فسكتت. هذا حديث حسن صحيح(3).

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح هذا حديث حسن(4).

ويوجد كم هائل من الأحاديث والشواهد التى توضح وتؤكد ذلك الترتيب الذى تحدثنا عنه، وفعلا فقد جاء هذا المخطط التمهيدى لاستخلاف عمر بن الخطاب

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 1 ص 162.

2- صحيح مسلم ج 7 ص 109 __ 110 باب فى فضائل أبى بكر.

3- سنن الترمذى ج 5 ص 268 مناقب أبى بكر.

4- سنن الترمذى ج 5 ص 317 مناقب أبى عبيدة بن الجراح.

بثمرته المرجوة، وتم له ولهم ما تمناه وتمنوه، وكتبت الوصية فى الساعات الأخيرة من حياة أبى بكر باستخلاف عمر بن الخطاب على رغم الصيحات المستغيثة التى أطلقت من قبل بعض الصحابة المقربين من الدولة يومئذ، فقد أخرج محمد بن سعد فى الطبقات الكبرى: (...). وسمع بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبى بكر وخلوتهما به، فدخلوا على أبى بكر، فقال له قائل منهم ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته... (1).

ويوجد نص آخر فيه تصريح بان عثمان بن عفان هو الذى قد كتب اسم عمر ابن الخطاب فى وصية أبى بكر عندما كان أبو بكر مغمى عليه، قال محمد بن سعد: (قال بعضهم لما أملى أبو بكر صدر هذا الكتاب بقى ذكر عمر فذهب به قبل أن يسمى أحدا فكتب عثمان إنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ على ما كتبت فقرأ عليه ذكر عمر فكبر أبو بكر وقال أراك خفت إن أقبلت نفسى فى غشيتى تلك يختلف الناس فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيرا والله إن كنت لها لأهلا) (2).

وعن عائشة قالت: (لما حضرت أبا بكر الوفاة استخلف عمر فدخل عليه على وطلحة فقالا من استخلفت قال عمر قال فماذا أنت قائل لربك قال أبالله تفرقانى لأنا أعلم بالله وبعمرك منكما أقول استخلفت عليهم خير أهلك) (3).

وبهذا التمهيد والتخطيط وصل عمر بن الخطاب إلى كرسى الإمارة لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من مراحل التمهيد والتوطئة، وهذا ما سنعرفه فيما يأتى من الكلام.

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 3 ص 199 _ 200.

2- المصدر السابق ص 201.

3- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 3 ص 274.

تبدل المخطط السابق وظهور عثمان بن عفان على الساحة

في حادث لم يكن متوقعا من قبل الممهدين مات أبو عبيدة بن الجراح في أيام إمارة عمر بن الخطاب في طاعون عمواس الذي ظهر في الشام سنة ثمانى عشرة للهجرة وهو ابن ثمان وخمسين سنة(1)، وقد خلق موت أبي عبيدة مشكلة حقيقية للخليفة الجديد، على اعتبار ان المخطط السابق والقاضى بإمارة أبي بكر ثم عمر ثم أبي عبيدة قد مهد له ولسنوات وبذلت لأجله الجهود وصرفت الأموال، وصارت النفوس مهيأة لاستقباله، وأصبح من الثوابت.

وهذا التغيير المفاجئ استدعى بطبيعة الحال تغييرا في مخططات الدولة وتحشيد الجهود من قبلها لإيجاد البديل الذى يقوم مقام ولى العهد الميت، ولكن يجب ان تتوفر فى هذا البديل عدة شروط تؤهله من أهمها أن يكون هذا البديل منسجما مع منهج دولة السقيفة ومخططاته المستقبلية، وان يكون قويا ومقتدرا وله من الشكيمة ما يمنع رجوع الإمارة إلى على بن أبى طالب أو احد أولاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان إخراجها منهم تطلب من المجهود ما لا يخفى وقد سفكت فى سبيل ذلك الدماء واشترت الذمم فمن غير المعقول أن تقبل الدولة بعد كل هذا الجهد أن ترجع الخلافة إليهم، وتضيع كل تلك الأتعاب وكأن شيئا لم يكن.

وقد كان أمام الدولة عدة خيارات وعدة شخصيات من الصحابة، منهم على ابن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، ومنهم طلحة بن عبيد الله، ومنهم الزبير بن العوام، ومنهم سعد بن أبى وقاص، ومنهم عثمان بن عفان، ومنهم عبد الرحمن بن عوف، ولكن كل واحد من هؤلاء الستة كانت عند عمر بن الخطاب تحفظات تجاهه، وكل واحد من تلك التحفظات كان كافياً فى عدم الإقدام على استخلافه، وسيأتى

1- راجع المعجم الكبير للطبرانى ج 1 ص 155 سن أبى عبيدة ووفاته.

ذكر هذه التحفظات لاحقاً.

ولكن كان هنالك خيارٌ يلبي طموحات الدولة، وهو المتمثل بإيصال آل أمية وبالتحديد معاوية بن أبي سفيان إلى دكة الحكم بعد عمر بن الخطاب، ومن راجع كلمات عمر بن الخطاب حول معاوية بن أبي سفيان يجدها واضحة الدلالة على ان عمر بن الخطاب كان يهدف التأسيس والتأهيل لدولة معاوية الجديدة، فعلى سبيل المثال لا الحصر نراه يقول بحقه حينما دخل الشام ورأى معاوية (هذا كسرى العرب)⁽¹⁾، ودم جماعة معاوية عند عمر بن الخطاب فقال لهم عمر: (دعونا من ذم فتى قريش ومن يضحك في الغضب، ولا ينال ما عنده من الرضا، ولا- يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه)⁽²⁾، وعن سعيد المقبري قال: (قال عمر بن الخطاب تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية)⁽³⁾.

ولكن عقبة كؤوداً كانت تحول دون إيصال معاوية بن أبي سفيان إلى الإمارة كخليفة ينوب عن عمر بن الخطاب بعد موته، وهذه العقبة هي ان عمر بن الخطاب كان على يقين بان الأمة الإسلامية لن تسلم مقاليد أمورها وأزمة أمورها إلى معاوية ابن أبي سفيان، وفيهم كبار رجالات ورموز الصحابة، لان الأمة الإسلامية كانت في وقت عمر بن الخطاب وقبله تنظر إلى معاوية بن أبي سفيان بل وإلى جميع آل أبي سفيان وبنى أمية بعين الاحتقار والامتهان، وما تزال منزلته عندهم منزلة الطليق ابن الطليق واللعين ابن اللعين، فكان على عمر بن الخطاب والحال هذه ان يجد حلقة

1- الاستيعاب لابن عبد البر ج3 ص1418، أسد الغابة لابن الأثير ج4 ص386، الإصابة لابن حجر ج6 ص121.

2- الاستيعاب لابن عبد البر ج3 ص1418، البداية والنهاية ج8 ص133 وهذه ترجمة معاوية.

3- تاريخ الطبري ج4 ص244.

وصل بين إمارته وإمارة معاوية بن أبي سفيان، وكان عثمان بن عفان هو هذه الحلقة، والذي يحقق وجوده أمرين مهمين:

الأمر الأول: ان عثمان بن عفان كيفما يكنا فان حاله في نظر المسلمين والصحابة على وجه الخصوص أفضل بكثير من معاوية بن سفيان، فانه أسلم في مكة، وشارك في غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وان كان نصيبه في أكثر تلك الغزوات الفرار إلا انه يبقى الأفضل، فيكون أكثر قبولا عند المسلمين، ووجوده يمكن أن يروض النفوس ويمهد الأجواء لقبول الدولة الأموية الجديدة.

الأمر الثاني: ان عمر بن الخطاب كان متيقنا بان عثمان بن عفان لو قدر له أن يصل إلى الإمارة فانه سيستعين بآل أمية وسيبقى معاوية بن أبي سفيان على ولاية الشام، وان الأمة وخلال مدة طويلة ستعتاد على رؤية معاوية أميراً للشام، وبعد ذهاب الجيل الأول للصحابة ومجيء الجيل الأول من التابعين الذين سيعتاد احدهم ومنذ طفولته على رؤية معاوية ملكاً على الشام ككسرى وقيصر، فلا غرابة لو رآه بعد ذلك ملكاً على جميع أرجاء المملكة الإسلامية، لا سيما إذا فتح هذا الجيل من التابعين أعينهم ومنذ طفولتهم ورأى تأييد عمر المطلق له وإيحاءه بأنه ككسرى وقيصر بل هو أفضل منهما وانه سيد قريش وغير ذلك.

وتبدلت وفقاً لهذا التغيير الجديد التغطية الإعلامية للدولة وشمر الرواة سواعدهم لإخراج أكبر عدد من الروايات التي ترفع اسم أبي عبيدة بن الجراح لتضع مكانه اسم عثمان بن عفان وكثرة هذه الأحاديث أكثر من ان تستقصى، ولكن إتماماً للفائدة نأتى على ذكر بعضها، فعبد الله بن عمر قال: (كنا نقول ورسول الله حى: أفضل أمة رسول الله بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان)(1).

1- سنن الترمذى ج 5 ص 292، المعجم الكبير للطبرانى ج 12 ص 212.

وعن أبي موسى (انه كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى حائط من حيطان المدينة وفى يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عود يضرب به بين الماء والطين فجاء رجل يستفتح فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتح وبشره بالجنة فذهبت فإذا أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة فاستفتح رجل آخر فقال افتح له وبشره بالجنة فإذا عمر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل آخر وكان متكئا فجلس فقال افتح وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون فذهبت فإذا عثمان ففتحت له وبشرته بالجنة فأخبرته بالذى قال...)(1).

الشورى مخطط لإيصال آل أمية وإقصاء آل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

طعن عمر بن الخطاب بعد ان بقى فى الحكم ما يقارب عشر سنوات، فلما أيقن بالموت أراد ان يتمم ما هم به من قبل وخطط، ولكن كان يجب عليه ان يتخطى خمسة من الصحابة يتزعم كل واحد منهم تكتلا معيناً يمكن ان يعرقل المخطط الجديد، وهؤلاء الخمسة هم كل من الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، فوضع عمر بن الخطاب من اجل أن يتخطاهم ويمرر إمارة عثمان من بعده مخططاً عرف بعد ذلك بمخطط الشورى، وضم معهم عثمان بن عفان ليكونوا بذلك ستة هم أصحاب الشورى، والذين زعم عمر بن الخطاب ان النبي مات وهو راض عنهم.

وقد جرى فى تلك الشورى هنات وهنات وقد فصل القول فى أحداثها وما وقع خلالها جملة من علماء الطائفة الأعلام فأغنوننا عن الخوض فى دقائق تفاصيلها، وسنقتصر على إيراد جملة من الأحاديث الموضحة لتمهيد بعض أهل الشورى

1- صحيح البخارى ج7 ص123 باب نكت العود فى الماء والطين.

لبعضهم الآخر إما عصبية أو طمعا في صيرورة الإمارة إليهم بعد عثمان بن عفان، ومن هذه الأحاديث ما يأتي:

قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه: (إلى أن حضرته الوفاة فجعلها شورى بين جماعة زعم أنني أحدهم. فيا للشورى ولله هم، متى اعترض الريب في مع الأولين منهم حتى صرت الآن أقرن بهذه النظائر لكنى أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا، صبيرا على طول المحنة وانقضاء المدة، فمال رجل لضغنه، وصغا آخر لصهره، مع هن وهن(1) قال الشريف المرتضى: (وإنما أراد المائل إلى صهره عبد الرحمن بن عوف الزهري، فإنه كان بينه وبين عثمان مصاهرة معروفة(2)، فعقد له الأمر ومال إليه بالمصاهرة، والذي مال إليه لضغنه إنما هو سعد بن أبي وقاص الزهري(3)، فإنه كان منحرفا عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أحد من قعد عن بيعته في وقت ولايته(4).

وروى الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتابه الإرشاد: (عن أبي صادق قال: لما جعلها عمر شورى في ستة، وقال: إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد، فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن، واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن، خرج أمير المؤمنين عليه السلام من الدار وهو معتمد على يد عبد الله بن العباس فقال له: يا ابن عباس، إن القوم قد عادوكم بعد نبيكم كمعاداتهم لنبيكم صلى الله عليه

1- الإرشاد للشيخ المفيد ج 1 ص 288 خطبته المسماة بالشقشقية.

2- عبد الرحمن كان صهرا لعثمان لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختا لعثمان من أمه.

3- وكان سعد من بنى عم عبد الرحمن كلاهما من بنى زهرة وكان في نفسه شيء من على كرم الله وجهه من قبل أخواله لأن أمه جنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولعلي صلوات الله وسلامه عليه في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور.

4- رسائل المرتضى، للشريف المرتضى: ج 2، ص 111.

وآله فى حىاته، أم والله، لا ىنب بهم إلى الحق إلا السىف. فقال له ابن عباس: وكيف ذاك؟ قال: أما سمعت قول عمر: إن باىع اثنان لواحد واثنان لواحد، فكونوا مع الثلاثة الذين فىهم عبد الرحمن، واقتلوا الثلاثة الذين لىس فىهم عبد الرحمن؟ قال ابن عباس بلى قال: أفلا تعلم أن عبد الرحمن ابن عم سعد، وأن عثمان صهر عبد الرحمن. قال: بلى، قال: فإن عمر قد علم أن سعدا و عبد الرحمن وعثمان لا ىختلفون فى الرأى، وإنه من بوىع منهم كان الاثنان معه، فأمر بقتل من خالفهم ولم ىبال أن ىقتل طلحة إذا قتلنى وقتل الزبىر(1).

وروى الشىخ المفىد قدس الله روحه أىضا عن عمرو بن سعىد، عن حنش الكنانى قال: (لما صفق عبد الرحمن على يد عثمان بالبىعة فى يوم الدار، قال له أمىر المؤمنىن علیه السلام: حرکک الصهر وبعثک على ما صنعت، والله ما أملت منه إلا ما أمل صاحبک من صاحبه، دق الله بىنكما عطر منشم)(2).

وقال الذهبى: (ثم نودى الصلاة جامعة وخرج عبد الرحمن علیه عمامته التى عممه بها رسول الله صلى الله علیه وسلم. متقلدا سىفه، فصعد المنبر ووقف طویلا يدعو سرا، ثم تكلم فقال...قم إلى یا على، فقام فوقف بجنب المنبر فأخذ بیده وقال: هل أنت مباىعى على كتاب الله وسنة نبیه وفعل أبى بكر وعمر قال: اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى، فقال: قم یا عثمان، فأخذ بیده فى موقف على فقال: هل أنت مباىعى على كتاب الله وسنة نبیه وفعل أبى بكر وعمر قال: اللهم نعم، قال فرفع رأسه إلى سقف المسجد ویده فى یده ثم قال: اللهم اشهد اللهم إنى قد جعلت ما فى رقبتى من ذلك فى رقة عثمان. فازدحم الناس بباىعون حتى

1- الإرشاد للشىخ المفىد ج 1 ص 285 __ 286.

2- المصدر السابق ص 286 __ 287.

غشوه عند المنبر وأقعده على الدرجة الثانية، وقعد عبد الرحمن مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر. قال: وتلكأ على، فقال عبد الرحمن: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما. فرجع على يشق الناس حتى بايع عثمان وهو يقول: خدعة وأيما خدعة(1).

فوصل بهذه اللعبة والخدعة عثمان بن عفان الذى فتح للدولة الأموية بابا لم يغلق حتى أحدث فى الإسلام ثلثة لم تسد إلى يوم الناس هذا.

لماذا شارك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذه الخدعة وهو يعلم بنتائجها؟

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كان يمتلك من العلم والعصمة والتسديد ما يعلم به ان نتيجة الشورى ستكون سلبية وستزيد فى إقصاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه وتمكين مناوئهم، فلماذا شارك الإمام صلوات الله وسلامه عليه فى هذه التوطئة التى هو قال عنها خدعة وأيما خدعة؟.

وقد أجاب عن هذه الشبهة العلماء الأعلام رضوان الله تعالى عليهم بعدة إجابات نختار أهمها:

أولاً: ما أورده الشيخ الطوسى قدس الله روحه بقوله: (إنه إنما دخل فيها تقية وخوفاً، ولو لم يدخلها لقتل، إنما يمتنع ذلك لتوهم أن الحق لك فحمله على الدخول فيها ما حمله على البيعة للمتقدمين)(2).

ثانياً: وقال قدس الله روحه أيضاً: (إنه إنما دخلها ليتمكن من إيراد حججه وفضائله ونصوصه، لأنه أورد فى ذلك اليوم جل مناقبه، ولو لم يدخلها لما أمكنه ذلك،

1- تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 305.

2- الاقتصاد للشيخ الطوسى ص 211، الرسائل العشر للشيخ الطوسى ص 125 __ 126.

فدخلها ليؤكد الحجة عليهم(1).

وقال قدس الله روحه في موضع آخر: (فجعل عليه السلام الدخول فيها ذريعة إلى التنبيه على الحق بحسب الإمكان، على ما وردت به الرواية، فإنها وردت بأنه عليه السلام عدد في ذلك اليوم جميع فضائله ومناقبه أو أكثرها)(2).

ثالثا: وقال قدس الله روحه: (إنه إنما دخلها تجويزا لأن يختاروه فيتمكن من القيام بالأمر، ومن له حق له أن يتوصل إليه بجميع الوجوه)(3).

رابعا: ما ذكره الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتاب علل الشرائع عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال:

(لما كتب عمر كتاب الشورى بدأ بعثمان في أول الصحيفة وآخر عليا أمير المؤمنين فجعله في آخر القوم، فقال العباس: يا أمير المؤمنين يا أبا الحسن أشرت عليك في يوم قبض رسول الله أن تمد يدك فنباعك فإن هذا الأمر لمن سبق إليه فعصيتني حتى بويع أبو بكر وأنا أشير عليك اليوم ان عمر قد كتب اسمك في الشورى وجعلك آخر القوم وهم يخرجونك منها فأطعني ولا تدخل في الشورى فلم يجبه بشيء فلما بويع عثمان قال له العباس: ألم أقل لك، قال له يا عم انه قد خفى عليك أمر، أما سمعت قوله على المنبر ما كان الله ليجمع لأهل هذا البيت الخلافة والنبوة فأردت أن يكذب نفسه بلسانه فيعلم الناس أن قوله بالأمس كان كذبا باطلا وإنا نصلح للخلافة، فسكت العباس)(4).

1- الاقتصاد للشيخ الطوسي ص 211.

2- الرسائل العشر للشيخ الطوسي ص 125 __ 126.

3- الاقتصاد للشيخ الطوسي ص 211.

4- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 170 __ 171 الباب 134 العلة التي من أجلها دخل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في الشورى.

محاولة انتزاع الإمارة من آل أمية وإرجاعها للمهاجرين مرة أخرى

لم تكن خلافة عثمان بن عفان خلافة شخص واحد، بل كانت خلافة تيار بأكملة، تيار لا يقيم للدين والشريعة وزناً، ولا للصحابة الأوائل قدراً، تيار يعدّ الخلافة كالكرة يتلقفها سفهاؤهم وصبيانهم، وهو ما صرح به أبو سفيان في أول يوم من أيام إمارة عثمان بن عفان، فقد روى ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب قال: (ان أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال قد صارت إليك بعد تيم وعدى فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بنى أمية فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار فصاح به عثمان قم عنى فعل الله بك وفعل، وله أخبار من نحو هذا ردية ذكرها أهل الأخبار لم أذكرها وفي بعضها ما يدل على أنه لم يكن إسلامه سالماً(1).

وقد مر أبو سفيان بقبر حمزة أسد الله وأسود رسوله (وضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيف أمسى فى يد غلماننا اليوم يتلاعبون به)(2).

اقول: وعثمان بن عفان وان رفض قول أبي سفيان فى الظاهر إلا أن سيرته وسياسته فى إدارة شؤون المملكة الإسلامية ينطبق عليها قول أبي سفيان انطباقاً تاماً، وأخبار استثنائه وبنى قومه بأموال العباد ومقدرات البلاد تملأ بطون الكتب من الفريقين، ولا نرى ضرورة فى تسويد صفحات هذا الكتاب بها وستأتى بعض أخبارهم فى شرح الفقرات الخاصة بهم ضمن زيارة عاشوراء، وستقتصر على ما يرتبط بمسألة التمهيد والتوطئة لقتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد سبق ان عرفنا ان لأصحاب الشورى باستثناء أمير المؤمنين على بن أبي

1- الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1679.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 16 ص 136.

طالب صلوات الله وسلامه عليه الفضل الكبير في إيصال عثمان بن عفان إلى كرسى الإمارة، واشتروا عليه المضى والسير على سنة كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب، ما يعنى ضمان مصالحتهم والتمتع بنفس الامتيازات التي كانت لهم طوال مدة إمارة الأول والثاني، إلا أن أحلام أصحاب الشورى(1) وعائشة وحفصة وأمثالهم ممن كان يتمتع ببجوحة إمارة السابقين تبددت بمجرد أن وصل عثمان إلى الإمارة، فقد اكتشف الجميع بان عثمان كان مغاليا في تقريب آل أمية، وانه لم يكن يقيم وزنا إلا لمصالحهم، وان جميع الامتيازات والمناصب والغنائم قد صارت حكرا له ولهم دون المسلمين عموما ودون أصحاب الشورى وأمثالهم على وجه الخصوص، وهو ما أثار حفيظة جميع المسلمين ولا سيما أصحاب الشورى.

فتيقن أصحاب الشورى ومعهم عائشة بنت أبي بكر ومن لف لفهم ان النهج الاستبدادي الذي انتهجه عثمان بن عفان لو استمر على ما هو عليه فسيفلت زمام الأمور من أيديهم ويرجعون من بعد عزهم وسيادتهم سوقة من عوام الناس وهم الذين بقوا متصدرين للساحة الإسلامية سنينا طويلة، فلم يكونوا ليسمحوا والحال هذه ان يخلوا ساحة الصراع لآل أبي سفيان وآل مروان، فقرروا المواجهة وإرجاع الأمور إلى سابق عهدها وسالف أيامها، وبما ان المتسبب الرئيس في كل هذه الفوضى هو عثمان بن عفان فان الضربة ستكون موجهة له وبشكل شخصي لان الإطاحة به كانت تمثل إطاحة بكل أتباعه وبنى قومه.

فبدأ المعنيون بالأمر من أصحاب الشورى ومن لف لفهم العمل الجاد والمنظم في سبيل الإطاحة بالدولة العثمانية، وكان أفضل طريق لذلك هو إثارة الساحة

1- لا يدخل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في قصدنا (أصحاب الشورى) لا هنا ولا في العبارات القادمة فتنبه.

الداخلية بوجهه وإشعال فتيل الاضطرابات والنزاعات وإثارة فئات المجتمع ضده، ولم يجد القوم صعوبة كبيرة فى تحقيق هذه الغاية، لان عثمان بن عفان كان له أخطاء عظام وزلات جسام، وكل واحدة من هذه الأخطاء والزلات كانت كافية فى إضعاف موقفه الدفاعى وتقليل فرص استمرار ولايته المتخلخلة.

وقد لعبت عائشة بنت أبى بكر دورا عظيما فى الإطاحة بعثمان فقد كانت تتحين كل فرصة وتستغل كل حدث فى سبيل إثارة النفوس عليه وإسقاطه فى أعين المجتمع، قال ابن أبى الحديد المعتزلى: (قال كل من صنف فى السير والأخبار إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان، حتى إنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله، فنصبته فى منزلها، وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل، وعثمان قد أبلى سنته(1)).

وقال اليعقوبى: (وكان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وصيرها أسوة بغيرها من نساء رسول الله، فإن عثمان يوما ليخطب إذ دلت عائشة قميص رسول الله، ونادت: يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل، وقد أبلى عثمان سنته فقال عثمان: رب اصرف عنى كيدهن إن كيدهن عظيم(2)).

وعن الرازى قال: (ان عثمان آخر عن عائشة بعض أرزاقها فغضبت ثم قالت يا عثمان أكلت أمانتك وضيعت الرعية وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك والله لولا الصلوات الخمس لمشى إليك أقوام ذوو بصائر يذبونك كما يذبح الجمل فقال عثمان ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط الآية فكانت عائشة تحرض

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 6 ص 215.

2- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 175.

عليه جهدها وطاققتها وتقول أيها الناس هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبيل وقد بليت سنته اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا(1)، وقد نقل تحريضها على قتل عثمان وقولها (اقتلوا نعثلا فقد كفر) كل من الطبرى فى تاريخه(2)، وابن الأثير فى الكامل(3) والحلبى فى سيرته الحلبية(4).

وقد ساعدها على هذا المخطط وأعانها عليه كل من طلحة والزبير فقد كانا من اشد الناس عليه بعد عائشة، حتى ان طلحة كان يوم قتل عثمان يرمى دار عثمان بالسهم قال ابن أبى الحديد: (وروى الناس الذين صنفوا فى واقعة الدار أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس، يرمى الدار بالسهم. ورووا أيضا أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار، حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار، فأصعدهم إلى سطحها، وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه. ورووا أيضا أن الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدل دينكم. فقالوا: إن ابنك يحامى عنه بالباب، فقال: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ ببنى، إن عثمان لجيفة على الصراط غدا(5).

وقد بلغت شدة تأليب طلحة على عثمان مقدارا جعل عثمان يدعو عليه بقوله: (اللهم اكفنى طلحة بن عبيد الله فإنه حمل على هؤلاء وألبهم والله إنى لأرجو أن يكون منها صفرا وأن يسفك دمه انه انتهك منى ما لا يحل له(6).

1- المحصول للرازى ج 4 ص 343.

2- تاريخ الطبرى ج 3 ص 476 __ 477

3- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 206.

4- السيرة الحلبية ج 3 ص 356.

5- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 9 ص 35 __ 36.

6- تاريخ الطبرى ج 3 ص 411 ذكر الخبر عن ذكر قتل عثمان بن عفان، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 174 ذكر مقتل عثمان.

وبعد مدة ليست بالطويلة وكنتيحة طبيعية لكل هذا التحريض والتأليب قتل عثمان بن عفان وبدأت بعد مقتله مرحلة جديدة من مراحل التاريخ.

دور معاوية بن أبي سفيان فى مقتل عثمان بن عفان

لم يكن موقف معاوية بن أبى سفيان يختلف مع موقف أصحاب الشورى من حيث الجوهر وان كان مختلفا من حيث الأداء فالكل كان يسعى ويهدف إلى قتل عثمان والإطاحة به إلا أن الأسلوب الذى اتبع لأجل تحقيق ذلك كان مختلفا.

فمع ان السبب الرئيس لمقتل عثمان كان تقديم أقاربه وإغداق الخيرات عليهم وحرمان بقية المسلمين منها، الا انه لم يشفع لعثمان عند معاوية، لان معاوية بن أبى سفيان أصبح يرى من عثمان وبالخصوص فى أيامه الأخيرة ورقة محروقة قد استنفذت كل أغراضها التى بينها سابقا، فمعاوية الآن صاحب جيش جرار وقوى ومقتنع اقتناعا تاما بان معاوية بن أبى سفيان هو من له الأمر والنهى لا غير حتى لو كان هذا الغير هو شخص الخليفة __ وسيأتى الشاهد على هذه الحقيقة __، وهو أيضا صاحب أموال وثروات ضخمة تكدست عنده طوال مدة إمارة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان تكفى لتمويل أكبر حرب فيما لو اضطر إلى خوضها، وتلبى احتياجات شراء الذمم للمعارضين لإمارته وإسكاتهم، وتكفى لاستتجار الرواة من أجل تغطية تحركاته وسفكه للدماء تغطية شرعية.

لذلك كان معاوية بن أبى سفيان يرى أنّ الأزمة التى كان يعيشها عثمان كانت تصب فى مصلحته، وان كل يوم يعيش فيه عثمان بن عفان كان يؤخر وصوله إلى كرسى الإمارة، وان التعجيل بالقضاء عليه هو تعجيل بتحقيق أمنياته، لذلك تأخر معاوية بن أبى سفيان حينما طلب عثمان منه النصرة بان يمدده بجيش يتقوى به على

مصيبته، قال ابن شبة النميري: (حدثنا جويرية قال: أرسل عثمان إلى معاوية يستمده، فبعث معاوية يزيد بن أسد جد خالد القسري وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال: أنا الشاهد وأنت الغائب. فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان. فقلت لجويرية: لم صنع هذا؟ قال: صنعه عمدا ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه)⁽¹⁾، وهذا التلكؤ والتثاقل من جيش معاوية بن أبي سفيان حقق هدفين مهمين شارك كل واحد منهما بالتعجيل في القضاء على حياة عثمان وإمارته:

الهدف الأول: ان يارساله للجيش قد اقع عثمان بن عفان بان النصر آت لا محالة، وان تلك الجحافل ستكسر عنه الحصار المضروب من قبل المعارضين، مما جعل عثمان بن عفان يصبر على مواقفه أكثر ويؤكد على عدم الرضوخ لمطالب الثوار.

الهدف الثاني: الإيحاء للثوار بان فرصة القضاء على عثمان ستفلت من بين أيديهم إذا ما وصل جيش الشام، وقد افلح هذا الإيحاء إلى حد بعيد، فتسلق بعض الثوار سطح داره ودخلوا عليه وقتلوه.

دور الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في هذا الصراع

لم يكن الوضع السائد تلك الأيام والاضطرابات التي منيت بها الأمة بخافية عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فقد كان على علم بان كل هذه الجلبة والمؤامرات والاضطرابات والصراعات التي يخوضها عثمان مع عائشة وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأشباههم ما هي إلا صراعات مصالح، وان ذلك التهريج الذي تقوم به عائشة ومناصروها من ورائه أهداف وغايات وأهواء لا يراد الله سبحانه وتعالى بها ولا يقصد منها فائدة المجتمع وأهل الإيمان.

1- تاريخ المدينة لابن شبة النميري ج 4 ص 1288 _ 1289.

وكذلك كان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يعلم بحراجة الموقف وحساسية تلك اللحظات وان كل موقف منه وكل كلمة تصدر عنه ستؤثر في مجريات الأحداث مستقبلا، فلهذا اتخذ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه جانب الحيطة والحذر، وقرر ان لا يدخل طرفا في هذا الصراع مهما حصل، وإذا ما اضطر للتدخل فانه يتدخل بعنوان الناصح المرشد لا المحرض المناوئ، والأدلة على ذلك كثيرة ليس يمكن إحصاؤها في هذه العجالة، وخلاصة موقفه من قتل عثمان قد لخصه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما قتلته ولا أمرت بقتله وما سرنى)(1)، وقوله صلوات الله وسلامه عليه: (والله ما قتلته ولا مالأت على قتله)(2)، فهو من رد الناس عنه وارجع الثوار مرات عديدة، وهو الذى أوصل إليه الماء بعدما قطعه عنه طلحة والزبير كما قال ابن حبان: (أشرف عليهم)(3) فقال أفيكم على قالوا لا قال أفيكم سعد قالوا لا، فقال أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بشيء فابتعتها من مالى وجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل، فقالوا نعم، قال فاسقوني منها، ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقيننا ماء، فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة)(4).

وقال ابن الأثير: (منع عثمان الماء فقال على لطلحة أريد أن تدخل عليه الروايا وغضب غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان)(5)، ومواقفه النبيلة تجاه عثمان لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته وكان فى قلبه مرض.

1- المصنف لابن أبى شيبة الكوفى ج 8 ص 684 ما ذكر فى عثمان.

2- المصدر السابق.

3- أى اشرف عثمان على من حاصره ومنع عنه الماء.

4- الثقات لابن حبان ج 2 ص 261.

5- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 166 ذكر مقتل عثمان.

رجوع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ان من السنن الإلهية التي لا تتبدل والتي تحكم جميع المجتمعات قديما وحديثا، ان أى امة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات إنما يحصد ما زرعه، ويقطف ما غرسه، وقد زرعت هذه الأمة منذ اليوم الأول لرحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومرورا بإمارة الذين سبقوا خلافة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الفتنة والظلم وسياسة التمييز العرقي والطبقى، وقد حان وقت جنى ثمرة عملهم وحصد نتيجة أفعالهم، فكان الوقت الذى أعقب موت عثمان بن عفان هو وقت ظهور تلك النتائج، وهو ما بينه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حينما دخل على عثمان بن عفان قبل مقتله وقال له: (وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقماته فان عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه يقال يقتل فى هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتلبس أمورها عليها ويتركهم شيئا فلا يبصرون الحق لعلو الباطل يمجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا...)(1).

ولكن الذى يحزن القلب ويدميه هو ان ظهور نتائج أفعال الأمة قد صادفت مع بداية تشكيل الدولة العلوية، والذى اثر تأثيرا كبيرا فيما بعد فى ثبات واستقرار هذه الدولة المباركة، وهذا ما لم يكن خافيا عن شخص أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فحينما أراد الناس بيعته تمتع مرات عدة وكان يخاطبهم بقوله: (دعوني والتمسوا غيرى، فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغمات، والمحجة قد تنكرت. واعلموا أنى إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتمونى فأنا

1- تاريخ الطبرى ج 3 ص 376 نكاتب المنحرفين عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم تقموا عليه وخبر الجرعة.

كأحدكم، ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً، خير لكم منى أميراً(1).

ولولا الإصرار العظيم للأمة وإلحاحهما الكبير على أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لما قبل خلافتها، ولكنه صلوات الله وسلامه عليه لما علم من الأمة اجتماعها واختيارها لمنهج التغيير والرجوع إلى الجادة المستقيمة رضى بيعتهم التى بلغ مقدار الإصرار عليها من قبل الأمة مبلغاً وصفه الإمام صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (وسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداكتم على تداك الإبل الهيم على حياضها يوم وردها؛ حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعهم إياى أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب)(2).

وقال صلوات الله وسلامه عليه فى خطبة أخرى: (ثم جتتمونى لتبايعونى فأبيت عليكم، وأمسكت يدي فنازعتمونى ودافعتمونى، وسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، وازدحمت على حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم، أو أنكم قاتلى، فقلت: بايعنا لا نجد غيرك، ولا نرضى إلا- بك بايعنا لا- نفترق ولا- تختلف كلمتنا. فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتى، فمن بايع طوعاً قبلت، ومن أبى لم أكرهه وتركته. فبايعنى فيمن بايعنى طلحة والزبير، ولو أبى ما أكرهتهما، كما لم أكره غيرهما)(3).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 7 ص 33 خطبة رقم 91 من كلام له عليه السلام لما أراد الناس على البيعة بعد قتل عثمان.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 13 ص 3 الخطبة رقم 224 من كلام له عليه السلام فى وصف بيعته بالخلافة.

3- المصدر السابق ج 6 ص 96 __ 97 خطبة على بعد مقتل محمد بن أبى بكر.

فقبل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه البيعة نتيجة لهذا الإصرار الكبير، على علم منه بان الأيام القادمة ستحمل بين طياتها فتناً وأحداثاً لا تثبت عليها القلوب ولا العقول، وان مناوئيه سيحاولون بكل وسيلة وطريقة رد الأمور على أذارها، ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل إلى نصابه.

أسباب إشعال الفتنة ونار الحرب بوجه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

لم يكن يشك أصحاب الشورى الذين مهدوا لقتل عثمان في أنّ مقاليد الأمور ستعود إليهم بمجرد الإطاحة بعرش عثمان، وعلى هذا الأساس بنيت قناعاتهم الشخصية، لذلك نرى عائشة بنت أبي بكر لما بلغها مقتل عثمان رددت كلمات تنم عن يقينها بان الأمة سوف لن تباع إلا- طلحة بن عبيد الله، قال اليعقوبى فى تاريخه: (وكانت عائشة بمكة، خرجت قبل أن يقتل عثمان، فلما قضت حجها انصرفت راجعة، فلما صارت فى بعض الطريق لقيها ابن أم كلاب، فقالت له: ما فعل عثمان؟ قال: قتل، قالت: بعدا وسحقا، قالت: فمن بايع الناس قال: طلحة. قالت: أيها ذو الإصبع(1). ثم لقيها آخر، فقالت: ما فعل الناس؟ قال: بايعوا عليا. قالت: والله ما كنت أبالى أن تقع هذه على هذه(2). ثم رجعت إلى مكة...(3).

وقال البلاذرى: (...أبو يوسف الأنصارى أنه سمع أهل المدينة يتحدثون ان الناس لما بايعوا عليا عليه السلام بالمدينة بلغ عائشة أن الناس بايعوا لطلحة، فقالت: إيه ذا الإصبع لله أنت، لقد وجدوك لها محشا وأقبلت جذلة مسرورة حتى إذا انتهت

1- تقصد بذلك طلحة بن عبيد الله.

2- أى والله ما كنت أبالى ان تقع السماء على الأرض.

3- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 180 خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

إلى سرف استقبلها عبيد بن مسلمة الليثي الذي يدعى ابن أم كلاب فسألته عن الخبر، قال: قتل الناس عثمان. قالت: نعم ثم صنعوا ماذا؟ قال صنعوا خيرا، حارت بهم الأمور إلى خير محار بايعوا ابن عم نبيهم عليا. فقالت: أو فعلوها؟ وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت، فقال لها: ولم والله ما أرى اليوم في الأرض مثله فلم تكريهين سلطانه فلم ترجع إليه جوابا وانصرفت إلى مكة فأنت الحجر فاستترت فيه وجعلت تقول: إنا عتبنا على عثمان في أمور سمينها له ووقفناه عليها فتاب منها واستغفر ربه فقبل المسلمون منه ولم يجدوا من ذلك بدا، فوثب عليه من إصبع من أصابع عثمان خير منه فقتله، فقتل وقد ماصوه كما يماص الثوب الرحيض وصفوه كما يصفى القلب(1).

وهذا الاطمئنان هو الذي حدا بطلحة بن عبيد الله ان يأخذ وبمجرد ان قتل عثمان مفاتيح بيت المال وأشياء أخرى وما ردها إلا بعد يأسه من صيرورة الإمارة إليه ومبايعة الناس لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا الصدد يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: (وروى المدائني في كتاب الجمل، قال: لما قتل عثمان، كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها وهي بشراف، فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر، وقالت: بعدا لنعتل وسحقا، إيه ذا الإصبع، إيه أبا شبل، إيه يا بن عم، لكأنى أنظر إلى إصبعة وهو يبائع له: حثوا الإبل ودعدعوها. قال: وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال، وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره، ثم فسد أمره، فدفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام(2).

1- انساب الأشراف للبلاذري ص 217 __ 218.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 215 أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد مقتل عثمان.

وسبب هذا الانقلاب فى موقف عائشة وبقية أصحاب الشورى هو تيقنهم بأن كل المساعى التى بذلوها للإطاحة بعثمان قد تبددت وصارت هواء فى شبك، وان خلافة طلحة أو احد أصحاب الثورة قد فلت زمامها من أيديهم، واستقر بيد مناوئهم ومنافسهم، ومن بذلت الجهود ولسنين مديدة فى سبيل إقصائه وبنيه عن الخلافة، وان خلافة الإمام على صلوات الله وسلامه عليه التى بانث طلائعها كانت تعنى بالنسبة إليهم رجوع الحال إلى ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعنى عودة أصحاب الشورى كسائر الناس وعوامهم ليس لهم فضل عليهم إلا بالتقوى.

إضافة إلى ان أصحاب الشورى وعائشة ومن لف لفهم كانوا على يقين بأن الخلافة ما دامت قد دخلت فى صف الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه فلن تخرج منه ومن أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثانية ولا سيما بعد أن بايعه عامة الناس بكافة طوائفهم وميولهم ما يعنى ان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لم يعد وحده فى ساحة الصراع كسابق عهده وهو اليوم يتمتع بحماية اجتماعية وله أنصار ومريدون من جميع أطراف المملكة الإسلامية.

فنتيجة لما سبق وغيره حاول هؤلاء ضرب هذه الخلافة الجديدة والإطاحة بها وقتلها فى مهدها قبل أن يصلب عودها وتقوى شوكتها وتمتد جذورها وتثبت فروعها فيصعب عليهم حينئذ اقتلاعها، فأوقدوا نار الفتنة، وأشعلوا فتيل الحرب منذ اللحظة الأولى لخلافة سيد الوصيين وإمام المتقين صلوات الله وسلامه عليه، تلك الحرب التى انتهت بحمد الله سبحانه وتعالى بقتل رموز قادة النكث وهزيمة جيش البغى، ولم يحصلوا على مرادهم ولا وصلوا إلى غاياتهم.

عائشة بنت أبي بكر تقود تمرد الناكثين

قد تبنت عائشة بنت أبي بكر قيادة التمرد على الدولة الفتية، عائشة التي كانت تمثل رأس الحربة التي مزقت حقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل خلافة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وبعدها، عائشة التي أججت حرباً ضروساً أكلت الأخضر واليابس، عائشة التي استطاعت أن تضعف الدولة العلوية عن طريق قتل خيرة أصحاب الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأنصاره والمدافعين عنه في حرب الجمل، والذين كان أمير المؤمنين يبنى عليهم الآمال ويشد بهم أركان دولته الفتية، عائشة التي كانت بحق أعنف خصم واجهته الدولة الجديدة، لان أفعالها وأقوالها وجميع تصرفاتها كانت تؤثر في العوام والسطحيين من المسلمين، ممن أدهشتهم هالة لقب أم المؤمنين، عائشة التي بلغ تقديس البسطاء لها درجة تحير ذوى الألباب، حتى صاروا يتبركون ببول وبعر جملها الذى كانت توجه الناكثين من فوق ظهره، كما قال الطبرى: (طافت ضبة الأزدي بعائشة يوم الجمل وإذا رجال من الأزدي يأخذون بعرج الجمل فيفتونه ويشمونهم ويقولون بعرج جمل أمنا ريحه ريح المسك)⁽¹⁾ وقد استفادت عائشة من أمومتها للمؤمنين وبرعت في استغلال هذه المنزلة في قتل المؤمنين.

لكن عائشة مع كل ما كانت تتمتع به من قوة وقداسة وشعبية إلا أنها كانت ضعيفة أمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومنزلته وقداسته في نفوس المسلمين لا سيما أولئك الذين عاصروا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوا منه في حق أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ما لا يحصى من المناقب والفضائل، وهذا الأمر كان يشعر عائشة بالضعف وخفة موازينها أمام ثقل موازين أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فهي

1- تاريخ الطبرى ج 3 ص 530 خبر وقعة الجمل من رواية أخرى، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 247 ذكر مسير على إلى البصرة والوقعة.

باتت متأكدة بان حربها مع أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه تختلف عن معركتها مع عثمان ابن عفان، فهي مع عثمان بن عفان كانت تتحرك من موقع القوة والقدرة أمام ضعف عثمان وكفته الخاوية الخالية من معظم امتيازات عائشة، أما في حربها مع أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فإنها تتحرك من موقع الضعف، ولأجل الخروج من هذا الضعف ومعادلة موازين القوى بينها وبين أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كان عليها أن تكسب تأييدات جديدة تقوى بها شرعية تحركاتها، وتتقل بها كفة الصراع، لذا حاولت وبكل ما أوتيت من قوة ودهاء جر أرجل بعض الشخصيات وإقحامها في الصراع، فنجحت في إقناع البعض وفشلت في إقناع آخرين.

فدعت كلاً من حفصة وأم سلمة زوجتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنجحت مع حفصة لولا أن أخاها وقف بوجهها وصددها عن الخروج، فبقيت في بيتها على كره وقلبها مع عائشة في كل خطوة تخطوها، قال الطبري: (وأرادت حفصة الخروج فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت وبعثت إلى عائشة أن عبد الله حال بيني وبين الخروج فقالت يغفر الله لعبد الله)(1).

لكن عائشة فشلت في استقطاب تأييد أم سلمة رضوان الله تعالى عليها المعروفة بولائها لأمر المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، قال ابن أعثم الكوفي: (وأقبلت عائشة حتى دخلت على أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بمكة، فقالت لها: يا بنت أبي أمية إنك أول ظعينة هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لنا بين بيتك، وقد خبرت أن القوم استتابوا عثمان بن عفان حتى إذا تاب وثبوا عليه فقتلوه، وقد أخبرني عبد الله بن عامر أن بالبصرة مائة ألف سيف يقتل فيها بعضهم بعضاً، فهل لك أن

تسيرى بنا إلى البصرة لعل الله تبارك وتعالى أن يصلح هذا الأمر على أيدينا قال: فقالت لها أم سلمة رحمة الله عليها: يا بنت أبي بكر بدم عثمان تطلبين والله لقد كنت من أشد الناس عليه، وما كنت تسميه إلا نعثلا، فما لك ودم عثمان وعثمان رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بنى تيم بن مرة، ويحك يا عائشة أعلى على وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرجين وقد بايعه المهاجرون والأنصار ثم جعلت أم سلمة رحمة الله عليها تذكر عائشة فضائل على رضى الله عنه وعبد الله ابن الزبير على الباب يسمع ذلك كله، فصاح بأم سلمة وقال: يا بنت أبي أمية إننا قد عرفنا عداوتك لآل الزبير، فقالت أم سلمة: والله لتوردنها ثم لا تصدرنها أنت ولا أبوك أتطمع أن يرضى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة وعلى بن أبي طالب حى وهو ولى كل مؤمن ومؤمنة فقال عبد الله بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة قط، فقالت أم سلمة رحمة الله عليها: إن لم تكن أنت سمعته قد سمعته خالتك عائشة وها هي فاسألها فقد سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: على خليفتي عليكم فى حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصانى. أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا فقالت عائشة: اللهم نعم قالت أم سلمة رحمة الله عليها: فاتقى الله يا عائشة فى نفسك واحذرى ما حذرك الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا تكونى صاحبة كلاب الحوآب، ولا يغرنك الزبير وطلحة فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئا. قال: فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهى حنقة عليها، ثم إنها بعثت إلى حفصة فسألته أن تخرج معها إلى البصرة، فأجابتها حفصة إلى ذلك(1).

ولا يكاد يخفى سبب دعوة عائشة لكل من أم سلمة وحفصة، فإضافة إلى إفضاء الشرعية على تمردها فإنها كانت تهدف أيضا إلى إسكات المعترضين على

خروجها من بيتها تلملم الكتائب وتحضر مجالس الرجال تحرضهم ويحضر الرجال مجلسها، هاجرة لبيتها الذى قد أمرها الله سبحانه وتعالى أن تقر فيه بقوله: ((يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَدْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) (1).

وعلى أى الأحوال فقد استطاعت عائشة أن تجمع حولها أهل الشقاق والنفاق من أهل مكة الذين لم يستقر الإسلام فى قلوبهم يوما ولا ليلة، والذين طالما رفعوا السيف بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وها هى اليوم تستعين بهم على قتال أخيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، والتف حولها جمع كبير من رعاى الأمة وأعربها الذين مردت قلوبهم على النفاق، فشقت بهم عصا المسلمين ونكثت بيعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وسفكت دماء الآلاف من المسلمين لا لشيء إلا لان قلبها لم يكن يحب أمير المؤمنين الذى حبه إيمان وبغضه نفاق، ولان ابن عمها طلحة بن عبيد الله لم يصل إلى الكرسي كما أرادت من قبل وخططت.

القاسطون والمارقون امتداد لمسلسل التمهد لقتلة أهل البيت

لقد كانت خلافة الإمام أمير المؤمنين مرة ثقيلة على جمع كبير من أهل الأهواء والطمع، إلا أنها كانت أمر وأثقل على آل أمية عموما وآل أبى سفيان على وجه الخصوص، لأسباب لا تخفى على القارئ اللبيب، وقد تعمد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومنذ اليوم الأول لبيعة الناس له بالخلافة التعامل معهم بطريقة حازمة شديدة، لعلمه صلوات الله وسلامه عليه بأن آل أمية كالخلية السرطانية فى جسد الإسلام، فإذا ما سمح لها بالبقاء فإنها ستتعمش وتتوسع وتقضى على سائر الخلايا الصالحة ثم لا تتوقف

إلى أن يموت الإسلام وتعود الأصنام على ظهر الكعبة تعبد من دون الله سبحانه وتعالى.

فقرر صلوات الله وسلامه عليه __ وهو الحق __ أن يستأصل هذا العضو الفاسد الذى جعل مال الله دولا وعباده خولا، فعزلهم عن كل ولاية كانت قد أوكلها إليهم من قبل الأمير المخلوع عثمان بن عفان، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة بإبقائهم كلهم أو إبقاء معاوية بن أبى سفيان لوحده إلى ان يتمكن من إدارة الدولة، فإذا تمكن استبدل من شاء وأبقى من شاء، وأجابه بقوله: (لا أداهن فى دينى ولا أعطى الرياء فى أمرى)(1)، لـان إبقاء عمال عثمان من آل أمية ولو ليوم واحد كان يعد فى نظر أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إقراراً بأفعالهم ومشاركة فى ظلمهم وهو ما لا يمكن ان يصدر عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

واستطاع أمير المؤمنين أن يعزل جميع ولاة عثمان إلا معاوية بن أبى سفيان فانه رفض الانصياع لقرار العزل والبيعة بالخلافة، وقد ساعده على تمرده هذا قيام حرب الجمل وانشغال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عنه، فحاول معاوية وبأسلوبه الشيطاني المعهود أن يوجج نار الجمل أكثر فأكثر، وان يمد فى أمدها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فأرسل إلى الزبير سرا يحرضه للخروج عن بيعة على ونكثها وقال له كما روى ذلك ابن أبى الحديد المعتزلى: (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبى سفيان: سلام عليك، أما بعد، فإنى قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا، كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبى طالب، فإنه لا شىء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظها الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير، أظفركما الله، وخذل مناوئكما فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سر به،

1- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج3 ص197 ذكر بيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

وأعلم به طلحة وأقرأه إياه، فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف على عليه السلام(1).

وكتب في نفس الوقت إلى طلحة ما نصه: (أما بعد، فإنك أقل قريش في قريش وترا، مع صباحة وجهك وسماحة كفك، وفصاحة لسانك. فأنت بإزاء من تقدمك في السابقة، وخامس المبشرين بالجنة، ولك يوم أحد وشرفه وفضله، فسارع رحمك الله إلى ما تقلدك الرعية من أمرها مما لا يسعك التخلف عنه، ولا يرضى الله منك إلا بالقيام به، فقد أحكمت لك الأمر قبلي، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الإمام، والأمر من بعده للمقدم له، سلك الله بك قصد المهتدين، ووهب لك رشد الموقنين. والسلام)(2) فجعل معاوية بفعله هذا كلاً من طلحة والزبير يرى الإمارة من حقه ويتشوقها لنفسه ويعتقد بأنه المبايع له والمرغوب فيه دون صاحبه.

وقد كان معاوية بن أبي سفيان يهدف من وراء إشعال الفتنة ما يأتي:

أولاً: إشغال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن المطالبة له بالبيعة والتنحي عن ملك الشام ووضع العقبات بوجهه ريثما يعد العدة لمواجهة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

ثانياً: ان معاوية بن أبي سفيان لعنه الله كان يرجو ويحتمل ان يلقي على حثفه في حرب الجمل، وهذا اكبر نصر لمعاوية وبه ستتحل أصل المشكلة.

ثالثاً: قدر معاوية بن أبي سفيان وقد ساء ما قدر ان أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه حتى لو خرج من معركة الجمل ناجياً بنفسه ولم يلق حثفه فانه

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 231.

2- المصدر نفسه ج 10 ص 235 __ 236.

سيخرج على أقل التقادير منهكا ضعيفا منكسرا وحينها يستطيع معاوية القضاء على ما أبقتة معركة الجمل بسهولة.

لكن الرياح لم تجر بما تشتهي سفن معاوية بن أبي سفيان، فقد نصر الله أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على أعدائه، وقتل ابرز قادة التمرد، وانهزمت قائدة الجيش التي جاءت للمعركة على جمل وخرجت منها بلا جمل ولا عزة، وانصرف جيش أمير المؤمنين وقائده العظيم صلوات الله وسلامه عليه بمعنويات عالية وبخسائر اقل من المتوقع بكثير، فتيقن معاوية الطليق ابن الطليق ان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أقوى مما كان يتوقع هو وأتباعه، وانه صلوات الله وسلامه عليه بعد حرب الجمل سيتفرغ له، وسيرغمه على التحنى، وان بعض الناس إذا كان قد دخلها الشك فى قتال أصحاب الجمل لان عائشة فى ضمن صفوفهم فانهم بالنسبة إلى قتاله لن يزدادوا إلا يقينا وبصيرة على يقينهم وبصيرتهم، وان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأفراد جيشه سوف لن يترددوا لحظة فى قتله وقتل جميع من لا يرضى الانصياع للحق من أهل بيته، لذلك سعى لتحشيد كل داهية حوله ووظفهم للخلاص من سيف على وسطوته من جهة والاحتفاظ بملك الشام والارتقاء منه إلى ملك جميع بلاد المسلمين من جهة أخرى، فالتف حوله عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وبقية الناجين من حرب الجمل، وأسس حلفاء فى الكوفة نظير الأشعث بن قيس وأمثاله، لان المسألة كانت بالنسبة لمعاوية بن أبي سفيان مسألة حياة أو موت.

واستمرت الكتب والمراسلات بين أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومعاوية بن أبي سفيان وبذل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه غاية جهده لإعادة هؤلاء القاسطين إلى رشدهم وتجنيب الأمة كارثة دموية، لكن معاوية بذل غاية مجهوده للوقوف بوجه الحق واللجاجة والعناد وعدم الرضوخ لصوت العقل والسلم، فقرر أمير المؤمنين

صلوات الله وسلامه عليه ومواجهته وسحق كبريائه واستئصال هذا العضو الفاسد.

فكانت المواجهة في صفين حيث جرت بين جيش الحق وجمع الباطل حرباً طاحنة استمرت أربعة عشر شهراً، قتل فيها والتحق بالنار تسعون ألف مقاتل من جيش معاوية، واستشهد من أصحاب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عشرون ألف مقاتل خمسة وعشرون منهم من الصحابة، وتفاصيل ما حدث فيها مذكورة في كتب التاريخ غير خافية، ولكن الذي يهمنا منها ان هذه الحرب الأموية التي فرضت على أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قد كانت سبباً رئيساً في نشوء فتنة التحكيم الشهيرة، ونتيجة لهذه الفتنة ظهرت فئة جديدة على الساحة الإسلامية سموا بعد ذلك بالخوارج عليهم لعائن الله.

الخوارج الذين كانوا يمثلون انتكاسة واضحة عن الطريق المستقيم، الخوارج الذين كانوا يقرأون القرآن ولا يزيدهم ذلك الا بعدا عن الله سبحانه وتعالى لانهم لم يتعلموا من القرآن إلا الحروف، الخوارج الذين كانت جباههم سوداً من اثر السجود لكن قلوبهم خالية خاوية من خوف الله سبحانه وتعالى وحب أولياء الله، الخوارج الذين لم يستحلوا قتال أهل الشام لأنهم رفعوا القرآن على المصاحف لكنهم استحلوا ان يخوضوا معركة النهروان ضد القرآن الناطق أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، الخوارج الذين أراقوا دم أمير المؤمنين بضربة غادرة على رأسه خضبت منها شيبه لحيته المقدسة فارتكبوا بذلك أكبر فاجعة عرفتها البشرية بعد فاجعة فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الخوارج الذين بفعلهم فقدت الأمة ثالث شخص من أشخاص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فحققوا بذلك آمال وأحلام وأمنيات أصحاب السقيفة وأصحاب الشورى وأصحاب الجمل وصفين.

ثم تولى الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بعد أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الخلافة، وبطريقة أوضحنا بعض تفاصيلها سابقاً (1)، واضطر صلوات الله وسلامه عليه إلى ترك منصب الخلافة الظاهرية بعد أن أصرت الأمة وللمرة الرابعة بعد حادثة السقيفة على رفض المسير خلف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومهدت بذلك لقيام الدولة الأموية التي كان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه أول ضحاياها، وتبعه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لتكون نهاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أيديهم الأئمة.

وبهذا التفصيل المتقدم نستطيع ان نفهم كيف سارت عملية التمهيد لقتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتمكين من قتلهم واحداً بعد واحد، والذي بقيت آثاره إلى يوم الناس هذا، فكل دم من دماء الأئمة التسعة من ذرية الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكل دم أريق لشيعتهم ومحبيهم كان سببه وأساسه هو ذلك التمهيد السابق ذكره، والكل مشارك فيه وللكل نصيب منه ((سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)) (2).

1- فى شرح عبارة (السلام عليك يا ابن سيد الوصيين) تحت عنوان كيف اثر لقب أمير المؤمنين على استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

2- سورة آل عمران الآية رقم 181 __ 182.

بَرِّتْ إِلَى اللَّهِ وَإِيَّكُمْ مِنْهُمْ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحى لهذه الفقرة الشريفة

1: بَرِّتْ

2: إِلَى اللَّهِ

3: وَإِيَّكُمْ

4: مِنْهُمْ

المبحث الثالث: تسعة معانٍ محتملة لهذه الفقرة الشريفة

المبحث الرابع: فى علة التبرؤ من هذه الأمم السالفة الذكر

المبحث الخامس: أمن فروع الدين الولاية والبراءة أم من أصوله؟

بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَفِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ الشَّرِيفَةِ مِنَ الزِّيَارَةِ مَبَاحِثٌ مَهْمَةٌ نَسْتَعْرِضُهَا فِيمَا يَأْتِي مِنَ الْكَلَامِ.

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

وردت النصوص الشريفة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مصرحة بالبراءة من قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن أشياعهم ومن أتباعهم ومن أوليائهم وأنصارهم وفيما يأتي جملة من تلك النصوص الشريفة الدالة على صدق ما ورد في هذه الفقرة الشريفة من زيارة عاشوراء.

منها ما رواه الكفعمي قدس الله روحه في المصباح حيث قال: (في زيارة عرفة وأما زيارة ليلة عرفة ويومها وزيارة ليلة الأضحى ويومه فقل بعد الغسل والاستيذان ان كانت الزيارة من قرب: الله أكبر كبيراً والحمد لله حمداً كثيراً... سلام الله وسلام ملائكته وأنبيائه ورسله والصالحين من عباده وجميع خلقه ورحمته وبركاته على محمد وأهل بيته وعليك يا مولاي الشهيد المظلوم لعن الله قاتلك وخاذلك برئت إلى الله عز وجل منهم ومن أفعالهم وممن شايع ورضى به واشهد أنهم كفار مشركون

والله ورسوله منهم براء(1).

ومنها ما رواه العلامة المجلسي قدس الله روحه في بحار الأنوار: (عن الصادق عليه السلام قال: إذا وصلت إلى الفرات فاغتسل والبس أنظف ثوب تقدر عليه، ثم صر إلى القبر حافيا وعليك السكينة والوقار، وقف بالباب وكبر أربعاً وثلاثين تكبيرة وقل: السلام عليك يا وارث آدم فطرة الله... لعن الله قاتلك وخاذلك، برئت إلى الله عز وجل منهم ومن فعالهم، ومن شايع ورضى به، وأشهد أنهم كفار مشركون، والله ورسوله براء منهم(2).

وقد أصبحت مسألة البراءة من ظالمي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقتلتهم وأشياعهم وأتباعهم وأوليائهم جزءاً لا يمكن ان يتجزأ من العقيدة المجمع عليها في مذهب الإمامية الإثني عشرية، حتى ان بقية أجزاء الإيمان لا تقبل من دونها ولا يستغنى عنها بسواها، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الصدوق قدس الله روحه: (ويجب أن يتبرأ إلى الله عز وجل من الأوثان الأربعة، والإناث الأربعة، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، ويعتقد فيهم أنهم أعداء الله وأعداء رسوله، وأنهم شر خلق الله، ولا يتم الإقرار بجميع ما ذكرناه إلا بالتبري منهم(3).

وقال قدس الله روحه أيضاً: (واعتقادنا في البراءة أنها واجبة من الأوثان الأربعة ومن الأنداد الأربعة ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله. ولا يتم الإقرار بالله ورسوله وبالأئمة إلا بالبراءة من أعدائهم واعتقادنا في قتل الأنبياء وقتل الأئمة أنهم كفار مشركون مخلدون في أسفل درك من النار. ومن اعتقد فيهم غير ما ذكرناه

1- المصباح للكفعمي ص 501 __ 502 زيارة ليلة عرفة ويومها وزيارة ليلة الأضحى ويومه.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 98 ص 230 __ 231.

3- الهداية للشيخ الصدوق ص 45 __ 46.

فليس عندنا من دين الله في شيء (1).

فعبارة (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ) متوافقة مع النصوص الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكذلك متوافقة مع المجمع عليه من اعتقاد للفرقة الناجية.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحى لهذه الفقرة الشريفة

1: بَرِئْتُ

وردت للبراءة معانٍ عديدة في كتب اللغة نختار منها ما هو محتمل المراد للإمام صلوات الله وسلامه عليه ويتناسب مع أجواء زيارة عاشوراء.

الأول: بمعنى المفارقة والمباعدة والانفصال قال الشيخ الطوسي في تفسير التبيان: (البراءة من الشيء المفارقة والمباعدة عنه: ويرى الله من الكافر: باعده عن رحمته) (2)، وقال أبو حيان الأندلسي: (تبرأ: تفعل، من قولهم: برئت من الدين براءة: وهو الخلوص والانفصال والبعد) (3) وقال الجوهري في الصحاح: (وبارات شريكى: إذا فارقت) (4).

الثاني: وقد تأتي بمعنى إزالة الشيء وقطع كل سبب ما بينه وبين النفس، قال ابن العربي في تفسير سورة براءة: (فيقال: برئت من الشيء أبرأ براءة فأنا منه برىء)

1- الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص 105 __ 107.

2- التبيان للشيخ الطوسي ج 1 ص 244 عند تفسير قوله سبحانه وتعالى (وإذ قال موسى لقومه) من سورة البقرة الآية 54.

3- () تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج 1 ص 630.

4- الصحاح للجوهري ج 1 ص 36 فصل التاء.

إذا أزلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينه وبينك(1).

الثالث: وقد تأتي بمعنى انقطاع العصمة، قال الشيخ الطبرسي قدس الله روحه في تبيان معنى قوله سبحانه وتعالى: ((بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ))(2): (انقطاع للعصمة، ورفع للأمان، وخروج من العهد)(3)، وقال الرازي: (معنى البراءة انقطاع العصمة، يقال: برئت من فلان أبرأ براءة، أى انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقه)(4).

الرابع: وقد تأتي بمعنى التقصى عن الشيء الذى يكره مجاورته، قال الراغب الأصفهاني: (أصل البرء والبراء والتبرى: التقصى مما يكره مجاورته)(5).

2: إِلَى اللَّهِ

ولفظ الجلالة (الله) معلوم المعنى عند كل واحد من المسلمين، و (إلى) حرف جر ورد له فى اللغة ثمانية معانى(6) نختار منها ما هو محتمل المراد من قبل الإمام صلوات الله وسلامه عليه فمنها:

أولاً: لانتهاى الغاية الزمانية أو المكانية(7)، أما الزمانية فكقوله سبحانه وتعالى: ((ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ))(8)، وأما المكانية فمثل قوله تعالى: ((مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

1- () أحكام القرآن لابن العربي ج 2 ص 446، تفسير القرطبي ج 8 ص 63، فتح القدير للشوكاني ج 2 ص 332.

2- سورة التوبة الآية رقم 1.

3- تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج 1 ص 7.

4- () تفسير الرازي ج 15 ص 217 عند تفسير قوله تعالى (براءة من الله ورسوله) المسألة الاولى، تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي ج 5 ص 6 عند تفسير سورة براءة.

5- مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص 45 كتاب الباء وما يتصل بها.

6- راجع الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المرادى ص 385 الباب الثالث فى الثلاثى.

7- مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى ج 1 ص 74، الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج 1 ص 444.

8- سورة البقرة الآية 187.

الَّذِي بَارَكْنَا)) (1) واستعمل لانتهاه الغاية ولكن الاعتبارية والمعنوية منها (2) دون المادية والزمانية ومنه قوله سبحانه وتعالى: ((فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (3) فالغاية الزمانية والمكانية هنا منتفية ولا يمكن حمل (إلى) عليها لان كلاً من المكان والزمان يختصان بالمادة والله سبحانه وتعالى منزّه عن خواص المادة وأعراضها، فلا بد من حمل الغاية على ما هو معنوى غيبى.

ثانيا: وقد يكون حرف الجر (إلى) بمعنى (مع) وذلك إذا ضمنت شيئا إلى آخر (4)، نظير قوله سبحانه وتعالى: ((قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)) (5)، أى من أنصارى مع الله، وكقوله سبحانه وتعالى: ((فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ)) (6).

ثالثا: وقد يكون حرف الجر (إلى) بمعنى (فى) (7) ومنه كما قيل قوله سبحانه وتعالى: ((فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ)) (8) أى هل لك فى أن تتزكى.

3: وَإِيَّكُمْ

والواو هنا عاطفة و(إِيَّكُمْ) معطوفة على لفظ الجلالة (الله) والمعنى برئت إلى الله سبحانه وتعالى وبرئت إليكم، وضمير الجمع فى (إِيَّكُمْ) عائد إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المذكورين فى الفقرات السابقة لهذه الفقرة الشريفة من الزيارة.

1- سورة الإسراء الآية 1.

2- مغنى اللبيب ابن هشام الأنصارى ج 1 ص 75، تفسير القرآن الكريم للسيد مصطفى الخمينى ج 5 ص 131.

3- سورة العنكبوت الآية 26.

4- مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى ج 1 ص 74، الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى ج 1 ص 444.

5- سورة آل عمران الآية 52.

6- سورة المائدة الآية رقم 6.

7- مغنى اللبيب ابن هشام الأنصارى ج 1 ص 75.

8- سورة النازعات الآية رقم 18.

4: مِنْهُمْ

وضمير الجمع في (مِنْهُمْ) يعود إلى كل من (الأمة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت، والأمة التي دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، والأمة التي قتلتهم، والممهدين لهم بالتمكين من قتالهم).

وحرف الجر (مِنْ) نوعان في اللغة زائد وغير زائد، وغير الزائد ينقسم إلى أربعة عشر معنى (1)، وسنورد فيما يأتي بعض المعاني المحتملة المراد للإمام صلوات الله وسلامه عليه منها:

أولاً: لابتداء الغاية، قال الزبيدي في تاج العروس: (ومن بالكسر حرف خفض يأتي على أربعة عشر وجهاً: الأول: لابتداء الغاية... وقد يجيء لمجرد الابتداء من دون قصد الانتهاء مخصوصاً نحو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فابتداء الاستعاذة من الشيطان مع قطع النظر عن الانتهاء غالباً) (2).

ثانياً: لتبيان الجنس: (نحو قوله سبحانه وتعالى ((فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ)) (3) وعلامتها ان يحسن جعل الذي مكانها، لان المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن ومجيئها لبيان الجنس مشهور) (4).

ثالثاً: واستعملت (من) بمعنى (الفصل وهي الداخلة على ثانی المتضادين كقوله سبحانه وتعالى ((وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ)) (5) وقوله سبحانه وتعالى ((حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ

1- الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسين بن قاسم المرادى ص 308 الباب الثانى فى الثنائى.

2- () تاج العروس للزبيدي ج 18 ص 552 مادة (من) بالكسر.

3- سورة الحج الآية 30.

4- الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسين بن قاسم المرادى ص 309 __ 310 الباب الثانى فى الثنائى.

5- سورة البقرة الآية 220.

رابعاً: واستعملت (مرادفة عن كقوله تعالى ((فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)) (3) أى عن ذكر الله (4).

هذه هي أهم المعانى لحرف الجر (من) والتي يمكن أن يحتمل إرادتها من قبل الإمام صلوات الله وسلامه عليه وبها ينتهى هذا المبحث.

المبحث الثالث: تسعة معانٍ محتملة لهذه الفقرة الشريفة

يمكن ومن خلال المعنى اللغوى السابق ان نجد تسعة معانٍ محتملة لقول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) نستعرضها فيما يأتى:

المعنى الأول: إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتى:

ألف: البراءة بمعنى المفارقة والمباعدة والانفصال.

باء: وأخذنا حرف الجر (إلى) بمعنى انتهاء الغاية.

جيم: وأخذنا حرف الجر (من) بمعنى (عن).

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (فارقت وتباعدت وانفصلت ببدنى وعقيدتى وكل ما لى من شأن من شؤون دنيائى وآخرتى عن الأمة التى أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعن الأمة التى دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم التى رتبهم الله سبحانه وتعالى فيها، وعن الأمة التى قتلتهم

1- سورة آل عمران الآية 179.

2- تاج العروس للزبيدي ج 18 ص 555.

3- سورة الزمر الآية رقم 22.

4- تاج العروس للزبيدي ج 18 ص 555 مادة من بالكسر المعنى العاشر.

وعن الممهدين لهم بالتمكين من قتالهم، ومنتهى غايتي ومحض نيتي من مفارقتي لهؤلاء القوم وتباعدي عن هذه الأمم المنحرفة الضالة هو الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

المعنى الثاني: إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتي:

ألف: البراءة بمعنى إزالة الشيء وقطع كل سبب ما بينه وبين النفس.

باء: وأخذنا حرف الجر (إلى) بمعنى انتهاء الغاية.

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (قطعت وأزلت عن نفسي كل سبب وطريق وعلقة مادية أو معنوية يمكن أن تربطني أو تجمع ما بيني وبين الأمة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بيني وبين الأمة التي دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله سبحانه وتعالى فيها، وما بيني وبين الأمة التي قتلتهم وما بيني وبين الممهدين لهم بالتمكين من قتالهم، وغايتي بل ومنتهى غايتي من قطع كل سبب وعلاقة مع هؤلاء القوم هو الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

المعنى الثالث: إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتي:

ألف: البراءة بمعنى التنزه عن الشيء فيقال: (برئ إذا تنزه وتباعداً) (1).

باء: وأخذنا حرف الجر (إلى) بمعنى انتهاء الغاية أو المعية.

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (تنزهت وتكرمت وتعاليت عن أن أكون مؤسساً لظلم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو مشاركا، ولأشخاصهم المقدسة قاتلا، وعن مراتبهم ومقاماتهم الشريفة المنيفة دافعا ومزيلا، ولقاتليهم ممهدا

ومعينا، تنزهت منهم ومن أفعالهم وأقوالهم وجرائرهم وجرائمهم، وكل ما صدر عنهم وكان له دخل في تأسيس الظلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو دفعهم أو قتلهم أو التمهيد لقتلهم، وغايتي في تنزهى عن كل ذلك هو الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وإذا اتضح لنا ان معنى التنزه هو تكريم النفس عن الشائئات(1) فتكون الزيارة الشريفة بصدد إثبات حقيقتين:

الأولى: ان هذه الأفعال التي قام بها هؤلاء المؤسسون والدافعون لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والغاصبون لحقوقهم ومراتبهم والقاتلون لهم والممهدون لقتالهم، هي أفعال مشينة معيبة يجب على المؤمن التنزه والتباعد عنها وعن أمثالها.

والثانية: إن هذه الأفعال المشينة لا تأتي جزافاً ولا تصدر إلا ممن خبثت سريرته وكان باطنه مشيناً مثل ظاهره، وان ظهور تلك الأفعال المشينة يكشف عن بواطن أولئك المؤسسين والدافعين والقاتلين والممهدين لقتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويدل على أن بواطنهم أيضاً مشينة، فيجب على المؤمن أن ينزه داخله وباطنه من أن يكون هكذا.

وتصريح الزائر بالبراءة منهم هو إعلان منه بأنه طاهر الفعل والقصد تجاه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتجاه مقاماتهم ومراتبهم، وانه طاهر النفس عن كل وليجة دونهم.

المعنى الرابع: وإذا أخذنا بنظر الاعتبار إجماع المسلمين على ان الله سبحانه وتعالى فرض على عباده المؤمنين عداوة أعدائه وولاية أوليائه فقال سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

1- لسان العرب لابن منظور ج12 ص512 فصل الكاف.

لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (1)، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (2).

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (إن براءتى لهؤلاء المؤسسين والدافعين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم ومراتبهم، وقاتليهم والممهدين لغيرهم من قتالهم، هى فى الله ولله سبحانه وتعالى، وفى أهل البيت ولأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهى تطبيق عملى لقاعدة الحب والبغض فى الله سبحانه وتعالى، والتزام عملى بتعاليم القرآن الكريم الذى اوجب على أهل الإيمان أن يتبرؤوا ممن حاد الله سبحانه وتعالى واستجلب غضب الله سبحانه وتعالى بمحاربة أوليائه).

المعنى الخامس: وإذا أخذنا فى نظر الاعتبار ما يأتى:

ألف: البراءة معنى الإعذار والإنذار (3).

باء: وفهمنا من الإعذار والإنذار معنى البلاغ والإعلان (4).

فيصبح المعنى: (إعلان وبلاغ من قبل الزائر إلى الله سبحانه وتعالى بأنه برىء من هؤلاء الذين تم لعنهم سابقا. وإن الزائر فى نفس الوقت يعلن لأولئك الملعونين

1- سورة الممتحنة الآية رقم 13.

2- سورة المجادلة الآية رقم 22.

3- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 33 فصل الباء الموحدة.

4- () هذا المعنى مأخوذ من تفسير قوله تعالى ((بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) وقد فسرت بمعنى بلاغا كائنا من الله أو بلاغا من الله (راجع: تفسير جامع الجوامع للشيخ الطبرسى ج 3 ص 658، وتفسير الرازى ج 30 ص 165، تفسير الألوسى ج 29 ص 94).

ويبلغهم بأنه ليس منهم، وان العهود والأسباب والعلائق ما بينه وبينهم منقطعة، وانه منذر لهم من مغبة ظلمهم لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقتلهم، وانه حرب لهم بسبب قطعهم لعهود الله سبحانه وتعالى، وان هذه الحرب والمفارقة والرفض ليست مخبئة مكتومة في نفس الزائر، كما يكتف الخائف والجبان ما في نفسه، بل هو موقف صريح معلن، إذ ان النصر لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والرفض لمخالفهم وظالمهم وقاتليهم مما لا يستحي منه يخفيه الزائر الموالي، وان القاتل والظالم والممهد لقتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو من يلزمه الاستحياء والخوف من فعله وموقفه، لأنه من المواقف المشينة التي يتكرم الإنسان المؤمن عن الاتصاف بها).

المعنى السادس: وإذا أخذنا حرف الجر (من) بمعنى ابتداء الغاية من دون قصد الانتهاء، فيكون معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (ان ابتداء براءتي منهم مع قطع النظر عن الانتهاء لان براءتي لا تتوقف عند هؤلاء البتة، بل سيكون لها استمرارية ودوام لكل من يتصف بأوصافهم ويفعل أفعالهم).

المعنى السابع: وإذا أخذنا حرف الجر (من) بمعنى تبيان الجنس فيكون قصد الزيارة هو: (برئت إلى الله واليكم من الأمة لكن لا مطلق الأمة بل من الأمة التي أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن الأمة التي دفعتهم عن مقاماتهم وأزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، ومن الأمة التي قتلتهم ومهدت لقتالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

المعنى الثامن: وإذا أخذنا من حرف الجر (من) معنى الفصل، وهي الداخلة على ثانی المتضادين فيكون قصد الزيارة هو تبيان ان هنالك طرفين متضادين، الأول هو الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والثاني هم كل من الأمة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت والأمة التي دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن

مراتبهم التي رتبهم الله فيها، والأمة التي قتلهم ومهدت ومكنت الآخرين من قتالهم، ولا بد وحسب القاعدة العقلية أن يتولى الزائر أحد هذين الطرفين، فإذا تولى أحدهما لزم وبحسب الفرض العقلي ان يتبرأ من الطرف الآخر، لأنهما شيان متضادان والمتضادان لا يجوز اجتماعهما في مكان واحد وفي وقت واحد، قال سبحانه وتعالى ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (1).

المعنى التاسع: وإذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتي:

ألف: أخذنا في البراءة معنى الانفصال عن الشيء.

باء: وأخذنا حرف الجر (من) بمعنى (عن).

جيم: وأخذنا في نظر الاعتبار تلك الروايات التي تحدثت عن الطينة التي خلق الله سبحانه منها الناس وكيف فصل بين طيبتها وخبثتها بحسب الولاء والبغض لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (2).

1- سورة المجادلة الآية رقم 22.

2- جاء في كتاب الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 389: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله خلقنا من عليين وخلق أرواحنا من فوق ذلك وخلق أرواح شيعتنا من عليين وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحن إلينا). وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوى إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية: ((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ)) وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: ((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينَ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينُ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ)).

فيصبح المعنى كالتالى: (انفصلت طينتى التى خلقت منها عند الله فى ابتداء خلق هذا العالم عن طينة هؤلاء الذين قد تم لعنهم فيما سبق وبسبب هذا الانفصال حن قلبى إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلم أصبح لظلمهم مؤسسا ولا لمقاماتهم منكرا ولا لهم عن منازلهم دافعا ولا للغير فى سبيل قتلهم ممهدا ولا لإرافة دمائهم وإزهاق نفوسهم القدسية ممكنا).

ولا يخفى ان هذا المعنى يستبطن استذكار هذه النعمة الجليلة والمنة العظيمة من قبل الزائر والتى تستدعى الشكر للمنعم والشعور بالعطف الإلهى لأتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ويمكن للقارئ أن يجد معانى أخرى لهذه الفقرة من الزيارة فيما لو ضم معنى لغويًا إلى معنى آخر بالطريقة التى اتبعناها فى شرح هذه الفقرة الشريفة من الزيارة.

المبحث الرابع: فى علة التبرؤ من هذه الأمم السالفة الذكر

إشارة

لما استعرضت الزيارة فى الفقرات السابقة أحوال الذين قد تم لعنهم، وعرفت الزائر كثيرا من جرائمهم وجرائمهم، صار من اللازم تحديد وتبيان الموقف الشرعى الذى لابد أن يتخذ تجاههم، فصاغت الزيارة هذا الموقف بقالب البراءة والرفض لأشخاص وأفعال أولئك الملعونين، وهذا التبرؤ ورفع الأمان والخروج عن العهود والمواثيق بين الزائر وبين هؤلاء الملعونين لم يكن رفعا جزافيا وإبطالا لغويا من دون سبب يبيحه، وداع يوجهه، ونحن فيما يأتى نستعرض جملة من الأسباب التى جوزت للزائر التبرؤ والخروج عن العهود والمواثيق ورفع الأمان ما بينه وبينهم:

السبب الأول: لخياتهم والخائن يجوز نقض عهده والتبرؤ منه

إن الله سبحانه وتعالى قد أجاز التبرؤ ونقض عهد الذين يخاف منهم الخيانة قال تعالى ((وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)) (1)، وأولئك الذين أسسوا أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والذين دفعوهم عن مقاماتهم ومنازلهم، والذين قتلوهم ومهدوا لقتلهم، لا يخاف منهم الخيانة فحسب بل ان هذه الخيانة قد وقعت منهم فعلا، فجواز النقض في موردهم واضح لا شك في جوازه.

وقد عرفنا في المباحث السابقة ان الله سبحانه وتعالى قد أخذ على الناس ميثاق المحبة والنصرة والدفاع والحفاظ على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتقديمهم على غيرهم في كل الأمور صغيرها وكبيرها، وعليه يصح قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتقديم غيرهم عليهم وتأخيرهم وإبعادهم عن مراتبهم وإزالتهم عن منازلهم هو نقضاً لذلك العهد وتبرؤاً من الميثاق، والناقض للعهد ليس له جزاء إلا نقض بنقضاً، والمتبرئ من الميثاق لا يقابل إلا بالبراءة منه.

السبب الثاني : وجب التبرؤ منهم لان الله سبحانه وتعالى قد تبرأ منهم

كتب الله سبحانه وتعالى على نفسه أن لا يظلم من الخلق أحداً، قال سبحانه وتعالى ((وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ)) (2) وقال سبحانه وتعالى أيضا ((وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ)) (3) وكتب على عباده ان لا يظلم بعضهم بعضا، وكتب ان من يتلبس بشيء من الظلم يحكم عليه بالبعد عن

1- سورة الأنفال الآية 58.

2- سورة آل عمران الآية 108.

3- سورة غافر الآية 31.

الرحمة والسخط ما دام مقيماً على ظلمه قال سبحانه وتعالى ((وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)) (1) فيكون الله سبحانه وتعالى بذلك بريئاً من ظلم من ظلم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعدوان من اعتدى عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، منتزهاً عن ان يكون قد أمر به أو رضيه تعالى عن ظلم أوليائه وأصفيائه بل وسائر عباده.

ومن تبرأ منه الله سبحانه وتعالى جاز للعباد التبرؤ منه تخلقاً بأخلاق الله سبحانه وتعالى، وتطبيقاً لآيات القرآن الكريم الذى أوجب على المؤمنين ان يتخذوا الموقف ذاته الذى يتخذه الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تجاه الظالمين والمفسدين والمحاربين والمؤذنين لله سبحانه وتعالى ولرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال سبحانه وتعالى ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)) (2) وكذلك عملاً بأقوال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين القاضية بوجوب ان يتبرأ المؤمن من كل من يتبرأ الله سبحانه وتعالى منه والى هذا المعنى يشير الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (اللهم انى أشهدك بالولاية لمن واليت ووالته رسلك واشهد بالبراءة ممن برئت منه وبرئت منه رسلك ...) (3).

السبب الثالث: وجبت البراءة لتبرؤ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم

أوجب الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يجامل أهل الظلم والجور والعصيان وان لا يداهنهم فيطمع الذى فى قلبه مرض منهم، وان يقف منهم موقف الحزم والجد والقوة، وان يعلن وعلى رؤوس الأشهاد انه برىء من ظلم كل ظالم، وعصيان كل عاص، حتى لا يحتسب ظلمهم وعصيانهم على

1- سورة ال عمران الآية رقم 57.

2- سورة المجادلة الآية رقم 22.

3- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 362 ، بحار الأنوار للمجلسي ج 97 ص 301.

الشريعة الإسلامية الآمرة بالقسط والعدل والإحسان والمنزهة مشرعها ومبلغها عن ظلم الظالمين وعصيان العاصين فقال سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله الأكرم ونبيه الأَعْظَم صلى الله عليه وآله وسلم ((فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)) (1) وقد تكرر ذكر ان أعظم مصاديق الظلم والعصيان لأوامر الشريعة هو القتل وإراقة الدماء التي أمر الله بحفظها، وأبجح القتل وأعظمه هو قتل الأنبياء والأوصياء والأنمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيكون داخل في العصيان الذي أعلن القرآن براءة النبي الأعظم منه ومن فاعله والمتلبس به.

وكذلك يدخل في باب معصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كل من أسس أساس الظلم والجور على أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكل من دفعهم عن مقامهم ومنازلهم التي جعلها الله سبحانه وتعالى لهم خاصة دون العالمين، وكل من مهد لقتلهم وقتالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد سمعت الأمة من نبيها الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولسنين طويلة تأييده المطلق وتقديمه وإحاطته بالرعاية والحفظ والشفقة لأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيكون عمل الأمة على خلاف منهج نبيها صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومخالفة وصيته فيهم من أوضح مصاديق العصيان لأوامر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيكون دخوله في قوله سبحانه وتعالى ((فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)) (2) ما لا شك فيه ولا ريب.

ومن برئ منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجب على المؤمنين التبرؤ منه امتثالاً - لقوله سبحانه وتعالى ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) (3).

1- سورة الشعراء الآية 216.

2- سورة الشعراء الآية 216.

3- سورة الأحزاب الآية 21.

السبب الرابع: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآني أو روائي

ان البراءة من مؤسسى الظلم لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والدافعين لهم عن مقاماتهم ومنازلهم ومراتبهم التى رتبهم الله سبحانه وتعالى فيها، وقتلتهم والممهدين لقتلهم وقتالهم، وجبت لان أفعالهم الشائنة ضد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحد ذاتها وبقطع النظر عن رأى الشارع المقدس تستحق بل ويجب أن يتبرأ منها، فقد ثبت فى محله ان كلاً من الحسن والقبح عقليان، فالعقل يحكم ويغض النظر عن رأى الشرع ونصوصه على حسن الصدق وقبح الكذب وحسن رد الوديعه وقبح خيانة الأمانة، وحسن حفظ النفس المتصفة بالخير والصلاح وقبح إزهاقها، وحسن رعاية العهود والمواثيق وقبح نقضها، وحسن الرعاية لأهل الكمال والفضل وقبح التخطيط لقتلهم وقتالهم واستبدالهم بالأشرار، ومن كابر فى قبول ذلك فقد أنكر عقله وغالط فطرته السليمة.

ولا- يشك ذو عقل مستقيم وفطرة سليمة ان قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بوصفهم من أهل الفضل والكمال والصلاح هو من أوضح مصاديق القبح، وكذلك يقبح عند ذوى العقول والألباب دفع أهل الحق عن حقهم، والتمهيد للأشرار فى سبيل قتل الأخيار، وتأسيس الظلم والجور على أهل الصلاح والخير، وإذا ثبت قبح كل ذلك وجب التنزه عنه، والتكريم والترفع والبراءة منه، وعدم التنزه والترفع عن القبيح بعد معرفته قبيح عقلاً.

السبب الخامس: تجب البراءة لأنهم نواصب

ترددت كلمات الأعلام فى تعريف الناصبى إلى معنيين، الأول هو: الذى ينصب العداوة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو لأحدهم ويدين بيغضهم ويستحل

دماءهم ويكره ذكر فضائلهم.

والمعنى الثانى هو: الذى يلحق الضرر بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم ومحبيهم بسبب حبهم لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفى هذا الصدد يقول الشهيد الثانى قدس الله روحه: (والمراد به من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام أو لأحدهم وأظهر البغضاء لهم صريحا أو لزوما ككراهة ذكرهم ونشر فضائلهم والإعراض عن مناقبهم من حيث إنها مناقبهم والعداوة لمحبيهم بسبب محبتهم، وروى الصدوق ابن بابويه عن عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام قال: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد أحدا يقول أنا أبغض محمدا وآل محمد ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا» (1).

ويقول المحقق المتبحر محمد أمين الأسترآبادى قدس الله روحه: (وقعت مشاجرة عظيمة من غير فيصل بين المتأخرين من أصحابنا فى تحقيق معنى الناصبى، فزعم بعضهم أن المراد به: من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام. وذهب بعضهم إلى أن المراد به من نصب العداوة لمذهب الإمامية. وفى الأحاديث تصريحات بالثانى (2). ومن قال بالأول كان قليل البضاعة فى أحاديثنا الواردة فى الأصولين. ومن الأحاديث الصريحة فيما اخترناه ما نقله الشيخ الصدوق فى كتاب العلل حيث قال:... عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنك لا تجد رجلا يقول: أنا أبغض محمدا وآل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا... (3).

1- روض الجنان للشهيد الثانى ص 157 حكم أسأر الحيوانات.

2- أى بالذى ينصب العداوة لمذهب الإمامية بشكل عام.

3- الفوائد المدنية والشواهد المكية لمحمد أمين الأسترآبادى ص 451 __ 452 تحقيق معنى الناصبى.

ولسنا فى هذه الصفحات بصدد ترجيح احد الأطراف على الطرف الآخر، بل لتبيان ان أى معنى من معانى النصب أخذنا به فانه يشمل وبوضوح كل من أسس أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكذلك يشمل كل من دفعهم وأزالهم عن مراتبهم التى رتبهم الله فيها، وكل من قتلهم ومهد لقتلهم.

والناصبى كافر بإجماع أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلماء المذهب الحق وشيعتهم، والكافر يجب البراءة منه ويحرم على المؤمن مودته وولايته لقوله سبحانه وتعالى: ((لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)) (1)، ولقوله سبحانه وتعالى: ((الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتُّعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)) (2)، ولقوله: سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا)) (3)، ولقول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه فى عمل يوم الغدير: (برئت إلى الله من كل من نصب لهم (4) حربا من الجن والإنس من الأولين والآخرين) (5).

السبب السادس: تجب البراءة منهم حتى لا يشاركهم فى أفعالهم

وتجب على المؤمن البراءة من كل من مر لعنه فى الفقرات السابقة للزيارة حتى لا- تلحقه جرائمهم ولا- يشاركهم فى ظلمهم فتشمله عقوبتهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك فى عملهم) (6) ولقوله

1- سورة آل عمران الآية ٢٨.

2- سورة النساء الآية 139.

3- سورة النساء الآية ١٤٤.

4- أى لأهل البيت عليهم السلام.

5- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج2 ص278، بحار الأنوار للمجلسي ج95 ص299.

6- () بحار الأنوار للمجلسي ج65 ص131، جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى ج13 ص426.

صلى الله عليه وآله وسلم: (من عمل بالمعاصي بين ظهرائي قوم هو منهم لم يمنعوه من ذلك حتى يغيروا المنكر فقد برئت منهم ذمة الله)(1).

والبراءة نوع من أنواع الإعراض والنهر والرفض لأشخاص وأعمال هؤلاء الملعونين وهو راجح شرعا بل هو واجب فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من اعرض عن صاحب بدعة بغضا له ملاً الله قلبه أمنا وإيمانا ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفرع الأكبر ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر واستقبله بما يسره فقد استخف بما انزل الله على محمد)(2).

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدى فأظهروا البراءة منهم...)(3).

والبراءة وعدم تولى أعداء الله سبحانه وتعالى والتنزه عن جرائمهم وجرائرهم بهدف أن لا يشمل بالسخط معهم ويعمه الغضب والعذاب لأجل الرضا بفعالهم هي قاعدة قرآنية أمر الله سبحانه وتعالى عباده باتباعها وتطبيقها بقوله ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))(4).

وقال سبحانه وتعالى أيضا ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا))(5).

1- المعجم الكبير للطبراني ج 8 ص 186، مسند الشاميين للطبراني ج 1 ص 302، كنز العمال للمتقى الهندي ج 3 ص 83.

2- كنز العمال للمتقى الهندي ج 3 ص 82.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 375، بحار الأنوار للمجلسي ج 71 ص 202.

4- سورة المائدة الآية رقم 51.

5- سورة النساء الآية رقم 144.

وقال سبحانه ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) (1).

وقال سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)) (2).

وتوجد أدلة أخرى تركناها خوف الإطالة والخروج عن حد الاعتدال، وفيما ذكر في هذا المبحث كفاية لمن تدبر.

المبحث الخامس: أمن فروع الدين والولاية والبراءة أم من أصوله؟

هل توجد ضابطة لتمييز أصول الدين من فروعها؟

إشارة

لم نجد فيما تتبعناه ضابطة منطقية أو عقلية منصوصة ومتفقاً عليها يمكن أن يعول عليها في التفريق ما بين أصول الدين وفروعه، اللهم إلا بعض الأمور التي ذكرت هنا وهناك والتي ربما يمكن الرجوع إليها لتحديد المائز ما بين أصول الدين وفروعه، وسنذكر فيما يأتي بعض ما يمكن ان يكون فارقا ومانزا وعليها سنعمل في مسألة تصنيف البراءة والولاية تحت مسائل أصول الدين أو فروعها.

أولاً: الأصول هي الأسس الفكرية العقائدية والفروع هي السلوكيات الشرعية

فقد يكون معنى الأصول هي تلك الأسس الفكرية والعقائدية للدين الإسلامي، فكل الأمور التي ترتبط بعقيدة الإنسان وسلوكه الفكرى تدخل في

1- سورة التوبة الآية رقم 23.

2- سورة الممتحنة الآية رقم 1.

مسائل أصول الدين، أما فروع الدين فهي تلك الأحكام والمسائل التي شُرِّعت لتوجيه سلوك الإنسان العملى والعبادى وتنظيم حياته الفردية والاجتماعية وإرشاده إلى ما فيه خيره وصلاحه.

ثانيا: الأصل هو الذى ان فقد لم يبق للبناء وجود والفرع بعكسه

وقد يكون معنى أصول الدين مأخوذة من أصل البناء والأساس الذى ان فقد لم يبق للبناء وجود، أما الفروع فهي بقية البناء الذى يعتمد فى وجوده على وجود تلك الأصول، فالصلاة بكل أحكامها وتفريعاتها وأفعالها تعتمد على أصل النبوة وكذلك الحال بالنسبة للصيام والحج والعمرة والجهاد وغيره، فلولا وجود النبى والنبوة لما وجد عندنا أمر بالصلاة وغيرها، والذى يستتبع بدوره وجود أحكام ومسائل تشرح وتفصل للمكلف كل ما يتعلق بهذا الأمر الإلهى.

ولنفس الأصول توجد أصول ترجع إليها، فالإمامة مثلا وان كانت أصلا من أصول الدين إلا أنها متفرعة من أصل آخر هو النبوة، وكذلك النبوة وان كانت أصلا من الأصول إلا أنها متفرعة من أصل وجود خالق للكون عادل حكيم، فلولا وجود الله سبحانه لما وجدت النبوة ولولا النبوة لما وجدت الإمامة، ولولا الكل لما وجد المعاد، فيتلخص مما مر ان للفروع أصولاً ترجع إليها كما ان لنفس الأصول أصولاً تتفرع عنها.

ثالثا: الأصول هي التى يستدل على أصل وجودها بالعقل أما الفروع فتثبت بالأدلة الشرعية

وربما اخذ فى أصول الدين قيد ان يكون الدليل الدال على أصل وجودها دليلا عقليا وليس شرعيا، على اعتبار ان الأدلة الشرعية متأخرة فى الرتبة الوجودية عن

الأصول الاعتقادية، فالدليل القرآني أو الروائي متفرع عن أصل النبوة أو الإمامة، فلا يمكن ان يستدل به على إثبات النبوة، أو التوحيد، أو العدل، للزوم الدور في ذلك(1)، فلا بد من اعتماد الأدلة العقلية في إثبات الأصول الاعتقادية، ويكون الاستفادة من الدليل الروائي للتأييد أو لإثبات تفرعات ذلك الأصل، كإثبات كثير من مسائل المعاد، فأصل المعاد وان كان قد دل العقل عليه إلا أن كثيرا من تفرعاته وتفصيلاته ثبتت بالدليل النقلى، كوجود الصراط والميزان والشفاعة وغير ذلك، وثبوتها بالدليل النقلى لا يخرجها عن كونها من مسائل أصول الدين.

أما فروع الدين فغير مأخوذ فيها قيد أن يكون الدليل الدال على ثبوتها دليلا عقليا، وعليه فيمكن أن يثبت الفروع بالدليل العقلى والنقلى القطعى أو الظنى على تفصيل مذكور فى محله.

هل تنطبق الشروط السابقة على مسألة الولاية والبراءة؟

إشارة

يمكن لنا ان نجد ثلاثة معان للولاية والبراءة من حيث سعة أو ضيق ما يندرج تحتها من مصاديق:

الأول: الولاية والبراءة بمعناها العام

وبملاحظة ما تقدم يمكن ان نعدّ مسألة البراءة والولاية بمعناها العام مسألة من مسائل أصول الدين لدخولها فى ضمن أصول الدين المجمع على أصوليتها، فالتوحيد لا يتم ما لم يتبرأ المؤمن من كل شريك لله سبحانه وتعالى فى الوجود أو التصرف أو العبادة،

1- يمكن تصوير الدور بهذه الصورة، فإثبات النبوة متوقف على الدليل الروائي، وإثبات الدليل الروائي متوقف على النبوة، فيتوقف إثبات النبوة على إثبات النبوة، وتوقف الشيء على نفسه دور صريح.

قال سبحانه وتعالى ((أَتَيْنَكُم لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)) (1)، بل ان شهادة التوحيد (أشهد ان لا اله الا الله) هي عبارة عن شقين شق براءة وشق ولاية، ولا يتم هذا الأصل من أصول الدين إلا بهما، فلا تردد حينئذ من دخولهما _ الولاية والبراءة _ في جملة مسائل أصل التوحيد، بل هما جوهر هذا الأصل ولبه، وكذلك أصل النبوة والإمامة والمعاد لا يتم ولا يكتمل الاعتقاد به إلا بتفعيل مسألة الولاية والبراءة.

الثاني والثالث: الولاية بمعناها الخاص والأخص

أما البراءة والولاية بمعناها الخاص القاضى بولاية عموم أولياء الله سبحانه وتعالى والبراءة من عموم أعداء الله سبحانه وتعالى، أو الولاية بمعناها الأخص والقاضى بولاية أولياء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والبراءة من أعدائهم، فإنها وبلا أدنى شك جزء لا يتجزأ من أصلى النبوة والإمامة، وقد وردت أقوال الأعلام رضوان الله تعالى عليهم صحيحة صريحة بان جميع الأصول الاعتقادية لا تتم إلا بالتولى والتبرى، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الصدوق قدس الله روحه: (ولا- يتم الإقرار بالله وبرسوله وبالأنمة إلا- بالبراءة من أعدائهم) (2) وما لا يتم الأصل إلا به فهو أصل أيضا.

الدليل العقلى يثبت ضرورة الاعتقاد بمسألتي الولاية والبراءة

ذكرنا فيما سبق ان أصول الدين مأخوذ فيها قيد ان يكون الدليل الدال على أصل وجودها دليلا عقليا وليس شرعيا، ومسألتي الولاية والبراءة، تدخلان فى ضمن هذا القانون، وقد تقدم فى المبحث الرابع وفى ضمن السبب الرابع من أسباب البراءة

1- سورة الأنعام الآية رقم 19.

2- الاعتقادات فى دين الإمامية للشيخ الصدوق ص 105 _ 107.

من الأمم التي لعنت في فقرات زيارة عاشوراء، أن العقل ومن دون الاعتماد على أى دليل شرعى يستقل بالحكم على لزوم تولى الصالحين والتبرؤ من الطالحين، أو وجوب تولى الحق وأهله، والبراءة من الباطل وأهله، وما دل على وجوب ذلك من الأدلة الشرعية يكون مؤيدا ومنطبقا مع حكم العقل وأدلته.

القرآن صنف الولاية والبراءة من أجزاء الإيمان والإيمان يتعلق بالأصول

تقدم فيما سبق ان إحدى الفوارق التي على أساسها يمكن التمييز بين أصول الدين وفروعه هي ان الأصول عبارة عن تلك الأسس الفكرية والعقائدية للدين الإسلامى، فكل الأمور التي ترتبط بعقيدة الإنسان وسلوكه الفكرى تدخل فى مسائل أصول الدين، والقرآن الكريم فى آياته المباركة جعل الولاية والبراءة جزءاً من أجزاء الإيمان، وبين وبكل وضوح ان الإيمان الذى لا ترافقه البراءة والولاية إيمان ناقص بل إيمان لا يعتد به قال سبحانه وتعالى ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)) (1).

وقال سبحانه وتعالى ((وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)) (2).

الأحاديث الشريفة جعلت الولاية والبراءة من دعائم الإسلام

تقدم ان معنى أصول الدين مأخوذ من أصل البناء والأساس الذى إن فقد لم يبق للبناء وجود، والأحاديث الشريفة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين جعلت مسألة البراءة والولاية من دعائم الإسلام وقرنوها بالشهادة لله سبحانه وتعالى بالوحدانية وللنبي

1- سورة المجادلة الآية رقم 22.

2- سورة المائدة الآية رقم 81.

صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة وللإمامة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالإمامة، فعن عيسى بن السرى قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدثني عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زكى عملى ولم يضرني جهل ما جهلت بعده، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله وحق في الأموال من الزكاة(1)، والولاية التي أمر الله عز وجل بها ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، قال الله عز وجل: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» فكان على عليه السلام، ثم صار من بعده حسن ثم من بعده حسين ثم من بعده على بن الحسين، ثم من بعده محمد بن على، ثم هكذا يكون الأمر، إن الأرض لا تصلح إلا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا قال: وأهوى بيده إلى صدره يقول حينئذ: لقد كنت على أمر حسن(2).

وعن إسماعيل الجعفي قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام عن الدين الذي لا يسع العباد جهله، فقال: الدين واسع ولكن الخوارج ضيقوا على أنفسهم من جهلهم، قلت: جعلت فداك فأحدثك بديني الذي أنا عليه؟ فقال: بلى، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله وأتولاكم وأبرأ من عدوكم ومن ركب رقابكم وتأمركم عليكم وظلمكم حركم، فقال: ما جهلت شيئاً هو والله الذي نحن عليه، قلت: فهل سلم أحد لا يعرف هذا الأمر؟ فقال: لا إلا المستضعفين، قلت من هم؟ قال: نساؤكم وأولادكم(3).

1- لعل المقصود من الزكاة هنا هو أصل الاعتقاد بها لا أدائها الذي هو من الفروع.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 21 باب دعائم الإسلام الحديث رقم 9.

3- المصدر السابق ص 405 باب المستضعف الحديث رقم 6.

قال الشيخ الأنصارى قدس الله روحه بعد ذكر هذا الحديث: (فإن في قوله عليه السلام «ما جهلت شيئاً» دلالة واضحة على عدم اعتبار الزائد في أصل الدين)(1) وكلامه قدس الله روحه صريح في إدراج كل واحد من الأمور التي ذكرت في الرواية في ضمن أصول الدين، والولاية والبراءة منها فيشمليهما حكمه السابق قدس الله روحه.

تصريح جملة من العلماء بكون الولاية والبراءة من مسائل أصول الدين

ويدل على كون البراءة والتولي من مسائل أصول الدين لا فروع إضافة إلى قول الشيخ الأنصارى قدس الله روحه والذي تقدم كلامه آنفاً، ما صرح به العلامة المجلسي قدس الله روحه عند تعليقه على الرواية التالية: (عن الفضيل بن يسار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض أمن الإيمان هو فقال: وهل الإيمان إلا الحب والبغض، ثم تلا هذه الآية ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)) (2).

قال العلامة المجلسي قدس الله روحه : (تبيان: «عن الحب والبغض» أى حب الأئمة عليهم السلام وبغض أعدائهم أو الأعم منهما ومن حب المؤمنين والطاعة، وبغض المخالفين والمعصية، والغرض من السؤال إما استعلام أن الاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام ومحبتهم، والتبري عن أعدائهم هل هما من أجزاء الإيمان وأصول الدين كما هو مذهب الإمامية؟ أو من فروع الدين والواجبات الخارجة عن حقيقة الإيمان كما ذهب إليه المخالفون...) (3).

1- فرائد الأصول للشيخ الأنصارى ج 1 ص 564 عدم اعتبار معرفة التفاصيل في الإسلام والإيمان للأخبار الكثيرة.

2- سورة الحجرات الآية 7.

3- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج 66 - ص 241.

انتهى محل الشاهد من كلامه رفع الله في الجنة مقامه، وفيه ما لا يخفى من جعل مسألتى الولاية والبراءة من مسائل الأصول ونسب القول بأصوليتهما إلى مذهب الإمامية، واعتبر القول بعدّهما من الفروع والواجبات الخارجية هو مذهب العامة المخالفين لمذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد عد الشيخ المفيد قدس الله روحه مسألتى الولاية والبراءة في كتابه (المقنعة) من مسائل أصول الدين، فقد قسم كتابه على شكل أبواب بدأها بالباب الأول وتحت عنوان (ما يجب من الاعتقاد في إثبات المعبود وصفاته) ثم عطف عليه الباب الثاني تحت عنوان (ما يجب من الاعتقاد في أنبياء الله ورسله) وتبعه بالباب الثالث الذى سماه (ما يجب في اعتقاد الإمامة) وتبعة بالباب الرابع الذى وضع له عنوان (ما يجب من ولاية أولياء الله) ثم تبعه بالباب الخامس تحت عنوان (ما يجب من اعتقاد المعاد والجزاء) ثم وبعد ان استوفى الكلام حول الأصول الاعتقادية شرع في الباب السادس وتحت عنوان (ما يجب معرفته والعمل به من شرائع الإسلام) وجعل الكلام فى الباب السابع حول أول تلك التكاليف والأحكام وسماه (فرض الصلاة) وهكذا ترقى فى بحث بقية أحكام الشريعة وأجزاء فروع الدين.

ومحل الشاهد فى ذكر هذا التفصيل هو جعل الشيخ المفيد قدس الله روحه مسألة الولاية أولياء الله والتبرى من أعداء الله بين أصليين من أصول الدين، بين الإمامة والمعاد ولم يذكرهما فى ضمن مسائل فروع الدين أو ما سماه قدس الله روحه بـ (ما يجب معرفته والعمل به من شرائع الإسلام) فلو كان قدس الله روحه يعتقد بدخولهما ضمن فروع الدين لما كان يحسن منه ذكرهما ضمن الأصول الاعتقادية، فيكون ذكرهما فى الأصول دليلاً على عدّه قدس الله روحه واعتقاده بأنهما من مسائل أصول الدين فتأمل.

لماذا عدّ البعض مسألتى الولاية والبراءة من فروع الدين؟

اتضح مما سبق ان الولاية والبراءة فكر وعقيدة قبل أن يكونا فعلاً من أفعال الجوارح، وهما منهج عقلى وفكرى قبل ان يكونا منهجاً عملياً خارجياً، ولعل نظر بعض الأعلام فى تصنيف الولاية والبراءة فى مسائل فروع الدين ناظر إلى ارتباط وانعكاس هاتين المسألتين _ التولى والتبرى _ على أفعال الإنسان الخارجية المحكومة بواحد من الأحكام الخمسة (1)، إذ إن لكل مبدأ فكرى عقائدى تطبيقات خارجية تكون داخلية يقينا تحت حكم من تلك الأحكام الخمسة، فالاعتقاد بالصلاة بكونها أمراً جاء به النبى الأعظم من عند الله سبحانه وتعالى داخل تحت أصل النبوة والتصديق بكل ما جاء به، أما انعكاس هذا الاعتقاد على أفعال الإنسان يستلزم قيام الإنسان المصلى بأفعال وأعمال خارجية كالوضوء والتوجه نحو القبلة والقراءة والركوع والسجود وغير ذلك، ويستلزم كذلك تحصيل بعض الشروط كخلو البدن ولباس المصلى عن النجاسة وغير ذلك، كل هذه الأفعال والمقدمات والشروط الخارجية حينما تتجسد فى الخارج تدخل فى ضمن مسائل فروع الدين، ليحكم على كل واحد منها بأحد الأحكام الخمسة.

فمسألتا الولاية والبراءة ما دامت اعتقاداً يسكن الروح ويقطن فى عقل الإنسان وقلبه أمكن وبلا أدنى شك عدّهما من مسائل أصول الدين، أما حينما تنعكس هاتان المسألتان على سلوك الفرد وأفعاله الخارجية فأنهما تدخلان وبلا أدنى شك فى مسائل فروع الدين وتلحقهما إحدى الأحكام الخمسة.

1- الأحكام الخمسة هى الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة.

المحتويات

نص زيارة عاشوراء. 5

مقدمة اللجنة العلمية. 8

المقدمة. 11

منهجنا فى البحث.. 21

فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زيارة عاشوراء

1: فتوى آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله بخصوص سند الزيارة 25

2: فتوى أخرى مهمة لآية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله. 27

3: فتوى آية الله السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله. 29

4: فتوى أخرى لآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله. 31

5: فتوى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى.. 32

6: فتوى أخرى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى.. 33

7: فتوى لآية الله العظمى السيد الروحانى دام ظله. 34

8: فتوى أخرى لآية الله السيد الروحانى دام ظله. 35

9: السيد الروحاني: قراءة عاشوراء كل يوم لها الأثر البالغ على الجنين.. 36

10: السيد الروحاني: ما ذكر في فضيلة زيارة عاشوراء يحير العقول. 37

11: السيد الروحاني: لا يجوز الصلاة خلف من يقول بان زيارة عاشوراء مزورة 39

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

المبحث الأول: إثبات صحة صدور هذه الفقرة الشريفة. 43

المبحث الثاني: تبيان معنى السلام وفوائده وعلّة بدء الزيارة به. 45

المحور الأول: معنى السلام. 45

1: بمعنى التحية وعلامة من علامات الأمن.. 45

2: بمعنى التسليم والانقياد له في جميع شؤونه. 47

3: بمعنى التذكير بالميثاق والدعاء بتعجيل الفرج والنصر. 47

4: شهادة من الزائر لإمامه بأداء أمر الله وإقامة سنة نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.. 48

المحور الثاني: علّة بدء الزيارة بلفظ السلام على أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه. 49

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام بكنية أبي عبد الله.. 49

المدلول الأول: تعليم الزائر أدب الخطاب مع إمامه. 50

المدلول الثاني: الخطاب بالكنية دليل على حضور المخاطب وحياته. 53

1: آيات القرآن الكريم تتحدث عن أن للأموات شعوراً وحياة وتفاعلاً مع العالم الخارجي.. 55

2: إجماع روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سماع الأموات وحياتهم وفرحهم وحزنهم.. 56

3: روايات أهل السنة في صحاحهم وأسانيدهم وسماعهم لمن يناديهم ويزورهم.. 57

4: علماء السنة يصرحون بحياة الأموات وسماعهم وتعقلهم لما يدور حولهم.. 59

المدلول الثالث: توجيه نظر الزائر إلى مصيبة الطفل الرضيع.. 60

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة 65

المبحث الثاني: لماذا التأكيد على كون الحسين عليه السلام ابن رسول الله قدس الله روحه. 66

جذور هذه المسألة. 68

ليس للنبي صلوات الله وسلامه عليه من قرابة غير بنى أمية. 70

نظرة العباسيين لمسألة القرابة. 71

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا حجر العثرة بوجه ذلك المخطط... 72

محاولات أصحاب السقيفة القضاء على هذه العقبة. 76

استمرار المحاولات على أيدي الأمويين والعباسيين... 77

موقف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هذا المخطط... 80

المبحث الثالث: سر السلام على الحسين بابن رسول الله.. 84

المدلول الأول: تبيان أسباب قتل الأمة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 85

المدلول الثاني: تبيان موجبات زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 86

المدلول الثالث: تبيان الفارق ما بين القاتل والمقتول.. 88

المدلول الرابع: الوقوف بوجه مخطط أصحاب السقيفة وأشياعهم.. 89

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة 93

المبحث الثاني: تبيان السبب الثاني من أسباب واقعة عاشوراء. 95

اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه. 96

ابتزاز هذا اللقب من الإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه. 98

كيف اثر لقب أمير المؤمنين في استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 107

المبحث الثالث: تبيان السبب الثالث من أسباب فاجعة عاشوراء. 115

ابتزاز لقب الوصي من الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه. 116

أدلة أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بقية الأوصياء. 119

الدليل الأول.. 119

الدليل الثاني.. 120

الدليل الثالث... 122

المبحث الرابع: من هم الأوصياء المقصودون في هذه العبارة 125

ملاحظة لا بد منها. 129

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة من الزيارة 132

المبحث الثاني: تبيان السبب الرابع من أسباب فاجعة عاشوراء. 132

الأول: ان اسمها المقدس ووجودها صلوات الله وسلامه عليهما مذكور بالنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.. 133

الثاني: ان اسمها المقدس كان على الدوام يذكر الأمة بأعظم رزية ومصيبة. 136

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام الحسين بابن سيدة النساء. 139

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ وَالْوَتَرَ الْمُؤْتُونَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 145

المبحث الثاني: معنى كون الحسين عليه السلام ثار الله.. 146

المعنى الأول: قد يطلق الثار على الدم. 147

المعنى الثاني: وقد يطلق الثار على الطلب بالدم. 150

المعنى الثالث: وقد يطلق الثار على الثائر الذى لا يبقى شيئاً حتى يأخذ بثاره. 151

المبحث الثالث: معنى كون الإمام الحسين عليه السلام ابن ثار الله.. 153

المبحث الرابع: الدعاء لفرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يعجل بأخذ ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 156

المبحث الخامس: معنى وصف الحسين عليه السلام بالوتر الموتور. 159

المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد فى الكمال.. 159

المعنى الثاني: وقد يطلق الموتور على من قُتِلَ حميمُهُ وأُفِرِد. 163

المعنى الثالث: وقد يطلق الموتور على من قتل له قتيلاً ولم يدرك بدمه. 164

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَزْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة 169

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذا المقطع من الزيارة 173

أولاً: السَّلَامُ عَلَيْكَ..... 173

ثانياً: وَعَلَى الْأَزْوَاحِ... 173

1: الإنسان.. 174

2: الملائكة. 175

3: الجن.. 176

ثالثا: الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ..... 176

رابعا: وأناخت برحلك..... 177

المبحث الثالث: فضل السلام وفوائده تكراره 178

الفائدة الأولى: السلام سبب من أسباب المغفرة. 179

الفائدة الثانية: السلام سبب لكثرة خير بيت المسلم.. 180

الفائدة الثالثة: وفي السلام الكثير من الحسنات... 180

الفائدة الرابعة: ان المسلم يحظى برد من الملائكة. 180

الفائدة الخامسة: المسلم يحظى بالرد من قبل إمامه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه. 180

الفائدة السادسة: فى السلام تكامل لروح الزائر المسلم.. 181

المبحث الرابع: المقصود من الأرواح التي ورد ذكرها فى هذه الفقرة 182

الأرواح التي حلت بفناء قبر الإمام أبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 183

الأرواح التي أناخت بقبر الإمام أبى عبد الله الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليه. 191

عَلَيْكُمْ مِّنِّي جَمِيعاً سَلَامٌ لِلَّهِ أَبَدًا مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة 195

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة 196

1: عليكم منى جميعا. 197

2: سلام الله... 197

3: أبدا ما بقيت وبقي الليل والنهار.. 198

أولاً: السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى... 202

المعنى الأول.. 202

المعنى الثاني.. 203

ثانياً: مراتب إفاضة السلامة على سائر البشر.. 203

ثالثاً: سلام الله سبحانه مرافق لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في جميع العوالم.. 206

ألف: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأشباح والأنوار. 206

باء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الطينة. 210

جيم: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأظلة. 214

دال: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الذر. 218

هاء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأصلاب... 222

رابعاً: فائدة الخوض في مثل هذا البحث... 226

ألف: ان معرفة الله حق معرفته متوقف على معرفة الأئمة حق معرفتهم.. 228

باء: ان معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجب مضاعفة الحسنات... 233

جيم: ان دخول الجنة متوقف على المعرفة وازديادها يوجب الترقى في درجاتها 235

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ

وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة 241

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 243

1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ... 243

2: لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ. 243

4: بِكَ عَلَيْنَا. 246

5: وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. 247

المبحث الثالث: أهل الإسلام ومراتب تحقق وصفهم بالإسلام. 248

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام الظاهري... 248

المرتبة الثانية: مرتبة الإسلام بشرط الولاية. 250

المرتبة الثالثة: مرتبة إسلام الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 255

مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتأثيرها في هذه المراتب الثلاث... 257

الشاهد الأول.. 258

الشاهد الثاني.. 259

المبحث الرابع: شواهد روائية تعكس عظم ما وقع في عاشوراء. 266

وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

المبحث الأول: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة. 275

1: وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ 275

2: عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ 278

المبحث الثاني: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام. 279

أولاً: تصريح السيدة زينب بكاء السماء دما يوم عاشوراء. 279

ثانياً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب الإمامية. 282

ثالثاً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب أهل السنة. 284

رابعاً: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما سبق؟.. 288

المبحث الثالث: هل يمكن أن تبكى الحيوانات والجمادات؟. 291

أولاً: شواهد قرآنية على ان لكل الموجودات عقلاً وإدراكاً. 291

إذا كان للحيوان وغيره من الموجودات عقل وإدراك، فلماذا لم يكلف بالأحكام الشرعية؟. 295

ثانياً: ماذا يقول الحلبي في معاجز النبي وكراماته. 298

ثالثاً: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة. 305

رابعاً: كسفت الشمس وأظلمت المدينة حين أرادوا نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. 307

خامساً: أظلمت المدينة من جريمة عبید الله بن عمر بن الخطاب.... 309

فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 313

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 315

1: فَلَعَنَ اللَّهُ. 315

2: أُمَّةً. 316

3: أَسَّسَتْ أَسَاسَ.... 320

4: الظُّلْمِ.. 321

5: وَالْجَوْرِ.. 321

6: أَهْلَ الْبَيْتِ.... 322

المبحث الثالث: ماذا يمكن ان يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة 324

المبحث الرابع: دلالة اللعن في المصطلح القرآني.. 328

المبحث الخامس: جزاء من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة. 333

المبحث السادس: لا عبرة بالأكثرية والحق هو المدار. 337

المبحث السابع: الإمام الحسين عليه السلام ميزان حساب الأمم. 341

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين موازين رضا الله وغضبه. 341

أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ميزان أولاد الحلال وميزان الإيمان والنفاق... 343

الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ميزان غضب الله سبحانه ورضاه. 346

الحسين صلوات الله وسلامه عليه ميزان حساب الأمم يوم القيامة. 348

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ

وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة المباركة. 353

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة المباركة. 355

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ.. 355

2: عَنْ مَقَامِكُمْ.. 357

3: وَأَزَالَتْكُمْ.. 358

4: عَنْ مَرَاتِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا. 359

المبحث الثالث: تبيان بعض مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام. 360

المرتبة الأولى: مرتبة الاصطفاء على جميع العالمين... 362

ألف: اصطفاء الإنسان على بقية موجودات الأرض.... 363

باء: اصطفاء الأكمل من بين أفراد الإنسان.. 363

جيم: اصطفاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الأنبياء والرسل.. 364

دال: اصطفاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. 365

هاء: اصطفاء الله سبحانه من أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالأكمل.. 366

- واو: علة اصطفاء الله سبحانه لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. 367
- المرتبة الثانية: مرتبة الوصاية والخلافة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.. 369
- ألف: الوصاية خاضعة لقانون تقديم الأفضل على الفاضل.. 369
- باء: استمرار النبوة في ذرية نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه. 369
- جيم: وصاية نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم.. 370
- دال: حتمية وصاية الإمام على صلوات الله وسلامه عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. 371
- هاء: حتمية وصاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعد الإمام على صلوات الله وسلامه عليه. 375
- المرتبة الثالثة: مرتبة تربية الأمة عقائدياً وتزكيتهم روحياً. 376
- من سعادة هذه الأمة ان كان مربيها ومعلمها محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. 377
- شروط ومؤهلات المتصدى لتربية الأمة. 378
- هذه الشروط لا تتوفر بعد النبي إلا في أمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه. 378
- حديث (أنا مدينة العلم وعلى بابها) يشهد بذلك.... 380
- صعوبة القيام بمهمة التربية وحساسيتها 382
- المبحث الرابع: بسبب دفع أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مراتبهم. 385
- محق الدين وتحريف الأحكام. 385
- هل في هذه الحقيقة افتراء على الصحابة؟.. 386
- الشاهد الأول: انس بن مالك يعترف بأنه لم يبق من الدين شيئاً حتى الصلاة. 387
- الشاهد الثاني: أبو الدرداء يغضب لعدم بقاء شيء من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. 388
- الشاهد الثالث: سهيل بن مالك يعترف أيضاً 388
- الشاهد الرابع: البراء بن عازب يعترف بان الصحابة أحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. 389

الشاهد الخامس: عبد الله بن عباس يصرح بأن القوم تركوا السنة بغضا لعلی.. 389

الشاهد السادس: عثمان بن عفان یکتّم أحادیث النبی خوف أن یتفرق الناس عنه. 389

لماذا تراجعت الأمة هذا التراجع الخطير والسريع؟.. 390

المبحث الخامس: سبب مسارعة الأمة إلى دفع أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم ومنازلهم. 392

حياة النبی صلی الله علیه وآله وسلم زهد وعفة وصلاح... 392

الفقر عنوان حب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.. 393

تفاعل المسلمين مع نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن بشكل مؤقت.... 395

انقلاب الصحابة على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزوة تبوك أعظم دليل... 396

سبب غزوة تبوك وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس على الالتحاق بالجيش..... 397

كيف استجاب الصحابة لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالالتحاق بجيش تبوك..... 398

من هم المعبر عنهم بلفظ الناس فى القسم الثانى... 400

القسم الثالث: العاصون لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة. 401

أفعال يستنكرها الدين ويندى لها جبين الأحرار من أهل الإيمان.. 402

نتائج مهمة نختم بها هذا المبحث... 404

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ

المبحث الأول: إثبات الصدور لهذه الفقرة الشريفة. 413

المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه العبارة الشريفة. 416

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً. 416

2: قَتَلَتْكُمْ.. 416

المبحث الثالث: اللعن يتعدد بتعدد السبب الموجب له. 417

المبحث الرابع: هل يمكن أن تكون لأبدان أهل البيت عليهم السلام قابلية البقاء والخلود. 419

أولاً: لعدم وجود مانع عقلى من ذلك..... 419

ثانياً: وجود المقتضى لذلك..... 420

المرجح الأول: لإظهار فضلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واختصاصهم وتقديمهم على كل البشر. 420

المرجح الثانى: لمعاصرة أكبر عدد من المكلفين لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. 421

ثالثا: وجود الروايات الدالة على وقوع ذلك.... 424

ألف: روايات الطينة تدل على ذلك.... 425

باء: حديث أبي مويهبة من كتب أهل السنة يدل على ذلك أيضا 426

جيم: حديث عائشة من مصادر أهل السنة يدل على ذلك أيضا 428

فائدة الخوض في هذا البحث.... 428

الفائدة الأولى: تضع توضيحا شافيا لطول عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه. 431

الفائدة الثانية: لتبيان الجريمة النكراء التي حالت دون التمتع بوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. 432

المبحث الخامس: أدلة إثبات قتل الأمة لأهل البيت عليهم السلام. 433

الأدلة على قتل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده. 433

الدليل الأول: قابلية بدنه الشريف للخلود والبقاء الوجودى تدل على ذلك.... 434

الدليل الثانى: تسالم قتله فى مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. 434

الدليل الثالث: روايات أهل السنة تشهد بقتله صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده. 435

من الذى قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. 436

الأدلة على قتل السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها. 437

الدليل الأول: قابلية بدنها الشريف للخلود والبقاء الوجودى يدل على ذلك.... 438

الدليل الثانى: قصر عمرها يدل على ذلك.... 438

الدليل الثالث: النصوص التاريخية والروائية تدل على ذلك أيضا 440

المبحث السادس: أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت عليهم السلام. 444

الدليل الأول: القاتل للنفس المؤمنة كافر والكافر يجوز لعنه إجماعا. 444

الدليل الثانى: إن قتل أهل البيت إفساد فى الأرض والمفسد فى الأرض ملعون.. 446

الدليل الثالث: فى قتلهم نقض للعهد وقطعا لما أمر الله به أن يوصل... 448

الدليل الرابع: ان فى قتلهم إيذاء للنبي ومؤذى للنبي ملعون.. 451

الدليل الخامس: فى قتل أهل البيت إيذاء للمؤمنين ومؤذيههم ملعون.. 454

الدليل السادس: فى قتل أهل البيت قطع للأرحام وحكم بغير ما انزل الله... 456

وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 461

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 464

1: وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ... 464

2: لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ... 465

3: مِنْ قِتَالِكُمْ... 466

المبحث الثالث: امتداد التمهيد لقتل أهل البيت جيلا بعد جيل.. 468

اجتماع السقيفة ليس أول إجتماع لغصب الخلافة. 469

فاطمة ومحسنها صلوات الله وسلامه عليهما أول ضحايا تمهيد يوم السقيفة. 472

التمهيد لعمر بن الخطاب ومن بعده لأبي عبيدة بن الجراح... 477

تبدل المخطط السابق وظهور عثمان بن عفان على الساحة. 481

الشورى مخطط لإيصال آل أمية وإقصاء آل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 484

لماذا شارك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذه الخدعة وهو يعلم بنتائجها؟.. 488

محاولة انتزاع الإمارة من آل أمية وإرجاعها للمهاجرين مرة أخرى... 490

دور معاوية بن أبي سفيان في مقتل عثمان بن عفان.. 495

دور الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في هذا الصراع.. 497

رجوع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 498

أسباب إشعال الفتنة ونار الحرب بوجه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه. 501

عائشة بنت أبي بكر تقود تمرد الناكثين... 504

القاسطون والمارقون امتداد لمسلسل التمهيد لقتلة أهل البيت.... 509

بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 519

المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحى لهذه الفقرة الشريفة. 521

1: بَرِئْتُ.... 521

2: إِلَى اللَّهِ. 523

3: وَإِلَيْكُمْ.. 525

4: مِنْهُمْ.. 525

المبحث الثالث: تسعة معانٍ محتملة لهذه الفقرة الشريفة. 527

المبحث الرابع: فى علة التبرؤ من هذه الأمم السالفة الذكر. 534

السبب الأول: لخياتتهم والخائن يجوز نقض عهده والتبرؤ منه. 534

السبب الثانى : وجب التبرؤ منهم لان الله سبحانه وتعالى قد تبرأ منهم.. 535

السبب الثالث: وجبت البراءة لتبرؤ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم.. 537

السبب الرابع: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآنى أو روائى... 538

السبب الخامس: تجب البراءة لأنهم نواصب.... 539

السبب السادس: تجب البراءة منهم حتى لا يشاركهم فى أفعالهم.. 542

المبحث الخامس: أمن فروع الدين الولاية والبراءة أم من أصوله؟. 544

هل توجد ضابطة لتمييز أصول الدين من فروعهم؟.. 544

أولاً: الأصول هى الأسس الفكرية العقائدية والفروع هى السلوكيات الشرعية. 544

ثانياً: الأصل هو الذى ان فقد لم يبق للبناء وجود والفرع بعكسه. 545

ثالثاً: الأصول هى التى يستدل على أصل وجودها بالعقل أما الفروع فتثبت بالأدلة الشرعية. 545

هل تنطبق الشروط السابقة على مسألة الولاية والبراءة؟.. 546

الأول: الولاية والبراءة بمعناها العام. 546

الثاني والثالث: الولاية بمعناها الخاص والأخص.... 547

الدليل العقلي يثبت ضرورة الاعتقاد بمسألتى الولاية والبراءة. 548

القرآن صنّف الولاية والبراءة من أجزاء الإيمان والإيمان يتعلق بالأصول.. 548

الأحاديث الشريفة جعلت الولاية والبراءة من دعائم الإسلام. 549

تصريح جملة من العلماء بكون الولاية والبراءة من مسائل أصول الدين... 551

لماذا عدّ البعض مسألتى الولاية والبراءة من فروع الدين؟.. 553

الجزء الثاني

إشارة

ص: 1

بسم الله الرحمن الرحيم

تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء

الشيخ وسام برهان البلداوى

الجزء الثانى

إصدار وحدة الدراسات التخصصية فى الإمام الحسين عليه السلام

فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

ص: 4

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1434هـ _ 2013م

العراق: كربلاء المقدسة _ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية _ هاتف: 326499

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَاتَّبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَمِنْ

2: أَشْيَاعِهِمْ

3: وَاتَّبَاعِهِمْ

4: وَأَوْلِيَائِهِمْ

المبحث الثالث: في أدلة البراءة ممن ذكر في هذه الفقرة

الدليل الأول: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآني أو روائي

الدليل الثاني: من يقف مع أعداء أولياء الله فقد حارب الله

الدليل الثالث: كل إنسان مع من يهوى ويشابهه ويوالي

الدليل الرابع: من كثر سواد قوم كان منهم حتى وان لم يرض بأفعالهم

وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَانِهِمْ

إشارة

وفى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي من الكلام.

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

تقدم فى الفقرة السابقة ان عبارة (بَرِّتْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَانِهِمْ) متوافقة مع النصوص الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكذلك متوافقة مع المجمع عليه من اعتقاد للفرقة الناجية، فلا نزيد عما تقدم طلبا للاختصار.

المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة

1: وَمِنْ

الواو عاطفة وما بعدها معطوف على الفقرة السابقة التى تقدم شرحها، والمعنى برئت إلى الله واليكم منهم وبرئت إلى الله واليكم من أشياعهم، وبرئت إلى

الله واليكم من أوليائهم، وحرف الجر (مِنْ) قد تبينت معانيه قبل في شرح الفقرة السابقة فلا نعيد.

2: أَشْيَاعِهِمْ

ضمير الجمع في (أَشْيَاعِهِمْ) راجع إلى الذين تم لعنهم في فقرات الزيارة السابقة وهم كل من (أُمَّةٌ أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ... أُمَّةٌ دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ... أُمَّةٌ قَتَلَتْكُمْ... المُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمَكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ) ولفظ (أَشْيَاع) مأخوذ من الشيعة التي تجمع على (شيع) وتكون (أشباع) جمع الجمع كما قاله ابن منظور في لسان العرب (1).

وقد استعمل لفظ (أَشْيَاع) في معانٍ عدة نختار منها ما يتناسب والمقام:

ألف: ما قاله الفراهيدي في كتابه العين: (والشيعة: قوم يتشيعون أى: يهونون أهواء قوم ويتابعونهم. وشيعة الرجل: أصحابه وأتباعه. وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وأصنافهم: شيع) (2).

باء: وقد يطلق على الأعوان والأنصار قال صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة: (والشيعة الأعوان والأنصار) (3).

جيم: وقد يطلق على من يقوى شخصاً آخر، قال ابن منظور: (ويقال: فلان يشيعه على ذلك أى يقويه، ومنه تشيع النار بإلقاء الحطب عليها يقويها) (4) وهو

1- لسان العرب لابن منظور ج 8 ص 188 فصل الشين المعجمة.

2- باب العين والشين و (واى) معهما.

3- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس زكريا ج 3 ص 235.

4- لسان العرب لابن منظور ج 8 ص 189 فصل الشين المعجمة.

نفس ما قصده صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة بقوله: (شيع: الشين والياء والعين أصلان يدل أحدهما على معاضدة ومساعدة...) (1).

دال: وأطلق على الأشباه والنظائر والأمثال، ومنه قوله سبحانه وتعالى ((وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِيْنَهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ)) (2)، قال ابن منظور: (أى بأمثالهم من الأمم الماضية ومن كان مذهبه مذهبهم) (3) ومنها قوله سبحانه وتعالى: ((وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ)) (4) قال الشيخ الطبرسى: (أى أشباهكم ونظائرهم فى الكفر من الأمم الماضية) (5).

فيصبح معنى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة هو: (برئت بكل ما تحمل البراءة من معنى إلى الله سبحانه وتعالى وإلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أمة أسست أساس الظلم والجور عليهم، ومن أمة دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم، وبرئت من أمة قتلتهم، ومن الممهدين لهم بالتمكين من قتالهم، وبرئت إلى الله سبحانه وتعالى وإلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من كل من يهوى أهواء أولئك المؤسسين والدافعين والقاتلين والممهدين ويتابعهم على أفعالهم، ومن أعوانهم وأنصارهم، وممن قواهم على جرائمهم وعاضدهم على جرائمهم التى ارتكبوها بحق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بل بحق الإسلام والدين، ومن أشباههم ونظائرهم وأمثالهم لان جميع هؤلاء يشملهم لفظ الأشياء).

1- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس زكريا ج 3 ص 235.

2- سورة سبأ الآية رقم 54.

3- لسان العرب لابن منظور ج 8 ص 189 فصل الشين المعجمة.

4- سورة القمر الآية رقم 51.

5- تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسى ج 9 ص 324.

3: وَأَتْبَاعِهِمْ

الواو هنا عاطفة وما بعدها يعود على نفس ما عادت عليه الجملة السابقة، وضمير الجمع هنا يعود كذلك إلى ما عادت عليه الجملة السابقة، ومعنى (أَتْبَاع) جمع تابع وهو مشتق من صفة (الإتباع) وقد ورد لها في كتب اللغة معانٍ متعددة نختار منها ما يكون محتمل المراد من قبل الإمام صلوات الله وسلامه عليه:

ألف: أطلق على من يقفوا أثر غيره بالجسم أو الرسم أو الائتمار أو الفعل، قال الراغب الأصفهاني: (تبع: يقال تبعه وأتبعه قفا أثره وذلك تارة بالارتسام والائتمار وعلى ذلك قوله ((فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (1)... (2) وقال ابن منظور في لسان العرب: (تبع: تبع الشيء تبعا وتباعا في الأفعال) (3).

باء: وأطلق على الذى يتابع غيره على هواه، قال الفراهيدى: (والمتابعة أن تتبعه هواك وقلبك. تقول: هؤلاء تبع وأتباع، أى: متبعوك ومتابعوك على هواك) (4).

جيم: وأطلق على النصير، قال الزبيدى فى تاج العروس: (والتبيع كأمير: الناصر تقول: وجدت على فلان تبعا، أى نصيرا متابعا) (5).

دال: ويطلق على الذى يتقن ويبالغ فى إحكام فعله أو فعل غيره، قال ابن سلام: (يقال للرجل إذا أتقن الشيء وأحكمه قد تابع عمله) (6) وقال الزبيدى: (تابع

1- سورة البقرة الآية رقم 38.

2- مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 72 كتاب التاء وما يتصل بها، قال الألوسى فى تفسيره ج 11 ص 181: (قال الراغب: يقال تبعه وأتبعه إذا قفا أثره إما بالجسم أو بالارتسام والائتمار).

3- لسان العرب لابن منظور ج 8 ص 27 فصل التاء.

4- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 2 ص 78 باب العين والتاء والباء معهما.

5- تاج العروس للزبيدى ج 11 ص 38 مادة تبع.

6- غريب الحديث لابن سلام ج 4 ص 172.

فلان عمله وكلامه، إذا أتقنه وأحكمه وكل محكم مبالغ في الإحكام متابع(1).

هاء: وأطلق على الملوك الذين يتبع بعضهم سيرة بعض ويقتفى بعضهم اثر البعض الآخر، ومنه سمي بعض الملوك بالتبابعة، قال ابن منظور: (والتبابعة: ملوك اليمن، واحدهم تبع، سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته، وزادوا الهاء في التبابعة لإرادة النسب(2).

فيصبح معنى (وَأَتَّبَاعِهِمْ) بحسب ما تقدم هو: (برئت إلى الله وإلى أهل البيت ممن اقتفى آثار أولئك المؤسسين والدفاعيين والمزيلين والقاتلين والممهدين لقتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بجسمه أو رسمه، وممن ائتمر بأقوالهم ووافق فعله أفعالهم، وبرئت ممن تابع هواه هواهم فأحب ما أحبوه ووافقهم بقلبه على ما اقترفوه من جرائم وجرائم ضد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبرئت ممن ناصرهم وشاركهم على تأسيس الظلم، وممن أتقن لهم أفعالهم واحكم لهم صنيعهم وثبتهم بحيث مكنهم من قتل أهل البيت والتمهيد لقتلهم، وبرئت من الملوك الذين ملكوا من بعدهم وكانت سيرتهم مشابهة لسيرة أولئك المؤسسين والقاتلين والممهدين لظلم وإقصاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

4: وَأَوْلِيَاءِهِمْ

معنى الواو وضمير الجمع قد تبين سابقا، ولفظ (أَوْلِيَاءٍ) جمع (ولى)، والولى فى اللغة قد أطلق على معانٍ عدة نختار منها ما يكون محتمل المراد للإمام صلوات الله وسلامه عليه، فمنها:

ألف: قد يطلق على كل قريب سواء كان ذلك القرب قريبا نسبيا أو سببيا أو

1- تاج العروس للزبيدي ج 11 ص 41 مادة تبع.

2- لسان العرب لابن منظور ج 8 ص 31 فصل التاء.

غير ذلك من أنواع القرب، قال صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة: (ولى: الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب. من ذلك الولي: القرب. يقال: تباعد بعد ولي، أى قرب. وجلس مما يلينى، أى يقاربني)(1).

باء: وقد يطلق على المتولى للأمر القائم بها، لذلك سمي الله سبحانه وتعالى بالولي بمعنى المتولى لأمر هذا العالم والمتصرف والقائم بها، قال ابن منظور: (ولى: فى أسماء الله تعالى... المتولى لأمر العالم والخلائق القائم بها)(2) وقال صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة: (وكل من ولي أمر آخر فهو وليه)(3).

جيم: وقد أطلق على كل من يعبد شيئاً من دون الله سبحانه وتعالى، والعبادة كما لا يخفى بمعنى الطاعة، فيكون كل من أطاع وائتمر بغير أمر الله فهو ولي لذلك الأمر والمطاع، لذلك سمي الذين يطيعون الشيطان من دون الله بأولياء الشيطان، قال ابن منظور: (وقوله عز وجل: ((فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)))(4) قال ثعلب: كل من عبد شيئاً من دون الله فقد اتخذهُ ولياً)(5).

دال: وقد يطلق الولي على ضد العدو، فكل من يحب الخير لوليه ويخلص له بالمودعة فهو ولي، قال الجوهري: (والولي: ضد العدو)(6) وقال أبو هلال العسكري: (ويجوز أن يقال معنى الولي أنه يحب الخير لوليه كما أن معنى العدو أنه يريد الضرر لعدوه)(7)، وقال أيضاً فى الفرق بين الولي والنصير: (أن الولاية قد تكون بإخلاص

-
- 1- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس زكريا ج 6 ص 141.
 - 2- لسان العرب لابن منظور ج 15 ص 406 فصل الواو.
 - 3- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس زكريا ج 6 ص 141.
 - 4- سورة مريم الآية رقم 45.
 - 5- لسان العرب لابن منظور ج 15 ص 411 فصل الواو.
 - 6- الصحاح للجوهري ج 6 ص 2529 فصل الواو.
 - 7- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري ص 577 __ 578 الفرق بين الولي والمولى.

المودة، والنصرة تكون بالمعونة والتقوية وقد لا تمكن النصره مع حصول الولاية فالفرق بينهما بين(1).

فيصبح معنى (وَأَوْلِيَاءِهِمْ) هو: (برئت إلى الله سبحانه وتعالى وإلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من مقربى أولئك المؤسسين والدفاعيين والمزليين والقاتلين والممهدين لقتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والذين تولوا أمورهم وقاموا بأعمالهم وأطاعوهم واتمروا بأمرهم من دون الله سبحانه وتعالى وأحبوا لهم الخير وأخلصوا لهم بالمودة دون أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

المبحث الثالث: فى أدلة البراءة ممن ذكر فى هذه الفقرة

إشارة

لا يوجد فى كل فقرات زيارة عاشوراء كما رأينا أى خروج عن قواعد الدين وأسس الشريعة ومتبنيات مذهب الحق الذى أسس أركانه وأرسى قواعده النبى الأعظم وأئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فحينما تلعن زيارة عاشوراء قوما أو جماعة أو فردا لابد وأن لهذا اللعن مبررا شرعيا ومجوزا عقليا، وأساسا من القرآن والسنة النبوية، وقد أثبتنا ذلك من قبل، وكذلك الحال هنا، وفيما يأتى جملة من الأدلة التى يمكن الاستفادة منها لإيضاح بعض الأسس التى أطلق على أساسها حكم البراءة من هؤلاء الأشياع والأتباع والأولياء.

الدليل الأول: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآنى أو روائى

ذكرنا فيما سبق ان كلاً من الحسن والقبح عقليان، وان العقل يحكم وبغض النظر عن رأى الشرع ونصوصه على حسن الصدق وقبح الكذب وحسن رد الوديعه وقبح خيانة الأمانة وغيرها، وذكرنا سابقا من كابر فى قبول ذلك فقد أنكر عقله

1- المصدر السابق ص 578 الفرق بين الولي والنصير.

وغالط فطرته السليمة.

وبناء على هذا المبدأ العقلي فإنه يقبح بالمؤمن أن يشايح أولئك المؤسسين والدفاعيين وقتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بان يهوى أهواءهم، ويعينهم وينصرهم على باطلهم وظلمهم، ويقويهم ليتمكنوا من دفع أهل الحق عن حقهم، ويتبعهم فيشابههم في أفعالهم وأقوالهم ويجعلهم قدوة له يقفو آثارهم ويضع نفسه في سلسلة أتباعهم، وكذلك يقبح على المؤمن أن يتولاهم ويتولى أمورهم ويحب لهم الخير؛ لان حب الخير لأهل الظلم والفساد قبيح عقلا، وكذلك يقبح ان يخلص المؤمن بالمودعة لهم، لان في مودة الأشرار إعلاناً للعداوة مع الأخيار، وكل ذلك قبيح يجب على المؤمن التنزه عنه والترفع والبراءة منه ومن لا يراه قبيحا فهو مسلوب العقل مقلوب الفطرة لا يصح أن يدخل في سلك الأصحاء المتزنين والحجر بحاله أولى.

الدليل الثاني: من يقف مع أعداء أولياء الله فقد حارب الله سبحانه وتعالى

اثبت الله سبحانه وتعالى في آيات القرآن الكريم ان له حزباً يدخل فيه أولياؤه وأحباؤه ومن اصطفاهم وكرمهم، ومن يتولاهم وينصرهم ويشايحهم ويتابعهم ويواليهم، فسامهم سبحانه وتعالى بحزبه ووصفهم بالغلبة تارة والفلاح تارة أخرى فقال سبحانه وتعالى: ((وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)) (1) وقال أيضا: ((أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (2)، ولا يشك مسلم من الفريقين: في ان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم من ضمن أفراد هذا الحزب المشمولين بتلك الأوصاف المتقدمة.

وكذلك أثبتت الآيات القرآنية ان هنالك جماعة ثانية أطلق عليها القرآن لقب

1- سورة المائدة الآية رقم 56.

2- سورة المجادلة الآية رقم 22.

حزب الشيطان قال تعالى: ((أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ))⁽¹⁾، وحزب الشيطان يضم كل من لم يدخل ضمن حزب الله سبحانه وتعالى وأشياعهم وأتباعهم وأوليائهم، وذلك لعدم وجود طرف ثالث فمن لم يكن مع الله سبحانه وتعالى كان مع الشيطان ومن لم يجد موطناً قدم في صفوف حزب الله، فانه لا يجد مكاناً في الكون يسعه سوى صف الشيطان وحزبه.

ولان اجتماع القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والمعتدى والمعتدى عليه في حزب واحد يعد جمعا للضدين وهو محال عقلاً، وإذا ثبت أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين داخلون بالإجماع في حزب الله فيكون خروج المؤسسين والدفاعيين والقاتلين والممهدين لقتلهم يقينياً أيضاً، فإذا خرجوا من حزب الله سبحانه دخلوا وبلا شك في حزب الشيطان، وإذا دخلوا في حزب إبليس دخل معهم أشياعهم وأتباعهم وأولياؤهم، لما سيأتى من ان كل إنسان يحشر على هواه وهو مع من يتولاه فان تولى الله وحزبه فهو معهم وان تولى الشيطان وحزبه كان منهم.

فإذا كان الأتباع والأشياع والأولياء من حزب الشيطان وجبت البراءة منهم كما وجبت البراءة من أسيادهم، لوجود الأمر الإلهي الصريح بعدم اتباع خطوات الشيطان وعدم موالاته ومودة من يدخل في حزبه ويحاد الله ورسوله ولو كان ذا رحم وقربى قال سبحانه وتعالى ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))⁽²⁾.

1- سورة المجادلة الآية رقم 19.

2- سورة المجادلة الآية رقم 22.

الدليل الثالث: كل إنسان مع من يهوى ويشابه ويوالى

الأعمال فى منظومة التشريع الإسلامى على قسمين، فمنها ظاهرى كالحركات التى يقوم بها الإنسان المصلى من الركوع والسجود والجلوس والقيام، ومنها ما هو قلبى باطنى لا سبيل للعباد بالاطلاع عليه ومعرفته، كالنيات والأفكار والخواطر وغير ذلك.

والتعويل فى القيامة وعند الحساب هو على الأعمال القلبية الباطنية، فان كان باطنه موافقا لباطن أهل الإيمان قبلت أفعاله الظاهرية بلا أدنى شك، وان كان باطنه موافقا لباطن أهل الريب والكفر والانحراف والظلم عد من زمرتهم وحشر فى ضمنهم وادخل فى جهنم بين صفوفهم، حتى وان كانت أفعاله الظاهرية مشابهة لأفعال أهل الحق وأصحاب الإيمان، بدليل ان المنافقين الذين على عهد النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا من حيث الظاهر متمسكين بالعبادات الظاهرية من الصلاة والحج وحتى الجهاد، لكن بواطنهم كانت منطوية على الكفر والنفاق ومعصية الله سبحانه وتعالى والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لذلك يحشرون يوم القيامة فى سلك الكافرين ويوزنون بميزان أهل الباطل والشك والريب ولا يعتنى بجميع أفعالهم الظاهرية حتى وان كانت قد وقعت على وفق الميزان الشرعى، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة نختار منها الآتى:

عن الطبرانى عن جابر قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نفس تحشر على هواها فمن هوى الكفر هو مع الكفرة ولا ينفعه عمله شيئا)(1).

وعن ابن عمر قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تشبه بقوم فهو منهم)(2).

وعن حذيفة يعنى ابن اليمان قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

1- المعجم الأوسط للطبرانى ج9 ص13، والجامع الصغير لجلال الدين السيوطى ج2 ص288 باب الكاف تحت رقم 363.

2- سنن أبى داود لابن الأشعث السجستانى ج2 ص255 باب لبس الصوف والشعر،

تشبه بقوم فهو منهم(1).

وعن ابن مسعود قال: (من رضى عمل قوم كان منهم)(2).

وعن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (المرء مع من أحب)(3).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أنت مع من أحببت)(4) وعن جابر قال سمعت رسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (العبد مع من أحب)(5).

وعن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من أحب عمل قوم خيرا كان أو شرا كان كمن عمله)(6).

وعن أبي بكرة قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أهان سلطان الله أهانه الله ومن أكرم سلطان الله أكرمه الله من أحب عمل قوم خيرا كان أو شرا كان كمن عمله)(7).

وكذلك اجتمعت كلمة المخالف والموافق على صحة مضمون تلك الأحاديث وقد أشبعت من قبلهم بحثا وتنظيرا فعلى سبيل المثال لا الحصر نستعرض لكلمات جملة من أقوال المخالفين لتكون الحجة ابلغ:

1- مجمع الزوائد للهيثمى ج 10 ص 271.

2- سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الكحلاني ج 4 ص 175 الحث على الدعاء والتوجه الى الله فى كل المطالب.

3- مسند احمد بن حنبل ج 1 ص 392 مسند عبد الله بن مسعود.

4- المصدر السابق ج 3 ص 110 مسند انس بن مالك.

5- المصدر السابق ص 336.

6- مسند الشهاب لابن سلامة ج 1 ص 259.

7- مسند الشهاب لابن سلامة ج 1 ص 259.

قال العظيم آبادى فى كتابه عون المعبود: (الرابعة «من تشبه بقوم» قال المناوى والعلقى: أى تزيافى ظاهره بزيهم، وسار بسيرتهم وهديهم فى ملبسهم وبعض أفعالهم. وقال القارى: أى من شبه نفسه بالكفار مثلاً فى اللباس وغيره، أو بالفساق أو الفجار أو بأهل التصوف والصلحاء الأبرار «فهو منهم») أى فى الإثم والخير قاله القارى. قال العلقمى: أى من تشبه بالصالحين يكرم كما يكرمون، ومن تشبه بالفساق لم يكرم ومن وضع عليه علامة الشرفاء أكرم وإن لم يتحقق شرفه(1).

وقال الهيثمى: (...فجميع المسلمين إذا كانت فىهم خطيئة فمن أعان عليها بفعل أو كلام أو عرض بها أو أعجبه ذلك أو رضيه فهو فى تلك الخطيئة على قدر ما كان منهم وإذا كانت خطيئة بين المسلمين فمن شهد وكره فهو مثل الغائب ومن غاب ورضى فهو مثل شاهد)(2).

وقال ابن حجر: قوله تعالى ((فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فى حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ)) (3) ويستفاد من هذا مشروعية الهرب من الكفار ومن الظلمة لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس إلى التهلكة هذا إذا لم يعنهم ولم يرض بأفعالهم فإن أعان أو رضى فهو منهم(4).

وقال الكحلانى: (من حديث ابن مسعود من رضى عمل قوم كان منهم والحديث دال على أن من تشبه بالفساق كان منهم أو بالكفار أو المبتدع فى أى شىء مما يختصون به من ملبوس أو مركوب أو هيئة)(5).

1- عون المعبود للعظيم آبادى ج 11 ص 51 باب لبس الشهرة.

2- مجمع الزوائد للهيثمى ج 7 ص 77 سورة النور.

3- سورة النساء الآية رقم 140.

4- فتح البارى لابن حجر ج 13 ص 52

5- سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الكحلانى ج 4 ص 175.

فيتين من كل ما سبق ان من شايح وتابع ووالى مؤسسى الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقتلتهم ومبعديهم والممهدين لقتلهم كان منهم، وبرضاه عنهم وعن أفعالهم يكون كالشاهد معهم والحاضر والمشارك لهم فى كل جرائمهم وموبقاتهم، وكما تجب البراءة من أولئك المؤسسين والدفاعيين والقتلة كذلك يجب البراءة من أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم.

الدليل الرابع: من كثر سواد قوم كان منهم حتى وان لم يرض بأفعالهم

مثلما أراد الله سبحانه وتعالى ان يتنزه الإنسان المؤمن عن الميل الباطنى نحو أهل الظلم والجور والمعاصى والعدوان، كذلك شدد على ان يتنزه المؤمن بظاهره عنهم، فتكون مواقفه وأعماله وكلامه وملبسه ومدخله ومخرجه وكل ما يتعلق بأمره الظاهرية مبانة ومختلفة عن مواقف وأعمال وظواهر أولئك الظالمين العاصيين الجائرين، لان فى مشابهتهم والافتداء بهم وبظواهرهم والمعاملة لهم وعدم الوقوف الحازم بوجههم تكثيراً لسوادهم وإغراء للجهاى من العامة يأتباعهم، لان العامة من الناس تعدّ الغالبية هى المعيار والميزان فمن كان أكثر سوادا وأتباعا وأشياعا وأولياء كان الحق معه، فمن كثر سواد الظلمة أغرى العامة باتباعهم، ومن كثر سواد أهل المعاصى أغرى الجهاى بارتكابها، ومن كثر سواد جند الباطل ادخل الرعب على قلوب الصالحين وجرأ أهل الباطل عليهم، ونظرا لكل تلك المحاذير التى تترتب على مسألة تكثير السواد جاء النهى عنها شديدا فى الأحاديث الشريفة، وفيما يأتى جملة من تلك الروايات الشريفة:

فعن أنس بن مالك قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سؤد مع

قوم فهو منهم، ومن روع مسلما برضاء سلطان جىء به معه يوم القيامة(1).

وعن عمرو بن الحارث: (أن رجلا دعا عبد الله بن مسعود إلى وليمة فلما جاء ليدخل سمع لهوا فلم يدخل فقبل له فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كثر سواد قوم فهو منهم ومن رضى عمل قوم كان شريك من عمل به(2).

وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم: (ان أبا ذر الغفارى دعى إلى وليمة فلما حضر إذا هو بصوت فرجع فقبل له ألا تدخل قال إني أسمع صوتا ومن كثر سوادا كان من أهله ومن رضى عملا كان شريك من عمله(3).

وفى مشايعة ومتابعة وموالاتة من أسس أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ودفعتهم وقتلهم تكثير واضح لسوادهم وفى هذا التكثير ما لا يخفى من المحظورات فقيه إرهاب لأولياء الله سبحانه وتعالى، وفيه إغراء وإغواء للجهلة على التعدى على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتجرؤ على ظلمهم، وفيه إغراء للعوام بأن الحق مع أولئك المؤسسين والقاتلين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأن ميزان العوام كما ذكرنا هو كثرة السواد، وفى مشايعة أعداء أهل البيت ومتابعتهم وموالاتهم إضافة إلى ما سبق إخلاء وخذلان لجبهة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين جبهة الحق وحزب الله المنصور، وتكثير ونصرة ومعونة لجبهة الباطل وحزب إبليس، وهو محرم شرعا وقبيح عقلا.

فكما تجب البراءة من أولئك المؤسسين وغيرهم كذلك تجب البراءة ممن يكتر

1- كتاب السنة لعمر بن أبي عاصم ص 613.

2- نصب الراية للزيلعى ج 6 ص 348.

3- المصدر السابق.

سوادهم لتحقق المماثلة بينهما، وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد.

وقد رويت بهذا الصدد قصة تناقلتها العامة والخاصة عن ابن رباح قال: (لقيت رجلاً أعمى قد حضر قتل الحسين صلوات الله وسلامه عليه فسئل عن ذهاب بصره قال كنت عاشر عشرة غير أنى لم اضرب ولم ارم فلما رجعت إلى منزلى وصليت فأتاني آت في منامى فقال أجب رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت ما لى وله فأخذنى يقودنى إليه فإذا هو جالس فى صحراء حاسر عن ذراعيه أخذ بحربة وملك قائم بين يديه وفى يده سيف من نار فقتل أصحابى فكلما ضرب ضربة التهبتم ناراً فدنوت وجثوت بين يديه وقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على ومكث طويلاً- ثم رفع رأسه وقال يا عبد الله انت هكت حرمتى وقتلت عترتى ولم ترع حقى فقلت يا رسول الله والله ما ضربت بسيف ولا- طعنت برمح ولا رميت بسهم قال صدقت ولكنك كثرت السواد ادن منى فدنوت فإذا طشت مملوء دماً فقال هذا دم ولدى الحسين فكحلنى منه فانتبهت لا أرى شيئاً)(1).

كانت هذه جملة من الأدلة التى أوضحت بشكل لا يقبل الشك الأسباب العقلية والشرعية الموجبة للبراءة من الذين ذكرتهم الزيارة الشريفة بالقول (وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَانِهِمْ) وهنالك جملة من الأدلة ذكرناها فى المبحث الرابع من مباحث الفقرة السابقة (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) تنفع ان تكون دليلاً يستدل به على صحة ووجوب البراءة من الأشياع والأتباع والأولياء تركنا ذكرها هنا اعتماداً على نباهة القارئ وخوفاً من التكرار.

1- مشير الأحزان لابن نما الحلوى ص 61 __ 62 المقصد الثانى فى وصف موقف النزال وما يقرب من تلك الحال.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سَلَّمْتُ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرَبْتُ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

2: إِنِّي سَلَّمْتُ

3: لِمَنْ سَأَلَكُمْ

4: وَحَرَبْتُ لِمَنْ حَارَبَكُمْ

5: إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

المبحث الثالث: حرمة المؤمن الشيعي وعظمته

عظمة المؤمن وكرامته عند الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام

وجوب نصره المؤمن والسعي في حوائجه ونصيحته

وجوب موالاة أوليائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومعاداة أعدائهم

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سَلِّمٌ لِمَنْ سَأَلْتَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

إشارة

وفى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث مهمة نختار منها ما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

قد مر إثبات وشرح فقرة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) في أول فقرة من فقرات هذه الزيارة الشريفة، وبقية هذه الفقرة الشريفة قد وردت في متون الزيارات والأحاديث الشريفة نختار فيما يأتي جملة من تلك الموارد:

منها ما عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (سئل أبي عن إتيان قبر الحسين عليه السلام فقال: صلوا في المساجد حوله ويجزئ في المواضع كلها أن تقول: "السلام على أولياء الله وأصفيائه، السلام على أمناء الله وأحبابه... السلام على الذين من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله... اشهد الله أنني سلم لمن سألتم وحرب لمن حاربتهم...)(1).

1- الكافي للشيخ الكليني ج 4 ص 578 __ 579 باب القول عند قبر أبي الحسن موسى وأبي جعفر الثاني وما يجزئ من القول عند كلهم عليهم السلام.

ومنها ما فى الزيارة الجامعة: (...بأبى أنتم وأمى وأهلئ وأمالئ وأسرتئ أشهد الله وأشهدكم أنئ مؤمن بكم وبما آمنتم به كافر بعدوكم وبما كفرتم به مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم موال لكم ولأولئانكم مبعض لأعدائكم ومعاد لهم سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم محقق لما حققتم مبطل لما أبطلتم مطيع لكم عارف بحقكم مقر بفضلكم...)(1).

ومنها ما روى عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه من دعاء فى يوم عرفة جاء فيه: (يا موالئ كونوا شفعاى فى حط وزرئ وخطاياى آمنئ بالله وبما أنزل إليكم وأتوالئ آخركم بما أتوالئ أولكم وبرئت من الجبت والطاغوت واللات والعزئ يا موالئ أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم وعدو لمن عاداكم وولى لمن والا-كم إلى يوم القيامة ولعن الله ظالمئكم وغاصبئكم ولعن الله أشياعهم وأتباعهم وأهل مذهبهم وأبرا إلى الله وإليكم منهم)(2).

وفى هذا المعنى ما روى عن زيد بن أرقم قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا على وفاطمة والحسن والحسين فقال: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم)(3).

وعن أبئ هريرة قال: (نظر النبئ صلى الله عليه وسلم إلى على والحسن والحسين وفاطمة فقال أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)(4).

عن أبئ سعيد الخدرئ قال : (لما دخل على رضئ الله عنه بفاطمة رضئ الله

1- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 2 ص 615 الزيارة الجامعة.

2- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 2 ص 126 ذكر دعاء الصادق عليه السلام فى يوم عرفة.

3- الأمالئ للشيخ الطوسئ ص 336.

4- مسند احمد لأحمد بن حنبل ج 2 ص 442.

عنها جاء النبي صلى الله عليه وسلم أربعين صباحاً إلى بابها يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) أنا حرب لمن حاربتم، أنا سلم لمن سالمتم(1).

والأحاديث ومتون الزيارات في هذا المعنى كثيرة، اقتصرنا على ما مر طلباً للاختصار.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

(يَا) حرف نداء ينادى به القريب والبعيد، وهو أشهر حروف النداء وأكثرها استعمالاً، والمشهور استعمالها في الندبة(2)، و(أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) كنية الإمام الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما وقد مر في شرح الفقرة الأولى من الزيارة تفصيل القول حولها فراجع.

2: إِنِّي سَلِمٌ

(إِنِّي): (إِنَّ) حرف مشبه للفعل وهي كما يقول ابن عقيل: (من الحروف الناسخة للابتداء... ومعنى إِنَّ وَأَنَّ التوكيد)(3) فالزائر جاء بتأكيد لفظي على صدق اتصافه بصفة الـ(سلم).

والياء في (إِنِّي): ضمير متصل وضع في اللغة للدلالة على شخص المتكلم.

1- الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج5 ص199 سورة الاحزاب.

2- شرح الرضى على الكافية لرضى الدين الاسترابادى ج4 ص425 حروف النداء.

3- شرح ابن عقيل ج1 ص345 __ 346 ان وأخواتها.

ولفظ (سَلِمَ): مصدر وهو ضد الحرب، قال الفراهيدي: (والسلم: ضد الحرب، ويقال: السلم والسلم واحد)⁽¹⁾. وقد استعمل في اللغة بمعانٍ عدة نختار منها:

ألف: استعمل بمعنى الصلح، قال ابن السكيت: (والسلم مفتوح والسلم مكسور: الصلح، يذكران ويؤنثان)⁽²⁾ وقال الجوهري في الصحاح: (والسلم: الصلح، يفتح ويكسر، ويذكر ويؤنث)⁽³⁾.

باء: واستعمل بمعنى السلام، وبمعنى المسالم، قال الجوهري: (والسلم بالكسر: السلام... والسلم: المسالم. تقول: أنا سلم لمن سالمني)⁽⁴⁾ وقال ابن منظور: (والسلم، المسالم. تقول: أنا سلم لمن سالمني، وقوم سلم وسلم: مسالمون وكذلك امرأة سلم وسلم)⁽⁵⁾.

جيم: واستعمل بمعنى الخالص الذي لا شركة فيه لأحد، قال ابن منظور: (يقال: سلم فلان لفلان أى خالص له)⁽⁶⁾.

دال: واستعمل بمعنى المستسلم المنقاد، ومنه الحديث القائل: (لأتيتك برجل سلم أى أسير لأنه استسلم وانقاد)⁽⁷⁾ وقال: (وأخذه سلماً: أسره من غير حرب. وحكى ابن الإعرابي: أخذه سلماً أى جاء به منقاداً لم يمتنع)⁽⁸⁾.

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 7 ص 266.

2- ترتيب إصلاح المنطق لابن السكيت الاهوازي ص 202.

3- الصحاح للجوهري ج 5 ص 1951.

4- المصدر السابق.

5- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 293.

6- المصدر السابق ج 6 ص 112.

7- المصدر السابق ج 12 ص 293.

8- المصدر السابق ص 295.

وقد صرح العلامة الميرزا أبو الفضل الطهراني في شرحه لزيارة عاشوراء ان استعمال المصدر (سَلِمَ) هنا (من باب استعمال المصدر بمعنى اسم الفاعل، فإما أن يكون محمولا على المبالغة أو بتقدير ذو «أى ذو سلم»)(1).

ولكننا نرى ان استعمال المصدر هنا فيه نكتتان مهمتان ولطيفتان:

إحدهما ان المصدر في اللغة يستعمل مجردا غير مقترن بزمان دون آخر، فكأن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه أراد في هذه الفقرة الشريفة: أن يوضح بأن سلمى لمن سالمكم غير مختص بزمان دون زمان، بل السلم بالنسبة لى صفة ملازمة فى الماضى والحاضر والمستقبل لا زوال لها ولا اضمحلال.

والنكتة الأخرى: هي ان المصدر يضم تحته كل المعانى المشتقة منه، فيكون المقصود من إيراد المصدر فى هذه العبارة الشريفة هو إرادة جميع المعانى المنطوية تحت هذا المصدر والمشتقة منه، فكأن الإمام صلوات الله وسلامه عليه أراد من إيراد هذا اللفظ القول: بأنى سلم لمن سالمكم بكل ما يحمل السلم من معنى، كما إنى حرب لمن حاربكم بكل ما يحمل الحرب من معنى.

ونفس هذه النكات تنطبق على لفظ (حَرْب) فى قوله صلوات الله وسلامه عليه: (وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

3: لِمَنْ سَأَلَكُمْ

(لِمَنْ) اللام فى الأصل كما هو محقق للاختصاص قال صاحب كتاب (الجنى الدانى فى حروف المعانى): (التحقيق ان معنى اللام فى الأصل هو الاختصاص وهو

1- شفاء الصدور فى شرح زيارة العاشور للميرزا أبى الفضل الطهراني ج 1 ص 312 يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سَأَلْتُ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

معنى لا يفارقها وقد يصحبه معان أخرى وإذا تُؤمّلت سائر المعانى المذكورة وجدت راجعة إلى الاختصاص(1)، و(مَنْ) هنا موصولة وهى بمعنى (الذى).

و(سَلَامِكُمْ) و(سَلَامٍ) من السلام وهو كما يقول الجوهري: (والسلام: السلامة. والسلام: الاستسلام. والسلام: الاسم من التسليم... والسلام: البراءة من العيوب)(2).

وقال ابن منظور: (والسلام يريد الاستسلام والإذعان)(3).

وبذلك يصبح المقصود من عبارة: (إِنِّي سَلِمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمُ) هو: (يا أبا عبد الله إني صلح وسلام ومسالم لمن هو مسالم ومستسلم ومنقاد إليكم، ولمن هو برىء من كل العيوب التى استوجب أصحابها فيما سبق اللعن والبراءة).

وضمير الجمع فى (سَأَلَكُمُ) قد يعود إلى شخص الإمام الحسين بقرينة ياء النداء وإحاقها بكنيته صلوات الله وسلامه عليه، ويكون الجمع فيها للتفخيم وإعلاء الشأن وهو استعمال معروف فى اللغة العربية، وأيضاً بقرينة ان الفقرات التى ستلى هذه الفقرة ستتحدث عن شخصيات لها علاقة بقضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دون غيره من أشخاص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه، وقد يكون ضمير الجمع عائداً إلى نفس أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عموماً والنداء وان خص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا انه عام لجميع أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذكر الإمام الحسين بالنداء من باب كونه المخصوص بالزيارة والخطاب بالدرجة الأولى.

1- الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المرادى ص 109.

2- الصحاح للجوهري ج 5 ص 1951 فصل السين.

3- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 293 فصل السين المهملة.

4: وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارِبَكُمْ

- الواو هنا عاطفة وما بعدها معطوف على ما سبق، و(حَرْب) كما قال الفراهيدي: (نقيض السلم)(1) وقد جاء في اللغة بمعانٍ متعددة منها:
- ألف: استعمل بمعنى العدو، قال الجوهري: (وأنا حرب لمن حاربنى، أى عدو)(2) وقال ابن منظور: (وفلان حرب لى أى عدو محارب، وإن لم يكن محاربا)(3) وقال الطريحي: (وفى حديث الأئمة عليهم السلام «أنا حرب لمن حاربيكم» أى عدو لمن عاداكم)(4).
- باء: واستعمل بمعنى العصيان، قال الخليل الفراهيدي: (وقوله تعالى: ((يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)))(5) يعنى المعصية)(6).
- جيم: واستعمل بمعنى القتل أو القتال، قال الفراهيدي: (وقوله تعالى: ((فَأَذْنُوبًا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)) يقال: هو القتل)(7) وقال الزبيدي: (الحرب نقيض السلم... يعنون به القتال، والذي حققه السهيلي أن الحرب هو الترامى بالسهم، ثم المطاعنة بالرماح، ثم المجالدة بالسيوف، ثم المعانقة، والمصارعة إذا تراحموا)(8).
- دال: واستعمل بمعنى التباعذ والتباغض، قال الزبيدي: (فلان حرب لفلان

-
- 1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 3 ص 213 باب الحاء والباء والراء.
 - 2- الصحاح للجوهري ج 1 ص 108 فصل الحاء.
 - 3- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 303.
 - 4- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 1 ص 481.
 - 5- سورة المائدة الآية رقم 33.
 - 6- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 3 ص 214.
 - 7- المصدر السابق.
 - 8- تاج العروس للزبيدي ج 1 ص 409.

إذا كان بينهما بعد وتباغض(1).

هاء: واستعمل بمعنى الشجاع الشديد الحرب، قال ابن منظور: (ورجل حرب ومحرب، بكسر الميم، ومحراب: شديد الحرب، شجاع)(2) وقال الزبيدي: (ورجل حرب كعدل ومحرب بكسر الميم ومحراب أى شديد الحرب شجاع)(3).

فيكون معنى قوله صلوات الله وسلامه عليه (وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ) هو: (يا أبا عبد الله إني عدو لعدوكم ومتباعد مباحض لمن تباعد عنكم وأبغضكم، وشجاع شديد الحرب على من قاتلكم، ارمى بين يديكم وحال حربكم وياذنكم بالسهم وأطاعن عدوكم بالرمح وأجالد من قاتلكم بالسيوف فإذا نفذ ما عندي أصارعهم وأعانقهم وأحول ما بينهم وبين الوصول إليكم ما بقى فى نفسى رفق وبقية حياة).

5: إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

بينا فيما سبق أن أحد معانى حرف الجر (إلى) هو لانتهاى الغاية الزمانية(4) نظير قوله سبحانه وتعالى: ((ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)) (5)، و(يَوْمِ الْقِيَامَةِ) معروف معلوم ورد ذكره فى القرآن الكريم سبعين مرة، وقد ذكر له القرآن عدة خصائص، فهو اليوم الذى يحشر فيه الناس وفيه يجمعون قال سبحانه وتعالى: ((قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ)) (6).

- 1- تاج العروس للزبيدي ج 1 ص 412.
- 2- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 303.
- 3- تاج العروس للزبيدي ج 1 ص 410.
- 4- مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى ج 1 ص 74، الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى ج 1 ص 444.
- 5- سورة البقرة الآية 187.
- 6- سورة الأنعام الآية رقم 12.

وهو اليوم الذى يوفى العباد فيه أجورهم قال سبحانه وتعالى: ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) (1) وهو اليوم الذى يقتص الله سبحانه وتعالى للمظلوم من الظالم ولأهل الحق من أهل الباطل قال: سبحانه وتعالى ((اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) (2)، وقال: سبحانه وتعالى ((رَبِّكَ هُوَ يَقْضِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)) (3).

والهدف من إيراد يوم القيامة فى هذه العبارة الشريفة من الزيارة للتأييد والديمومة أى ان سلمى لمن سالمكم وحربى لمن حاربكم يدومان أبدا ما بقيت أيام الدنيا، ولون أنّ الله سبحانه وتعالى قدر لى أن أعيش إلى آخر يوم من أيام الدنيا لبقيت متصفا بكونى سلم لمن سالمكم وحرباً لمن حاربكم، فإذا كان يوم القيامة تكفل الله سبحانه وتعالى بتولى من والاكم وسالمكم ومجازاة من حاربكم وأثابنى على ما بذلته من نصرتكم ونصرة أوليائكم، ولم يحشرنى فى زمرة محاربيكم لأنى قد أعلنت الحرب عليهم والبراءة منهم أيام حياتى فى دار الدنيا.

المبحث الثالث: حرمة المؤمن الشيعى وعظّمته

إشارة

الزيارة الشريفة قد كشفت فى فقرتها هذه منزلة عظيمة من منازل المؤمن الشيعى المتصف بالمسالمة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأوجبت على بقية أهل الإيمان أن يتصف بصفة السلم تجاه كل من يعلن حالة السلم والمسالمة لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد جاء تصديق هذه المنزلة الرفيعة للمؤمن الشيعى المسالم فى بقية روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد اخترنا من تلك الروايات بعضها، ومنها سيتبين ان الهجمة

1- سورة آل عمران الآية رقم 158.

2- سورة الحج الآية رقم 69.

3- سورة السجدة الآية رقم 25.

الإعلامية قديما وحديثا ضد كل من يتصف بالتشيع والموالاة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي هجمة لا تملك من الحقيقة أى اثر، وانها موجهة من قبل أعداء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لتشويه صورتهم التي أشرفت كالشمس بفضل ولائهم لانتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولبخس حقوقهم التي هي عند الله سبحانه وتعالى عظيمة كما سنرى ذلك لاحقا، ولهم فى ذلك الأسوة الحسنة بأئمتهم ومن قبلهم الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقد اختلق ضدهم أهل النصب والضلال من زخرف القول ما يندى له الجبين ولا يقرهم عليه ذو مروءة ولا دين، فقد ورد عن علقمة انه سأل الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه بما نصه: (يا بن رسول الله، إن الناس ينسبوننا إلى عظام الأمور، وقد ضاقت بذلك صدورنا. فقال «عليه السلام»: يا علقمة، إن رضا الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه «عليهم السلام»؟ ألم ينسبوا يوسف «عليه السلام» إلى أنه هم بالزنا؟ ألم ينسبوا أيوب «عليه السلام» إلى أنه ابتلى بذنوبه؟ ألم ينسبوا داود «عليه السلام» إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهوها؟... ألم ينسبوا نبينا محمدا «صلى الله عليه وآله» إلى أنه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء... وما قالوا فى الأوصياء «عليهم السلام» أكثر من ذلك، ألم ينسبوا سيد الأوصياء «عليه السلام» إلى أنه كان يطلب الدنيا والملك، وأنه كان يؤثر الفتنة على السكون، وأنه يسفك دماء المسلمين بغير حلها... ألم ينسبوه إلى أنه «عليه السلام» أراد أن يتزوج ابنة أبى جهل على فاطمة «عليها السلام»، وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» شكاه على المنبر إلى المسلمين، فقال: إن عليا يريد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة نبي الله... يا علقمة، ألم يقولوا لله عز وجل: إنه ثالث ثلاثة؟ ألم يشبهوه

بخلقه؟... ألم يقولوا: إنه جسم... يا علقمة، إن الألسنة التي تتناول ذات الله تعالى ذكره بما لا يليق بذاته كيف تحبس عن تناولكم بما تكرهونه! فاستعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين(1).

والأحاديث التي رويت في هذا الباب كثيرة حتى ان بعض الباحثين جمع ألف حديث في المؤمن ووضعه في كتاب مستقل مع انه لم يأت على جميع ما ذكرته الروايات في هذا الصدد وقد اخترنا من هذه الأحاديث ما يتناسب وهذه الفقرة الشريفة من الزيارة وهي كالتالي:

عظمة المؤمن وكرامته عند الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن أبي المقدام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (خرجت أنا وأبي حتى إذا كنا بين القبر والمنبر إذا هو بأناس من الشيعة فسلم عليهم ثم قال: إني والله لأحب رياحكم وأرواحكم فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد ومن ائتم منكم بعبد فليعمل بعمله، أنتم شيعة الله وأنتم أنصار الله وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة إلى الجنة، قد ضمنا لكم الجنة بضممان الله عز وجل وضممان رسول الله صلى الله عليه وآله ما على درجة الجنة أكثر أرواحا منكم فتنافسوا في فضائل الدرجات، أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات كل مؤمنة حوراء عيناء وكل مؤمن صديق ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقنبر: يا قنبر ابشر وبشر واستبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على أمته ساخط إلا الشيعة. ألا وإن لكل شيء عزا وعز الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء ذروة وذروة

1- الأمالى للشيخ الصدوق ص 164 __ 166 من تقبل شهادته.

الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء شرفاً وشرف الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء سيّداً وسيّد المجالس مجالس الشيعة. ألا وإن لكل شيء إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة، والله لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عسباً أبداً والله لو ما في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات ما لهم في الدنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب، كل ناصب وإن تعبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية ((عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَّ لِي نَارًا حَامِيَةً)) (1) فكل ناصب مجتهد فعمله هباء، شيعتنا ينطقون بنور الله عز وجل ومن خالفهم ينطقون بتفلت، والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلا أصدد الله عز وجل روحه إلى السماء فيبارك عليها فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنة وفي ظل عرشه وإن كان أجلها متأخراً بعث بها مع أمنته من الملائكة ليردوها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه، والله إن حاجكم وعماركم لخاصة الله عز وجل وإن فقراءكم لأهل الغنى وإن أغنياءكم لأهل القناعة وإنكم كلكم لأهل دعوته وأهل إجابته (2).

وعن عمرو بن أبي المقدم، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (ألا وإن لكل شيء جوهرًا وجوهر ولد آدم محمد صلى الله عليه وآله ونحن وشيعتنا بعدنا، حبذا شيعتنا ما أقربهم من عرش الله عز وجل وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة والله لولا أن يتعاضم الناس ذلك أو يدخلهم زهو لسلمت عليهم الملائكة قبلاً والله ما من عبد من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته قائماً إلا وله بكل حرف مائة حسنة ولا قرأ في صلاته جالساً إلا وله بكل حرف خمسون حسنة ولا في غير الصلاة إلا وله بكل حرف عشر

1- سورة الغاشية الآية رقم 3 __ 4.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 8 ص 212 __ 214. فضل الشيعة.

حسنت وإن للصامت من شيعتنا لأجر من قرأ القرآن ممن خالفه أنتم والله على فرشكم نيام لكم أجر المجاهدين وأنتم والله في صلاتكم لكم أجر الصافين في سبيله، أنتم والله الذين قال الله عز وجل: ((وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)) (1) إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس وعينان في القلب ألا- والخلائق كلهم كذلك، ألا- إن الله عز وجل فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم (2).

وجوب نصره المؤمن والسعي في حوائجه ونصيحته

عن أبي بصير قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكل جهد فقد خان الله ورسوله والمؤمنين. قال أبو بصير قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تعنى بقولك: والمؤمنين؟ قال: من لدن أمير المؤمنين إلى آخرهم) (3).

عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن صلوات الله وسلامه عليه قال: (سمعتة يقول: من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيرا به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل) (4).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أيما رجل من شيعتنا أتى رجلا من إخوانه فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر إلا ابتلاه الله بأن يقضى حوائج غيره من أعدائنا، يعذبه الله عليها يوم القيامة) (5).

1- سورة الحجر الآية رقم 47.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 8 ص 214 __ 215.

3- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج 1 ص 98 عقاب من مشى في حاجة مؤمن ولم ينصحه.

4- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 367 باب من منع مؤمنا شيئا عنده الحديث رقم 4.

5- ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص 250 عقاب من استعان به المؤمن ولم يعنه.

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (لا تستخف بفقراء شيعة على عليه السلام فان الرجل منهم يشفع في مثل ريعة ومضرب(1))

وعن أبي هارون عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (قال لنفر عنده وأنا حاضر: ما لكم تستخفون بنا؟ قال: فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك فقال: بلى إنك أحد من استخف بي، فقال: معاذ لوجه الله أن أستخف بك، فقال له: ويحك أو لم تسمع فلانا ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملنى قدر ميل فقد والله أعيتت، والله ما رفعت به رأسا ولقد استخففت به ومن استخف بمؤمن فينا استخف وضيع حرمة الله عز وجل(2)).

عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (تنافسوا في المعروف لإخوانكم، وكونوا من أهله، فان للجنة بابا يقال له: المعروف، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا، وإن العبد ليمشى في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عز وجل به ملكين: واحد عن يمينه، وآخر عن شماله، يستغفران له ربه يدعوان له بقضاء حاجته، ثم قال: والله لرسول الله صلى الله عليه وآله أسر بحاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة(3)).

عن الحسين بن عبد الرحيم، قال، قال أبو الحسن عليه السلام لعلى بن يقطين: (اضمن لى خصلة أضمن لك ثلاثا فقال على: جعلت فداك وما الخصلة التي أضمنها لك؟ وما الثلاث اللواتي تضمّنهن لى؟ قال، فقال أبو الحسن عليه السلام: الثلاث اللواتي أضمنهن لك: أن لا يصيبك حر الحديد أبدا بقتل، ولا

1- ألف حديث لكاشف الغطاء ج1 ص94

2- الكافي للشيخ الكليني ج 8 ص 102 مدح لحسان بن ثابت وذم لبعض الصحابة.

3- وسائل الشيعة للحر العاملي ج16 ص 359 باب استحباب قضاء حاجة المؤمن.

فاقة، ولا سجن حبس، قال، فقال على: وما الخصلة التي أضمنها لك؟ قال، فقال: تضمن أن لا يأتيك ولي أبدا إلا أكرمته، قال فضمن على الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث(1).

عن شعيب العقروفي قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه: اتقوا الله وكونوا إخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين، متراحمين، تراوروا وتلاقوا وتذاكروا وأمرنا وأحيوه)(2).

وجوب موالاة أوليائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومعاداة أعدائهم

عن يعقوب بن شعيب، عن صالح بن ميثم التمار رحمه الله عنه، قال: وجدت في كتاب ميثم رضى الله عنه يقول: (تمسينا ليلة عند أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام فقال لنا: ليس من عبد امتحن الله قلبه بالإيمان إلا أصبح يجد مودتنا على قلبه، ولا أصبح عبد ممن سخط الله عليه إلا- يجد بغضنا على قلبه، فأصبحنا نفرح بحب المؤمن لنا، ونعرف بغض المبغض لنا، وأصبح محبنا مغتبطا بحبنا برحمة من الله ينتظرها كل يوم، وأصبح مبغضنا يؤسس بنيانه على شفا جرف هار، فكان ذلك الشفا قد انهار به في نار جهنم، وكأن أبواب الرحمة قد فتحت لأصحاب الرحمة، فهنيئا لأصحاب الرحمة رحمتهم، وتعسا لأهل النار مثواهم، إن عبدا لن يقصر في حبا لخير جعله الله في قلبه، ولن يحبنا من يحب مبغضنا، إن ذلك لا يجتمع في قلب واحد و((مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)) (3) يحب بهذا قوما، ويحب بالآخر عدوهم، والذي يحبنا فهو يخلص حبا كما يخلص الذهب لا غش فيه. نحن

1- اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ج 2 ص 731 _ 732

2- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 175 باب التراحم والتعاطف الحديث رقم 1.

3- سورة الأحزاب الآية رقم 4.

النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء، وأنا وصى الأوصياء، وأنا حزب الله ورسوله عليه السلام، والفئة الباغية حزب الشيطان، فمن أحب أن يعلم حاله في حبنا فليمتحن قلبه، فإن وجد فيه حب من ألب علينا فليعلم أن الله عدوه وجبرئيل وميكائيل، والله عدو للكافرين(1).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: في قوله: ((مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)) (2) قال على بن أبي طالب عليه السلام: لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف إنسان إن الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه فيحب هذا ويبغض هذا فأما محبنا فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه فمن أراد أن يعلم حبنا فليمتحن قلبه فان شاركه في حبنا حب عدونا فليس منا ولسنا منه والله عدوهم وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين(3).

عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن على بن موسى الرضا عليهما السلام، قال: (من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ونحن منه براء في الدنيا والآخرة يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله، فمن أحبهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برنا، ومن برهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردنا، ومن ردهم فقد قبلنا، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدقهم فقد كذبنا، ومن كذبهم فقد صدقنا، ومن

1- الأمالى للشيخ الطوسى ص 148 __ 149 المحب والمبغض لاهل البيت عليهم السلام.

2- سورة الأحزاب الآية رقم 4.

3- تفسير القمى لعلى بن إبراهيم القمى ج 2 ص 171 __ 172 تفسير سورة الاحزاب.

أعطاهم فقد حرمنا، ومن حرمهم فقد أعطانا، يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذن منهم وليا ولا نصيرا(1).

عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: (من زارنا في مماتنا فكأنما زارنا في حياتنا، ومن جاهد عدونا فكأنما جاهد معنا، ومن تولى محبنا فقد أحبنا، ومن سر مؤمنا فقد سرنا، ومن أعان فقيرنا كان مكافأته على جدنا محمد صلى الله عليه وآله)(2).

اللهم اجعلنا سلما لمن سالم محمداً وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحربا لمن حاربهم آمين يا رب العالمين.

1- التوحيد للشيخ الصدوق ص 364 باب نفى الجبر والتفويض الحديث رقم 12.

2- المقنعة للشيخ المفيد ص 486 الباب 37.

وَلَعَنَ اللَّهُ آلَ زِيَادٍ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ

2: آلَ زِيَادٍ

المبحث الثالث: آل زياد بين ضحالة النسب وعقدة الانتماء

عقدة الحقارة والشعور بالنقص في شخصية زياد بن أبيه

المميزات الفريدة في شخصية زياد بن أبيه

أولاً: كان يعد من دهاة العرب

ثانياً: كان خطيباً مفوهاً

ثالثاً: كان كاتباً لأربعة من الولاة قبل ان يصبح بنفسه والياً

رابعاً: كانت له خبرة بقمع التمردات والانتفاضات الشعبية

استغلال معاوية لعقدة الحقارة والشعور بالنقص التي في شخصية زياد

استمرار عقدة النقص والحقارة حتى بعد إستلحاق معاوية إياه

حكومة زياد على الكوفة إحدى أسباب حدوث فاجعة عاشوراء

حكومة زياد سبب لإيجاد حكومة ابنه عبيد الله بن زياد

المبحث الرابع: لماذا استعمل أمير المؤمنين زياداً وهو يعلم أصله وعاقبته

وَلَعَنَ اللَّهُ آلَ زَيْدٍ

إشارة

وفى هذه الفقرة أيضا مباحث مهمة نستعرض بعضاً منها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

قد لعن آل زياد على لسان الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المروى عن يعقوب بن يزيد عن الوشا قال: حدثني نجية بن الحارث العطار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء فقال: (صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة، قال نجية: فسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك من بعد أبيه عليه السلام فأجاب بمثل جواب أبيه ثم قال لي: أما انه صيام يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنة إلا سنة آل زياد لعنهم الله بقتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما)(1).

وعن علقمة بن محمد الحضرمي: عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال: (من أراد زيارة الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم... من بعيد وقريب كل يوم... ثم تقول وأنت خاشع مستكين: (السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن البشير النذير، وابن سيد

1- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج 4 ص 301 باب وجوه الصيام وشرح جميعها على البيان.

الوصيين... اللهم وهذا يوم تجدد فيه النعمة وتنزل فيه اللعنة على اللعين يزيد، وعلى آل يزيد، وعلى آل زياد، وعمر بن سعد والشمر، اللهم العنهم والعن من رضى بقولهم وفعلهم، من أول وآخر، لعنا كثيرا، وأصلهم حر نارك، وأسكنهم جهنم وساءت مصيرا، وأوجب عليهم وعلى كل من شايعهم وبايعهم وتابعهم وساعدهم ورضى بفعلهم، وافتح لهم وعليهم، وعلى كل من رضى بذلك، لعناتك التى لعنت بها كل ظالم، وكل غاصب، وكل جاحد، وكل كافر، وكل مشرك، وكل شيطان رجيم، وكل جبار عنيد(1).

وهم ملعونون بأدلة أخرى عامة قد مر توضيحها من قبل، فهم يندرجون تحت عنوان الدافعين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم والمزيلين لهم عن مراتبهم، ومن القاتلين والأشياء والأتباع والأولياء، وهؤلاء جميعهم قد حقت عليهم اللعنة والخزى الأبدى.

المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعْنُ اللَّهِ

الواو قد تكون عاطفة ويكون ما بعدها معطوفاً على تلك الجمل التى لعن فيها من أسس أساس الظلم والجور وغيرهم من الذين تم لعنهم فى العبارات السابقة، وتكون الجملة (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمَنْ أَشَدَّ بِإِعْتَابِهِمْ وَأَتَّبَاعِهِمْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سَأَلْتُكَ لِمَنْ سَأَلْتُكُمْ وَحَزْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) جملة اعتراضية ما بين العاطف والمعطوف، وهو وارد فى اللغة العربية.

كما ويمكن أن تكون الواو هنا استئنافية وهي المسماة بواو الابتداء وهي (الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى ولا مشاركة لها في الإعراب).

و(لَعَنَ اللّٰهُ) قد تبين معناها من قبل فراجع.

2: آل زيادٍ

استعمل لفظ الـ (آل) بمعانٍ عدة منها:

1: قرابة الرجل وأهل بيته، قال الفراهيدي: (وآل الرجل: ذو قرابته، وأهل بيته) (1).

2: أهله ووعيله، قال الجوهري: (وآل الرجل: أهله ووعيله) (2).

3: ومنهم من جعل الآل هم خاصة الرجل من جهة القرابة والصحبة، قال أبو هلال العسكري: (والآل خاصة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة... وقال بعضهم: الآل عيدان الخيمة وأعمدتها وآل الرجل مشبهون بذلك لأنهم معتمده) (3).

وقال ابن منظور: (كانوا يخصون بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم حتى لا يقال إلا في نحو قولهم: القراء آل الله، وقولهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وقال رجل مؤمن من آل فرعون) (4).

و (زيادٍ) المذكور هنا هو المسمى بزياد بن أبيه، وقد يقال عنه زياد بن عبيد، أو زياد بن أمه، أو زياد بن سمية، وسنذكر تفصيل أحواله في المبحث الثالث.

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 8 ص 359 باب اللغيف من اللام.

2- الصحاح للجوهري ج 4 ص 1627 باب اللام فصل الألف.

3- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 84 - 85.

4- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 30 حرف الألف فصل الهمزة.

المبحث الثالث: آل زياد بين ضحالة النسب وعقدة الانتماء

إشارة

كانت بذرة الانحراف الأولى لزياد وآل زياد من طرف أهمهم سمية، تلك التي كانت مشتهرة بين الداني والقاصي بفجورها وانحرافها، حتى كانت تعد من ذوات الرايات اللاتي كن يعلقن على بيوتهن راية يعرفن بها فيدخل عليهن الرجال لطلب الزنا والفاحشة، وكتاب الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه الذي كتبه لزياد بن أبيه خير دليل على حقيقة ما قدمناه، حيث ورد في هذا الكتاب ما نصه: (وما أنت يا زياد وقريشا، لا أعرف لك فيها أديما صحيحا ولا فرعاً نابتاً، ولا قديماً ثابتاً، ولا منبتاً كريماً، بل كانت أمك بغياً تداولها رجال قريش، وفجار العرب، فلما ولدت لم تعرف لك العرب والدا)⁽¹⁾.

وقال ابن حجر متحدثاً عن زياد: (وكانت أمه مولاة صفية بنت عبيد بن أسد ابن علاج الثقفي وكانت من البغايا بالطائف)⁽²⁾.

ولدت سمية هذه ثلاثة أولاد غير شرعيين، اثنين منهم ولدتهم على فراش الحارث بن كلدة الثقفي، والثالث هو زياد الذي ولدته على فراش عبيد، قال ابن عساكر متحدثاً عن هذا الموضوع بما نصه: (فولدت عند الحارث أبا بكره وهو مسروح فلم يقر به... ثم ولدت سمية نافعا فلم يقر بنافع... وزوجها الحارث غلاماً له رومياً يقال له عبيد فولدت زيادا على فراشه، وكان أبو سفيان صار إلى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولي وكانت لأبي مريم بعد صحبة فقال أبو سفيان لأبي مريم بعد أن شرب عنده: قد اشتدت بي العزوبة فالتمس لي بغياً قال هل لك في جارية الحارث بن كلدة سمية امرأة عبيد قال هاتها... فجاء بها إليه فوقع لها فولدت زيادا)⁽³⁾.

1- الغدير للشيخ الأميني ج 10 ص 225 _ 226 نقلا عن المحاسن والمساوي للبيهقي ج 1 ص 58.

2- الإصابة لابن حجر ج 2 ص 528.

3- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 19 ص 173.

عقدة الحقد والشعور بالنقص فى شخصية زياد بن أبيه

فنشأ زياد بن أبيه فى وسط هذه الأجواء الموبوءة يرتع وينمو فى أحضان الرذيلة ويتربى فى حجر امرأة قد تبين حالها فيما مر، فكان من الطبيعى أن يتأثر زياد نفسيا وعاطفيا بتلك الأجواء التى ترعرع فيها، ولا ينبغى أن ننسى النظرة الانتقاصية السلبية التى كان المجتمع ينظر من خلالها إلى زياد وأمثال زياد، فترعرع زياد وفى نفسه ألوان من الأمراض والعقد النفسية والاجتماعية، فلم يستطع أن يتخطاها إلى آخر يوم من أيام حياته، وما التناقضات التى ظهرت فى أفعال زياد وأقواله التى سيتضح بعضها فى الصفحات القادمة إلا نتيجة تلك العقدة والشعور بالنقص والحقد الاجتماعية.

الميزات الفريدة فى شخصية زياد بن أبيه

إشارة

كانت شخصية زياد بن أبيه تتأرجح ما بين حافزين أوقوتين ان صح التعبير، حافز وقوة تشده إلى الأرض وتضع من قدره دينيا واجتماعيا، وهذه القوة هى عقدة الحقد التى كان يعيشها زياد نتيجة الضحالة الأسرية والنسبية التى اتضحت فيما سبق.

وقوة أخرى كانت تجذبه نحو التكامل والرقى وهذه القوة كانت تتمثل فى مجموعة من الصفات التى ميزته عن بقية أولئك الذين يسقطون فى نفس ظروفه وينشأون فى نفس بيئته التى نشأ فيها، فقلما بل يكاد يكون نادرا ان يبتلى إنسان بمثل ظروف وتربية زياد بن أبيه ويتمكن بعد ذلك ان يكون كاتبا خطيبا وسياسيا إداريا من الطراز الأول، يعتمده الأمراء ويستميله الحكام كل يريد له نفسه، ويتسلق بفضل تلك الإمكانيات الفريدة أعلى مناصب الدولة الإسلامية ولعشرات السنين.

ونستطيع ان نتلمس هذه الصفات الاستثنائية من خلال النصوص التالية:

أولاً: كان يعد من دهاة العرب

أخرج ابن عساکر عن الشعبي قوله: (دهاة العرب أربعة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد)⁽¹⁾.

وعن العيني في كتابه عمدة القارى: (زياد ليست له صحبة ولا رواية، وكان من دهاة العرب وفصحائهم، مات سنة ثلاث وخمسين)⁽²⁾.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: (زياد بن أبي سفيان ويقال زياد بن أبيه وزياد ابن أمه وزياد بن سمية ... ويكنى أبا المغيرة ليست له صحبة ولا رواية وكان رجلاً عاقلاً في دينه داهية خطيباً له قدر وجلالة عند أهل الدنيا)⁽³⁾.

ثانياً: كان خطيباً مفوهاً

عن ابن عساکر في تاريخ دمشق: (عن إسماعيل عن مجالد عن الشعبي قال ما رأيت أحداً أخطب من زياد)⁽⁴⁾.

وعن ابن عبد البر في الاستيعاب قال: (عن ابن عباس قال بعث عمر بن الخطاب زيادا في إصلاح فساد وقع في اليمن فرجع من وجهه وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاص أما والله لو كان هذا الغلام قرشياً لساق العرب بعصاه)⁽⁵⁾.

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 19 ص 182.

2- عمدة القارى للعيني ج 13 ص 208.

3- الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 523 __ 524.

4- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 19 ص 183.

5- الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 525.

ثالثا: كان كاتباً لأربعة من الولاة قبل ان يصبح بنفسه واليا

عن ابن عساکر قال: (كتب زياد بن أبي سفيان لأبي موسى الأشعري وكتب لعبد الله بن عامر بن كريز وكتب للمغيرة بن شعبة وكتب لعبد الله بن العباس كتب لهؤلاء كلهم على البصرة)(1).

وعنه أيضا: (قال أبو الحسن الكوفي كتب زياد بن أبي سفيان لأربعة على البصرة لأبي موسى الأشعري ولعبد الله بن عامر بن كريز والمغيرة بن شعبة ولعبد الله ابن العباس)(2).

رابعا: كانت له خبرة بقمع التمردات والانتفاضات الشعبية

مر فيما سبق قول ابن عبد البر في الاستيعاب: (عن ابن عباس قال بعث عمر ابن الخطاب زيادا في إصلاح فساد وقع في اليمن فرجع من وجهه وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاص أما والله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه)(3).

وعن الطبري في تاريخه: (عن أيوب بن موسى قال حدثني شيخ من أهل إصطخر قال سمعت أبي يقول أدركت زيادا وهو أمير على فارس وهي تضرم ناراً فلم يزل بالمدارة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة لم يقف موقفا للحرب وكان أهل فارس يقولون ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربي في اللين والمدارة والعلم بما يأتي قال ولما قدم زياد فارس بعث إلى

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 19 ص 169.

2- راجع المصدر السابق.

3- الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 525.

رؤسائها فوعد من نصره ومناه وخوف قوما وتوعدهم وضرب بعضهم ببعض ودل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا وصفت له فارس فلم يلق فيها جمعا ولا حربا وفعل مثل ذلك بكرمان(1).

وقال ابن الأثير: (لما قتل ابن الحضرمي واختلف الناس على على طمع أهل فارس وكerman في كسر الخراج فطمع أهل كل ناحية وأخرجوا عاملهم وأخرج أهل فارس سهل بن حنيف فاستشار على الناس فقال له جارية بن قدامة ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صلب الرأي عالم بالسياسة كاف لما ولي؟ قال من هو قال زياد فأمر على ابن عباس أن يولي زيادا فسيره إليها في جمع كثير فوطئ بهم أهل فارس وكانت قد اضطربت فلم يزل يبعث إلى رؤوسهم يعد من ينصره ويمنيه ويخوف من امتنع عنه وضرب بعضهم ببعض فدل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا وصفت له فارس ولم يلق منهم جمعا ولا حربا وفعل مثل ذلك بكرمان ثم رجع إلى فارس وسكن الناس واستقامت له ونزل إصطخر وحصن قلعة تسمى قلعة زياد قريب إصطخر(2).

ولعل هذه الصفة والميزة هي إحدى الأسباب القوية التي دعت معاوية بن أبي سفيان إلى إستلحاقه وإيكال ولاية الكوفة والبصرة إليه، لان الكوفة كانت تعدّ معقل المتمردين على حكم معاوية بن أبي سفيان.

استغلال معاوية لعقدة الحقارة والشعور بالنقص التي في شخصية زياد

على رغم كل تلك الامتيازات التي كان يتمتع بها زياد بن أبيه والتي من خلالها وصل إلى مراكز مرموقة في الدولة الإسلامية، إلا ان زياداً كان لا يزال يرزح

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 105 __ 106.

2- الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 381 __ 382.

تحت وطأة عقدة الحقد النسبية، فقد كان عدم وجود أب ينتمي له وأصل يرجع إليه يقض مضجعه وينغص عليه نجاحاته الدنيوية، فهنا كانت تكمن نقطة ضعفه، ومن هنا أيضا دخل إليه معاوية بن أبي سفيان لعنه الله واستطاع إغواءه وإضلاله.

فزياد كما عرفنا في نصي الطبري وابن الأثير المتقدمين كان عاملا من عمال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بلاد فارس وكرمان وكان أهلها قد أطاعوه وسلموا له الأمر ودانوا بالولاء لدولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فلما استشهد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على يد ابن ملجم لعنه الله، واختير الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه إماما وخليفة للمسلمين بعد أبيه صلوات الله وسلامه عليه، خاف معاوية ان يقف زياد بن أبيه مع الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه ويعلن له البيعة، وحينئذ سيستعين الإمام الحسن به وبمن هو تحت سلطانه، فيمدده بالأموال والعدة والعدد في حربه صلوات الله وسلامه عليه مع معاوية بن أبي سفيان، وإذا ضم إليهم الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه أهل الكوفة أو بعضهم، وبعض أهل البصرة والمدينة فسيتشكل تحت إمرة الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه جيش جرار وقوى لا طاقة لمعاوية على هزيمته.

فكان ولا بد لمعاوية أن يقنع زياد بن أبيه في الوقوف إلى جنبه والانضمام إلى صفه وترك التفكير في مبايعة الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه، وكانت أفضل وسيلة لتحقيق هذا الغرض والوصول إلى هذه الغاية الخبيثة هي استغلال ذلك النقص والعقدة التي في قلب زياد وروحه، فدرس إليه من يمينه بأن معاوية عليه اللعنة على أتم استعداد لإلحاقه نسبا بأبي سفيان وذريته، وفي هذا الصدد يقول ابن الأثير: (فلما قتل علي وبقي زياد بفارس خافه معاوية فاستلحقه في حديث طويل تركناه وذلك سنة أربع وأربعين)⁽¹⁾.

1- أسد الغابة لابن الأثير ج 2 ص 216.

وذكر ابن أبي الحديد ان معاوية قد كتب له مع المغيرة بن شعبة ما نصه: (من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان، أما بعد فإن المرء ربما طرحه الهوى في مطارح العطب، وأنك للمرء المضروب به المثل، قاطع الرحم، وواصل العدو... حتى كأنك لست أخي، وليس صخر بن حرب أباك وأبي... فارجع إلى أصلك، واتصل بقومك، ولا تكن كالموصول بريش غيره، فقد أصبحت ضال النسب. ولعمري ما فعل بك ذلك إلا اللجاج، فدعه عنك، فقد أصبحت على بينة من أمرك، ووضوح من حجتك، فإن أحببت جانبي، ووثقت بي، فإمرة يامرة، وإن كرهت جانبي، ولم تثق بقولي ففعل جميل لا على ولا لى. والسلام)(1).

فكتب زياد جواب كتابه بعد ان أغواه المغيرة بن شعبة وأضله: (أما بعد، فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه، فالحمد لله الذى عرفك الحق، وردك إلى الصلة ولست ممن يجهل معروفًا، ولا يغفل حسابًا... ولكنك إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح، ونية حسنة، وأردت بذلك برا، فستزرع فى قلبى مودة وقبولاً... فأعطاه معاوية جميع ما سأله، وكتب إليه بخط يده ما وثق به، فدخل إليه الشام، فقربه وأدناه، وأقره على ولايته، ثم استعمله على العراق)(2) ولزيادة الرابطة وتوثيق الأواصر ما بين الطرفين (زوج معاوية ابنته من ابنه محمد بن زياد)(3).

فعلم معاوية من أين تؤكل الكتف ومن أين يرمى زياداً بمقتله، وبهذا انقلب

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 16 ص 184 __ 185.

2- المصدر السابق ص 186.

3- الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 526.

زياد من ابن أبيه إلى ابن أبي سفيان ومن جانب الحق إلى جانب الباطل وتغيرت تبعاً لذلك جميع أقواله وأفعاله، وأصبح يتحرك من دافع الخوف والرغبة من أن يرجع إلى سابق عهده بلا أب ولا نسب، فكان يبذل الغالي والنفيس في خدمة معاوية وتثبيت ملكه لإرضاء معاوية وإبقاء هذا الاستلحاق، ومعاوية بن أبي سفيان كان يعلم بهذه النوازع النفسية لزياد، لذلك حينما كان يريد إجباره على فعل معين أو يشجعه عليه، فإنه كان يلوح له بمسألة استلحاقه تارة مشجعاً وأخرى مهدداً، فعلى سبيل المثال نقل للقارئ الكريم كتاباً من معاوية إلى زياد جاء فيه: (وانظر إلى الموالى ومن أسلم من الأعاجم، فخذهم بسنة ابن الخطاب، فإن في ذلك خزيهم وذلهم أن ينكح العرب فيهم ولا ينكحونهم، وأن يرثوهم العرب ولا يرثوا العرب، وأن يقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم، وأن يقدموا في المغازى يصلحون الطريق ويقطعون الشجر... فإذا جاءك كتابي هذا فأذل العجم وأهنهم وأقصهم ولا تستعن بأحد منهم، ولا تقض لهم حاجة، فوالله إنك لابن أبي سفيان، خرجت من صلبه)(1).

ونقل العلامة الأمينى عن كتاب المجتنى لابن دريد قوله: (وفد زياد على معاوية فأثاه بهدايا وأموال عظام وسفط مملوء جوهراً لم ير مثله فسر معاوية بذلك سروراً شديداً، فلما رأى زياد ذلك صعد المنبر فقال: أنا والله يا أمير المؤمنين! أقمت لك معر العراق، وجبيت لك مالها، وألفظت إليك بحرهما، فقام يزيد بن معاوية فقال: إن تفعل ذلك يا زياد! فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قريش، ومن القلم إلى المنابر، ومن زياد بن عبيد إلى حرب بن أمية. فقال معاوية: اجلس فداك أبى وأمى)(2).

1- مستدرک سفينة البحار للشيخ على النمازى الشاهرودى ج 7 ص 109.

2- الغدير للشيخ الأمينى ج 10 ص 226 نقلاً عن كتاب المجتنى لابن دريد ص 37.

استمرار عقدة النقص والحقارة حتى بعد إستلحاق معاوية إياه

لم يطمئن قلب زياد بن أبيه إلى أمر استلحاقه إلى نسب أبي سفيان؛ لأنه كان يعلم يقينا ان هذا الاستلحاق هو ضحك على الذقون وان المسلمين وان كانوا يسكتون عنه في الظاهر خوف السيف ونقمة السلطان إلا أنهم في الباطن وفي مجالسهم الخاصة يضحكون ويسخرون ويتندرون بأن زيادا قد استرد أباه بعد طول السنين وبعد ان شاب رأسه وسقطت أسنانه، فأراد زياد بدهائه أن ينتزع الاعتراف بنسبه الجديد وترسيخه بشتى الوسائل والطرق ولا سيما بالدينار والدرهم، وفيما يأتي جملة من هذه المحاولات اليائسة التي كان يتشبت بها زياد بن أبيه.

منها ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: (مر زياد بن سمية ابن أبي سفيان وهو وال على البصرة بأبي العربان المخزومي وهو بمجلس فيه جماعة من قريش وهو مكفوف البصر قال أبو العربان ما هذه الجلبة قالوا زياد بن أبي سفيان قالوا والله ما ترك أبو سفيان إلا يزيد ومعاوية وعتبة وعنبسة وحنظلة ومحمداً فمن أين جاء زياد؟ فبلغ معاوية كلامه فكتب إلى زياد أن سد عنا وعنك هذا الكلب فأرسل إليه زياد بمائتي دينار فقال أبو العربان وصل الله ابن أخي وأحسن جزاءه قال ثم مر به زياد من الغد فسلم فبكى أبو العربان فقال ما يبكيك قال عرفت حزم صوت أبي سفيان في صوت زياد)(1).

ومنها ما أخرجه ابن شيبه في كتابه المصنف قال: (حدثنا حسين بن علي عن أبي موسى قال: كتب زياد إلى عائشة أم المؤمنين «من زياد بن أبي سفيان» رجاء أن تكتب إليه «ابن أبي سفيان» قال: فكتبت «من عائشة أم المؤمنين إلى زياد ابنها»)(2).

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 19 ص 177 _ 178.

2- المصنف لابن أبي شيبه الكوفي ج 7 ص 248.

ولكن هذا الموقف من عائشة قد تغير تبعا لتغير المصلحة، فقد أخرج محمد بن سعد في الطبقات الكبرى: (أخبرنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا رجل من قريش يقال له محمد بن الحارث أن مرة صاحب نهر مرة أتى عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مولاهم فسأله أن يكتب له إلى زياد في حاجة له فكتب من عبد الرحمن إلى زياد ونسبه إلى غير أبي سفيان فقال لا أذهب بكتابك هذا فيضرنى قال فأتى عائشة فكتبت له من عائشة أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان قال فلما جاءه بالكتاب قال له إذا كان غدا فجنني بكتابك قال وجمع الناس فقال يا غلام اقرأه قال فقرأه من عائشة أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان قال فقضى له حاجته(1).

ولا يجب ان نغفل دور الرواة المأجورين في تثبيت ما يريده الحاكم وولاته، فقد أخرج ابن عساكر قول احد هؤلاء الرواة المأجورين وهو يحاول جاهدا ان يدخل أولاد زياد بن أبيه ضمن قريش وبيوتها فنراه يقول كذبا: (أنا الأحوص بن المفضل ابن غسان نا(2) أبي قال كان يقال أربعة كلهم عبد الرحمن وكلهم عابد وكلهم من قريش، عبد الرحمن بن زياد بن أبي سفيان، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن أبان بن عثمان، وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية(3).

والعجيب ان زياد بن ابيه كان على رغم علمه وعلم جميع العالمين بهوية أمه سمية وتاريخها الطويل في محافل الفجور والمعصية وحقيقة نسبها غير العربي نراه يصبر وبكل وقاحة ان نسب أمه كان يعود إلى قريش أيضا فقد أخرج العلامة الأميني نقلا

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 7 ص 99 __ 100.

2- عبارة (أنا) أو (نا) مختصرة لقولهم (حدثنا) وهي مشهورة الاستعمال في كتب الرواية والحديث فتنبه.

3- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 36 ص 72 __ 73.

عن الاستيعاب والأغاني وغيرهما: (قال أبو عبيدة: كان زياد يزعم أن أمه سمية بنت الأعور من بنى عبد شمس ابن زيد مناة بن تميم فقال ابن مفرغ يرد ذلك عليه:

فأقسم ما زياد من قریش *** ولا كانت سمية من تميم

ولكن نسل عبد من بغى *** عريق الأصل فى النسب اللثيم(1)

حكومة زياد على الكوفة إحدى أسباب حدوث فاجعة عاشوراء

تبين لنا سابقا ان لولا سمية أم زياد والتقاؤها المشؤوم بأبى سفيان فى ذلك الجو المنحرف الذى تقدم ذكره لما أنتج وجود طفل غير شرعى ولدت معه أنواع من العقد النفسية والاجتماعية، وكلما كبر هذا الطفل كبرت معه عقده واشتدت، وتأصلت فى نفسه حالة الكراهية والحقد على مجتمع كان يشعره بطريقة أو بأخرى بحقيقة أصله وانتمائه النسبى لأمّ كان يتداولها الرجال، ولولا هذا النقص الحاد وتلك الحقدرة النفسية والاجتماعية التى كان يعيشها زياد لما استطاع معاوية استغلاله وإخضاعه وتسييره كيفما شاء وأحب، ولولا خضوعه وتسليمه لمعاوية لما استلحقه ونسبه إلى أبيه، ولولا هذا الاستلحاق لما ولاه معاوية وسلطه على رقاب الناس ومقدراتهم ولا سيما أهل العراق، ولولا هذا التسلط والقهر والاضطهاد الذى مارسه زياد بن أبيه ضد شيعة أهل البيت بحيث أدخل الكوفة والبصرة من أكثرهم فقتل خيارهم وصلب أهل النفوذ منهم واخذ الناس على الظنة والتهمة، فأخلى ارض الكوفة وربوعها من أنصار أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومواليهم، لأنه كان بهم عارفاً بصيراً، لأنه وقبل التحاقه بمعاوية كان يعد واحداً منهم، فلم يبق فى الكوفة فى أيامه منهم إلا القلة النادرة، والباقيون كانوا ما بين مداهن وساكت وخانع لا يدفع بهم ضيم ولا يشد بهم أزر.

لذلك وحينما قدم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلى كربلاء لم ينصره من أهلها إلا النادر، لان زياداً ومن بعده ابنه عبيد الله لعنهما الله كانا قد أخليا ارض الكوفة من الأنصار، فلم يبق منهم إلا المتستر بدينه وإخلاصه لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليه من أمثال حبيب وزهير بن القين وبقية الأنصار من أهل الكوفة، فلو ان زياد بن أبيه عليه اللعنة كان قد ترك حجر بن عدى وأصحابه وغيرهم من الشجعان البواسل فلم يستأصلهم لما توانى هؤلاء الأبطال عن الوقوف مع الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فى ثورته، ولتغيرت الكثير من موازين الصراع والقوى لصالح الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونهضته.

وقد احتفظ لنا التاريخ بعدة من الشواهد المصرحة والموضحة لقسوة زياد وشدته وعظيم إجرامه بحق شيعة أهل البيت وأنصارهم نختار منها الآتى:

قال ابن أبى الحديد المعتزلى: (روى أبو الحسن على بن محمد بن أبى سيف المداينى من فضل أبى تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء فى كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرأون منه ويقعون فيه وفى أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنه كان منهم أيام على عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدى وأخافهم، وقطع الأيدى والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم)⁽¹⁾.

كما قتل وصلب جملة من أصحاب الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، منهم

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 11 ص 44 ذكر بعض ما منى به آل البيت من الأذى والاضطهاد.

ميثم التمار وجويرية بن مسهر ومنهم مسلم بن زيمر وعبد الله بن نجى الحضرميين، ومنهم رشيد الهجرى، ومنهم عمرو بن الحمق الخزاعى، حيث قتله وحبس امرأته سنتين فى سجن دمشق، وكان سعيد بن سرح شيعة لعلى صلوات الله وسلامه عليه فطلبه زياد وأخافه فأتى سعيد الحسن بن على صلوات الله وسلامه عليه مستجيرا به فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته فحبسهم واخذ ماله وهدم داره، فكتب إليه الإمام الحسن فى أمر سعيد ابن سرح، فأجابه زياد بجواب يعكس عظيم حقه وبغضه للإمام الحسن وشيخته ومواليه جاء فيه: (من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن بن فاطمة: أما بعد: فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلى وأنت طالب حاجة وأنا سلطان وأنت سوقة كتبت إلى فى فاسق لا يؤبه به، وشر من ذلك توليه أباك وإياك، وقد علمت أنك أدنيتة إقامة منك على سوء الرأى ورضى منك بذلك، وأيم الله لا تسبقنى به، ولو كان بين جلدك ولحمك، وإن نلت بعضك فغير رفيق بك ولا مرع عليك، فإن أحب لحم إلى أن آكل منه اللحم الذى أنت منه، فسلمه بجريته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه، وإن قتلته لم أقتله إلا لحبه أباك الفاسق، والسلام)(1).

ثم ولولا- ولاية زياد بن أبية وقسوته على ارض العراق وأهلها لما كانت بنو أمية تعرف ولده المشؤوم عبيد الله عليه اللعنة، لان النصوص التاريخية تؤكد وتوضح ان الاهتمام بعبيد الله بن زياد كان فى أيام معاوية بن أبى سفيان عليهما اللعنة، فعن ابن عساکر عن: (ثابت بن عبد الرحمن قال كتب معاوية بن أبى سفيان إلى زياد إذا جاءك كتابى فأوفد إلى ابنك عبيد الله فأوفده عليه فما سأله عن شىء إلا أنفذه...)(2).

وأخرج بن عساکر أيضا: (عن بلال بن أبى رجاء قال ولى معاوية عبد الله بن

1- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج6 ص360.

2- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 37 ص 437 _ 438.

عمرو بن غيلان بن سلمة الثقفي ستة أشهر على البصرة ثم عزله ثم ولي عبيد الله بن زياد البصرة سنة خمس وخمسين فلم يزل واليا حتى مات معاوية بدمشق فلما قام يزيد بن معاوية أقر عبيد الله بن زياد على البصرة وضم إليها الكوفة(1).

وقد حمل الشاعر دعبل الخزاعي في قصيدته التي ألقاها في مجلس الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه آل زياد الكثير من جرائم يوم عاشوراء وما وقع فيها من أمور فادحة ومصائب عظيمة حيث قال في إحدى قصائده الرائعة:

ديار رسول الله أصبحن بلقعا *** وآل زياد تسكن الحجرات

وآل رسول الله تدمى نحورهم *** وآل زياد آمنوا السربات

وآل رسول الله تسبى حريمهم *** وآل زياد ربة الحجلات

وآل رسول الله نحف جسمهم *** وآل زياد غلظ القصرات

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم *** أكفا عن الأوتار منقبضات

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد *** تقطع نفسى أثرهم حشرات(2)

ومن سماع الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه لهذه الأبيات وعدم رده عليها وتصحيحه إياها نكتشف الإقرار من قبل المعصوم على صحة ما جاء في أبيات الشاعر دعبل الخزاعي.

حكومة زياد سبب لإيجاد حكومة ابنه عبيد الله بن زياد

ولولا- زياد بن أبيه ووقوفه مع بنى أمية الشجرة الملعونة في القرآن، لما قرب أولاده وحفدته وتسلموا مناصب سيادية في الدولة الأموية الغاشمة، فحموا لهم

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 37 ص 437 _ 438.

2- ديوان دعبل الخزاعي: ص 63.

مما ليكهم وعبدوا لهم الطريق وذلوا لهم العقبات وأرضخوا لهم العباد وأخضعوا لهم كل معارض لحكمهم، وقد احتفظ لنا التاريخ بذكر مجموعة منهم نذكر فيما يأتي بعضهم لعنهم الله تعالى.

فمنهم عبيد الله بن زياد قاتل الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما، ومنهم زياد بن سلم بن زياد، ومنهم أبو حرب سلم بن زياد والي خراسان في زمن يزيد بن معاوية لعنهما الله، ومنهم عباد بن زياد بن أبيه زوج رملة بنت يزيد بن معاوية، ومنهم محمد ابن عبد الله بن خالد بن عباد بن زياد كان يمسك لآل أمية بعض أعمال الشام، ومنهم معاوية بن إسحاق بن عباد بن زياد بن أبيه، ومنهم يزيد بن إسحاق بن عباد بن زياد، وهذان كانا أيضا من عمال بنى أمية على بعض مناطق الشام وقراها، وقد تتبعنا ما وقع بيدي من أولاد زياد بن أبيه فلم أجدهم إلا من أعوان الظلمة بل من نفس الظلمة وقد استعان بهم آل أمية في حروبهم ونزاعاتهم وأعمالهم المشينة بحق المسلمين، فاستحقوا جميعهم اللعن كما ورد التصريح به في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة.

المبحث الرابع: لماذا استعمل أمير المؤمنين زياداً وهو يعلم أصله وعاقبته

لا يخفى على معتقد بمذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وجميع أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعلمون بتعليم من الله سبحانه وتعالى ما يخفى عن بقية الناس العاديين، وقد ورد في كتب الحديث روايات كثيرة تحكى هذه الحقيقة.

وعليه فيكون الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يعلم بتعليم من الله سبحانه وتعالى بحقيقة زياد بن أبيه وما تخفيه نفسه ويعتقد عليه ضميره، وبما سيصدر منه من أفعال مشينة وجرائم خطيرة بحق المؤمنين والمؤمنين، ويترتب على كل هذا سؤال بديهي

وهو: لماذا إذن استعمله أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على ولاية أرض خراسان وكرمان وهو يعلم بما ستؤول إليه عاقبته؟.

أقول: ان الأسباب التي حدثت بأمر المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى استعمال زياد بن أبيه كثيرة يمكن إرجاعها إلى سببين رئيسيين هما:

السبب الأول: يعود إلى زياد بن أبيه نفسه، فالإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه واحدة من أهم وظائفه — بوصفه إماماً منصوباً من قبل الله سبحانه وتعالى ولطفاً لجميع خلقه — هي تربية الأمة بجميع أفرادها ومحاولة استصلاح من يكون قابلاً للاستصلاح منهم، وزياد بن أبيه كان يملك من الطاقات والقدرات ما تميزه عن بقية أقرانه وقد تحدثنا عن بعض منها سابقاً، ولكنه كان يعاني من نقص روحي وعقدة اجتماعية تقدم توضيحها سابقاً، والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حاول الاستفادة من امتيازاته لخدمة المجتمع من جهة، وحاول أيضاً إيصال الخير والنفع لشخص زياد بن أبيه واستصلاحه وسد فراغ النقص في داخل نفسه، فأوكل إليه مهمة إطفاء وتهدئة الذين خرجوا على دولة أمير المؤمنين في أرض فارس وكرمان، وفي هذا الفعل خدمة جليلة للمجتمع، وفي المقابل ابعث زياد بن أبيه عن أرض العرب التي كان يشعر فيها بالضعف والامتهان والحقارة بسبب عقدة النسب، وأرسله إلى أرض بكر لا تعرفه بجميع تفاصيله ليبدأ فيها بداية جديدة تخفف آلامه ومعاناته وتساعد على علاجه من أمراضه وأزماته النفسية مع مرور الوقت، فيصبح بذلك إنساناً فعالاً خدوماً يستغل طاقاته لخدمة المجتمع بعيداً عن كل خلفية نفسية معقدة تستدعي فيه حالة حب الانتقام والثأر والجريمة.

فالإمام صلوات الله وسلامه عليه كان ينظر إلى زياد بن أبيه بأنه إنسان مريض يتطلب من الدولة العلوية الجديدة الرعاية والاهتمام في سبيل إزالة آلامه أو التخفيف من

معاناته، وفي المقابل كان ينظر إليه بأنه إنسان لديه من الإمكانيات ما يمكن ان يستغل في خدمة المجتمع ورقبه وتكامله، فكانت ولايته على ارض فارس وكرمان خطوة تحقق هاتين الفائدتين.

ثم ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بفضل علمه وحكمته كان متيقنا من ان زياد بن أبيه لو لم يتم احتواؤه من قبل دولة الحق والعدل دولة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فانه وبلا أدنى شك سيستغل ويسخر من قبل دولة معاوية دولة الباطل والجور، وستكون العاقبة اشد والخسارة اكبر، وسيضرر المجتمع أكثر بانضمام زياد إلى معاوية، وسيخسر زياد نفسه وسيقع في مستنقع معاوية وآل أمية، فكانت الحكمة قاضية باستعمال زياد بن أبيه لفائدته الشخصية من جهة ولفائدة المجتمع من جهة أخرى.

السبب الثاني: والذي يعود إلى الظرف الحرج والصعب الذي كان يعيشه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في تلك الحقبة الزمنية، فإن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لما وصلت إليه الخلافة ونحى ولاة عثمان بن عفان عن ولاياتهم ومناصبهم بعث مكانهم ثقاته من أصحابه ليحلوا محل ولاة الجور وليعيدوا تربية الأمة على وفق التعاليم الجديدة للدولة الجديدة.

ولكن أعداء أمير المؤمنين ومناوئيه أشعلوا بوجهه نيران الفتن والحروب، فما هي إلا أشهر قلائل حتى خرج عليه جيش النكث والغدر، جيش عائشة وجملها، ثم تبعته حرب صفين وما كان أشدها وأشرسها من حرب أكلت الأخضر واليابس، ثم فتنة الخوارج التي استتبعتها حرب النهروان، واستمرت هذه التقلبات وتلك المؤامرات يتبع بعضها بعضا إلى ان انتهت بمؤامرة مقتل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

وفى وسط هذه الظروف الصعبة كان الإمام أمير المؤمنين بأشد الحاجة إلى رجال مخلصين يشد بهم أزره ويرمى بهم عدوه ويستعين بهم على قيادة جيشه يملكون شعبية فى أوساط الجماهير ليثيروا فى نفوسهم الهمم ويستنهضوهم فى أوقات الحاجة والشدة، فاستدعى من كان من أصحابه وثقاته على ولايات المملكة الإسلامية ليستعين بهم على نصرته، ثم يرسل مكانه من يدير أمر تلك المملكة مع المحافظة على نظام الرقابة الشديدة والصارمة على هؤلاء البدلاء.

وكشاهد على هذه الحقيقة نستعرض للقارئ الكريم ما نقل من استدعائه لعمر بن أبى سلمة المخزومي، وكان عامله على البحرين، فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقى مكانه: (أما بعد، فإنى قد وليت النعمان بن عجلان الزرقى على البحرين، ونزعت يدك بلا ذم لك، ولا تثريب عليك، فلقد أحسنت الولاية، وأديت الأمانة فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم، فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام، وأحبيت أن تشهد معى، فإنك ممن أستظهر به على جهاد العدو وإقامة عمود الدين، إن شاء الله) (1).

فكانت ولاية زياد من هذا الباب، فمن جهة أرسل الإمام صلوات الله وسلامه عليه زيادا إلى فارس ولم يرسل إليها أحد أصحابه الذين يستعين بهم فى حربه الداخلية، وبذلك وفر قائدا من قادة جيشه فهو مكسب عسكري، ومن جهة ثانية استطاع زياد إخمد الثورة التى كانت فى بلاد فارس وكرمان وهو مكسب عسكري ثان، ومن جهة ثالثة كان أمير المؤمنين شديد الحيلة والحذر والمتابعة لكل فعل من أفعال زياد فقد وضع عليه العيون ليخبروه عن كل صغيرة وكبيرة وكل خطوة يخطوها، فإذا ما رأى منه تقصيراً أو خيانة صغيرة أو كبيرة نبهه وحذره وربما هدده، كما فى كتابه الذى كتبه

صلوات الله وسلامه عليه إلى زياد حيث جاء فيه: (أما بعد، فإن رسولي أخبرني بعجب زعم أنك قلت له فيما بينك وبينه: إن الأكراد هاجت بك، فكسرت عليك كثيرا من الخراج، وقلت له: لا تعلم بذلك أمير المؤمنين. يا زياد وأقسم بالله أنك لكاذب، ولئن لم تبعث بخراجك لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفرة، ثقيل الظهر)(1).

وسياسة التشديد على ولايته ومراقبتهم ومحاسبتهم والاقتصاص منهم ان استلزم الأمر كانت الصفة البارزة التي ميزت حكومته عن حكومة من سبقه من الحكام، فقد كتب إلى احد عماله الآتي: (بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وعصيت إمامك أنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقته عليه دماؤهم، فيمن إعتامك من أعراب قومك، فو الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقا لتجدن لك على هوانا، ولتخفن عندي ميزانا، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالا)(2).

وكتب إلى آخر: (فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة، وعاجلت الوثبة، واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من أخذه، كأنك حدرت إلى أهلک ترائك من أيبك وأمك، فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد أو ما تخاف نقاش الحساب ... كيف تسيغ شرابا وطعاما، وأنت تعلم أنك تأكل حراما، وتشرب حراما، وتبتاع الإماء وتنكح النساء من أموال

1- تاريخ يعقوبى ج 2 ص 204 خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

2- () شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 16 ص 175 من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيبانى.

اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين، الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال، وأحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنتني الله منك لأعذرن إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار، ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندى هوادة، ولا ظفرا منى بإرادة، حتى آخذ الحق منهما، وأزيح الباطل من مظلمتها(1).

وقد كان يرسل العيون لمتابعة ولاته من حيث لا يشعرون فيكتب له ذلك العين بجميع ما يقع عليه نظره من سلبيات وإيجابيات كما كتب صلوات الله وسلامه عليه إلى كعب بن مالك: (أما بعد، فاستخلف على عملك، وأخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب، ثم ارجع إلى البهقباذات فتول معوتتها، واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها، واعلم أن كل عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزى به، فاصنع خيرا صنع الله بنا وبك خيرا، وأعلمنى الصدق فيما صنعت، والسلام)(2).

فمع كل هذا التشديد والمراقبة والإحصاء لكل صغيرة وكبيرة على الولاية لا يضر تولى زياد بن أبيه ولا غيره ما دامت الخيانة منهم مأمونة، والمتابعة لهم مستمرة، وحقوق المسلمين واصله وحدودهم وثغورهم آمنة.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 16 ص 168.

2- تاريخ يعقوبى ج 2 ص 204 __ 205 خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَأَلَّ 2: مَرْوَانَ

المبحث الثالث: آل مروان من موقف العداء إلى مناصب الأمراء

الحكم بن العاص وأذاه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على ارض مكة والمدينة

دور عثمان بن عفان في صناعة آل مروان وإعلاء نجمهم

مروان بن الحكم الحاضر في كل فتنة

مروان يحرض الناس على نكث بيعة أمير المؤمنين

مروان على ميسرة جيش عائشة يوم الجمل

مروان يقتل طلحة بسهم أثناء انهزام جيش الجمل

مروان يشد ملك معاوية ويتولى إدارة ثلاث مناطق إسلامية مهمة

مروان يسب الإمام علياً صلوات الله وسلامه عليه على المنبر

مروان يسب الحسين ويمنع من دفن الإمام الحسن

مروان يشارك في قتل أهل المدينة في واقعة الحرة

مواقف مروان قبل وبعد قتل الإمام الحسين

مروان يحرض معاوية على قتل الإمام الحسين

مروان يأخذ من الناس البيعة ليزيد

مروان بن الحكم كان السبب في خروج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه خائفاً يترقب

الدولة الأموية كادت أن تندثر لولا أن مروان وآله أحيوها

أبناء مروان أئمة الجور وأرباب الضلالة

وَأَلْ مَرْوَانَ

إشارة

وفى هذه الفقرة أيضا مباحث مهمة نتعرض لبعض منها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

الأخبار فى لعن آل مروان كثيرة لا مجال لإحصائها فى هذه العجالة، ولكن كما قال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (ما لا يدرك كله لا يترك كله)، وفيما يأتي جملة من تلك الأحاديث المصرحة بلعن مروان وأبيه وجميع من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم، ومن هذه الأخبار ما يأتي:

قال صاحب السيرة الحلبية متحدثا عن الحكم والد مروان بن الحكم: (أسلم يوم فتح مكة وكان فى إسلامه شىء، اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نساته بالمدينة، فخرج إليه صلى الله عليه وسلم... وقال من عذيرى من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد)⁽¹⁾.

1- السيرة الحلبية للحلبى ج 1 ص 509.

وقال الحاكم النيسابورى: (حدثنى محمد بن صالح بن هانئ ثنا الحسين بن الفضل ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جعفر بن سليمان الضبعى ثنا على بن الحكم البنانى عن أبى الحسن الجزرى عن عمرو بن مرة الجهنى وكانت له صحبة ان الحكم بن أبى العاص استأذن على النبى صلى الله عليه وآله فعرف النبى صلى الله عليه وآله صوته وكلامه فقال انذونا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يشرفون فى الدنيا ويضعون فى الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(1).

وأخرج الحاكم النيسابورى أيضا: (عن الشعبى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الحكم وولده. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(2).

وقال الحاكم النيسابورى بعد ان أخرج وصحح مجموعة من الأحاديث الصريحة بلعن الحكم وما ولد ما نصه: (ليعلم طالب العلم أن هذا باب لم أذكر فيه ثلث ما روى، وأن أول الفتن فى هذه الأمة فتنهم، ولم يسعنى فيما بينى وبين الله تعالى أن أخلى الكتاب من ذكرهم(3).

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد:

(وعن الشعبى قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو مستند إلى الكعبة وهو يقول ورب هذه الكعبة لقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانا وما ولد من صلبه.

1- المستدرک للحاکم النيسابورى ج 4 ص 481.

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق ص 482.

رواه أحمد والبزار إلا أنه قال لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، والطبراني بنحوه وعنده رواية كرواية أحمد، ورجال أحمد رجال الصحيح(1).

وقال العيني في عمدة القارى: (وروى ابن مردويه عن عبد الرزاق عن أبيه عن مينا، مولى عبد الرحمن بن عوف: أن عائشة رضى الله عنها، قالت لمروان: أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول لك ولأبيك ولجدك: إنكم الشجرة الملعونة فى القرآن، وروى ابن أبى حاتم من حديث عبد الله بن عمرو: أن الشجرة الملعونة فى القرآن الحكم بن أبى العاص وولده(2).

وقال جلال الدين السيوطى فى الدر المنثور: (وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ولد الحكم بن أبى العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله فى ذلك وما جعلنا الرؤيا التى أرىناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة يعنى الحكم وولده(3).

وهم ملعونون بأدلة أخرى عامة قد مر توضيحها من قبل، فهم يندرجون تحت عنوان الدافعين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم والمزيلين لهم عن مراتبهم، ومن القاتلين والأشياء والأتباع والأولياء، وهؤلاء جميعهم قد حقت عليهم اللعنة والخزى الأبدى.

1- مجمع الزوائد للهيثمى ج 5 ص 241.

2- عمدة القارى للعيني ج 19 ص 30، وراجع أيضا الدر المنثور لجلال الدين السيوطى ج 4 ص 191.

3- الدر المنثور لجلال الدين السيوطى ج 4 ص 191 ومثله تجده فى فتح القدير للشوكانى ج 3 ص 240.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وآل

الواو هنا عاطفة وما بعدها معطوف على ما سبق ومعنى الفقرة (ولعن الله آل مروان) وقد مر في الفقرة السابقة توضيح هذه المفردات لغويا.

2: مَرَوَان

و(مَرَوَان) الوارد ذكره في هذه العبارة، هو كما عرفه ابن سعد في طبقاته بقوله: (مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي)⁽¹⁾.

المبحث الثالث: آل مروان من موقف العداء إلى مناصب الأمراء

إشارة

لا- يسع الباحث حينما يريد الكلام عن آل مروان أن يغض النظر عن (الحكم بن أبي العاص) والد مروان، لان الحكم كبيرهم وأصلهم الذي منه ورثت آل مروان العداوة والبغضاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وبسببه أيضا استحق آل مروان اللعن وهم في صلبه قبل أن يولدوا ويروا نور الوجود، وبسببه نفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مروان عن أرض المدينة المنورة، وبسببه صار يسمى مروان بطريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن طريده، ويسمى أولاد مروان أبناء طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبسببه بقيت اللعنة تناله وتناهم إلى آخر يوم من أيام الدنيا، فالكلام عن الحكم بن أبي العاص كلام عن أصل آل مروان، ومعرفة أخباره ستشارك وبدرجة كبيرة في معرفة سر آل مروان وكيف انتقل هؤلاء من منزلة الطريد اللعين إلى منزلة الحاكم والأمير.

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 35.

الحكم بن العاص وأذاه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على أرض مكة والمدينة

كانت أرض مكة معقلا من معاقل الطغاة والجبابرة الذين وقفوا وبكل ما أوتوا من قوة بوجه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته المباركة، وقد عد التاريخ مجموعة امتازت بكبير أذاها وعظيم صدها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ودينه، وقد عرفت هذه المجموعة باسم المستهزئين، قال الحلبي متحدثا عن الحكم بن أبي العاص في سيرته الحلبية: (قال ابن عبد البر وكان من المستهزئين الذين قال الله تعالى فيهم ((إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ)) أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية وهو والد مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان والعاص بن وائل)⁽¹⁾ وقد احتفظ التاريخ للحكم بن العاص بأخبار مخزية وصور منجولة غير خافية على من يتتبع سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيام دعوته في مكة.

ولما فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة آخر معقل من معاقل الكفر والإلحاد، وصار طغاة مكة بين حدين إما السيف وإما الإسلام، فاختروا الإسلام وبعبارة ثانية اختروا الاستسلام ظاهرا وأبطنوا الكفر، وتغير نمط حربهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودينه من تجهيز الجيوش ورفع السلاح إلى إثارة الفتن وبث أفكار الانحراف من داخل صفوف المسلمين أنفسهم، وقد نجح هذا الأسلوب الكافر أيما نجاح، وصار هؤلاء المستسلمون يتحينون الفرصة للقضاء والانقضاء على حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهيبته في أعين العالم عموما وأصحابه على وجه الخصوص، وبث السموم في جسد الإسلام، ففي معركة حنين وكمثال على ما ذكرنا ظهرت هذه الحقيقة جلية لا تقبل الشك والتأويل، قال اليعقوبي في تاريخه متحدثا عن واقعة حنين بما نصه: (ثم كانت وقعة حنين... فخرج إليهم رسول الله في جيش عظيم عدتهم اثنا عشر ألفا: عشرة

آلاف أصحابه الذين فتح بهم مكة وألفان من أهل مكة ممن أسلم طوعا وكرها... وكان يوما عظيم الخطب وانهمز المسلمون عن رسول الله حتى بقى فى عشرة من بنى هاشم، وقيل تسعة، وهم: على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب... وأبدى بعض قريش ما كان فى نفسه. فقال أبو سفيان: لا- تنتهى، والله، هزيمتهم دون البحر، وقال كلدة بن حنبل: اليوم بطل السحر، وقال شيبة بن عثمان: اليوم أقتل محمدا... (1).

ولم يكن الحكم بن أبى العاص بمستثنى عن هذه القاعدة فقد اثبت تاريخه الطويل بعد فتح مكة بان الإسلام لم يدخل فى قلبه لحظة واحدة، وان الكفر ما زال مخالطا للحمه ودمه إلى آخر ساعة من ساعات حياته غير المباركة، فقد كانت له مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم أخبار وأحداث يندى لها جبين الإنسانية، فقد كان يتجسس على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى داخل بيته مع نسائه وأهله، حتى أراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بعض الأيام ان يفقأ عينه، وكان يمشى خلف النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقلده ويعيب عليه مشيته، وكان يقف خلف النبى صلى الله عليه وآله وسلم فإذا ما تكلم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكلام لوى بغمه وغمز بعينيه، يريد بذلك ان يضحك الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخرج ابن حجر عن: (هند بن خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم مر النبى صلى الله عليه وسلم بالحكم فجعل الحكم يغمز النبى صلى الله عليه وسلم بأصبعه فالتفت فرآه فقال اللهم اجعله ورعا) (2) فزحف مكانه (3).

قال الحلبي: (أسلم يوم فتح مكة وكان فى إسلامه شىء اطلع على رسول الله

1- تاريخ يعقوبى ج 2 ص 62 وقعة حنين.

2- وفى بعض الكتب الأخرى وزغا بدل ورعا.

3- الإصابة لابن حجر ج 2 ص 91.

صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج إليه صلى الله عليه وسلم ... وقال من عذيري من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة(1).

وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب: (واختلف فى السبب الموجب لنفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه فقليل كان يتحيل ويستخفى ويتسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كبار الصحابة فى مشركى قريش وسائر الكفار والمنافقين فكان يفشى ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه وكان يحكمه فى مشيته وبعض حركاته إلى أمور غيرها كرهت ذكرها)(2).

فمروان وآل مروان من ظهر ملعون كهذا قد نزلوا، وفى مثل هذه البيوت المبغضة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإسلام عاشوا وتربوا وترعرعوا، ولا- يجب أن ننسى دور أهمهم الزرقاء التى كانت تعد من ذوات الرايات اللاتى يتداولهن رجال العرب بالزنا والفاحشة، قال ابن الأثير متحدثا عن مروان بن الحكم ما نصه: (وكان يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيهم وهى الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لأبيه وكانت من ذوات الرايات التى يستدل بها على ثبوت البغاء فلهذا كانوا يذمون بها)(3).

وحيثما بلغ الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فى أحد الأيام ان مروان بن الحكم يسب على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه: (فقام الحسين مغضبا حتى دخل على مروان فقال له: يا ابن الزرقاء ويا ابن آكلة القمل...)(4).

1- السيرة الحلبية للحلبى ج 1 ص 509.

2- الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 359.

3- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 194 ذكر صفته __ مروان __ ونسبه وأخباره.

4- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 44 ص 211.

فمروان وآل مروان أبناء هذا البيت العفن، نشأوا ما بين كفر وفجور، نزلوا من أصلاب اللعناء وتربوا في حجور المومسات ذوات الرايات، فماذا عسى ان يكون حالهم غير ما أصبحوا عليه من بغض الأنبياء وأولاد الأنبياء والإعانة على قتلهم وقتالهم؟!.

دور عثمان بن عفان في صناعة آل مروان وإعلاء نجمهم

لم يكن مروان وأبوه الحكم وأولاده يتصورون ان يعودوا إلى ارض المدينة في يوم من الأيام، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان طرد الحكم وأولاده من أرض يثرب شدد على عدم رجوعهم إليها مرة أخرى، وحتى الذين تولوا الإمارة والسلطة من بعده صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رغم تغييرهم لكثير من الثوابت النبوية إلا أنهم لم يستطيعوا بحال من الأحوال القبول بعودة الحكم بن العاص إلى المدينة، ولم يسمحوا كذلك بوساطات عثمان بن عفان الذي كان كثير الإلحاح على النبي وعلى أبي بكر وعمر بشأن إرجاعهم مرة أخرى إلى المدينة، وكم من مرة ومرة اسمعوه الكلام الخشن الشديد بسبب إصراره وإلحاحه على مسألة كانت في نظر المسلمين محسومة النتيجة، قال الحلبي متحدثاً عن محاولات عثمان الفاشلة: (وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده إلى الطائف ومكث به مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة أبي بكر بعد أن سأله عثمان في إدخاله المدينة فأبى فقال له عثمان عمى فقال عمك إلى النار هيهات هيهات أن أغير شيئاً فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا- رددته أبدا فلما توفي أبو بكر وولى عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله(1)).

ولكن ما إن وصل عثمان بن عفان إلى دكة الحكم والسيادة حتى خلا- له الجو وأدخلهم ارض المدينة على رغم أهلها من المهاجرين والأنصار، وعلى رغم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومن تلاه من الأمراء، قال الحلبي: (فلما ولي عثمان رده إلى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والأنصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة فكان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه)(1).

ولم يكتف عثمان بن عفان بإدخالهم المدينة فحسب، لكنه وزيادة في إغاظه الصحابة والمعارضين مكنهم وقربهم وزادهم أموالاً ونفوداً، قال ابن سعد: (واستعمل أقباءه وأهل بيته في الست الأواخر وكتب لمروان بخمس مصر وأعطى أقباءه المال)(2).

وقال ابن الأثير: (ثم إن عبد الله بن سعد عاد من إفريقية إلى مصر وكان مقامه بإفريقية سنة وثلاثة أشهر... وحمل خمس إفريقية إلى المدينة فاشترى مروان بن الحكم بخمس مائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا مما أخذ عليه، وهذا أحسن ما قيل في خمس إفريقية فإن بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس إفريقية عبد الله ابن سعد، وبعضهم يقول: أعطاه مروان بن الحكم، وظهر بهذا أنه أعطى عبد الله خمس الغزوة الأولى وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع إفريقية والله أعلم)(3).

وقال الحلبي: (وكان من جملة ما انتقم به على عثمان أنه أعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية)(4).

1- المصدر السابق.

2- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 3 ص 64 ذكر المصريين وحصر عثمان.

3- الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 91 ذكر انتقاض إفريقية وفتحها ثانية.

4- السيرة الحلبية للحلبي ج 2 ص 272.

وروى ابن أبي الحديد: (عن أم بكر بنت المسور، قالت: لما بنى مروان داره بالمدينة، دعا الناس إلى طعامه، وكان المسور ممن دعاه، فقال مروان وهو يحدثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه، فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت كان خيرا لك. لقد غزوت معنا إفريقية، وإنك لأقلنا مالا ورقيقا وأعوانا، وأخفنا ثقلا، فأعطاك ابن عمك خمس إفريقية، وعملت على الصدقات، فأخذت أموال المسلمين)(1).

ولم يكتف عثمان بن عفان بجعل مروان وإخوته وأبيه من أصحاب الملايين وممن يكسر ذهبهم وفضتهم بالفؤوس على حساب المسلمين وورغما على أنوفهم، حتى صيره وأهل بيته من سادات المسلمين وأوكل إليه منصب كاتب الخليفة بعد أن زوجه ابنته عائشة بنت عثمان فصار بذلك صهر الحاكم وكاتبه ومن طبقة الأغنياء وأصحاب الملايين، فصارت لهم بفضل عثمان كلمة مسموعة وسطوة وشكيمة يتصرفون ما يحلو لهم بمقدرات المسلمين وقضاياهم المهمة، من بعد قتلهم وذلتهم وفقرهم وتشردهم.

وقد لعبت الملايين المختلصة من أموال المسلمين والمناصب السيادية التي أعطيت لمروان وأهل بيته، وبفضل مؤازرة عثمان بن عفان لهم في تجنيد الرواة المأجورين في محاولة لتلميع صورة مروان بن الحكم وتحسينها وتغيير نظرة الناس تجاهه وتجاه أهل بيته الملعونين المطرودين، فوضعوا لهم روايات تبيض صفحاتهم فجعلوه تارة سيد شباب قریش، في مقابل لقب سيد شباب أهل الجنة الذي لقب به كل من الإمام الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، وتارة أخرى وصفوه بالقارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله الشديد في حدود الله، فقد أخرج ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق رواية مكدوبة

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 3 ص 37 __ 38.

عن: (محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال سمعت الشافعي يقول: لما انهزم الناس بالبصرة يوم الجمل كان علي بن أبي طالب يسأل عن مروان بن الحكم فقال رجل يا أمير المؤمنين إنك لتكثر السؤال عن مروان بن الحكم فقال تعطفني عليه رحم ماسة وهو مع ذلك سيد من شباب قريش)(1).

وأخرج ابن عساكر رواية أخرى: (عن قبيصة بن جابر عن معاوية أنه قال لما سأله من ترى لهذا الأمر بعدك وأما القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله الشديد في حدود الله مروان بن الحكم)(2).

وصيره صاحب فقه وقضاء، قال ابن عساكر عن: (حنبل بن إسحاق قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول مروان بن الحكم كان عنده قضاء وكان يتبع قضاء عمر)(3).

فصار مروان بفضل كل هذا يرى في نفسه الأهلية لقيادة الأمة وزعامتها، وصار يرى إمارة عثمان بن عفان إمارة أهله، وان كل من يحاول انتزاع الملك من عثمان ومنه، فانه ينتزع حقا من حقوقهم، فتغيرت نظرتة إلى نفسه من نظرة الطريد الملعون المبعد بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى نظرة السيد المهاب الذي يجب على الجميع إطاعته في كل ما يأمر وينهى، فصار بفضل دهائه وبفضل الضعف الذي كان يعانيه عثمان بن عفان المدير الذي يحرك المملكة الإسلامية باسم عثمان وأختامه، وهذا ما يتضح في النص التالي الذي نقله الطبري في تاريخه فحينما اجتمع الناس على عثمان يستنكرون عليه أفعاله: (خرج مروان إلى الباب والناس يركب

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 57 ص 238.

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق ج 57 - ص 239.

بعضهم بعضا فقال ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جنتم لذهب شاهت الوجوه كل إنسان آخذ بإذن صاحبه ألا من أريد جنتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا أما والله لئن رتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فإننا والله ما نحن مغلوبين على ما فى أيدينا(1).

وقد كان مروان احد أهم الأسباب التى أدت إلى مقتل عثمان بن عفان وهو ما حذر منه كل من أمير المؤمنين ونائلة ابنة الفرافصة زوجة عثمان، قال الطبرى: (فجاء على عليه السلام مغضبا حتى دخل على عثمان فقال أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الطعينة يقاد حيث يسار به والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه وأيم الله إنى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك... فلما خرج على دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته فقالت أتكلم أو أسكت فقال تكلمى فقالت...وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء...فإنك متى أطعت مروان قتلك ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وإنما تركك الناس لمكان مروان(2).

مروان بن الحكم الحاضر فى كل فتنة

إشارة

منذ ان رجع مروان بن الحكم من الطائف إلى المدينة لم تكن من فتنة قد نشبت بين مجموعتين من المسلمين إلا ووجدنا مروان بن الحكم كان احد أطرافها، فقد كان

1- تاريخ الطبرى ج 3 ص 397 ذكر مسير من سار إلى ذى خشب من أهل مصر وسبب مسير من سار إلى ذى المروة من أهل العراق، وراجع أيضا الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج3 ص165 ذكر مسير من سار إلى حصار عثمان، وراجع أيضا البداية والنهاية لابن كثير ج7 ص193 فى ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية.
2- المصدر السابق.

له القدح المعلى فى إذكاء العداوة والبغضاء بين صفوف المسلمين، وقد كان معروفًا بين المسلمين بهذه الصفة الخبيثة، فهو الذى أهلك عثمان بن عفان وأورده المنية كما صرح بذلك الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ونائلة زوجة عثمان.

مروان يحرض الناس على نكث بيعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

لما قتل عثمان بن عفان ووصل أمير المؤمنين إلى الخلافة وثار الثائرون بوجهه ونكث المبايعون بيعتهم، كان مروان بن الحكم يؤلب الجماهير على رفض بيعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ويحرض على بيعة معاوية أو إرجاع الأمور إلى غير صف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد كتب إليه معاوية بن أبى سفيان: (...فإذا قرأت كتابى هذا فكن كالفهد لا يصطاد إلا غيلة، ولا يتشازر إلا عن حيلة، وكالثعلب لا يفلت إلا روغانا. واخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكف، وامتهن نفسك امتهان من يئأس القوم من نصره وانتصاره، وابحث عن أمورهم بحث الدجاجة عن حب الدخن عند فقاسها، وأنغل الحجاز فإنى منغل الشام. والسلام)(1).

مروان على ميسرة جيش عائشة يوم الجمل

فلما نجحت مساعيه ومساعى معاوية وسارع كل من طلحة والزبير وعائشة إلى نقض البيعة وإشعال نار الفتنة كان مروان بن الحكم من أشد المحرضين على اتباعهم والالتحاق بجيش الناكثين، وتم تعيينه على ميسرة ذلك الجيش الغادر، قال ابن عساکر: (وقال أبو عبيدة: وعلى الميسرة يعنى يوم الجمل وهم أهل اليمن مروان بن الحكم)(2).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 10 ص 236 _ 237 ذكر أقوال من طعن فى سياسة على والرد عليها.

2- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 57 ص 241.

وكان فى أثناء المعركة ىرمى بالسهم تارة على جيش أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وتارة أخرى على نفس جيش عائشة الذى كان هو احد أفرادها بل من قواده، وكان يقول: (نضرب بعضهم ببعض فمن قتل كان الظفر فيه ويبقى الباقي فنطلبه وهو واهن ضعيف)(1).

مروان يقتل طلحة بسهم أثناء انهزام جيش الجمل

ولما ظهرت بوادر النصر ولاحت الغلبة لجيش أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وتخلخل جيش النكث وضع مروان سهما فى قوسه ورمى به طلحة الذى كان مروان يقاتل تحت إمرته وفى ظل رايته فأصابه برجله فنزف حتى هلك، قال محمد بن سعد: (فلما قتل عثمان وسار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان خرج معهم مروان بن الحكم فقاتل يومئذ أيضا قتالا شديدا فلما رأى انكشاف الناس نظر إلى طلحة بن عبيد الله واقفا فقال والله إن دم عثمان إلا عند هذا هو كان أشد الناس عليه وما أطلب أثرا بعد عين ففوق له بسهم فرماه به فقتله)(2).

مروان يشد ملك معاوية ويتولى إدارة ثلاث مناطق إسلامية مهمة

فلما استشهد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وتولى معاوية بن أبى سفيان لعنه الله صار مروان من أمرائه يشد له ملكه ويقويه، وصار يترقى شيئا فشيئا فى مناصب الدولة الأموية، قال ابن عساکر: (وفىها يعنى سنة إحدى وأربعين ولى يعنى معاوية بن أبى سفيان مروان بن الحكم المدينة وعبد الرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة مكة... ثم جمعهما والطائف لمروان بن الحكم وأقام الحج يعنى سنة ثلاث وأربعين

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 35 مروان بن الحكم.

2- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 38 _ 43.

مروان بن الحكم وأقام الحج يعنى سنة خمس وأربعين مروان بن الحكم... (1).

مروان يسب الإمام علياً صلوات الله وسلامه عليه على المنبر

واستغل مروان بن الحكم منصبه كوالٍ للمدينة لإفراغ حقه وبغضه لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فأعلن وشجع وأظهر السب واللعن لأمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه على منابر الجمعة والجماعة في مكة والمدينة والطائف، قال ابن عساکر: (عن ابن عون عن عمير بن إسحاق قال كان مروان بن الحكم أميراً علينا ست سنين فكان يسب علياً كل جمعة على المنبر ثم عزل فاستعمل سعيد بن العاص سنتين فكان لا يسبه ثم عزل وأعيد مروان فكان يسبه) (2).

مروان يسب الحسين ويمنع من دفن الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه

وكان مروان يتحين الفرص لأذى الإمامين الحسين صلوات الله وسلامه عليهما ويعرض بهما بقوله (أهل بيت ملعونون) (3) ولما استشهد الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه وأراد أهل بيته دفنه إلى جوار جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم عارضهم مروان بن الحكم وعائشة بنت أبي بكر كما روى ذلك اليعقوبى بقوله: (ثم أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله، فركب مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، فمنا من ذلك، حتى كادت تقع فتنة. وقيل إن عائشة ركبت بغلة شهباء، وقالت: بيتى لا آذن فيه لأحد. فأتاها القاسم بن محمد ابن أبي بكر، فقال لها يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء؟ فرجعت. واجتمع مع الحسين بن على جماعة وخلق من

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 57 ص 241.

2- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 57 ص 243.

3- مجمع الزوائد للهيثمى ج 5 ص 240 باب غضب السلطان، باب فى أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة.

الناس، فقالوا له: دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا كأكلة رأس. فقال: إن أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم. فدفن الحسن في البقيع(1).

مروان يشارك في قتل أهل المدينة في واقعة الحرة

قال محمد بن سعد: (فلما وثب أهل المدينة أيام الحرة أخرجوا عثمان بن محمد وبنى أمية من المدينة فأجلوهم عنها إلى الشام وفيهم مروان بن الحكم وأخذوا عليهم الأيمان ألا يرجعوا إليهم وإن قدروا أن يردوا هذا الجيش الذي قد وجه إليهم مع مسلم بن عقبة المرى أن يفعلوا فلما استقبلوا مسلم بن عقبة سلموا عليه وجعل يسائلهم عن المدينة وأهلها فجعل مروان يخبره ويحرضه عليهم فقال له مسلم ما ترون تمضون إلى أمير المؤمنين أو ترجعون معي فقالوا بل نمضى إلى أمير المؤمنين وقال مروان من بينهم أما أنا فأرجع معك فرجع معه مؤازرا له معينا له على أمره حتى ظفر بأهل المدينة وقتلوا وانتهدت المدينة ثلاثا وكتب مسلم بن عقبة بذلك إلى يزيد وكتب يشكر مروان بن الحكم ويذكر معونته إياه ومناصحته وقيامه معه وقدم مروان على يزيد بن معاوية الشام فشكر ذلك له يزيد وقربه وأدناه فلم يزل مروان بالشام حتى مات يزيد بن معاوية(2).

مواقف مروان قبل وبعد قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

إشارة

كانت لمروان تجاه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومواقف ومواقف يندى لها جبين الأحرار، وليس بغريب على مروان هذه المواقف وهو الطريد ابن الطريد والملعون ابن الملعون، وللإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في ذلك أسوة بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأخيه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه فقد كان مروان

1- تاريخ يعقوبى ج 2 ص 225 وفاة الحسن بن علي.

2- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 38 _ 43.

وأبوه يجرعونهم الغصص والآلام فيصفتح عنهم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تارة تكرماً، وتارة أخرى يتركون فيهم أثراً تكوينياً كما حدث مع الحكم والد مروان حينما دعا عليه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فاختلج وزحف مكانه عسى ان يعود وأهل بيته الملعونون إلى رشدهم ويتعظوا بما فعل بهم، ولكن الحكم وابنه مروان وآل مروان كانت قلوبهم منكوسة ترى الأمور معكوسة فعلى رغم كل تلك اللعنات والآثار النبوية التي تركت فيهم بقوا إلى ان ماتوا يرون الحق في أذاهم للنبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والباطل في الإيمان بهم والإقرار بفضلهم.

مروان يحرض معاوية على قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

كانت واحدة من طباع معاوية غير المحمود شأنها شان بقية طباعه هي الفتك والغدر بكل من يتيقن بأنه بات يشكل خطراً حقيقياً على الدولة الأموية، والشواهد على هذه الحقيقة كثيرة لا مجال لإحصائها بهذه العجالة، فكثير هم الذين قتلوا سما وغدرا بشرية من غسل دسها إليهم معاوية بن أبي سفيان عليه اللعنة حتى كان معاوية يتبجح ويفتخر بنجاح هذه الوسيلة الماكرة في تثبيت ملكه بقوله (ان لله جنوداً من غسل) وللشيخ محمد أبو رية المصرى فى كتابه (شيخ المضيرة أبو هريرة) كلام مهم يستعرض فيه بعض من تم قتلهم بالسّم على يد معاوية بن أبي سفيان جاء فيه: (صرف معاوية كيد وبعيه أول الأمر إلى الحسن رضى الله عنه الذى كان يزاحمه بحقه فى الخلافة وما زال يراوغه بكيد حتى تخلص منه بالسّم... وممن سمهم معاوية: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وذلك عندما شاور أهل الشام فيمن يعقد له من بعده فقالوا له: رضينا بعبد الرحمن بن خالد وكان أهل الشام يحبونه، فشق ذلك على معاوية وأسرها فى نفسه ثم مرض عبد الرحمن بعد ذلك فأمر معاوية طبيباً يهودياً

وكان مكينا عنده. أن يأتيه فيسقيه سقية تقتله، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات. وعلى أثره مات عبد الرحمن بن أبي بكر... بالسّم، وكان سبب ذلك أنّ معاوية حينما كان يدعو إلى بيعة يزيد قال له عبد الرحمن هذا: أهرقلية إذا مات كسرى كان كسرى مكانه؟ لا تفعل والله أبدا، فبعث إليه معاوية بمئة ألف درهم، فردها عبد الرحمن وقال: أبيع ديني بدنياي. وما لبث أن مات فجأة بموضع يقال له الحبشى _ جبل بأسفل مكة _ وحمل إلى مكة فدفن فيها. وممن سمهم معاوية كذلك مالك بن الأشتر الذي ولاه الإمام على مصر وكان سمه في غسل ولذلك قال عمرو بن العاص في ذلك إن لله جنودا من غسل(1).

ولا نحصى من تخلص منهم معاوية بالسّم(2).

ومروان بن الحكم الذى هو مورد كلامنا فى هذه الأسطر كان يعلم بسياسة معاوية تجاه معارضيه ومن يشعر تجاههم بالخطر، فحاول ان يحفز فى نفس معاوية الشعور بالانتقام تجاه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عسى أن يفلح فى استحصال قرار أموى بقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كما قُتل أخوه بالسّم قبل وقت ليس بالطويل، فكتب مروان بن الحكم إلى معاوية فى واحدة من رسائله التحريضية ما يأتى: (إني لست آمن أن يكون حسين مرصدا للفتنة، وأظن أن يومكم من حسين طويلا)(3). لكن الوقت لم يسعف معاوية بن أبي سفيان؛ لأنه وكما يقول الشيخ

1- كثيرة هي المصادر التي صرحت بان كلمة (ان لله جنودا من غسل) هي لمعاوية كان يقولها كلما سمع بموت احد ضحاياه، ومن هذه المصادر التاريخية كتاب معجم البلدان للحموى حيث قال فى ج 1 ص 454: (الأشتر مات بالقلم فى طريقه إلى مصر، وكان على، رضى الله عنه، وجهه أميراً، فيقال إن معاوية دس إليه عسلاً مسموماً فأكله فمات بالقلم، فقال معاوية: إن لله جنوداً من غسل) وعلى كلا التقديرين يبقى كل من عمرو بن العاص ومعاوية وجهين لعملة واحدة، فلا يهمننا القائل بقدر ما يهمننا الطريقة الخبيثة الماكرة التي كان يتبعها معاوية ضد كل من يشعر معه بالخطر.

2- شيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبو رية ص 175 _ 176 انصراف معاوية إلى أولاد على.

3- () البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 147 صفة مخرج الحسين إلى العراق، سير أعلام النبلاء للذهبي ج 3 ص 294.

أبورية: (مات معاوية قبل أن يلحق الحسين بأخيه الحسن... وترك ذلك لابنه يزيد)(1).

مروان يأخذ من الناس البيعة ليزيد

قد لعب مروان بن الحكم دورا هاما في تسهيل وصول يزيد إلى الإمارة بعد أبيه معاوية، فمنذ أن كان معاوية بن أبي سفيان على قيد الحياة طلب من مروان وكان عامله على الطائف ومكة والمدينة أن يمهد الطريق ليزيد ويروض نفوس الجماهير لقبول ولاية عهده، وان يحتال في استحصال تأييدهم بحجة طلب النصيحة والإعانة على المشورة منهم لا بعنوان القسر والغصب، فكتب إليه كتابا جاء فيه: (إني قد كبرت سنى ودق عظمى وخشيت الاختلاف على الأمة بعدى وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدى وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك فاعرض ذلك عليهم وأعلمنى بالذى يردون إليك)(2).

قال ابن اعثم الكوفى: (فأرسل مروان إلى وجوه أهل المدينة فجمعهم فى المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الطاعة وحض عليها وذكر الفتنة وحذر منها. ثم قال فى بعض كلامه: أيها الناس إن أمير المؤمنين قد كبر سنه، ورق جلده وعظمه، وخشى الفتنة من بعده، وقد أراه الله رأيا حسنا، وقد أراد أن يختار لكم ولى عهد يكون من بعده لكم مفرعا، يجمع الله به الألفة ويحقن به الدماء، وأراد أن يكون ذلك من مشورة منكم وتراض، فماذا تقولون فقال الناس من كل جانب: إنا لا نكره ذلك إذا كان لله فيه رضا)(3).

1- شيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبورية ص 175 انصراف معاوية إلى أولاد على.

2- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 506.

3- كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى ج 4 ص 334 __ 335.

وقال ابن الأثير: (فقام مروان فى الناس فأخبرهم به فقال الناس أصاب ووفق وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألوا)(1).

فكتب مروان إلى معاوية يخبره بأن النفوس مهياة والأجواء مناسبة لتقبل خير ولاية عهد يزيد بعد معاوية، فأعاد معاوية عليه الجواب وأمره بأن يصرح علنا باسم يزيد ويعلم القاصى والدانى بأن يزيد خليفته وان الاختيار قد وقع عليه: (فكتب مروان إلى معاوية بذلك فأعاد عليه الجواب يذكر يزيد فقام مروان فيهم وقال إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده، قال ابن الأثير: (فكتب مروان إلى معاوية بذلك فأعاد عليه الجواب يذكر يزيد فقام مروان فيهم وقال إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده)(2).

أما ابن اعثم فقال: (فقال مروان: إنه قد اختار لكم الرضا الذى يسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين المهديين وهو ابنه يزيد)(3).

وكان ينادى يوم بويح يزيد كما يقول الذهبي: (وقال سالم بن عبد الله: لما أرادوا أن يباعدوا ليزيد قام مروان فقال: سنة أبى بكر الراشدة المهدي)(4).

وقد اجتمع مروان بالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ذات يوم فقال له: (أطعنى ترشد، قال: قل، قال: بايع أمير المؤمنين يزيد فهو خير لك فى الدارين فقال الحسين: وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد ولقد سمعت جدى يقول الخلافة محرمة على آل أبى سفيان)(5).

1- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 506.

2- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 506.

3- كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى ج 4 ص 334.

4- تاريخ الإسلام للذهبي ج 4 ص 148.

5- مشير الأحزان لابن نما الحلوى ص 15.

مروان بن الحكم كان السبب في خروج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه خانفا يترقب

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: (فلما مات معاوية كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان __ وكان على المدينة من قبل معاوية __ أن يأخذ الحسين عليه السلام بالبيعة له، ولا يرخص له في التأخر عن ذلك. فأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام في الليل فاستدعاه، فعرف الحسين الذي أراد فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمرا لا- أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه مني.

فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم، فعنى الوليد إليه معاوية فاسترجع الحسين عليه السلام، ثم قرأ كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فقال له الحسين: إنى لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرا حتى أباعه جهرا، فيعرف الناس ذلك، فقال الوليد له: أجل، فقال الحسين عليه السلام: فتصبح وترى رأيك في ذلك فقال له الوليد: انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس.

فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبائع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى يكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبائع أو تضرب عنقه.

فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أو هو؟! كذبت والله وأثمت، وخرج يمشى ومعه مواليه حتى أتى منزله.

فقال مروان للوليد: عصيتني، لا والله لا يمكنك مثلها من نفسه أبدا، فقال الوليد: يا مروان إنك اخترت لى التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لى ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأنى قتلت حسينا، سبحان الله! أقتل حسينا إن قال لا أباع؟! والله إنى لأظن أن امراء يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة... فلما كان آخر

نهار يوم السبت بعث الرجال إلى الحسين بن علي عليهما السلام ليحضر فيبايع الوليد ليزيد بن معاوية، فقال لهم الحسين: أصبحوا ثم ترون ونرى فكفوا تلك الليلة عنه ولم يلحوا عليه.

فخرج عليه السلام من تحت ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجها نحو مكة ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه وجل أهل بيته... فسار الحسين عليه السلام إلى مكة وهو يقرأ: ((فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (1)(2).

الدولة الأموية كادت أن تندثر لولا أن مروان وآله أحبوها

إشارة

اضطربت الأوضاع السياسية كثيرا بعد استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وصارت الأمة تشعر يوما بعد يوم بفداحة ما وقع وعظيم ما ارتكب من جريمة بحق الإسلام أولا وبحق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثانيا، وشاهد الناس بأم أعينهم صدق ما كان يقوله سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه من ان يزيد بن معاوية ما هو إلا مستهتر بكل القيم الأخلاقية، لا يعظم كبيرا ولا يرحم صغيرا، لكن هذه الصحوة لجزء من ضمير الأمة كانت ولشديد الأسف بعد فوات الأوان، فالأمة التي رفضت أن تعطى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه النصر والعون والمساندة في سبيل إخراجها من الظلم الأموي، ها هي في واقعة الحرة تعطى دماء رجالها وأعراض نسائها وأرواح أطفالها، والرجال الذين رفضوا الوقوف في صف الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوم انتدبهم لنصرته هاهم يندمون ويخرجون في ثورة عرفت بعد ذلك بثورة التوابين.

إن أمر هذه الأمة لعجيب حقا، قد هربوا من الشهادة مع الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لكنهم قتلوا أنفسهم يوم الحرة في معركة خاسرة، وسمحوا بأن يخرج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعياله ونسائه، ولم يحركوا ساكنا يوم سببت حرائر

1- سورة القصص الآية رقم 21.

2- الإرشاد للشيخ المفيد ج2 ص33 محاولة اخذ البيعة من الحسين عليه السلام وفشلها.

الرسالة من بلد إلى بلد ومن طاغية إلى آخر، حبا للسلامة وخوفا على النساء والأطفال، فدخل الطغاة إلى عقر دورهم، فسيبت نساؤهم واعتدى على عفتهم في خدورهن، فما خافوه بالأمس وقعوا بشر منه اليوم، وقد صدق قول الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وفي غيرهم: (أما بعد فإنه من لحق بي استشهد ومن تخلف عنى لم يبلغ الفتح)⁽¹⁾ فلم ينالوا ما ناله الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه الذين بلغوا الشهادة والسعادة الدنيوية والأخروية، ولم يحصلوا على ما كانوا يطمحون إليه ويتمنونونه من السلامة والحفاظ على النفس والأهل والعرض والمال فضيعوا عليهم طريق السعادة وطريق السلامة، فأعقبهم ذلك شقاء وذلة وخسرانا في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

وعلى أى الأحوال فإن السياسة الظالمة ليزيد بن معاوية والضعف الإدارى لحكومته وغير ذلك من أسباب قد أدى إلى ظهور تيارات وقوى غير خاضعة لسلطة الدولة، وأقوى تلك التيارات هو تيار عبد الله بن الزبير الذى اتخذ مكة المكرمة مقرا لثورته التى خرجت بمرور الأيام عن عنوان الثورة لتصبح دولة، إذ صار له ولاية وجيوش وغير ذلك من مقومات الدولة أو الدويلة، والذى يهمنى من كل هذا السرد هو أن يزيد بعد أن مات مسودا وجهه ملعونا ذكره، تولى الإمارة ابنه الضعيف معاوية ابن يزيد، (وأنته بيعة الآفاق إلا ما كان من ابن الزبير وأهل مكة فولى ثلاثة أشهر ويقال أربعين ليلة ولم يزل فى البيت لم يخرج إلى الناس كان مريضا فكان يأمر الضحاح بن قيس الفهري يوصلى بالناس بدمشق فلما ثقل معاوية بن يزيد قيل له لو عهدت إلى رجل عهدا واستخلفت خليفة فقال والله ما نفعتنى حيا فأتقلدها ميتا وإن

1- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 502 باب 9 فى الأئمة أنهم يعرفون متى يموتون ويعلمون ذلك قبل ان يأتيهم الموت الحديث رقم 5.

كان خيرا فقد استكثر منه آل أبي سفيان لا تذهب بنو أمية بحلاوتها وأتقلد مرارتها والله لا يسألني الله عن ذلك أبدا ولكن إذا مت فليصل على الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وليصل بالناس الضحاک بن قيس حتى يختار الناس لأنفسهم ويقوم بالخلافة قائم(1).

ولما مات معاوية بن يزيد وتركت الدولة الأموية بلا ولي عهد تضعضعت أركانها واختلف قادة جيوشها واختلفت الناس وظهر التصدع والتشقق في أركان السلطة، وعلا نجم ابن الزبير واشتدت شكيمته والتحق به العديد من قادة الجيش الأموي، وفي هذا الصدد يقول محمد بن سعد: (واختلف الناس بالشام فكان أول من خالف من أمراء الأجناد ودعا إلى ابن الزبير النعمان بن بشير بحمص، وزفر بن الحارث بقنسرين ثم دعا الضحاک بن قيس بدمشق الناس سرا ثم دعا الناس إلى بيعة ابن الزبير علانية فأجابته الناس إلى ذلك وبايعوه له وبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إلى الضحاک بن قيس بعهدته على الشام فكتب الضحاک إلى أمراء الأجناد ممن دعا إلى ابن الزبير فأتوه(2).

ومروان صاحب حديثنا في هذه الفقرة كان يرى موازين القوى تميل وبشكل ملحوظ إلى كفة عبد الله بن الزبير، وأنه بات يمتلك أكبر قوة عسكرية في الساحة وقد بايعه أكثر أمراء الجند، فقرر والحال هذه أن يستبق غيره بالذهاب إلى مكة وإعلان الولاء والبيعة لابن الزبير من أجل أن يحظى عنده بالقرب أولا، وليحصل على تأمين على أرواح وممتلكات البقية الباقية من آل مروان، وانطلق مروان فعلا إلى مكة وكاد أن يقع ما خطط له لولا أن عبىء الله بن زياد صادفه بالطريق وأقنعه بعدم الذهاب وان

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 39.

2- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 39 — 40.

يطالب هو بالإمارة وعرض عليه المساعدة هو وعمرو بن سعيد بن العاص بشرط ان يبايع لعمرو بن سعيد من بعده، قال ابن سعد: (فلما رأى ذلك مروان خرج يريد ابن الزبير بمكة ليبايع له ويأخذ منه أماناً لبني أمية وخرج معه عمرو بن سعيد بن العاص فلما كانوا بأذرعوات وهي مدينة البثينة لقيهم عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق فقال لمروان: أين تريد؟ فأخبره، فقال سبحان الله أرضيت لنفسك بهذا تبايع لأبي خبيب وأنت سيد بني عبد مناف والله لأنت أولى بها منه، فقال له مروان: فما الرأي قال أن ترجع وتدعو إلى نفسك وأنا أكفيك قريشا ومواليها ولا يخالفك منهم أحد فقال عمرو بن سعيد صدق عبيد الله إنك لجذم قريش وشيخها وسيدها وما ينظر الناس إلا إلى هذا الغلام خالد بن يزيد بن معاوية فتزوج أمه فيكون في حجرك وادع إلى نفسك فأنا أكفيك اليمانية فإنهم لا يخالفوني وكان مطاعاً عندهم على أن تبايع لي من بعدك قال نعم) (1).

وبعد مكر وحيلة وقتل وقتال وإعانة من شياطين الأنس والجان وصل مروان ابن الحكم إلى مناصب الأمراء بعد أن كان من اللعناء أولاد اللعناء، فابتدأت بذلك الدولة المروانية، التي أنقذت الدولة الأموية من الانحلال والتلاشي لتبدأ بذلك صفحة سوداء جديدة تضاف إلى صفحات بني أمية التي ما زالت الأمة الإسلامية إلى الآن تن من ثقل تبعاتها وجرائمها.

أبناء مروان أئمة الجور وأرباب الضلالة

بعد ان لم يبق مروان بن الحكم في إمارته إلا تسعة أشهر وعدة أيام، حيث مات خنقا من قبل زوجته كما صرح بذلك ابن عساکر بقوله: (وقتل مروان قتلته

امراته أم معاوية بن يزيد لثلاث خلون من رمضان فولى تسعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً وتوفى وله أحد وثمانون سنة(1)، فكانت ولايته كما وصفه ووصفها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وله إمرة كلحسة ___ كلعقة ___ الكلب أنفه)(2) إشارة إلى قصر مدتها وضحالة حقيقتها.

ووصل ابنه المشؤوم عبد الملك بن مروان إلى سدة الحكم واستولى على ما كان تحت يد أبيه، لأن الدولة الإسلامية كانت مقسمة إلى جزأين، فمروان كان يسيطر على مصر والشام، وعبد الله بن زياد كان يسيطر على الحجاز والعراق، وقد خاض عبد الملك مع ابن الزبير معارك شرسة ونزاع شديد دام سبع سنين انتهى بمقتل ابن الزبير، وانهزام جيوشه وسيطرة عبد الملك بن مروان على جميع ما كان تحت يده وولايته، قال ابن عساکر: (وبايح أهل الشام بعده لعبد الملك بن مروان فكانت الشام ومصر في يد عبد الملك كما كانت في يد أبيه وكانت العراق والحجاز في يد ابن الزبير وكانت الفتنة بينهما سبع سنين ثم قتل ابن الزبير بمكة يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وهو ابن اثنين وسبعين سنة واستقام الأمر لعبد الملك بن مروان بعده)(3) فمروان بن الحكم وان كان مؤسس الدولة المروانية المشؤومة إلا ان عبد الملك ابنه هو من أرسى قواعدها وشد أزرها وقضى على معارضيتها وأعاد شوكة الدولة وشكيمتها.

وقد حكم بعد عبد الملك بن مروان كل من:

1: الوليد بن عبد الملك.

-
- 1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 57 ص 255.
 - 2- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 43 مروان بن الحكم.
 - 3- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 57 ص 263.

2: سليمان بن عبد الملك.

3: عمر بن عبد العزيز.

4: يزيد بن عبد الملك.

5: هشام بن عبد الملك.

6: الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

7: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم.

وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما لعن الحكم بن العاص وكل من يخرج من صلبه بقوله: (عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق)⁽¹⁾ وقد صدق نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما قال فإنهم ساموا الأمة سوء العذاب، فقتلوا صلحاءهم وصلبوا قراءهم وحبسوا خيارهم وشردوهم في البلاد، وقد كانوا كما وصفهم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في إحدى خطبه حيث قال: (وأيم الله لتجدن بنى أمية لكم أرباب سوء بعدى... لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه...)⁽²⁾ وتفصيل أخبارهم وشرح جرائمهم وجرائرهم مشروح في كتب التاريخ غير خاف على من يتصفحها لذلك اعرضنا عن تفصيل ذلك واكتفينا بما مر من كلام.

1- المستدرک للحاکم النیسابوری ج 4 ص 481.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 7 ص 44 من خطبة له عليه السلام يذكر فيها ما كان من تغلبه على فتنة الخوارج وما يصيب الناس من بنى أمية.

وَلَعَنَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةَ قَاطِبَةً

المبحث الأول: إثبات هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ

2: بَنِي أُمَيَّةَ

3: قَاطِبَةً

المبحث الثالث: هل يشمل عموم اللعن لبني أمية المؤمن منهم؟

المبحث الرابع: نظرة عابرة إلى شخصية أمية بن عبد شمس

المبحث الخامس: عثمان يؤسس لسنة بني أمية بدلا من سنة الشيخين

المبحث السادس: تشييد الأمويين لمذهب جديد اسمه المرجئة

المبحث السابع: معلومات إضافية حول بني أمية

وَلَعْنِ اللّٰهِ بَنِي اُمَيَّةَ قَاطِبَةً

إشارة

وفى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة أيضا بحوث مهمة نستعرض فيما يأتي بعضها منها.

المبحث الأول: إنبات هذه الفقرة الشريفة

لم أجد من علماء الطائفة الإثني عشرية من خالف وأنكر شمول اللعن لبني أمية قاطبة، حتى أنّ جملة كبيرة منهم رضوان الله تعالى عليهم استشهدوا بهذه الفقرة بالذات فى كتبهم الأصولية، منهم الشيخ الخوانسارى قدس الله روحه فى كتابه منية الطالب الذى هو تقرير لبحث المحقق الميرزا النائينى قدس الله روحه (1)، ومنهم الآخوند الخراسانى قدس الله روحه فى كفاية الأصول (2)، ومنهم المولى محمد كاظم الخراسانى قدس الله روحه فى نهاية النهاية (3)، والشيخ محمد على الكاظمى الخراسانى قدس الله روحه فى فوائد الأصول (4)، وغيرهم

-
- 1- منية الطالب تقرير بحث النائينى للخوانسارى ج2 ص127 يشترط فى خيار الغبن أمران.
 - 2- كفاية الأصول للآخوند الخراسانى ص233 التمسك بالعام فى غير الشك فى التخصيص.
 - 3- نهاية النهاية للمولى محمد كاظم الخراسانى ج1 ص289.
 - 4- فوائد الأصول للشيخ محمد على الكاظمى الخراسانى ج1 _ 2 فى ما يصح التمسك فيه بالعموم من المخصص اللبى.

الكثير رضوان الله تعالى عليهم حيث استشهدوا بهذه الفقرة واستفادوا منها في كتبهم الأصولية والفقهية كل حسب غرضه الخاص ولولا اعتقادهم رضوان الله تعالى عليهم بصحة مضمونها لما جاز لهم الاستشهاد بها.

وقال المحقق الكركي قدس الله روحه: (والحاصل أن بني أمية قاطبة ملعونون مطرودون، وبذلك وردت النصوص عن أهل البيت عليهم السلام. وقد ذكر المفسرون أن قوله تعالى: ((وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ)) (1) المراد بها: شجرة بني أمية (2).

وقد تواتر الخبر عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن بني أمية لعنهم الله هم الذين عبر عنهم القرآن الكريم بالشجرة الملعونة بقوله ((وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا)) (3) فأطلق القرآن الكريم اللعن على هذه الشجرة بجملتها وتفصيلها، ولم يستثن منها غصنا ولا ورقة، فثمرها ملعون وتاجها خبيث، وهذا المعنى هو عين ما جاء في هذه الفقرة من الزيارة.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: (وقد جاء في الأخبار الشائعة المستفيضة في كتب المحدثين أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أن بني أمية تملك الخلافة بعده، مع ذم منه عليه و السلام لهم، نحو ما روى عنه في تفسير، قوله تعالى: ((وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا)) فإن المفسرين قالوا: إنه رأى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة هذا لفظ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فسر لهم الآية به، فسأه ذلك ثم قال: الشجرة الملعونة

1- سورة الإسراء الآية رقم 60.

2- رسائل الكركي للمحقق الكركي ج 2 ص 227 ذكر بني أمية وعمرو بن العاص.

3- سورة الإسراء الآية رقم 60.

بنو أمية بنو المغيرة(1)

وقال الألوسى فى تفسيره: (والشجرة الملعونة الحكم وولده وفى عبارة بعض المفسرين هى بنو أمية... وكان هذا بالنسبة إلى خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا وعدلوا عن سنن الحق وما عدلوا وما بعده بالنسبة إلى ما عدا خلفاءهم منهم ممن كان عندهم عاملاً وللخبائث عاملاً أو ممن كان من أعوانهم كيفما كان، ويحتمل أن يكون المراد ما جعلنا خلافتهم وما جعلناهم أنفسهم إلا فتنة، وفيه من المبالغة فى ذمهم ما فيه... وجعل ضمير (نخوفهم) على هذا لما كان له أولاً أو للشجرة باعتبار أن المراد بها بنو أمية ولعنهم لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة والفروج المحصنة وأخذ الأموال من غير حلها ومنع الحقوق عن أهلها وتبديل الأحكام والحكم بغير ما أنزل الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام إلى غير ذلك من القبائح العظام والمخازى الجسم التي لا تكاد تنسى ما دامت الليالي والأيام، وجاء لعنهم فى القرآن إما على الخصوص كما زعمته الشيعة أو على العموم كما نقول فقد قال سبحانه وتعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)) (2) وقال عز وجل ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)) (3) إلى آيات آخر ودخولهم فى عموم ذلك يكاد يكون دخولا أولياً (4).

وسياتى فى المباحث اللاحقة تفصيل أكثر لمسألة لعنهم ومن يشمله اللعن منهم ومن يستثنى من لفظ (قاطبة).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 9 ص 219 __ 220.

2- سورة الأحزاب الآية رقم 57.

3- سورة محمد الآية رقم 22 __ 23.

4- تفسير الألوسى ج 15 ص 107 __ 108.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ

الواو هنا عاطفة وما بعده معطوف على ما مر في الفقرة السابقة، وقد تبين مما سبق معنى هاتين اللفظتين فراجع.

2: بَنَى أُمِّيَّةً

(بَنَى) جمع أبناء ومفرده ابن، وابن الرجل هو ولد الرجل، قال ابن منظور: (والابن: الولد)(1)، وقال الفيروز آبادي: (والابن: الولد أصله: بنى أو بنوج: أبناء والاسم: البنوة)(2).

أو يكون الابن هو كل من ينسب إلى الرجل قال أبو هلال العسكري: (ويجوز أن يقال إن قولنا هو ابن فلان يقتضى أنه منسوب إليه ولهذا يقال الناس بنو آدم لأنهم منسوبون إليه وكذلك بنو إسرائيل)(3).

و(أُمِّيَّةً) هو ابن عبد شمس بن عبد مناف، وسيأتى تفصيل لبعض أخباره لاحقاً.

3: قَاطِبَةً

و(قَاطِبَةً) لفظ يدل على العموم وهو بمعنى جميعاً، قال الجوهري: (وتقول: جاء القوم قاطبة، أى جميعاً، وهو اسم يدل على العموم)(4).

1- لسان العرب لابن منظور ج 14 ص 89 فصل الباء الموحدة.

2- القاموس المحيط للفيروز آبادي ج 4 ص 305.

3- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 12 _ 13.

4- الصحاح للجوهري ج 1 ص 204.

وقال ابن منظور: (وجاء القوم بقطيبيهم أى بجماعتهم. وجاؤوا قاطبة أى جميعاً، قال سيبويه: لا يستعمل إلا حالاً)(1).

فيصبح المعنى العام لهذه الفقرة الشريفة هو (ولعن الله جميع أولاد وأبناء أمية ابن عبد شمس وكل من ينتسب إليه).

المبحث الثالث: هل يشمل عموم اللعن لبني أمية المؤمن منهم؟

الظاهر من كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان لبني أمية خصوصية وامتيازاً يمتازون به عن جميع بيوت العرب، بل عن جميع بيوت قبائل العالم بأسره، فالمتعارف في كل بيوت العرب وغيرهم ان هذه البيوت تضم بين أفرادها المؤمن وغير المؤمن، والطيب والخبيث، والنافع والضار، وربما زاد فيها عدد الطيبين والمؤمنين على غيرهم وربما يكون العكس، أما في بني أمية فالحال مختلف بالكلية؛ إذ إن كلمات القرآن والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أجمعت أو كادت أن تجمع على أن لا خير يرجى من أهل هذا البيت، وان الخبث والكفر والكيد بالرسول والرسالة صفة لا تفارقهم ولا يستثنى منها أحد منهم، حتى أن القرآن حينما لعنهم لم يلعنهم كأفراد محدودين، وإنما لعنهم جملة واحدة ومثلهم بالشجرة وحكم على جميع أجزائها وأبعضها باللعنة، والإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه فى إحدى كلماته أكد هذه الحقيقة حيث قال: (ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوز درداء لبغت دين الله عوجاً)(2).

1- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 681.

2- الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبى ص 190 الباب الرابع باب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

والواقع التاريخي يصدق هذه المقولة بالكامل، فلو تأمل منصف واقع أفعالهم ابتداءً من أرض مكة فإنه يرى أن آل أمية كانوا أشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وآله ورسالته، وأعظمهم له مخالفة، لا تضرم حرب بوجه النبي صلى الله عليه وآله ودعوته إلا وكان بنو أمية في مقدمتها، ولا تشب فتنة إلا وهم على رأسها، ولا ترفع راية لهدم الإسلام وقواعده إلا وكان آل أمية قادتها وساستها، فكم حرب قد أضرموا وكم من جيش قد أسسوا، فلما لم يقدرُوا ان يطفئوا نور الله بأفواههم وأفعالهم وكيدهم وحرابهم، دخلوا في الدين مستسلمين غير مسلمين، فكادوا الإسلام من الداخل حتى وصلت بهم الحال ان صيروا مال الله دولاً وعباده خولاً، ودين الله عوجاً.

ولكن يبقى الكلام حول هل يمكن أن يخرج من هذه الشجرة الخبيثة مؤمن، ونقصد بالمؤمن المؤمن في الاصطلاح الشيعي الإمامي المقيد بالإقرار بولاية وإمامة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان غير المؤمن بهذا المعنى لا يخاف عواقب شموله بعموم قول الزيارة (فلعن الله بنى أمية قاطبة).

والعقل كما لا يخفى لا يمانع من خروج المؤمن من أصلاب رجال ونساء هذه الشجرة الملعونة، ولكن الواقع الخارجي لا يكاد يذكر من هؤلاء المؤمنين إلا- النزر القليل والفرد النادر، وهم على فرض وجودهم والتيقن من إيمانهم فإنهم مستثنون من عموم اللعن قطعاً، إما بالقرائن اللبية كما ذهب إلى ذلك جمع من المحققين من علمائنا، وإما بأدلة أخرى خارجية تخصص أو تقيّد وتستثني المؤمن من غيره، لبداهة ان اللعنة لا تجوز على المؤمن كما هو مذكور في جملة من النصوص والآثار النبوية.

كل ذلك فيما لو تيقنا بإيمان ذلك المنتسب إلى أمية أو احد أولاده، أما لو وقع الشك في إيمان فرد منهم أو عدم إيمانه فانه لا يخرج حينئذ من ذلك العموم ويشمل بإطلاق اللعن عليه كما يشمل من هو متيقن الكفر أو متيقن النفاق، وفي هذا الصدد يقول الميرزا حسن السبزواری قدس الله روحه: (ففى مثل «لعن الله بنى أمية قاطبة») مع أن العقل حاكم بعدم جواز لعن المؤمن يستكشف العقل بأنه ليس فيهم مؤمن من جهة ترتيب القياس، وهو أن الشخص المشكوك إيمانه يجوز لعنه بمقتضى العموم، ولو كان مؤمنا لما جاز لعنه، فينتج أنه ليس مؤمنا، فتأمل(1).

وقال الشيخ محمد على الكاظمى الخراسانى فى فوائد الأصول: (...وذلك كما فى مثل قوله عليه السلام: اللهم العن بنى أمية قاطبة، حيث يعلم أن الحكم لا يعم من كان مؤمنا من بنى أمية، لأن اللعن لا يصيب المؤمن، فالمؤمن خرج عن العام لانتفاء ملاكه، لمكان أن ملاك اللعن هو الشقاوة، فكأن قوله عليه السلام: «اللهم العن بنى أمية قاطبة» قد تكفل ملاك الحكم بنفسه وهو الشقاوة، ومعلوم ان السعيد يقابل الشقى، فليس فى السعيد ملاك الحكم(2).

وقال الشيخ الفياض فى تقريره لأبحاث السيد الخوئى قدس الله روحه: (إذا لم يكن إحراز الموضوع موكولا إلى نظر المكلف كما هو الحال فى مثل قوله عليه السلام «لعن الله بنى أمية قاطبة» فإن هذه القضية بما انها قضية خارجية صادرة من الإمام عليه السلام من دون قرينة تدل على إيكال إحراز الموضوع فيها فى الخارج إلى نظر المكلف فبطبيعة الحال تدل على أن المتكلم لاحظ الموضوع بتمام أفراده وأحرز أنه لا مؤمن

1- وسيلة الوصول إلى حقائق الأصول للميرزا حسن السبزواری وهو تقرير لأبحاث السيد أبى الحسن الأصفهانى قدس الله روحه ص 379.

2- فوائد الأصول للشيخ محمد على الكاظمى الخراسانى ج 1 __ 2 ص 537 __ 538.

بينهم، وعليه فلا- مانع من التمسك بعمومه لإثبات جواز لعن الفرد المشكوك في إيمانه أو فقلنا إذا علمنا من الخارج ان فيهم مؤمنا فهو خارج عن عمومه فلا- يجوز لعنه جزما، وأما إذا شك في فرد انه مؤمن أو ليس بمؤمن فلا- مانع من التمسك بعمومه لإثبات جواز لعنه، ويستكشف منه بدليل انه ليس بمؤمن(1).

فيتلخص مما سبق ان آل أمية قد لعنوا جميعا نتيجة لعلم الله سبحانه الأزلى الذى علمه لأولياته وحججه المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حيث تم إحراز ان لا- مؤمن بينهم، ولو فرض وجود المؤمن فيهم فإنه خارج عن اللعن قطعاً، أما المتيقن بعدم إيمانه أو المشكوك الإيمان فانه داخل فى عموم اللعن الوارد فى قوله صلوات الله وسلامه عليه: (ولعن الله بنى أمية قاطبة).

المبحث الرابع: نظرة عابرة إلى شخصية أمية بن عبد شمس

إشارة

أمية هو ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وقد رويت فى ترجمته أخبار غير ممدوحة وصفات مذمومة، والظاهر من تخصيصه باللعن فى الزيارة هو ان بلاء أولاده وصفاتهم الذميمة وقبائحهم الفظيعة كانت متوارثة منه فهو أساس بلائهم وبسببه وتربيته المعوجة لأبنائه صارت الرذيلة ديدنهم والتعصب ضد الحق مذهبهم، ثم انتقلت هذه التربية الخاطئة من الأبناء إلى الأحفاد ثم إلى أبنائهم وأبناء أبنائهم وهلم جرا، فصاروا مثل قوم نوح الذين وصفهم القرآن بقوله: ((وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)) (2)، وفيما يأتى جملة من أخبار أمية التى منها يعرف دناءة الرجل وسوء سيرته والتى انتقلت من بعده إلى أولاده بالوراثة والتربية.

1- محاضرات فى أصول الفقه تقرير بحث الخوئى للشيخ الفياض ج 5 ص 202 _ 203.

2- سورة نوح الآية رقم 27.

كان أمية مضعوقا صاحب عهار وكان يسرق الحجيج

قال ابن أبي الحديد: (قال أبو عثمان: وشرف هاشم متصل، من حيث عدت كان الشرف معك كإبراهيم عن كابر، وليس بنوع عبد شمس كذلك، فإن الحكم بن أبي العاص كان عاديا في الأعلام، ولم يكن له سناء في الجاهلية. وأما أمية فلم يكن في نفسه هناك، وإنما رفعه أبوه، وكان مضعوقا، وكان صاحب عهار يدل على ذلك قول نفيل بن عدى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أمية وعبد المطلب بن هاشم، ففر عبد المطلب وتعجب من إقدام حرب عليه وقال له:

أبوك معاهر وأبوه عف *** وذاد الفيل عن بلد حرام(1)

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي أيضا: (وروى هشام بن الكلبي أن أمية بن عبد شمس لما كان غلاما، كان يسرق الحاج فسمى حارسا)(2).

أمية يزوج ابنه من زوجته في حياته

وفي خطوة لم يسبق لها مثيل في العرب والعجم فقد زوج أمية بن عبد شمس ولده أبا عمرو بن أمية من زوجته وهو ما زال على قيد الحياة، فولدت له أبا معيط بن أبي عمرو بن أمية، علما ان بعض العرب كانت تتزوج نساء آبائهم بعد موت آبائهم، وكان هذا النكاح يسمى بنكاح المقت، أما ان يزوج رجل منهم زوجته من ابنه في حياته وتنجب له أبناء وهو ينظر غير مكترث بذلك ولا متحرج فهذا فعل غير مسبوق حتى في أزدل رجال الجاهلية.

وفي هذا الصدد يقول ابن أبي الحديد: (وصنع أمية في الجاهلية شيئا لم يصنعه

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 15 ص 206 _ 213.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 15 ص 233.

أحد من العرب، زوج ابنه أبا عمرو امرأته فى حياته منه، فأولدها أبا معيط بن أبى عمرو بن أمية، والمقيتون فى الإسلام هم الذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم، فأما أن يتزوجها فى حياة الأب ويبنى عليها وهو يراه، فإنه شىء لم يكن قط(1).

وقال الشريف الرضى فى حقائق التأويل: (فأولدها أبو عمرو أبا معيط. وهى آمنة بنت أبان بن كلب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وإياها عنى النابغة الجعدى بقوله:

وشاركنا قريشا فى تقاها *** وفى أنسابها شرك العنان

بما ولدت نساء بنى هلال *** وما ولدت نساء بنى أبان(2)

علما ان أبا معيط هذا هو والد عقبة بن أبى معيط الشديد الأذى للنبي فى مكة وهو الذى تقل بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزل فيه قوله تعالى ((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ)) (4)

يعنى ندامة، يعنى عقبة بن أبى معيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال له خليله وهو أمية بن خلف الجمحى: يا عقبة، ما أراك إلا قد صبأت إلى حديث هذا الرجل، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لم أفعل، فقال: وجهى من وجهك حرام إن لم تتفل فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم، وتبرأ منه حتى يعلم قومك وعشيرتك أنك غير مفارق لهم، ففعل ذلك عقبة، فأنزل الله عز

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 15 ص 207.

2- حقائق التأويل للشريف الرضى ص 319.

3- سورة الفرقان الآية رقم 27.

4- سورة الفرقان الآية رقم 27.

وجل في عقبه بن أبي معيط ((وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ)) (1) من الندامة. (2)

وعقبه بن أبي معيط هو والد الوليد بن عقبه بن أبي معيط وهو أخو عثمان لأمه، وهو الذي سماه القرآن فاسقا في قوله سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصَدِّبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) (3) وهو الذي ولاه عثمان إمارة الكوفة وكان سكيما قلما يصحو من سكره فخرج يوما وصلى (بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم) (4) ولا عجب في ذلك فمن شابه أباه فما ظلم، والولد كما يقول المثل سر أبيه.

حسد أمية لهاشم جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال ابن سعد في طبقاته عند ذكر هاشم بن عبد مناف: (أخبرنا هشام بن محمد ابن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان اسم هاشم عمرا وكان صاحب إيلاف قريش وإيلاف قريش دأب قريش وكان أول من سن الرحلتين لقريش ترحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه ويحبوه ورحلة في الصيف إلى الشام إلى غزة وربما بلغ أنقرة فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه فأصاب قريشا سنوات ذهبن بالأموال فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير فخبز له فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز يعني كسره وثرده، ونحر تلك الإبل، ثم أمر الطهارة فطبخوا ثم كفا القدور على الجفان فأشبع أهل مكة، فكان ذلك أول الحيا بعد السنة التي أصابتهم، فسمى بذلك هاشما، وقال عبد الله

1- سورة الفرقان الآية رقم 27.

2- تفسير مقاتل بن سليمان ج 2 ص 435.

3- سورة الحجرات الآية رقم 6.

4- الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1555.

بن الزبيرى فى ذلك:

عمر و العلى هشم الثريد لقومه *** ورجال مكة مستنون عجاف

وقال وهب بن عبد قصى فى ذلك:

تحمل هاشم ما ضاق عنه *** وأعيا أن يقوم به بن بيض

أتاهم بالغرائر متأقات *** من أرض الشام بالبر النفىض

فأوسع أهل مكة من هشيم *** وشاب الخبز باللحم الغريض

فظل القوم بين مكلمات *** من الشيزاء حائرهما يفيض

قال فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وكان ذا مال فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه قريش واحفظوه قال فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها ببطن مكة والجلء عن مكة عشر سنين فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى، فنفر هاشما عليه فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأميه(1).

المبحث الخامس: عثمان يؤسس لسنة بنى أمية بدلا من سنة الشيخين

إشارة

قبل الدخول فى صلب الموضوع لابد من توضيح عدة أمور مهمة هى:

أولاً: إلزامية أقوال وأفعال النبى صلى الله عليه وآله وسلم

لا شك فى ان النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانت له سياسة خاصة ومنهج محدد

يتعامل من خلاله مع وقائع الحياة الخارجية سواء الوقائع العسكرية أو الاجتماعية أو النزاعات والصراعات الداخلية ما بينه وبين المناققين أو ما بين الصحابة أنفسهم، وان جميع هذه المواقف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت إما بوحي من الله سبحانه وتعالى أو تطبيقاً للقواعد الشرعية والأصول القرآنية قال سبحانه وتعالى ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)) (1) وقال سبحانه وتعالى ((وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)) (2) فلذلك صارت كلماته وخطاباته ورضاه وغضبه وجميع أفعاله وانفعالاته هي حجة ملزمة لجميع المسلمين؛ لأنها وكما قلنا مستمدة من الوحي ومبنية على الأصول الشرعية، وان مفهوم السنة النبوية شامل لجميع تلك الأشياء، إذ لا فرق في ان يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلسانه الشريف عن الغيبة بأنها حرام أو ان يغضب على شخص قد اغتاب أخاه المؤمن بمحضره، فمن كليهما نستطيع استكشاف حرمة ومبغوضية الغيبة عند الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: ان السنة النبوية قد استوعبت جميع احتياجات الحياة

لا- شك في ان الله سبحانه قد أكمل الشريعة من جميع جوانبها وكل جهاتها، ولم يخرج النبي الأعظم من الدنيا حتى بين بقوله وفعله وتقريراته جميع معارف الإسلام وعقائده ووظائفه وأحكامه، فعن حماد بن أبي أسامة قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من المغيرية فسئل عن شيء من السنن فقال ما من شيء يحتاج إليه ولد آدم إلا وقد خرجت فيه السنة من الله ومن رسوله ولولا ذلك ما احتج فقال المغيرى: وبما احتج؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام قوله: اليوم أكملت

1- سورة النجم الآية رقم 3 __ 4.

2- سورة الحاقة الآية رقم 44 __ 47.

لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، حتى فرغ من الآية فلو لم يكمل سنته وفرايضه وما يحتاج إليه الناس ما احتج به(1).

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس انه ليس من شىء يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا قد أمرتكم به وانه ليس شىء يقربكم من النار ويبعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه)(2).

وقال ابن حزم: (قال تعالى ((مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَدُونَ)) (3) وقوله تعالى ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)) (4) وقوله تعالى ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)) (5) وقوله تعالى ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)) (6)... وقد شهد الله تعالى بان النص لم يفرط فيه شيئاً وان رسوله عليه الصلاة والسلام قد بين للناس كل ما نزل إليهم وان الدين قد كمل فصح ان النص قد استوفى جميع الدين فإذا كان ذلك كذلك فلا حاجة بأحد إلى قياس ولا إلى رأيه ولا إلى رأى غيره(7).

ثالثاً: لا يحق لأحد من الخلق ان يسن سنة أو يشرع حكماً إلا بإذن الهى

بعد ان ثبت ان السنة المطهرة لم تترك مفصلاً من مفاصل الحياة إلا وقد أشبعته وعالجته، وبعد ان لم يترك التشريع حادثة من حوادث هذا العالم إلا وكان لله سبحانه وتعالى فيها حكم فى الكتاب الكريم او السنة النبوية المطهرة، فلا يحق لإنسان حينئذ ان يشرع

1- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 537 __ 538.

2- الدر المنثور لجلال الدين السيوطى ج 5 ص 94.

3- سورة الأنعام الآية رقم 38.

4- سورة النحل الآية رقم 89.

5- سورة النحل الآية رقم 44.

6- سورة المائدة الآية رقم 3.

7- المحلى لابن حزم ج 1 ص 56.

أو يسن من عند نفسه حكما لم يأت على لسان الشريعة، ولم يكن مأذونا فيه من قبل الله سبحانه وتعالى، وفي قوله تعالى ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَىٰ اللَّهِ تَفْتَرُونَ)) (1) تصريح بـ (أن حق التشريع مختص بالله، وكل من يقدم على مثل هذا العمل بدون إذنه وأمره، فإنه يكون قد افتري على الله... و... أن التشريع مقابل شريعة الله دين الجاهلية، حيث كانوا يعطون لأنفسهم الحق في وضع الأحكام مع ضيق أفكارهم وضحالتها، ولكن لا يمكن أن يكون المؤمن الحقيقي كذلك مطلقا) (2).

ولا وجه لما اعتقده البعض من ان هذه الآية خاصة بأهل الشرك دون المسلمين كما رواه ابن أبي حاتم الرازي: (عن عبد الله بن عباس قوله: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا)) (3) قال: هم أهل الشرك كانوا يحلون الأنعام ما شاءوا ويحرمون ما شاءوا) (4) إذ لا خصوصية لأهل الشرك لينفردوا بحكم الافتراء على الله سبحانه وتعالى دون غيرهم، لان خصوصية المورد لا تخصص الوارد، فمن شارك أهل الشرك بالعلة فحرم وأحلّ من دون إذن الهى يكون قد شاركهم بحكم الافتراء على الله سبحانه وتعالى.

ظهور سنة جديدة بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسمها سنة الشيخين

إشارة

بعد ان استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد ان اعتلى مقامه من اعتلى وبعد ان ابعد وأقصى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم ومنازلهم التي أنزلهم الله سبحانه وتعالى

1- سورة يونس الآية رقم 59.

2- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج 6 ص 390 __ 391.

3- سورة يونس الآية رقم 59.

4- تفسير ابن أبي حاتم الرازي ج 6 ص 1960.

فيها، وجد الزعماء الجدد للدولة الإسلامية أنفسهم أمام تراث نبوي ضخم من الأحكام الشرعية، والتفسيرية وأحاديث المناقب وأحاديث الوصية بالعترة، ووجوب تقديمهم وتقضيلهم، وانهم الأمان من الاختلاف، وان بهم النجاة من الفتنة والانحراف، وانهم المرجع العلمي المأذون له من قبل الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة الدين، وسن التشريعات للأمة على وفق حاجاتها المستقبلية، فعلم الزعماء الجدد ان لا استقامة لإمارتهم ولا دوام لملكهم ما لم تتغير هذه المنظومة الفكرية والشرعية والعقائدية التي تركها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمته، وإبدالها بمنظومة فكرية وشرعية وعقائدية جديدة تتناسب والوضع الجديد، وقد سميت هذه المنظومة الجديدة بعد ذلك بـ (سنة أبي بكر وعمر) ونستطيع على عجاله من الأمر ان نجد ملامح عامة لهذه السنة الجديدة نلخصها بالنقاط الآتية:

أولاً: سنة الشيخين لا قداسة فيها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

ان أعظم جريمة ارتكبتها المسلمون هي أنهم اقرؤا كبراءهم وسادتهم على المساس والنيل من شخصية وعظمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والذنب كل الذنب يعود بالدرجة الأولى على تلك الأمة التي عاصرت وعاشت في زمن كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وإمارة الشيخين، فهم المؤسسون والمعينون لتأصيل مبدأ عدم قداسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأول بوادر هذا الجريمة النكراء قد ظهرت وأسس أساسها ونبي الله صلى الله عليه وآله وسلم على فراش موته، يوم اتهمه عمر بن الخطاب بأنه يهجر ولا يعقل ما يقول.

ثم لما وصلوا إلى الإمارة بالطريقة المعروفة وسع هذا المبدأ وادعم بروايات مكذوبة موضوعة وظهر النبي الأعظم بالجهاز الإعلامي للدولة الجديدة بأنه بشر

كسائر البشر وانه الشخص الذي يسب ويلعن أصحابه وسائر الناس من دون سب ومبرر لللعنة والسب، ثم يعتريه الندم بعد ذلك ويعود إلى رشده __ حاشاه __ ويطلب من الله سبحانه وتعالى ان يجعل لعناته وسبابه وأذيته للعباد رحمة ومغفرة وأجراً وثواباً، وقد ألف أنصار سنة الشيخين وعقدوا أبواباً في صحاحهم روجوا فيها هذه الأكاذيب، كما فعل مسلم في صحيحه حيث عقد باباً في جزئه الثامن اسماء (باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة) روى فيه عن عائشة انها قالت: (دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من فكلماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه فلعنهما وسبهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان قال وما ذاك قالت قلت لعنتهما وسببتهما قال أو ما علمت ما شارطت عليه ربي قلت اللهم إنما أنا بشر فأى المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً(1) وروى عن أبي هريرة: (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنما أنا بشر فأیما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة(2)).

والعجيب في الأمر ان مسلماً في صحيحه قد روى قبل هذه الأحاديث أحاديث أخرى تكذب قول كل من عائشة وأبي هريرة على لسان أبي هريرة نفسه وغيره جاء فيها: (عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال إني لم ابعث لعانا وإنما بعثت رحمة(3) وعن (زيد بن أسلم ان عبد الملك بن مروان بعث إلى أم الدرداء بانجاد من عنده فلما إن كان ذات ليلة قام عبد الملك من الليل

1- صحيح مسلم ج 8 ص 24 باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة.

2- المصدر السابق ص 25.

3- صحيح مسلم ج 8 ص 24 باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

فدعا خادمه فكأنه أبطأ عليه فلما أصبح قالت له أم الدرداء سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته فقالت سمعت أبا الدرداء يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة(1) وهذان الحديثان هما الأنسب والأكثر انسجاماً مع قوله سبحانه وتعالى في وصفه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (2).

وسنة الشيخين أكدت وبشدة على بشرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من دون ان تعطى لشخصيته مصداقية غيبية، إلا في جانب يسير من جوانب حياته المباركة، وهو الجانب التبليغي للأحكام الشرعية، أما ما يتعلق بتدبير الأمور وسياسة البلاد وإدارة شؤون الناس وبقية الأمور المتعلقة بدنيا المكلفين فقد جعلوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشراً كسائر البشر بل دون سائر البشر يرى فيها الرأي ثم يتبين له خطؤه فيطلب من المسلمين السماح والغفران(3)، ويصلى بأصحابه فيتوقف فجأة ويأمرهم بالانتظار وسط الصلاة ثم يذهب إلى بيته ليغتسل ويعود ليخبرهم بأنه كان جنباً ونسى ان يغتسل(4)، ويصلى بهم فلا يدرى كم صلى وكم ركع وسجد فيعتذر بأنه بشر مثلهم

1- المصدر السابق.

2- سورة القلم الآية رقم 4.

3- قال النووي في شرحه لصحيح مسلم، شرح مسلم، النووي ج 5 ص 61 — 62: (قوله صلى الله عليه وسلم ولكن إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني، فيه دليل على جواز النسيان عليه صلى الله عليه وسلم في أحكام الشرع وهو مذهب جمهور العلماء وهو ظاهر القرآن والحديث... قال القاضى واختلفوا في جواز السهو عليه صلى الله عليه وسلم في الأمور التي لا تتعلق بالبلاغ وبيان أحكام الشرع من أفعاله وعاداته وأذكار قلبه فيجوزها الجمهور).

4- في مسند احمد بن حنبل ج 5 ص 41: (عن أبي بكره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استفتح الصلاة فكبر ثم أوماً إليهم ان مكانكم ثم دخل فخرج ورأسه يقطر فصلى بهم فلما قضى الصلاة قال إنما أنا بشر وانى كنت جنباً).

ينسى كما ينسون ويسهو كما يسهون(1)، ويأمرهم بعدم تلقيح نخل المدينة ثم يتبين له ان النخلة لكي تثمر فانها لا يمكن ان تستغنى عنه النخلة فيعتذر لهم ويفوض لهم أمر التصرف بما يتعلق بأمور دنياهم لأنهم اعرف بها منه(2)، والظاهر ان التأكيد المبالغ فيه على بشرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وانه كغيره ينسى ويسهو، ويلعن ويسب، ويصلى مجنبا، بل ويترك صلاة الصبح، ويبول واقفا، وأمثلة ذلك، سببه سلب قدسية النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نفوس المسلمين، وتحطيم مصداقية أقواله وأفعاله، وبمعنى آخر تحطيم السنة النبوية، حتى يمكن للسلطة وأتباعها مناقشتها ومعارضتها وعدم الاعتقاد بالزاميتها، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من مراحل المخطط وهو ما سنتكلم عنه في النقطة الثانية.

ثانيا: تضخيم شخصية السلطة وإعطاؤها مقام الأنبياء

بعد ان نجحت السلطة في سحق وقتل قداسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إعلاميا، جاءت الخطوة المكتملة لهذه المهمة وهي تضخيم شخصية الخليفة المغتصب وبعض الحاشية المشاركة له في الأهداف والمصالح، وجعله وإياهم مرجعا يرجع إليه في كل صغيرة وكبيرة، ولم يكتفوا بأن جعلوهم أفضل الصحابة حتى صيروهم أفضل أهل

1- مسند احمد بن حنبل ج 1 ص 420: (عن عبد الله بن مسعود قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا الظهر أو العصر فلما انصرف قيل له يا رسول الله أزيد في الصلاة قال لا قالوا فإنك صليت خمسا قال فسجد سجدتي السهو ثم قال إنما أنا بشر كما تذكرون وأنسى كما تنسون).

2- صحيح مسلم ج 7 ص 95: (عن رافع بن خديج قال قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل يقولون يلقحون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت أو فنقصت قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر).

السموات والأرض، كما نقل عن أبي هريرة قوله: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أبو بكر وعمر خير أهل السموات والأرض، وخير الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين)(1).

ومنحوهما مقام الإفتاء في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كما نقل عن ابن عمر: (أنه سئل عن من كان يفتى في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما)(2).

وجعلوا الخليفة يلقى في روعه ولا يتكلم إلا بالهام من الملائكة، واختلقوا في هذا المجال عدة أحاديث منها ما عن عائشة: (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم)(3) قال العيني: (المحدث الملهم الذي يلقى الشيء في روعه فكأنه قد حدث به يظن فيصيب، ويخطر الشيء بباله فيكون، وهي منزلة جلييلة من منازل الأولياء، وقيل: المحدث هو من يجرى الصواب على لسانه، وقيل: من تكلمه الملائكة... وقد وقع ذلك بحمد الله تعالى. وفيه منقبة عظيمة لعمر بن الخطاب)(4) وقال المناوي: (كانه جعله في انقطاع قرينه في ذلك كأنه نبي)(5) وقال

-
- 1- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 2 ص 333، وكنز العمال للمتقى الهندي ج 11 ص 567 فضائل أبي بكر وعمر من الإكمال.
 - 2- التمهيد لابن عبد البر ج 9 ص 77، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل كان المسلمون بحاجة إلى من يفتيهم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قيد الحياة وهو صلى الله عليه وآله وسلم معروف بعدم رد أي سائل يطلب التفقه في الدين، فإذا كان الحال هذا فما الداعي إلى ان يسأل الناس الفتوى من أبي بكر وعمر؟!.
 - 3- صحيح مسلم ج 7 ص 116 باب من فضائل عمر.
 - 4- عمدة القاري للعيني ج 16 ص 55.
 - 5- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج 4 ص 664 حرف القاف.

الشيخ الاميني نقلا عن الحافظ محب الدين الطبري: (ويجوز أن يحمل على ظاهره وتحديثهم الملائكة لا يوحى وإنما بما يطلق عليه اسم حديث، وتلك فضيلة عظيمة)(1).

وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخاف ان ينتقل جبرائيل عليه السلام بالوحى إلى عمر بن الخطاب، حتى كان يجهر بالقول: (ما أبطأ عنى جبريل إلا خشيت أنه ذهب إلى عمر)(2).

وان الخليفة أعطى تسعة أعشار العلم وترك بقية الخلق يتشاركون فى جزء واحد، قال ابن مسعود: (لو وضع علم أحياء العرب فى كفة ميزان ووضع علم عمر فى كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم ولمجلس كنت أجلسه مع عمر أوثق فى نفسى من عمل سنة)(3).

وفى مقارنة سريعة بين ما سطره هنا للسلطة من صفات ترتفع بهم عن مرتبة سائر المخلوقين، وبين ما نسبوه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من موبقات عظام تتضح اللعبة وتبين تفاصيلها ويتيقن المسلم ان ذلك التمجيد للسلطة وهذا الانتقاص من مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان الهدف منه استبدال القدسية لیتسنى للخليفة ان يتمتع بمقام التشريع وحتى إذا ما سن سنة يطاع ويتبع ما دام هو خير أهل السماوات والأرض وما دام ملهما محدثا من قبل الملائكة، ولكى إذا ما خالفت سنته سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقدم سنة الخليفة وتشريعاته لأنه ملهم بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما صوره إعلام الدولة يسهو وينسى ويخطئ ويعتذر بأنه بشر مثل غيره من البشر.

-
- 1- الغدير للشيخ الاميني ج5 ص44 نصوص العامة حول المحدث.
 - 2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلى ج12 ص178 ذكر الأحاديث الواردة فى فضل عمر.
 - 3- الاستيعاب لابن عبد البر ج3 ص1149 __ 1150.

ثالثاً: إيجاد التغطية الإعلامية وشراء ذمم المغطين

ان الحديث عن سنة الشيخين لا ينبغي ان يفصل عن مسألة مهمة للغاية وهي ان هذين الشيخين ما كانا لينجحا لولا إيجادهم لشبكة إعلامية قوية وفعالة تروج ما يسن وبيتدع من فتاوى وسنن، وتعطى زخما شرعيا وتغطية إسلامية لكل ما يقوم به الحاكم، وقد وقع اختيار السلطة على مجموعة من الأشخاص كان كل واحد منهم يتمتع بميزة خاصة ومهمة معينة محددة، فعائشة لتغطية الجانب الشرعى وإعطاء الأحكام وقد منحت مرتبة من قبل السلطة لم يمنح مثلها إنسان بسبب الخدمات الجليلة التي بذلتها في هذا المجال حتى ضخمت شخصيتها كما ضخمت شخصية الشيخين ورووا ان النبي قال لامته وأوصاهم بقوله: (خذوا ثلثي دينكم من هذه الحميراء)(1) وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: (كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر)(2) وحتى فتحت أمامها أبواب بيت المال وتميزت براتبها الشهري عن جميع نساء المسلمين، قال ابن سعد: (عن مصعب بن سعد أن سعد أن عمر أول من فرض الأغطية فرض لأهل بدر والمهاجرين والأنصار ستة آلاف وستة آلاف وفرض لأزواج النبي عليه السلام ففضل عليهن عائشة فرض لها في اثني عشر ألفا ولسائرهن عشرة آلاف عشرة آلاف غير جويرية وصفية فرض لهما في ستة آلاف ستة آلاف)(3).

وأعطى القضاء لزيد بن ثابت فعن سليمان بن يسار قال: (ما كان عمر ولا

-
- 1- تفسير الرازي ج32 ص32 في تفسير قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) وقريب من هذا اللفظ تجده في المبسوط للسرخسي ج4 ص213 باب نكاح الصغير والصغيرة.
 - 2- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج2 ص375.
 - 3- المصدر السابق ج3 ص304 ذكر استخلاف عمر.

عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحدا في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة(1) مع العلم ان زيد بن ثابت يصرح بما لا يقبل الشك ان جميع ما كان يقضى به هو اجتهادات شخصية لا تمت للشريعة بصلة فعن الشعبي قال: (ان مروان دعا زيد بن ثابت، وأجلس له قوما خلف ستر، فأخذ يسأله، وهم يكتبون؛ ففطن زيد، فقال: يا مروان، أعدرا، إنما أقول برأى)(2) وقد استفاد زيد بن ثابت من بحوثة بيت المال لان الدولة لم تكن تبخل على من يخدمها بإخلاص، قال ابن حجر: (وروى البغوى بإسناد صحيح عن خارجة بن زيد كان عمر يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر فقلما رجع إلا اقطعه حديقة من نخل)(3) ولا نريد الدخول بتفصيل القول حول طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وآل أبي سفيان وغيرهم ممن قدم خدمات للدولة فمنحتهم الدولة من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس.

ولم تكن السلطة في قوانين سنتها الجديدة ترى بأسا في ان يرى رجالها المعتمدون ما يشاءون ما دامت هذه الآراء لا تخل بأمن الدولة ولا تززع كرسى الخليفة، قال ابن عبد البر: (وعن ابن عمر أنه سئل عن شيء فعله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل هذا أو شيء رأيت قال بل شيء رأيت وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان إذا قال في شيء برأيه قال هذه من كيسى ذكره ابن وهب عن سليمان بن بلال عن كثير بن زيد عن وليد بن رباح عن أبي هريرة وعن ابن مسعود أنه قال في غير ما مسألة أقول فيها برأى)(4).

1- المصدر السابق ج 2 ص 359.

2- سير أعلام النبلاء للذهبي ج 2 ص 438.

3- الإصابة لابن حجر ج 2 ص 492.

4- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج 2 ص 58.

كما ان السلطة وأعوانها لم تكن ترى بأسا فى ان تطمس كثيرا من النصوص النبوية فيما تعلقت مصلحة الدولة بطمسها وإخفائها، قال ابن أبى الحديد المعتزلى: (وقد أطبقت الصحابة إطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة فى ذلك كإسقاطهم سهم ذوى القربى وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم وهذان الأمران أدخل فى باب الدين منهما فى باب الدنيا وقد عملوا بأرائهم أمورا لم يكن لها ذكر فى الكتاب والسنة، كحد الخمر فإنهم عملوه اجتهادا، ولم يحد رسول الله صلى الله عليه وآله شاربى الخمر وقد شربها الجهم الغفير فى زمانه بعد نزول آية التحريم ولقد كان أوصاهم فى مرضه أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر، وعملوا فى أيام أبى بكر برأيهم فى ذلك باستصلاحهم وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة وحولوا المقام بمكة، وعملوا بمقتضى ما يغلب فى ظنونهم من المصلحة ولم يقفوا مع موارد النصوص، حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد، فرجح كثير منهم القياس على النص، حتى استحالت الشريعة وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة(1).

وكذلك كانت السلطة وأتباعها يرون حلية وجواز إخفاء الحقائق والأحاديث التى تؤدى إلى تفرق الناس عنهم كما جاء على لسان عثمان بن عفان حيث خطب فى أيام إمارته فقال: (أيها الناس إنى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كراهة تفرقكم عنى...)(2).

وبمعاونة السلطة وبجهود بعض الصحابة وبسكوت الأمة انتهت السنة النبوية بذلك وحلت محلها الآراء الشخصية المنسجمة مع خط السلطة وتوجهاتها الفكرية،

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 12 ص 83 __ 84 نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه.

2- مسند احمد بن حنبل ج 1 ص 65 مسند عثمان بن عفان.

ثم أكملت هذه الخطوة بخطوة أخرى قاضية أردت فيها السلطة السنة النبوية صريعة ألا وهي قيام السلطة بحرق كل أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كتبت في حياته الشريفة، فعن عائشة قالت: (جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكانت خمسمائة حديث، فبات ليله يتقلب كثيرا، قالت: فغمني فقلت: تتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أى بنية هلمى الأحاديث التى عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها(1) وبهذه الخطوات المدروسة من قبل السلطة، تم القضاء على آخر رمق للسنة النبوية، ومع قتل السنة النبوية، قتلت حقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأوسمتهم وفضائلهم والوصية بتقديمهم، وأحييت فضائل جديدة لطبقة جديدة من الصحابة واخترعت أحاديث جديدة منحت غير أهل البيت مراتب السبق والفضل والوصية، وأسس منهج فقهي وعقائدي لا يرى أى ضمير أو خجل فى معارضة الثوابت التى رسمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبلغها لامته وصلاة التراويح ومنع زواج المتعة وغيرها من آلاف الشواهد دليل على ما نقول.

محاولات عثمان تغيير سنة الشيخين وبناء سنة جديدة

إشارة

قد مر علينا فيما سبق ان عبد الرحمن بن عوف وآخرين رفضوا ان يبائعوا عثمان بن عفان الا حينما ضمن لهم انه سيسير على سنة أبي بكر وعمر، وهو دليل على ان المسلمين أصبحوا لا يعرفون من سنة النبي شيئا، وان السنة الجديدة لابي بكر وعمر قد حلت محل سنة الله ورسوله، إذ لو كانت سنة الشيخين هى نفسها سنة الله ورسوله لما كان ضروريا ان تسمى بسنتهما ولقال القائل واشترط على عثمان المضى والعمل على وفق سنة الله ورسوله لان تسميتها بسنة رسول الله اولى من تسميتها

1- كنز العمال للمتقى الهندي ج10 ص285 باب فى أدب العلماء فصل فى رواية الحديث.

بسنة الشيخين لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أشرف وأكمل والتسمية باسمه أوجب، ولكن إطلاقهم على تلك السنة بسنة الشيخين دليل على أنها لا تمت إلى رسول الله بصلة لا من قريب ولا من بعيد وانها آراء ورؤى شخصية ارتأها الحاكم وأبست لباسا شرعيا من قبل الشبكة الإعلامية التي كان يستعين بها الخليفة وفرضت على الناس بالقوة والسيوف ومع مرور الوقت صارت دينا يدان به ومنهجاً يكبر عليه الصغير ويهرم عليه الكبير.

محاولات يائسة للتغيير والخروج عن سنة أبي بكر وعمر

وعثمان بن عفان ولاعتقاده بان سنة الشيخين ما هي إلا عبارة عن آراء الحكام الذين سبقوه وانها ما فرضت على الناس ولا سنت ولا روجت إلا لان القائل لها هو الحاكم وليس شخصا آخر، وها هو قد وصل إلى ما وصل إليه كل من أبي بكر وعمر، فمن حقه حينئذ ان يضع لمساته كخليفة على الفقه والعقيدة والاقتصاد وغير ذلك ليكون له اثر يذكر كما لغيره، وليدخل اسمه في ضمن موسوعة المبتدعين وليسمى الناس بعده السنة باسم سنة أبي بكر وعمر وعثمان، لذلك حاول بعد فترة ليست بالطويلة من توليه الإمارة ان يشرع بعض الأحكام التي يناقض فيها كلاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر، نظير ما رواه الطبري بقوله: (عن عبد الملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن عمه قال صلى عثمان بالناس بمنى أربعاً فأتى آت عبد الرحمن بن عوف فقال هل لك في أخيك قد صلى بالناس أربعاً فصلى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين ثم خرج حتى دخل على عثمان فقال له ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قال بلى قال أفلم تصل مع أبي بكر ركعتين قال بلى قال أفلم تصل مع عمر ركعتين قال بلى قال ألم تصل صدرنا من

خلافتك ركعتين... فقال عثمان هذا رأى رأيته(1).

وقال ابن الأثير: (أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم، وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام، ووسعه، وابتاع من قوم فأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان فأمر بهم فحبسوا، وقال لهم: قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به. فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم(2).

والملاحظ في النصين السابقين ان عثمان بن عفان كان يعاني المعارضة الشديدة من بعض الصحابة الذين كانوا ينغصون عليه محاولاته لتغيير السنة، مع ان أكثر هذه الأصوات لم تكن ترفع ضد تغيير كل من أبي بكر وعمر للسنة النبوية، مع العلم ان تغييرهما للسنة النبوية كان اشد وأعظم، وقد واجه عثمان بن عفان أولئك المعترضين بهذه الحقيقة علانية فقال في إحدى خطبه: (ألا فقد والله عبتم على بما أقرتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطنكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتهم أو كرهتم ولنت لكم وأوطأت لكم كتفى وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم على أما والله لأنا أعز نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عددا(3).

عثمان لم يفهم قواعد اللعبة فلذلك اعترض عليه

حينما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك، وحينما أضرت دعوته المباركة بمصالح قريش وطغاتها قرر أصحاب القرار في مكة ان يقتلوا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لكنهم خافوا من ان يصطدموا مع بنى هاشم ويدخلوا في

1- تاريخ الطبري ج3 ص 322 _ 323.

2- الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 87.

3- تاريخ الطبري ج 3 ص 377.

مواجهة دامية، لكنهم وبمكر شيطاني وصلوا إلى ان يختاروا من كل قبيلة رجلا ثم يضربوا النبي ضربة رجل واحد ليضيع دمه وحقه بين القبائل، لان بنى هاشم لا يستطيعون حينئذ مواجهة كل العرب، فيضطرون إلى السكوت والقبول بعدم المواجهة، ونفس هذا المخطط الشيطاني قد نفذ من قبل أصحاب السقيفة، لأنهم ادخلوا في لعبتهم كل قبائل العرب وجميع من كان له مطمع من الصحابة وغيرهم، فأعطوا الأموال العظيمة وقسموا الهدايا الجسيمة، وولوا البلدان لمن كان يتشوق للإمارة، واشتروا الذمم فأحبهم الناس وأحبوا بقاءهم وصبروا على ما فيهم من العلل والنقص رجاء أعطياتهم وصلاتهم، والأهم من ذلك كله هو إيجادهم لشبكة إعلامية قوية تغطي جميع تصرفاتهم وتغييراتهم وتبررها وتلبسها لباسا شرعيا، وبذلك ضاع حق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بين القبائل، كما أراد مشركو مكة ان يضيعوا دم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين القبائل.

واستمر العمل بهذا المنهج طوال إمارة أبي بكر وعمر بن الخطاب، لكن لما تولى عثمان بن عفان الإمارة، خالف قواعد اللعبة وأراد ان يستفرد بالغنيمة كاملة هو واهل بيته من بنى أمية دون أهل الحل والعقد من الصحابة الذين كانوا يمنحون الدولة المساندة مقابل نظام المحاصصة، فصيرهم أسوة بغيرهم من الناس، وأعطى الأموال الجسيمة إلى قرابته واهل بيته، فثارت لذلك ثائرة الذين تم إقصاؤهم ومساواتهم بغيرهم وشعروا بأن مصالحهم وقارونيتهم باتت مهددة بالزوال والضياع وان منازلهم ومقاماتهم التي تمتعوا ببحبوحتها لسنوات طويلة صارت عرضة للانتهاك من قبل الأمير الجديد، فوقفوا بوجه كل محاولة من محاولات تغييره مهما كانت صغيرة وتافهة بالنسبة لما تم تغييره في زمن كل من أبي بكر وعمر، فلو كان عثمان قد فهم اللعبة جيدا، ولو كانت مصالح تلك الشبكة الإعلامية مضمونة من قبل الخليفة، ولو

تقاسم بالغنيمة مع غيره لما تجرأ عليه متجرى، ولدعمت وأسندت وألبست جميع تغييراته للسنة لباسا شرعيا ولاستحدثت فتاوى وأحاديث جديدة تلبى جميع رغباته وتغييراته.

وكشاهد على ما قدمنا من ان الصراع ما بين عثمان ومحاولاته لتغيير السنة وإيجاد سنة بديلة عن سنة الشيخين وما بين معارضيه لم يكن صراع الخوف على الأمة وعلى سنة نبيها الكريم بل كان جوهر الصراع وحقيقته هو صراع مصالح شخصية ومنافع آنية لكن البس لباسا شرعيا واستغل اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنته لاستمالة قلوب الجهال والبسطاء من الناس، قال اليعقوبى فى تاريخه: (وكان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وصيرها أسوة بغيرها من نساء رسول الله، فقام عثمان يوما ليخطب إذ دلت عائشة قميص رسول الله، ونادت: يا معشر المسلمين! هذا جلباب رسول الله لم يبيل، وقد أبلى عثمان سنته! فقال عثمان: رب اصرف عنى كيدهن إن كيدهن عظيم)(1).

معاوية بن أبى سفيان يكتشف الخطأ ويمرر سنة عثمان

بقى عثمان بن عفان غير راضخ لقواعد اللعبة إلى ان مات اما تغافلا منه عنها أو عنادا منه لها، لكن معاوية بن أبى سفيان لما وصل اليه الملك الدنيوى اتخذ درسا من أيام عثمان وما مر عليه، وتيقن بأنه سوف لن يكتب له النجاح ما لم يرجع العمل بنظام القواعد القديمة، فأعاد فتح باب الامتيازات الاستثنائية لمن بقى من أصحاب الشبكة الإعلامية القديمة، وبالخصوص عائشة بنت أبى بكر، فأغرقها بالهدايا والأعطيات وفى المقابل أغرقته بالقبول والرضا والمساندة، قال ابن كثير:

1- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 175 أيام عثمان بن عفان.

(قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه... وقال عطاء: بعث معاوية إلى عائشة وهي بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته)(1).

وبسبب هذه الأموال الضخمة لم يعد يهتز عند عائشة وجدان من كل جرائم معاوية بن أبي سفيان، فإذا ما أرادت ان تظهر غيظها وحنقها لا تظهره إلا على شكل عتاب خجول سرعان ما ينتهي بهدية كبيرة من جانب معاوية تسيها سنة رسول الله ودماء المسلمين كما حصل بينها وبينه بعد قتل الشهيد حجر بن عدى وأصحابه، قال الطبراني: (عن مروان بن الحكم قال دخلت مع معاوية على عائشة أم المؤمنين فقالت يا معاوية قتلت حجرا وأصحابه وفعلت الذى فعلت أما خشيت أن أخبئ لك رجلا فيقتلك بمحمد بن أبى بكر قال لا إني فى بيت آمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين كيف أنا فى حوائجك ورسلك وأمرك قالت صالح قال فدعيني وحجرا حتى نلتقى عند الله)(2).

وبهذا وغيره صارت عند معاوية الفرصة السانحة والغطاء الإعلامى المناسب فى إرجاع ما سنه عثمان بن عفان وجعل سنته وتعديلاته على الأحكام هى دين الدولة الجديد، مع علمه وعلم جميع الصحابة ان هذه السنة الجديدة تخالف سنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم من جهة وتخالف سنة كل من ابى بكر وعمر من جهة أخرى، قال الهيثمى: (عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال لما قدم علينا معاوية حاجا قدمنا مكة قال فصلى بنا الظهر ركعتين ثم انصرف إلى دار الندوة قال وكان عثمان حين أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعا فإذا خرج إلى منى

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 145 __ 146.

2- المعجم الكبير للطبراني ج 19 ص 319 __ 320 مروان بن الحكم عن معاوية.

وعرفات قصر الصلاة فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج فلما صلى بنا معاوية الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمر بن عثمان فقالا له ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عبته به فقال لهما ويحكما وهل كان غير ما صنعت قد صليتهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر فقالا فان ابن عمك قد كان أتمها وان خلافاك إياه عيب له قال فخرج معاوية إلى العصر فصلاها بنا أربعا(1).

قال الشوكاني: (إن أول من ترك تكبير النقل أى الجهر به عثمان، ثم معاوية، ثم زياد، ثم سائر بنى أمية)(2).

المبحث السادس: تشييد الأمويين لمذهب جديد اسمه المرجئة

ابتلى بنو أمية قاطبة بمعضلة عظيمة كانت تحط من قدرهم ومنزلتهم فى أعين الناس، فهم مذ أسلموا ودخلوا فى هذا الدين كرها لم تظهر عليهم آثار العبادة وأداء الواجبات والاجتهاد فى الطاعات ومراعاة الحقوق، ومن استقصى حالهم وأقوالهم وأفعالهم لم يجد إلا الجراة على الحدود وإراقة الدماء وانتهاك الحدود، فهم من سن المجالس العامة للطرب والغناء والخمور والزنا، حيث كانت تصرف على هذه المجالس والمغنين والمغنيات وكؤوس الذهب والفضة التى يوضع فيها الخمر والنبذ ما تكفى لإشباع آلاف المسلمين، ومنهم من مزق القرآن بالسهم لا لشيء إلا لأنه استخار بكتاب الله سبحانه وتعالى فخرجت الخيرة على خلاف مراده، وهم من أراق دماء الأذكيا

1- مجمع الزوائد للهيثمى ج 2 ص 156 _ 157 وقد علق الهيثمى على هذا الحديث بقوله: (رواه أحمد وروى الطبرانى بعضه فى الكبير ورجال أحمد موثقون).

2- نيل الأوطار للشوكانى ج 2 ص 269.

على ثرى كربلاء وسبى منهم النساء وذبح الرضعان وشال الرؤوس على الرماح يطوف بها وبهن شرق الأرض وغربها.

فوجدت نتيجة لكل هذه الأفعال المشينة المخزية هوة عظيمة ما بين آيات القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفاته، بل وحتى ما بين سنة كل من أبى بكر وعمر وما بين أفعال الأمويين وعباداتهم وطريقة إدارتهم لشؤون العباد والبلاد، فالمتابع لسيرة النبي وسنته والملم بأخلاقيات القرآن وآدابه وأحكامه يجدهما يتناقضان بالكلية مع السيرة الأموية وأخلاق أبناء هذه العائلة الملعونة والشجرة الخبيثة، وبطبيعة الحال لم يكن هذا التناقض خافيا على بنى أمية، ولا سيما على أمرائهم والمتنفذين فيهم، وكذلك لم يكن هذا التناقض والتنافر يخفى على عامة المسلمين.

ثم إن بنى أمية قد تَبَّهوا إلى أمر مهم للغاية وهو: ان كل من خرج عليهم بالسيف ثائرا ولتغييرهم طالبا كان يستغل مسألة مجونهم وفسادهم وقتلهم للمسلمين ومخالفة أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم للقرآن والسنة، مما أوقعهم بحرج شديد، فاخترعوا لحل هذه المعضلة مذهبا سمي واصطلح عليه فيما بعد بمذهب المرجئة.

وقد أوضح ابن حجر الزمن الدقيق لنشوء هذا المذهب ففى رواية: (عن شعبة عن زبيد قال لما ظهرت المرجئة أتيت أبا وائل فذكرت ذلك له فظهر من هذا ان سؤاله كان عن معتقدهم وان ذلك كان حين ظهورهم وكانت وفاة أبى وائل سنة تسع وتسعين وقيل سنة اثنتين وثمانين ففى ذلك دليل على أن بدعة الإرجاء قديمة)⁽¹⁾، فيظهر ان هذا المذهب قد وجد قبل سنة اثنتين وثمانين، مما يعنى انه وبالتحديد قد وجد فى ما بين إمارة عبد الملك بن مروان الذى ملك من سنة خمس وستين إلى سنة ست

1- فتح البارى لابن حجر ج 1 ص 103.

وثمانين وما بين إمارة ابنه الوليد بن عبد الملك الذي حكم إلى سنة ست وتسعين للهجرة، قال اليعقوبى: (وملك عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، جداه جميعا طريدا رسول الله، وكانت البيعة له بالشام فى اليوم الذى توفى فيه مروان، وذلك فى شهر رمضان سنة 65)(1).

وقال أيضا: (ثم ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان، وأمه ولادة بنت العباس ابن جزء العباسية، للنصف من شوال سنة 86)(2) واستمرت إمارته إلى حين تولى أخيه سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين(3).

وقد حمل هذا المذهب الأموى عدة سمات كان أهمها ما يأتى:

أولا: ان (المرجئة تدعى أن الذنوب كلها صغائر واقعا، وإنما توصف ما توصف بالكبيرة منها بالإضافة، وإلا فلا كبيرة فى المعاصى عندهم، وذلك لأن الأعمال لا أهمية لها عند المرجئة سواء كانت طاعات أو معاصى)(4).

ثانيا: انهم (يقولون الأفعال كلها بتقدير الله تعالى وليس للعباد فيها اختيار وإنه لا يضر مع الإيمان معصية... هم الجبرية القائلون بأن إضافة الفعل إلى العبد كإضافته إلى الجمادات سموا بذلك لأنهم يؤخرون أمر الله ونهيه عن الاعتداد بهما ويرتكبون الكبائر)(5).

ثالثا: انهم يقولون ان الإيمان قول بلا عمل، وان الإيمان لا يزيد ولا ينقص بل

1- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 269 أيام عبد الملك بن مروان.

2- المصدر السابق ج 2 ص 283 أيام الوليد بن عبد الملك.

3- المصدر السابق ج 2 ص 293 أيام سليمان بن عبد الملك.

4- أوائل المقالات للشيخ المفيد ص 334 __ 335.

5- تحفة الأحوذى للمباركفورى ج 6 ص 302 __ 303.

هو درجة واحدة، وان النفاق لا وجود له، وان كل من أسلم ولو باللسان فمصيره الجنة مهما ارتكب من الكبائر والجرائم وان النار قد خلقت للكفار، فعن سفيان الثوري انه قال: (خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث. نقول: الإيمان قول وعمل، وهم يقولون: الإيمان قول ولا عمل؛ ونقول: الإيمان يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص؛ ونحن نقول النفاق، وهم يقولون: لا نفاق)(1)

وقال العلامة المجلسي: (وأما ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان وبعض المرجئة من أن عصاة المؤمنين لا يعذبون أصلاً وإنما النار للكفار تمسكا بالآيات الدالة على اختصاص العذاب بالكفار مثل "قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى)(2).

فجعلوا الحاكم من أهل الجنة مع ارتكابه للمآثم والمعاصي، بل هو معذور لانه مجبور على ارتكاب المعاصي وقتل الأبرياء، وان الحاكم الفاسق الخمار المتهتك متساوٍ بالدرجة مع المؤمن العابد المتهجّد الحافظ لكتاب الله والقائم بأمر الله، وان النفاق الذي اشتهر به آل أمية قد ارتحل من عالم الوجود، وان الدماء التي أريقت في سبيل الملك والدنيا كلها مغفورة وان كلاً من القاتل والمقتول في الجنة لا تفاضل بينهما، وان قتلة الأنبياء والأوصياء على رغم ما ارتكبه وما جنوه مؤمنون كما هو حال قتلة الإمام الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما فقد روى عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (لعن الله القدرية، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة قال: قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة ولعنت هؤلاء مرتين قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلنا مؤمنون فدمائنا متلطخة بشياهم إلى يوم القيامة، إن الله حكى عن قوم في كتابه: ((الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا لَآ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ

1- صفة المنافق لجعفر بن محمد الفريابي ص 127.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 8 ص 370 __ 371.

رُسِّدَ لِمَنْ قَبِيلِي بِالْبَيْتَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (1) قال: كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا (2).

المبحث السابع: معلومات إضافية حول بنى أمية

إشارة

نستطيع ومن خلال الروايات الشريفة ومن خلال أقوال العلماء الأعلام رضوان الله تعالى عليهم ان نحصد جملة من المعلومات المفيدة والقيمة التي تخص بنى أمية، وهي لا- تندرج تحت مبحث موحد لذلك أدرجناها تحت عنوان معلومات إضافية، وهي على اختصار كالآتي:

أولاً: أبغض الأحياء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف

قال الحاكم النيسابوري: (عن أبي حمزة قال سمعت حميد بن هلال يحدث عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة الأسلمي، قال: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) (3).

ثانياً: اهلك الله بنى أمية بعد إحراقهم زيد بن علي بسبعة أيام

قال الشيخ الكليني قدس الله روحه عن: (عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن ذكره، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: إن الله عز ذكره أذن في هلاك بنى أمية بعد إحراقهم زيدا بسبعة أيام) (4).

1- سورة آل عمران الآية رقم 183.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 409.

3- المستدرک للحاکم النيسابوری ج 4 ص 480 __ 481.

4- الكافي للشيخ الكليني ج 8 ص 161.

ثالثا: لم يعط الله الملك لبني أمية وإنما اغتصبوه

روى الشيخ الكليني قدس الله روحه: (عن إبراهيم بن أبي بكر بن أبي سماك، عن داود بن فرقد، عن عبد الأعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: قلت له: ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ)) (1) أليس قد أتى الله عز وجل بني أمية الملك؟ قال: ليس حيث تذهب إليه إن الله عز وجل آتانا الملك وأخذته بنو أمية بمنزلة الرجل يكون له الثوب فيأخذه الآخر فليس هو للذي أخذه (2).

رابعا: بقاء وجودهم بالشام إلى حين خروج القائم صلوات الله وسلامه عليه

روى الشيخ الكليني قدس الله روحه عن: (على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون، عن بدر بن الخليل الأسدي قال: سمعت أبا جعفر «عليه السلام» يقول في قول الله عز وجل: ((فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ)) (3) قال: إذا قام القائم وبعث إلى بني أمية بالشام هربوا إلى الروم فيقول لهم الروم: لا ندخلنكم حتى تتنصروا فيعلقون في أعناقهم الصليبان فيدخلونهم فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم طلبوا الأمان والصلح فيقول أصحاب القائم: لا نفعل حتى تدفعوا إلينا من قبلكم منا، قال: فيدفعونهم إليهم فذلك قوله: ((لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ)) قال: يسألهم الكنوز وهو أعلم بها قال: فيقولون ((قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14)

1- سورة آل عمران الآية رقم 26.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 8 ص 266.

3- سورة الأنبياء الآية رقم 12 _ 13.

فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ» (1) بالسيف (2).

خامسا: ان فى كثرة لعن بنى أمية سببا من أسباب التقرب للإمام المهدي عليه السلام

قال الميرزا محمد تقى الأصفهاني: (إكثار اللعن على بنى أمية سرا وعلانية فى المجالس وعلى المنابر، ما لم يكن خوف وتقية، ويدل على كون ذلك مما يتقرب به إلى مولانا «عليه السلام» مضافا إلى أنه من أفضل الأعمال، وأحبها، وأهمها ما رواه الشيخ الصدوق «رضى الله عنه» فى الخصال عن أمير المؤمنين «عليه السلام» فى ذكر مناقبه السبعين، قال «عليه السلام»: «وأما الرابعة والخمسون، فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «يا على سيلعنك بنو أمية، ويرد عليهم ملك بكل لعنة ألف لعنة، فإذا قام القائم «عليه السلام» لعنهم أربعين سنة» الخبر.

أقول (3): لا يخفى عليك أن المراد باللعن أربعين سنة أمره «عليه السلام» شيعته وأتباعه بلعن بنى أمية فى جميع البلاد، والقرى، والأمصار على المنابر، وفى المجمع، وشيوع ذلك بين الناس فى تلك المدة كما فعل ذلك بنو أمية لعنهم الله تعالى فى زمن استيلائهم معاندة لأمير المؤمنين «عليه السلام».

ففعل القائم جزاء بما كسبوا فى هذه الدنيا ولو كان المراد لعنه بنى أمية بنفسه فقط لما كان محدودا بالمدة المعينة، وما اختص بزمان ظهوره «عليه السلام» لأنه يلعنهم فى جميع عمره. والحاصل أن هذا الحديث الشريف يدل على فضل كثير فى الاهتمام بلعن بنى أمية، وإكثاره، وأنه مما يتقرب به إلى صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه وظهوره فينبغى للمؤمن الاهتمام والمواظبة عليه فى سائر أوقاته وحالاته، خصوصا فى صباحه ومسائه، وأعقاب صلواته.

1- سورة الأنبياء الآية رقم 14 _ 15.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 8 ص 51 _ 52.

3- الكلام ما زال للميرزا محمد تقى الأصفهاني قدس الله روحه.

ويشهد لما ذكرناه ما رواه الشيخ بإسناده عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» قال: إذا انحرفت عن صلاة مكتوبة، فلا تنحرف إلا بانصراف لعن بنى أمية.

ومما يدل (1) على أن اللعن عليهم وعلى سائر أعداء الأئمة من أقسام نصرة الإمام باللسان ما فى تفسير الإمام العسكرى عليه الصلاة والسلام، أنه قال رجل للصادق «عليه السلام»: يا بن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إني عاجز بيدنى عن نصرتك، ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم واللعن عليهم، فكيف حالى: فقال له الصادق «عليه السلام» حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «من ضعف عن نصرتنا أهل البيت، ولعن فى خلواته أعداءنا بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعنا ساعدوه، فلعنوا من يلعنه، ثم ثوّه، فقالوا اللهم صل على عبدك هذا، الذى قد بذل ما فى وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى: قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصليت على روحه فى الأرواح، وجعلته عندى من المصطفين الأخيار» انتهى.

هذا كله مضافا إلى أن موالاته الأئمة لا تتم إلا بالبراءة من أعدائهم، واللعن عليهم، ولا ريب أن بنى أمية من أعدائهم، وقد فعلوا بالأئمة وأوليائهم ما فعلوا من الظلم والقتل، وأنواع الإيذاء فلعنة الله عليهم ما دامت الأرض والسماء (2).

1- ما زال الكلام للميرزا الأصفهاني قدس الله روحه.

2- مكيال المكارم للميرزا محمد تقى الأصفهاني ج 2 ص 390 __ 392.

وَلَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

وَلَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ

المبحث الثالث: ابن مرجانة تاريخ يندى له الجبين

أولاً: ابن مرجانة السفه السفاك للدماء

ثانياً: تكذيب ابن مرجانة بأحاديث الحوض

ثالثاً: ابن مرجانة ووحشية الوقوف بوجه الثورة الحسينية

* حيرة يزيد بن معاوية ومشورة سرحون النصراني

* البدء بقتل مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه

* رمى هانى بن عروة من أعلى القصر بعد ذبحه

* رمى سفير الإمام الحسين من أعلى القصر وهو حي ثم ذبحه

* رمى قيس بن مسهر الصيدأوى من أعلى القصر وهو حي حتى تقطع

* ما الهدف من وراء كل هذه القسوة؟

رابعاً: ابن مرجانة يتقلب فى أحضان الظلمة

خامساً: ابن مرجانة ضرب رأس الحسين بالقضيب ضرباً اثر فيه

سادساً: ابن مرجانة يبنى أربعة مساجد يسب بها أمير المؤمنين

سابعاً: خبر مقتله وقصة الحية التي كانت تدخل وتخرج فى رأسه

وَلَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ**إشارة**

وفى هذه الفقرة مباحث مهمة كما فى غيرها من فقرات الزيارة الشريفة نستعرضها فيما يأتى:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

لم أجد أحداً من أعلام الطائفة رضوان الله تعالى عليهم قديماً وحديثاً شك أو تردد فى جواز بل فى وجوب لعن هذا الشرير قاتل أولاد الأنبياء وذرارى الأئمة الأطهار النجباء، فكلمة الطائفة الحققة مجمعة على لعنه ومن هذا الإجماع نستطيع وبأدنى تأمل أن نستكشف رضا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، هذا فيما لو أعوزنا الدليل اللفظى على إثبات وقوع لعنهم فى كلمات الأئمة الأطهار وأحاديثهم.

ثم انه لعنه الله مشمول باللعن بعدة عناوين أخرى، فهو ممن قتل النفس المحترمة، وقد أثبتنا فى مباحث سابقة ان قاتل النفس ملعون محكوم عليه يوم لقيامة

بالخلود فى نار جهنم صاغرا، ولو لم يكن إلا قتله لسيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته وأصحابه وأطفاله رضوان الله تعالى عليهم لكفى بها عظمة تنفطر من هول خطبها السماوات العلى ((تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَشْدُقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا)) (1).

وهو أيضا وان افردته الزيارة بالذكر فى هذه العبارة لأسباب سنأتى على ذكرها لاحقا إلا أنه يدخل تحت عدة جماعات قد تم الحكم عليها باللعن فى فقرات سابقة من الزيارة أو سنأتى لاحقا، فهو من أوضح مصاديق قوله صلوات الله وسلامه عليه (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلْتَكُمْ).

وهو أيضا مشمول بكونه ممن دفع أهل البيت عن مقاماتهم وحال بينهم وبين وصولهم لمنازلهم التى أنزلهم الله فيها وإحدى أهم هذه المقامات والمراتب والمنازل هى مرتبة تولى رعاية الأمة وقيادتها نحو التكامل، فلولا وقوف هذا الشخص وغيره من الأجلاف والحيلولة ما بين سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وبين وصوله للكوفة، والوقوف مع أئمة الكفر والضلالة، لاستطاع الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه استرجاع مقام الخلافة المغصوب من قبل أعدائه وأعداء الدين، ولتمتعت الأمة بنعمة حكم المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولسنحت الفرصة بقيام الإمام بتربية الأمة وإعادة بث الشريعة التى طال غيابها، ولبث من العلوم الإلهية مثل ما بث أبوه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فجريمة هؤلاء الأجلاف لا تغتفر ولا تقتصر على زمن دون آخر، فالأجيال إلى آخر الزمان تن من عظيم جريمتهم، وتستشعر أهمية وعظمة تلك الثروة الفكرية والمعرفية التى سلبت منهم جراء حيلولة هؤلاء القتلة الأوباش فيما بينهم وبين دولة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه التى كادت أن تكون فى الكوفة.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

وَلَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ

مر في الفقرات السابقة توضيح معنى عبارة (وَلَعَنَ اللَّهُ) فمرجو من القارئ العزيز مراجعتها، وأما (ابْنُ مَرْجَانَةَ) فهو عبيد الله بن زياد، وزياد هذا هو زياد بن أبيه أو ابن عبيد أو ابن أبي سفيان الذي سبق ذكره والكلام عنه في فقرة (وَلَعَنَ اللَّهُ آلَ زِيَادٍ)، و(مَرْجَانَةَ) هي كما قال العيني في عمدة القارى: (...مرجانة وهي أمه...وكانت مجوسية، وقال البخارى: وكانت مرجانة سبية من أصفهان)⁽¹⁾ وسيأتى تفصيل أكثر لبعض أحوالها في محله إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث: ابن مرجانة تاريخ يندى له الجبين

إشارة

قد مر في شرح فقرة (وَلَعَنَ اللَّهُ آلَ زِيَادٍ) تفصيل شافٍ عن أحوال وأوضاع زياد بن أبيه والد عبيد الله المسمى في هذه الفقرة بابن مرجانة، وعلى الرغم من ان الشواهد التاريخية تشير إلى ان زياداً هو الوالد الظاهري لعبيد الله بن مرجانة، إلا أننا نقطع بأن عبيد الله هذا كان مجهول الأب وقد تولد نتيجة الزنا والعياذ بالله، ويشهد على هذه المسألة ما نطقت به الأحاديث الشريفة للمعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أن قتلة أولاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا من المتولدين من الزنا والفاحشة فعن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (ان الله جعل قتل أولاد النبيين من الأمم الماضية على يدي أولاد الزنا)⁽²⁾.

1- عمدة القارى للعيني ج 16 ص 240.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 161 الباب (25) ما جاء في قاتل الحسين وقاتل يحيى بن زكريا عليه السلام.

ويشهد على ذلك أيضا ما روى بأن مبغض أمير المؤمنين والأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يولد إلا من حرام منها ما عن إبراهيم القرشي قال: (كنا عند أم سلمة رضى الله عنها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلى لا يبغضكم إلا ثلاثة ولد زنا ومنافق ومن حملت به أمه وهي حائض)(1).

عن فضيل بن عثمان، عن أبي الزبير المكي قال: (رأيت جابرا متوكيا على عصاه وهو يدور في سلك الأنصار ومجالسهم وهو يقول: على خير البشر فمن أبى فقد كفر يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب على فمن أبى فانظروا في شأن أمه)(2).

وعن أبي أيوب الأنصاري انه قال: (اعرضوا حب على على أولادكم، فمن أحبه فهو منكم، ومن لم يحبه فاسألوا أمه من أين جاءت به، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلى بن أبى طالب: لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق أو ولد زنية أو حملته أمه وهي طامث)(3).

ويشهد على ذلك أيضا وصف أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه له فى قصة إخباره لميثم التمار بخبر قتله على يد عبيد الله بن زياد بقوله: (ليأخذنك العتل الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد...)(4).

وقد اشتهر فى كتب التاريخ وصف عبيد الله بالدعى، أو الدعى ابن الدعى، فحينما طلب عمر بن سعد لعنه الله من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ان ينزل على

1- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 142.

2- المصدر السابق.

3- (علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 145).

4- الاختصاص للشيخ المفيد ص 76 ميثم بن يحيى التمار رحمه الله تعالى.

حكم عبيد الله بن زياد لعنه الله، قال صلوات الله وسلامه عليه: (أنزل على حكم ابن مرجانة الدعى؟ الموت والله عندي دون ذلك أشهى وأحلى)(1).

وقال صلوات الله وسلامه عليه فى مناسبة أخرى: (ألا وان الدعى ابن الدعى قد تركنى بين السلة والذلة وهيئات له ذلك منى)(2) وقد فهمنا فى مبحث سابق ان زياداً ليس له من أب معروف وقد ادعاه معاوية بن أبى سفيان وصيره بذلك أخا له، والظاهر ان عبيد الله كان يعانى نفس المشكلة فادعاه زياد وصيره ابنا له، وبهذا صار دعيا ابن دعى.

وقد قال الشاعر يزيد بن مفرغ الحميرى فى قصيدة يهجو فيها عبيد الله وعبادا ابنى زياد بن أبيه:

أعباد ما للؤم عنك تحول *** ولا لك أم من قریش ولا أب

وقل لعبيد الله ما لك والد *** بحق ولا يدرى امرؤ كيف تنسب(3)

والأشد من كل ما تقدم هو ان عبيد الله بن زياد هذا كان وكما يتنقل تاريخيا يعمل فيه عمل قوم لوط والعياذ بالله وقد أخرج الشيخ على النمازى الشاهرودى فى مستدرک سفينة البحار(4) أبيات شعر ليزيد بن مفرغ الحميرى لم نقلها تنزيها للكتاب عنها، وفحواها ان عبيد الله بن مرجانة لم يبق اسود ولا ابيض إلا ومارس معه عمل قوم لوط، وهو للمبالغة بكثرة أولئك لعنه ولعنهم الله سبحانه.

وفيما يأتى أيضا جملة من أخباره وجرائمه التى توضح بمجموعها معالم شخصيته وميوله غير الإنسانية.

1- الجوهرة فى نسب الإمام على وآله للبرى ص 44 الحسين بن على بن أبى طالب.

2- الاحتجاج للشيخ الطبرسى ج 2 ص 24 احتجاجة عليه السلام على أهل الكوفة.

3- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 16 ص 192 نسب زياد بن أبيه وذكر بعض أخباره.

4- مستدرک سفينة البحار للشيخ على النمازى الشاهرودى ج 8 ص 186.

أولاً: ابن مرجانة السفك الدماء

اشتهر عبيد الله بن مرجانة بقسوته التي لم يدانها ولم يجارها فيها سوى أبيه زياد بن أبيه، وسوى الحجاج بن يوسف الثقفي لعنهما الله، وهذه القسوة والشدة التي كانت تصل إلى حالة الإجرام هي التي أهلتها لان يتمسك به آل أمية بعد موت زياد بن أبيه، وقد احتفظت تلك المناطق التي خضعت تحت إمارة عبيد الله بن مرجانة بذكرات مرة وحكايات مرعبة تحكى بمجموعها النفسية الطاغوتية السفاحة لهذا الموجود المسخ، فعن الحسن قال: (قدم إلينا عبيد الله بن زياد أميراً أمره علينا معاوية غلاماً سفيهاً يسفك الدماء سفكاً شديداً)(1).

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: (ان عبيد الله بن زياد لما أفرط في سفك الدماء وكان معقل بن يسار حينئذ مريضاً مرضه الذي مات فيه، فأتى عبيد الله يعبده فقال له معقل: إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكره. وفي مسلم أنه لما حدثه بذلك قال: ألا كنت حدثتني قبل هذا اليوم؟ قال: لم أكن لأحدثك قبل سبب ذلك، والمراد بهذا السبب هو ما كان يقع منه من سفك الدماء)(2).

ثانياً: تكذيب ابن مرجانة بأحاديث الحوض

روى احمد بن حنبل في مسنده: (قال يزيد بن حيان حدثنا زيد بن أرقم في مجلسه ذلك قال بعث إلى عبيد الله بن زياد فأتيته فقال ما أحاديث تحدثها وترويها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نجدها في كتاب الله تحدث ان له حوضاً في الجنة

1- سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الكحلاني ج 4 ص 90.

2- نيل الأوطار للشوكاني ج 8 ص 47.

قال قد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدناه قال كذبت ولكنك شيخ قد خرفت قال إنى قد سمعته أذناى ووعاه قلبي من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من جهنم وما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم(1).

وقال ابن حجر فى حديثه عن الحوض: (وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة وأحالوه على ظاهره وغلوا فى تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حملة على ظاهره وحقيقته ولا حاجة تدعو إلى تأويله فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف (قلت) أنكره الخوارج وبعض المعتزلة وممن كان ينكره عبيد الله بن زياد أحد أمراء العراق لمعاوية وولده فعن أبى داود من طريق عبد السلام بن أبى حازم قال شهدت أبا برزة الأسلمى دخل على عبيد الله بن زياد فحدثنى فلان وكان فى السمات فذكر قصة فيها أن ابن زياد ذكر الحوض فقال هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئا فقال أبو برزة نعم لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا ولا أربعا ولا خمسا فمن كذب به فلا سقاه الله منه(2).

ثالثا: ابن مرجانة ووحشية الوقوف بوجه الثورة الحسينية

إشارة

بعد رحيل كبير طغاة بنى أمية معاوية بن أبى سفيان ارتجت أوضاع الدولة الأموية، وتخلخل استقرارها بسبب عدم رضا المسلمين المسبق بولاية الفاجر يزيد بن معاوية لعنه الله، وما كان سكوتهم عن ولايته إلا خوفا من سيف وسم معاوية بن أبى سفيان، هذا بالنسبة لعامة المسلمين، أما بالنسبة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

1- مسند احمد لأحمد بن حنبل ج 4 ص 367.

2- فتح البارى لابن حجر ج 11 ص 406 __. 407.

فسكوته⁽¹⁾ وسكوت شيعته وأنصاره كان بسبب المعاهدة التي وقعت ما بين أخيه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه وبين معاوية بن أبي سفيان، والقاضية بأن يبقى معاوية بن أبي سفيان في الإمارة مدة حياته فإذا مات كانت للإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه فإن حدث حادث ومات الإمام الحسن حل محله الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

فلما ارتحل معاوية بن أبي سفيان عن الدنيا موزوراً غير مأجور، وخلف بعده يزيد المشهور بين جميع أطراف المسلمين بفسقه وتجربه على الحدود الإلهية، والمعروف كذلك بعدم حنكته ودهائه كأبيه ذي المكر والشيطنة، انفتحت حينئذ قريحة المعترضين فمنهم من اكتفى بكلمات خجولة سرعان ما تلاشت بعد رؤية بريق الدنانير الذهبية والدرهم الفضية، ومنهم من استغل هذا الإرباك في الدولة الجديدة ليبدأ بتأسيس دولة جديدة كما فعل ابن الزبير في مكة، ولكن الضربة الأقوى التي كانت تقض مضاجع الدولة الأموية هي رفض الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه الانصياع والرضوخ والبيعة للحاكم الجديد، وقد ازدادت المخاوف أكثر حينما علمت أجهزة الدولة وعيونها ان أهل الكوفة قد رفضوا أيضاً البيعة والدخول تحت سلطان يزيد وحكمه، وكتبوا إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بالقدوم والبيعة، فأوجست الدولة الأموية الخيفة من اجتماع الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أقوى خصومها على الإطلاق وأوسعهم شعبية، مع أهل الكوفة القاعدة الشعبية التي شاركت ولوقت طويل في حروب طاحنة ضد الأمويين وقواعدهم الشامية، فقدّر يزيد بن معاوية لعنه الله ومستشاروه ان لو اجتمعت هاتان القوتان لقضى على الدولة الأموية وقوضت أركانها، وعليه ولكي تبقى

1- نقصد بالسكوت هنا هو عدم التحرك العسكري والثورة، أما الاعتراض اللفظي والرفض العملي لبيعتة صلوات الله وسلامه عليه ليزيد في زمن معاوية فهو أشهر من ان يؤتى بشاهد عليه.

الدولة الأموية قائمة حية كان لابد أن تضرب ويبد من حديد وبأقسى ما يمكنها للحيلولة دون حصول هذا الاجتماع ما بين الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والقواعد الشعبية في الكوفة.

حيرة يزيد بن معاوية ومشورة سرحون النصراني

لكن السؤال الذى حير يزيد بن معاوية عليه اللعنة هو من هذا الشخص الذى يحول دون وصول الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ويطفى الثورة المشتعلة على ارض الكوفة، وكان سرحون الأنصارى المستشار الأول لمعاوية بن أبى سفيان يملك الجواب الشافى لحل هذه المعضلة التى وقعت فيها الدولة الأموية، قال ابن حجر: (دعا يزيد مولى له يقال له سرحون قد كان يستشيره فأخبره الخبر فقال له أكنت قابلا من معاوية لو كان حيا قال نعم قال فاقبل منى انه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد فولها إياه وكان يزيد عليه ساخطا وكان قد همّ بعزله وكان على البصرة فكتب إليه برضاه عنه وانه قد ولاه الكوفة مع البصرة وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل ويقتله إن وجدته)(1).

وكتب إليه أيضا: (إلى عبيد الله بن زياد... إنه قد بلغنى أن حسينا قد سار إلى الكوفة وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان وابتليت به من بين العمال وعندها تعتق أو تعود عبدا كما تعتبد __ تعبد __ العبيد)(2).

وزاد السيد محسن الأمين فى لواعج الأشجان: (فضع المناظر والمسالح واحبس على الظنة وخذ على التهمة واكتب إلى فى كل ما يحدث)(3).

1- تهذيب التهذيب لابن حجر ج 2 ص 302.

2- مجمع الزوائد للهيثمى ج 9 ص 193 باب مناقب الحسين بن على عليهما السلام.

3- لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين ص 69.

البدء بقتل مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه

فاتبع ابن مرجانة لإثبات ولائه وإخلاصه ليزيد بن معاوية عليه اللعنة أشع الطرق وأكثرها وحشية في القضاء على رموز الثورة، فحينما تم اعتقال مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه وبعد الضرب المبرح والإهانة له من قبل ابن مرجانة وأتباعه ضربت عنقه بمراى ومسمع أهل الكوفة ثم رمى به من أعلى القصر إلى الأرض فتكسرت عظامه.

رمى هانى بن عروة من أعلى القصر بعد ذبحه

وأحضر ابن مرجانة هانى بن عروة الذى آوى مسلم بن عقيل فى داره، فضربه على وجهه بقضيب من حديد تكسرت منه أسنانه وأنفه، وسال الدم من كل ناحية من بدنه، ثم حبس مثقلا بالأغلال، ثم شد وثاقه وضربت عنقه وجر من رجله هو ومسلم بن عقيل بحبل وطيف بجثتيهما فى أسواق الكوفة وشوارعها.

رمى سفير الإمام الحسين من أعلى القصر وهو حى ثم ذبحه

ورمى عبد الله بن بقطر سفير الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلى مسلم بن عقيل وعامة أهل الكوفة من سطح قصر الإمارة وهو على قيد الحياة، والطبرى فى تاريخه يروى قصة استشهاده بقوله: (عبد الله بن بقطر وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدرى أنه قد أصيب فتلقاه خيل الحصين بن نمير بالقادسية فسرح به إلى عبيد الله بن زياد فقال اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأبى قال فصعد فلما أشرف على الناس قال أيها الناس إنى رسول الحسين ابن فاطمة بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنصروه وتوازروه على ابن

مرجانة ابن سمية الدعي فأمر به عبيد الله فألقى من فوق القصر إلى الأرض فكسرت عظامه وبقي به رمق فأثاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه(1).

رمى قيس بن مسهر الصيداوى من أعلى القصر وهو حى حتى تقطع

وقيس بن مسهر الصيداوى هو الذى حمل رسائل أهل الكوفة إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقد أرجعه الإمام الحسين إلى الكوفة مرة أخرى حاملاً رسالة منه صلوات الله وسلامه عليه إلى أهل الكوفة يخبرهم بقدمه واستجابته لدعواتهم وتوسلاتهم، وقد روى الطبرى خبر استشهاده بقوله: (وأقبل قيس بن مسهر الصيداوى إلى الكوفة بكتاب الحسين حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له عبيد الله اصعد إلى القصر فسب الكذاب ابن الكذاب فصعد ثم قال أيها الناس إن هذا الحسين بن على خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم وقد فارقتة بالحاجر فأجيبوه ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلى بن أبى طالب قال فأمر به عبيد الله بن زياد أن يرمى به من فوق القصر فرمى به ففتقطع فمات(2).

ما الهدف من وراء كل هذه القسوة؟

ان الذين قتلهم عبيد الله بن مرجانة والذين عذبهم والذين حبسهم فى تلك الحقبة أكثر بكثير ممن ذكرناهم سابقاً، وربما يثار هاهنا سؤال مهم يدور حول سبب هذه الطريقة الوحشية التى اتبعها ابن مرجانة فى قتل هؤلاء الثوار مع العلم ان فيهم

1- تاريخ الطبرى ج 4 ص 300.

2- تاريخ الطبرى ج 4 ص 297 __ 298 ذكر الخبر عن مسير الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة وما كان من أمره فى مسيره.

من الصحابة كعبد الله بن بقطر، وفيهم كذلك من الوجهاء كهانى بن عروة، وبمعنى آخر، ألم يكن باستطاعة ابن مرجانة ان يتخلص من هؤلاء الثوار بطريقة أكثر رحمة وإنسانية، فقد كان بإمكانه لعنه الله ان لم يكن له دين أن تكون له إنسانية، فيضرب أعناقهم __ وان كان هذا بحد ذاته عظيماً عند الله __ من دون رميهم من أعلى القصر أو سحبهم من أرجلهم فى الأسواق أو ذبحهم بعد رميهم؟!.

والجواب هو نعم كان باستطاعته ذلك، لكنه لعنه الله أراد أن يحقق من هذا النهج الوحشى عدة أهداف أهمها:

أولاً: تحطيم نفسية الثوار عن طريق بث الخوف والرعب فى أرواحهم، فإن الصورة والتأثير النفسى الذى يتركه مشهد الذبح أو رمى الإنسان من على شاطئ أكثر بكثير من ألف كلمة تنديدية يوجهها الحاكم للجماهير.

ثانياً: ان ابن مرجانة يريد من خلال مشاهد الرعب هذه ان يرسل رسالة واضحة وصريحة لكل الثائرين ولكل من يريد التغيير بأن مصيرهم وقدرهم سيكون مصير وقدر أولئك الذين تم ذبحهم ورميهم من أعلى القصر فيما لو استمروا وأصروا على المطالبة بالتغيير.

ثالثاً: ان هذا النوع من العنف البشع يخلق صدمة كبيرة فى نفوس الذين كانوا يعتقدون ان حالة الخلاص من الكابوس الأموى يمكن ان تتم بسهولة وبساطة من دون التعرض للعقاب الوحشى.

رابعاً: انتهاج هذه الطريقة الوحشية فى التعامل مع المعارضين والثائرين فيه محاولة متعمدة لعزل القيادة الحسينية ووكلائها ومعتمديها وإبعادهم عن كل من يحاول مد يد المعونة لهم.

خامسا: ان هذه العمليات الوحشية التنكيلية بالثوار تهز ثقة الجماهير الكوفية وتوصل إليهم رسالة واضحة بأن خطة التغيير التي ابتدأها الثوار باتت في انهيار، وان هذا الانهيار معناه نجاح وقوة سلطة الدولة الأموية مما يعنى عبثية الوقوف بوجهها ومساندة الثائرين.

سادسا: الذى يثير الانتباه ان ابن مرجانة عليه اللعنة لم يكن يقتل الثائرين جملة واحدة وبوقت واحد، وإنما كان يختار لهم أوقاتاً متفرقة فقد قتل مثلا- مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه، ومن ثم وفى وقت آخر- زاد أو قل - قتل هانى بن عروة رحمه الله، مما يعنى ان ابن مرجانة كان يتعمد قتلهم على مراحل زمنية متفرقة، وذلك لخلق العجز النفسى فى نفوس القاعدة الشعبية نتيجة تكرار تعرضهم لعوامل الإحباط والألم مما ينتج عنه شعور باليأس من إمكانية التغيير للواقع الفاسد.

سابعا: ان تكرار عمليات القتل والذبح والعنف يجعل منها أمرا عاديا ومعها يفقد المجتمع الإحساس بكونها أعمال غير إنسانية، ومعها يفقد المجتمع الإحساس بالآلم الآخريين وعدم المبالاة تجاه أى مأساة إنسانية تقع نصب عينيه. وما وقع يوم عاشوراء خير شاهد على هذه الحقيقة فإن المجتمع ونتيجة الضغط الذى مورس عليه فقد الإحساس تجاه مأساة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته، ووقف موقف اللامبالاة تجاه آلام أطفال ونساء وأصحاب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وجعل من تلك الجريمة النكراء أمرا هينا مستساغا، لان المجتمع وبجهله كان يتصور ان المعاناة التى كان يعانيتها ستزول حالما يتم القضاء على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وان كابوس الرعب سينزاح حالما تنزاح عنهم تهمة النصرة والتأييد لثورة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فسارع الجميع وشارك رغبة أو رهبة فى القضاء عليه وعلى ثورته ليزول عنهم ضغط ابن مرجانة وليتوقف نهر الدم ومشاهد العنف والذبح.

ثامنا: والسبب الأهم في نظري ان ابن مرجانة أراد من انتهاجه لهذا المنهج الوحشى ان يوصل رسالة إلى نفس الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوضح له فيها عظيم خطر استمرار تقدمه نحو الكوفة وان المصير الذى ينتظره هو نفسه الذى وقع على مسلم بن عقيل وغيره، ليحول بذلك دون استمرار تقدمه، ودون التحاق الأنصار بركبه، وقد نجح ابن مرجانة بهذه الطريقة نوعا ما فقد تفرق جمع ليس بالقليل عن الإمام حالما وصلهم خبر مقتل مسلم بن عقيل وتردى الأوضاع فى الكوفة، لكن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه استمر فى مسيره قاصدا الكوفة لأمر هو أعلم به.

رابعا: ابن مرجانة يتقلب فى أحضان الظلمة

قد ذكرنا فى مبحث سابق ان معاوية بن أبى سفيان عليه اللعنة هو أول من اكتشف المواهب الشاذة والإجرامية التى كان يتمتع بها عبيد الله بن مرجانة، فما ان بلغ مبلغ الشباب ولاه معاوية على البصرة، قال خليفة بن خياط فى تاريخه: (سنة خمس وخمسين فيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة، وولاه عبيد الله بن زياد. فلم يزل واليا حتى مات فأقره يزيد)⁽¹⁾.

ثم انقلب بعد موت معاوية بن أبى سفيان إلى صف يزيد بن معاوية وقد مر الخبر الدال على ذلك فيما سبق، ثم انتقل بعد موت يزيد لعنه الله إلى صف مروان بن الحكم عليه اللعنة، وقد مر علينا سابقا ذكر ان الذى اقنع مروان بن الحكم بالتصدى للإمارة بعد موت يزيد هو عبيد الله بن زياد، وهو الذى اخذ البيعة لمروان من أهل الشام وكان على ميمنة مروان بن الحكم فى حربه مع الضحاک بن قيس، قال محمد بن سعد: (كانت بيعة مروان بالجابية يوم الاثنين للنصف من ذى القعدة سنة أربع وستين

1- تاريخ خليفة بن خياط ص 169 __ 170.

وبايع عبيد الله بن زياد لمروان بن الحكم أهل دمشق وكتب بذلك إلى مروان فقال مروان إن يرد الله أن يتمم لى خلافة لا يمنعنيها أحد من خلقه فقال حسان بن مالك صدقت وسار مروان من الجابية فى ستة آلاف حتى نزل مرج راهط ثم لحق به من أصحابه من أهل دمشق وغيرهم من الأجناد سبعة آلاف فكان فى ثلاثة عشر ألفا أكثرهم رجالة ولم يكن فى عسكر مروان غير ثمانين عتيقا أربعون منهم لعباد بن زياد وأربعون لسائر الناس وكان على ميمنة مروان عبيد الله بن زياد(1).

وبعد ان تم الأمر لمروان بن الحكم لعنه الله، أمر ان يسير عبيد الله بن مرجانة إلى الكوفة التى اضطربت مرة أخرى وثارت بعد سماعها بموت يزيد بن معاوية، وبعد ان استقر المختار بن عبيدة الثقفى فيها، فأمره ان يسير إليهم فإذا ظفر بهم جعل الكوفة نهبا ثلاثة أيام، قال ابن نما الحللى: (وكان مروان بن الحكم لما استقامت له الشام بالطاعة بعث جيشين: أحدهما إلى الحجاز، والآخر إلى العراق مع عبيد الله بن زياد __ لعنه الله __ لينهب الكوفة إذا ظفر بها ثلاثة أيام)(2).

خامسا: ابن مرجانة ضرب رأس الحسين بالقضيب ضربا اثر فيه

الكل يعلم ان اللعين ابن مرجانة لما جىء إليه برأس سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه أخذ ينكت الرأس الشريف بقضيب من حديد أو خيزران كان بيده الآثمة، فعن الشيخ الطوسى عن: (الحكم بن محمد بن القاسم الثقفى، قال: حدثنى أبى، عن أبيه: أنه حضر عبيد الله بن زياد حين أتى برأس الحسين __ صلوات الله عليه __، فجعل ينكت بقضيب ثناياه ويقول: إنه كان لحسن الثغر. فقال له زيد بن أرقم: ارفع قضيبك،

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 41 __ 42.

2- ذوب النضار لابن نما الحللى ص 110.

فطالما رأيت رسول الله __ صلى الله عليه وآله __ يلثم موضعه(1).

ولكن الذى لا يعلمه كثير من الناس هو معنى (فجعل ينكت) لان النكت هو الضرب الذى يؤدي إلى ترك الأثر، قال الخليل الفراهيدى: (نكت: النكت: أن تنكت بقضيب فى الأرض، فتؤثر فيها بطرفه)(2)، فيكون معنى (فجعل ينكت بقضيب ثناياه) هو فجعل ابن مرجانة يضرب بقضيب ضربا يؤثر فى رأس وثنايا سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

وقد حاول غير واحد من المخالفين التعمية والتضليل على هذه الجريمة الشنعاء وتبريرها وتوجيهها بشكل لا يחדش سمعة ابن مرجانة، ومن هذه المحاولات ما قام به البخارى الذى حاول ان يحذف المكان الذى كان ينكت عليه ابن مرجانة بقضيبه فقال: (عن أنس بن مالك أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين ابن على فجعل فى طست فجعل ينكت وقال فى حسنه شيئا فقال أنس كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم)(3) فلم يبين البخارى على أى شىء جعل ينكت ابن مرجانة بقضيبه.

وجاء العيني ليقول ان النكت بقضيب ابن مرجانة لم يكن على رأس الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وثناياه، بل كان النكت على الأرض، والأرض هى التى كانت تتأثر بضرب قضيبه، قال فى عمدة القارى: (فجعل ينكت: أى: فجعل عبيد الله بن زياد ينكت أى: يضرب بقضيب على الأرض فيؤثر فيها)(4).

1- الأمالى للشيخ الطوسى ص 252.

2- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 5 ص 339.

3- صحيح البخارى ج 4 ص 216 باب مناقب المهاجرين وفضلهم.

4- عمدة القارى للعيني ج 16 ص 241.

سادسا: ابن مرجانة يبنى أربعة مساجد يسب بها أمير المؤمنين

روى ابن أبي الحديد المعتزلى عن أبي غسان البصرى: (قال: بنى عبيد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض على بن أبي طالب والوقية فيه: مسجد بنى عدى، ومسجد بنى مجاشع، ومسجد كان فى العلافين على فرضة البصرة، ومسجد فى الأزدي)⁽¹⁾.

سابعا: خبر مقتله وقصة الحية التى كانت تدخل وتخرج فى رأسه

قال العينى فى عمدة القارى: (ثم إن الله تعالى جازى هذا الفاسق الظالم عبيد الله بن زياد بأن جعل قتله على يدي إبراهيم بن الأشتر يوم السبت لثمان بقين من ذى الحجة سنة ست وستين على أرض يقال لها: الجازر، بينها وبين الموصل خمسة فراسخ، وكان المختار بن أبى عبيدة الثقفى أرسله لقتال ابن زياد، ولما قتل ابن زياد جرى برأسه وبرؤوس أصحابه وطرحت بين يدي المختار، وجاءت حية دقيقة تخللت الرؤوس حتى دخلت فى فم ابن مرجانة وهو ابن زياد وخرجت من منخره ودخلت فى منخره وخرجت من فيه، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه بين الرؤوس)⁽²⁾.

وقال ابن الأثير: (عن عمارة بن عمير قال لما جرى برأس ابن زياد وأصحابه نضدت فى المسجد فانتهيت إليهم وهم يقولون قد جاءت قد جاءت فإذا حية قد جاءت تتخلل الرؤوس حتى دخلت فى منخر عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح أخرجه الثلاثة)⁽³⁾.

فلعنه الله يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا فيحشر إلى النار وبئس القرار.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 4 ص 94 __ 95.

2- عمدة القارى للعينى ج 16 ص 241.

3- أسد الغابة لابن الأثير ج 2 ص 22 __ 23.

وَلَعَنَ اللَّهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ

2: عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ

المبحث الثالث: عمر بن سعد من حين الثورة إلى زمن مقتله

عمر بن سعد يكتب ليزيد بأمر مسلم بن عقيل ينبهه ويحرضه

عمر بن سعد يختار بلاد الرى على قتل ريحانة رسول الله

هل خرج عمر بن سعد لقتال الإمام الحسين مكرها؟

زحف جيوش الضلالة ومحاصرة الإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يتفاوض مع عمر بن سعد

الشروط المزعومة هي فى مصلحة عمر بن سعد دون الإمام

الناس قد تحدثوا بالشروط دون ان يعلموها يقينا

لو كان الإمام صلوات الله وسلامه عليه يريد البيعة ليزيد لباع وهو فى المدينة

شاهد رافق الإمام صلوات الله وسلامه عليه من المدينة إلى كربلاء يكذب هذه الشروط

ما هى حقيقة المطالب التى أرادها الإمام الحسين

عمر بن سعد لعنه الله يشارك فى القتال والسلب والنهب

عمر بن سعد يسبى النساء والأطفال إلى ابن مرجانة ثم إلى يزيد

هل يمكن بعد كل ذلك القول بان عمر بن سعد ثقة؟

عمر بن سعد يلاقى مصيره على يد المختار

وَلَعَنَ اللَّهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ**إشارة**

وفي هذه الفقرة مباحث مهمة كما في غيرها من فقرات الزيارة الشريفة نستعرضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

ان عمر بن سعد وإن أفرد له ذكر في هذه الفقرة من الزيارة وخص باللعن فيها، إلا انه يدخل في جملة من الفقرات السابقة للزيارة، فهو ملعون بعموم قوله صلوات الله وسلامه عليه: (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهَّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمَكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ بَرَأْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْدَّ يَاعِيَهُمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَانِهِمْ)، فهو ممن قتلهم وقاتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو ممن مكن ومهد لغيره سبيل قتالهم، وهو من أشياع وأولياء وأتباع المؤسسين لأساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وغير ذلك من العموميات الشاملة له ولأمثاله من الظلمة.

وفوق ذلك فقد وردت مقاطع كثيرة في متون الزيارات والأدعية والأحاديث عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تصرح باسمه وتنص على لعنه، منها ما أخرجه

الشيخ الصدوق قدس الله روحه وغيره عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليهما انه قال: (...ومن سمي يوم عاشوراء يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما ادخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النار)(1).

ومنها ما أخرجه الميرزا النوري قدس الله روحه في مستدرک الوسائل عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انه قال: (اللهم فصل علي محمد وآل محمد، واجعل محياى محياهم ومماتى مماتهم، ولا تفرق بينى وبينهم فى الدنيا والآخرة، إنك سميع الدعاء، اللهم وهذا يوم تجدد فيه النعمة وتنزل فيه اللعنة على اللعين يزيد، وعلى آل يزيد، وعلى آل زياد، وعمر بن سعد والشمر، اللهم العنهم والعن من رضى بقولهم وفعلهم...)(2).

ويدل على صحة لعنه ما قاله السيد حسن الحسينى آل المجدد الشيرازى فى موضوع بعنوان (النصال الخارقة لنحر المارقة) نشرته مجلة تراثنا والذى جاء فيه: (أنه قد تقرر فى علم الميزان أن الكلى الطبيعى لا استقلال له بالوجود، وإنما وجوده فى ضمن أفراده وبتبعها، فليس معنى قولنا: لعنة الله على الكافر والفاسق والمبتدع و.. إلى آخره، إلا لعن أفراد ذلك الكلى ومصاديقه، وإلا فلا معنى للعن الكلى نفسه. فتحصل من ذلك جواز لعن يزيد وابن زياد وعمر بن سعد وشمر وغيرهم، لأن كلا منهم فرد من أفراد كلى الكافر والفاسق والظالم و... إلى آخره. فلا- مناص من الإذعان لجواز لعن المعين، إذ المانعون يجيزونه فى نفس الأمر، وإن كانوا ينكرونه بألسنتهم، بل إن تجويزهم للعن بصيغة ومنعه بأخرى سفسطة ظاهرة...)(3).

1- عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ج2 ص268 فى كراهة السعى فى الحوائج فى يوم عاشوراء.

2- مستدرک الوسائل للميرزا النورى ج10 ص414 باب نوادر ما يتعلق بأبواب المزار.

3- مجلة تراثنا تصدر عن مؤسسة آل البيت ج50 ص230.

وقال علي محمد فتح الدين الحنفى: (قال العلامة وحيد الزمان فى المشرب الوردى: ...وقال الله تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا))، فإذا قلنا إن معاوية، ويزيد، وعمرو بن العاص، وشمرًا، وعمر بن سعد، وسنانًا، وخولى أذوا الله ورسوله، وكل من كان كذلك فهو ملعون، فالذى ينتج أنهم ملعونون(1).

ويمكن لعنه أيضا بالاستناد إلى الحديث الذى رواه هو عن أبيه سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام(2)، وإجماع المسلمين قائم على ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو من المؤمنين بل من أئمتهم وساداتهم، والإجماع أيضا قائم على ان ابن سعد لعنه الله قد قاتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه واهل بيته وأصحابه، فيكون بقتالهم كافرًا محاربًا والكافر المحارب ملعون بنص القرآن فى آيات كثيرة قد مر ذكرهن فى مباحث سابقة.

وقال الألوسى فى تفسيره عند كلامه عن لعن يزيد بن معاوية عليه اللعنة ومن جوزه من علماء السنة: (ومن كان يخشى القاتل والقيل من التصريح بلعن ذلك الضليل، فليقل: لعن الله من رضى بقتل الحسين ومن آذى عترة النبى صلى الله عليه وسلم بغير حق ومن غصبهم حقهم، فإنه يكون لاعنا له لدخوله تحت العموم دخولًا أوليًا فى نفس الأمر(3) وهذا الكلام وان أورده الألوسى بحق يزيد إلا انه قابل للانطباق على جميع من شارك فى قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومن رضى بقتله ومن آذى عترة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيكون دخول عمر بن سعد فى كلامه بديهيا.

1- فلك النجاة فى الإمامة والصلاة لعلى محمد فتح الدين الحنفى ص 85.

2- مسند احمد بن حنبل ج 1 ص 176.

3- تفسير الألوسى ج 26 ص 74.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ

مر تبيان هذه العبارة في أثناء شرحنا للعبارات السابقة.

2: عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ

وَعُمَرُ بْنُ سَعْدٍ هُوَ: (عمر بن سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة وأمه مارية بنت قيس بن معدى كرب بن أبي الكيسم بن السمط بن امرئ القيس من كندة)⁽¹⁾، وقال ابن عساكر: (عمر بن سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب أبو حفص القرشى الزهري أصله من المدينة وسكن الكوفة)⁽²⁾، وسيأتى فى المبحث الآتى تفصيل كامل عن أعماله ومواقفه قبل واقعة عاشوراء الأليمة وفى أثنائها وبعدها.

المبحث الثالث: عمر بن سعد من حين الثورة إلى زمن مقتله

إشارة

ان الحديث عن عمر بن سعد لعنه الله هو حديث عن صميم واقعة عاشوراء وما وقع فيها من الفجائع، فهو من قادم فصول مآسيها، وهو من تزعم جيوش البغى فيها، وهو من رض الصدر وسحق الجسم، وفصل الرؤوس وسبى العيال وأيتم الأطفال، وحرقت البيوت وسلب النساء...، ففى كل موقف من مواقف عاشوراء الرهيبة كان عمر بن سعد حاضرا، يكتب الكتب، ويحرض الجيش، ويوجه القتلة،

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 168.

2- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 45 ص 37.

ويشارك فى السلب والنهب والحرق، ويمنع الماء عن آل الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين كانت قلوبهم تحترق وأكبادهم تذوب من العطش.

ونظرا لحضور هذه الشخصية الملعونة فى كل فصول الثورة الحسينية وفعاليتها الكبيرة فى إيجاد وقيادة فاجعة الطف الأليمة، واستمرار دوره حتى إلى ما بعد انتهاء المعركة وبقاء تأثيره الخبيث إلى حين مقتله رأينا من المناسب ان نتعرض إلى أخباره ونكشف عن حاله، من حين بدء الثورة الحسينية إلى حين مقتل هذا اللعين واجتثاث أصله الخبيث من فوق الأرض.

عمر بن سعد يكتب ليزيد بأمر مسلم بن عقيل ينبهه ويحرضه

كان أول ظهور لاسم عمر بن سعد لعنه الله فى أحداث الثورة الحسينية حين قدوم مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه إلى أرض الكوفة ومبايعة الناس له وكتابتهم للكتب التى تحث الإمام الحسين عليه السلام وتطلب منه تعجيل القدوم إليهم وغير ذلك من الأحداث المعروفة المشهورة، فلما رأى أنصار يزيد بن معاوية ان البساط سينسحب من تحت أقدامهم، وان مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه يقود الجماهير، وان المبايعين للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد بلغوا ثمانية عشر ألف رجل أو يزيدون، وان بيعة يزيد قد نقضت، وان الكوفة ستخرج من أيدى السلطة الأموية وأنصارها، وان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يعد العدة للخروج من مكة قاصدا أرض الكوفة، كتبوا إليه يحذرونه من مغبة ما يجرى ويحرضونه على التحرك والوقوف بوجه الثورة الحسينية التى صارت تكبر ويكثر أنصارها يوماً بعد يوم، وكان عمر بن سعد لعنه الله من ضمن الذين كتبوا إلى يزيد بن معاوية بشأن مسلم بن عقيل وأخذ البيعة للحسين صلوات الله وسلامه عليه من الناس، قال البلاذرى: (كتب وجوه أهل

الكوفة: عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري ومحمد بن الأشعث الكندي وغيرهما إلى يزيد بن معاوية بخبر مسلم بن عقيل، وتقديم الحسين إياه إلى الكوفة أمامه، وبما ظهر لهم من ضعف النعمان بن بشير، وعجزه ووهن أمره(1).

وقال الطبرى: (وخرج عبد الله بن مسلم وكتب إلى يزيد بن معاوية: أما بعد فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن على فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك فى عدوك فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف فكان أول من كتب إليه، ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك، قال هشام قال عوانة فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية فقال ما رأيك فإن حسينا قد توجه نحو الكوفة ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين وقد بلغنى عن النعمان ضعف وقول سيئ وأقرأه كتبهم فما ترى من أستعمل على الكوفة وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد فقال سرجون رأيت معاوية لو نشر لك أكنت آخذا برأيه قال نعم فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال هذا رأى معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب فأخذ برأيه وضم المصرين إلى عبيد الله وبعث إليه بعهدته على الكوفة ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلى وكان عنده فبعثه إلى عبيد الله بعهدته إلى البصرة وكتب إليه معه أما بعد فإنه كتب إلى شيعتى من أهل الكوفة يخبروننى أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابى هذا حتى تأتى أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام)(2).

1- انساب الأشراف للبلاذرى ص 77 __ 78.

2- تاريخ الطبرى ج 4 ص 265.

وقول يزيد بن معاوية لعنه الله: (أما بعد فإنه كتب إلى شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة...) فيه تصريح واضح وإقرار علني بأن عمر بن سعد لعنه الله كان يعد من أركان الدولة وقادتها، وإن كتابته ليزيد نابعة من شعوره بأن أي خطر يهدد كيان الدولة الأموية فإنه يهدد مصالحة الشخصية.

وهو نابع أيضا من علمه بأن يزيد بن معاوية لعنه الله هو في بداية عهد حكم جديد وهو بحاجة إلى من يثبت له حكمه، وبحاجة إلى رجال يديرون له البلدان فبكتابته إلى يزيد بأمر مسلم بن عقيل يكون قد برهن عمليا على إخلاصه وتفانيه في سبيل خدمة يزيد بن معاوية عليه اللعنة، وهو ما سيكافأ عليه من قبل يزيد لعنه الله وهو ما حصل فعلا فقد تم اختياره فيما بعد لشغل منصب حاكم بلاد الرى والمناطق المحيطة بها، كما سيأتي ذكره لاحقا.

فيتضح مما سبق ان عمر بن سعد لعنه الله كان سببا مباشرا ورئيسا للقضاء على مسلم بن عقيل وقتله وكان أيضا سببا أساساً ومهما للقضاء على الثورة في الكوفة، وهو أيضا سبب أساس لمجىء ابن مرجانة وتعيينه واليا على الكوفة، وهو أيضا سبب فيما وقع بعد ذلك من أحداث وفجائع.

وليست هذه المرة الوحيدة التي يكتب فيها عمر بن سعد كتابا يؤدي الى سفك دم مسلم وولى من أولياء الله سبحانه، فقد كتب قبل ذلك كتابا إلى معاوية بن أبي سفيان يشهد فيه على حجر بن عدى الكندى صاحب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بالكفر ومفارقة الجماعة مما أدى إلى مقتله ومقتل ثلة من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم في قضية مفصلة ذكرتها مصادر التاريخ (1).

عمر بن سعد يختار بلاد الرى على قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لما أحس يزيد بن معاوية لعنه الله الوفاء والنصيحة من عمر بن سعد بعد كتابته له بأمر مسلم بن عقيل عليه السلام قرر مكافأته بتوليته ولاية بلاد الرى(1) وثرغ دستبى والديلم، وكتب له عبيد الله بن مرجانة نيابة عن يزيد كتاب التولية، وأمره بالخروج إلى عمله، وجهاز معه أربعة آلاف فارس، فاحتال عليه عبيد الله بن مرجانة بأن شرط عليه أن يسلمه ولاية الرى بشرط أن يمضى ويقضى على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وثورته وجميع من خرج بصحبته، قال الطبرى: (وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دستبى وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها فكتب إليه ابن زياد عهده على الرى وأمره بالخروج فخرج معسكرا بالناس بحمام أعين فلما كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد فقال سر إلى الحسين فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك فقال له عمر بن سعد إن رأيت رحمك الله أن تعفينى فافعل فقال له عبيد الله نعم على أن ترد لنا عهدنا قال فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد أمهلنى اليوم حتى أنظر قال فانصرف عمر يستشير نصحاءه

1- قال الحموى فى معجم البلدان ج3 ص 116__ 118: (وهى مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهى محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال... والرى مدينة ليس بعد بغداد فى المشرق أعمر منها... وللرى قرى كبار كل واحدة أكبر من مدينة... وحكى ابن الفقيه عن بعض العلماء قال: فى التوراة مكتوب الرى باب من أبواب الأرض وإليها متجر الخلق. وقال الأصمعى: الرى عروس الدنيا وإليه متجر الناس... وكان عبيد الله بن زياد قد جعل لعمر بن سعد بن أبى وقاص ولاية الرى إن خرج على الجيش الذى توجه لقتال الحسين بن على، رضى الله عنه، فأقبل يميل بين الخروج وولاية الرى والقعود، وقال: أأترك ملك الرى والرى رغبتى، أم ارجع مذموما بقتل حسين وفى قتله النار التى ليس دونها حجاب وملك الرى قره عين فغلبه حب الدنيا والرياسة حتى خرج فكان من قتل الحسين، رضى الله عنه، ما كان).

فلم يكن يستشير أحدا إلا... فأقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد فقال أصلحك الله إنك وليتني هذا العمل وكتبت لي العهد وسمع به الناس فان رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشرف الكوفة من لست بأغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه فسمى له أناسا فقال له ابن زياد لا تعلمني بأشرف أهل الكوفة ولست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث إن سرت بجندنا وإلا فابعث إلينا بعهدنا فلما رآه قد لج قال فإني سائر(1).

ويحتمل أيضا ان تكون ولاية الرى مجرد طعم لاصطياد عمر بن سعد من خلاله، فيزيد بن معاوية وعبيد الله بن مرجانة لعنهما الله كانا على علم وإحاطة تامة بنفسية عمر بن سعد لعنه الله، وانه كان طموحا للرئاسة محبا للمنصب، قال عنه ابن كثير: (وكان عمر بن سعد هذا يحب الإمارة، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه)(2) فاستغلا هذه الخصلة الذميمة ليصلا من خلالها إلى إجباره على المسير إلى قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وجميع أصحابه، فنيتهما في تأمير ابن سعد على بلاد الرى لم تكن جدية، بدليل ان ابن سعد حتى بعد قتله للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وارتكابه تلك المجزرة الفظيعة لم تسلم له ولاية الرى، والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء أراد تنبيهه إلى هذه الحقيقة، ولفت نظره إلى انه بوقوفه في وجه الثورة الحسينية سوف لن يجنى شيئا سوى الإثم والخسران وانه سوف لن ينال من وعود يزيد بن معاوية وابن مرجانة لعنهما الله شيئا، وهو ما أوضحه الإمام صلوات الله وسلامه عليه بقوله وندائه يوم عاشوراء: (أين عمر بن سعد؟ ادعوا لي عمر! فدعى له، وكان كارها لا يحب أن يأتيه فقال: يا

1- تاريخ الطبرى ج 4 - ص 309 __ 310.

2- البداية والنهاية لابن كثير ج 7 ص 313.

عمر أنت تقتلني؟ تزعم أن يوليک الدعى بن الدعى بلاد الرى وجرجان، والله لا تتهنأ بذلك أبدا، عهدا معهودا، فاصنع ما أنت صانع، فإنک لا تفرح بعدى بدنيا ولا آخرة، ولكأنى برأسک على قصبة قد نصب بالكوفة، يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضا بينهم. فاغتاظ عمر من كلامه، ثم صرف بوجهه عنه، ونادى بأصحابه: ما تنتظرون به؟ احمولوا بأجمعکم إنما هى أكلة واحدة(1).

هل خرج عمر بن سعد لقتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مكرها؟

لقد حاول بعض مؤرخى أهل السنة تبرير خروج عمر بن سعد لعنه الله إلى قتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بأنه خرج مكرها، قال الدينورى: (فأمره ابن زياد أن يسير إلى محاربة الحسين، فإذا فرغ منه سار إلى ولايته. فتلكأ عمر بن سعد على ابن زياد، وكره محاربة الحسين)(2).

ويحسب وصف الذهبى انه خرج كالمكره، قال: (وأخذ الحسين طريق العذيب، حتى نزل قصر أبى مقاتل، فخفق خفقة، ثم استرجع، وقال: رأيت كأن فارسا يسايرنا، ويقول: القوم يسرون، والمنايا تسرى إليهم. ثم نزل كربلاء، فسار إليه عمر بن سعد كالمكره)(3).

وقد حاول ابن كثير المتعصب للباطل دوما، أن يخفف جريمة عمر بن سعد لعنه الله، ويهون شناعة فعله بقوله: (وإنما كان عمر أمير السرية التى قتلت الحسين فقط)(4).

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 45 ص 10 فيما قاله مولانا الحسين عليه السلام فى يوم عاشورا لجماعة الكوفى من النصايح والمواعظ.

2- الأخبار الطوال للدينورى ص 253.

3- تاريخ الإسلام للذهبى ج 5 ص 13، سير أعلام النبلاء للذهبى ج 3 ص 298 __ 299.

4- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 204.

وحاول ابن تيمية أن يلتف على موبقة قتاله للإمام الحسين بطريقته المعروفة في المراوغة والتضليل فقال: (ثم غاية عمر بن سعد وأمثاله أن يعترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف أنها معصية، وهذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين)(1).

و(عدم الطعن في عمر بن سعد لما فعل، بل الاعتذار له بما ذكر، يكشف عن نصب شديد وعداء مقيت)(2)، إضافة إلى ان الطبرى صرح بأن عمر بن سعد خرج إلى قتال الحسين راضيا، حيث قال: (وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيد الله بن زياد الرى وعهد إليه عهده فقال اكفنى هذا الرجل قال اعفنى فأبى أن يعفيه قال فأنظرنى الليلة فأخره فنظر في أمره فلما أصبح غدا عليه راضيا بما أمر به)(3).

وابن كثير المتعصب على رغم قوله السابق فقد كذب نفسه في مكان آخر من كتابه واعترف برضا عمر بن سعد بقتال الحسين والخروج إليه، حيث قال: (فقال: اعفنى. فأبى أن يعفيه، فقال: أنظرنى الليلة، فأخره فنظر في أمره، فلما أصبح غدا عليه راضيا بما أمر به)(4) وقد صدق من قال (لا حافظة لكذوب).

وشعر عمر بن سعد الذى تمثل به يوم عزم على الخروج إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لقتله صريح بان هذا اللعين كان على علم تام ودراية كاملة بعواقب وبتائج فعله الدنيوية والأخرية، وعلى يقين ومعرفة كاملة بشخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعظيم انتهاك حرمة وسفك دمه، ولكنه مع ذلك أصر على الخروج

1- منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج 2 ص 68.

2- شرح منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة للسيد على الميلانى ج 1 شرح ص 72.

3- تاريخ الطبرى ج 4 ص 292 __ 293.

4- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 214.

والإقدام على قتل خير الأنام، وشعره الذى تمثل به هو:

فوالله ما أدرى وإنى لحائر *** أفكر فى أمرى على خطرين

أترک ملك الرى والرى منيتى *** أم أرجع مأثوما بقتل حسين

حسين ابن عمى والحوادث جمّة *** لعمرى ولى فى الرى قرّة عين

وإن إله العرش يغفر زلتى *** ولو كنت فيها أظلم الثقلين

ألا إنما الدنيا بخير معجل *** وما عاقل باع الوجود بدين

يقولون إن الله خالق جنّة *** ونار وتعذيب وغل يدين

فإن صدقوا فيما يقولون إننى *** أتوب إلى الرحمن من سنتين

وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة *** وملك عظيم دائم الحجّلين(1)

وحيثما أراد برير بن خضير رضوان الله تعالى عليه ان يثى عمر بن سعد عن القتال وبعد ان سمع ترديده لهذه الأبيات رجع إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقال له: (يا ابن بنت رسول الله إن عمر بن سعد قد رضى أن يقتلك بملك الرى)(2).

زحف جيوش الضلالة ومحاصرة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

كان نزول الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلى أرض كربلاء (يوم الخميس وهو اليوم الثانى من المحرم سنة إحدى وستين، فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد ابن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف من الفوارس فنزل نينوى)(3).

1- الأبيات بهذه الصيغة والترتيب تجدها فى شرح منهاج الكرامة فى معرفة الإمامة للسيد على الميلانى ج 1 شرح ص 72.

2- كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى ج 5 ص 96 ذكر اجتماع العسكر إلى حرب الحسين بن على.

3- روضة الواعظين للفتال النيسابورى ص 181.

وبقى عبيد الله بن مرجانة لعنه الله يمدده بالخيل والرجال من اليوم الثالث الى اليوم العاشر من المحرم، وأغلق كذلك جميع الطرق التي يمكن من خلالها أن يتسلل من يحاول اللحاق بركب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فعن هلال بن أساف قال: (أمر زياد فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة فلا يترك أحد يلج ولا يخرج) (1).

وقال أيضا: (ووضع ابن زياد المناظر على الكوفة لئلا يجوز أحد من العسكر مخافة لأن يلحق الحسين مغيثاً له، ورتب المسالح حولها وجعل على حرس الكوفة والعسكر زحر بن قيس الجعفي، ورتب بينه وبين عسكر عمر بن سعد خيلاً مضمرة مقدحة فكان خبر ما قبله يأتيه في كل وقت) (2).

وكان عبيد الله بن مرجانة يحرض الناس للخروج إلى قتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه تارة بالترهيب وأخرى بالترغيب، فزاد في أعطيات من يخرج مائة دينار وحذر كل من يتخلف عن الخروج بالعقاب والقتل ومحو اسمه من ديوان الأعطيات (3) وغير ذلك، قال البلاذري: (ولما سرح ابن زياد عمر بن سعد من حمام أعين، أمر الناس فعسكروا بالنخيلة، وأمر أن لا يتخلف أحد منهم، وصعد المنبر فقرظ معاوية وذكر إحسانه وإداراه الأعطيات، وعنايته بأمر الثغور، وذكر اجتماع الألفة به وعلى يده، وقال: إن يزيد ابنه المتقيل له، السالك لمناهجه المحتذى لمثاله، وقد زادكم مائة مائة في أعطيتكم، فلا يبقين رجل من العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي، فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً

1- انساب الأشراف للبلاذري ج 1 ص 415.

2- انساب الأشراف للبلاذري ج 1 ص 416.

3- ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص 69.

عن العسكر برئت منه الذمة(1).

وجاء في ترجمة الإمام الحسين من الطبقات: (فلما رأى الحسين عمر بن سعد قد قصد له فيمن معه قال: يا هؤلاء اسمعوا يرحمكم الله، ما لنا ولكم! ما هذا بكم يا أهل الكوفة؟ قالوا: خفنا طرح العطاء، قال: ما عند الله من العطاء خير لكم وكان معه من أهل بيته تسعة عشر رجلاً..)(2).

ولم يكتف ابن مرجانة لعنه الله بالجيش الذي مع عمر بن سعد والذي قوامه أربعة آلاف مقاتل، ولا بأهل الكوفة الذين أخرجهم عن بكرة أبيهم طوعاً أو كرهاً، حتى بعث يستمد الرجال من مناطق أخرى، قال البلاذري: (ثم خرج ابن زياد فعسكر وبعث إلى الحصين بن تميم، وكان بالقادسية في أربعة آلاف فقدم النخيلة في جميع من معه)(3).

وقال أيضاً: (وسرح ابن زياد أيضاً حصين بن تميم في الأربعة الآلاف الذين كانوا معه إلى الحسين بعد شخوص عمر بن سعد بيوم أو يومين، ووجه أيضاً إلى الحسين حجار بن أبجر العجلي في ألف، وتمارض شيب بن ربيعي، فبعث إليه فدعاه وعزم عليه أن يشخص إلى الحسين في ألف ففعل... ووجه أيضاً يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم في ألف أو أقل... ثم جعل ابن زياد يرسل العشرين والثلاثين والخمسين إلى المائة غدوة وضحوة ونصف النهار وعشية من النخيلة، يمد بهم عمر ابن سعد)(4).

1- انساب الأشراف للبلاذري ج 1 ص 416.

2- ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد ص 69.

3- المصدر السابق.

4- المصدر السابق.

ولكن هذه الكثرة الكثيرة من الخيل والرجال والعدة، لما كانت ترسل إلى كربلاء للالتحاق بجيش عمر بن سعد لعنه الله لم تكن تصل بكاملها، فقد كان الملتحقون في ذلك الجيش يفرون ويتخلفون ولا يصل من الألف إلا ثلاثمائة أو أربعمئة رجل، وفي هذا الصدد يقول البلاذري: (وكان الرجل يبعث في ألف فلا يصل إلا في ثلاثمائة أو أربعمئة وأقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه)(1).

وقال الدينوري في الأخبار الطوال: (وكان ابن زياد إذا وجه الرجل إلى قتال الحسين في الجمع الكثير، يصلون إلى كربلاء، ولم يبق منهم إلا القليل، كانوا يكرهون قتال الحسين، فيرتدعون، ويتخلفون. فبعث ابن زياد سويد بن عبد الرحمن المنقري في خيل إلى الكوفة، وأمره أن يطوف بها، فمن وجده قد تخلف أتاه به. فبينما هو يطوف في أحياء الكوفة إذ وجد رجلا من أهل الشام قد كان قدم الكوفة في طلب ميراث له، فأرسل به إلى ابن زياد، فأمر به، فضربت عنقه. فلما رأى الناس ذلك خرجوا)(2).

وهذا التخلف والفرار من الالتحاق أرغم عبيد الله بن مرجانة لعنه الله على إرسال دورات من جيشه تدور في أزقة وطرقات الكوفة وأحيائها ليكلموا الناس ويحذروهم مغبة التخلف وعدم الالتحاق بالجيش والخروج لنصرة عمر بن سعد لعنه الله، ومن لم يخضع للنصيحة أرغم على الالتحاق، فان بقي متخفيا متخلفا قتل، وفي هذا الصدد يقول البلاذري: (ثم دعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي، ومحمد بن الأشعث بن قيس، والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمن المنقري، وأسماء بن خارجة الفزاري، وقال: طوفوا في الناس فمروهم بالطاعة والاستقامة وخوفوهم عواقب

1- المصدر السابق.

2- الأخبار الطوال للدينوري ص 254 __ 255.

الأموال والفتنة والمعصية، وحثوهم على العسكرة. فخرجوا فعدروا وداروا بالكوفة ثم لحقوا به غير كثير بن شهاب فإنه كان مبالغاً يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة ويحذرهم الفتنة والفرقة، ويخذل عن الحسين... ثم ان ابن زياد استخلف على الكوفة عمرو بن حريث، وأمر القعقاع بن سويد بن عبد الرحمن بن بجير المنقري بالتطواف بالكوفة في خيل، فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة، فأتى به ابن زياد فقتله فلم يبق بالكوفة محتلم إلا خرج إلى العسكر بالنخيلة(1).

ثم كتب عبيد الله بن مرجانة لعنه الله إلى عمر بن سعد لعنه الله قبل مقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بثلاثة أيام ان يقطع عنهم سبل الوصول إلى الماء، ليضعف الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه تمهيداً لبدء القتال، قال الشيخ المفيد: (وورد كتاب ابن زياد في الأثر إلى عمر بن سعد: أن حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة، كما صنع بالتقى الزكى عثمان بن عفان. فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يستقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة(2)).

الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يتفاوض مع عمر بن سعد

إشارة

بقى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأطفاله وأصحابه في كربلاء تحت طائلة الحصار ستة أيام امتدت من اليوم الثالث من شهر محرم حينما ورد عليه عمر بن سعد لعنه الله، والى يوم العاشر حيث دارت معركة الحق مع الباطل، وقد التقى

1- انساب الأشراف للبلاذري ج 1 ص 416.

2- الإرشاد للشيخ المفيد ج 2 ص 86.

الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه خلال هذه الستة أيام عدة مرات بعمر بن سعد لعنه الله، حاول الإمام صلوات الله وسلامه عليه من خلالها ثنيه عن القتال ونصرة وطاعة عبيد الله بن مرجانة، قال ابن الأثير: (التقى الحسين وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو أربعاً)(1)، وعن (هائى بن ثبيت الحضرمى وكان قد شهد قتل الحسين قال: بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصارى أن القنى الليل بين عسكرى وعسكرك قال فخرج عمر بن سعد فى نحو من عشرين فارسا وأقبل حسين فى مثل ذلك فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك قال فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه)(2).

وفى رواية البحار للعلامة المجلسى قدس الله روحه ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لم يكن وحده مع عمر بن سعد، حيث حكى قصة اللقاء بقوله: (ثم أرسل الحسين إلى عمر بن سعد لعنه الله: أنى أريد أن أكلمك فالقنى الليلة بين عسكرى وعسكرك، فخرج إليه ابن سعد فى عشرين وخرج إليه الحسين فى مثل ذلك، فلما التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس، وابنه على الأكبر، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه ابنه حفص و غلام له)(3).

وقد وقع الاختلاف بين المؤرخين حول المواضيع التى تناولها الطرفان عند الاجتماع، فكتب السنة مجمعة على ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه طلب من عمر بن سعد ثلاثة أشياء هى كما قال الطبرى: (وتحدث الناس فيما بينهما ظنا يظنون أنه

1- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 55.

2- تاريخ الطبرى ج 4 ص 312 __ 313.

3- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 44 ص 388 __ 389.

حسينا قال لعمر بن سعد أخرج معى إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين قال عمر إذن تهدم دارى قال أنا أبنها لك قال إذن تؤخذ ضياعى قال إذن أعطيك خيرا منها من مالى بالحجاز قال فتكره ذلك عمر قال فتحدث الناس بذلك وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئا ولا علموه(1).

وابن كثير زاد على كلام الطبرى ما نصه: (وقال بعضهم: بل سأل منه إما أن يذهب إلى يزيد، أو يتركه يرجع إلى الحجاز أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك)(2).

وروى ابن الأثير ما قاله الناس بشكل آخر بقوله: (وقيل بل قال له اختاروا منى واحدة من ثلاث إما أن أرجع إلى المكان الذى أقبلت منه وإما أن أضع يدي فى يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بينى وبين رأيه وإما أن تسيروا بى إلى أى ثغر من ثغور المسلمين شتم فأكون رجلا من أهله لى ما لهم وعلى ما عليهم)(3).

أما البرى فقد جزم بصدور هذه المطالب من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، إذ إنه لم يروها بصيغة قال الناس، أو تحدث الناس، أو غير ذلك كما فعل غيره، فروى القصة كالتالى: (فأتاه عمر بن سعد فقال: ما هذا المسير يا أبا عبد الله؟ قال: سرت إلى قوم غرونى بكتبهم، ولا مرد للقضاء. وإنى أسأل منكم إحدى ثلاث خلال: إما أن تتركونى أرجع من حيث جئت. وإما أن تخلوا بينى وبين الطريق إلى الأعاجم، أقاتل فيهم حتى أموت، وإما أن أسير إلى يزيد فأضع يدي فى يده)(4).

والسؤال المهم الذى يطرح نفسه هنا هو: أمن المعقول أن يطلب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من عمر بن سعد لعنه الله ان ينطلقا سوياً إلى يزيد بن معاوية ليصير

1- تاريخ الطبرى ج 4 ص 312 __ 313.

2- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 189.

3- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 54.

4- الجوهرة فى نسب الإمام على وآله للبرى ص 43.

تحت حكمه ورحمته؟ أو ان يسيره إلى ثغر من الثغور فيقاتل الترك؟ أو يكون كأحد أهلها له ما لهم وعليه ما عليهم؟ وهل يعقل ان يتوسل إليهم الإمام صلوات الله وسلامه عليه بان يتركه يرجع لأنه صلوات الله وسلامه عليه اكتشف حين محاصرته بأن أهل العراق قد خدعوه وغروه حتى صار يدعو آنذاك بقوله: (اللهم إن أهل العراق غروني، وخدعوني، وصنعوا بأخي(1) ما صنعوا(2)؟ أم ان هذه المقولات إنما جاءت ضمن خطة مدروسة للقضاء على الثورة الحسينية إعلامياً؟ وهذا ما سنعرفه فى العنوان التالى.

الشروط المزعومة هي فى مصلحة عمر بن سعد دون الإمام صلوات الله وسلامه عليه

لقد قمت باستقراء النصوص المتوفرة بين يدي والتي تحدثت عن مسألة لقاء الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعمر بن سعد لعنه الله وما جرى بينهما من كلام فوجدت ان المصادر السننية المعتمد عليها عندهم أجمعت على ان اللقاء الذى انعقد لم يضم سوى شخصين فقط هما كل من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعمر بن سعد لعنه الله، وان جميع من كان معهما قد تنحى جانبا بحيث لا يسمعون أصواتهما ولا كلامهما، مما يعنى ان احد الطرفين هو الذى أخرج هذه المقولة.

ولكن أى الطرفين من مصلحته ان تتحقق هذه الشروط الثلاثة أو واحدا منها، وبقليل من التدبر أو التأمل نجد أنّ عمر بن سعد لعنه الله هو المستفيد الوحيد من وقوع احد هذه الشروط، لان من سمات عمر بن سعد لعنه الله الشخصية انه كان محبا للمنصب، كما قال عنه ابن كثير: (وكان عمر بن سعد هذا يحب الإمارة، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التى قتلت الحسين بن على رضى الله عنه)(3)، وبلغ

1- يقصد بأخيه مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه.

2- سير أعلام النبلاء للذهبي ج 3 ص 302

3- البداية والنهاية لابن كثير ج 7 ص 313.

من طمعه انه رضى بقتل سيد شباب أهل الجنة من اجل ملك الرى، فتحقيق احد تلك الشروط الثلاثة كان كافيا لوصوله إلى مطعمه، من دون حاجة إلى تجشم العناء فى خوض معركة ربما تكون فى غير صالحه، فهو يريد ان يزيل هذه العقبة التى تحول دون وصوله لملك الرى بصورة سلمية، وبأسرع وقت ممكن.

أما بالنسبة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فقد كان القبول ببيعة يزيد، أو الذهاب إليه، أو الفرار إلى احد الثغور ليقاتل فيها حتى يقتل، معناه التنازل الصريح والامتهان الواضح والذلة التى لا ريب فيها، وكل هذه تضر وتسىء إلى شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وثورته وشعاراته التى رفعها منذ خروجه من مكة إلى حين استشهاده صلوات الله وسلامه عليه، وعليه فليس من مصلحة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أن يخرج هذه الفرية على نفسه، إذن فالمستفيد من إخراج هذه الفرية هو عمر بن سعد لعنه الله وحده، دون الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

الناس قد تحدثوا بالشروط دون ان يعلموها يقينا

إضافة إلى ان الروايات التى نقلت هذه القصة صرحت بأن الناس تحدثوا عن ظن يظنون ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قال لعمر بن سعد لعنه الله أخرج معى إلى يزيد بن معاوية لعنه الله، ثم ان هذا النص وغيره يصور الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بأنه إنسان غير مبالٍ وانه لا يهتم إلا إلى نجاة نفسه حاشاه من هذه الأكاذيب، لأنه صلوات الله وسلامه عليه لم يكن فى كربلاء وحيدا بل كان معه أخوته وأخواته وزوجاته وأبنائه وأصحابه فكيف يعقل ان يترك الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كل هؤلاء، ويعرض على اللعين عمر بن سعد ان يهربا سوية الى يزيد ويتركا جميع من كان بصحبته صلوات الله وسلامه عليه، فكذب هذه الروايات واضح لا ريب فيه.

لو كان الإمام صلوات الله وسلامه عليه يريد البيعة ليزيد لبايع وهو في المدينة

أضف إلى ذلك ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لو كان في نيته ان يبايع يزيد بن معاوية لعنه الله لما تجشم عناء الخروج من المدينة، ولبايع يزيد بن معاوية لعنه الله من أول الأمر، فانه حينئذ سوف لن يدفع القتل عن نفسه وعن أهل بيته فحسب بل كان سيحظى ببيعته هذه بمنزلة ومكانة خاصة عند يزيد والأمويين، لان بيعته صلوات الله وسلامه عليه معناها إعطاء الشرعية ليزيد لعنه الله، وان بيعته ستؤدى إلى ان يبايع ليزيد جميع بنى هاشم تبعاً للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقريش تبعاً لبنى هاشم وجميع أهل المدينة تبعاً لقريش، وبيعة تحمل كل هذه الأهمية كان يزيد والأمويون على استعداد ان يبذلوا الغالى والنفيس من اجل تحقيقها لو كان لتحقيقها سبيل.

شاهد رافق الإمام صلوات الله وسلامه عليه من المدينة إلى كربلاء يكذب هذه الشروط

كان عقبة بن سمعان عبداً مملوكاً للرباب زوجة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، صحب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من حين خروجه من بيته في المدينة المنورة، إلى حين مقتله صلوات الله وسلامه عليه وانتهاء المعركة، وبعد انتهاء فاجعة عاشوراء اخذ أسيراً إلى عمر بن سعد لعنه الله، فأراد قتله، ولكنه اعتذر إليه بأنه عبد مملوك لا يملك حيلة دون الحضور مع الرباب رضوان الله تعالى عليها، فخلى عمر بن سعد سبيله، قال الطبرى: (أخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان وكان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبيّة وهى أم سكينه بنت الحسين فقال له ما أنت قال أنا عبد مملوك فخلى سبيله فلم ينج منهم أحد غيره)(1).

وعليه فيكون عقبة بن سمعان شاهد عيان رافق الحدث من بداية صدوره إلى

انتهاء حصوله، وقد نقل الكثير من الأخبار التي وقعت سواء في الطريق إلى كربلاء، أو في كربلاء قبل قيام الحرب وأثنائها وبعدها، وقد كان في موضع يتيح له الاطلاع على تفاصيل ما يقع وما يقال، فمن الطبيعي ان تكون لشهادة مثل هذا الشخص أهمية عظمى من حيث الاثبات التاريخي.

وقد أكد عقبة بن سمعان هذا على كذب ما زعموه من ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد طلب منهم ان يذهب إلى يزيد ليضع يده في يده، أو ان يسيره إلى ثغر من الثغور يقاتل حتى يقتل، قال الطبري: (عن عقبة بن سمعان قال صحبت حسينا فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلا ذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس)(1).

وقال ابن الأثير: (صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وسمعت جميع مخاطباته الناس إلى يوم مقتله فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر به الناس من أنه يضع يده في يد يزيد ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس فلم يفعلوا)(2).

وعن ابن كثير قال: (عن عقبة بن سمعان. قال: لقد صحبت الحسين من مكة

1- المصدر السابق ج 4 ص 313.

2- الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 54 __ 55.

إلى حين قتل، والله ما من كلمة قالها في موطن إلا وقد سمعتها، وإنه لم يسأل أن يذهب إلى يزيد فيضع يده إلى يده، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور، ولكن طلب منهم أحد أمرين، إما أن يرجع من حيث جاء، وإما أن يدعوه يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه(1).

وهناك مستند تاريخي آخر يؤكد كلام عقبة بن سمران، فقد ورد كتاب من عمر بن سعد لعنه الله إلى عبيد الله بن زياد يخبره فيه عن لقائه بالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ويذكر فيه ما دار بينهما من حوار ولم يكن في الكتاب ذكر لمطالبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بإرساله وتسييره إلى يزيد ليضع يده في يده، أو بعثه إلى ثغر من الثغور ليقا تل الديلم أو الترك حتى يقتل كما زعموا، فعن الطبري: (عن حسان بن فائد بن بكر العبسي قال: أشهد أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فأني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي فسألته عما أقدمه وماذا يطلب ويسأل فقال كتب إلى أهل هذه البلاد وأتتني رسلكم فسألوني القدوم ففعلت فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني به رسلكم فأنا منصرف عنهم فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال الآن إذ علقت مخالبتنا به. يرجو النجاة ولات حين مناص)(2).

وفي نص آخر عن الطبري أيضا قال: (فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظلي فقال له ويحك يا قرّة الق حسينا فسله ما جاء به وماذا يريد قال فأناه قرّة بن قيس فلما رآه الحسين مقبلا قال أتعرفون هذا فقال حبيب بن مظاهر نعم هذا رجل من حنظلة تميمي وهو ابن أختنا ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي وما كنت أراه يشهد هذا المشهد قال

1- البداية والنهاية لابن كثير ج8 ص189 __ 190.

2- تاريخ الطبري ج4 ص311.

فجاء حتى سلم على الحسين وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه له فقال الحسين كتب إلى أهل مصركم هذا أن أقدم فأما إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم(1).

وعدم ورود تلك الشروط المزعومة في رسائل عمر بن سعد لعنه الله، وعدم سماع عقبة بن سمعان لها دليل على ان هذه المزاعم المكذوبة قد افتعلت بعد استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والتي أشيعت وانتشرت بفضل الرواة والمؤرخين الذين عرفوا بمساندتهم للحاكم الظالم، وتشويه سمعة كل من يحاول الخروج عليه.

ما هي حقيقة المطالب التي أرادها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

الظاهر ومن خلال تتبعي للنصوص التاريخية المتعلقة بهذه المسألة، ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كانت له ستة مطالب، ثلاثة منها كانت قبل المعركة في أثناء حصار الجيش الكافر له ولعِياله ولأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وثلاثة مطالب أخرى كانت في أثناء المعركة.

فأما التي قبل المعركة فاثنتان منها قد وردتا في رواية عقبة بن سمعان التي مر ذكرها سابقا والتي جاء فيها: (...إما أن يرجع من حيث جاء، وإما أن يدعوه يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه...)(2).

وأما المطلب الثالث فهو نصيحته صلوات الله وسلامه عليه التي قدمها لعمر بن سعد لعنه الله بأن يمعن النظر جيدا في موقفه العدائي ضد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان يتحول بالولاء والموقف من جبهة الباطل وحزبه إلى جبهة الحق وحزبه، وقد أورد العلامة المجلسي قدس الله روحه هذا الطلب في رواية جاء فيها: (ثم أرسل الحسين إلى عمر بن سعد

1- تاريخ الطبري ج4 ص311.

2- قد مرت مصادر هذه الرواية قبل قليل.

لعنه الله: أنى أريد أن أكلمك فالقنى الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه ابن سعد فى عشرين وخرج إليه الحسين فى مثل ذلك، فلما التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس، وابنه على الأكبر، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه ابنه حفص و غلام له. فقال له الحسين عليه السلام: ويلك يا ابن سعد أما تتقى الله الذى إليه معادك أتقاتلنى وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معى، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى، فقال عمر بن سعد: أخاف أن يهدم دارى، فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنيتها لك فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتى، فقال الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيرا منها من مالى بالحجاز فقال: لى عيال وأخاف عليهم، ثم سكت ولم يجبه إلى شىء فانصرف عنه الحسين عليه السلام، وهو يقول: مالك ذبحك الله على فراشك عاجلا ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إنى لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيرا فقال ابن سعد: فى الشعير كفاية عن البر مستهزئا بذلك القول(1).

وأما مطالبه صلوات الله وسلامه عليه فى أثناء المعركة فقد رواها الشيخ عبد العظيم المهتدى البحرانى بقوله: (لما أقبل على عمر بن سعد وقال له: أخيرك فى ثلاث خصال. قال: وما هى؟ قال: تتركنى حتى ارجع إلى المدينة إلى حرم جدى رسول الله. قال: ما لى إلى ذلك سبيل. قال: أسقونى شربة من الماء فقد نشفت كبدى من الظمأ. فقال: ولا إلى الثانية سبيل. قال: وإن كان لابد من قتلى فليبرز إلى رجل بعد رجل. فقال: ذلك لك. فحمل على القوم...)(2).

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 44 ص 388 __ 389.

2- من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام لعبد العظيم المهتدى البحرانى ص 253 __ 254، نقلا عن أسرار الشهادة ص 409، والمنتخب للطريحي ص 439.

عمر بن سعد لعنه الله يشارك فى القتال والسلب والنهب

فى الوقت الذى طال الحصار على معسكر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وفيهم النساء والأطفال وكبار السن والمرضى، وبينما كانت قلوبهم تتفطر من شدة العطش، كان عمر بن سعد لعنه الله مستنقعا فى الفرات يسبح ويتبرد ينتظر ساعة الصفر ليشن حربته الشعواء ضد أهل الحق وجبهة الإيمان، فعن (سعد بن عبيدة قال: إنا لمستنقعين فى الفرات مع عمر بن سعد إذ أتاه رجل فساره فقال قد بعث إليك ابن زياد جويرة بن بدر التميمي وأمره إن أنت لم تقاتل أن يضرب عنقك)(1).

فلما عزم لعنه الله على الحرب والمواجهة واستئصال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه وليثبت ولاءه لسيد عبيد الله بن مرجانة ويزيد بن معاوية لعنهما الله، قدح بنفسه أول شرارة لمعركة راح ضحيتها خيرة أهل الأرض، فأطلق سهما من كبد قوسه نحو معسكر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه معلنا فيه بدء القتال، ثم صاح متبجحا مفتخرا يطلب من الناس الشهادة له عند أميره الطاغية بأنه أول من رمى، فلما شاهد المعسكر الكافر إمامهم الضال قد رمى بسهم تسارعوا فى الرمي عسى ان ينالوا درجة السبق فى المشاركة وبدء القتال ليحظوا بالجائزة والقربة عند ابن مرجانة ويزيد لعنهما الله، فعن حميد بن مسلم قال: (وزحف عمر بن سعد نحوهم ثم نادى يا زويد أدن رايتك قال فأدناها ثم وضع سهمه فى كبد قوسه ثم رمى فقال اشهدوا أنى أول من رمى، فلما دنا منه عمر بن سعد ورمى بسهم ارتمى الناس)(2).

وقال ابن الأثير فى الكامل: (ثم قدم عمر بن سعد برايته وأخذ سهما فرمى به

1- تاريخ الطبرى ج 4 ص 295 _ 296، تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 45 ص 53، وتاريخ الإسلام للذهبي ج 5 ص 15.

2- تاريخ الطبرى ج 4 ص 326.

وقال اشهدوا لى أنى أول رام(1) وبعد ان رمى بسهمه ورمى الناس بسهامهم نحو ابن بنت رسول الله وحرمه وأطفال ثم: (نادى عمر بن سعد مولاه زيدا أن قدم الراية، فتقدم بها، وشبت الحرب)(2) وعزم عمر بن سعد على استئصال آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجميع من يقف مدافعا عنهم وترجم هذا العزم بكلمات قالها للحرب بن يزيد الرياحى حينما سأله (أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال له: أى والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي)(3).

وعلى الرغم من ان المتعارف آنذاك هو عدم اشتراك قائد الجيش فى المعركة الدائرة بينه وبين خصومه(4)، إلا أن عمر بن سعد أخرجه حقه وبغضه لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن مراعاة قواعد الحرب وأصول القتال، فشارك جيشه فى القتال تارة، وفى السلب والنهب تارة أخرى، فمثلما كان أول من رمى بسهم نحو معسكر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كذلك كان أول من طعن فى سرادق وخيام ومضارب عيالات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فعن البخارى قال: (حدثنا موسى ثنا سليمان بن مسلم أبو المعلى العجلي قال سمعت أبى أن الحسين لما نزل كربلاء فأول من طعن فى سرادقه عمر بن سعد)(5).

ومن يلاحظ كلمات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بحقه يوم عاشوراء يرى ان الإمام صلوات الله وسلامه عليه يلقى بجميع تبعات وأعمال وجرائم الجيش الكافر بعهدته

1- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 65.

2- الأخبار الطوال للدينورى ص 256.

3- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 64.

4- لذلك كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى اغلب حروبه ينصب له عريش على ربوة أو غير ذلك يراقب الجيش ويوجهه.

5- التاريخ الصغير للبخارى ج 1 ص 178.

وبرقبته، فحينما تقدم على الأكبر ابن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه: (رفع الحسين سبابته نحو السماء وقال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسولك، كنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه، اللهم أمنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقا، ومزقهم تمزيقا، واجعلهم طرائق قديدا، ولا ترض الولاية عنهم أبدا، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا. ثم صاح الحسين بعمر بن سعد: ما لك قطع الله رحمك ولا بارك الله لك في أمرك، وسلط عليك من يذبحك بعدى على فراشك، كما قطعت رحمى ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله(1) فمع ان عمر بن سعد لعنه الله لم يباشر بنفسه قتل على الأكبر صلوات الله وسلامه عليه إلا ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يلقي بتبعة قتله وإزهاق نفسه عليه، ويحملة المسؤولية كاملة، مما يعنى ان عمر بن سعد لعنه الله كان باستطاعته ان يوقف هذه المجزرة الإنسانية، وان باستطاعته أيضا ان يقلب ميزان ومعادلة الصراع الدائر بين الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ويزيد بن معاوية لعنه الله، لكنه لعنه الله اختار الوقوف مع جبهة الباطل، وإتقال كفة الكفر، فاستحق ان تكون برقبته أوزار ذلك اليوم الرهيب.

وقد بلغ عمر بن سعد لعنه الله المرتبة العظمى من الوضاعة والخسة، وفقدانه لأقل صفات النزاهة فى المواجهة، فبينما كان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قبل نزاله الأخير يودع عياله وحرمة وأطفاله ويهدئهم ويوصيهم بالصبر والتحمل ويبصرهم ما سيقع عليه بعدهم(2)، نادى أصحابه وجيشه ان يستغلوا فرصة انشغال الإمام

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 45 ص 42 __ 43.

2- قال السيد المكرم فى مقتل الإمام الحسين عليه السلام ص 290 فى ذكره الوداع الثانى لسيد الشهداء عليه السلام: (ثم انه عليه السلام ودع عياله ثانيا وأمرهم بالصبر ولبس الأزر وقال استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير... فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم...).

الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعياله وحرمه، وعدم إعطائه فرصة التهيؤ للقتال والنزال، فاصدر أمره لهم قائلاً: (ويحكم اجمعوا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمه والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهم حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشك سهم بعض أزر النساء فدهشن وأرعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين كيف يصنع، فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فقتله والسهم تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها ب صدره ونحره...)(1).

فهل كان عمر بن سعد لعنه الله يا ترى غافلاً أو متغافلاً عن ان هجوم هذا العسكر الكافر على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وهو في وسط عياله وأطفاله ونسائه سيوقع يقينا الضرر والجراح والقتل في صفوف من أوصى برعايتهم رب العالمين من فوق سبع شداد وأوصى بهم وبرعايتهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بكلمات ومواقف تجل عن الإحصاء، والغريب ان أفعاله وأفعال جيشه الكافر كانت العرب في جاهليتهم الجهلاء تتنزه عن القيام بعشر من أعشار ما قاموا به وارتكبوه، فقد كانت العرب في جاهليتهم يستقبحون ان يعتدى على الأطفال والنساء، لذا طالبه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وطالب جيشه الكافر بان يكونوا على اقل التقدير من عرب الجاهلية ان لم يكونوا من أصحاب الدين والمبدأ، قال السيد بن طاوس: (ولم يزل عليه السلام يقاتلهم حتى حالوا بينه وبين رحله فصاح عليه السلام ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم

1- مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق الموسوي المكرم ص 291، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات بيروت __ لبنان.

هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربا كما تزعمون(1).

ولعمر بن سعد لعنه الله مواقف أخرى يوم عاشوراء يندى لها جبين الأحرار، فهو الذى شارك بسلب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونهب ما فى خيامه، فقد اشتهر انه لعنه الله اخذ درع الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقي عنده إلى ان خرج المختار فأخذها منه، قال السيد بن طاوس قدس الله روحه: (وأخذ نعليه الأسود بن خالد، وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي فقطع أصبعه عليه السلام مع الخاتم، وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه وتركه يتشحط فى دمه حتى هلك، وأخذ قطيفة له عليه السلام كانت من خز قيس بن الأشعث، وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد، فلما قتل عمر بن سعد وهبها المختار لأبى عمرة قاتله(2).

عجبا لمال الله أصبح مقسما *** فى رانح للظالمين وغاد

عجبا لآل الله صاروا مغنما *** لبنى الطليق هدية وزيا

عجبا لذى الأفلاك لم لا عطلت *** والشهب لم تبرز بثوب حداد

وهو الذى انتدب الخيل وأمر بسحق جسد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ورض صدره الشريف، قال المقرئى الشافعى: (...حتى قتل عليه السلام، وقد اشتد به العطش، وحزت رأسه، وانتهب متاعه، فوجد به ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة، ثم طرح جثته ووطئها الفرسان بخيولها حتى رضوا ظهره وصدره(3).

وقال العلامة المجلسى قدس الله روحه: (ثم نادى عمر بن سعد فى أصحابه: من ينتدب

1- اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص 71.

2- اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص 77 مقتل الحسين عليه السلام.

3- إمتاع الأسماع للمقرئى ج 5 ص 364.

للحسين فيوطى الخيل ظهره، فانتدب منهم عشرة وهم إسحاق بن حوية الذى سلب الحسين عليه السلام قميصه، وأخنس بن مرثد، وحكيم بن الطفيل السننسى، وعمرو بن صبيح الصيداي، ورجاء بن منقذ العبدى، وسالم بن خيثمة الجعفى، وواظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفى، وهانى بن ثبيت الحضرمى، وأسيد بن مالك، فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضوا ظهره وصدرة(1).

وقال ابن الأثير: (ولما قتل الحسين أمر عمر بن سعد نفرا فركبوا خيولهم وأوطؤوها الحسين)(2).

وقد شكك مناصرو يزيد بن معاوية ومؤيدو بنى أمية كعادتهم بالبديهيات، وأنكروا الواضحات، ومن هؤلاء المتعصبين المؤرخ الأموى النزعة ابن كثير __ لا- كثر الله من أمثاله __ حيث أنكر ما اشتهر بين العام والخاص من ان عمر بن سعد قد وطأ صدر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعد قتله، فقال: (ثم أمر عمر بن سعد أن يوطأ الحسين بالخيل، ولا يصح ذلك والله أعلم)(3) والروايات التاريخية من كتب الشيعة والسنة حجة عليه وعلى أمثاله من المتعصبين، إضافة إلى ان هذا المتعصب العنيد لم يظهر سبب عدم صحة هذا الحدث، واكتفى بقوله (والله أعلم) ومعلوم عند من له اطلاع ان إسقاط رواية أو عدة روايات عن الاعتبار لا يقبل من دون ذكر سبب وجيه ومقبول لذلك الاعتراض، وإلا- لو كان الأمر يرجع إلى مجرد التشهى والقول جزافاً ومن غير دليل لوجدنا كل روايات التاريخ مردودة لوجود المعترضين جزافاً على امتداد التاريخ.

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 45 ص 59 __ 60.

2- أسد الغابة لابن الأثير ج 2 ص 21.

3- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 205.

عمر بن سعد يسبى النساء والأطفال إلى ابن مرجانة ثم إلى يزيد

بعد ما نال عمر بن سعد من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومن أولاده وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمنيته، وفعل به وبهم كل ما يتوقع من إنسان هو بضحالة عمر بن سعد وخسته، بعث بشيرا إلى عبيد الله بن مرجانة يخبره بنصر جيش الكفر وقتل الأذكيا الأصفياء، وبعث مع هذا البشير __ بشير السوء __ رأس سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، قال الدينورى: (وبعث عمر بن سعد برأس الحسين من ساعته إلى عبيد الله بن زياد مع خولى بن يزيد الأصبحى)(1).

وقال القندوزى: (ثم إن عمر بن سعد جمع قتلاه وصلى بهم ودفنهم، وترك الحسين وأصحابه)(2).

وقال الطبرى: (وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد ثم أمر حميد بن بكير الأحمرى فأذن فى الناس بالرحيل إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض)(3).

وقال المزى: (وسرح عمر بن سعد بحرمة وعياله إلى عبيد الله، ولم يكن بقى من أهل بيت الحسين عليه السلام إلا غلام كان مريضا مع النساء)(4).

وقال القندوزى فى ينبيع المودة: (ثم إن عمر بن سعد توجه إلى الكوفة بالسبايا على الجمال، نحو أربعين جملا بغير وطاء ولا غطاء)(5).

1- الأخبار الطوال للدينورى ص 259.

2- ينبيع المودة لذوى القربى للقندوزى ج 3 ص 86.

3- تاريخ الطبرى ج 4 ص 348.

4- تهذيب الكمال للمزى ج 6 ص 429.

5- ينبيع المودة لذوى القربى للقندوزى ج 3 ص 86.

وقال احمد بن اعثم الكوفى: (وساق القوم حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كربلاء كما تساق الأسارى)(1).

وعن قرّة بن قيس التميمي قال: (نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن قال فاعترضتهن على فرس فما رأيت منظرا من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيت منهن...فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعا وهى تقول يا محمداه يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعرا مرمل بالدماء مقطوع الأعضاء يا محمداه وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا قال فأبكت والله كل عدو وصديق)(2).

ثم انبرى المتملقون من المؤرخين ليدافعوا عن عمر بن سعد لعنه الله عن طريق إنكارهم لسببه لنساء الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأطفاله، وقد تزعم هذه الحملة كالعادة ابن تيمية الأموى الهوى حيث قال: (وأما ما ذكره(3) من سبى نسائه والذرارى والدوران بهم فى البلاد وحملهم على الجمال بغير أقتاب فهذا كذب وباطل ما سبى المسلمون ولله الحمد هاشمية قط ولا استحلت أمة محمد صلى الله عليه وسلم سبى بنى هاشم قط ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيرا)(4).

أقول: بل ابن تيمية هو الكذاب، فقد أعماه تعصبه للأمويين، وبغضه لأهل البيت ونصبه لهم عن إنكار الحقائق التاريخية التى تكاد تكون بديهية، وكم من كذبة وكذبة قد ألزم بها ابن تيمية وأتباعه وكشفت بها خبايا نفوسهم وما انطوت عليه من

1- كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى ج5 ص120.

2- تاريخ الطبرى ج 4 ص 348 _ 349.

3- الضمير يعود إلى العلامة الحلى قدس الله روحه صاحب كتاب منهاج الكرامة.

4- منهاج السنة لابن تيمية ج4 ص558.

النصب والبغض والغیظ لكل ما من شأنه ان يحكى مظلومية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه أو يفضح أعداءهم، ((وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)) (1).

وحيثما وصلت السبايا إلى الكوفة وأدخلت إلى الدعى عبيد الله بن زياد لعنه الله لم أجد بحسب تتبعى فى المصادر التى بين يدى لعمر بن سعد لعنه الله أثرا يعتد به، ولعل ذلك يعود إلى ان شخصية عبيد الله بن مرجانة وما وقع فى الكوفة من أحداث بينه وبين الإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه والسيدة زينب صلوات الله وسلامه عليها قد غطت بأحداثها على شخصية عمر بن سعد.

ثم عاد عمر بن سعد وظهر اسمه من جديد حينما أراد عبيد الله بن مرجانة ان يسير السبايا ورؤوس الشهداء إلى يزيد بن معاوية، فأوكل هذه المهمة لعدة أشخاص كان عمر بن سعد لعنه الله من بينهم، قال القندوزى الحنفى: (ثم ابن زياد دعا الشمر اللعين، وخولى، وشبث بن ربعى، وعمر بن سعد، وضم إليهم ألف فارس، وأمرهم بأخذ السبايا والرؤوس إلى يزيد، وأمرهم أن يشهروهم فى كل بلدة يدخلونها، فساروا على ساحل الفرات...) (2).

وروى ابن حاتم العاملى عن سليمان بن مهران الأعمش قوله: (بيننا أنا فى الطواف أطوف بالبيت وكنا بالموسم إذ رأيت رجلا يدعو ويقول فى دعائه: اللهم اغفر لى وأنا أعلم أنك لا تغفر لى قال. فارتعت لذلك، ثم دنوت إلى الرجل فقلت: يا هذا أنت فى حرم الله عز وجل وهذه أيام حرم فى شهر عظيم، فلم تأيس من المغفرة؟ فقال: يا هذا إن ذنبى عظيم. فقلت: أعظم من تهامة؟ قال: نعم. قلت

1- سورة آل عمران الآية 119.

2- ينابيع المودة لذوى القربى للقندوزى ج3 ص88 السبايا فى طريقها إلى الشام.

أعظم من الجبال الرواسي؟ قال: نعم وإن شئت أخبرتك. فقلت: أخبرني: قال:... أنا أحد من كان في العسكر المشؤوم عسكر عمر بن سعد حين قتل الحسين «عليه السلام»، وكنت أحد الأربعين الذين حملوا الرأس إلى يزيد قبح الله وجهه، وكان السبب في ذلك إنا فارقتنا الكوفة وحملناه على طريق الشام فنزلنا على دير النصارى، وكان الرأس معنا مركز على رمح ومعه الأحراس، فوضعنا الطعام وجلسنا لتأكل، وإذا بكف تكتب على حائط الدير:

أترجو أمة قتلت حسيناً *** شفاعة جده يوم الحساب

قال: فجزعنا لذلك جزعا شديدا، وأهوى بعضنا إلى الكف ليأخذها فغابت. ثم عاد أصحابي إلى الطعام ليأكلوا فإذا الكف قد عادت تكتب مثل الأول، فقام أصحابنا إليها فغابت، فامتنعت من الطعام وما هنأني أكله.

ثم أشرف علينا راهب من الدير فرأى نورا ساطعا من فوق الرأس، فأشرف فرأى عسكرا، فقال الراهب للحرس: من أين جئتم؟ قالوا: من العراق حاربنا الحسين بن علي. فقال الراهب... لى إليكم حاجة. قالوا: وما هي؟ قال: قولوا لرئيسكم عندي عشرة آلاف دينار ورثتها عن أبي وورثها أبي عن جدي ليأخذها ويعطيني الرأس يكون عندي إلى وقت الرحيل، فإذا رحل رددته إليه. فأخبروا عمر بن سعد بذلك فقال: خذوا منه الدنانير وأعطوه الرأس إلى وقت الرحيل... ثم قال لهم: إنى أحتاج أن أكلم رئيسكم بكلمة وأعطيكم الرأس. فدنا عمر بن سعد منه فقال له: سألتك بالله وبحق محمد أن لا تعود إلى ما كنت تفعله بهذا الرأس، ولا يخرج هذا الرأس من هذا الصندوق. فقال له: أفعل... ومضى عمر بن سعد ففعل بالرأس مثل ما كان يفعل في الأول... فلما نزل عمر بن سعد لعنه الله قال للجارية: على بالجرابين، فأحضرا بين يديه، فنظر إلى خاتمه، ثم أمر أن يفتحهما فإذا الدنانير قد تحولت خزفاً، فنظروا إلى سكتها فإذا على

جانب مكتوب: ((وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ)) (1) وعلى الوجه الآخر مكتوب: ((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)) (2) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون خسرت الدنيا والآخرة.

ثم قال لغلمانه: اطرحوها فى النهر، فطرحوها، ودخل دمشق من الغد، وأدخل الرأس إلى يزيد اللعين (3).

هل يمكن بعد كل ذلك القول بان عمر بن سعد ثقة؟

ان من عجيب العصبية والمكابرة توثيق بعض كبار أهل السنة لعمر بن سعد لعنه الله، بل وتعدى البعض إلى مدحه وإضفاء صفات البطولة والشجاعة عليه، كما قال خير الدين الزركلى فى كتابه الأعلام حيث قال: (عمر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى المدنى: أمير، من القادة الشجعان) (4).

وقال عنه العجلى: (عمر بن سعد بن أبى وقاص مدنى ثقة كان يروى عن أبیه أحاديث وروى الناس عنه وهو الذى قتل الحسين قلت كان أمير الجيش ولم يباشر قتله) (5).

وقال الذهبى: (عمر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى. هو فى نفسه غير متهم، لكنه باشر قتال الحسين وفعل الأفاعيل) (6).

وقال ابن حجر: (عمر بن سعد بن أبى وقاص المدنى نزيل الكوفة صدوق

1- سورة ابراهيم الآية 42.

2- سورة الشعراء الآية رقم 227

3- الدر النظيم لابن حاتم العاملى ص 561 __ 564.

4- الأعلام لخير الدين الزركلى ج 5 ص 47.

5- معرفة الثقات للعجلى ج 2 ص 166 __ 167.

6- ميزان الاعتدال للذهبي ج 3 ص 198 __ 199.

ولكن مقتته الناس لكونه كان أميراً على الجيش الذين قتلوا الحسين بن علي من الثانية(1).

أما ابن خلكان فقد أضحكنى حينما قرأت ترجمته على القاتل والمقتول، وعلى الجاني والمجنى عليه، قال: (فخرج الحسين إلى الكوفة وأميرها يومئذ عبيد الله بن زياد فلما قرب منها سير إليه جيشاً مقدمه عمر بن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه فقتل الحسين رضى الله عنه بالطف وجرى ما جرى)(2).

وقد نقل السيد المرعشى قدس الله روحه عن كتاب تهذيب التهذيب ما نصه: (وعمر ابن سعد بن أبي وقاص الذى قال فى تهذيب التهذيب بعد ذكر اسمه ما لفظه: هو تابعى، ثقة ثقة، وهو الذى قتل الحسين، ثم قال سيدنا الشريف محمد بن العقيل العلوى المتقدم ذكره فى كتابه المرقوم بعد نقل كلام التهذيب ما لفظه: وأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، بخ بخ، يا له من تابعى! ويا لها من عدالة! ويرحم الله القائل:

إن كان هذا نبيا *** فالكلب لا شك ربي(3)

وقد فاق القارى جميع الحدود ونزع بدفاعه عن عمر بن سعد ثوب الحياء، حيث جعل قتلة أبناء الأنبياء من المجتهدين وأصحاب الرأى فقال موزورا غير مأجور: (إنه لم يباشر لقتله، ولعل حضوره مع العسكر كان بالرأى والاجتهاد، وربما حسن حاله وطاب مآله، ومن الذى سلم من صدور معصية عنه وظهور زلة منه، فلو فتح الباب أشكال الأمر على ذوى الألباب)(4).

-
- 1- تقريب التهذيب لابن حجر ج 1 ص 717.
 - 2- وفيات الأعيان وأبناء الزمان لابن خلكان ج 6 ص 353.
 - 3- شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى ج 1 ص المقدمة 22.
 - 4- نحات الأزهار للسيد على الميلانى ج 15 ص 237 نقلا- عن كتاب المرقاة كتاب الجنائز الفصل الثانى من باب البكاء على الميت ص 391.

ولم أعر على سبب حقيقي تحمل عليه هذه التوثيقات غير التعصب الأعمى على حساب الحقيقة، وليس عمر بن سعد وتوثيقهم إياه وروايتهم عنه في مسانيدهم، بأعجب من توثيقهم لعبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وعمران بن حطان رأس الخوارج في زمانه والذي جعله البخاري من رجال صحيحه، وقد أخرج العلامة الأميني قدس الله روحه في كتابه العظيم كتاب الغدير ستة عشر موردا تعصب فيه علماء أهل السنة فوثقوا رجالا اشتهر أمرهم وافتضحوا ببغضهم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته، وقد اخترنا منهم الآتي:

1: خالد القسري: قال الذهبي: (خالد بن عبد الله القسري الدمشقي البجلي الأمير. عن أبيه. عن جده، صدوق لكنه ناصبي بغيض، ظلوم. قال ابن معين: رجل سوء يقع في علي(1)، وعن فضل بن الزبير: (سمعت القسري يقول في علي ما لا يحل ذكره)(2)، وكان يسمى زمزم بـ (أم الخنافس)(3)، وكان يقول بشأن الكعبة: (والله لو كتب إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، لنقضتها حجرا حجرا)(4)، وقد بنى لأمه كنيسة في داره(5)، ومع كل هذه المصائب فان الذهبي يقول: (فيل لسيار: تروى عن خالد القسري قال: إنه كان أشرف من أن يكذب. وذكره ابن حبان في الثقات)(6).

1- ميزان الاعتدال للذهبي ج 1 ص 633.

2- سير أعلام النبلاء للذهبي ج 5 ص 429.

3- المصدر السابق.

4- المصدر السابق.

5- البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 23 خالد بن عبد الله بن يزيد.

6- تاريخ الإسلام للذهبي ج 8 ص 83.

2: حريز بن عثمان الرحبي أبو عثمان الحمصي: قال عبد الله بن عدي: (قال أبو اليمان كان حريز يتناول رجلا يعني عليا)(1)، وقال يحيى بن صالح الوحاظي: (أملى علي حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في تنقيص علي بن أبي طالب لا يصلح ذكره حديث معقل منكر جدا لا يروى مثله من يتقى الله. قال الوحاظي فلما حدثني بذلك قمت عنه وتركته)(2)، وقيل ليحيى بن صالح: (لم لم تكتب عن حريز فقال كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن عليا سبعين مرة. وقال ابن حبان كان يلعن عليا بالغداة سبعين مرة وبالعشى سبعين مرة فليل له في ذلك فقال هو القاطع رؤوس آبائي وأجدادي)(3)، وعن (إسماعيل بن عياش قال عادت حريز بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسب عليا ويلعنه)(4) وعن: (إسماعيل بن عياش سمعت حريز بن عثمان يقول هذا الذي يرويه الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي أنت منى بمنزلة هارون من موسى، حق ولكن أخطأ السامع قلت فما هو فقال إنما هو أنت منى بمنزلة قارون من موسى قلت عمن ترويه قال سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله وهو على المنبر)(5)، وعن (يحيى بن المغيرة قال ذكر أن حريزا كان يشتم عليا على المنابر)(6).

ومع كل هذه الطامات العظام والمخازي الجسام فقد وثقه علماء أهل السنة

-
- 1- الكامل لعبد الله بن عدي ج2 ص451 حريز بن عثمان الحمصي الرحبي.
 - 2- تهذيب التهذيب لابن حجر ج2 ص210.
 - 3- المصدر السابق.
 - 4- المصدر السابق ص209.
 - 5- المصدر السابق.
 - 6- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج8 ص261 ذكر من اسمه حريز.

واخذوا بأحاديثه، قال الرازي: (أحمد بن حنبل قال: ليس بالشام أثبت من حريز إلا أن يكون بحير)(1)، وعن عبد الرحمن قال: (سمعت أبي يقول: حريز بن عثمان حسن الحديث... ولا أعلم بالشام أثبت منه، هو أثبت من صفوان بن عمرو وأبي بكر بن أبي مريم، وهو ثقة متقن)(2)، وقال ابن عدى: (وحريز بن عثمان من الاثبات فى الشاميين يحدث عنه الثقات من أهل الشام... وحريز يحدث عن أهل الشام عن الثقات منهم وقد وثقه يحيى القطان ومعاذ بن معاذ وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ودحيم)(3).

وليت ان القوم أنصفوا وتعاملوا مع مبغضى أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ومبغضى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بنفس الطريقة التى يتعاملون بها مع مبغضى أبي بكر بن أبي قحافة أو عمر بن الخطاب أو سائر الصحابة، وليتهم تعاملوا مع قتلة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وقتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالطريقة التى تعاملوا معها مع قاتل عمر بن الخطاب، أو قتلة عثمان بن عفان، فإنهم وللأسف تناقضوا ولم ينصفوا، ففى الوقت الذى وثقوا مبغضى أهل البيت وقتلتهم، حكموا بالكفر والزندقة على كل من يبغض أبا بكر بن أبي قحافة أو عمر بن الخطاب أو عائشة بنت أبي بكر، فلم يقبلوا له قولاً ولا رواية بل حكموا عليه بالسجن تارة وبالقتل تارة ثانية وبالضرب إلى أن يموت مرة ثالثة، قال عبد الرحمن بن قدامة: (وقال الفريابي: من سب أبا بكر فهو كافر لا يصلى عليه)(4).

-
- 1- الجرح والتعديل للرازي ج 3 ص 289.
 - 2- الجرح والتعديل للرازي ج 3 ص 289.
 - 3- الكامل لعبد الله بن عدى ج 2 ص 453.
 - 4- الشرح الكبير لعبد الرحمن بن قدامة ج 10 ص 64.

وقال القاضى عياض: (ومن شتم أصحابه أدب وقال أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا)(1) ومن دقق النظر والتأمل فى كلام القاضى عياض يكتشف بأنهم لم يذكروا فى هذه الفقرة اسم أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه مع انه وباعتقادهم أفضل من معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص لعنهما الله، وباعتقادنا انه أفضل الخمسة المذكورين فى هذه الفقرة، وعلى كلا القولين يكون عدم إدخاله فى هذه القاعدة تحيزا واضحا ومقصدا مكشوفاً قد ذكرناه قبل قليل.

وقال السبكي: (وَرَوَى عَنْ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ جُلِدَ وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِيمَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ: أَمَّا الْقَتْلُ فَأَجْبُنُ عَنْهُ وَلَكِنْ أَضْرِبُهُ صَدْرًا نَكَالًا... وَقَدْ قَطَعَ طَائِفَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَغَيْرِهِمْ بِقَتْلِ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ وَكُفْرِ الرَّافِضَةِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرْيَابِيُّ وَسُئِلَ عَنْ مَنْ شَتَّمَ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: كَافِرٌ، قِيلَ: يُصَلَّى عَلَيْهِ، قَالَ: لَا)(2).

وقد قسم الذهبى البدعة إلى قسمين، بدعة صغرى وبدعة كبرى، وبين الكبرى بقوله: (ثم بدعة كبرى، كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة)(3).

فانظر بعين الإنصاف لترى كيف ان القوم قد حكموا بوثاقه من أبغض الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وكان يسبه ويلعنه ليلا ونهارا وقائما وقاعدا، وحكموا

1- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض ج 2 ص 308.

2- فتاوى السبكي فصل سب النبي ج 5 ص 45.

3- ميزان الاعتدال للذهبي ج 1 ص 5 _ 6.

على من يمس أبا بكر وعمر بعدم الاحتجاج بروايته وأقواله، مع ان النص النبوي جاء صريحا في المنع عن سب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والمساس بشخصه المقدس وان من سب عليا فقد سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل قد سب الله سبحانه وتعالى، ولم يأت مثله فيمن مس أبا بكر وعمر، فعن أحمد بن حنبل عن (عبد الله الجدلي قال دخلت على أم سلمة فقالت لي أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم قلت معاذ الله أو سبحانه الله أو كلمة نحوها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبني(1).

وقد علق الهيثمي على هذا الحديث بقوله: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة. وعن أبي عبد الله الجدلي قال قالت لي أم سلمة: يا أبا عبد الله أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم قلت أنى يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أليس يسب علي ومن يحبه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه. رواه الطبراني في الثلاثة وأبو يعلى ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عبد الله وهو ثقة. وروى الطبراني بعده بإسناد رجاله ثقات إلى أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثله(2).

فيتبين لنا جليا بعد كل ما سبق، ان توثيق عمر بن سعد لعنه الله من قبل علماء أهل السنة، قد جاء ضمن مؤامرة كبيرة كانت ولا تزال قائمة، الهدف منها أوضح من قرص الشمس في رابعة النهار، فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومن قبله أبوه أمير المؤمنين وأخوه الإمام الحسن وأمه السيدة العظيمة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد قتلوا مرتين، فالأولى كانت بسيف وأيدي قاتليهم، والقتلة الثانية على أيدي هؤلاء

1- مسند احمد بن حنبل ج 6 ص 323.

2- مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 130.

المؤرخين الذين وثقوا قتلهم وأثنوا على من اهتضمهم، ولم يساؤوهم ببقية الصحابة مع أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين خيرتهم وسادتهم وأفضل أهل الأرض بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

ولو كان عمر بن سعد لعنه الله قد قتل أبا بكر أو عمر بن الخطاب لما كانوا وثقوه، ولكانوا أخرجوه عن حظيرة الإسلام وسلك الأدميين ولرموه بكل تهمة عظيمة ووصف مهين ولقالوا عنه زنديق أثير، وخارجي بغيض ولصبروه من الجهمية أو القدرية، ولأفتوا بعدم دفنه والصلاة عليه ولبنوا له بيوتا في النار، وصبوا على رأسه من الجحيم، وسقوه من الحميم، فانا لله وإنا إليه راجعون.

عمر بن سعد يلقى مصيره على يد المختار

لقد عاش عمر بن سعد أشد حالات الخيبة والذلة بعد قتله للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته في كربلاء، لأنه لم يبق لنفسه دنيا ولا آخرة، فأخرته قد ضاعت لقتله ريحانة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، ودنياه قد تحطمت لان يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد لعنهما الله لم يفيا له بولاية الرى التي من اجلها اهلك نفسه، ((لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ))⁽¹⁾، فبقى في الكوفة منبوذا مهانا لا يجتمع الناس معه في مكان واحد، ويسبه كل من يراه، فترك الخروج وأصبح حبيس ذنبه وبيته، قال السيد المرعشى: (ثم قام عمر بن سعد لعنه الله عند ابن زياد يريد منزلته التي وعده بها فلم يف له فخرج من عنده وهو يقول ما رجع أحد مثل ما رجعت أطعت الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر وأغضبت الحاكم العدل وقطعت القرابة الشريفة وكان كلما مر على ملأ من الناس أعرضوا عنه وكلما دخل المسجد خرج الناس منه

وكل من رآه سبه فلزم بيته إلى أن قتل عليه غضب الله(1).

وبقى عمر بن سعد على حالته هذه من الذلة والمهانة والاحتقار إلى سنة ست وستين، حين تولى المختار السيطرة على الكوفة ومن حولها، فطلب كل من شارك بقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وقتل منهم كل من وصلت إليه يده، وكان عمر ابن سعد من بين هؤلاء الأرجاس الذين طالتهم يد العدالة والقصاص، قال ابن الأثير: (وكان المختار قد خرج يطلب بثار الحسين بن علي رضی الله عنهما واجتمع عليه كثير من الشيعة بالكوفة فغلب عليها وطلب قتلة الحسين فقتلهم قتل شمر بن ذى الجوشن الضبابي وخولى بن زيد الأصبحي وهو الذى أخذ رأس الحسين ثم حملة إلى الكوفة وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وهو كان أمير الجيش الذين قتلوا الحسين وقتل ابنه حفصا وقتل عبيد الله بن زياد(2).

وقال خليفة بن خياط العصفري: (وفى سنة ست وستين... غلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة... وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه حفص بن عمر بن سعد(3).

وقال ابن قتيبة: (فلما كان أيام المختار بن أبي عبيد بعث إلى عمر بن سعد أباه عمرة مولى بجيلة فقتله وحمل رأسه إليه وعنده حفص بن عمر بن سعد فقال له المختار أتعرف هذا الرأس قال نعم هذا رأس أبي حفص قال المختار فألحقوا حفصا بأبي حفص(4).

1- شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج 33 ص 646 __ 647.

2- أسد الغابة لابن الأثير ج 4 ص 336.

3- تاريخ خليفة بن خياط لخليفة بن خياط العصفري ص 202.

4- المعارف لابن قتيبة ص 243 __ 244.

وقال محمد بن سعد: (سار المختار بأصحابه إلى منزل عمر بن سعد فقتله في داره وقتل ابنه أسوأ قتلة)(1).

وروى الدينوري قصة أخرى لمقتل عمر بن سعد لعنه الله فقال: (وبلغ المختار أن شبث بن ربعي، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن الأشعث مع عمر بن سعد قد أخذوا طريق البصرة في أناس معهم من أشرف أهل الكوفة، فأرسل في طلبهم رجلا من خاصته يسمى أبا القلوص الشبامي في جريدة خيل، فلحقهم بناحية المذار، فواقعه، وقتلوه ساعة، ثم انهزموا، ووقع في يده عمر بن سعد ونجا الباقيون. فأتى به المختار، فقال: الحمد لله الذي أمكن منك، والله لأشفين قلوب آل محمد بسفك دمك، يا كيسان، اضرب عنقه. فضرب عنقه)(2).

ورواية مقتله في بيته وعلى فراشه أصبح وأكثر اعتبارا من حيث ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دعا عليه في يوم عاشوراء بقوله: (ما لك قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك، وسلط عليك بعدى من يقتلك على فراشك، كما قطعت رحمى ولم تحفظ قرابتي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم)(3)، فلعنه الله يوم ولد ويوم مات ويوم يغل إلى جهنم وبئس المصير.

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 148.

2- الأخبار الطوال للدينوري ص 301.

3- كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج 5 ص 114.

وَلَعَنَ اللَّهُ شِمْرًا الْمَبْحَثَ الْأَوَّلَ: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: بيان المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة

المبحث الثالث: شمر بن ذى الجوشن أموى الهوى خارجى الفعل

الملاحح الشخصية لشمر بن ذى الجوشن لعنه الله

تخذييل الشمر لعنه الله للناس عن مسلم بن عقيل عليه السلام

بعض جرائم الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله فى يوم عاشوراء

أمن الشيعة كان الشمر لعنه الله أم من أهل السنة؟

هل اشترك الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله فى معركة صفين؟

هل كان الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله شجاعا؟

هل كتب الشمر لعنه الله كتاب أمان للعباس وإخوته؟

هل اشترك أهل الشام فى حرب عاشوراء؟

هل كان الشمر لعنه الله من الخوارج؟

نهاية الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله على يد المختار الثقفى

وَلَعَنَ اللَّهُ شِمْرًا**إشارة**

وفى هذه الفقرة من الزيارة كغيرها من الفقرات معانٍ جليلة نذكرها فيما يأتي من الكلام.

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

دخول الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله فى زمرة الملعونين المبعدين عن الرحمة الإلهية يكاد يكون بديهياً، ولم أجد أحداً من أتباع الفرقة الناجية الاثنى عشرية يشكك فى ذلك، بل وغيرهم إلا من أعمى الحقد بصيرته، إضافة إلى دخوله ضمن اللعن بعناوين متعددة بتعدد أفعاله الشائنة التى صدرت منه، فهو ملعون بعنوان كونه القاتل والذابح للسبط الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، وهو ملعون بعنوان دخوله اليقيني فى الأمة التى قتلتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والأمة التى شايحت وتابعت ووالت أعداء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وداخل تحت عنوان الناصبى بل هو من أعظم النواصب، وداخل تحت عنوان المؤذى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والذي قد ثبت فى بحوث سابقة بأن من آذاهم ملعون، وداخل فى غير ذلك من العناوين، مما يطول ذكرها ويعد الدخول فيها تحصيلاً للحاصل.

إلا أننا والتزاما منا بمنهجية البحث، نذكر فيما يأتي جملة من الموارد التي صرح فيها بلعنه بعنوانه المباشر لقتل وذبح سيد شباب أهل الجنة صلوات الله وسلامه عليه، ومن هذه الموارد ما يأتي:

قال الشيخ الطوسي قدس الله روحه: (ويستحب زيارة أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام ... بعد أن يغتسل ويعلو سطح داره أو في مفازة من الأرض ويومئ إليه بالسلام ويقول: السلام عليك يا مولاي وسيدى وابن سيدى، السلام عليك يا مولاي وابن مولاي يا قتيل ابن القتيل... السلام عليك يا وراث آدم صفوة الله، ووارث نوح نبى الله ووارث إبراهيم خليل الله، ووارث موسى كليم الله، ووارث عيسى روح الله، ووارث محمد حبيب الله ونبيه ورسوله، ووارث على أمير المؤمنين ووصى رسول الله وخليفته، ووارث الحسن بن علي وصى أمير المؤمنين، لعن الله قاتلك وجدد عليهم العذاب في هذه الساعة وفي كل ساعة)(1).

ونقل الشيخ قدس الله روحه أيضا زيارة أخرى جاء فيها: (فلعن الله من قتلك ولعن الله من ظلمك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به...وقد توازر عليه من غرته الدنيا وباع حظه بالأرذل الأذنى وشرى آخرته بالثمن الأوكس وتغطرس وتردى فى هواه وأسخطك وأسخط نبيك وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق وحملة الأوزار المستوجبين للنار فجاهدهم فيك صابرا محتسبا، حتى سفك فى طاعتك دمه واستبيح حريمه، اللهم فالعنهم لعنا وبيلا وعذبهم عذابا أليما...السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات، اللهم إنى أشهد أنه وليك وابن وليك ووصفيك وابن صفيك الفائز بكرامتك)(2).

1- مصباح المتعجب للشيخ الطوسي ص 289 __ 290.

2- المصدر السابق ص 788 __ 789.

وفى كامل الزيارات: (عن معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما أقول إذا أتيت قبر الحسين «عليه السلام»، قال: قل: السلام عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك يا أبا عبد الله، رحمك الله يا أبا عبد الله، لعن الله من قتلك، ولعن الله من شرك في دمك، ولعن الله من بلغه ذلك فرضى به، أنا إلى الله من ذلك برىء) (1).

وعن عمار بن موسى السباطى، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (تقول إذا أتيت إلى قبره: السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أبا عبد الله... وأشهد أن قاتلك فى النار، أدين الله بالبراءة ممن قتلك، وممن قاتلك و شايع عليك، وممن جمع عليك، وممن سمع صوتك ولم يعنك، يا ليتنى كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً) (2).

المبحث الثانى: بيان المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ

سبق وتم توضيح هذه الفقرة عدة مرات فمن أراد فليرجع إلى الفقرات السابقة ليعرف المعنى الدقيق لهذه العبارة الشريفة.

2: شِمْرًا

اتفقت كلمة المؤرخين على أن اسمه هو «شِمْر» وأنه كان يكنى بأبى السابغة الضبابى، ولكنهم اختلفوا فى اسم أبيه وبقية آباءه، قال ابن سعد فى الطبقات وهو

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 374.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 382 __ 383.

يتحدث عن أبيه:

(ذو الجوشن الضبابي قال: قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي اسمه شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكان شمر يكنى أبا السابغة)(1).

ويقال إن أباه كان صحابيا وهو لعنه الله من التابعين، وبهذا صرح ابن عساکر في تاريخ دمشق حيث قال: (شمر بن ذى الجوشن واسم ذى الجوشن شرحبيل ويقال عثمان بن نوفل ويقال أوس بن الأعور أبو السابغة العامري ثم الضبابي حتى من بنى كلاب كانت لأبيه صحبة وهو تابعي)(2).

وقال في موضع آخر: (ذو الجوشن الكلابي ثم الضبابي واسمه أوس بن الأعور بن عمرو بن معاوية بن كلاب يعنى ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة وولد عمرو بن معاوية يقال لهم الضباب لأن أحد عمرو بن معاوية يقال له ضب فنسبوا إلى ذلك)(3).

وقال أيضا: (قال عبد الله بن المبارك عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق قال ذو الجوشن اسمه شرحبيل وإنما سمي ذو الجوشن من أجل أن صدره كان ناتئا)(4).

ومهما اختلفت الأسماء فإن المراد من عبارة الزيارة شخص واحد معروف ومشهور، لعنه الله واخزاه واعد له نار جهنم خالدا فيها أبدا.

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 6 ص 46.

2- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 23 ص 186.

3- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 23 ص 189.

4- المصدر السابق.

المبحث الثالث: شمر بن ذى الجوشن أموى الهوى خارجى الفعل

إشارة

اقترن اسم الشمر لعنه الله بيوم عاشوراء، حيث يكفى فى سماع اسمه المشؤوم، أن يتبادر إلى الذهن ذبحه للإمام السبط الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، فكانت أفعاله الدنيئة يوم العاشر من المحرم هي التي شكلت صورته المقززة القبيحة فى نفوس الناس، لذلك لم يعرف الكثير من الناس ان لشمر بن ذى الجوشن موبات سبقت يوم العاشر من المحرم، وان له جذوراً أقديمة شاهدة على انحرافه، ودالة على نصبه العدا لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وانه ليس كما يتصور البعض مجهولاً ظهر وخرج يوم العاشر من المحرم كما يخرج المارد من قممته، وفيما يأتي جملة من أخباره وأفعاله المبينة لحاله وأهدافه وميوله.

الملاح الشخصية لشمر بن ذى الجوشن لعنه الله

إشارة

مثلما كان يوم عاشوراء يوم ملحمة وصوله للحق على الباطل، كذلك كان هذا اليوم يوم انكشاف الحقائق وسقوط الأفتعة من على وجوه المنافقين والكاذبين والمتسربلين بثوب الإسلام، والشمر بن ذى الجوشن الضبابى كان من أولئك الذين سقط قناع نفاقه وبانت حقيقة أصله ومستواه الفكرى والعقائدى الضحل، ومن أمعن النظر فى أخبار يوم العاشر من المحرم، ولا سيما الساعات القلائل التي سبقت نشوب الحرب وبدء القتال، وحينما كان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه يكلمون الناس ويخطبون بالجيش الكافر، رجاء ردعهم واستنقاذ من يمكن استنقاذه منهم، نرى بأن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه قد وصفوا الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله بأوصاف لا تقال إلا للأراذل من الناس، بل قد صُرح فى بعض تلك المقولات وصفه بالبهيمة، والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان الشمر بن ذى الجوشن لعنه

الله لم يكن ينكر ما يطلق عليه من أوصاف، ولم يتصدّ غيره من أفراد جيشه بالرد والدفاع عنه، مما يعنى ان لتلك الأوصاف والأقوال حقيقة وشهرة في ذلك الوقت، لا يمكن دفعها أو الرد عليها، وفيما يأتي جملة من تلك الأوصاف والنعوت التي أطلقها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه عليه لعنه الله.

1: ابن راعية المعزى

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: (وأقبل القوم يجولون حول بيوت الحسين عليه السلام فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي كان ألقى فيه، فنادى شمر بن ذى الجوشن عليه اللعنة بأعلى صوته: يا حسين أتعجلت النار قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين عليه السلام: من هذا؟ كأنه شمر بن ذى الجوشن فقالوا له: نعم، فقال له: يا ابن راعية المعزى، أنت أولى بها صلياً(1)).

وقال الطبرى: (فحدثني عبد الله بن عاصم قال حدثني الضحاک المشرقى قال لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب الذى كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلا يأتونا من خلفنا إذ أقبل إلينا منهم رجل يركض على فرس كامل الأداة فلم يكلمنا حتى مر على أبياتنا فنظر إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلا حطبا تلتهب النار فيه فرجع راجعا فنادى بأعلى صوته يا حسين استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة فقال الحسين من هذا كأنه شمر بن ذى الجوشن فقالوا نعم أصلحك الله هو هو فقال يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً(2)).

وسبب تسميته بابن راعية المعزى قد أوضحه الشيخ على النمازى الشاهرودى

1- الارشاد للشيخ المفيد ج2 ص96 صباح عاشوراء والتعبئة للحرب.

2- تاريخ الطبرى ج 4 ص 321 __ 322.

بقوله: (وعن كتاب المثالب لهشام بن محمد الكليني: إن امرأة ذى الجوشن خرجت من جبانة السبيح إلى جبانة كندة، فعطشت في طريق ولاقت راعيا يرعى الغنم فطلبت منه الماء فأبى أن يعطيها إلا بالإصابة منها، فمكنته فوقها الراعى فحملت بشمر. انتهى. قول مولانا الحسين عليه السلام لشمر يوم عاشوراء: يا بن راعية المعزى، أنت أولى بها صليا)(1).

2: هو ابن البوال على عقبيه، الجلف الجافى، والبهيمة، الذى لا يحكم من كتاب الله آيتين

قال الطبرى وابن كثير وابن الأثير مع اختلاف بسيط فى بعض عباراتهم: (وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القين على فرس له شاك فى السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار، إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة، وعلى دين واحد، وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية، عبيد الله بن زياد... قال _ الراوى _ : فسبوه وأثنوا على ابن زياد ودعوا له، وقالوا: لا ننزع حتى نقتل صاحبك ومن معه. فقال لهم: إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن أنتم لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم... قال _ الراوى _ : فرماه شمر بن ذى الجوشن بسهم وقال له: اسكت أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال له زهير: يا بن البوال على عقبيه، ما إياك أخاطب؟ إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر

1- مستدركات علم رجال الحديث للشيخ على النمازى الشاهرودى ج 4 ص 220، مستدرک سفينة البحار للشيخ على النمازى الشاهرودى ج 6 ص 44 أحوال الشمر بن ذى الجوشن لعنة الله عليه.

بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك بعد ساعة، فقال له زهير: أبا الموت تخوفنى؟ فوالله للموت معه أحب إلى من الخلد معكم. ثم إن زهيراً أقبل على الناس رافعا صوته يقول: عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافى وأشباهه، فوالله لا ينال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم قوم أهرقوا دماء ذريته، وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم(1).

3: انه الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين

قال الشيخ الطوسى قدس الله روحه: (ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين من ذلك، فقال له: دعنى حتى أرميه فإن الفاسق من عظماء الجبارين، وقد أمكن الله منه. فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه، فإنى أكره أن أبدأهم(2).

وقال الطبرى: (فقال له مسلم بن عوسجة يا ابن رسول الله جعلت فداك ألا أرميه بسهم فإنه قد أمكننى وليس يسقط سهم الفاسق من أعظم الجبارين فقال له الحسين لا ترمه فإنى أكره أن أبدأهم(3).

4: انه كلب أبقع يلغ فى دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته

قال ابن نما الحللى قدس الله روحه: (ثم جاء آخر فقال أين الحسين فقال ها انا ذا قال أبشر بالنار قال ابشر برب رحيم وشفيع مطاع من أنت قال أنا شمر بن ذى الجوشن قال الحسين ___ صلوات الله وسلامه عليه ___: الله أكبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله رأيت كأنّ

1- تاريخ الطبرى ج 4 ص 323 ___ 324، البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 194 ___ 195، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 63 ___ 64.

2- الإرشاد للشيخ المفيد ج 2 ص 96.

3- تاريخ الطبرى ج 4 ص 322.

كلبا أبقع يلغ دماء أهل بيتي وقال الحسين __ صلوات الله وسلامه عليه __: رأيت كأن كلابا تنهشني وكأنّ فيها كلبا أبقع كان أشدهم عليّ وهو أنت وكان أبرص(1).

وقال الصفدي: (وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في نومه كأن كلبا أبقع ولغ في دمه فلما قتل الحسين وكان شمر بن ذى الجوشن به وضع تفسرت رؤياه)(2).

وقال ابن خلكان: (قيل لجعفر بن محمد يعنى الصادق كم تتأخر الرؤيا قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم كأن كلبا أبقع يلغ في دمه فكان شمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين بن علي رضی الله عنه وكان أبرص فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة)(3).

5: انه مطبوع على قلبه، لم يكن يفهم شيئاً مما يقوله الإمام صلوات الله وسلامه عليه

قال ابن نما الحلبي قدس الله روحه: (ومد عمر بن سعد بالعساكر حتى تكملت العدة لست خلون من المحرم عشرين ألفاً وضيق على الحسين وأصحابه قام __ صلوات الله وسلامه عليه __ فانتكا على سيفه ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد أيها الناس انسبونى وانظروا من انا ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها هل يحل لكم سفك دمي وانتهاك حرمتي الست ابن بنت نبيكم وابن ابن عمه وابن أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم... هل تطالبونى بقتيل قتلته أو بمال استهلكته أو بقصاص من جراحة فسكتوا فقال شمر بن ذى الجوشن هو يعبد الله على حرف إن كان يعرف شيئاً مما يقول فقال حبيب بن

1- مثير الأحزان لابن نما الحلبي ص 48.

2- الوافي بالوفيات للصفدي ج 12 ص 266.

3- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج 7 ص 68، وقريب منه ما فى السيرة الحلبيّة ج 1 ص 380.

مظاهر: إني أراك تعبد الله على ألف حرف وإني أشهد أنك لا تعرف شيئاً مما يقول إن الله قد طبع على قلبك(1).

وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (فقال له شمر بن ذى الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك(2).

وقال ابن كثير: (فقال عند ذلك شمر بن ذى الجوشن: هو يعبد الله على حرف: إن كنت أدري ما يقول؟ فقال له حبيب بن مظاهر: والله يا شمر إنك لتعبد الله على سبعين حرفاً، وأما نحن فوالله إننا لندري ما يقول: وإنه قد طبع على قلبك(3).

تخذيّل الشمر لعنه الله للناس عن مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه

أغلب من تورط فى دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فى يوم عاشوراء، كان قد تورط قبل ذلك فى دم ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام، وكان الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله من هؤلاء الذين تورطوا وشاركوا مشاركة فاعلة فى تخذيّل الناس عن نصرّة مسلم بن عقيل عليه السلام الأمر الذى أدى إلى تركه وحيداً ثم القبض عليه من قبل أنصار ابن مرجانة لعنه الله ثم استشهاده عليه السلام، والمصادر التاريخية قد نقلت مجموعة كبيرة من الأحداث التى رافقت وجود مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة، والتى كان للشمر لعنه الله دور فاعل فيها، وفيما يأتى جملة من تلك النصوص المنقولة.

1- مثير الأحزان لابن نما الحلّى ص 36 __ 37.

2- الإرشاد للشيخ المفيد ج 2 ص 97 __ 98.

3- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 194.

1: قال ابن الأثير: (فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذى الجوشن الضبابي وترك وجوه الناس عنده استئناسا بهم لقلة عدد من معه. وخرج أولئك النفر يخذلون النفر وأمر عبيد الله من عنده من الأشراف أن يشرفوا على الناس من القصر فيمنوا أهل الطاعة ويخوفوا أهل الطاعة ففعلوا فلما سمع الناس مقالة أشرافهم أخذوا يتفرقون حتى أن المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول انصرف الناس يكفونك ويفعل الرجل مثل ذلك فما زالوا يتفرقون حتى بقى ابن عقيل فى المسجد فى ثلاثين رجلا(1).

2: وقال الطبرى: (ودعا عبيد الله كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذى الجوشن العامري وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشا إليهم لقلة عدد من معه من الناس(2).

3: وقال الدينورى فى الاخبار الطوال: (وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف أهل الكوفة: ليشرف كل رجل منكم فى ناحية من السور، فخوفوا القوم.

1- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 31.

2- تاريخ الطبرى ج 4 ص 276.

فأشرف كثير بن شهاب، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن شور، وشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وشمر بن ذى الجوشن، فتنادوا: يا أهل الكوفة، اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقوا عصا هذه الأمة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجربتم شوكتهم. فلما سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور(1).

بعض جرائم الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله في يوم عاشوراء

إشارة

لم يترك الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله موبقة يوم عاشوراء إلا واثاها، ويندر أن ترى موقفا من مواقف يوم عاشوراء ليس للشمر فيه أثر، فكم من غصة قد تجرعهها الإمام الحسين وأصحابه وأطفاله وحرمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على يد هذا الأثم، وكم من دمعة قد أراقها هذا الخائن، فهو من جيش جيوش الكفر التي توافرت على قتل سبط النبي صلوات الله وسلامه عليه، وهو الذى ارتقى صدره وحز نحره وأيتم عياله وحرق وسلب ونكل وسبى وضرب حتى أدمى عيال الإمام وحرمه، وجرائم هذا المسخ البشرى فى يوم عاشوراء وما بعده وان كانت لا- تحصيها الكتب ولا- تصفها الأقلام لكثرتها وبشاعتها، إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وفيما يأتي جملة من مخازى أحواله، ومواقف أفعاله، وما سنغض الطرف عنه أكثر وأكثر.

1: كان الشمر لعنه الله أول من التحق بجيش عمر بن سعد لعنه الله

قال العلامة المجلسي قدس الله روحه: (ثم جمع ابن زياد الناس فى جامع الكوفة، ثم خرج فصعد المنبر ثم قال: أيها الناس إنكم بلوتم آل أبى سفيان فوجدتموهم كما

تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد، قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة، محسناً إلى الرعية، يعطي العطاء في حقه، قد أمنت السبل على عهده وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد من بعده، يكرم العباد، ويغنيهم بالأموال، ويكرمهم، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا. ثم نزل عن المنبر ووفر الناس العطاء وأمرهم أن يخرجوا إلى حرب الحسين عليه السلام، ويكونوا عوناً لابن سعد على حربيه، فأول من خرج شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف، فصار ابن سعد في تسعة آلاف(1).

2: كان لعنه الله على ميسرة جيش عمر بن سعد لعنه الله

قال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (وأصبح عمر بن سعد في ذلك اليوم وهو يوم الجمعة وقيل يوم السبت، فعبأ أصحابه وخرج فيمن معه من الناس نحو الحسين عليه السلام وكان على ميمنته عمرو بن الحجاج، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن، وعلى الخيل عروة بن قيس، وعلى الرجالة شيب بن ربيع، وأعطى الراية دريدا مولاه)(2).

وقال ابن الأثير: (وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزييدي وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن وعلى الخيل عروة بن قيس الأحمسي وعلى الرجال شيب بن ربيع اليربوعي التميمي وأعطى الراية دريدا مولاه)(3).

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 44 ص 385 __ 386.

2- الإرشاد للشيخ المفيد ج 2 ص 95 __ 96.

3- الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 60.

3: لماذا كان الشمر يتعمد تكرار الإغارة على خيام الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه؟

من يتابع تصرفات الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله يوم العاشر من المحرم يجده يتعمد ولعدة مرات فى الإغارة والهجوم على فسطاط الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وخيامه، منها ما رواه ابن كثير بقوله: (وجاء شمر بن ذى الجوشن قبحه الله إلى فسطاط الحسين فطعنه برمحه وقال: إيتونى بالنار لأحرقه على من فيه، فصاحت النسوة وخرجن منه، فقال له الحسين: أحرقك الله بالنار)(1).

وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (واشتد القتال بينهم ساعة، وجاءهم شمر بن ذى الجوشن فى أصحابه، فحمل عليهم زهير بن القين رحمه الله فى عشرة رجال من أصحاب الحسين فكشفهم عن البيوت(2)، وعطف عليهم شمر بن ذى الجوشن فقتل من القوم ورد الباقين إلى مواضعهم)(3).

وهذا التعرض المستمر لخيام الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وحرمة من قبل شمر ابن ذى الجوشن قد يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسة:

الأول: هو حقد هذا المسخ البشرى على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجميع من ينتمى إليهم أطفالاً ونساءً، مرضاهم واصحاءهم، شيوخهم وشبابهم، وهذا الحقد والنصب هو الذى يحدو به إلى محاولة الانتقام والتشفى منهم ولو بحرق بيوتهم عليهم أو بطعن جدار الخيمة بالرمح عسى أن يقع السنان فى احد أفراد أهل هذا البيت الطاهر بغض النظر عن احتمال أن يكون هذا المطعون طفلاً أو امرأة.

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 197 __ 198.

2- ومن هذه العبارة يفهم ان هجوم الشمر لعنه الله كان على بيوت الإمام صلوات الله وسلامه عليه مما حدا بزهير ابن القين سلام الله عليه أن يستدعى عشرة من الأصحاب ليكشف الشمر وأصحابه عن بيوت الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

3- الإرشاد للشيخ المفيد ج 2 ص 104 __ 105.

والسبب الثاني: يعود إلى التركيبة النفسية لهذا الموجود الجبان، لأن الشمر كان جبان النفس مهزوز الجنان لا يقدر على المواجهة بمفرده، ولم يشاهد له نزال منفرد لبطل من أبطال الطف، وهذا الجبن هو الذى كان يحدو به إلى تجنب النزال والمواجهة مع الرجال واستقصاده للخيام وتعمد إرهاب الأطفال والنساء، لأن الأطفال والنساء لا قدرة لهم على الدفاع عن أنفسهم، والذود عن أرواحهم، لذلك يتعمد هذا الجبان تكرار الاعتداء عليهم.

والسبب الثالث: ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كان فى أثناء حملاته على ذلك الجيش الكافر يبدد جمعهم ويقلب صفوفهم، وقد وصف المؤرخون صلواته وحملاته بوصف يبهر العقول، قال الطبرى: (إن كانت الرجالة لتتكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب)(1).

وقال الذهبى: (يقاتل قتال الفارس الشجاع، إن كان ليشد عليهم، فينكشفون عنه انكشاف المعزى شد فيها الأسد)(2).

فلكى يوقف قادة الجيش الكافر تلك الحملات الشجاعة من قبل سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وتلافيا منهم للخسائر الجسيمة التى كانت توقعها تلك الحملات الحسينية، كانوا لعنهم الله يتعمدون التحرش والاعتداء على حرم الإمام صلوات الله وسلامه عليه وخيامه، ليجبروه على إيقاف تلك الهجمات والرجوع مرة ثانية إلى مركزه، لمعرفتهم بعظيم غيرة وحمية سيد الشهداء على نسائه وحرمة وخيامه، وبذلك تعيد تشكيلات الجيش الكافر لملمة جراحاتها وتجميع صفوفها مرة ثانية.

1- تاريخ الطبرى ج 4 ص 345.

2- سير أعلام النبلاء للذهبي ج 3 ص 302.

4: بقاء الإمام الحسين وحيدا وتحريض الشمر لعنه الله للناس على قتله

ان من أشد وأعظم رزايا عاشوراء هي تلك اللحظات الأخيرة التي بقي فيها سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وحيدا بين جيش كالبحر يحيط به وبعياله وحرمة وأطفاله من كل جانب، لا ناصر ينصره، ولا ذاب يذب عنه وعن حرمة، الذين هم حرم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وثقله الذي أوصى الأمة بحفظه، ورعايته وصيافته، وهو في كرب عظيم وهم شديد، ان وقف ليستريح بادروا يرمونه بالسهم تارة، وبالرمح أخرى، وبالحجارة تارة ثالثة، فإن قاتلهم وأثخن فيهم القتل والجراح حملوا على عياله وخيامه وقتلوا أطفاله، أو أضرموا النار في بعض أطناب خيامه، كي يجبروه على ترك صولاته والرجوع إلى مركزه، وان عاد إلى حرمة سمع أصوات البكاء من امرأة فقدت زوجها، أو من أم فقدت ابنها، أو طفلة وطفل تبيست شفاههم وخمدت قواهم من العطش حتى صار لا يستطيع الحراك، ولا يملك حيلة غير بقايا أنين وصرخات وتأوهات يوصلها إلى أسماع الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه الذي كان أملهم المتبقى وفرصتهم الوحيدة للنجاة، وهو صلوات الله وسلامه عليه يستعين بالله على هذه الخطوب الجسيمة والرزايا العظيمة ويكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

وحيثما لم يستطع القوم مواجهة البطل وجها لوجه، أمروا لعنهم برشقه بالسهم، فانهالت عليه أربعة آلاف نبلة كأنها زخات المطر، فعلمت في جسده الشريف حتى صارت السهام على جسده كشوك القنفذ، فامتألت أعضاء بدنه الشريف بالجراحات(1)، قال الشيخ الطبرسي قدس الله روحه: (قال حميد بن مسلم: فوالله

1- قال ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ج3 ص258: (وجعل يقاتل حتى قتل ألفاً وتسعمائة وخمسين سوى المجروحين، فقال عمر بن سعد لقومه: الويل لكم أتدرون من تبارزون هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب فاحملوا عليه من كل جانب. فحملوا بالطنن مائة وثمانين وأربعة آلاف بالسهم. قال الطبري: قال أبو مخنف عن جعفر بن محمد بن علي عليه السلام قال: وجدنا بالحسين ثلاثا وثلاثين طعنة وأربعا وثلاثين ضربة. وقال الباقر عليه السلام: وجد به ثلاثمائة وبضعة وعشرين طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم. وروى ثلاثمائة وستون جراحة. وقيل ثلاثا وثلاثين ضربة سوى السهام. وقيل الف وتسعمائة جراحة، وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ).

ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جنانا منه، إن كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فيكشفهم عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا اشتد عليها الذئب. فلما رأى ذلك شمر بن ذى الجوشن أمر الرماة أن يرموه، فرشقوه بالسهم حتى صار كالتنفيذ(1).

فلما أثنخته الجراح، وفتت كبده العطش، وأخذته نزيف الدم من رأسه، ومن قلبه الذى أصيب بسهم له ثلاث شعب، أخرج جزءاً من فؤاده صلوات الله وسلامه عليه، فضعف عن القتال، و(طعنه صالح بن وهب المرمى على خاصرته طعنة فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن(2))، حينئذ نادى شمر بأصحابه لعنهم الله أن يحملوا عليه من كل جانب، قال ابن كثير: (حتى نادى شمر بن ذى الجوشن: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم. فحملت الرجال من كل جانب على الحسين وضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى، وضرب على عاتقه، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو، ثم جاء إليه سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوق(3))، وقال الصفدى: (وبقى الحسين رضى الله عنه فريدا وقد قتل جميع

1- إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسى ج 1 ص 468 _ 469.

2- اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص 73 مقتل الحسين.

3- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 204.

من كانوا معه من المقاتلة أهله وغيرهم فلم يجسر أحد أن يتقدم إليه حتى حرضهم شمر بن ذى الجوشن فتقدم إليه من طعنه ومن ضربه بالسيف حتى صرع عن جواده ثم حز رأسه(1).

قال المجلسى قدس الله روحه: (وأقبل عدو الله سنان الإيادى وشمر بن ذى الجوشن العامرى لعنهما الله فى رجال من أهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون؟ أريحوا الرجل، فنزل سنان بن الأنس الإيادى وأخذ بلحية الحسين وجعل يضرب بالسيف فى حلقه(2).

5: الشمر لعنه الله يقطع رأس الإمام الشهيد صلوات الله وسلامه عليه

قد اختلفت الروايات التاريخية فى تعيين الشخص الذى باشر قطع الرأس الشريف للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فالروايات التاريخية مترددة ما بين أن يكون الفاعل لهذه الجريمة الشنعاء والمصيبة النكراء هو سنان بن انس النخعى أو الإيادى لعنه الله، أو الشمر بن ذى الجوشن الضبابى لعنه الله، وان كان الصحيح كما يقول الصفدى ان الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله هو الذى تولى هذه المصيبة العظيمة، قال الصفدى: (شمر بن ذى الجوشن أبو السابغة العامرى ثم الضبابى حى من بنى كلاب...وهو الذى احتز رأس الحسين على الصحيح... قال خليفة العصفرى الذى ولى قتل الحسين شمر بن ذى الجوشن(3).

ونقل السيد المقدم عن مقتل الخوارزمى: (ثم صاح ابن سعد بالناس: انزلوا

1- الوافى بالوفيات للصفدى ج12 ص265.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج44 ص322.

3- الوافى بالوفيات للصفدى ج16 ص105.

إليه وأريحوه، فبدر إليه شمر فرفسه برجله وجلس على صدره وقبض على شيبته المقدسة وضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربة واحتز رأسه المقدس(1).

ولعل الاختلاف فيمن احتز الرأس الشريف، جاء نتيجة اشتراك أكثر من شخص في هذا الفعل الفظيع، فكل واحد من هؤلاء الأرجاس أدى جزءاً من المهمة، لذلك جمع ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب بين كل من سنان بن أنس وشمر بن ذى الجوشن لعنه الله في مسألة قطع الرأس الشريف: (واحتز رأسه سنان بن أنس النخعي، وشمر بن ذى الجوشن. وسلب جميع ما كان عليه إسحاق بن حياة الحضرمي...) (2) وان كنا نعتقد بان المهمة الأخيرة قام بها الشمر لعنه الله.

وفي رواية ان الشمر لعنه الله: (جعل يحتز مذبح الحسين «عليه السلام» بسيفه، فلم يقطع شيئاً. فقال الحسين «عليه السلام»: يا ويلك أتظن أن سيفك يقطع موضعاً طالما قبله رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكبه على وجهه، وجعل يقطع أوداجه، وكان كلما قطع منه عضواً، أو عرقاً، أو مفصلاً نادى: وا جداه، وا أبا القاسما، وا علياه، وا حمزاه، وا جعفراه، وا عقيلاه، وا غربتاه، وا قلة ناصراه) (3) ونحن وان لم نعثر على الرواية في غير هذا المصدر المنوه إليه في الهامش إلا ان ذلك ليس ببعيد، ولعل هذا الشيء هو الذي حدا باللعين إلى أن يضرب رقبة الإمام صلوات الله وسلامه عليه اثنتي عشرة ضربة، كما مر قبل قليل.

1- مقتل الحسين للعلامة السيد عبد الرزاق الموسوي المقمم، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت __ لبنان.

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج3 ص231.

3- موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام للجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام ص619.

- وفر إلى نحو الخيام جواده *** ففرت بنات الوحي ينظرن ما جرى
- فأبصرن شمرا جالسا فوق صدره *** وقد كان للتوحيد لوحا ومصدرا
- ويفرى بحد السيف أوداج نحره *** فشلت يده أي نحر به فرى
- وشال على رأس السنان كريمه *** كمثل هلال فيه قد لاح نيرا
- فززلت الأرضون واحمرت السما *** عليه ولون الشمس حزنا تغيرا
- وأعظم ما رج العوالم والهدى *** وزلزل قلب الدين حتى تظفرا
- وقوف بنات الوحي في مجلس حوى *** لكل دعى راح يبدى التجبرا

6: الشمر لعنه الله يأمر بقتل النساء ويأمر بقتل الأسرى

كلمة المسلمين تكاد تكون مجمعة على عدم جواز قتل المرأة الكافرة حين نشوب الحرب حتى لو قاتلت إلا للضرورة القصوى، كما قال القاضى ابن البراج فى المهذب: (ولا يجوز قتل النساء وإن قاتلتن مع أهلهن)⁽¹⁾، أو كما نقل محيى الدين النووى فى المجموع: (ونقل ابن بطل أنه اتفق الجميع على المنع من القصد إلى قتل النساء والولدان، ولا يوجب القتال على الصبى والأعمى والأعرج ولا على من لا يجد القوة عليه مالا أو جسدا)⁽²⁾ ولهذا الحكم أدلة شرعية، فعن الإمام أبى عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه سئل: (عن نساء اليهود والنصارى والمجوس، كيف سقطت عنهن الجزية ورفعت؟ قال: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن قتل النساء والولدان فى الحرب إلا أن تقاتل، ثم قال: وإن قاتلت فأمسك عنها ما أمكنك)⁽³⁾، كذلك أخرج البخارى: (ان امرأة وجدت فى بعض مغازى النبى صلى

1- المهذب للقاضى ابن البراج ج 1 ص 303.

2- المجموع لمحيى الدين النووى ج 19 ص 273.

3- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقى ج 2 ص 327.

الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان(1).

فإذا كانت هذه معاملة الإسلام مع نساء الكفار من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين، فمن أين استحل الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله وغيره من الممسوخين لعنهم الله قتل النساء والأطفال والمرضى فى يوم عاشوراء الرهيب، وجواب هذا التساؤل بسيط للغاية فالشمر بن ذى الجوشن وأمثاله لعنهم الله لم يكونوا من أهل الإسلام أصلاً، كما سيأتى فى جواب نافع بن هلال له بعد أسره وقبل قتله.

قال الطبرى: (وخرجت امرأة الكلبي تمشى إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول هنيئاً لك الجنة فقال شمر بن ذى الجوشن لغلام يسمى رستم اضرب رأسها بالعمود فضرب رأسها فشدخه فماتت مكانها)(2).

وقال الطبرى وغيره من المؤرخين وبالألفاظ متقاربة: (وكان نافع بن هلال الجملى قد كتب اسمه على أفواق نبله فجعل يرمى بها مسمومة وهو يقول أنا الجملى أنا على دين على فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح قال فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيراً قال فأخذه شمر بن ذى الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أوتى به عمر بن سعد فقال له عمر بن سعد ويحك يا نافع ما حملك على ما صنعت بنفسك قال إن ربي يعلم ما أردت قال والدماء تسيل على لحيته وهو يقول والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرحت وما ألوم نفسى على الجهد ولو بقيت لى عضد وساعد ما أسرتمونى فقال له شمر اقتله أصلحك الله قال أنت جئت به فإن شئت فاقتله قال فانتضى شمر سيفه فقال له نافع

1- صحيح البخارى ج 4 ص 21.

2- تاريخ الطبرى ج 4 ص 333 __ 334.

أما والله ان لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذى جعل مناينا على يدى شرار خلقه فقتله(1).

7: الشمر لعنه الله يأمر بقتل الإمام السجاد ويسوق رؤوس الشهداء إلى الكوفة ثم الشام

قال محمد بن سعد فى الطبقات: (وكان على بن حسين مع أبيه وهو بن ثلاث وعشرين سنة وكان مريضا نائما على فراشه فلما قتل الحسين عليه السلام قال شمر بن ذى الجوشن اقتلوا هذا فقال له رجل من أصحابه سبحان الله أنقتل فتى حدثا مريضا لم يقاتل(2).

وقال ابن عبد البر فى التمهيد: (وإنما لم يقاتل على بن حسين هذا يومئذ مع أبيه لأنه كان مريضا على فراش لا أنه كان صغيرا قال أبو عمر روى أهل العلم بالأخبار والسير أنه كان يومئذ مريضا مضطجعا على فراش فلما قتل الحسين قال شمر بن ذى الجوشن اقتلوا هذا فقال له رجل من أصحابه سبحان الله أنقتل حدثا مريضا لم يقاتل(3).

ومع ان الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه قد سلم من القتل بفضل الله سبحانه وتعالى وحكمته، إلا انه صلوات الله وسلامه عليه لم يسلم هو وإخوته وأخواته وعماته من الأسر والضرب المبرح والسبى وغل اليدين والرجلين بالحديد، وهم يشاهدون بأعينهم كيف ان رؤوس أهليهم وأنصارهم تقطع واحدا بعد الآخر وتوضع على رؤوس الرماح وتحمل وإياهم إلى الكوفة حيث ينتظر الدعى عبىد الله بن مرجانة لعنه الله، ثم

1- تاريخ الطبرى ج 4 ص 336 __ 337، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 72، البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 200.

2- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 211 __ 212.

3- التمهيد لابن عبد البر ج 9 ص 157.

إلى الشام حيث كان يزيد يعد العدة للتحضير إلى أكبر وأضخم احتفال عرفته آل أمية والشام.

قال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (وسرح عمر بن سعد من يومه ذلك — وهو يوم عاشوراء — برأس الحسين عليه السلام مع خولى بن يزيد الأصبحى وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبید الله بن زياد، وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته فنظفت(1)، وكانت اثنين وسبعين رأساً، وسرح بها مع شمر بن ذى الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج، فأقبلوا حتى قدموا بها على ابن زياد(2).

ثم أرسل يزيد بن معاوية عليه لعنة الله إلى ابن مرجانة لعنه الله أمره بان يرسل إليه السبايا والرؤوس ليحتفل ويستعرض انتصاراته فى الشام، قال ابن الأثير: (ثم جاء البريد بأمر يزيد بإرسالهم إليه، فدعا ابن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذى الجوشن وسيرهما بالثقل والرأس(3).

واخذ ثقل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يهدى من دعى إلى عتل زعيم، ومن ظالم إلى اظلم، وهم على اشد حالات الجهد، وأعظم مراتب العناء، قال الطبرى: (ثم إن عبید الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجهزن وأمر بعلى بن الحسين فغل بغل إلى عنقه ثم سرح بهم مع محفز بن ثعلبة العائذى عائذة قريش ومع شمر بن ذى الجوشن فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد فلم يكن على بن الحسين يكلم أحدا منهما فى الطريق كلمة حتى بلغوا فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع محفز بن ثعلبة صوته فقال هذا

1- فى بعض المصادر (فقطفت) بدل (فنظفت) وفى بعض المصادر الأخرى (فقطعت) ولعل الأصل (فقطعت) ولكنها صحفت.

2- الإرشاد للشيخ المفيد ج 2 ص 113 _ 114.

3- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 4 ص 84.

محفز بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللائم الفجرة قال فأجابه يزيد بن معاوية ما ولدت أم محفز شر وألأم(1) وفي روايات علماء المذهب الحق إن من أجاب على محفز بن ثعلبة هو الإمام السجاد عليه السلام وليس يزيد بن معاوية عليه لعنة الله(2).

فلما قدم الشمر لعنه الله بالسبايا إلى الشام ودخل إلى أميره يزيد عليه لعنة الله رمى رأس سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه بين يديه، وصار يحكى ليزيد عليه لعنة الله قصة خيالية عن أحداث يوم عاشوراء، فصار يكذب فيها ويظيل الكذب، ويزيد عليه لعنة الله يستمع وملؤه الفخر بما فعل بسيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال الدينوري في الأخبار الطوال: (ثم إن ابن زياد جهز على بن الحسين ومن كان معه من الحرم، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومحقن بن ثعلبة، وشمر بن ذى الجوشن. فساروا حتى قدموا الشام، ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق، وأدخل معهم رأس الحسين، فرمى بين يديه. ثم تكلم شمر بن ذى الجوشن، فقال: يا أمير المؤمنين، ورد علينا هذا فى ثمانية عشر رجلا من أهل بيته، وستين رجلا من شيعته، فصرنا إليهم، فسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد، أو القتال، فغدونا عليهم عند شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل جانب، فلما أخذت السيوف منهم مأخذها جعلوا يلوذون إلى غير وزر، لوذان الحمام من الصقور، فما كان إلا مقدار جزر جزور، أو نوم قائل حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تسفى عليهم الرياح، زوارهم العقبان، ووفودهم الرخم(3).

1- تاريخ الطبرى ج 4 ص 352.

2- راجع كل من كتابى الإرشاد للشيخ المفيد ج 2 ص 119، وبحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 45 ص 130.

3- الأخبار الطوال للدينورى ص 260 __ 261.

8: الشمر لعنه الله يسرق إبلاً للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وذهباً كان لنسائه

عن الشيخ الطوسي قدس الله روحه في كتابه الأمالي قال: (واشتد أمر المختار بعد قتل ابن زياد وأخاف الوجوه وقال: لا يسوغ لي طعام ولا شراب حتى أقتل قاتلة الحسين بن علي «عليه السلام» وأهل بيته، وما من ديني أترك أحدا منهم حيا. وقال: أعلموني من شرك في دم الحسين وأهل بيته، فلم يكن يؤتونه برجل فيقولون هذا من قتلة الحسين أو من أعان عليه إلا قتله، وبلغه أن شمر بن ذي الجوشن «لعنه الله» أصاب مع الحسين (1) إبلاً فأخذها، فلما قدم الكوفة نحرها وقسم لحومها. فقال المختار: احصوا لي كل دار دخل فيها شيء من ذلك اللحم، فأحصوها فأرسل إلى من كان أخذ منها شيئاً فقتلهم وهدم دورا بالكوفة) (2).

وعن ابن أبي الفتح الأربلي في كشف الغمة عن زكريا بن يحيى بن عمر الطائفي: (قال سمعت غير واحد من مشيخة طي يقول وجد شمر بن ذي الجوشن في ثقل الحسين ذهباً فدفع بعضه إلى ابنته ودفعته إلى صائغ يصوغ لها منه حلماً فلما أدخله النار صار هباءاً قال وسمعت غير زكريا يقول صار نحاساً فأخبرت شمراً بذلك فدعا بالصائغ فدفع إليه باقي الذهب وقال أدخله النار بحضرتي ففعل الصائغ فعاد الذهب هباءاً وقال غيره عاد نحاساً) (3).

كان هذا غيضاً من فيض وقطرة من بحر وما ارتكبه هذا المسخ لعنه الله بحق الإسلام والنبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعظم وأكبر من أن تحصيه هذه الوريقات.

1- هكذا في المصدر والظاهر أنها في الأصل (من الحسين) فصحت.

2- الأمالي للشيخ الطوسي ص 243 __ 244.

3- كشف الغمة لابن أبي الفتح الأربلي ج 2 ص 268.

أمن الشيعة كان الشمر لعنه الله أم من أهل السنة؟

قد حاولت أقلام المؤرخين من أهل السنة قديما وحديثا جعل الشمر بن ذى الجوشن الضبابى لعنه الله وغيره من القتلة الذين اشتركوا فى الحرب والسلب والنهب فى يوم عاشوراء الرهيب، فى مصاف الشيعة والموالين لأمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، وبذلوا فى سبيل إثبات ذلك الغالى والنفيس، فحرفت من أجل ذلك النصوص التاريخية، وزورت الأدلة الاثباتية، وتواطأ على الكذب الرواة، وألقت الكتب وطبعت ووزعت بأعداد خيالية، وفعلت الدول المستفيدة من تثبيت هذه الفرية المستحيل، كل ذلك وغيره جاء ضمن محاولة فاشلة لإقناع الرأى العام بأن الشيعة هم الذين قتلوا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأن أشياع وأتباع وأولياء المذاهب الأخرى هم بعيدون كل البعد عن المشاركة فى حرب الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقتله وسبى حريمه، ومواقع النواصب من السلفية اليوم مليئة بالكتب والمقالات المأجورة التى تصور الشيعة بأنهم اناس سفاكون للدماء قتلوا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قديما وهم الآن سيكون على فعلتهم لا على فقدهم لأنتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والحق ان الشيعة كانوا ولا يزالون بعيدين كل البعد عن الولوغ والمشاركة فى دماء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان دماء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سفكت بسيف اتباع الامويين والعباسيين، والذين قد وثقهم علماء أهل السنة، كعمر بن سعد لعنه الله الذى سبق ذكر توثيقهم إياه فى الفقرة السابقة من الزيارة.

والشمر بن ذى الجوشن كان احد الذين بذل خصوم الشيعة الغالى والنفيس فى سبيل إثبات كونه من شيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، فتشبهوا بالطحالب، واعتمدوا على المغالطات، فتارة ينسبونه الى التشيع لأنه من أهل

الكوفة، لاعتقادهم الفاسد بأن جميع أهل الكوفة كانوا شيعة، وتارة أخرى يستدلون على تشييعه لعنه الله بأنه كان مع الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في حرب صفين، وكل من كان مع أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في جيشه فهو من شيعته، وغير ذلك من السفاسف التي يحسبون أنها أدلة، لكنها إذا ما نوقشت ومحصت كانت ((كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا)) (1).

ومسألة كون قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومنهم الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله لا يمكن فصل القول بها ما لم نتعرف على الجذور الأصلية لمصطلح الـ(شيعي)، لنرى هل ينطبق هذا الوصف على قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أو لا ينطبق، وهذا ما سنعرف حقيقته فيما يأتي من الكلام.

قال أبو الحسن الأشعري الذي إليه يرجع أتباع المذاهب السنية الأربعة في عقائدهم: (وإنما قيل لهم الشيعة؛ لأنهم شايعوا علياً رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (2).

وقال الشهرستاني: (الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصيبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسول عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة ويجمعهم القول بوجود التعيين والتنصيب وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبراء والصغار والقول بالتولية والتبرؤ قولاً

1- سورة النور الآية رقم 39.

2- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ج 1 باب مقالات التشيع ص 2.

وفعلا وعقدا إلا في حال التقية(1).

وقال ابن حزم الظاهري: (ومن وافق الشيعة في أن عليا رضى الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا)(2).

إذن فأصل إطلاق لفظ الشيعة عند أهل السنة كان على كل من شاع عليا وقدمه على سائر الصحابة، ويعتقدون بلزوم وجود النص على إمامة من يستخلف بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لان الإمامة ليست قضية مصلحة تناط باختيار العامة، ويعتقدون أيضا أن الإمامة لا تخرج عن أولاد أمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه إلا بغضب غاصب، ويعتقدون بعصمة الأنبياء والأئمة من كل ذنب كبيرا كان أو صغيرا، ويتولون أولياء على والأئمة والأنبياء والرسل الذين هم أولياء الله ويتبرؤون من أعدائهم أعداء الله. وان جميع من يعتقد بهذا الاعتقاد هو شيعي وكل من لا يشاركهم هذا الاعتقاد فهو ليس شيعيا كما سبق من قول ابن حزم الظاهري.

وهو نفس ما عليه الشيعة الإمامية، فقد قال الشيخ المفيد في باب الفرق بين الإمامية وغيرهم من الشيعة وسائر أصحاب المقالات ما يأتي: (فأما السمة للمذهب بالإمامة ووصف الفريق من الشيعة بالإمامية فهو عَلمٌ على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان، وأوجب النص الجلي والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي)(3).

1- الملل والنحل للشهرستاني ج 1 الفصل السادس الشيعة ص 145.

2- الفصل في الملل والأهواء والنحل لعلي بن احمد بن حزم الظاهري ج 2 ص 90.

3- أوائل المقالات للشيخ المفيد ص 38 باب الفرق بين الإمامية وغيرهم من الشيعة وسائر أصحاب المقالات.

ونحن نتحدى من يأتينا بدليل يدل على أن الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله كان ممن يقدم الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على سائر الصحابة، ويعتقد بضرورة وجود نص على إمامته، وانه كان يعتقد بوجوب أن لا تخرج عن أولاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومنهم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وانه كان يعتقد بأن الإمام معصوم من كل صغيرة وكبيرة، وانه كان يتبرأ من أعدائهم ويوالي أولياءهم، فإذا ما جاؤونا بمثل هذا الدليل — ولن يستطيعوا ذلك — آمنا حينئذ بأن الشمر لعنه الله كان شيعيا، أما لو لم يأتونا بمثل هذا الدليل فسيثبت حينئذ العكس، وسيكون معلوما عند الجميع إن الشمر ان لم يكن شيعيا فسيكون حينئذ سنيا، وسيثبت عكس ما أراده أعداء الشيعة، وسيصبح لأهل السنة دور هام فى قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وأحداث عاشوراء الأليمة، فننصح المسلمين من باقى المذاهب الأخرى لا سيما السلفية منهم بعدم إثارة هذه المواضيع على شبكات الانترنت أو فى الكتب والمقالات لأنها ستضرهم أكثر مما تنفعهم.

والطبرى يعترف بأن الشمر بن ذى الجوشن كان معروفا عند معاوية بن أبى سفيان بالصدق والاستقامة، وكان من ضمن من شهد على حجر بن عدى 5 صاحب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وقد روى الطبرى خبر شهادته لعنه الله بأمر من زياد بن أبيه بقوله: (هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبى موسى لله رب العالمين شهد أن حجر بن عدى خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب والفتنة وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية وكفر بالله عز وجل كفره صلحاء فقال زياد على مثل هذه الشهادة فاشهدوا أما والله لأجهدن على قطع خيط عنق الخائن الأحمق فشهد رؤوس الأرباع على مثل شهادته وكانوا أربعة

ثم إن زيادا دعا الناس فقال اشهدوا على مثل شهادة رؤوس الأرباع... فقال زياد ابدأوا بأسامى قريش ثم اكتبوا اسم عناق في الشهود ومن نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالنصيحة والاستقامة فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله وموسى بن طلحة... وشمر بن ذى الجوشن العامرى وشداد ومروان(1).

وسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه يناديهم يوم عاشوراء والشمر من ضمنهم بقوله: (يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم...) (2) وهو صريح في كون الشمر وجميع من حضر جيش الكفر والإلحاد كانوا شيعة لآل أمية، وعدم اعتراضهم على هذا الوصف دليل قبولهم وإقرارهم به.

هل اشترك الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله في معركة صفين؟

أما عن مسألة حضوره لعنه الله في جيش صفين، فقد روى ذلك في روايتين نوردهما ونورد ما فيهما من إشكال، الأولى عن: (عمر بن سعد، حدثني يونس بن أبي إسحاق قال: قال لنا أدهم بن محرز الباهلي ونحن معه بأذرح: هل رأى أحد منكم شمر بن ذى الجوشن؟ فقال عبد الله بن كبار النهدي، وسعيد بن خازم السلولى: نحن رأيناه. قال: فهل رأيتما ضربة بوجهه؟ قالوا: نعم. قال: أنا والله ضربته تلك الضربة بصفين) (3).

والرواية الثانية عن: (عمر، عن الصلت بن زهير النهدي، عن مسلم قال: خرج أدهم بن محرز من أصحاب معاوية بصفين إلى شمر بن ذى الجوشن فاختلفا

1- تاريخ الطبرى ج 4 ص 200 __ 201.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 45 ص 51 فى أن الحسين عليه السلام تقدم إلى القتال.

3- وقعة صفين لابن مزاحم المنقرى ص 267 __ 268.

ضربتين، فضربه أدهم على جبينه فأسرع فيه السيف حتى خالط العظم، وضربه شمر فلم يصنع سيفه شيئاً، فرجع إلى عسكره فشرب من الماء وأخذ رمحا، ثم أقبل وهو يقول:

إني زعيم لأخي باهله *** بطعنة إن لم أمت عاجله

وضربة تحت الوغى فاصله *** شبيهة بالقتل أو قاتله

ثم حمل على أدهم وهو يعرف وجهه، وأدهم ثابت له لم ينصرف، فطعنه فوق عن فرسه، وحال أصحابه دونه فانصرف، فقال شمر: هذه بتلك(1).

والروايتان ضعيفتان من حيث السند، لان الأولى فيها يونس بن أبي إسحاق، وهو السبيعي، وقد اجتمعت كلمة الشيعة والسنة على تضعيفه، وعدم الاحتجاج بحديثه، قال السيد الخوئي: (إنه كان من العامة وشديد التعصب)(2)، وفي كتاب العلل لأحمد بن حنبل: (يونس بن أبي إسحاق قال حديثه حديث مضطرب)(3)، وقال الرازي عن: (عبد الرحمن قال سألت أبي عن يونس بن أبي إسحاق فقال: كان صدوقاً إلا أنه لا يحتج بحديثه)(4).

والرواية الثانية نقلت عن مسلم، وهو مسلم بن كيسان الأعور، فعن أحمد بن حنبل قال: (لا يكتب حديثه ضعيف الحديث)(5)، وقال العجلي: (مسلم الأعور كوفي ضعيف الحديث)(6). وقال العقياتي: (كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عن

1- المصدر السابق ص 268.

2- معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج 21 ص 199.

3- العلل لأحمد بن حنبل ج 2 ص 519.

4- الجرح والتعديل للرازي ج 9 ص 244.

5- العلل لأحمد بن حنبل ج 2 ص 476.

6- معرفة الثقات للعجلي ج 2 ص 279.

مسلم الأعور وهو مسلم أبو عبد الله وكان شعبة وسفيان يحدثان عنه وهو منكر الحديث جدا(1).

ثم ان الروايتين منقولتان عن عمر بن سعد، وهو عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي، وهو مجهول لم يذكروا له ترجمة، كما صرح بذلك الشيخ على النمازي الشهرودي بقوله: (عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي: لم يذكروه)(2).

وقد نقل ابن أبي الحديد الروايتين بقوله: (قال نصر: وحدثنا عمرو...)(3) بدلا من (عمر بن سعد) وعمرو المقصود من رواية ابن أبي الحديد هو (عمرو بن شمر أبو عبد الله الجعفي) والذي قال عنه النجاشي: (عمرو بن شمر أبو عبد الله الجعفي عري، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، ضعيف جدا)(4)، وقال العلامة الحلبي: (عمرو بن شمر بالشين المعجمة، والراء أخيرا أبو عبد الله الجعفي، كوفي روى عن أبي عبد الله «عليه السلام» وعن جابر، وهو ضعيف جدا... فلا اعتمد على شيء مما يرويه)(5).

وقال الرازي: (عمرو بن شمر الجعفي أبو عبد الله روى عن عمران بن مسلم والسدي وجابر الجعفي روى عنه أحمد بن يونس سمعت أبي يقول ذلك، نا عبد الرحمن نا محمد بن إبراهيم نا عمرو بن علي أن عمرو بن شمر منكر الحديث حدث بأحاديث منكورة، نا عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سمعت

1- ضعفاء العقيلي للعقيلي ج4 ص154.

2- مستدركات علم رجال الحديث للشيخ على النمازي الشاهرودي ج6 ص90.

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج5 ص213 من اخبار يوم صفين.

4- رجال النجاشي ص287.

5- خلاصة الأقوال للعلامة الحلبي ص378.

يحيى بن معين يقول عمرو بن شمر ليس بثقة، نا عبد الرحمن قال سألت أبي عن عمرو بن شمر فقال منكر الحديث جدا ضعيف الحديث لا يشتغل به تركوه، نا عبد الرحمن قال سئل أبو زرعة عن عمرو بن شمر فقال ضعيف الحديث(1).

ثم لو سلمنا جدلا ان الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله كان فى معسكر أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يوم صفين، فلا يثبت أيضا مدعى من يحاول نسبته إلى أنصار وشيعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لان جيش صفين كان خليطا من الناس المتشعبة آراؤهم المختلفة عقائدهم المتفرقة قلوبهم، فقد كان فيهم المؤمن المخلص بوجه وانتمائه إلى أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهم الأقلية عددا، وهؤلاء قد استشهد أكثرهم دفاعا عن أمير المؤمنين ونصرته.

ومنهم من كان يقاتل حمية وعصبية، من دون اعتقاد لإمامة أمير المؤمنين أو الإيمان بأفضليته على من سبقوه، وهؤلاء لا يستهان بعددهم، وقد نقلت الروايات بان قسما كبيرا من جيشه صلوات الله وسلامه عليه كانوا يصلون فى رمضان صلاة التراويح التى سنّها وابتدعها عمر بن الخطاب، فلما نهاهم الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن إتيان هذه البدعة ضجوا وتململوا حتى خاف الإمام على جيشه من التفرق فتركهم، فقد روى الشيخ الكليني فى الكافي: (عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين «عليه السلام» فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خلتان: إتباع الهوى وطول الأمل... والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا فى شهر رمضان إلا فى فريضة وأعلمتهم أن اجتماعهم فى النوافل بدعة فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيرت سنة عمر ينهانا عن الصلاة فى شهر رمضان تطوعا ولقد خفت أن

يثوروا في ناحية جانب عسكري... (1).

وقسم ثالث قد التحق بالجيش كجاسوس ينقل إلى معاوية بن أبي سفيان أخبار الجيش وتحركاته، كمثل الأشعث بن قيس وأمثاله، والشمر إن ثبت التحاقه بجيش صفين فهو من القسم الثاني أو الثالث يقينا، لأنه كان ولمدة قصيرة قبل حرب صفين متواجداً في الشام عند معاوية بن أبي سفيان، يجلس على باب قصره الخضراء، وكان من قواده، فقد أورد الشيخ المفيد في كتابه الاختصاص رواية تكشف هذه الحقيقة فقال في رواية طويلة تقتطع منها قدر الحاجة: (كتب معاوية بن أبي سفيان إلى علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا علي لأضربنك بشهاب قاطع لا يدكنه الريح ولا يطفئه الماء إذا اهتز وقع وإذا وقع نقب والسلام).

فلما قرأ علي عليه السلام كتابه دعا بدواة وقرطاس ثم كتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا معاوية فقد كذبت، أنا علي بن أبي طالب، وأنا أبو الحسن والحسين قاتل جدك وعمك وخالك وأبيك، وأنا الذي أفنيت قومك في يوم بدر ويوم فتح ويوم أحد، وذلك السيف بيدي، تحمله ساعدى بجرأة قلبى كما خلفه النبي صلى الله عليه وآله بكف الوصى، لم أستبدل بالله ربا ويمحمد صلى الله عليه وآله نبياً وبالسيف بدلا والسلام على من اتبع الهدى.

ثم طوى الكتاب ودعا الطرماح بن عدى الطائي وكان رجلا مفوها طويلا، فقال له: خذ كتابي هذا فانطلق به إلى معاوية ورد جوابه، فأخذ الطرماح الكتاب ودعا بعمامة فلبسها فوق قلنسوته، ثم ركب جملا... فسار حتى نزل مدينة دمشق فسأل عن قواد معاوية، فقيل له: من تريد منهم؟ فقال: أريد

جرولاً...وأباً الأعور السلمى، وعمرو بن العاص، وشمر بن ذى الجوشن... فقبل إنهم يجتمعون عند باب الخضراء، فنزل وعقل بعيره وتركهم حتى اجتمعوا ركب إليهم، فلما بصروا به قاموا إليه يهزؤون به، فقال واحد منهم: يا أعرابى أعندك خبر من السماء؟ قال: نعم جبرئيل فى السماء وملك الموت فى الهواء وعلى فى القضاء فقالوا له: يا أعرابى من أين أقبلت؟ قال: من عند التقى النقى إلى المنافق الردى، قالوا له: يا أعرابى فما تنزل إلى الأرض حتى نشاورك؟ قال: والله ما فى مشاورتكم بركة ولا مثلى يشاور أمثالكم، قالوا: يا أعرابى فإنا نكتب إلى يزيد بخبرك وكان يزيد يومئذ ولى عهدهم، فكتبوا إليه: أما بعد يا يزيد فقد قدم علينا من عند على بن أبى طالب أعرابى له لسان يقول فما يمل، ويكثر فما يكل والسلام...)(1) فالرواية كما ترى صريحة فى جعل الشمر بن ذى الجوشن من قواد جيش معاوية بن أبى سفيان لعنه الله.

ثم وفجأة ومن دون سابق إنذار ينتقل من الشام ومن جبهة معاوية بن أبى سفيان إلى جيش أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، ثم يتحول من جبهته إلى جبهة الخوارج الذين انقذوا معاوية بن أبى سفيان فى اللحظات الأخيرة من أن يناله السيف والقتل، كل هذا وغيره يجعلنا متيقنين بأن وجود الشمر بن ذى الجوشن فى ضمن جيش أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فى أثناء معركة صفين متردد بين فرضين، فأما أن يكون وجوده مكذوباً مفتعلاً لإغراض لا تخفى، وأما أن يكون قد حضر لأجل التجسس والتخريب وإشاعة الفوضى وبث الضعف والفتنة فى صفوف جيش أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، كما فعل مع مسلم بن عقيل سلام الله عليه وقد ذكر خبره.

1- الاختصاص للشيخ المفيد ص 139 كتاب معاوية إلى على عليه السلام وجواب على عليه السلام على يد الطرمح إليه.

هل كان الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله شجاعاً؟

حاول البعض تضخيم شخصية الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله ليطلق عليه بعض المدائح فعّدوه من ذوى الرئاسة تارة وتارة أخرى من أصحاب الشجاعة، وتارة ثالثة من المحدثين، قال خير الدين الزركلى فى كتابه الأعلام: (شمر بن ذى الجوشن واسمه شرحبيل ابن قرط الضبابى الكلابى، أبو السابغة... كان فى أول أمره من ذوى الرياسة فى هوازن موصوفاً بالشجاعة، وشهد يوم صفين مع على ثم أقام فى الكوفة، يروى الحديث)(1) وللأسف فقد أعاد بعض المفكرين الشيعة هذا القول فى كتبهم عن حسن نية منهم، متناسين أن الشجاعة من صفات الكمال التى لا تليق بمثل هذا الموجود الممسوخ، وان وصفه بالشجاعة شبيه بوصف الشيطان بالنبل أو الكرم.

ونحن نسأل جميع من وصف الشمر لعنه الله بالشجاعة أو الرئاسة عن دليلهم الذى إليه استندوا فى زعمهم هذا، لان كتب التاريخ خالية عن المواقف التى تكشف شجاعة هذا الموجود الممسوخ، وفى يوم عاشوراء ظهر للعالم جلياً ان هذا اللعين لم يكن يمتلك وجميع من تحت إمرته أى لون من ألوان الشجاعة، فلم نرى له نزلاً واحداً مع بطل من أبطال الطف يمكن أن يستدل به على تلك الشجاعة المزعومة، فأين هو من مقارعة العباس ابن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه؟ وأين شجاعته يوم كان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يكر عليهم فينهزم هو وجميع أفراد جيشه كالجراد المنتشر أو كالغنم إذا اشتد عليها الأسد؟

ونحن وحينما تتبعنا جولات هذا اللعين وصلواته يوم عاشوراء لم نجده قد

1- الأعلام لخير الدين الزركلى ج 3 ص 175.

قاتل إلا- ضمن فئة من أصحابه يتحصن بهم من أن يناله سيف أسد من اسود الطف، ولم يقاتل بمفرده أبدا، كما وصف القرآن الكريم المنافقين بقوله ((لَا يِقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)) (1) وكان غاية جهده أن يهجم على خيام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيطعن الفسطاط، أو يدعو بالنار ليحرق الخيام على الأطفال والنساء، أو يسرق ما كان في معسكر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من الذهب والإبل بعد استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسيأتى ذكر ذلك إن شاء الله، فأين الشجاعة يا ترى من كل هذا؟!!

وكدليل صريح على عدم تمتع هذا المسخ البشرى المسمى بالشمر بالشجاعة تأمل معى فى رواية الطبرى التى يقول فيها: (فجعل شمر بن ذى الجوشن يحرضهم — على قتل الإمام الحسين — فمر بأبى الجنوب وهو شاك فى السلاح فقال له أقدم عليه قال وما يمنعك أن تقدم عليه أنت فقال له شمر إلى تقول ذا قال وأنت لى تقول ذا فاستبأ فقال له أبو الجنوب وكان شجاعا والله لهممت أن أخضخض السنان فى عينك قال فانصرف عنه شمر وقال والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرنك) (2) فلو كان للشمر لعنه الله رجولة أو شجاعة أو كان معروفا عند الناس بهما لما تجرأ المدعو بأبى الجنوب عليه، ولرد عليه قوله وأوقفه عند حده ولما أظهر عجزه وخنوعه وذله بقوله: (والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرنك) يريد به الغدر والأخذ على حين غفلة عند أسياده ابن مرجانة وأمثاله.

1- سورة الحشر الآية رقم 14.

2- تاريخ الطبرى ج 4 ص 344.

هل كتب الشمر لعنه الله كتاب أمان للعباس وإخوته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

لقد أراد البعض عمداً أو جهلاً أن يجعل لشمر بن ذى الجوشن لعنه الله فضلاً على أولاد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه من السيدة أم البنين صلوات الله وسلامه عليها، فزعموا أن الشمر لعنه الله أتى لهم بكتاب أمان لكل من العباس بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وأخوته الثلاثة، صادر من عبيد الله بن مرجانة لعنه الله، فيما إذا تخلوا عن نصرته الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وزعموا أن اللعين جاء يوم العاشر أو قبله: (حتى وقف على أصحاب الحسين فقال أين بنو أختنا فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي فقالوا له: مالك؟ وما تريد؟ قال: أنتم يا بني أختي آمنون قال له الفتية لعنك الله ولعن أمانك لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له) (1) والراوى لهذا النص أراد أن يزور اعترافاً على لسان أولاد السيدة أم البنين صلوات الله وسلامه عليها بأن الشمر اللعين خالهم وذو رحم ماسة بهم.

وقال ابن كثير: (فقام شمر بن ذى الجوشن فقال: أين بنو أختنا؟ فقام إليه العباس وعبد الله، وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب، فقال: أنتم آمنون. فقالوا: إن أمتنا وابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فلا حاجة لنا بأمانك) (2).

وحيثما رجعنا إلى نسب السيدة الطاهرة أم البنين صلوات الله وسلامه عليها وجدنا بأنها لا تشترك نسبياً مع الشمر لعنه الله إلا في الأب السابع وهو (كلاب)، فنسب السيدة أم البنين صلوات الله وسلامه عليها هو الآتى: (فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن

1- تاريخ الطبرى ج 4 ص 315

2- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 190.

وقال الشيخ التستري قدس الله روحه: (ففى نسب قريش مصعب الزبيرى: أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة)(2).

أما والد الشمير لعنه الله فهو كما: (قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي اسمه شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة)(3).

أو: (ذو الجوشن... واسمه أوس بن الأعور بن عمرو بن معاوية بن كلاب يعنى ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة وولد عمرو بن معاوية يقال لهم الضباب لأن أحد عمرو بن معاوية يقال له ضب فنسبوا إلى ذلك)(4).

فكل من السيدة أم البنين صلوات الله وسلامه عليها والشمير بن ذى الجوشن من حيين مختلفين من كلاب، ومثلهما مثل بنى هاشم وبنى أمية فهما وان كانا يرجعان إلى عبد مناف إلا أنهما حيان منفصلان نسبا وتاريخا وموقفا، وان محاولة جعل الشمير خالا للعباس واخوته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نظير جعل معاوية بن أبى سفيان لعنه الله عما أو خالا للحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما.

والحقيقة ان الذى طلب كتاب الأمان من عبيد الله بن زياد لعنه الله شخص آخر غير الشمير بن ذى الجوشن، وهو المذكور فى رواية ابن كثير بالقول: (فاستأمن عبيد الله بن أبى المحل لبنى عمته أم البنين بنت حزام من على: وهم العباس وعبد الله

1- عمدة الطالب لابن عنبه ص 356.

2- قاموس الرجال للشيخ محمد تقى التستري ج 12 ص 195.

3- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 6 ص 46.

4- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 23 ص 189.

وجعفر وعثمان. فكتب لهم ابن زياد كتاب أمان وبعثه عبيد الله بن أبي المحل مع مولى له يقال له كرماني، فلما بلغهم ذلك قالوا: أما أمان ابن سمية. فلا نريده، وإنا لندرجو أمانا خيرا من أمان ابن سمية(1).

هل اشترك أهل الشام في حرب عاشوراء؟

صرحت بعض المصادر التاريخية ان الشمير بن ذى الجوشن لعنه الله كان في يوم عاشوراء قائدا لأربعة آلاف من أهل الشام، قال ابن شهر آشوب: (وجهز ابن زياد عليه — أي على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه — خمسا وثلاثين ألفا، فبعث الحر في ألف رجل من القادسية، وكعب بن طلحة في ثلاثة آلاف، وعمر بن سعد في أربعة آلاف، وشمير بن ذى الجوشن السلولي في أربعة آلاف من أهل الشام...)(2).

وقال الشيخ الصدوق قدس الله روحه في الأمالي: (وأقبل عدو الله سنان بن أنس الأيادي وشمير بن ذى الجوشن العامري لعنهما الله في رجال من أهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: ما ننظرون، أريحوا الرجل، فنزل سنان بن أنس الأيادي لعنه الله وأخذ بلحية الحسين عليه السلام، وجعل يضرب بالسيف في حلقه وهو يقول: والله إنني لأجتز رأسك وأنا أعلم أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وخير الناس أما وأبا...)(3).

والتمعن في هذين النصين وغيرهما من النصوص يضعان أماننا علامة تساؤل مهمة للغاية، وهي هل اشترك أهل الشام وجنود يزيد بن معاوية عليه لعنة الله في الحرب والقتال يوم عاشوراء؟ واثبات اشتراكهم ومساهماتهم في القتال يوم عاشوراء سيضعنا

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 190.

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج 3 ص 248.

3- الأمالي للشيخ الصدوق ص 226.

أمام قضية جديدة طالما أثارها من قبل خصوم الشيعة، الذين كانوا ولا يزالون يحاولون إثبات وتأكيد ان أهل العراق هم الوحيدون المسؤولون عن مواجهة وقتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء، ليثبتوا من خلال ذلك أن الشيعة هم الذين قتلوا الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

وإثبات ان أهل الشام كانوا ضمن المقاتلين يوم عاشوراء وبهذا الكم الهائل من الأفراد والبالغ عددهم أربعة آلاف مقاتل كما نص ابن شهر آشوب، سيقلب السحر على الساحر، وسيثبت أن أهل الأرض كافة وأهل الإسلام خاصة قد اشتركوا في دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإلا فإين كان أهل المدينة عن النصره والإمام الحسين قد خرج من بين أظهرهم، وإين كان أهل مكة وقد بقي الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بينهم أياماً طويلة، وإين كان أهل البصرة وأهل مصر وأهل باقى المدن الإسلامية، فالكل قد اختفى، والكل كان ما بين ساكت عن الحق، وما بين رافض لم يتعد رفضه شفثيه، وما بين خاذل بخل ببذل نفسه وخاف الشهادة، وما بين مقاتل ومباشر للقتال والقتل، وليس الساكت عن النصره بأحسن من المقاتل والمباشر، لان بسكوت الساكت تجراً المتجرئون على سفك دم سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وبخذلان من خذل من أهل الأقطار الإسلامية أقدم أهل العراق وأهل الشام على الوقوف بوجهه صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ان أهل العراق الذين واجهوا الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لم يكونوا إلا من أهل المدينة ومكة، فعمر بن سعد بن أبي وقاص لعنهم الله لم يكن من أهل العراق أصلاً، فأبوه من بنى زهرة مكى الأصل، فيكون سعد ابنه مكى الأصل نزل الكوفة، وكذلك الشمير بن ذى الجوشن لعنه الله، فأبوه كما يقال صحابي كان فى المدينة أو قريباً منها، وكذلك عبيد الله بن زياد لعنه الله، وكذلك الآلاف من ذلك الجيش لعنه الله لم

يكونوا إلا- من أهل مكة أو المدينة أو مصر أو اليمن أو الشام، فدم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه متفرق بين كافة البلدان الإسلامية، ولا معنى لتأكيد المؤرخين على أهل العراق عامة وأهل الكوفة خاصة.

وفيما يأتي جملة من النصوص الأخرى التي تؤكد حضور واشتراك أهل الشام في القتال يوم عاشوراء:

1: روى الشيخ الكليني قدس الله روحه عن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (تاسوعا يوم حوصر فيه الحسين «عليه السلام») وأصحابه رضى الله عنهم بكربلا واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين صلوات الله عليه وأصحابه رضى الله عنهم وأيقنوا أن لا يأتي الحسين «عليه السلام» ناصر ولا يمدده أهل العراق بأبي المستضعف الغريب...⁽¹⁾ والحديث صحيح وصريح في ان خيل اهل الشام قد اجتمعت على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء.

2: قال ابن أعثم في كتاب الفتوح: (ثم تقدم على بن الحسين بن علي عليهما السلام وهو يقول:

أنا على بن الحسين بن علي *** من عصبة جد أبيهم النبي

والله لا يحكم فينا ابن الدعى *** أظعنكم بالرمح حتى ينشئ

أضربكم بالسيف أحمى عن أبي *** ضرب غلام علوى قرشى

ثم حمل رضى الله عنه، فلم يزل يقاتل حتى ضج أهل الشام من يده ومن كثرة من قتل منهم، فرجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة)⁽²⁾،

1- الكافي للشيخ الكليني ج 4 ص 147.

2- كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى ج 5 ص 114 _ 115

وضجيج أهل الشام من حملات علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومن كثرة القتل فيهم دليل على وجودهم وبكثافة ملحوظة، وإلا لو كانوا فئة قليلة لما كان لضجيجهم اثر يذكر.

3: وعن ابن شهر آشوب: (ثم برز أخوه القاسم __ ابن الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه __ وعليه ثوب وأزار ونعلان فقط وكأنه فلقة قمر وأنشأ يقول:

إني أنا القاسم من نسل علي *** نحن وبيت الله أولى بالنبى

من شمر ذى الجوشن أو ابن الدعى

فقتله عمر بن سعيد الأزدي فخر وصاح يا عماء، فحمل الحسين فقطع يده وسلبه أهل الشام من يد الحسين، فوقف الحسين على رأسه وقال: عز على عمك أن تدعوه فلا- يجيبك أو يجيبك فلا تنفكك إجابته(1) وقول الراوى (وسلبه أهل الشام من يد الحسين) دليل آخر على وجودهم وكثرتهم وإلا لم يستطيعوا سلبه من يد الإمام لو لم تبلغ كثرتهم مقدارا مكنهم من ذلك.

4: وأخرج القاضى النعمان المغربى قصة الشامى التى يروها الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه بنفسه حيث يقول: (فما فهمته وعقلته مع علتى وشدتها أنه أتى بى إلى عمر بن سعد. فلما رأى ما بى أعرض عنى، فبقيت مطروحا لما بى. فأتانى رجل من أهل الشام، فاحتلمنى، فمضى بى وهو يبكى، وقال لى: يا بن رسول الله، إنى أخاف عليك فكن عندى. ومضى بى إلى رحله وأكرم نزلى، وكان كلما نظر إلى يبكى. فكنت أقول فى نفسى إن يكن عند أحد من هؤلاء خير فعند هذا الرجل. فلما صرنا إلى عبید الله بن زياد سأل عنى. فقيل: قد ترك. وطلبت، فلم أوجد. فنادى مناد: من وجد على بن الحسين، فليأت به، وله ثلاثمائة درهم. فدخل على الرجل

الذى كنت عنده __ وهو ييكى __ وجعل يربط يدي إلى عنقي، ويقول: أخاف على نفسى يا بن رسول الله إن سترتك عنهم أن يقتلونى. فدفعتنى إليهم مربوطاً، وأخذ الثلاثمائة درهم وأنا انظر «إليه»(1).

هل كان الشمر لعنه الله من الخوارج؟

وجدت فى بعض البحوث والكتب المعاصرة وصفاً للشمر بن ذى الجوشن لعنه الله بأنه من الخوارج لعنة الله عليهم، كقول السيد شرف الدين الموسوى قدس الله روحه فى كتابه (صلح الإمام الحسن «عليه السلام») حيث يقول: (الخوارج: وهم أعداء على عليه السلام منذ حادثه التحكيم، كما هم أعداء معاوية. وأقطاب هؤلاء فى الكوفة: عبد الله بن وهب الراسبى، وشبث بن ربعى، وعبد الله بن الكواء، والأشعث بن قيس، وشمر بن ذى الجوشن...)(2).

وخالد محمد خالد فى كتاب (أبناء الرسول فى كربلاء) حيث يقول: (وكان مستشار ابن زياد لهذه الحملة الباغية، مسخ شائه الخلق والخلق، اسمه شمر بن ذى الجوشن. رجل مدخول الإسلام، انشقت عنه الأرض بغتة فى الأيام الأولى لفتنة الخوارج الذين ناصبوا الإمام عليا العدا.. فأدلى معهم بدلوه، عاملاً لحساب نفسه الخبيثة، أو لحساب قوة خفية شريرة. ومن تلك الأيام، وهو يكد للإسلام، ويخرب فى صفوفه متخفياً وراء ذلك القناع المشبوه، قناع انتمائه للخوارج وتسلمه له بمبادئهم إلى أغراضه المنكرة وأغراض القوى التى يعمل لحسابها...)(3).

وكالشيخ محمد السماوى فى كتابه (أبصار العين فى أنصار الحسين «عليه

1- شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى ج 3 ص 156 __ 157.

2- صلح الحسن عليه السلام للسيد شرف الدين ص 70.

3- أبناء الرسول فى كربلاء لخالد محمد خالد ص 108.

«السلام» حيث يقول: (شمر بن ذى الجوشن: بفتح الشين وكسر الميم ويجرى على الألسن ويمضى فى الشعر الحديث كسر الشين وسكون الميم وهو خلاف المضبوط، وذو الجوشن أبوه، واسمه شراحيل بن الأعور قرط بن عمرو بن معاوية بن كلاب الكلابى الضبابى، وهو قاتل الحسين «عليه السلام» وكان أبرص خارجيا)⁽¹⁾.

ولكن وللأسف الشديد لم نعثر على دليل تاريخى متين يمكن أن يُركن إليه فى إثبات انتماء الشمر بن ذى الجوشن الضبابى لعنه الله لفرقة الخوارج، والنصوص المتقدمة للسيد شرف الدين قدس الله روحه وغيره خالية عن ذكر الدليل التاريخى الذى اعتمده كدليل على انتماء الشمر لعنه الله للخوارج.

إضافة إلى أن واحدة من متبنيات الخوارج لعنهم الله الفكرية الأيدلوجية هى تكفير كل من أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجميع شيعته، وتكفير معاوية بن أبى سفيان لعنة الله عليهما وجميع آل أمية وشيعتهم عليهم لعنة الله أجمعين⁽²⁾، والشمر بن ذى الجوشن لعنه الله وإن كان يبغض أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأولغ فى دمائهم الطاهرة، إلا أنه كان يرى الطاعة والمعاضدة والنصرة والدفاع عن آل أمية، فعقيدة الخوارج غير متحققة بالنسبة للشمر بن ذى الجوشن لعنه الله، نعم هو خارجى بفعله، فلو كان قدر للخوارج أن ينالوا من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لما كانوا ليفعلوا أكثر من الذى فعله الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله، فهو لعنة الله عليه أموى الهوى والفكر خارجى الفعل.

1- أبصار العين فى أنصار الحسين «عليه السلام» للشيخ محمد السماوى ص 44 __ 45.

2- يقول محمد جعفر شمس الدين فى كتابه دراسات فى العقيدة الإسلامية: (ذهبوا __ أى الخوارج __ على اختلافهم إلى القول بتكفير مرتكب الكبيرة، وخلوده فى النار. بل ذهب بعض فرقهم، إلى تكفير مرتكب الذنب مطلقا، حتى ولو كان من الصغائر. كما حكموا بكفر كل ما خالفهم، وإن أطفال المشركين فى النار مع آبائهم).

نهاية الشمز بن ذى الجوشن لعنه الله على يد المختار الثقفى

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد متحدثاً عن ثورة المختار بن عبيد الثقفى وانتقامه من قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه: (ولم تنقض سنوات أربع على يوم كربلاء حتى كان يزيد قد قضى نحبه، ونجمت بالكوفة جريرة العدل التى حاقت بكل من مد يدا إلى الحسين وذويه...فسلط الله على قاتلى الحسين كفؤاً لهم فى النعمة والنكال يفلى حديدهم بحديده ويكيل لهم بالكيل الذى يعرفونه. وهو المختار بن أبى عبيدة الثقفى داعية التوابين من طلاب ثار الحسين. فأهاب بأهل الكوفة أن يكفروا عن تقصيرهم فى نصرته، وأن يتعاهدوا على الأخذ بثأره فلا يبقين من قاتليه أحد ينعم بالحياة، وهو دفين مذال القبر فى العراق.. فلم ينج عبيد الله بن زياد، ولا عمر بن سعد، ولا شمز بن ذى الجوشن، ولا الحصين بن نمير، ولا خولى بن يزيد، ولا أحد ممن أحصيت عليهم ضربة أو كلمة أو مدوا أيديهم بالسلب والمهانة إلى الموتى أو الأحياء.. وبالغ فى النعمة فقتل وأحرق ومزق وهدم الدور وتعقب الهاربين، وجوزى كل قاتل أو ضارب أو ناهب بكفاء عمله.. فقتل عبيد الله وأحرق، وقتل شمز بن ذى الجوشن وألقيت أشلاؤه للكلاب، ومات مئات من رؤسائهم بهذه المثالات وألوف من جندهم وأتباعهم مغرقين فى النهر أو مطاردين إلى حيث لا وزر لهم ولا شفاعة.. فكان بلاؤهم بالمختار عدلاً رحمة فيه، وما نحسب قسوة بالآثمين سلمت من اللوم أو بلغت من العذر ما بلغت قسوة المختار)(1).

وقال الشيخ الطوسى قدس الله روحه: (وطلب المختار شمز بن ذى الجوشن فهرب إلى البادية، فسعى به إلى أبى عمرة، فخرج إليه مع نفر من أصحابه فقاتلهم قتالاً شديداً فأثخنته الجراحة، فأخذ أبو عمرة أسيراً، وبعث به إلى المختار فضرب عنقه، وأغلى له دهناً فى قدر وقذفه فيها فتفسخ)(2) فلعنه الله ولعن من رضى بفعله إلى يوم القيامة آمين.

1- المجموعة الكاملة، العبقريات الإسلامية لعباس محمود العقاد ج 2 ص 271 ط دار الكتاب اللبنانى.

2- الأمالى للشيخ الطوسى ص 244.

لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِقِتَالِكَ الْمَبِحُثِ الْأَوَّلِ: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ

2: أُمَّةً أَسْرَجَتْ

3: وَأَلْجَمَتْ

4: وَتَنَقَّبَتْ

5: وَتَهَيَّأَتْ

6: لِقِتَالِكَ

المبحث الثالث: لماذا لعنت هذه الأصناف مع أنها لم تباشر القتال؟

القسم الأول: لو همّ المكلف بما يكون مشتركا ما بين الحلال والحرام من دون القصد إلى جهة الحرام فيه

القسم الثاني: لو همّ المكلف بما هو محرم، أو همّ بما يكون مشتركا بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، مع عدم إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل

القسم الثالث: لو همّ المكلف بما هو محرم، أو همّ بما يكون مشتركا بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، ومع إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل

وَلَعْنِ اللّٰهُ اُمَّةً اَسْرَجَتْ وَاَلْجَمَتْ وَنَقَبَتْ وَنَهَيْتْ لِقِتَالِكَ

اشارة

فى هذه الفقرة الشريفة كغيرها من الفقرات مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتى:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

وردت الألفاظ التى فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة فى عدة زيارات أخرى نذكر منها على سبيل المثال ما يأتى:

ما ذكره محمد بن المشهدى قدس الله روحه فى كتاب المزار حيث روى زيارة لأبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فى يوم عرفة لمن لم يمكنه حضور الموقف للحج وقدر على إتيان قبره فى كربلاء جاء فيها: (السلام عليك يا أبا عبد الله، عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، الموالى لوليک، المعادى لعدوك، استجار بمشهدك، وتقرب إليك بقصدك... فلعن الله أمة أسرجت وألجمت ونهيات لقتالك، يا مولاي يا أبا عبد الله قصدت حرمك وأتيت مشهدك، اسأل الله بالثار الذى لك عنده، والمحل الذى لك لديه ان يصلى

على محمد وآل محمد وان يجعلنى معكم فى الدنيا والآخرة(1).

وما ذكره السيد ابن طاوس قدس الله روحه فى إقبال الأعمال حيث روى ما نصه: (إذا كنت بمشهد الحسين عليه السلام فى يوم عرفة، فاغتسل غسل الزيارة والبس أطهر ثيابك وطهر عقلك وقلبك مما يقتضى الإبعاد بعقابك وعتابك، لتكون طاهرا من الأذناس، فيصح لك أن تقف بباب طاهر من الأرجاس، واقصد مقدس حضرته وقف على باب حرمه وكبر الله تعالى وقل: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا... غدتك يد الرحمة ورضعت من ثدى الإيمان، وربيت فى حجر الإسلام، والنفس غير راضية بفراقك، ولا شاكة فى حياتك، صلوات الله عليك وعلى آبائك وأبنائك. السلام عليك يا صريع العبرة الساكبة، وقرين المصيبة الراجعة، لعن الله أمة استحلت منك المحارم... فلعن الله أمة أسرجت وألجمت وتهيأت لقتالك(2).

ويمكن أن يستدل على لعنهم أيضا بالحديث المروى عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذى رواه أبو هريرة قال: (نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم(3) فإذا كان حربهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأمة التى أسرجت وألجمت وتنقبت وتهيأت لقتالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو لقتال احدهم كأنها فى واقع حالها وحقيقة أمرها قد أسرجت وألجمت والتنقبت وتهيأت لقتال نفس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والإسراج والإلجام وتنقبت وتهيأت لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظلم بل كفر

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 462__463.

2- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 2 ص 64.

3- المستدرک للحاکم النيسابورى ج 3 ص 149، قال الحاکم بعد ذکر هذا الخبر: (هذا حديث حسن من حديث أبي عبد الله أحمد بن حنبل عن تليد بن سليمان فإني لم أجد له رواية غيرها).

وفساد فى الأرض بإجماع المسلمين، والظالم والكافر والمفسد يجوز لعنه بنص القرآن الكريم قال تعالى: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشِدَّاءُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)) (1)، وقال تعالى: ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّ مَهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)) (2)، وقال تعالى: ((الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) (3).

ويمكن الاستدلال على جواز وصحة لعنهم بأن فى الإسراج والإلجام والتنقب والتهيب لقتال ذرية النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعترته واعز الناس وأحبهم إليه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أذى يقينياً لشخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، للحديث المروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم والذى يقول فيه: (ما بال أقوام يؤذون رحمى، ألا- من أذى نسبى فقد آذانى، ومن آذانى فقد أذى الله) (4)، وإدخال الأذى على شخص الرسول الأكرم محرم بنص الكتاب العزيز ويستحق صاحبه الدخول فى زمرة الملعونين كما قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)) (5).

ويمكن أيضا الاستدلال على صحة وجواز لعنهم بأن فى الإسراج والإلجام وغيرها من الأفعال المشينة التى صدرت من هذه الأمة أذى يقينياً لأفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عامة وشخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه على وجه الخصوص،

1- سورة هود الآية رقم 18.

2- سورة محمد الآية رقم 22 ___ 23.

3- سورة البقرة الآية رقم 161.

4- نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 233.

5- سورة الأحزاب الآية رقم 57.

وهو وإياهم من المؤمنين بل من سادات المؤمنين وقادة المسلمين، وأذاهم محرم بنص كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: ((وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)) (1).

وكذلك يجوز لعنهم لانتفاء الإيمان عنهم ودخولهم في زمرة الكافرين أو المنافقين أو النواصب وكل هؤلاء يجوز لعنهم، وأما دليل انتفاء الإيمان عنهم فلقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، ويكون ذاتي أحب إليه من ذاته) (2) ومحبة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وعترته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا تتوافق بل وتتناقض مع الإسراج والإلجام والتتقب والتثيؤ لقتالهم، فتنفى هذه المحبة حينئذ وإذا انتفت المحبة انتفى أصل الإيمان واستوجب فاعله الخلود في النار (3).

وهم ملعونون أيضا بأدلة كررناها فيما سبق فليرجع إليها من يريد التفصيل.

1- سورة الأحزاب الآية رقم 58.

2- نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 233.

3- وقد قال ابن حبان في (صحيح ابن حبان ج 15 ص 433 __ 435) (بأن محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم مقرونة بمحبة فاطمة والحسن والحسين وكذلك بغضه ببغضهم أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا مالك بن إسماعيل عن أسباط بن نصر عن السدي عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم ذكر إيجاب الخلود في النار لمبغض أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبرنا الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقعة قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا سليم بن حيان عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار).

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ

الواو هنا عاطفة، وباقي الجملة قد مر توضيحه مرارا في فقرات سابقة يرجع إليها من أراد التفصيل.

2: أُمَّةٌ أُسْرَجَتْ

ذكرنا في شرح فقرة (فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) من هذه الزيارة الشريفة، ان هنالك عدة معانٍ قد وردت في كتب اللغة والمعاجم لكلمة أمة منها:

أ: هي الجماعة من الناس (1)، وقد تكون هذه الجماعة قليلة، وقد تكون كبيرة عظيمة.

ب: وقد تطلق على الشخص المفرد الذي يدين بدين ما لوحده (2).

ج: وقد تطلق على الطريقة والدين (3).

د: وقد تطلق على القدوة والإمام (4). وقد يكون هذا القدوة والإمام فرداً واحداً وقد يكونوا جماعة، وهذا هو الفارق بين هذا المعنى والمعنى الثاني.

هـ: وقد تطلق على الحين والزمان (5).

1- مجمع البحرين ج 1 ص 106.

2- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 27.

3- الصحاح للجوهري ج 5 ص 1864.

4- معجم مقاييس اللغة ج 1 ص 27.

5- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 27.

والذى يتناسب مع فقرة (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَدَ رَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِقِتَالِكَ) هو المعنى الأول والرابع، فعلى المعنى الأول يصبح معنى الفقرة الشريفة من الزيارة هو (ولعن الله الجماعة التي أسرجت وألجمت و... لقتالك)، وعلى المعنى الرابع (ولعن الله أول من أسرج وألجم وتنقب وتهيا لقتالك وكان قدوة لغيره في هذه الأوصاف وإماما لغيره حيث أسرجوا حينما أسرج وألجموا حينما ألجم وتنقبوا حينما تنقب وتهياؤا حينما تهايا لقتالك) وباقي المعانى لكلمة الأمة قابلة للانطباق أيضا بتقريب قد مر ذكر تطبيقاته في فقرة (فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَدَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ النَّبِيِّتِ).

و(أَسَدَ رَجَتْ) مأخوذة من إسراج الدابة، ويكون بوضع الرحل أو السرج الذى يجلس عليه الفارس على ظهرها، قال ابن منظور: (سرج: السرج: رحل الدابة، معروف، والجمع سروج. وأسرجها إسراجا: وضع عليها السرج)⁽¹⁾، وقال الزبيدي في تاج العروس: (والسرج: رحل الدابة، معروف... والجمع سروج. وهو عربى... وأسرجتها: شددت عليها السرج فهي مسرج)⁽²⁾.

وقد يراد من الإسراج هنا المعنى المجازى وهو الزينة أو تحسين صورة الشيء، وهو كقول القائل (الشمس سراج النهار، والهدى سراج المؤمنين. وسرج الله وجهه وبهجه أى حسنه)⁽³⁾ فيكون المعنى (ولعن الله امة زينت فى أعين الناس وحسنت قتالك فتجرؤوا على ارتكابه بعد ان كان عند الله سبحانه وتعالى وعند المسلمين عظيما).

1- لسان العرب لابن منظور ج 2 ص 297.

2- تاج العروس للزبيدي ج 3 ص 402.

3- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 6 ص 53.

3: وَالْجَمْتُ

الواو هنا عاطفة والجملة بالأصل هي (وَلَعَنَّ اللَّهُ أُمَّةً أَلْجَمْتُ لِقِتَالِكَ)، و(أَلْجَمْتُ) مأخوذة من الإلجام ويكون بوضع اللجام في فم الدابة ليسهل على الراكب قيادتها وتوجيهها حيثما يريد، واللجام كما جاء في كتب المعاجم واللغة: (هي الحديدية في فم الفرس، ثم كثر في كلامهم حتى سمو اللجام بسيوره وآلته لجاما، ففيه الشكيمة وهي الحديدية المعترضة في الفم، والفأس وهي الحديدية القائمة في الفم، والمسحل وهي حديدة تحت الحنك، والخطافان وهما حديدتان معوجتان في المسحل، والشكيمة من عن يمين وشمال، والفراشتان، وهما حديدتان تشد بهما أطراف العذارين، والحكمة وهي حلقة تحيط بالمرسن، والحنك من فضة أو حديد(1).

4: وَتَنْقَبْتُ

الواو عاطفة والجملة بالأصل هي (وَلَعَنَّ اللَّهُ أُمَّةً تَنْقَبْتُ لِقِتَالِكَ)، و(تَنْقَبْتُ) قد ورد في معناها عدة آراء نختار منها ما نراه محتملا ومتسقا مع أجواء الزيارة:

ألف: يحتمل أنها مأخوذة من النقاب الذي تلبسه المرأة لتستر به وجهها، قال الفراهيدي في كتابه العين: (والنقاب: ما انتقبت به المرأة على محجرها)(2).

وقال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: (ونقاب المرأة بالكسر، والجمع نقب ككتاب وكتب. وانتقبت وتنتقت: غطت وجهها بالنقاب)(3).

وقال محمد قلجى في معجم لغة الفقهاء: (النقاب: ... ستر الوجه كله وظهور

1- تاج العروس للزبيدي: ج 17، ص 638.

2- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 5 ص 180.

3- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 358.

محجر العين(1)

والظاهر ان العرب وربما غيرهم كان متعارفا عندهم تغطية الوجه وترك العينين مكشوفتين عند الحرب، فالتستر بهذه الطريقة لضمان الحيلولة دون كشف هويتهم الحقيقية للطرف الخصم، حتى لا- يُكمن لهم ويُغدر بهم على غفلة، أو لحماية مجاريهم التنفسية من أن يدخل فيها الغبار الكثيف المتطاير من اثر حركة الأرجل أو حركة الخيول في ساحة المعركة، فيتسبب في إعاقة قدراتهم القتالية، وقد تنبه العلامة المجلسي قدس الله روحه إلى هذا الأمر فقال في كتابه بحار الأنوار: (وتنقبت: لعله كان النقاب بينهم متعارفا عند الذهاب إلى الحرب، بل إلى مطلق الأسفار حذرا من أعدائهم لئلا يعرفوهم فهذا إشارة إلى ذلك)(2) فيصبح معنى العبارة وفقا لهذا التفسير هو(ولعن الله امة سترت وجوهها وخاصت غمار الحرب وزحفت لقتالك).

باء: ولعل (تَنَقَّبَتْ) هو ترأست من الرئاسة والتسلط، وتكون مأخوذة من (نقب فلان على بنى فلان فهو ينقب نقبا، فإذا أريد أنه لم يكن نقيباً فصار نقيباً، قيل: قد نقب فهو ينقب نقابة)(3)، وقد ادعى القرطبي في تفسيره ان هنالك إجماعاً على أن معنى النقيب هو: (كبير القوم، القائم بأموارهم الذي ينقب عنها وعن مصالحهم فيها)(4)، أما الشيخ الطوسي قدس الله روحه فصرح بان: (نقيب القوم: كالكفيل والضمين، ينقب عن الأسرار، ومكنون الإضمار)(5).

1- معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعي ص 486.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 98 ص 301 __ 302.

3- جامع البيان لابن جرير الطبري ج 6 ص 203.

4- تفسير القرطبي ج 6 ص 112.

5- تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج 3 ص 294.

ولا شك في ان فقرة (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً تَنَقَّبَتْ لِقَتَالِكَ) لو فسرناها بهذا المعنى فستكون ناظرة إلى من تولى النقابة وكفل وضمن لابن زياد عليه لعائن الله أو يزيد بن معاوية عليهما لعائن الله مشاركته ومشاركة قومه بقتال الإمام الحسين عليه السلام وحره.

وذلك لان الجمهور الأعظم من الناس في ذلك الوقت كانوا تبعاً لساداتهم ورؤسائهم وكبرائهم، فإذا ما شارك احد هؤلاء السادة والكبراء بأمر أو عزم على فعل اتبعه الذين هم تحت يديه اتباعاً لا يسأل عن سبب ولا هم يعاتبون.

وابن مرجانة لعنه الله حينما جاء إلى الكوفة بأمر من يزيد بن معاوية لعنة الله عليهما استغوى واستدرج واشترى ذمم هؤلاء الكبراء والنقباء لعلمه القاطع ان هؤلاء الأرجاس لو تم شراء ذممهم لتم له السيطرة على من هم تحت أيديهم من أفراد قبائلهم.

ومن أمعن النظر حول التركيبة الاجتماعية لمجتمع الكوفة وغيره في ذلك الوقت يجد أن الدولة حتى يمكن لها أن تسيطر على عامة الناس قسمتهم إلى أرباع وجعلت على كل ربع نقيباً أو رئيساً، فكانت تبلغ أوامرها ونواهيها لهذا الرئيس وهو بدوره ينقلها إلى من تحت يديه من الناس، وقد تعارفت تسميتهم تاريخياً باسم (رؤساء الأرباع) وعمر بن سعد وابن مرجانة عليه لعنة الله حينما أرادا تسيير الناس وتجهيزهم لقتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، جعلوا الجيش أربعة أقسام على عدد أرباع أهل الكوفة، فعن الطبري في تاريخه قال: (لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على ربع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين إلا

الحر بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين وقتل معه(1)، فتكون عبارة الزيارة الشريفة لو فسرناها بهذا المعنى ناظرة إلى لعن هؤلاء الرؤوس الضالة الذين اشتركوا فصاروا سببا لمشاركة من تحت أيديهم، وقاتلوا فقاتل من هو تحت وصايتهم، فلعنهم الله جميعا ولعن رؤوس أرباعهم إلا- الحر بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه، لتوبته وقاتله ودفاعه واستشهاده بين يدي مولاه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

جيم: ولعل (تَنَقَّبْتُ) مأخوذة من التنقيب والبحث والتفتيش عن الأخبار والأحوال، قال ابن منظور في لسان العرب: (نقب عن الأخبار: أخبر بها. وفي الحديث: إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس أى أفتش وأكشف)(2).

وعبارة الزيارة الشريفة لو فسرناها بهذا المعنى فستكون شاملة لمن كان يمارس دور التجسس وكشف الأسرار والتفتيش عن كل ما ينفذ السلطة الغاشمة ويشدد الخناق على الثورة الحسينية وقيادتها، وهؤلاء كانوا من الكثرة بمكان، فالسلطة الأموية وضعت العيون والرصد منذ اليوم الأول لخروج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من المدينة حتى آخر لحظة من لحظات عمره الشريف، يعدون عليه كل صغيرة وكبيرة، ويسجلون من يتصل به، ومن يتعاون معه، ومن يقدم له المساعدة، ومن يدعو لنصرته، في الكوفة وخارجها، ومن ينوى الالتحاق به والخروج إليه، وغير ذلك، فالجواسيس كما عرفنا في شرح العبارات السابقة من الزيارة هم الذين كتبوا إلى يزيد بن معاوية عليهما لعنة الله بأمر مسلم بن عقيل عليه السلام، وهم الذين حذروه من مغبة انقياد الكوفة إليه، وخروجها عن أيدي السلطة

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 320 __ 321 أحداث سنة إحدى وستين ذكر أسماء من قتل من بنى هاشم مع الحسين عليه السلام وعدد من قتل من كل قبيلة من القبائل التي قاتلته.

2- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 769.

الأموية، والجواسيس هم الذين فشقوا لابن مرجانة لعنه الله مكان ومحل اختفاء مسلم ابن عقيل عليه السلام فاعتقل هو وهاني بن عروة رضوان الله تعالى عليهما وقتلا أشع قتلة، والجواسيس هم الذين خذلوا الناس عن نصره الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وخوفوهم جيش الشام وبثوا الرعب والخوف في قلوبهم حتى أرجعوهم على الأعقاب، والجواسيس هم الذين أوصلوا كل صغيرة وكبيرة إلى ابن مرجانة بخصوص مسير الإمام الحسين ومن معه وكم عددهم ومن لحق به من أهل الكوفة وأخبار الواقعة لحظة بلحظة إلى آخر رمق للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والجواسيس هم الذين استمروا بنقل أخبار عمر بن سعد لعنه الله ومدى انقياده والتزامه بتنفيذ الأوامر الموجهة إليه، وغير ذلك من آلاف الموبقات التي ارتكبها هذا الصنف الحقيير المأجور، الذي لعب دورا هاما في إدارة كفة الصراع ضد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونهضته المباركة.

دال: ولعل معنى (تَنَقَّبْتُ) هو أخذت طرق الأرض وفجأها ومنعت الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من المسير والنجاة بنفسه وبأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتكون مأخوذة من النقب (بفتح النون والقاف بعدها... قال ابن وهب المراد بها المداخل وقيل الأبواب وأصل النقب الطريق بين الجبلين وقيل الانتقاب الطرق التي يسلكها الناس ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد)(1).

أو هي: (مداخل المدينة أبوابها وفوهات طرقها)(2)، و (قيل: هي أبوابها وفوهات طرقها التي يدخل إليها منها)(3).

1- فتح الباري لابن حجر ج 4 ص 82.

2- مقدمة فتح الباري لابن حجر ص 193.

3- عمدة القارى للعيني ج 10 ص 243.

وقد تبين في بحوث سابقة ان يزيد بن معاوية وابن مرجانة لعنه الله أمرا أن يحال بين الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبين ان يدخل ارض الكوفة، فأرسلا إليه الحر بن يزيد الرياحي وأمره ان يجعجج بالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يسوقه إلى ارض مقفرة وان ينزله على غير ماء ولا سواد من الناس، تمهيدا لشن الهجوم الحاسم واستتصاله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأمره بعد ذلك ان يسير إليه عمر بن سعد لعنه الله بأربعة آلاف محارب، وألحقوه أربعة آلاف أخرى بإمرة شمر بن ذى الجوشن الضبابي لعنه الله، وبقيت العسكر تتوافر عليه بخيلها وسلاحها، وتسد منافذ الأمل في وجهه ووجه أصحابه وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حتى توسطوه وأحاطوا به من كل حدب وصوب، فصار لا أمل له بان ينفذ إلى الخارج، ولا يستطيع احد ممن يريد نصرته الوصول إليه والقصد نحوه، وأمر ابن مرجانة لعنه الله بنصب المسالحي وهي أشبه بفرق الموت في عصرنا الحاضر، على أبواب الكوفة وفي طرقاتها وعلى الطرق المؤدية منها واليها، لا يجدون أحداً تخلف عن الجيش الباغي، أو قصد نحو الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لنصرته إلا أخذوه وقتلوه، فتكون هذه الفقرة الشريفة من الزيارة ناظرة إلى كل من حال دون وصوله إلى مأمنه، والنجاة بنفسه وأهل بيته وأصحابه، واخذ دونه الأبواب والطرق والمسالك لعنهم الله جميعا بما جنوه واقترفوه.

هذه أهم الوجوه لعبارة (تَنَقَّبْتُ) وقد تركنا وجوها أخرى لعدم أهميتها أو لدخولها تحت احد الوجوه التي ذكرناها آنفا.

5: وَتَهَيَّأْتُ

الواو هنا عاطفة وما بعدها معطوف على ما سبق، والعبارة بالأصل هي: (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً تَهَيَّأَتْ لِقِتَالِكَ)، ويمكن لنا ان نتصور للفظ عدة معانٍ محتملة منها:

ألف: قد يكون معنى (تَهَيَّأْتُ) هو الاستعداد أو الإعداد لمقدمات الفعل التي لولاها لما تم، قال الفراهيدي: (والعدة: ما يعد لأمر يحدث فيدخر له. وأعددت الشيء: هيأته)(1). وقد عرف الإعداد في الاصطلاح بأنه: (ما يلزم من مجموع وجوده وعدمه الوجود)(2).

باء: وقد يكون لفظ (تَهَيَّأْتُ) مأخوذاً من التجهيز، إذ إن واحدة من معاني التجهيز هو التهيؤ، قال محمد قلعي في معجم لغة الفقهاء: (التجهيز: التهيؤ لأمر ما... ومنه تجهيز المجاهد: تهيئته للحرب بتدريبه وتزويده بالكراع والسلاح، وتجهيز الميت: تهيئته للدفن بتغسيه وتكفينه)(3).

ولو أخذنا التهيؤ بمعنى إعداد مقدمات الفعل أو التجهيز لأمر ما، فستكون العبارات السابقة واقصد بها عبارات (أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَقَبَّتْ) من مصاديق التهيؤ، ويكون التهيؤ معنى عاماً شاملاً لكل هذه المصاديق.

جيم: وقد يكون بمعنى استتباب الأمر، قال الفراهيدي: (واستتب له الأمر أى تهيأ)(4).

ولا يخفى ان كلا- من المعنيين الأ-خيرين يرجعان إلى المعنى الأول؛ لان التجهيز هو عين الإعداد، والاختلاف بينهما لفظي لا غير، واستتباب الأمر كذلك لان الاستتباب لا يكون ما لم تكتمل جميع مقدمات الفعل وإعداداته. فيكون معنى عبارة الزيارة الشريفة وفقاً للمعاني السابقة هو: (ولعن الله امة استعدت وأعدت

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 1 ص 79.

2- تقريرات آية الله المجدد الشيرازي للمولى علي الروزدرى ج 2 ص 231.

3- معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعي ص 122.

4- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 8 ص 111.

المقدمات التي أدت لقتالك، فجهزت العدة والعدد وسائر الأسباب الأخرى حتى استتب لها أمر قتالك).

دال: وقد يكون لفظ (تَهَيَّأْتُ) مأخوذاً من معنى تشوقت، قال ابن منظور في لسان العرب: (وهاء إلى الأمر يهأه هيئة: اشتاق) (1) فيكون معنى الفقرة الشريفة من الزيارة هو: (ولعن الله أمة اشتاقت لقتالك).

6: لِقَاتِكَ

الظاهر ان اللام (2) في لفظ (لِقَاتِكَ) قد جاءت هنا بمعنى (التعليل) مثلها مثل قول القائل (زرتك لشرفك) أى ان شرفك وعلو منزلتك هو علة زيارتي لك، فيكون معنى الفقرة الشريفة من الزيارة هو: (ان قتالك هو العلة والسبب الذى من اجله تنقبت هذه الأمة وأسرجت وألجمت وتهيات فاستحقوا اللعن من الله والعذاب الأليم).

وقد جزم البعض بأن (معنى اللام فى الأصل، هو الاختصاص. وهو معنى لا يفارقها، وقد يصحبه معانٍ آخر، وإذا تؤملت سائر المعانى المذكورة وجدت راجعة إلى الاختصاص. وأنواع الاختصاص متعددة، ألا ترى ان من معانيها المشهورة التعليل، قال بعضهم: وهو راجع إلى معنى الاختصاص، لأنك إذا قلت جئتك للإكرام دلت اللام على ان مجيئك مختص بالإكرام. إذ كان الإكرام سببه، دون غيره) (3)، فيصبح معنى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة فيما لو أخذنا اللام فيها بمعنى

1- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 189.

2- قال الحسن بن قاسم المرادى فى كتابه الجنى الدانى فى حروف المعانى ص 95: (اللام حرف كثير المعانى والأقسام. وقد افرد لها بعضهم تصنيفاً، وذكر لها نحواً من أربعين معنى...).

3- الجنى الدانى فى حروف المعانى ص 109.

الاختصاص هو: (ان الإسراج والإلجام والتنقب والتهيو من هذه الأمة الملعونة مختص بقتالك، إذ كان القتال سببه دون غيره).

واما (الكاف) في (لِقَاتِلِكَ) فضمير متصل يشير إلى شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، أما لماذا خصت الزيارة الشريفة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقولها (لقتالك) ولم تقل (لقتالكم) بحيث يشمل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية أفراد أهل بيته وإخوته وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين، فلان المقصود الرئيس والأساس من ذلك الإعداد والتحشيد لذلك الجيش الجرار الذى شكله يزيد بن معاوية وابن مرجانة وعمر بن سعد لعنهم الله هو القضاء على شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، دون غيره، ومن تبقى من أهل بيته وأولاده وأصحابه مطلوب من قبلهم بالتبع، وإنما جرى عليهم ما جرى بسبب نصرتهم له ووقوفهم فى صفه، ولالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ليلة عاشوراء تصريح مهم يوضح هذه الحقيقة وأبعادها، قال الشيخ الصدوق قدس الله روحه: (فلما وصل الكتاب إلى عمر بن سعد «لعنه الله»، أمر مناديه فنادى: إنا قد أجلنا حسينا وأصحابه يومهم وليلتهم، فشق ذلك على الحسين «عليه السلام» وعلى أصحابه، فقام الحسين «عليه السلام» فى أصحابه خطيبا، فقال: اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أظهر من أهل بيتي، ولا أصحابا هم خير من أصحابي، وقد نزل بى ما قد ترون، وأنتم فى حل من بيعتى، ليست لى فى أعناقكم بيعة، ولا لى عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، وتفرقوا فى سواده، فإن القوم إنما يطلبوننى، ولو ظفروا بى لذهلوا عن طلب غيرى)(1).

وقال الطبرى: (فلما كان الليل قال هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا فى سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فإن القوم إنما يطلبونى ولو قد أصابونى لهوا عن طلب غيرى فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر لم نفعل؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً بدأهم بهذا القول العباس بن على) (1) وفى هذين النصين دلالة واضحة على ان القوم كانوا يقصدون بالأساس قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لكنهم لما تيقنوا بأنهم لن يصلوا إليه إلا بقتل أهل بيته وأصحابه وأولاده بدأوا بهم فاستأصلوهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.

وأما (قتال) وهو بكسر القاف مصدر قاتل، وقد أوردنا فى عبارة سابقة من عبارات الزيارة ان له معانى متعددة منها:

ألف: قال محمد القلعجى: (القتال بكسر القاف مصدر قاتل، ويقصد به الحرب والمدافعة بالسلح) (2) سواء أدت هذه المدافعة إلى القتل وإزهاق النفس أو لم تؤدى، وذلك لان القتال أعم من القتل قال ابن منظور فى لسان العرب: (وليس كل قتال بمعنى القتل) (3).

باء: وقد يأتى القتال بمعنى القتل، واللعن، والإبعاد (4)، أو بمعنى إنزالهم منزلة المقتول الهالك لا يعتد بوجودهم ولا يؤخذ بقولهم.

1- تاريخ الطبرى ج 4 ص 317 __ 318.

2- معجم لغة الفقهاء لمحمد القلعجى ص 357.

3- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 549، تاج العروس للزبيدى ج 15 ص 609، النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج 4 ص 13.

4- المصدر السابق.

المبحث الثالث: لماذا لعنت هذه الأصناف مع أنها لم تباشر القتال؟

إشارة

الذى يظهر من المعنى اللغوى السابق ان هذه الأصناف الأربعة وأقصد بهم كل من أسرج وألجم وتنقب وتهياً لم يشتركوا فى القتال أصلاً، أو أنهم اشتركوا ولم يباشروه، إذ لو كانوا قاتلوا وباشروا الحرب لما صح إطلاق وصف (تهيات) عليهم لان المباشر للقتال لا يقال عنه متهياً ألبتة، وكذلك من قاتل وسفك الدم لا يعير أو يعاب عليه بأنه قد أسرج وألجم وتنقب، لان سفكه للدم الحرام أعظم من إسراجه وإلجامة وتنقبه، إذن فهذه الفقرة الشريفة من الزيارة تتحدث عن فئة من الأمة لم تشارك فى القتال أو أنها شاركت ولكنها لم تباشر ذلك بنفسها، والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: لماذا لعنت هذه الأصناف بالرغم من عدم مشاركتها أو مشاركتها وعدم مباشرتها للقتال والقتل؟ مع ان النصوص الشريفة من العامة والخاصة تصرح بأن من هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ولا يحاسب عليها.

ومن هذه النصوص ما عن الكافى عن ابن بكير، عن أبى عبد الله أو عن أبى جعفر (عليهما السلام) قال: (إن آدم (عليه السلام) قال: يا رب سلطت على الشيطان وأجريتته منى مجرى الدم فاجعل لى شيئاً، فقال: يا آدم جعلت لك أن من همّ من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة ومن همّ منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة فإن هو عملها كتبت له عشرًا(1)).

وقد عد الشيخ الصدوق ذلك من جملة اعتقادات الإمامية فقال قدس الله روحه: (اعتقادنا فى ذلك أنه ما من عبد إلا وله ملكان موكلان به يكتبان عليه جميع أعماله. ومن همّ بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة، فإن عملها كتب له عشر حسنات، وإن همّ بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإن عملها كتب عليه سيئة واحدة. والملكان

1- الكافى للكلينى ج 2 ص 440 باب فيما أعطى الله عز وجل آدم عليه السلام وقت التوبة الحديث رقم 1.

يكتبان على العبد كل شيء حتى النفخ في الرماد(1).

ومن طرق العامة ما أخرجه جلال الدين السيوطي في الدر المنثور عن كل من: (ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال من همّ بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها)(2).

والجواب عن هذه الشبهة يكمن في فهم أقسام الهمّ بالسيئة، والفرق ما بين الهمّ الذي تحدثت عنه الأحاديث السابقة وبين التهيؤ والتتقب الذي تحدثت عنه الفقرة الشريفة من الزيارة، ومن هذه الأقسام ما يأتي:

القسم الأول: لو همّ المكلف بما يكون مشتركاً ما بين الحلال والحرام من دون القصد إلى جهة الحرام فيه

كمن همّ بشراء سيف من شأنه الاستعمال في الجهاد أو قتل النفس المحترمة، أو بنى سطحاً أو منارة تصلح للأذان ولإلقاء مؤمن من عليها، مع عدم قصده للقتل والإلقاء، إلى غير ذلك مما لا يحصى، ولا خلاف بين المسلمين ان همّاً نفسائياً كهذا لا يعاقب عليه المكلف، ولا يذم ولا يعد قبيحاً.

القسم الثاني: لو همّ المكلف بما هو محرم، أو همّ بما يكون مشتركاً بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، مع عدم إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل

كمن همّ بالزنا ولم يفعل، أو كمن همّ بشراء سيف ليقتل مؤمناً لكنه لم يحرك عضلاته لشرائه، أو همّ بشراء سلم ليصعد عليه لسرقة دار احد جيرانه لكنه لم

1- الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص 68 باب الاعتقاد فيما يكتب على العبد.

2- الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج 4 ص 352

يفعل، أو هم بشراء عنب ليعمله خمرا ولكنه لم يفعل، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، وهذا القسم وإن كان قبيحا عقلا وشرعا إلا إن الله سبحانه تفضل على عباده بأن لم يؤاخذهم على ما همّموا به ولم يعملوه، وهذا القسم هو الذى تحدثت عنه روايات من همّ بسينة ولم يعملها والتي سبق ذكر بعض منها.

وربما فصل البعض أكثر فقال: (إن الذى فى النفس على قسمين؛ وسوسة وعزائم، فالوسوسة: هى حديث النفس وهو المتجاوز عنه فقط، وأما العزائم: فكلها مكلف بها، وأما قوله لم يكتب عليه فعائد إلى المفهوم به لا على العزائم إذ مالا يفعل لا يكتب وأما العزم فمكلف به لقوله يحاسبكم به الله)(1).

وربما قسم البعض الآخر الخواطر وما يهيم به الإنسان إلى قسمين؛ الأول ما يوطن الإنسان نفسه على إتيانه وهو غير معفو عنه، والثانى ما لم يوطن الإنسان نفسه عليه وهو المعفو، قال (القاضى أبو بكر بن الطيب: إن الإنسان يؤاخذ بما وطن عليه بضميره، وعزم عليه بقلبه من المعصية)(2) وقال القرطبي بعد ذكره لكلام القاضى أبى بكر بن الطيب ما نصه: (وهذا الذى صار إليه القاضى هو الذى عليه عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، ولا يلتفت إلى خلاف من زعم أن ما يهيم الإنسان به وإن وطن عليه لا يؤاخذ به. ولا حجة له فى قول عليه السلام: «من هم بسينة فلم يعملها لم تكتب عليه فإن عملها كتبت سينة واحدة» لان معنى «فلم يعملها» فلم يعزم على عملها)(3).

أقول: الذى يظهر لى وبعد تتبعى لنصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة

1- شرح سنن النسائي لجلال الدين السيوطى ج 6 ص 157.

2- تفسير القرطبي ج 4 ص 215.

3- المصدر السابق.

المطهرة ومعاجم اللغة، ان الهم بالشىء اعم من العزم فيشمل العزم وغيره، قال ابن منظور فى لسان العرب: (وهم بالشىء بهم هما: نواه وأراده وعزم عليه)(1)، بل ربما أطلق لفظ (الهم أو الهمة) فى النصوص القرآنية والروائية وأريد بها العزم، نظير قوله تعالى: ((يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا))(2) والآية كما هو المشهور نزلت فى طائفة عزموا على أن يغتالوا سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فى سفر(3)، وكقوله سبحانه وتعالى فى التى راودت نبى الله يوسف صلوات الله وسلامه عليه عن نفسه ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ))(4) والإجماع قائم على أنها عزمت على إغوائه، ولم تكتف بحديث النفس، ومنها ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْتُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ))(5) قال أبو هلال العسكري فى معجم الفروق اللغوية: (أى صمموا النية وعزموا عليه، فيرادف العزم)(6) إلى غير ذلك من شواهد كثيرة تؤكد على ان الهم بالشىء يشمل العزم وغيره، نعم يمكن ان يعدّ العزم آخر مرحلة من مراحل الهم بالشىء، إلا ان ذلك لا يمنع من دخوله تحته وشموله به، فإذا كان كذلك شملته أحاديث (من همّ بسينة) التى سبق ذكرها فى بداية هذا المبحث، فلا داعى حينئذ لإخراجهم العزم من عموم تلك الأحاديث.

ولكن ينبغى التأكيد على ان ليس مطلق الهم أو العزم لا يحاسب عليه ولا يؤاخذ الإنسان عليه، فالأعمال كما هو معلوم على قسمين، فمنها ما هو قلبى

-
- 1- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 620: 621.
 - 2- سورة التوبة الآية رقم 74.
 - 3- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 620: 621.
 - 4- سورة يوسف الآية رقم 24.
 - 5- سورة المائدة الآية رقم 11.
 - 6- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري ص 356 __ 357.

كالإيمان والكفر والنفاق، والتولى والتبرى، والمحبة والعداوة، والرضا والسخط، وغير ذلك مما لا يحصى ذكره، وهذا القسم قوامه وأساسه هو العزم والنية وتوطين النفس، إذ ليس الكفر إلا إنكار القلب وتوطين النفس على الجحود بالله وبرسله وإنكار الشرائع والكتب، ولا خلاف بين المسلمين بأن من همّ أو عزم على شيء من هذا وغيره من معاصي القلب والباطن، لا يعفى عنه ولا يكون مشمولاً بأحاديث من همّ بسيئة، فمن هم وعزم على الكفر كفر وإن لم يظهر ذلك على أفعاله، ومن أحب عمل قوم سخط الله عليهم عد منهم، ومن سخط على قوم تولاهم الله خرج عن الصراط السوى.

ومن الأعمال ما يحتاج إلى حركة البدن وإعمال العضلات إضافة إلى النية والعزم وهي من الكثرة ما لا تحصى، كالسرقة والزنا وشرب الخمر وغير ذلك، فهذه الأعمال السيئة خطرهما الكبير وفسادها العظيم هو في تحققها في الخارج وخروجها من مرحلة الهمة والعزم إلى مرحلة الفعل والتنفيذ، أما ما دامت محبوسة في النفس ومسيطرًا عليها من قبل المكلف فإن ضررها طفيف لا يعتد به، وإن كان ينبغي للمؤمن أن يطهر نفسه وينزه قلبه عن كل ما لا يرضى الله ويستجلب سخطه، لكنه سبحانه وتعالى ومن عظيم منّه وكبير إحسانه على هذه الأمة المرحومة عفا عن كل ما يهيم به العبد ما لم يتجسد هذا العزم والهم بالسيئة بالخارج.

وقد أجاد بعض الأفاضل في لزوم تخصيص أخبار العفو عن من همّ بسيئة ولم يعملها بما لا يكون داخلا تحت نية إيصال الأذى بشتى أنواعه وأقسامه إلى شخص النبي أو من له منزلة كمنزلة النبي حيث قال: (والأولى أن يخصص أخبار العفو بما عدا نية قتل الأنبياء وأوصيائهم، ونية إيذائهم ونية هدم الكعبة وغيرها من المساجد)⁽¹⁾.

1- تعليقة على معالم الأصول للسيد على الموسوي القزويني ج 3 شرح ص 610 __ 611.

القسم الثالث: لو هم المكلف بما هو محرم، أو هم بما يكون مشتركا بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، ومع إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل

كمن هم يقتل مؤمناً فذهب واشترى سيفاً لهذا الغرض، أو كمن هم بالزنا فسافر من مكان إلى آخر لأجل ذلك، أو كمن هم بالاشتراك بحرب ضلالة فلبس السلاح وتجهز للخروج، ولا خلاف بين طوائف المسلمين أن من تلبس بمقدمة من مقدمات الحرام فقد تلبس بأصل ذلك الحرام، قال السيد علي الموسوي القزويني: (وعن السيد الداماد: إنه نسب إلى فقهاءنا وفقهاء العامة وأصولينا وأصوليهم أنهم قد اتفقوا على أن العزم على المعاصي ونيتها مما لا يترتب عليه عقاب ومؤاخظة ما لم يتحقق التلبس بالمعصية)⁽¹⁾.

وكذلك اتفق الفريقان من المسلمين على أن من نوى الحرام وعزم على الإتيان به وجاء ببعض مقدماته فعرض له عارض قهري حال ما بينه وبين إتمام ذلك الفعل الحرام، فإن أحاديث من هم بسيئة ولم يعملها لا تشمل البتة، ولهذه المسألة شواهد نبوية عديدة منها: (عن ابن مسعود قال من هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها ولو أن رجلاً كان بعدن إيبين حدث نفسه بأن يلحد في البيت والإلحاد فيه أن يستحل فيه ما حرم الله عليه فمات قبل أن يصل إلى ذلك أذاقه الله من عذاب أليم)⁽²⁾ وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فمات قبل أن يصل إلى ذلك) دلالة على أنه جاء ببعض المقدمات ولكن الموت حال ما بينه وبين إتمام ما هم به من الإلحاد في البيت الحرام، ومع أنه لم يصل إلى مراده إلا أن العذاب قد أدركه.

1- المصدر السابق ج 3 شرح ص 611__612.

2- الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج 4 ص 352.

واللعن الذى توجه فى الزيارة إلى الأمة التى أسرجت وألجمت وتنقبت وتهيات لقتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه داخل ضمن هذا القسم الثالث، فان هذه الأصناف الأربعة لو سلمنا بعدم مباشرتها القتال إلا أنها أتت بعدة مقدمات من مقدمات القتال، أى أنها أخرجت ما كان مضمرا فى النفس إلى الخارج، وتلبست بالمعصية، والمتلبس بالمعصية أو بمقدمة من مقدماتها يحاسب ويعاقب، ولا تشمل أحاديث العفو عن هم بسيئة ولم يعملها، فيدخل فى ضمن من قاتل والمقاتل ملعون كما أثبتنا ذلك فى مباحث سابقة.

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة.

1: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي.

2: لَقَدْ.

3: عَظُمَ.

4: مُصَابِي.

5: بِكَ.

المبحث الثالث: تأملات حول هذه العبارة الشريفة.

أولاً: لماذا هذا التأكيد على عظم المصاب والرزية؟

ثانياً: التاثر بالمصيبة يجب ان يكون منسجماً مع عظم المصاب.

ثالثاً: الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عبرة أم عبرة؟

بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ

إشارة

في هذه الفقرة الشريفة كغيرها من الفقرات مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

لقد جاءت هذه العبارة الشريفة من الزيارة في متون كثير من الزيارات الأخرى، فخطاب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعبارة (بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي) قد وردت على سبيل المثال في الزيارة المروية عن مصباح المتهجد للشيخ الطوسي قدس الله روحه في الصلاة على الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما والتي جاء فيها: (اللهم صل على الحسن والحسين عبدك وولييك وابني رسولك وسبطي الرحمة وسيدى شباب أهل الجنة... السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا بن رسول الله...بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي يا أبا عبد الله لعن الله قاتلك ولعن الله خاذلك ولعن الله من سمع واعيتك فلم يجيبك...)(1).

أما عبارة (لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ) فهي وان لم تأت بالنص في نصوص

الزيارات التي سمح لي الوقت بمراجعتها إلا أنها وبلا أدنى شك قد ذكرت بالمعنى في الكثير من متون الزيارات المعتمدة والمذكورة في الكتب المعتمدة منها ما في كامل الزيارات بسنده عن ابي حمزة الثمالي عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في زيارة طويلة نختار منها محل الشاهد (السلام عليك يا أبا عبد الله إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم مصيبتك عند أبيك رسول الله، وما أعظم مصيبتك عند من عرف الله عز وجل، وأجل مصيبتك عند الملائكة الأعلى، وعند أنبياء الله وعند رسل الله. السلام مني إليك والتحية مع عظيم الرزية... بأبي أنت وأمي يا سيدي، بكيتك يا خيرة الله وابن خيرته، وحق لي أن أبكيك، وقد بكتك السماوات والأرضون والجبال والبحار، فما عذري ان لم أبكك، وقد بكاك حبيب ربي، وبكتك الأئمة صلوات الله عليهم، وبكاك من دون سدرة المنتهى إلى الثرى جزعا عليك... بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، صلى الله عليك)(1).

وفي تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي قدس الله روحه: (بأبي أنت وأمي ما أجل مصيبتك وأعظمها عند الله تعالى، وما أجل مصيبتك وأعظمها عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما أجل مصيبتك وأعظمها عند أبيك، وما أجل مصيبتك وأعظمها عند الملائكة الأعلى وما أجل مصيبتك وأعظمها عند شيعتك خاصة)(2).

وعبارة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ) والتي سبق شرحها فيها إشارة واضحة إلى هذا المعنى، إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي أعرضنا عنها خوف الإطالة.

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 402 __ 416.

2- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج 6 ص 59.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي

معنى هذه العبارة الشريفة هو (أفديك بأبي وأمي لو وقع بك بلاء أو نزل بك مكروه) وفيه دلالة على (تقديم المفدى فى المحبة والإعزاز على الوالدين)(1)، قال الخليل الفراهيدى: (بأباً: البأبة: قول الإنسان لصاحبه: بأبى أنت، ومعناه: أفديك بأبى)(2).

وقال ابن الأثير: (والباء الأولى فى بأبى أنت وأمي متعلقة بمحذوف، قيل هو اسم فيكون ما بعده مرفوعاً تقديره: أنت مفدى بأبى أنت وأمي. وقيل هو فعل وما بعده منصوب: أى فديتك بأبى وأمي، وحذف هذا المقدر تخفيفاً لكثرة الاستعمال وعلم المخاطب به)(3).

وقد وقع الاختلاف حول صحة التفدى بالأبوين حال موتهما؛ لان البعض ذهب إلى عدم استحسان التفدى بمن هو ميت لعدم الفائدة بمثل هذا التفدى قال الميرزا أبو الفضل الطهرانى: (وتتوقف صحة الاستعمال على حياة المخاطب وحياة الوالدين لان الميت لا يفدى ولا يُفدى)(4) وقال فى موضع آخر: (فيصح __ أى الفداء __ ان كانا حيين ويبطل عند موتهما)(5).

-
- 1- شفاء الصدور فى شرح زيارة العاشور للعلامة الحاج ميرزا ابى الفضل الطهرانى ترجمة وتحقيق محمد شعاع فاخر ج 1 ص 397.
 - 2- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 8 ص 414.
 - 3- النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج 1 ص 20.
 - 4- شفاء الصدور فى شرح زيارة العاشور للعلامة الحاج ميرزا أبى الفضل الطهرانى ترجمة وتحقيق محمد شعاع فاخر ج 1 ص 397.
 - 5- المصدر السابق ص 399.

واشترط البعض الآخر عدم إسلام الأبوين ليتمكن التفدى بهما، قال محيي الدين النووي: (ومن العلماء من منعه __ أي التفدى __ إذا كانا مسلمين)(1).

والصحيح ان التفدى بالأبوين لا يشترط حياتهما ولا عدم إسلامهما، لان التفدى غالبا لا يراد منه المعنى الحقيقي للتفدى، وإنما هو مما تعارف استعماله عند العرب لإظهار وإفهام الشخص المفدى أنه عزيز في نفس القائل إلى غاية أنه أرجح من أبيه وأمه بحيث يفديه بهما، وإليه ذهب المولى صالح المازندراني: («بأبي وأمي» كلمة معتادة للعرب يقال لمن يعز عليهم، ولا يختلج في وهمك أنه كيف يحسن التفدية هنا بعد الموت وهي غير ممكنة لأنه لا- بشرط في إطلاقها... وليس الغرض منها تحقيق الفدية بل تخيلها وإيهاها للاسترقاق وتخيل المقول له أنه عزيز في نفس القائل إلى غاية أنه أرجح من أبيه وأمه بحيث يفديه بهما)(2) وقال في موضع آخر: («بأبي وأمي أنت») هذه الكلمة لإظهار عزة المخاطب وبيان أنه عزيز في نفس القائل حتى أنه أرجح ممن هو أقرب الخلق إليه وأعز عليه وهو أبواه بحيث يفديه بهما ولا يشترط في ذلك وجودهما)(3).

وقال محيي الدين النووي: (بأبي وأمي معناه أفديك بأبي وأمي من كل مكروه ويجوز أن يقول الإنسان فداك أبي وأمي سواء كان أبواه مسلمين أم لا هذا هو الصحيح المختار)(4).

إضافة إلى وجود كم هائل من الأحاديث التي يظهر منها جواز التفدى بالأبوين الميتين المسلمين منها قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (ألا بأبي وأمي هم من عدة

1- المجموع لمحيي الدين النووي ج 2 ص 35.

2- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 4 ص 151.

3- المصدر السابق ج 6 ص 99.

4- المجموع لمحيي الدين النووي ج 2 ص 35.

أسمائهم في السماء معروفة، وفي الأرض مجهولة(1) ومن المتيقن ان أبوي أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يكونا على قيد الحياة وقت التفدية.

2: لَقَدْ

(اللام) واقعة في جواب قسم محذوف، والتقدير (والله لقد عظم مصابي بك) أو غيرها من ألفاظ القسم، أما (قَدْ) فحرف إذا دخل على الفعل الماضي كما هو الحال في عبارة (لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ) فيفيد ثلاثة معانٍ:

الأول: التوقع، كما في قول القائل (قد خرج زيد) قال صاحب كتاب الجنى الداني في حروف المعاني: (وأما مع الماضي فتدل على انه — الفعل — كان متوقعا منتظرا، ولذلك يستعمل في الأشياء المترتبة...) (2) وهذا المعنى محتمل المراد في عبارة الزيارة، فبعد ان عدت الزيارة الشريفة مصائب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على نحو العموم، ومصائب سيد الشهداء على نحو الخصوص، وأوضحت الزيارة ان هذه الفاجعة قد عظمت على جميع أهل السماوات، فمن الطبيعي والمتوقع ان يعظم هذا المصاب على الزائر أيضا سواء كان هذا الزائر هو الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه أو غيره من عامة المؤمنين، إذن فحزن المؤمن الزائر بعد كل ذلك الشرح والتبيان لمصائب سيد الشهداء متوقع منتظر، لذلك صح استخدام الحرف (قد) بمعنى التوقع.

الثاني: التقريب، قال ابن الخباز: (إذا دخل «قد» على الماضي اثر فيه معنيين: تقريبه من زمن الحال وجعله خبرا منتظرا. فإذا قلت قد ركب الأمير فهو كلام لقوم ينتظرون حديثك) (3). ويمكن تطبيق هذا المعنى على عبارة الزيارة بأن لفظ (عَظُمَ

1- نهج البلاغة ج 2 ص 126.

2- الجنى الداني في حروف المعاني صنعة الحسن بن قاسم المرادى تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل ص 256، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

3- المصدر السابق ص 257.

مُصَابِي بِكَ) وإن كانت قد وقعت بصيغة الماضي إلا ان ذلك لا يعنى انتهاءها واضمحلالها، فعظيم المصاب وغصة الاكتئاب ما زالت ناره مستعرة في قلب الزائر بل في قلب المتذكر لرزايا سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه على مر الليالي والأيام، فإدخال «قد» على هذه الجملة تقرب الماضي إلى الحاضر وتجعل منه حالاً للزائر.

الثالث: التحقيق والإثبات نحو قوله تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)) (1) والمعنى ان الفلاح متحقق للمؤمنين ثابت لهم لا محالة، فيصبح معنى (لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ) ان عظم المصيبة بك متحقق ثابت في النفس وليس هو أمراً مدعى متظاهراً به من قبل الزائر، أو ان عظم المصاب له واقعية وثبوت تكويني حقيقي، وكما ان للإيمان صفة تكوينية حقيقية ثابتة هي الفلاح كذلك يوجد لمصاب سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه صفة تكوينية متحققة ثابتة هي عظم هذا المصاب في العالم الواقعي.

وكيف لا تكون كذلك وقد وصف الإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه عظيم رزية أبيه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (قتل أبو عبد الله وعترته وسبى نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان وهذه الرزية التي لا مثلها رزية أيها الناس فأى رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أى فؤاد لا- يحزن من أجله أم أى عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسموات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان فى لجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون يا أيها الناس أى قلب لا ينصدع لقتله أم أى فؤاد لا يحن إليه أم أى سمع يسمع هذه الثلثة التي ثلمت فى الإسلام ولا يصم) (2).

1- سورة المؤمنون آية رقم 1.

2- لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين ص 244.

3: عَظَمَ

وهو فعل ماضٍ مشتق من المصدر (عظم) وهو بمعنى الشيء الجليل، والنازلة الفظيعة، والملمة الكبيرة الجسيمة، قال الجوهري: (عظم الشيء عظما: كبير، فهو عظيم. والعظام بالضم مثله... والعظيمة والمعظمة: النازلة الشديدة)(1)، وقال ابن منظور: (والعظم: خلاف الصغر. عظم يعظم عظما وعظامة: كبر)(2)، وقال أيضا: (قد جسم الشيء أى عظم)(3).

4: مُصَابِي

و(مُصَاب) قد يكون مصدرا ميميا بمعنى الإصابة قال ابن منظور: (والمصاب: الإصابة)(4) وكذا قال الجوهري(5) في الصحاح.

5: بِكَ

الظاهر ان الباء هنا ظرفية (وعلاقتها ان يحسن في موضعها «في» نحو ((وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ)) (6) وهى كثيرة فى الكلام (7)، و(الكاف) كما لا يخفى ضمير للمخاطب يرجع لشخص سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

-
- 1- الصحاح للجوهري ج 5 ص 1987 _ 1988.
 - 2- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 410.
 - 3- المصدر السابق ج 12 ص 99.
 - 4- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 536.
 - 5- الصحاح للجوهري ج 1 ص 165.
 - 6- سورة آل عمران آية رقم 123.
 - 7- الجنى الدانى فى حروف المعانى صنعة الحسن بن قاسم المرادى تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل ص 40، منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

المبحث الثالث: تأملات حول هذه العبارة الشريفة

إشارة

يمكن من خلال التأمل في كلمات هذه العبارة الشريفة من الزيارة ان نستنتج عدة من النقاط المهمة التي نلخص بعضها منها فيما يأتي:

أولاً: لماذا هذا التأكيد على عظم المصاب والرزية؟

وقع التأكيد على عظم المصيبة في عدة فقرات من زيارة عاشوراء كما في فقرة (يا أبا عبد الله لقد عظمت الرزية وجلت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام وجلت وعظمت مصيبتك في السموات على جميع أهل السموات) والتي سبق شرحها، ومنها فقرة (يا أباي أنت وأمي لقد عظمت مصابيتك) والتي نحن في صدد شرحها، ومنها فقرة (وأسأل الله بحقكم وبالشأن الذي لكم عنده أن يعطيني بمصابي بكم أفضل ما يعطي مصاباً بمصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام وفي جميع أهل السموات والأرض) ومنها عبارة (اللهم لك الحمد حمد الشاكرين لك على مصابهم الحمد لله على عظيم رزيتي).

وهذا التكرار والتذكير بمسألة عظم المصيبة وشدة الفاجعة يأتي ضمن منهج تربوي دقيق خصعت له فقرات الزيارة الشريفة، فالتكرار كما لا يخفى له أهمية كبيرة، وفوائد جسيمة ومتعددة، منها ان التكرار يفيد في كثير من حالاته تهويل وإعظام ذلك الأمر المكرر، وشواهد في القرآن كثيرة، وكذلك يمكن أن يأتي التكرار للتأكيد، ومن فوائد التكرار لزيادة الإفهام للشخص السامع، والتكرار يركز في النفس والعقل الفكرة أو المفهوم الذي يكرر من قبل القائل، وربما كان التكرار ضرورياً فيما لو اختلف الشيء المكرر من حيث الإجمال والتفصيل أو المبهم والمبين، فما كان مبهماً أو مجملاً جاز تكراره مع زيادة تفصيل وتبيين، إلى غير ذلك من الفوائد التي لا مجال لاستقصائها.

وكل هذه الفوائد والموارد قد تحققت في الفقرات المكررة من زيارة عاشوراء، وعليه فتكرار عظم المصيبة وشديد الرزية للتأكيد وإعظام وتهويل تلك الجريمة التي ارتكبت بحق سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، ولزيادة الإفهام والتفصيل لسعة رقعة واتساع هذه الرزية، ففي إحدى تلك الفقرات المكررة يوضح الإمام تأثير هذه المصيبة والرزية العظيمة في أهل الإسلام وأهل السماوات والأرض، وفي فقرة ثانية يوضح تأثيرها في شخص الزائر، وفي فقرة ثالثة يبين مدى تأثيرها في أهل الإسلام وفي أهل السماوات وأهل الأرض، وهنالك كما لا يخفى فرق شاسع بين الإسلام وأهل الإسلام، وبين السماوات والأرض وأهل السماوات والأرض، فالزاوية التي ينظر من خلالها إلى عظم المصيبة والرزية مختلفة، ومقاصد الكلام متنوعة، فيكون التكرار جائزاً بل مستحسناً.

ثانياً: التأثر بالمصيبة يجب ان يكون منسجماً مع عظم المصاب

كلما عظمت محبة انسان ما وأهميته، عظم التأثر بفقده، وزاد ألم فراقه، فحينما يفقد الإنسان صديقاً له فإنه يتأثر، لكن تأثره لا يساوى شيئاً بالنسبة إلى فقد هذا الإنسان لأحد أبويه أو لأعز أبنائه، وعليه ينبغي ووفق هذا المبدأ ان يكون التأثر بمصاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته والأئمة المطهرين من أولاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اعظم واكبر من التأثر على فقد الاصدقاء والابوين واعز الاولاد، وذلك لانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من حيث الأهمية اعظم بما ليس له وجه قياس، إضافة إلى ان التوجيهات النبوية ألزمت الامة بضرورة ان يكون لشخصه المقدس صلى الله عليه وآله وسلم ولاهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مكانة في القلوب ومحبة تعظم على محبة الاهل والاولاد، فبهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنقذنا الله من ظلمة الجهل الى نور الايمان، وبهم أنقذنا الله من شفا جرف الهلكات ومن النار، وبهم علمنا الله معالم ديننا، وبهم أخرجنا الله من الذل

والامتهان الى العز والكرامة، وما أجمل ما كان يقوله الامام الصادق صلوات الله وسلامه عليه عند ذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (بأبي وأمي وقومي وعشيرتي، عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها والله عز وجل يقول في كتابه ((وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا)) (1) فبرسول الله «صلى الله عليه وآله» أنقذوا (2).

وبناء على ذلك فينبغي على المؤمن أن يكون حاله عند ذكر مصائب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومصائب جده المصطفى وأبيه المرتضى وأمه الطاهرة فاطمة الزهراء وأخيه الإمام الحسن وبقية أبنائه المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما كان له أن يكون عند فقدان أخص أهله به وأقربهم إليه، وهو اقل مراتب المواساة، وإلا فينبغي على من كان عارفاً بحق الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وحرمة ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى، ومقدار ما جرى عليه من ظلم وضيم، ان لا يقنع إلا بان تكون مرتبة مصيبتة متناسبة مع مرتبة المصاب الذي داهم الإسلام واذهب حرمة، وهو متفاوت من شخص لآخر بحسب المعرفة ودرجاتها.

وأعظم هذه الدرجات في التفجع والاكتئاب تجدها عند الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأنهم اعرف الناس بعد الله سبحانه وتعالى بمصاب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وما جرى عليه وما بلغ من تأثير مصيبتة في الدين بل في سائر أرجاء هذا الكون، وفي الزيارة المنسوبة إلى الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه كلمات عجيبة وحالات لا يمكن لأمثالي أن يتصورها ويدرك سرها، لاسيما خطابه للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السلام عليك سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقرب إلى الله بمحبتك، البريء من أعدائك، سلام من قلبه بمصائبك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع المحزون،

1- سورة آل عمران الآية رقم 103.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 8 ص 266.

الواله المستكين. سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقذور، ولم أكن لمن حاربك محاربا، ولمن نصب لك العداوة مناصبا، فلأندبنا صباحا ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دما، حسرة عليك وتأسفا على ما دهاك وتلهفا، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب(1).

فيتضح من خلال قوله صلوات الله وسلامه عليه: (السلام عليك سلام العارف بحرمتك) ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه يتكلم من وحى معرفته بواقع ومستوى المصاب وهو مستوى ليس سهلا على الإنسان العادى والسطحي فهمه وإدراكه، وهو صلوات الله وسلامه عليه ونتيجة هذه المعرفة يتخذ موقفه الحزين الذى يمكن أن يصل إلى مستوى البكاء بدل الدموع دما، ودوام الحسرة والتأسف والتلهف وان بلغت به لوعة المصاب وغصة الاكتياب إلى الموت.

فيلزم والحال هذه على سائر أتباع مذهب أهل البيت أن يتشبهوا بأئمتهم صلوات الله وسلامه عليه فيكثرُوا من الضجيج والبكاء ودوام الحزن والعزاء، على مر الليالي والأيام، شأنهم فى ذلك شأن إمامهم الغائب صلوات الله وسلامه عليه الذى يندب جده الإمام الشهيد صباحا ومساء، ويبكى عليه بدل الدموع دما، ويكون شعارهم فى كل ذلك: (بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ).

بل ويلزم على أتباع مذهب الحق ان يظهرُوا الحزن والتأسف والبكاء على سائر مصائب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه امثالاً لما ورد فى الزيارة الجامعة الشريفة: (فعلى الأطائب من أهل بيت محمد وعلى صلى الله عليهما وآلهما، فليبك الباكون، وإياهم

فليندب النادبون، ولمثلهم فلتدر __ فلتذرف __ الدموع، وليصرخ الصارخون، ويضج الضاجون، ويعج العاجون. أين الحسن أين الحسين، أين أبناء الحسين، صالح بعد صالح، وصادق بعد صادق، أين السبيل بعد السبيل، أين الخيرة بعد الخيرة، أين الشمس الطالعة، أين الأقمار المنيرة، أين الأنجم الزاهرة، أين أعلام الدين وقواعد العلم. أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية، أين المعد لقطع دابر الظلمة... (1).

ثالثاً: الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عبرة أم عبرة؟

سؤال كثر حوله الكلام في السنين الأخيرة، وهو ما هو الموقف الذى يجب ان يتخذه الإنسان الموالى لمذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حيال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقضيته العادل وما مر عليه من مصائب ومحن وما مورس ضده وضد أهل بيته وأصحابه من ظلم وتعسف؟

فذهب البعض إلى ان الموقف لا بد ومن حيث المبدأ ان يتصف بالتأثر والمأساوية تجاه كل ما وقع على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من مصائب ومحن، وان تفجر فى ذكرى استشهاده انهار الدموع، وان يتم التأكيد وبالدرجة الأولى على كل ما من شأنه ان يثير الحزن ويهيج اللوعة، متمسكين فى كل ذلك بالروايات الصحيحة التى نقلت لنا أحوال الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذا ما مرت بهم ذكرى يوم العاشر من المحرم، فعن أبى بصير، عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه، عن آبائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال: (قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرنى مؤمن إلا استعبر) (2).

وعن ابن خارجة، عن أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (قال الحسين بن على

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 578 __ 579.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 215 الباب 36 ما روى أن الحسين عليه السلام قتيل العبرة لا يذكره مؤمن إلا بكى.

عليهما السلام: أنا قتيل العبرة، قتلت مكروبا وحقيق على الله أن لا يأتيني مكروب إلا أردته واقلبه إلى أهله مسرورا(1).

وعن أبي عمارة المنشد قال: (ما ذكر الحسين بن علي عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فرئى أبو عبد الله عليه السلام متبسما في ذلك اليوم إلى الليل، وكان أبو عبد الله عليه السلام يقول: الحسين عبرة كل مؤمن)(2).

وعن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا صلوات الله وسلامه عليه: (إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبى فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا، إن يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام. ثم قال عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضى منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام)(3).

وعن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (من ترك السعى في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان

1- ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص 98 ثواب من زار قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 214 __ 215 الباب 36 ما روى أن الحسين عليه السلام قتيل العبرة لا يذكره مؤمن إلا بكى.

3- الأمل للشيخ الصدوق ص 190 حديث الرضا عليه السلام عن يوم عاشوراء.

يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه، جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرت بنا في الجنان عينه، ومن سمى يوم عاشورا يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئا لم يبارك له فيما ادخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النار(1).

فالروايات كما ترى واردة بلفظ العبرة والتي هي بمعنى استجلاب الدمع أو تردد البكاء في الصدر، كذلك الروايات جعلت من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وما جرى عليه مصدرا من مصادر اللوعة والألم وانهمار الدمع، وان سيرة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قائمة على استذكار كل ما من شأنه ان يستدر اللوعة ويزيد البكاء.

إضافة إلى اعتماد أنصار هذا الرأي على الروايات المستفيضة التي وردت في حق الباكين والمتوجعين على مصيبة أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والتي يطول بنا المقام لو أردنا استقصاءها.

لكن هذا الكلام لم يعجب طائفة أخرى من الناس الذين رأوا أنّ الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لم يقتل ليبيكى عليه فقط، أو لينصب له مجالس اللطم والعزاء، وإنما ضحى بنفسه من اجل أهداف أسمى وغايات أعظم، فهو قد خرج لطلب الإصلاح في امة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك رأى هذا البعض ان تحجيم هذا العطاء وهذه الغايات في عقد مجالس الرثاء والنوح والبكاء ظلم لسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ولثورته العظيمة، لذلك شجع أنصار هذا التيار الفكرى على إقامة المؤتمرات ومعارض الصور والرسم وكل ما لا يدخل البكاء والنوح في ضمنه، والاستغناء عن مسيرات اللطم وغيرها بالمظاهرات السلمية، ورفع اللافتات بدل رفع الأيدي ولطم الصدور.

1- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 227 الباب 162 العلة التي من اجلها صار يوم عاشوراء أعظم الأيام مصيبة.

وكم من مرة ومرة سمعنا وسمع الناس كلمات التشنيع والقدح والذم من أنصار الطائفة الثانية على أنصار ومؤيدي إقامة مجالس العزاء والبكاء في أيام عاشوراء، بذريعة ان هذه المجالس تجعل من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عبرة __ بالفتح __ بينما المفروض ان يكون الإمام الحسين بزعمهم عبرة __ بالكسر __ بينما الواقع العملي يكذب هذه الذريعة فكل مجالس الرثاء والعزاء اليوم بحمد الله تجمع ما بين العبرة __ بالكسر __ وما بين العبرة __ بالفتح __ فالخطيب يبدأ بالوعظ والإرشاد واستلهام الدروس والعبر من حياة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وياقى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن ثم يجعل مسك الختام مكرساً لذكر مصائب العترة الطاهرة ورزايهم يوم العاشر من المحرم، بل وحتى قصائد اللطم اليوم أصبحت بحمد الله عبارة عن مزيج ما بين الصور المأساوية التي حملتها ثورة عاشوراء وما بين عدة من المعالجات العقائدية والاجتماعية التي يعيشها الإنسان الموالى والمؤمن بقضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فما يتمسك به المتحاملون على مجالس الرثاء والبكاء واللطم والعزاء عار عن الحقيقة ومن ورائه أسباب ودواعٍ تهدف في الغالب إلى القضاء على الشعائر الحسينية وهدمها شعيرة بعد شعيرة.

ثم إننا لم نعرف سبب إصرار بعض الأشخاص والجهات والأحزاب على جعل يوم عاشوراء يوم مسيرات ومؤتمرات سياسية مع ان التوجيه الوارد عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو جعل يوم عاشوراء يوم حزن وبكاء ومصيبة ولا أرى وجهاً معقولاً ومقبولاً لمثل هذه الأفعال غير الابتعاد الكبير ما بين هذه الأحزاب والجهات السياسية وما بين خط أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا فيما لو أحسننا الظن بهم ولم نقل ان العملية مدروسة بدقة للتغطية والتمويه على مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أو الاستفادة منها لإغراض شخصية فتوية.

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

المبحث الثالث: أنواع الكرامة الممنوحة للإمام الحسين عليه السلام

أولاً: المقامات التي أعطيت لسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستثناء مقام النبوة

ثانياً: المقامات التي أعطيت للنبي الخاتم وباقي الأئمة

ثالثاً: المقامات التي اشترك فيها مع بعض المعصومين واختلف فيها مع البعض الآخر

رابعاً: المقامات التي انفرد بها الإمام الحسين عليه السلام عن باقي المعصومين

1: بركة التربة الحسينية وعظيم منفعتها

2و3: فضل زيارته وكرامة زواره عند الله

فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام

القسم الأول: آداب ما قبل الخروج إلى الزيارة

القسم الثاني: آداب المسير إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام

القسم الثالث: آداب الحضور والتشرف في مرقد سيد الشهداء عليه السلام

المبحث الرابع: إكرامنا بسيد الشهداء عليه السلام

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ

إشارة

فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتى:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

لا خلاف بين الإمامية أعزهم الله ان للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مقاما كريما عند الله سبحانه وتعالى، شأنه فى ذلك شأن سائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد ورد ذكر لهذه المنزلة والمقام فى متون كثير من الزيارات الشريفة، نختار منها على سبيل الاختصار ما يأتى:

ففى كتاب المزار لمحمد بن المشهدى قال: (زيارة أخرى لهم عليهم السلام: يستحب لمن أراد زيارتهم ان يغتسل أولا ثم يأتى بسكينة ووقار، فإذا ورد إلى الباب الشريف وقف عليه وقال: يا موالى يا أبناء رسول الله، عبدكم وابن أمتكم، الدليل بين أيديكم، والمضعف فى علو قدركم، والمعترف بحقكم، جاءكم مستجيرا بكم، قاصدا إلى حرمكم، متوسلا إلى مقامكم، متوسلا إلى الله بكم) (1).

ومنها ما جاء فى الزيارة الجامعة الشريفة: (فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلى منازل المقربين، وارفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع فى إدراكه طامع. حتى لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صديق، ولا شهيد، ولا عالم ولا جاهل، ولا دنى ولا فاضل، ولا مؤمن صالح، ولا فاجر طالح، ولا جبار عنيد، ولا شيطان مرید، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلاله أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم، وتمام نوركم، وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم، وشرف محلكم ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه، وخاصتكم لديه، وقرب منزلتكم منه)⁽¹⁾.

وفى فقرة (وَلَعَنَّ اللَّهَ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا) التى سبق ذكرها وشرحها تصريح واضح لهذا المقام والمنزلة، وهذه العبارة واللاتى قبلها وان وردت فى حق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عموماً، إلا أن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه داخل ضمنها لأنه صلوات الله وسلامه عليه فرد من أفراد أهل هذا البيت الطاهر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وفى كتاب المزار للشهيد الأول قدس الله روحه: (يا مولاي يا أبا عبد الله يا ابن رسول الله عبدك وابن عبدك وابن أمتك الذليل بين يديك والمصغر فى علو قدرك والمعترف بحقك جاءك مستجيراً بك قاصداً إلى حرمك متوجهاً إلى مقامك متوسلاً إلى الله تعالى بك أدخل يا مولاي أدخل يا ولى الله أدخل يا ملائكة الله الحافين المحدقين بهذا الحرم المقيمين فى هذا المشهد)⁽²⁾ وفيه نص صريح بذكر المقام الكريم لأبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه إذ لولا تكريم الله سبحانه وتعالى لمقامه وإعزازه وتقضيله لما صح التوسل به والتوجه إلى الله بواسطته.

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 529 __ 530.

2- المزار للشهيد الأول ص 155.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: فَاسْأَلُ اللَّهَ

الـ(الفاء) حرف ابتداء جاء لاستئناف جملة جديدة، لا تشريك فيما بينها وبين الجملة السابقة.

و(أَسْأَلُ) مشتقة من السؤال أو المسألة وهي بمعنى الاستعطاء أو الطلب، قال ابن منظور: (وسألته الشيء وسألته عن الشيء سؤالاً ومسألة، قال ابن بري: سألته الشيء بمعنى استعطيته إياه)(1).

وقال الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان: (والسؤال والطلب معناهما واحد)(2).

وأما لفظ الجلالة (اللَّهُ) فهو معلوم المعنى بديهى الدلالة.

2: الَّذِي أَكْرَمَ

و(الَّذِي) من الأسماء الموصولة وهو في محل نصب نعت __ صفة __ للفظ الجلالة.

و(أَكْرَمَ) من التكرم بمعنى التنزه والترفع، قال الخليل الفراهيدي: (وتكرم «عن الشائعات» أى: تنزه، وأكرم نفسه عنها ورفعها)(3)، وقال ابن منظور: (وتكرم عن الشيء وتكأرم: تنزهه)(4).

وقد يكون بمعنى الإعزاز والمحبة، قال ابن منظور: (وأعززه: أكرمه وأحببته)(5).

1- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 319.

2- التبيان للشيخ الطوسي ج 6 ص 6.

3- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 5 ص 368.

4- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 512.

5- لسان العرب لابن منظور ج 5 ص 375.

وقد يكون بمعنى التفضيل والاختيار، قال الشيخ الطريحي: (قوله ((قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ)) (1) أى أخبرني عن هذا الذى كرمت على أى فضلته واخترتة على وأنا خير منه) (2).

وقد يكون بمعنى الإعظام والتبجيل، قال ابن منظور: (وأكرم الرجل وكرمه: أعظمه ونزهه) (3).

3: مَقَامٌ

والـ (مَقَامٌ) تارة يطلق ويراد منه المعنى المادى فيقصد منه الإقامة إذا كان مفتوحا، أو موضع القيام إذا كان مضموما، قال ابن منظور: (وأما المقام والمُقَام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم، لأنه مشبه ببنات الأربعة نحو دحرج وهذا مدحرجنا. وقوله تعالى: لا مقام لكم، أى لا موضع لكم، وقرئ لا مقام لكم، بالضم، أى لا إقامة لكم. وحسنت مستقرا ومقاما، أى موضعا) (4).

وتارة يطلق الـ (مَقَامٌ) ويراد به المعنى المجازى أو المعنوى، فيكون بمعنى المنزلة الحسنى، فتقول فلان ذو مقام عند السلطان، أى ذو منزلة حسنة عنده، وكل من المعنى المادى والمعنوى المجازى يمكن ان يكون مقصودا فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة لما سيأتى من ان مثوى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومقام دفنه مما كرم وفضل وشرف من قبل الله سبحانه وتعالى كما شرف منزلته ورتبته.

1- سورة الإسراء الآية رقم 62.

2- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 34.

3- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 512.

4- المصدر السابق ص 498.

4: وَأَكْرَمَنِي بِكَ

و(وَأَكْرَمَنِي) يتبين معناها بمراجعة معنى (أَكْرَمَ) الذى سبق توضيحه آنفاً، و(بِكَ) الباء هنا سببية والكاف ضمير يرجع إلى شخص الإمام أبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

فيكون معنى هذه الفقرة الشريفة بحسب ما مر من معانٍ لغوية هو: (فأسأل واطلب واستعطى الله الذى نزه مقامك ورفع قدرك واعز منزلتك الحسنى لديه، والذى شرف وفضل ونزه مثواك ومحل قبرك وتربتك التى فيها ثويت، والذى فضلنى ونزهنى وأعزنى بسببك أن يرزقنى طلب تارك مع إمام منصور من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله).

المبحث الثالث: أنواع الكرامة الممنوحة للإمام الحسين عليه السلام**إشارة**

ربما أمكن تقسيم مقامات سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه التى منحها الله سبحانه وتعالى له إلى أربعة أقسام رئيسة هى كل من:

أولاً: المقامات التى أعطيت لسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستثناء مقام النبوة

وان كان المعنى اللغوى للنبوة متحققاً للإمام الحسين وسائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أيضاً، وذلك لان النبى لغة مشتق من النبأ وهو الخبر فالنبى هو من اخبر عن الله سبحانه ولو بواسطة الوحي أو غير ذلك من الوسائل المعتد بها شرعاً، قال الجوهرى فى الصحاح: (النبأ: الخبر، تقول نبأ ونبأ، أى: أخبر، ومنه أخذ النبى لأنه أنبأ عن الله تعالى، وهو فاعيل، بمعنى فاعل) (1)، وسائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

أخبروا عن الله سبحانه وبلغوا أحكامه بوساطة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفضل من جبرائيل عليه السلام، فتكون نبوتهم بالمعنى اللغوي أفضل وأكمل من سائر الأنبياء.

إلا ان المعنى الاصطلاحي للنبي متفق عند سائر المسلمين على انعدامه في غير النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لوجود النص القطعي على ختم النبوة بنبوة النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله لأمر المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي)(1) فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد من قوله أنت منى بمنزلة هارون إعطاء منزلة الكمال الذي لولا خاتمية نبوته صلى الله عليه وآله وسلم لكان نبيا.

فالإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وسائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن ضمنهم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لهم منازل الأنبياء لكنهم ليسوا كذلك إجماعا، وقد مر في مبحث سابق إثبات أفضليتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سائر الأنبياء باستثناء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن كان أفضل من سائر الأنبياء حوى واجتمعت فيه وله سائر فضائلهم ومنازلهم.

ثانيا: المقامات التي أعطيت للنبي الخاتم وباقي الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ذكرنا في مباحث سابقة ان بعض المقامات اشترك فيها سائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقسمنا هذه المنازل إلى قسمين:

القسم الأول: تلك المنازل التي منحت لهم قبل ان يخلق الله هذا العالم، وخصصنا بالذكر كلاً من:

1- الكافي للكليني: ج8، ص107. صحيح مسلم: ج7، ص120.

1: عالم الأشباح والأنوار.

2: عالم الطينة.

3: عالم الأظلة.

4: عالم الذر.

5: عالم الأصلاب.

والقسم الثانى: تلك المنازل والمراتب التى منحت لهم بعد إيجادهم وتحقق أنوارهم فى الخارج، وقد قسمنا هذه المراتب والمنازل بحسب الإجمال إلى ثلاثة أقسام هى:

1: مرتبة الاصطفاء على جميع العالمين.

2: مرتبة الوصاية والخلافة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

3: مرتبة تربية الأمة عقائديا وتزكيتهم روحيا.

وقد مر الكلام مفصلا عن كل قسم من هذين القسمين، وبيننا الروايات الدالة على تفضيلهم وتزيههم وتكريمهم فى جميع هذه العوالم، كما وتوجد مقامات آخر لم نذكرها لبدايتها وشهرتها عند عامة الموالين نظير مقام العصمة والعلم وغيرهما من المقامات التى أصبحت من بديهيات المذهب الحق مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثالثا: المقامات التى اشترك فيها مع بعض المعصومين واختلف فيها مع البعض الآخر

لا- نريد فى هذا القسم إجراء إحصاء كامل لجميع المسائل التى يشترك فيها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مع بعض الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتى

اختلف فيها في نفس الوقت مع البعض الآخر منهم، لكننا نشير إلى البعض منها ونترك استنباط الباقي للقارئ وفطنته، وقد وقع اختياري على التالي:

1: ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه اشترك مع كل من أمير المؤمنين على بن أبي طالب والسيدة الزهراء والإمام الحسن المجتبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في انه وإياهم من أصحاب الكساء الذين جمعهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حادثة متواترة عند الخاص والعام تحت كساء يمانى أو خيرى وسماهم بأهل بيته ونزل بحقهم وشأنهم قوله تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))⁽¹⁾ وقد تقدم الكلام عن هذه الحادثة مرارا خلال البحوث السابقة.

2: ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه اشترك مع أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بأن كليهما موصوف على لسان الروايات والزيارات الشريفة بـ(ثار الله) و(قتيل الله)، ولم أجد بحسب المصادر التي بين يدي نصا أطلق لقب (ثار الله) أو (قتيل الله) على غير الإمام الحسين وأبيه الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما من سائر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

3: ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه اشترك مع أخيه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بأنهما سبطا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دون سائر الخلق أجمعين، وان أمهما سيدة نساء العالمين صلوات الله وسلامه عليها، وهى أفضل أمهات الأئمة بل أفضل من والدة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ووالدة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، على الرغم من منزلتهما وفضلهما، وإنهما سيدا شباب أهل الجنة، إلى غير ذلك الكثير الكثير من المنازل المشتركة بينهما صلوات الله وسلامه عليهما.

رابعاً: المقامات التي انفرد بها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عن باقي المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

إشارة

المقامات التي أعطيت لسيد الشهداء والتي اختص بها دون بقية الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يمكن ان تحصى على هذه العجالة والاختصار الذي نحن فيه، وحال الباحث فيها والمحصى لها كحال من يقف أمام بحر عميق مترامي الأطراف وهو يحمل بيديه إناء صغير يريد وضع ذلك البحر في هذا الإناء، أو كالواقف أمام جبل عظيم شامخ يريد ضمه بين ذراعيه، فكما لا يستطيع الإناء ان يسع البحر الواسع، وكما لا تستطيع اليد البشرية ان تحيط بالجبل وتحتضنه، كذلك لا يستطيع جميع البشر من غير المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الإحاطة وفهم واستيعاب مقام سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، فالاعتراف بالقصور قبل البدء هو الأنسب بحالنا، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، ومن لا يستطيع ان يصل إلى كنه مقام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فانه على اقل التقادير يستطيع ان يصل إلى بعضها من خلال ما ذكره أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنفسهم، فيمكن لمتتبع الزيارات والروايات الشريفة الصادرة في حق سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ان يعثر على بعض تلك المقامات، فمقام سيد الشهداء، وشهيد الشهداء، ومن طيف برأسه في البلدان وهو يرتل القرآن، وانه شبيه يحيى بن زكريا عليه السلام، وانه قتل الأعداء، هي قطرة من ذلك البحر العظيم الواسع.

إلا ان كثيرا من الأحاديث الشريفة أكدت وبشكل ملفت للانتباه على أربعة مقامات مهمة، أوضحها حديث (محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد «عليهما السلام» يقولان: إن الله «تعالى» عوض الحسين «عليه السلام» من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام

زائريه جائيا وراجعا من عمره. قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: هذا الجلال ينال بالحسين «عليه السلام» فماله في نفسه؟ قال: إن الله «تعالى» ألحقه بالنبى «صلى الله عليه وسلم» فكان معه في درجته ومنزلته، ثم تلا أبو عبد الله ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)) (1).

وقد ورد هذا المعنى أيضا في الزيارة المروية عن الإمام المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه والتي جاء فيها: (السلام على من جعل الشفاء في تربته، السلام على من الإجابة تحت قبته، السلام على من الأئمة من ذريته) (2).

والروايات الشريفة في استحباب الدعاء عند قبره الشريف وتحت قبته المنيفة فوق الإحصاء، كذلك الحال في استحباب التبرك بتربته واتخاذها مسبحة يسبح لله سبحانه فيها، ويسجد عليها، وتتخذ دواءً يستشفى بها من كل مرض وأمناً من كل خوف ويسراً من كل عسر، كذلك بالنسبة إلى فضل زيارته وكرامة الزائر والألطف التي تسبغ عليه ببركة زيارة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وواحدة من هذه الكرامات والألطف هي ما بينته الرواية السابقة من عدم احتساب أيام زيارة زواره من أعمارهم، وفيما يأتي جملة من تلك الروايات نذكرها للقارئ الكريم تبركا وتشويقا للمقصرين وتعريفا للقاصرين، نفعنا الله وإياهم بزيارته وتربته وجميع أطافه ومقاماته في الدنيا والآخرة.

1: بركة التربة الحسينية وعظيم منفعتها

إشارة

وفيما يأتي جملة من الفوائد والبركات التي اختصت بها التربة الحسينية المقدسة:

1- الأمالى للشيخ الطوسى ص 317.

2- المزار لمحمد بن المشهدى ص 497.

ألف: ان السجود عليها يخرق الحجب السبعة

عن معاوية بن عمار قال: (كان لأبي عبد الله عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله عليه السلام، فكان إذا حضرته الصلاة صبه على سجاداته وسجد عليه، ثم قال عليه السلام: السجود على تربة أبي عبد الله عليه السلام يخرق الحجب السبع)(1).

وكتعليق على هذا الحديث الشريف يقول الشيخ وحيد الخراساني: (فإن السجود أعظم عبادة أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم به للاقترب إليه... والإمام المعصوم يتوسل في سجوده الذي هو نهاية تقربه بتراب الحسين عليه السلام، لكي يخرق به الحجب السبع. فماذا يمكن أن يقال في شأن دم صار ذلك التراب بإضافته إليه خارقاً للحجاب بين العبد وربّه، وموصلاً لعباد الله إلى منتهى كرامة الله)(2).

باء: انها شفاء من كل داء وامن من كل خوف وبأس**اشارة**

وفيما يخص الاستشفاء بالتربة الحسينية وكونها دواء من كل داء روى محمد بن سليمان البصرى عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (في طين قبر الحسين عليه السلام الشفاء من كل داء، وهو الدواء الأكبر)(3) وعن أبي عبد الله الصادق أيضاً انه صلوات الله وسلامه عليه قال: (طين قبر الحسين فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل)(4).

لكن الأحاديث الأخرى وضعت شرطين لإمكان الانتفاع بطين قبر المولى

1- مصباح المتهجد للشيخ الطوسى ص734.

2- منهاج الصالحين للشيخ وحيد الخراسانى ج 1 ص 361__362.

3- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص462.

4- المزار للشيخ المفيد ص144 __ 145.

صلوات الله وسلامه عليه وحتمية الانتفاع بآثارها، الأول هو اعتراف واعتقاد أخذها والمستشفى بها لحرمة وحق وولاية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والشرط الثاني ان لا تكون العلة التي يتداوى منها علة الموت، فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (لو أن مريضاً من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله الحسين عليه السلام وحرمة وولايته، أخذ له من طين قبر الحسين عليه السلام مثل رأس الأنملة كان له دواء)(1).

وقال صلوات الله وسلامه عليه أيضاً: (من أصابته علة فتداوى من طين قبر الحسين عليه السلام شفاه الله من تلك العلة، إلا أن تكون علة السام)(2).

هل الاستشفاء بتربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ينفع المخالفين؟

ولعل الإطلاق في هذين الحديثين بقوله صلوات الله وسلامه عليه (لو ان مريضاً من المؤمنين) وقوله صلوات الله وسلامه عليه (من أصابته علة فتداوى) مطلق لا يختص بموالى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان كان مواليهم أولى الناس بالاستفادة من بركاتها، فيصبح كل من يأخذ من طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وهو يرى لأبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه حرمة وحقاً فإنه ينتفع بها وتكون له شفاء حتى وان كان من المخالفين، اللهم إلا أن يقال ان معنى قوله صلوات الله وسلامه عليه (مريضاً من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله الحسين عليه السلام) هو خصوص الموالى لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأصحابهم ومن جاء بعدهم غالباً ما يعبرون بالمؤمن أو المؤمنين ويقصدون منه خصوص الموالى دون المخالف، وهو احتمال غير بعيد، ولكن لو وجد من المخالفين من يعرف حق الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ويكون موصوفاً

1- مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص732.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص462.

بالإيمان بالمعنى الأعم وتناول من تربة قبره الشريف متيقنا بنفعها وبركتها فإننا نرجو له الاستفادة من أثرها وتحصيل منفعتها وتكون له شفاء ورحمة لسببين:

أحدهما: ان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باب رحمة فتحت لعموم المسلمين بل لعموم البشر، وبركاتهم وأطافهم وعطاؤهم من عطاء الله ورحمته وفيضه وهو عام للموالين وغيرهم ولمن هو مسلم موحد وغيره، وقد ورد في الدعاء المعروف (يا من يعطى من سألته، يا من يعطى من لم يسأله ولم يعرفه تحننا منه ورحمة) (1) فليس بعيداً والحال هذه ان تعم بركة تربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه الموالى والمخالف بل المسلم وغيره، وما ينقل من القصص بانتفاع بعض من غير المسلمين بهذه التربة الطاهرة خير شاهد وقرينة على ما قدمنا.

والسبب الثانى: ليكون الانتفاع بترتبه الطاهرة بالنسبة للمخالفين أو غير المسلمين حجة عليهم ودليلاً على صدق ما يدعو إليه أتباع أهل البيت وأئمتهم الطاهرون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو سبب عقلائى وجيه يصحح إمكان بل استحسان تحقق اثر الشفاء بالتربة الحسينية بالنسبة للمخالفين بل وغير المسلمين.

ولكن يستثنى الناصبى من ذلك كله لانتفاء جميع الشروط فيه فهو ليس من أهل الإيمان ولا يرى حقاً للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ولا حرمة لترتبه الطاهرة، فيكون انتفاء الفائدة والأثر بسبب وجود المانع وهو النصب.

أما بالنسبة إلى بقية فوائد التربة الطاهرة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فقد ورد فى الروايات الشريفة أنها أمان من كل خوف وحفظ من كل سوء، فعن عيسى بن سليمان، عن محمد بن زياد، عن عمته قالت: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام

يقول: إن في طين الحائر الذي فيه الحسين عليه السلام، شفاء من كل داء وأمانا من كل خوف وحفظا من كل سوء(1).

وعن الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنه قيل له: (تربة قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء، فهل هي أمان من كل خوف؟ فقال: نعم، إذا أراد أحدكم أن يكون آمنا من كل خوف فليأخذ المسبحة من تربته، ويدعو بدعاء المبيت على الفراش ثلاث مرات، ثم يقبلها ويضعها على عينيه ويقول: اللهم إني أسألك بحق هذه التربة، وبحق صاحبها، وبحق جده وبحق أبيه، وبحق أمه وأخيه، وبحق ولده الطاهرين اجعلها شفاء من كل داء، وأمانا من كل خوف، وحفظا من كل سوء، ثم يضعها في جيبه فان فعل ذلك في الغداة فلا يزال في أمان الله حتى العشاء وإن فعل ذلك في العشاء فلا يزال في أمان الله حتى الغداة(2).

تنبيهات مهمة تتعلق بأكل التربة الحسينية

ولكن يجب على الموالين ان يتنبهوا على عدة أمور مهمة تتعلق بالاستشفاء بطين أو تراب قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتربة كربلاء، وأهمها ما يأتي:

أولا: حرمة أكل التراب والطين عموما لثبوت الضرر في أكله

ان الأحاديث الشريفة عن المعصومين صرحت بشكل لا يقبل الشك بحرمة أكل التراب والطين مطلقا باستثناء طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، لترتب الضرر الفادح على بدن الإنسان، وقد شبه أكله في بعض الروايات كأكل لحم الخنزير، فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (الطين حرام كله كلحم الخنزير

1- مصباح المتعجد للشيخ الطوسي ص 734.

2- وسائل الشيعة للحر العاملي ج 11 ص 428.

ومن أكله ثم مات فيه لم أصل عليه(1) وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أكل الطين يورث النفاق)(2). وعن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن التمني عمل الوسوسة وأكثر مصائد الشيطان أكل الطين وهو يورث السقم ويهيج الداء ومن أكل طينا فضعف عن قوته التي كانت قبل أن يأكله وضعف عن العمل الذي كان يعمل قبل أن يأكله حوسب على ما بين قوته وضعفه وعذب عليه)(3).

ثانياً: استثناء طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بشرطين مهمين

ان المستثنى من طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتربة كربلاء المقدسة هو ان لا يؤكل منها إلا لغرض الاستشفاء من علة أو داء، وان لا يزيد مقدار الأكل بأكثر من مقدار حبة حمص أو عدس، والروايات الشريفة صريحة في النهي عن أخذها من دون حاجة الاستشفاء ومن دون أن يزيد مقدارها عن حمصة ومن أكل لغير هذا القصد أو أكثر من هذا المقدار فقد أكل من لحم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد روى حنان بن سدير عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من أكل من طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا(4).

وفي رواية ثانية عنه صلوات الله وسلامه عليه قال: (فقبلها قبل كل شيء وضعها على عينيك، ولا تناول منها أكثر من حمصة فإنه من تناول أكثر من ذلك فكأنما أكل من لحومنا ودمائنا)(5).

1- الكافي للشيخ الكليني ج 6 ص 265.

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق ص 266.

4- مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص 733.

5- الدعوات لقطب الدين الراوندى ص 186.

ثالثاً: جواز أكل التربة الحسينية لا يتعدى إلى باقى قبور المعصومين

حكم جواز أكل طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والاستشفاء به وبترربة كربلاء المقدسة، لا يتعدى بحسب الظاهر إلى غيره من الأئمة صلوات الله وسلامه عليه حتى تراب قبر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وما روى فى كامل الزيارة عن: (محمد بن الحسن بن على بن مهزيار، عن جده على بن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن عبد الله بن عبد الرحمان الأصم، قال: حدثنا أبو عمرو وشيخ من أهل الكوفة، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كنت بمكة __ وذكر فى حديثه __ قلت: جعلت فداك إني رأيت أصحابنا يأخذون من طين الحائر ليستشفون به هل فى ذلك شىء مما يقولون من الشفاء، قال: قال: يستشفى بما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر جدى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك طين قبر الحسن وعلى ومحمد، فخذ منها، فإنها شفاء من كل سقم وجنة مما تخاف) (1) فانه ضعيف لوجود (عبد الله بن عبد الرحمان الأصم) ضمن سنده وهو كما يقول ابن الغضائرى: (عبد الله بن عبد الرحمان الأصم، المسمعى، أبو محمد. ضعيف، مرتفع القول. له كتاب فى الزيارات، ما يدل على خبث عظيم، ومذهب متهافت. وكان من كذابة أهل البصرة) (2).

وقال العلامة الحللى: (عبد الله بن عبد الرحمان الأصم المسمعى، بصرى ضعيف غال، ليس بشىء، وله كتاب فى الزيارات يدل على خبث عظيم ومذهب متهافت، وكان من كذابة أهل البصرة) (3).

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 470.

2- رجال ابن الغضائرى لأحمد بن الحسين الغضائرى الواسطى البغدادى ص 76 __ 77.

3- خلاصة الأقوال للعلامة الحللى ص 372

رابعاً: تفضيل تربة كربلاء على غيرها لا يعنى أفضلية الإمام الحسين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

تخصيص جواز أكل طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه للاستشفاء دون بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا يدل قطعاً على أفضلية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين على ابن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، كما يحاول النواصب وأعداء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تثبيته ورمى الشيعة به، لأن من قواعد المذهب الحق وأسسها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أفضل الخلق وأكرمهم، كذلك ثبت بالدليل والروايات الكثيرة ان الإمام أمير المؤمنين أفضل من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهما، بل ان كل ما عند الإمام الحسين من كرامة ومقام وفضل إنما يرجع سببه إلى كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فلولا وجود النبي لما وجد إسلام ولا دين ولما وجدت إمامة ووصاية، فالنبي وأمير المؤمنين هما الأصل والحسين صلوات الله وسلامه عليه فرع من ذلك الأصل، وعليه فيكون تقديس الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في حقيقته تقديساً للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتقديساً لأمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وتعظيم الكل وتقديسهم هو في حقيقته تعظيم وتقديس لله سبحانه وتعالى.

خامساً: هل يجب قراءة الأدعية والختمات على التربة قبل تناولها؟

وردت روايات عدة في آداب التربة وكيفية أخذها وطريقة تناولها، وذكرت هذه الروايات الشريفة الأدعية والختمات الخاصة بالتربة الحسينية من حين أخذها إلى حين تناوله، وسنكتفي بذكر روايتين ونترك التفصيل طلباً للاختصار، ولأن كثيراً من كتب الأدعية والزيارات قد تكفلت بهذه المهمة، فالأولى ما رواه يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من

كل داء، فإذا أكلت، فقل: بسم الله وبالله، اللهم اجعله رزقا واسعا وعلما نافعا وشفاء من كل داء إنك على كل شيء قدير، اللهم رب التربة المباركة ورب الوصي الذي وارته صل على محمد وآل محمد واجعل هذا الطين شفاء من كل داء وأمانا من كل خوف(1).

وروى حنان بن سدير عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (من أكل من طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا فإذا احتاج أحدكم للأكل منه ليستشفى به، فليقل: بسم الله وبالله، اللهم رب هذه التربة المباركة الطاهرة، ورب النور الذي أنزل فيه ورب الجسد الذي سكن فيه ورب الملائكة الموكلين به صل على محمد وآل محمد واجعله لي شفاء من داء __ كذا وكذا __، واجرع من الماء جرعة خلفه، وقل: اللهم اجعله رزقا واسعا وعلما نافعا وشفاء من كل داء وسقم. فإن الله تعالى يدفع عنك بها كل ما تجد من السقم والهم والغم إن شاء الله تعالى(2).

والذي نود الإشارة إليه هو ان جملة من فقهاء المذهب الأعلام ذهبوا إلى ان هذه الأدعية والأحراز هي شروط كمالية لسرعة إجابة الدعاء وسرعة حصول التأثير، وليست شرطا لأصل تأثيرها وجواز تناولها، وفي هذا الصدد يقول السيد السيستاني: (يستثنى من الطين طين قبر الإمام الحسين عليه السلام للاستشفاء، ولا يجوز أكله لغيره، ولا أكل ما زاد عن قدر الحمصة المتوسطة الحجم، ولا يلحق به طين قبر غيره حتى قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، نعم لا بأس بأن يمزج بماء أو مشروب آخر على نحو يستهلك فيه والتبرك بالاستشفاء بذلك الماء

1- مصباح المتعجد للشيخ الطوسي 733.

2- مصباح المتعجد للشيخ الطوسي 733.

وذلك المشروب ... قد ذكر لأخذ التربة المقدسة وتناولها عند الحاجة آداب وأدعية خاصة، ولكن الظاهر أنها شروط كمال لسرعة تأثيرها لا أنها شرط لجواز تناولها(1).

وقال السيد الكلبيكاني: (يستثنى من الطين طين قبر الحسين عليه السلام للاستشفاء، فإن تربته المقدسة شفاء من كل داء، وهي من الأدوية المفردة، ولا تمر بداء إلا هضمته. ولا يجوز أكلها لغير الاستشفاء، ولا أكل ما زاد عن قدر الحمصة المتوسطة. ولا يلحق به طين قبر النبي والأئمة عليهم السلام على الأحوط إن لم يكن أقوى. نعم لا بأس بأن يمزج طينها بماء أو عصير والتبرك والاستشفاء بذلك الماء أو العصير، ولا بد أن يستهلك التراب في السائل، وكذا لا بأس بالاستشفاء بغير الأكل، بأن يمسح التراب بموضع الوجع أو يحمله معه تبركا مع مراعاة احترامه ... لأخذ التربة الحسينية المقدسة والاستشفاء بها وتناولها عند الحاجة آداب وأدعية مذكورة في محالها، خصوصا في كتب المزار، كمزار بحار الأنوار، والظاهر أنها جميعا شروط لسرعة تأثيرها لا لجواز تناولها(2).

سادسا: ضرورة احترام التربة الحسينية وحفظها في المكان المناسب

صرحت الروايات الشريفة بلزوم احترام التربة الحسينية الشريفة وخصوصا التي تؤخذ للاستشفاء والتداوى، فينبغي على حاملها إلى منزله أو غيره من المواضع، أن لا يضعها في الثياب الوسخة أو في الأوعية التي تستلزم قلة احترامها، فقد روى عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في حق تربة جده صلوات الله وسلامه عليه: (وإنما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلة اليقين لمن يعالج بها... ولقد بلغني ان بعض من يأخذ من

1- منهاج الصالحين للسيد السيستاني ج 3 ص 302 مسألة رقم 920 و 921.

2- هداية العباد للسيد الكلبيكاني ج 2 ص 233 مسألة رقم 818 و 819.

التربة شيئاً يستخف به حتى أن بعضهم يضعها في مخلالة البغل والحمار وفي وعاء الطعام والخرج فكيف يستشفى به من هذا حاله عنده(1).

فينبغي على من يريد الاحتفاظ بتربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ان يهتم بها ويحفظها كما يحتفظ التجار والأغنياء بجواهرهم وان يختار لها الموالى مكانا يناسب قداستها وأهميتها، فالتربة الحسينية لا تقل أهمية عن الجوهر والدر والياقوت، بل هي أعلى من كل ذلك، فكم من غنى لم ينتفع بجواهره وذهبه وفضته في دفع المرض عن نفسه والألم والأوجاع عن جسده، ومات وهو ينظر حسرة إلى ما جمعه وأخفاه عن أقرب مقربيه، كذلك الجواهر لا تدفع عن قلوب مدخريها وجامعيها الخوف والرعب فيما لو ألمّ بهم حادث تطير منه القلوب وترتعد منه الفرائص، لكن التربة الحسينية المطهرة تمتلك كل هذا التأثير، فهي في واقعها أعلى من كل غال ونفيس، فيجب على من يريد تحصيل آثارها المباركة ان يحرص على تكريمها وتقديسها وإجلالها لينتفع بها ولا ترفع البركة عنها.

سابعاً: استهزاء المخالفين بالاستشفاء بالتربة الحسينية لا وجه له

من يتابع القنوات الفضائية المعادية لفكر أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأوليائهم، ومن يتأمل في المواقع الالكترونية المدعومة من قبل الجهات التكفيرية الضالة، يجدهم يطيلون التشنيع ويطنبون في القدح والذم بشيعة أهل البيت الكرام، وعلمائهم الأعلام، بسبب توسلهم وتعظيمهم وتقديسهم واستشفائهم بتربة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، بحجة ان المسلم عليه ان يلتجئ إلى القرآن الكريم حين مرضه لقوله سبحانه وتعالى ((وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)) (2).

1- وسائل الشيعة الحر العاملي ج 24 ص. 228.

2- سورة الإسراء الآية رقم 82.

ولان المسلم مأمور باللجوء إلى الأسباب الطبيعية في معالجة أمراض البدن، ولان أكل التراب بصورة مطلقة يضر بالبدن ويسبب ما لا يحصى من الأمراض القاتلة.

أقول: ان استهزاءهم بالاستشفاء بتربة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه عجيب للغاية؛ لأنهم وبشهادة كتبهم يجوزون أكل التراب والفحم والجص، أما بجواز مطلق أو مع الكراهة، قال عبد الله بن قدامة: (قال أحمد: أكره أكل الطين ولا يصح فيه حديث إلا أنه يضر بالبدن ويقال إنه ردىء وتركه خير من أكله وإنما كرهه أحمد لأجل مضرته فإن كان منه ما يتداوى به كالطين الأرمنى فلا يكره، وإن كان مما لا مضرة فيه ولا نفع كالشئء اليسير جاز أكله لأن الأصل الإباحة والمعنى الذى لأجله كره ما يضر وهو منتف ههنا فلم يكره)(1).

وقال البيهقى فى السنن الكبرى: (باب ما جاء فى أكل الطين قد روى فى تحريمه أحاديث لا يصح شئء منها)(2).

وقال ابن حزم: (وأكل الطين لمن لا يستضر به حلال، وأما كل ما يستضر به من طين أو إكثار من الماء أو الخبز فحرام؛ لأنه ليس مما فصل تحريمه لنا فهو حلال، وأما كل ما أضر فهو حرام)(3).

وقد عدّ أكله فى أثناء الصيام لا يوجب الكفارة، قال السرخسى: (وإذا أكل الصائم الطين أو الجص أو الحصاة متعمدا فعليه القضاء ولا كفارة عليه وقد بينا هذا ومراده طين الأرض)(4).

1- المغنى لعبد الله بن قدامة ج 11 ص 88.

2- السنن الكبرى للبيهقى ج 10 ص 11.

3- المحلى لابن حزم ج 7 ص 430.

4- المبسوط للسرخسى ج 3 ص 100.

وقال المرادوى: (يكره أكل التراب والفحم. جزم به فى الرعايتين والحاويين وغيرهم)(1).

وقد حكموا على بعض أنواع الطين بجواز أكلها لأنها مما يستشفى به، كالطين المسمى بالطين الارمنى، والطين البحارى، قال الشيخ محمد الحنفى: (وأكل الطين البحارى لا بأس به ما لم يسرف وكراهة أكله لا لحرمة بل لأنه يهيج الدم)(2).

وقال البهوتى: (فإن كان منه __ أى الطين __ ما يتداوى به كالطين الأرمنى لم يكره؛ لأنه لا ضرر فيه وكذا يسير تراب، وطين بحيث لا يضر فلا يكره لانتفاء علة الكراهة)(3).

فيتضح مما سبق ان أهل السنة يذهبون إلى ان التراب أو الطين ان كان فيه ضرر فيكره، وان لم يكن فيه نفع أو ضرر كالشئ اليسير فهو جائز، أما ان كان مما يستشفى به فأكله جائز كالطين الارمنى والطين البحارى.

والاستشفاء بالتربة الحسينية من قبل الموالين المقدسين لإمامهم الشهيد وترتبه الطاهرة، هو من قبيل الطين الذى يستشفى به، فيكون جائزا بلا خلاف، وإذا أردنا ان نتنزل ونحكم من باب إلقاء الحجية على الخصم بان أكل تربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من قبل الموالين وبمقدار هو اقل من الحمصة المتوسطة الحجم يكون داخلا فى قولهم: (وإن كان مما لا مضرة فيه ولا نفع كالشئ اليسير جاز أكله؛ لأن الأصل الإباحة والمعنى الذى لأجله كره ما يضر وهو منتف ههنا فلم يكره)(4).

1- الإنصاف للمرادوى ج 10 ص 368.

2- تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن على الطورى القادرى الحنفى ج 2 شرح ص 338.

3- كشف القناع للبهوتى ج 6 ص 246.

4- المغنى لعبد الله بن قدامة ج 11 ص 88.

فيصبح حكم أكل التربة الحسينية بالمقدار المتقدم صحيحاً على وفق مباني مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومباني المخالفين، ومن يستهزئ بموالي أهل البيت فانه في الحقيقة يستهزئ بأئمة مذهبه؛ لأنهم حكموا بجواز أكل مطلق التراب بل جوزوا أكل الفحم والجص، بينما حرم علماؤنا الأعلام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ذلك كله.

إضافة إلى بطلان ما تدرع به المخالفون من لزوم الاكتفاء بالقرآن لأنه شفاء ورحمة للمؤمنين، لان القرآن لا يريد بقوله ((وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)) (1) ان يحصر أسباب الشفاء بالقرآن الكريم، بل يريد سبحانه ان يبين ان واحدة من وسائل الشفاء هو القرآن الكريم، وإلا- لو حكموا على الشيعة وأتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالكفر والانحراف والضلال بسبب استشفائهم بتربة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فيجب عليهم حينئذ ان يحكموا بكفر وضلال وانحراف جميع الطوائف الأخرى من أتباع المذاهب السنية بسبب تركهم للاستشفاء بالقرآن وذهابهم إلى المستشفيات والعيادات الطبية وأخذهم للأدوية الكيميائية، والتي تصنع غالباً في بلاد الكفر، وهو أمر لا يقبل به مسلم، فمن يصحح فعل المذاهب الإسلامية في استعمالهم للطين الأرميني والبحارى للاستشفاء وذهابهم إلى المستشفيات واستعمالهم للمواد والتراكيب الكيميائية، عليه كذلك ان يصحح فعل أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في استشفائهم بتربة إمامهم المظلوم صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ان الأسباب التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون تفوق تفكير الناس وعقولهم ولا تنحصر في الماديات فقط، فليس قميص نبي الله يوسف صلوات الله وسلامه عليه الذي كانت له خاصية إرجاع بصر نبي الله يعقوب بعد ان ابيضت عيناه من الحزن، فليس هذا القميص بأكرم على الله سبحانه وتعالى من تربة سال عليها اطهر دم وأزكاه،

وليست بقرة بنى إسرائيل التي تكلم عنها القرآن الكريم فى سورة البقرة، والى أحياء الله بها قتيلى بنى إسرائيل، بأكرم على الله سبحانه وتعالى من خليفة الله فى أرضه، وحجته على عباده، وسيد شباب أهل الجنة صلوات الله وسلامه عليه.

جيم: استحباب اتخاذ التربة الحسينية مسبحة للذكر

قد وردت أخبار عدة فى فضل اتخاذ المسبحة من طين التربة الحسينية، وان الشيعة لا يستغنى عن أربعة أشياء إحداهن المسبحة التى من طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فعن أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: (لا تستغنى شيعةنا عن أربع خمرات يصلى عليها، وخاتم يتختم به، وسواك يستاك به، وسبحة من طين قبر أبى عبد الله عليه السلام فيها ثلاث وثلاثون حبة...) (1)، وقد صرحت هذه الأخبار ان لهذه المسبحة فضيلتين تضاف إلى الفضائل السابقة الذكر:

الفضيلة الأولى: ان التسييح بها والتهليل والاستغفار وسائر أقسام الذكر يضاعف أضعافاً كثيرة، بالنسبة إلى غيرها من بقية أنواع المسبحة.

الفضيلة الثانية: استمرار صفة وثواب التسييح لحاملها ما دامت فى يده حتى وان قلب أحجارها من دون ذكر.

فعن محمد بن عبد الله المشهدى فى كتاب المزار، عن الامام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من أدار الحجير من تربة الحسين عليه السلام فاستغفر به مرة واحدة كتبت له بالواحدة سبعون مرة، ومن أمسك السبحة بيده ولم يسبح بها ففى كل حبة منها سبع مرات) (2).

1- روضة الواعظين للفتال النيسابورى ص412.

2- المزار لمحمد بن المشهدى ص 367.

وعن أبي الحسن الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (من أدار الطين من التربة فقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. مع كل حبة منها كتب الله له بها ستة آلاف حسنة، ومحا عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، وأثبت له من الشفاعة مثلها)(1).

وسئل أبو عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه عن استعمال الترتين من طين قبر حمزة وقبر الحسين عليهما السلام والتفاضل بينهما، فقال عليه السلام: (السبحة التي هي من طين قبر الحسين عليه السلام تسبح بيد الرجل من غير أن يسبح)(2).

وعن الشيخ الصدوق قدس الله روحه، عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرض السابعة، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب مسبحا بها)(3).

وعن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري قال: (كتبت إلى الفقيه(4) أسأله هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟ فأجاب... تسبح به، فما في شيء من السبح أفضل منه، ومن فضله أن المسبح ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح)(5). وليس ذلك بعجيب؛ إذ إن كل ما في السماوات وما في الأرض يسبح الله ويقده، قال تعالى: ((تَسْبُحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا))(6).

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 367.

2- المصدر السابق ص 367 __ 368.

3- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 1 ص 269.

4- الفقيه هنا في هذه الرواية هو الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

5- وسائل الشيعة للحر العاملي ج 10 ص 420 __ 421.

6- سورة الإسراء الآية رقم 44.

وقال سبحانه: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخُجُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)) (1)، والتربة الحسينية من ضمن هذه الموجودات المسبحة والمصلية لله سبحانه، وفرقها عن غيرها كما هو ظاهر الروايات ان باقى الموجودات تسبح وتصلى لله سبحانه وتسبيحها وصلاتها لنفسها خاصة، أما التربة الحسينية فتسبح وتصلى وصلاتها وتسبيحها لحاملها، لذلك يكتب مسبحا حتى لو غفل عن التسبيح والتقديس.

ثم ان التأكيد على اتخاذ التربة الحسينية _ على ساكنها آلاف التحية والسلام _ مسبحة فى اليد وتربة تحت الجبين، لعله ناتج إضافة إلى مسألة قداستها، عن حرص ومراعاة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لإدامة واستمرار حالة الشد العاطفى والمعنوى ما بين الموالى وما بين الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والإبقاء على كربلاء واسم كربلاء وما حصل وجرى فى كربلاء ماثلا حاضرا عند الإنسان الموالى، فمن كان سجوده الدائم على تراب كربلاء، كانت كربلاء حاضرة عنده اسما وحدثا، ومن كانت مسبحة طين قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، أو مسبحة تراب كربلاء فى يده، كانت البركة فى يده تتقلب مع حبات هذه المسبحة المباركة.

دال: استحباب وضع التربة الحسينية مع الميت عند الغسل وفى القبر

ان كان الإنسان الموالى يحتاج إلى حمل التربة الحسينية المقدسة فى دار الدنيا للأمن من الأخطار والمكاره ونزول النوائب والشدائد، فهو فى رحلته إلى عالم الآخرة اشد احتياجا واضطرارا إلى اصطحاب التربة الحسينية معه، لان مكاره وشدائد وأخطار ذلك العالم تفوق مكاره عالم الدنيا وشدائده وأخطاره، ولا سيما

عند سؤال الملكين منكر ونكير، ورفع الحجاب دون الميت ومعاناة أعماله متجسدة أمام ناظره، وهو بدار غربة ووحشة لا أنيس له ولا جليس قد خلى بينه وبين عمله، لا يجد من ضيق لحده متسعا ولا من كربته فرجا، ولو كشف الغطاء ما بيننا وبينهم لرأينا: (وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت، واكتحلت أبصارهم بالتراب فحسفت، وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها. وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها، وسهل طرق الآفة إليها، مستسلمات فلا أيد تدفع، ولا قلوب تجزع لرأيت أشجان قلوب، وأقذاء عيون. لهم في كل فضاة صفة حال لا تنتقل، وغمرة لا تنجلي... وإن للموت لغمرات هي أفضع من أن تستغرق بصفة أو تعتدل على قلوب أهل الدنيا(1).

لذلك وردت الأحاديث الشريفة عن الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستحباب وضع التربة الحسينية مع الميت في قبره وخلطها في ماء غسله لتكون له أمانا من مخاوفه ومعينة له على شدائد الموت ووحشة القبر وهول الحساب، فعن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري قال: (كتبت إلى الفقيه عليه السلام أسأله عن طين القبر يوضع مع الميت في قبره، هل يجوز ذلك أم لا؟ فأجاب... توضع مع الميت في قبره، ويخلط بحنوطه. إن شاء الله(2).

وعن جعفر بن عيسى أنه سمع أبا الحسن صلوات الله وسلامه عليه يقول: (ما على أحدكم إذا دفن الميت ووسده التراب أن يضع مقابل وجهه لبنة من الطين، ولا يضعها تحت رأسه(3).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 11 ص 151.

2- وسائل الشيعة للحر العاملي ج 3 ص 29.

3- وسائل الشيعة للحر العاملي ج 3 ص 30.

2و3: فضل زيارته صلوات الله وسلامه عليه وكرامة زواره عند الله سبحانه وتعالى

إشارة

ان فضيلة استجابة الدعاء تحت القبة الشريفة للإمام أبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وعدم حساب أيام زواره من حين ذهابهم إلى زيارته إلى ان يرجعوا إلى ديارهم وأهليهم هي بعض ما أعطاه الله سبحانه وتعالى للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وكرامة خص بها زواره، لذلك جمعنا كلا المقامين والكرامتين في محور واحد، وسنذكر فيما يأتي وإتماماً للفائدة مجموعة أخرى من تلك الكرامات والفضائل التي خص الله سبحانه وتعالى بها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وزائريه، مع بعض التعليقات والفوائد التي نرجو الله أن ينفعنا بها وجميع زائري قبر أبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

فضل زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

إشارة

من يرجع إلى أحاديث المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويلاحظ مدى اهتمامهم وتشجيعهم وحشهم لشيعتهم على زيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يرى نفسه أمام كم هائل من الآثار تحدثت جميعها عن عظمة إتيان قبره الطاهر، وعظمة الآثار والفوائد التي تجنى نتيجة زيارة روضته المقدسة، ونحن وان كنا لا نستطيع ان نأتى على آخرها في هذا العرض المختصر إلا أننا نستطيع ان ننتهل من بعضها وتبرك بإيراد قسم منها ليعرف أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عظمة إمامهم الشهيد صلوات الله وسلامه عليه وكرامته وما لهم من الأجر والثواب على زيارته، وما تعود عليهم هذه الرحلة المباركة إلى قبره الشريف من المنافع، ويمكن لنا تقسيم هذه المنافع والعوائد إلى قسمين:

القسم الأول: منافع وعوائد زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المادية الدنيوية

وهي كثيرة جدا، فمنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تدفع الهدم الذى هو عبارة عن وقوع الأبنية على رؤوس ساكنيها، والغرق والحريق، فقد روى الشيخ الصدوق قدس الله روحه عن الإمام محمد بن على الباقر صلوات الله وسلامه عليهما انه قال: (مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن على عليهما السلام فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل)(1).

ومنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تزيد الرزق وتمد في العمر وتدفع مقادير السوء، فعن محمد بن مسلم عن أبى جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فان إتيانه يزيد الرزق ويمد في العمر ويدفع مدافع السوء وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر له بالإمامة من الله)(2).

وعن عبد الملك الخثعمى، عن الإمام أبى عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه، قال: (قال لى: يا عبد الملك لا تدع زيارة الحسين بن على عليهما السلام ومر أصحابك بذلك، يمد الله فى عمرك ويزيد الله فى رزقك، ويحييك الله سعيدا ولا تموت إلا سعيدا ويكتبك سعيدا)(3).

ومنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تطيل العمر، وتركها ينقص من عمر الإنسان ثلاثين سنة، فعن منصور بن حازم قال سمعناه _ أى الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه _ : (من أتى عليه حول لم يأت قبر الحسين عليه السلام انقص الله من عمره حولا، ولو قلت إن أحدكم ليموت قبل اجله بثلاثين سنة لكنك صادق، وذلك لأنكم تتركون

1- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 2 ص 582.

2- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى ج 6 ص 42.

3- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 286.

زيارة الحسين عليه السلام، فلا تدعوا زيارته يمد الله في أعماركم ويزيد في أرزاقكم، وإذا تركتم زيارته نقص الله من أعماركم وأرزاقكم فتنافسوا في زيارته، ولا- تدعوا ذلك فان الحسين شاهد لكم في ذلك عند الله وعند رسوله، وعند أمير المؤمنين وعند فاطمة عليهم السلام(1).

ومنها ان أيام زائري الحسين صلوات الله وسلامه عليه لا تحسب من أعمارهم ما داموا في زيارة إمامهم الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، فعن الهيثم بن عبد الله الرماني، عن الإمام أبي الحسن الرضا صلوات الله وسلامه عليه، عن أبيه الإمام موسى الكاظم صلوات الله وسلامه عليه، قال: (قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: إن أيام زائري الحسين عليه السلام لا تحسب من أعمارهم ولا تعد من آجالهم)(2).

ومنها استجابة الدعاء في مشهده الشريف عموما وتحت قبته صلوات الله وسلامه عليه على وجه الخصوص بإذن الله تعالى، وان من جاء إلى حرمه مكروبا أو خائفا أو محتاجا قضيت حاجته ونفست عنه كربته وأمن من خوفه بإذن الله سبحانه، فعن أبي الصباح الكناني قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: . إن إلى جانبكم قبرا ما أتاه مكروب إلا نفس الله كربته، وقضى حاجته، وإن عنده لأربعة آلاف ملك منذ قبض، شعثا غبرا يبكونه إلى يوم القيامة، فمن زاره شيعوه إلى مأمنه، ومن مرض عادوه، ومن مات اتبعوا جنازته)(3).

وعن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن الحسين عليه السلام قتل مكروبا، وحقيق على الله أن لا يأتيه مكروب إلا رده الله مسرورا)(4).

1- المصدر السابق ص 284 __ 285.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 259 __ 260.

3- مستدرک الوسائل للميرزا النوري ج 10 ص 238.

4- المصدر السابق ص 239.

القسم الثاني: منافع وعوائد زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المعنوية والأخروية

واما فوائد ومنافع وعوائد زيارته صلوات الله وسلامه عليه الأخروية فهي أكثر من ان تعد أو تحصى، ومن تأمل في اجر الزائر وكرامته وما يتحف به من العطايا الربانية يرى العجب العجاب، ويرى ما للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من الولاية التكوينية والمنزلة الملكوتية، التي بها يعطى الرحمن سبحانه وتعالى لزوارة من الأجر والثواب بلا وزن ولا حساب، وليس ذلك بعجيب، أليس قد وهب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كل ما عنده لله سبحانه وتعالى، وأعطى في سبيله النفس والمال والولد، فمن الطبيعي جدا ان يعطيه الله سبحانه وتعالى ما لا تقدر على تصويره ولا يخطر على أذهاننا المحدودة.

والروايات الشريفة بينت بعض هذه الكرامات المعنوية والأخروية التي يسعد بها الزائر لقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونحن نختار منها لا على نحو الحصر والاستقصاء ما يأتي:

منها ان زائره صلوات الله وسلامه عليه يكتبه الله سبحانه وتعالى عنده في أعلى عليين كما في الصحيحة المروية عن ابن قولويه القمي عن علي بن الحسن بن بابويه وجماعة من مشايخه، عن علي بن ابراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير عن عبيدة بن يعقوب القصب، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من أتى الحسين عارفا بحقه كتبه الله في أعلى عليين)⁽¹⁾.

ومنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تعدل عمرة مقبولة كما في الصحيحة المروية عن ابن قولويه عن أبيه رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد وعبد الله ابني محمد ابن عيسى، عن موسى بن القاسم، عن الحسن بن الجهم، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: ما تقول في زيارة قبر الحسين عليه السلام، فقال لي: ما تقول أنت فيه،

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص326.

فقلت: بعضنا يقول: حجة، وبعضنا يقول: عمرة، فقال: هو عمرة مقبولة(1).

ومنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تعدل عمرة مبرورة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في موثقة فضيل بن يسار عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: (زيارة قبر الحسين عليه السلام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزيارة قبور الشهداء تعدل حجة مبرورة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)(2).

ومنها ان زيارته صلوات الله وسلامه عليه تعدل عند الله سبحانه وتعالى ألف حجة وألف عمرة مبرورة متقبلة، ويمحى من ديوان الأشقياء ويسجل في ديوان السعداء كما في الحديث المروى عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (قلت له: ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفا بحقه غير مستكبر ولا مستتكف؟ قال عليه السلام يكتب له ألف حجة وألف عمرة مبرورة وان كان شقيا كتب سعيدا ولم يزل يخوض في رحمة الله عز وجل)(3).

والظاهر ان هذا التفاوت في الأجر تابع لدرجات الإخلاص والمعرفة وحال الزائر، إذ ليس العارف كغيره، وليس المخلص كمن هو اقل إخلاصا، وليس الضاحك الفاكه كالباكي الحزين المتفجع .

ومنها ان زائره يلقي الله وليس عليه ذنب فإن بكاه غفر الله ذنبه صغيرا أو كبيرا قليلا كان أو كثيرا، فعن الشيخ الصدوق قدس الله روحه عن: (محمد بن علي ماجيلويه رضى الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام فى أول يوم من المحرم فقال: ... يا ابن شبيب ان المحرم هو الشهر

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 292.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 293.

3- المصدر السابق ص 274.

الذى كان أهل الجاهلية يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمة ما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا فى هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله فلا غفر الله لهم ذلك أبدا. يا ابن شبيب ان كنت باكيا لشيء فابك للحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام... يا بن شبيب ان بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيرا كان أو كبيرا قليلا كان أو كثيرا يا بن شبيب ان سرک ان تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام يا بن شبيب ان سرک ان تسكن الغرف المبنية فى الجنة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فالعن قتلة الحسين يا بن شبيب ان سرک أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين بن على عليه السلام فقل متى ذكرته: ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما يا بن شبيب ان سرک أن تكون معنا فى الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولا يتنا فلو ان رجلا أحب حجرا لحشره الله عز وجل معه يوم القيامة(1).

كيف يكون كل هذا الأجر والثواب لمجرد الزيارة لقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه؟

ربما استكثر بعض المشككين لهذا الثواب الذى اعد لزائر قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بحجة ان الثواب المترتب على الزيارة لا يساوى العمل والجهد الذى يبذله الزائر فى زيارته لقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

ويمكن ان يجاب عن هذا الإشكال بما يأتى:

أولا: ان الثواب فى مسألة زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كما فى سائر العبادات الواجبة والمستحبة ليس أمرا استحقاقيا حتى يرد هذا الاعتراض، بل الثواب كما هو ثابت فى محله هو تفضلى يمن به الله سبحانه وتعالى على عباده بهدف الكرامة لهم،

1- عيون أخبار الرضا صلوات الله وسلامه عليه للشيخ الصدوق ج 2 ص 268 __ 269.

أو استنقاذهم من النار، أو لأمر غير ذلك، وهو أمر ليس بالقبيح عقلا ولا شرعا.

ثانيا: ان الثواب على فعل بسيط من حق الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد ان يمنع الله سبحانه وتعالى عن ممارسة شيء من حقوقه، وذلك لان هذا العالم، وكذلك عالم الآخرة وما فيه، بل وكل العوالم التي نعرفها والتي لا نعرفها، هي ملك لله تبارك وتعالى وتحت سلطانه يعطى منها ما يشاء لمن يشاء وبالمقدار الذي يشاء، كما قال سبحانه وتعالى ((لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ))⁽¹⁾، وقال سبحانه وتعالى فى آية أخرى ((وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ))⁽²⁾.

ثالثا: ان لله سبحانه وتعالى موازين ومقاييس فى مسألة الثواب والعقاب لا يمكن لأمثالنا من ذوى العقول المحدودة فهمها ولا تحديدها، فمسألة الثواب والعقاب تخضع لملايين من المعادلات الغيبية، ومأخوذ فيها آلاف الاعتبارات غير المنظورة من البسطاء أمثالنا والتي لا يطلع عليها إلا اعلام الغيوب، ولنضرب على ذلك مثالا عمليا، ففي القصة المشهورة التي عن أنس قال: (كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية فحيته بطاقة ريحان فقال لها أنت حرة لوجه الله فقلت تحييك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها قال كذا أدبنا الله قال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وكان أحسن منها عتقها)⁽³⁾ ففي ذلك الوقت كانت الجارية تساوى عشرات الدنانير ان لم نقل المئات منها، بينما طاقة الورد لا تساوى درهما أو جزء درهم، بل ويمكن الحصول عليها مجانا من بعض البساتين، لذلك قال انس عنها: (لا خطر لها) أى لا قيمة لها، لكن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كان ينظر إلى شيء خفى عن انس الذى كان ينظر إلى موضوع عتق الجارية من اجل طاقة ورد بنظرة سطحية مادية

1- سورة الأنبياء الآية رقم 23.

2- سورة البقرة الآية رقم 212.

3- كشف الغمة لابن أبى الفتح الإربلى ج 2 ص 240 __ 241.

ساذجة، فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد اخذ في قرار عتقه عشرات المنافع ومئات الاعتبارات، وعدّ هذا الكرم اللامحدود وغير المتناسب مع حجم الفعل هو مما أذّب الله سبحانه وتعالى به أوليائه وخلفائه المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والثواب الجزيل الذي يعطيه الله سبحانه على الفعل الصغير هو من هذا القبيل فتأمل.

رابعاً: ان الله سبحانه وتعالى مهما أعطى عباده من الثواب والأجر يوم المعاد من قصور مشيدة، وولدان مخلدين، وهور عين، وانهار من غسل وخمر ولبن وماء، وغير ذلك مما يمكن أو لا يمكن تصوره، فهو لا يخرج عن ملكه سبحانه وتعالى، فالعبد وما يعطى من الثواب، هو ملك لله وفي ملك الله سبحانه وتعالى، لا ينقص من ملكه شيئاً، ولا يزيد فيه شيئاً، فالعطاء الإلهي لزائر قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مهما بلغ هو من باب إيصال الخير للعباد والتفضل عليهم بالنعم وهو أمر راجح عقلاً وشرعاً.

وقد حكى صاحب كتاب (طرائف المقال) السيد على البروجردى حكاية عن تشرف السيد محمد بحر العلوم بحضوره بين يدي الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وإجابته عن مثل هذا الموضوع الذي نحن بصدد إثباته لذا رأيت ان اعرضها بين يدي القارئ الكريم للفائدة، وهي كما رواها السيد على البروجردى مع بعض التصرف البسيط كالتالي: (سمعت من بعض الاثبات والثقات أنه طاب ثراه يزور سيد الشهداء عليه السلام في كل سنة مكرراً، إلا أنه يجيء إلى زيارته ماشياً دفعة وراكباً في الأخرى، وذات يوم وهو يمشى في الطريق ويقصر خطاه حرصاً لزيادة الثواب، فبينما هو كذلك يمشى التفت إلى جزء هذه الخطوات وما أعد لزيارة مولانا سيد الشهداء، وتعجب مستكثراً في قلبه هذا الجزء الجزيل في مقابل الخطوات اليسيرة.

فماشاه أثناء الطريق رجل، فسأله عن حاله وعما يجول في فكره، فامتنع أولاً من الإظهار، وأبرز المطلب بعد الإصرار والإبرام، وقال: كيف يعطى الثواب كذا

وكذا على مثل خطوة واحدة؟.

فشرع ذلك الرجل الذى مشى معه فى حكاية نافعة مغنية عن جوابه، وهى أن ملكا من الملوك كان يدور فى مملكته لأجل الصيد مع عساكره. واتفق ان حل عليه الغروب فافترق من عسكره وتاه عنهم، فغلب عليه العطش والجوع، فرأى أثناء سيره وهو على هذه الحال خيمة، فذهب نحوها إلى أن وصل إليها فوجد فيها امرأة فقيرة، فلما رأته وهو بحالة يرثى لها أنزلته فى خيمتها وأكرمته كمال الإكرام، ولم يكن لها من الأموال إلا شاة واحدة، فذبحتها للسلطان من دون علمها بكونه سلطانا. وكان لها ابن يرفض ان تذبح شاتهم الوحيدة لهذا الضيف، لكن أمه كانت تقول له: ان إكرام الضيف مقدم على جميع الأمور، والسلطان يستمع مقالتهما.

فلما أصبح الصباح وبعد ان أكل السلطان ونام وارتاح قام ليذهب، فأعطى ابن المرأة الفقيرة خاتما وقال له: اذهب إلى دار السلطان فى الغد فانه لا يمنعك الحجاب، ولو منعوك أظهر الخاتم فانهم يخلون سبيلك، لعله يعطيك شيئا.

فانصرف السلطان ولحق بعسكره، وقال للحفظة والحجاب: ان سيأتى فى الغد شاب بصفة كذا وكذا وفى يده خاتمى فلا تمنعوه من الدخول حتى يصل إلى.

فذهب الشاب فى الغد إلى دار الملك، فلم يمنعه حتى دخل فى مجلس السلطان فأكرمه وآواه إلى جنبه. ثم أمر بإحضار أمنائه ووزرائه فى مملكته، فحكى لهم ما جرى له مع والدة الشاب وإكرامها له، ثم سألهم أنى أريد الصلة والعوض عن إكرامها، فما الشىء اللائق بحالها وحال ولدها؟ فأجاب كل منهم على حسب همته، فسكت السلطان إلى أن أتموا كلامهم، فرفع رأسه وقال لهم: ان تلك المرأة قد صرفت لى منتهى الوسع والطاقة وأتلفت جميع مالها فى سبيلى، وأنى لو صرفت لها جميع ما

فى ىدى لكنت مثلها؁ ولم أزد على إعطائها شيئاً.

ثم أخذ يد الشاب فأجلسه فى محله ووضع تاجه على رأسه؁ وجعله سلطاناً وأمر الوزراء بالقيام على خدمته؁ وصير نفسه مثل أحد الخدمة والغلمان.

ثم التفت ذلك الرجل المرافق للسيد بحر العلوم بعد الحكاية وقال له: ان سيد الشهداء عليه الصلاة والسلام قد أعطى دمه ودماء أولاده وعشيرته؁ وصارت نساؤه وأخواته وبناته المحجبات الطاهرات مسيبات؁ ونهبت أمواله فى سبيل الله تعالى وإطاعته والامثال لأمره وترويج شريعة جده؁ فأصاب بما أصاب؁ ومصيبة أعظم المصيبات؁ قتلوه عطشاناً بشط فرات؁ فمهما أعطى عوضاً عن هذه المصائب العظيمة فقليل فى جنب عظمته وجلالته.

فبينما السيد بحر العلوم يتفكر فى الجواب مستحسننا إياه؁ فالتفت بعد عدة خطوات ليكمل الحديث مع ذلك الرجل فوجده قد غاب عن النظر؁ فتنبه السيد بحر العلوم على أنه حجة الله فى الأرضين(1).

هل يحق للمخالفين السخرية من كثرة ثواب الزيارة وعظمة أجرها؟

وربما يستشكل ان هذا الثواب الكبير المبالغ به قد يعرض المذهب الإمامى أعزه الله إلى السخرية من المخالفين والنواصب الذين يسخرون من المذهب لأمر أبسط وأقل من هذا بكثير؁ فكيف بالذى نحن فيه؟!

أقول: ليس للمخالف من أى مذهب كان أن يعترض على ما فى زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من الثواب والأجر؁ لعدة أسباب منها:

أولاً: لان الاعتراض كما بينا فيما سبق هو اعتراض على الله سبحانه وتعالى؁ إذ إن

مسألة الثواب والعقاب هي من حقوق الله سبحانه وتعالى وليس للعباد فيها اختيار، إضافة إلى عدم وجود المانع العقلي أو الشرعي الذي يحول دون حصول ذلك.

ثانياً: ان لدى المخالفين أشياء رووها عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أو عن الصحابة والتابعين أعظم بكثير مما روينا من جزيل الثواب وعظيم الأجر على زيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فهم قد رووا مثل هذا الأجر أو أعظم على أشياء هي مساوية أو اقل بكثير من مسألة زيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وفيما يأتي جملة من تلك المسائل التي أوجبوا عليها عظيم الثواب وجزيل الأجر مع كونها اقل مؤونة وأهمية من زيارة قبر سيد شباب أهل الجنة صلوات الله وسلامه عليه.

منها ما رواه البخارى عن: (عطاء بن يزيد عن حمران قال رأيت عثمان... توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً ثم تمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ثم غسل يده اليسرى إلى المرفق ثلاثاً ثم مسح برأسه ثم غسل رجله اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئى هذا ثم يصلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه)(1).

أقول: وصورة هذا الوضوء وان كان باطلاً على وفق متبنيات مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلا أننا ذكرناه وغيره من الموارد التي ستأتى من باب الإلزام للمخالف، إذ لو كانت زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وما فيها من الأجر والثواب يستلزم سخريتهم، مع ان الزائر في زيارته للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يتوضأ عشراً المرات، ويصلى عشرات الركعات التي لا يحدث فيها نفسه، فإذا كان هذا

الأمر يستوجب سخريتهم فإن حديث عثمان بن عفان وما فيه من الثواب على مجرد وضوء وركعتين يستلزم سخرية أعظم.

وعن مسلم في صحيحه عن: (أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قال القارئ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال من خلفه آمين فوافق قوله قول أهل السماء غفر له ما تقدم من ذنبه)(1).

أقول: قول المصلي (آمين) بعد قول الإمام (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) هو مبطل للصلاة على وفق مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لورود النصوص الكثيرة على عدم صحة ذلك، ثم هل يعقل أن يغفر للمصلي كل ذنوبه لمجرد قوله آمين، فإن كان ما يقوله أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في ثواب زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوجب السخرية من المخالفين فإن السخرية على مثل هذه الأحاديث أكبر.

وفي مسند أبي يعلى عن: (سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أكل طعاما ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا قال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه)(2).

ومنها ما عن ابن عساکر: (أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد الحافظ أنا أبو علي الدقاق الحافظ إجازة أنا الفضل بن محمد قال سمعت أبا الحسن على بن محمد بن فورك وكان شيخا صالحا يقول سمعت أبا بكر محمد بن القاسم المعدل المدني يقول سمعت أبا بكر يرويه وكان من الأبدال يقول رأيت رسول الله «صلى الله عليه وسلم»

1- صحيح مسلم ج 2 ص 18.

2- مسند أبي يعلى لأبي يعلى الموصلي ج 3 ص 67.

ومعه أحمد بن حنبل فقلت يا رسول الله من هذا فقال هذا أحمد بن حنبل ولي الله وولي رسول الله... أنفق على الحديث ألف دينار فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يا أبا بكر الله ينظر في كل يوم سبعين ألف نظرة في تربة أحمد بن حنبل رحمة الله عليه ومن يزوره غفر الله له ومن يحبه أحبه الله ومن يبغض أحمد فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله(1).

أقول: ليس أحمد بن حنبل مهما بلغت درجة أهميته ومنزلته عند أصحابه بأعظم وأجل وأكرم من منزلة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة صلوات الله وسلامه عليه، ومن يستخف ويستكثر على ما أعطاه الله سبحانه وتعالى لزوار قبر سيد الشهداء الذي ضحى بدمه وماله وأهله وأصحابه لنصرة الدين وعزة الإسلام، فعليه ان يقهقه ضاحكا من غفران ذنوب زوار أحمد بن حنبل وهذه الكرامات المزعومة لمجرد انه انفق على الحديث ألف دينار، وهل يستوى من انفق على الحديث ألف دينار مع من انفق على الإسلام وعزته الروح والدم والمال والأهل؟!.

وعن البخارى: (عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال سبحان الله ويحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وان كانت مثل زبد البحر)(2).

وعن أحمد بن حنبل في مسنده: (عن أنس بن مالك قال إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة آمنه الله من أنواع البلايا من الجنون والبرص والجذام وإذا بلغ الخمسين لين الله عز وجل عليه حسابه وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبه عليها وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء وإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته ومحاسنه

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 5 ص 333 __ 334.

2- صحيح البخارى ج 7 ص 168.

سيئاته وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في الأرض وشفع في أهله(1).

أقول: ان هذه الكرامات المزعومة في حديث انس بن مالك التي رواها احمد ابن حنبل في مسنده، هي تمنح للمسلم بمجرد وصوله إلى سن الأربعين أو الخمسين إلى التسعين، لا لعمل يستوجب ذلك، فليكن المسلم الشيعي مشمولاً بها، مع إننا لا نقول بان الإنسان يغفر له ذنبه بمجرد وصوله لسن التسعين، فهذه المراتب والصفات والكرامات لا تنال إلا برحمة الله سبحانه وتعالى والعمل، وان كان قليلاً.

بعض آداب زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

إشارة

في أثناء تتبعي للروايات التي تحدثت عن زيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وغيرها وجدت ان جملة من هذه الروايات الشريفة قد ذكرت مجموعة من الآداب التي ينبغي على الزائر مراعاتها ليجنى الثمرات الدنيوية والأخروية من زيارته لقبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وفيما يأتي جملة من هذه الآداب، وسنقسم هذه الآداب إلى ثلاث أقسام هي:

القسم الأول: آداب ما قبل الخروج إلى الزيارة، وهي كالتالي:

أولاً: آداب النية والقصد: ذكرنا في بحوث سابقة ان الأجر الأخرى يدور مدار النية، وبالنوايا تتفاضل الدرجات ويعظم الأجر، وعليه فينبغي للزائر ان يعرف كيف يستفيد من توجيه نيته بالصورة التي تعود عليه بأعلى مراتب الأجر وأكمل درجات المثوبة، والروايات الشريفة ذكرت ثلاثة أو أكثر من الأسباب والدواعي التي

لو جعلها الزائر أمام ناظره منذ البداية لحصل على عظيم المثوبة، وهذه الأسباب هي:

ألف: ان ينوى الزائر بزيارته لقبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه بالدرجة الأولى وجه الله سبحانه وتعالى، والدار الآخرة، وحبا وتشوقا إلى شخص الإمام الحسين، وحبا لرسول الله ولأمير المؤمنين والسيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد ورد في الأخبار ان عقد نية الزيارة بهذه الكيفية فيه أجر عظيم، فعن هارون بن خارجه، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (قلت: جعلت فداك ما لمن أتى قبر الحسين زائرا له عارفا بحقه يريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة، فقال له: يا هارون من أتى قبر الحسين عليه السلام زائرا له عارفا بحقه يريد به وجه الله والدار الآخرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)(1).

وعن محمد بن مسلم قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) ما لمن أتى قبر الحسين (عليه السلام)، قال: من أتاه شوقا إليه كان من عباد الله المكرمين، وكان تحت لواء الحسين بن علي حتى يدخلهما الله الجنة)(2).

وعن ذريح المحاربي، عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (...والله ان الله ليباهي بزائر الحسين والوافد يفده الملائكة المقربون وحملة عرشه، حتى أنه ليقول لهم: أما ترون زوار قبر الحسين أتوه شوقا إليه والى فاطمة بنت رسول الله، أما وعزتي وجلالي وعظمتي لأوجبن لهم كرامتي ولأدخلنهم جنتي التي أعددتها لأوليائي ولأنبيائي ورسلي...)(3).

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 273.

2- المصدر السابق ص 271.

3- المصدر السابق ص 271 _ 272.

باء: يستحب ان يكون هدف وغاية الزائر لقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو الزيارة فقط دون غيرها من الأعمال الدنيوية، فان في ذلك الخير كله، فعن موسى بن القاسم الحضرمي، قال: (ورد أبو عبد الله عليه السلام في أول ولاية أبي جعفر (1) فنزل النجف فقال: يا موسى اذهب إلى الطريق الأعظم فقف على الطريق وانظر فإنه سيحيئك رجل من ناحية القادسية، فإذا دنا منك فقل له: هاهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك، فإنه سيحيىء معك. قال: فذهبت حتى قمت على الطريق والحر شديد، فلم أزل قائما حتى كدت أعصى وانصرف وأدعه، إذ نظرت إلى شيء مقبل شبه رجل على بعير، قال: فلم أزل انظر إليه حتى دنا مني، فقلت له: يا هذا هاهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك وقد وصفك لي، فقال: اذهب بنا إليه، قال: فجاء حتى أناخ بعيره ناحية قريبا من الخيمة، قال: فدعا به فدخل الأعرابي إليه ودنوت أنا، فصرت على باب الخيمة اسمع الكلام ولا أراهما. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: من أين قدمت؟، قال: من أقصى اليمن... قال: فيم جئت هاهنا؟، قال: جئت زائرا للحسين عليه السلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فجئت من غير حاجة ليس إلا للزيارة، قال: جئت من غير حاجة ليس إلا ان أصلى عنده وأزوره واسلم عليه وارجع إلى أهلي. قال له أبو عبد الله عليه السلام: وما ترون في زيارته؟، قال: إنا نرى في زيارته البركة في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعاشنا وقضاء حوائجنا، قال: فقال له أبو عبد الله: أفلا أزيدك من فضله فضلا يا أخا اليمن؟، قال: زدني يا بن رسول الله، قال: ان زيارة أبي عبد الله عليه السلام تعدل حجة مقبولة متقبلة زاكية مع رسول الله عليه السلام، فتعجب من ذلك، فقال: أي والله وحجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله

1- وهو الملقب بالمنصور من حكام بني العباس لعنه الله.

صلى الله عليه وآله، فتعجب من ذلك، فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام يزيد حتى قال: ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله(1).

جيم: محافظة الزائر لقبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه __ بل لسائر قبور المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين __ على خلوص النية منذ الشروع في سفر الزيارة حتى العودة، وان لا يدخل إلى نفسه العجب والرياء والعصبية والتكبر والخيلاء والبطر وغير ذلك من القبائح المفسدة للنية والمحبطة للأجر، لذلك وردت الرواية بلزوم ان لا تكون الزيارة بداعى السمعة والرياء وغير ذلك، فعن يونس بن عبد الرحمان، عن قدامة بن مالك، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من زار الحسين محتسبا لا أشرا ولا بطرا، ولا رياء ولا سمعة، محصت عنه ذنوبه كما يمحص الثوب في الماء، فلا يبقى عليه دنس، ويكتب له بكل خطوة حجة وكلما رفع قدما عمرة(2)).

دال: ملاحظة الآداب العامة للسفر والتي ذكرت في كثير من كتب الأدعية والحديث كالصدقة قبل الخروج والوصية وان تكون نفقة السفر من طعام ولباس وأمثال هذه الأمور من المال الحلال الذى لا يتعلق به حق للآخرين كالمسروق أو المغصوب، وقد تركنا هذا القسم من الآداب العامة لإمكان ان يراجعها القارئ الكريم في مظانها.

القسم الثانى: آداب المسير إلى مرقد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

وهى كثيرة ربما تفوق الإحصاء، لكننا اخترنا ما يكون لها شاهد روائى أو عقلائى، وهى باختصار كالتالى:

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 332 __ 333.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 273.

ألف: يستحب للزائر إتيان قبر أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه ماشيا من بلده أو من حيث يتمكن من ذلك، لورود عدة من الروايات الشريفة الحاتة على ذلك ولما فيه من الأجر العظيم، فعن الحسين بن علي بن ثوير بن أبي فاختة قال: (قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا حسين من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام إن كان ماشيا كتب الله له بكل خطوة حسنة وخط بها عنه سيئة، حتى إذا صار بالحائر كتبه الله من المفلحين، وإذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال له: أنا رسول الله ريك يقرئك السلام ويقول لك: استأنف العمل فقد غفر لك ما مضى)(1).

وعن جابر المكفوف، عن أبي الصامت قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشيا كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة)(2).

وعن سدير الصيرفي، عن أبي جعفر عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام قال: (ما أتاه عبد فخطا خطوة إلا كتب الله له حسنة، وخط عنه سيئة)(3). وعن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة لذنبه، ثم لم يزل يقدر بكل خطوة حتى يأتيه...)(4).

وعن محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن أحمد

1- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج6 ص43.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص255.

3- المصدر السابق ص256.

4- ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص91.

ابن بشير، عن أبي سعيد القاضى قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فى غرفة له فسمعتة يقول: من أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل(1).

ويدل على استحباب المشى إلى قبر الإمام المظلوم صلوات الله وسلامه عليه الخبر المشهور بين الخاصة والعامة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (أفضل الأعمال أحمرها(2)) (3) والمشى كما هو معلوم اشد وأصعب من الركوب فيكون أفضل قطعاً.

ويدل على استحباب ذلك أيضاً الخبر المروى عند الخاصة والعامة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمهما الله على النار)(4) وزيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مصداق واضح من مصاديق هذا الحديث، إذ ان القدم إنما تغبر بالتراب عادة بسبب المشى دون الركوب.

ويدل على استحباب المشى إلى قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ان فى المشى إظهاراً للشوق وعظيم المحبة، والتي من اجلها يتجشم الزائر كل ما فى المشى من صعوبة ومخاطر ومشاق، وفيه أيضاً إظهار لشوكة التشيع وقوته، وتماسك أتباعه، وتمسكهم بولائهم لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكل هذه الأمور راجحة شرعاً وحسنة عقلاً.

باء: ان يحاول فى أثناء الطريق، بل وفى مطلق الأزمنة، السعى إلى زيادة معرفته بالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وسائر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفهم أكبر مقدار ممكن

1- وسائل الشيعة للحر العاملى ج 14 ص 442.

2- أى أشدها وأمتنها، وأكثرها مشقة، راجع كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 3 ص 168.

3- تذكرة الفقهاء للعلامة الحلى ج 8 ص 172، وراجع تفسير الرازى ج 2 ص 217.

4- المعبر للمحقق الحلى ج 2 ص 317، وراجع صحيح البخارى ج 1 ص 218.

من مراتبهم ومقاماتهم؛ لأن الروايات الشريفة صرحت بأن الأجر على قدر المعرفة، حتى ان بعض الزائرين يعطى بكل خطوة حسنة، بينما البعض الآخر يعطى بكل خطوة ألف حسنة، أما الصنف الآخر فيعطى في كل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام، وليس هذا التفاضل والتمايز إلا بسبب المعرفة وشدة الإخلاص واليقين ومراعاة حالة التأدب بالآداب الشرعية عموماً وبالآداب الزيارة على وجه الخصوص.

جيم: ان يتخلق في أثناء طريقه إلى زيارة قبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، بل وفي مطلق أيام حياته، بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، وليضع أمام ناظره ان جميع أقواله وأفعاله وتصرفاته تنعكس على مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سلباً أو إيجاباً، والحفاظ على سمعة وكرامة وبيضة المذهب مسؤولية الجميع لا سيما المتدينين من أتباعه، فعليهم والحال هذه ان ينزهوا أنفسهم عن كل ما من شأنه ان ينقص من قدرهم، وان تكون عليهم سيماء الوقار والهيبة والشدة في تطبيق الأحكام الشرعية ومراعاة الحدود الإلهية، وعدم التهاون في إقامة الواجبات كالصلاة والحجاب وحفظ اللسان والعين والأذن مما يحرم الكلام فيه والنظر إليه وسماعه فقد جاء في صحيحة هشام بن الحكم قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إياكم ان تعملوا عملاً يعيروننا __ أي المخالفين __ به، فان ولد السوء يعير والده بعمله، وكونوا لمن انقطعتم إليه زينا ولا تكونوا علينا شيناً... ولا يسبقوكم __ يعنى بذلك المخالفين __ إلى شيء من الخير فانتم أولى به منهم) (1).

وعن سليمان بن مهران قال: (دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وعنده نفر من الشيعة، فسمعتة وهو يقول: معاشر الشيعة، كونوا لنا زينا،

ولا تكونوا علينا شينا، قولوا للناس حسنا، واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول وقبيح القول(1).

دال: ينبغي على زائري قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه حال مشيهم بل في مطلق حالاتهم، بل وفي مطلق أيام حياتهم، ان يعين غنيهم فقيرهم، وان يوقر صغيرهم كبيرهم، وان يعين قويهم ضعيفهم، وان تسود بينهم حال مسيرهم وحين وصولهم وفي أثناء رجوعهم روح المحبة والألفة والتراحم والتكافل، لينظر الله لهم بعين رحمته، ويشملهم بلطفه، ويرفعهم ويعزهم بسبب تراحمهم وتكافلهم بان يجعل كلمتهم العليا على من خالفهم. لان عزتهم في وحدتهم وذلتهم وانكسارهم في فرقتهم، قال سبحانه وتعالى: ((وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (2).

هاء: المحافظة على تقاوة وصفاء ونزاهة المسير نحو قبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وعدم إدخال وإفحام كل ما لا يمت بصلة إلى القضية الحسينية ومراسيم عاشوراء، ولعل اخطر آفة يمكن ان تسرى إلى هذه المسيرات العبادية هي آفة التحزب وإفحام السياسة وشعاراتها واستغلال حشود الزائرين وجموعهم في أغراض سياسية أو انتخابية أو دعائية والخروج بها عن الحالة العبادية والروحية، فحري بالزائرين الكرام ان لا يضعوا أمام نواظرهم غير الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وإقامة شعائر الزيارة، وان لا يمنحوا الآخرين فرصة استغلالهم لتحقيق مآرب سياسية أو شخصية، وعدم رفع أى شعارات أو هتافات وأمثال هذه الأفعال لصالح جهات أو أحزاب أو أشخاص مهما كانت لهذه الجهات أو الأشخاص أهمية دنيوية أو أخروية، وان تصبح شعاراتهم وهتافاتهم وجميع

1- الأمالى للشيخ الصدوق ص 484.

2- سورة الأنفال الآية رقم 46.

تصرفاتهم خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى وللإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقضيته ومصيبته ومصيبته أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

القسم الثالث: آداب الحضور والتشرف في مرقد سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه

وهي كثيرة أيضاً، لا- يتناسب الإتيان على جميعها مع ما نحن فيه من محاولة الاختصار، وهذه الآداب تنقسم إلى آداب ظاهرية، وآداب باطنية معنوية، وفيما يأتي جملة منها معتمدين على ما يكون مسنداً بالدليل القرآني أو الروائي، مع مراعاتنا للمهم منها دون غيره.

ألف: ان شدة التأدب ومراعاة شروط الاحترام والتقدير في مقامات الأئمة الأطهار وروضاتهم المطهرة تابع لمستوى معرفة الزائر بإمامه المزور، وهذه المعرفة تابعة بدورها إلى مستواه العقلي والفكري من جهة، وإلى مستواه التربوي الذي نشأ عليه وترعرع من جهة ثانية، فيجب على أولياء الأمور، وأرباب الأسر آباء كانوا أو أمهات، ان يربوا أولادهم على تعظيم واحترام وإجلال رموز هذا الدين وأعمدته، وان يكون شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأشخاص الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أعظم في أنفسهم من كل عظيم على وجه الأرض، حتى من الأب والأم أنفسهما، فمثلما لا يسمح الآباء ان يناديهم أبناءهم بأسمائهم، كذلك فليشددوا على أبنائهم بعدم ذكرهم لاسم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو باقي المعصومين وكذلك السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بأسمائهم، من دون إتباع الاسم بقول (عليه السلام) أو (عليها السلام) أو (عليهم السلام) أو الصلاة على النبي وآله حين ذكر اسم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

كذلك يجب على الآباء، وكل من يجعل نفسه في مقام المربي، كمعلمي

المدارس وأساتذتهم الكرام، ان يوجهوا الأبناء ومن هم تحت أيديهم وفي عهدتهم، إلى مراعاة ضوابط الأدب مع تلك الذوات الطاهرة، أكثر من مراعاتهم للأدب مع آبائهم وأمهاتهم ومعلميهم، فمثلما لا يقبل الآباء ان يرفع الابن أو التلميذ صوته في وجه والديه ومعلميه، ولا يستهزئ بكلماتهم، ولا يستخف بأوامرهم، كذلك يجب عليهم ان لا يقبلوا على هؤلاء الأبناء ان يرفعوا أصواتهم في محضر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند أداء مراسم الزيارة، وان لا يستهزأ بشيء من أقوالهم وأفعالهم في أثناء الزيارة او غيرها، وتأديبه وتوجيهه وإفهامه ان في عدم التأدب حبط الأعمال وذهاب الثواب من جهة، واستحقاق العقاب من جهة أخرى، لان الله سبحانه وتعالى مثلما توعد بالنار على عقوق الوالدين كذلك توعد بها كل من أساء الأدب وعق النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو احد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)) (1).

إذن فمسؤولية تقديس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية أشخاص المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي مسؤولية الآباء والمربين قال سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)) (2)، ومن ثم إذا كبر الإنسان واشتد عوده صارت مسؤوليته الشخصية، فإذا ما بدر تقصير لا سمح الله من أبويه أو معلميه أو مجتمعه المحيط به تداركها بنفسه وأصلح ما فسد من حاله بسعيه، وهو أمر ممكن ليس بالعسير، فيجب على الإنسان ان يسعى إلى زيادة معرفته بأئمتة لترتفع مرتبتهم ومحبتهم في نفسه، فانه كلما كبرت وتعاضمت مرتبتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في نفس الإنسان صغرت وتدنّت مرتبة من سواهم

1- سورة الحجرات الآية رقم 2.

2- سورة التحريم الآية رقم 6.

فى عىنه؁ وصار لده شعور بوجوب ولزوم مراعاة الأدب والاحترام معهم بحسب حالهم وشأنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

باء: قد ورد وصف روضات الأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى عدة زيارات شريفة بأنها من ضمن البيوت التى أذن الله سبحانه وتعالى فى رفعها وإقامتها وتشبيدها كى يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والأصال؁ فقد جاء فى زيارة الجامعة الكبيرة ما نصه: (خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرشه محققين. حتى منّ علينا بكم فجعلكم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) (1)؁ وفى هذه العبارة إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى ((فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)) (2)والتي تطلق فى عرف المتشركة على المساجد؁ لذلك حكم بعض الأعلام من فقهاء المذهب يالحاق روضات قبورهم الطاهرة بالمساجد كالشيخ المفيد قدس الله روحه وابن الجنيد وواقفهما الشهيد الأول قدس الله روحه قائلا: (والحق المفيد وابن الجنيد المشاهد المشرفة بالمساجد وهو حسن لتحقق معنى المسجدية فيها وزيادة) (3).

وكذا فعل الشهيد الثانى قدس الله روحه حيث قال: (والحق جماعة من الأصحاب المشاهد بالمساجد وهو حسن بل الأمر فى المشاهد أغلظ لتأديتها فائدة المسجد وتزيد شرف المدفون بها) (4).

وقد علل آقا رضا الهمدانى إلحاق مشاهد الأئمة الأطهار بالمساجد بقوله: (لان المشاهد من المشاعر العظام التى تشد الرحال للتشرف بها فلا يبعد دعوى كون

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 529.

2- سورة النور الآية رقم 36.

3- ذكرى الشيعة فى أحكام الشريعة للشهيد الأول ج 1 ص 278.

4- روض الجنان للشهيد الثانى ص 81.

دخول الجنب والحائض هتكا لحرمتها عند المتشعبة(1)

وأما علماؤنا المتأخرون فتكاد تجمع كلمتهم نضا أو احتياطا على إلحاق روضات الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالمساجد، وفي هذا الصدد يقول السيد أبو القاسم الخوئي: (يلحق بالمساجد، المصحف الشريف، والمشاهد المشرفة، والضرايح المقدسة)(2).

ويقول السيد محمد سعيد الحكيم: (والأحوط وجوبا إلحاق المشاهد المشرفة بالمساجد فى الأحكام)(3).

وقال السيد السيستانى: (المشاهد المشرفة للمعصومين عليهم السلام تلحق بالمساجد على الأحوط ولا يلحق بها أروقتها... كما لا يلحق بها الصحن المطهر وإن كان إلحاق أحوط)(4).

وبناءً على إلحاق قبور المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وروضاتهم المطهرة بالمساجد المجعولة من الشارع المقدس محلا للصلاة والذكر، يلحقها كذلك أحكامها، فلا يدخلها من الزائرين جنب ولا حائض، كما يحرم على الزائر تنجيسها أو تنجيس ما فيها من الأدوات والفرش والكتب وغير ذلك، وكذلك يجب عليه كفاية إزالة النجاسة عنها، إلى غير ذلك من الأمور التى يجب مراعاتها فى المساجد.

والروايات فى ذلك كثيرة منها ما عن أبى بصير قال: (دخلت المدينة، وكانت معى جويرية لى، فأصبت منها ثم خرجت إلى الحمام فلقيت أصحابنا الشيعة

1- مصباح الفقيه (ط.ق) لأقا رضا الهمدانى ج 1 ق 1 ص 236.

2- منهاج الصالحين للسيد الخوئى ج 1 ص 116 مسألة رقم 442.

3- مصباح المنهاج، الطهارة للسيد محمد سعيد الحكيم ج 3 ص 415.

4- المسائل المنتخبة للسيد السيستانى ص 28 __ 29 مسألة رقم 39.

متوجهين إلى أبي عبد الله عليه السلام، فخفت أن يسبقوني ويفوتني الدخول إليه، فمشيت معهم حتى دخلت الدار، فلما مثلت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام نظر إلى ثم قال: يا أبا بصير أما علمت أن بيوت الأنبياء وأولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب. فاستحييت، فقلت له: يا بن رسول الله، إنى لقيت أصحابنا فخشيت أن يفوتني الدخول معهم، ولن أعود إلى مثلها وخرجت(1).

ومنها رواية جابر عن الإمام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: (أقبل أعرابي إلى المدينة فلما قرب المدينة خضع وخضع ودخل على الحسين عليه السلام وهو جنب فقال له: يا أعرابي أما تستحي الله تدخل إلى إمامك وأنت جنب ...) (2).

جيم: وردت بعض الروايات الشريفة والتي نصت على استحباب أن يأتي الزائر قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فور وصوله إلى أرض كربلاء المقدسة وهو على وعناء سفره حزينا كئيبا شعنا مغبرا، مستذكرا حال إمامه الشهيد الذي قتل وهو كئيب حزين شعث مغبر، وهو ما أوصى به الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه أحد أصحابه بقوله: (إذا أردت أنت قبر الحسين عليه السلام فزره وأنت كئيب حزين شعث مغبر، فإن الحسين عليه السلام قتل وهو كئيب حزين، شعث مغبر جائع عطشان) (3).

وفى رواية ثانية عن المفضل بن عمر، قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: تزورون خير من أن لا تزورون ولا تزورون خير من أن تزورون، قال: قلت: قطعت ظهري، قال: تالله إن أحدكم ليذهب إلى قبر أبيه كئيبا حزينا، وتأتونه أنتم بالسفر

1- الإرشاد للشيخ المفيد ج 2 ص 185.

2- مصباح الفقيه لآقا رضا الهمداني ج 1 ق 1 ص 236.

3- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 252.

كلا حتى تأتونه شعثا غربا(1).

لذلك أفتى الشهيد الأول قدس الله روحه واستنادا إلى هذه الروايات وغيرها بقوله: (ويستحب لزائره أن يأتيه محزونا أشعث أغبر جائعا عطشانا، ولا يتخذ في طريقه السفر، ولا يتطيب ولا يدهن ولا يكتحل، ويأكل الخبز واللبن، ويزوره بالمأثور)(2).

ولكن طائفة أخرى من الروايات الشريفة أوصت بأهمية أن يأتي الزائر قبل زيارته إلى نهر الفرات فيغتسل قبل دخوله إلى حرم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لأداء مراسيم الزيارة، منها ما عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (...ان المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام عارفا بحقه فاغتسل في الفرات ثم خرج كتب له بكل خطوة حجة وعمرة مبرورات متقبلات وغزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل)(3).

ومنها ما عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من اغتسل بماء الفرات وزار قبر الحسين عليه السلام كان كيوم ولدته أمه صفرا من الذنوب ولو اقترفها كبائر وكانوا يحبون الرجل إذا زار قبر الحسين عليه السلام اغتسل وإذا ودع لم يغتسل ومسح يده على وجهه إذا ودع)(4).

وعن بشير الدهان عن رفاعة النحاس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أخبرني أبي ان من خرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفا بحقه غير مستكبر وبلغ الفرات ووقع في الماء وخرج من الماء كان مثل الذي يخرج من الذنوب وإذا مشى إلى

1- الدروس الشرعية في فقه الإمامية للشهيد الأول: ج 2، ص 12.

2- الدروس للشهيد الأول ج 2 ص 12.

3- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 343.

4- المصدر السابق.

الحسين عليه السلام فرفع قدما ووضع أخرى كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات(1).

ولعل هذا الاختلاف ما بين المجموعتين من الروايات جاء لتبيان حالة التخيير بالنسبة للزائر، فمن استطاع منهم ان يبقى على صفة الجائع العطشان الأشعث الأغبر من دون ان تضعفه هذه الصفات عن الدعاء والزيارة تعين عليه البقاء، لوجود كثير من الأخبار التي بينت ان قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو محل للحزن والبكاء والمصيبة من الملائكة ومؤمني الجن والأولياء من الإنس، فعن علي عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكة، فقلت: يا ابن رسول الله ما لى أراك كئيها حزينا منكسرا؟ فقال: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مساءلتي، فقلت: وما الذى تسمع؟ قال: ابتهاج الملائكة إلى الله جل وعز على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين عليه السلام ونوح الجن وبكاء الملائكة الذين حوله وشدة جزعهم، فمن يتهنأ مع هذا بطعام أو شراب أو نوم(2).

وفى رواية أخرى ان الله سبحانه وكل بقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه (أربعة آلاف ملك شعث غير يبكون الحسين) عليه السلام إلى يوم القيامة، فلا يأتيه أحد إلا استقبلوه، ولا يرجع أحد من عنده إلا شيعوه، ولا يمرض أحد إلا عادوه، ولا يموت أحد إلا شهدوه(3).

وفى رواية ثالثة: (إن الله وكل بقبر الحسين (عليه السلام) أربعة آلاف ملك،

1- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى ج 6 ص 53.

2- كامل الزيارات لمحمد بن قولويه ص 496.

3- المصدر السابق ص 174.

شعثا غبرا، يبيكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، فإذا زال هبط أربعة آلاف ملك، وصعد أربعة آلاف ملك، فلم يزل يبيكونه حتى يطلع الفجر، ويشهدون لمن زاره بالوفاء، ويشيعونه إلى أهله(1).

وفى رواية رابعة: (وكل الله تبارك وتعالى بالحسين عليه السلام، سبعين ألف ملك يصلون عليه كل يوم، شعثا غبرا، ويدعون لمن زاره)(2).

فالأكمل بحال الزائر ان يأتيه أشعث أغبر ولا يتهنأ عنده بطعام أو شراب وان تكون أحداث كربلاء ومصائب العترة الطاهرة وآلام سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ماثلة أمامه، وقولنا الأكمل لان الملائكة الكرام اتصفوا بهذه الصفة، ولو لم تكن هذه الصفات صفات كمال أو كان الكمال في غيرها لما اتصفوا بها.

أما من كان يضر به طول الجوع والعطش، ولا يصبر على البقاء أشعث أغبر، ويضعفه ذلك عن الدعاء والزيارة، أو غير ذلك من الأسباب، جاز له الغسل ولبس التنظيف من الثياب، وما ذكر من الأجر في روايات الاغتسال لعله بهدف إفهام الزائر ان غسله وتنظيفه لبدنه ولباسه غير منهي عنه بل هو مستحب أيضا وان كان ليس بمستوى مرجوحية البقاء أشعث أغبر عطشانا جائعا كنييا مواساة لسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وتشبها بالملائكة الحافين بقبره الشريف، (وعلى الجملة أن التقييد تضييق على المكلف، وفي رفعة امتنان مطلقا سواء أكان المقيد من الأمور الإلزامية أو غيرها)(3).

1- كامل الزيارات لمحمد بن قولويه: ص 175.

2- المصدر السابق ص 233.

3- كتاب الصلاة التنقيح في شرح العروة الوثقى تقريرا لبحث آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي دام ظله العالی تأليف الميرزا على التبريزي الغروي ج 1 شرح ص 90.

ولكن ينبغي لمن يريد الأكل والشرب والغسل وأمثال هذه الأمور ان لا يكون في جميع تصرفاته هذه قاصداً البهجة والسرور وغير ذلك من الحالات التي تفرغ الزيارة من محتواها الروحي والعاطفي، فمن قصد ذلك صار مشمولاً بالتوبيخ الموجه من الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه وقوله: (...ولا- تزورون خير من أن تزورون... تالله ان أحدكم ليذهب إلى قبر أبيه كئيباً حزينا، وتأتونه أتم بالسفر كلا حتى تأتونه شعثاً غبراً)(1).

دال: ان يستحضر في نفسه ويستشعر _ سواء في طريقه إلى زيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أو عند وصوله إلى ارض كربلاء أو عند الدخول إلى الحرم الشريف _ انه تحت نظر وعين الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، أما مباشرة واما ياخبار الملائكة إياه، فقد وردت الأخبار الشريفة ان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين موصوفون بالإحاطة بأحوال شيعتهم وحتى غير شيعتهم، بإذن وإقدار من الله سبحانه وتعالى، فهم وكما في جملة من الروايات يعلمون من يأتي أبوابهم ويعلمون بمكانهم من قبل ان يستأذنوا عليهم، فعن (عبد الله بن عطاء المكي قال اشتقت إلى أبي جعفر عليه السلام وأنا بمكة فقدمت المدينة ما قدمتها إلا شوقاً إليه فأصابتنى تلك الليلة مطرة وبرد شديد فانتهيت إلى بابه نصف الليل فقلت ما اطرقه هذه الساعة وانتظر حتى أصبح واني لأفكر في ذلك إذ سمعته يقول يا جارية افتحي الباب لابن عطا فقد أصابه برد شديد في هذه الليلة قال فجاءت ففتحت الباب فدخلت عليه)(2).

وكذلك وردت جملة أخرى من الروايات الشريفة المؤكدة على انهم

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص250.

2- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص277 باب14 في ان الأئمة عليهم السلام يعلمون من يأتي أبوابهم ويعلمون بمكانهم من قبل ان يستأذنوا عليهم.

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعرفون الإضمار وحديث النفس قبل ان يخبروا به، وانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا يخبرون شيعتهم بأفعالهم وسرهم وأفعال غيبهم وهم غيب عنهم، وانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعلمون من يأتي أبوابهم ويعلمون بمكانهم من قبل أن يستأذنوا عليهم، وانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعرفون من يمرض من شيعتهم ويحزنون ويدعون ويؤمنون على دعاء شيعتهم وهم غيب عنهم، وانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعرفون من يدخل عليهم بالخير والشر والحب والبغض كل ذلك بإذن الله وإقداره لهم على ذلك وليس هذا من الشرك أو الغلو في شىء كما يقول النواصب ومن لا حظ له من الولاية في شىء، فالقرآن الكريم يحدثنا عن بعض الألياء ممن هم ليسوا بأنبياء كالخضر صلوات الله وسلامه عليه وذى القرنين صلوات الله وسلامه عليه وصاحب عرش بلقيس والذي ورد في بعض الأخبار انه وصى نبي الله سليمان صلوات الله وسلامه عليه، وغيرهم ممن أعطاهم الله سبحانه وتعالى القدرة على الاطلاع على عالم الغيب والولاية على ما تحت أيديهم من الموجودات، والقرآن يصرح جهارا ان الخضر صاحب نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه قد علمه الله سبحانه وتعالى علما لم يعلمه لنبي من أنبياء أولى العزم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال سبحانه وتعالى: ((قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا)) (1) وبهذا العلم استطاع ان يعلم ان السفينة كانت لمساكين يعملون في البحر وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا لذلك عابها كى لا يطمع فى أخذها ذلك الملك، وبهذا العلم الإلهى أيضا استطاع ان يعلم ان فى قتل الغلام مصلحة لأبويه المؤمنين الذين أراد ربهما ان يبدلها عنه خيرا منه زكاة واقرب رحما، وبذلك العلم عرف ان ذلك الجدار الذى بناه من غير اخذ أية أجرة كان تحته كنز أخفاه رجل صالح ومات وله غلامان يتيمان فأراد الله سبحانه ان

يبقى تحت ذلك الحائط إلى ان يكبرا ويبلغا أشدهما ثم يستخرجا كنزهما، كل ذلك من فضل الله ورحمته الذي من على هؤلاء الأولياء بالعلم وكشف الحجاب ليقوموا على مصالح العباد ويغيثوا من ليس له مغيث إلا الله سبحانه وتعالى.

وذو القرنين الذي أعطاه الله من كل شيء سببا قال تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا)) (1)، وفوض إليه ان يحسن لمن يشاء ويعذب من يشاء، قال سبحانه وتعالى: ((فُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا)) (2).

فلماذا يستكثر الجهال ان يعطى الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثل الذي أعطاه للخضر وذو القرنين، ولماذا يستبعدون ان يكون في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي هي خير الأمم أمثال الخضر وذو القرنين مع ان أمته صلى الله عليه وآله وسلم هي خير الأمم وينبغي ان يكون فيها رجال ونساء أكمل وأفضل من جميع رجال ونساء الأمم السابقة، فإذا كانت مريم أفضل نساء تلك الأمم ينبغي وبحكم الفطرة السليمة ووفقاً لمبدأ أفضلية امة نبينا على سائر الأمم ان يكون في الأمة الاسلامية سيدة مريم وسائر نساء الأمم السابقة، وهو حاصل فعلا على وفق الأصول العقائدية لمذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالسيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هي أفضل نساء عالمها وجميع العوالم السابقة، وإذا كان في الأمم السابقة رجال أولياء كمثال الخضر وذو القرنين ووصى نبي الله سليمان الذين كشف عن بصرهم وبصيرتهم الحجاب وأعطاهم الله سبحانه وتعالى ولاية على كثير من أسباب الكون فلا بد ووفقاً لمبدأ أفضلية امة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الأمم ان يكون فيها

1- سورة الكهف الآية رقم 82 _ 83.

2- سورة الكهف الآية رقم 86.

رجال أكمل وأفضل وذوو إمكانات وقابليات وكمالات ارفع من جميع الأولياء فى الأمم السابقة، وهذا ما كان فعلا فالأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعطاهم الله سبحانه وتعالى ما لم يعط قبلهم من الأولياء، فلا ينبغي بعد كل هذا ان يستكثر مستكثر، أو يرمينا بالغلو بعض من جهل مراتبهم ومقاماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبالعودة إلى موضوع آداب الحضور والتشرف فى المرقد الطاهر للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أقول: يجب على المؤمن المقر والمعترف بأن الإمامة مرتبة يستطيع معها ان يعلم بتعليم من الله سبحانه وتعالى حديث نفس الزائر وما يسر ويضممر فى قلبه، ويعلم بتفاصيل حال الزائر وشخصه من قبل ان يستأذن للدخول على الإمام صلوات الله وسلامه عليه، ويعلم ما فى قلوب زواره من الخير والشر، ويعلم كذلك فقره ومرضه واحتياجه وخوفه وجميع ما يهمله أمره وجميع تفاصيل حياته، فيجب على الزائر وفقا لهذه المرتبة من المعرفة عدة أمور مهمة منها:

1: ان يحافظ الزائر فى أثناء دخوله لحرم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بل لسائر مشاهد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سلامة ما فى ضميره ونزاهة ما يجول بخاطره من أفكار وخطرات وحديث نفس وان يصرف فكره ونفسه عن كل ما لا يليق مع ذلك المكان الطاهر، وليلقن الزائر نفسه ويؤدبها على ان الإمام الذى هو فى حرمه الشريف مطلع على كل ما يجول فى خاطره.

والاهم من ذلك كله ان يطهر الإنسان نفسه وعقله وضميره من أمرين مهمين:

الأول: من العقائد الفاسدة والأفكار التى تخالف الدين وتتعارض مع المنهج الذى بذل من أجله الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دمه الطاهر وضحي بأهله وأولاده وإخوته وأصحابه من أجله.

الثانى: هو ذائل الأخلاق ومساوى الصفات والملكات، وصغائر الذنوب وكبائرها، لينسجم بذلك مع طهارة صاحب القبر ومشهده الطاهر، فالزيارة لمشاهد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أفضل فرص التوبة من الذنب والاستغفار والإقلاع عن المعاصى.

2: ينبغى على الزائر ان يحفظ جوارحه الظاهرية من ان يصدر منه ومنها ما يسيء به أدب الحضور فى مجلس الإمام وتحت نظره الشريف، فلا يتكلم بالمحرم كالغيبة والكذب وسائر المحرمات اللسانية، ولا ينظر الرجل إلى وجوه النساء ولا النساء كذلك إلى وجوه الرجال بغير القصد المباح شرعا، ولا يستمع إلى أحاديث الناس المحيطين به وخصوصياتهم ومشاكلهم التى يبتونها إلى الإمام صلوات الله وسلامه عليه أو إلى أشخاص برفقتهم، وبالجملة كل ما يعد حراما خارج الحرم الشريف فهو فى داخله أشد حرمة لوجود الإمام صلوات الله وسلامه عليه وحضوره، وكل ما يعد خلاف الأدب شرعا وعرفا فانه لا ينبغى للزائر ان يأتى به داخل الحرم الشريف.

3: لا ينبغى للزائر ان يرفع صوته عند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وسائر قبور أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أما حرمة رفع الصوت عند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلقوله سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)) (1)، وأما حرمة عند بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (لما ورد ان حرمتهم كحرمة النبى صلى الله عليه وآله) (2)، فينبغى على الزائر ان لا يرفع صوته داخل الحضرة المقدسة حتى فى أثناء دعائه وزيارته بالمأثور أو غير المأثور، لان غرض الزائر من رفع صوته ان كان هو

1- سورة الحجرات الآية رقم 2.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 97 ص 125 الباب الثالث آداب الزيارة وأحكام الروضات.

إسماع الإمام ألقاها الزيارة فقد ثبت فيما سبق ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وسائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يعلمون حتى ما يضمه الزائر في قلبه وما يمر بخطر عقله، فيكون رفع الصوت حينئذ لا فائدة منه، فضلا عن النهي بالآية الشريفة السابقة، فضلا عن احتمال إيذاء باقي الزائرين في حالة رفع الصوت والتشويش على أسماعهم، فورود عدة محاذير شرعية يكفى في القول بعدم رجحان رفع الصوت ان لم نقل بحرمة كما عرفت من قول العلامة المجلسي قدس الله روحه.

هاء: يجب مراعاة زائر روضات الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حال أخوانه الزائرين ممن لم يمن الله عليه بالقوة، من ضعاف المؤمنين وكبار السن والأطفال والنساء، فلا يؤذون أحدا منهم بتدافعه أو بكلامه، وليعلم الزائر الكريم ان الله أخفى أولياءه في خلقه، فلا يؤذون أحداً منهم مخافة ان يكون هو ذلك الولي، كما في الحديث المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: (ان الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئا من طاعته، وربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئا من معصيته، وربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئا من دعائه، وربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عبادة فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، وربما يكون وليه وأنت لا تعلم)⁽¹⁾، وحتى لو لم يكن أغلب الزائرين من هؤلاء الأولياء، فهم داخلون تحت وصف أهل الإيمان حتما، وأذى المؤمن حرام حرمة مغلظة، ومرتكبه ملعون، وقد مر في بحوث سابقة طائفة من الآيات والأحاديث الشريفة اللاعنة لمؤذي المؤمنين، ويدخل تحت عنوان أذى المؤمنين من يقف في طريق مرورهم بحيث يقطع أو يعرقل انسيابية مشيهم

وزيارتهم، حتى لو كان وقوفه في طريقهم لغرض الصلاة أو الدعاء أو الجلوس أو الانتظار، ويدخل في عنوان الأذى التدافع المفرط للوصول إلى الشباك الطاهر لقبر المعصوم صلوات الله وسلامه عليه لما يسببه من حرج وألم وانزعاج لبقية أخوانه الزائرين، ولأن الوصول إلى الشباك الطاهر مستحب، لكن إيذاء المؤمنين لا سيما الضعاف منهم والمرضى حرام على مرتكبه، فضلا عن منافاته للأخلاق الحميدة، ولما يعطيه من صورة سلبية للشخص المرتكب للتدافع، فان تدافعه لا يعبر البتة عن شوقه وحبه، بل يعكس عدم رقة قلبه، وعدم حرصه على مشاعر وآلام الآخرين.

واو: يستحب لزائر قبور المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان يزور نيابة عن أرحامه ومتعلقيه لا- سيما الوالدين، وعلى الخصوص الأموات منهم؛ لأنهم أحوج ما يكونون إلى الأعمال الصالحة، وزيارة مشاهد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أعظم تلك الأعمال، وكذلك يستحب له تقديم الآخرين بالدعاء؛ لان الوارد في الروايات الشريفة هو استجابة الدعاء الذي يقدم صاحبه حاجات الآخرين على حاجته، وان يعم بدعائه جميع المؤمنين وأهل الخير والصلاح.

وينبغي على الزائر ان يجعل قسطا من دعائه للطلب من الله سبحانه وتعالى والإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه بأن يقيه وجميع أخوته في الإيمان والنسب وجميع أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ميتة السوء، والعاقبة غير الصالحة، وان لا يتقلب وإياهم عن الحق واتباع منهج أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان لا يسلب نعمة الإيمان، وان يكثر الإلحاح على الله سبحانه وتعالى والإمام صلوات الله وسلامه عليه بأن يفك رقبتهم وورقابهم من النار؛ لأنها المسألة التي إذا ما أعطيت للزائر لا يضره ما منع عنه، وإذا منعت عنه لا يفيدته كل ما يعطى له.

المبحث الرابع: إكرامنا بسيد الشهداء عليه السلام

إشارة

حاولت جاهدا ان أجد أشياء محددة يمكن تلخيصها على شكل نقاط استطيع من خلالها حصر واستقصاء جميع أو اغلب مراتب الإكرام التي من الله سبحانه بها علينا بواسطة وسبب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فلم افلح في ذلك، ولا أظن احد من الناس إلى يومنا هذا قد افلح في هذه المهمة، لان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه نعمة من النعم الإلهية، بل هو من أعظم النعم والألطف والمنن التي منحت للبشرية، ونعم الله سبحانه وتعالى لا- يمكن للعادين حصرها ولا- إحصاؤها، وكيف يطيقون ذلك وقد اخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الناطق والنبأ الصادق عن عدم إمكان ذلك بقوله: ((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ))⁽¹⁾، هذا فضلا عن النعم الأخرى المتفرعة والمتولدة من وجوده صلوات الله وسلامه عليه واستشهاده وثواب زيارته والبكاء عليه، ومن كل نعمة من هذه النعم تتولد نعم أخرى لا علم لأحد بها إلا الله سبحانه وتعالى ولو أراد الحامدون أن يحمداوا الله على نعمة المن على هذا العالم بسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وبقية النعم المتفرعة على وجوده صلوات الله وسلامه عليه لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وكيف يستطيعون ذلك ولسان حالهم يقول كما قال الإمام على بن الحسين السجاد صلوات الله وسلامه عليه في احد ادعيته: (فألاؤك جمة ضعف لساني عن إحصائها، ونعمائك كثيرة قصر فهمي عن إدراكها فضلا عن استقصائها. فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر فكلما قلت لك الحمد، وجب على لذلك أن أقول لك الحمد)⁽²⁾.

لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وما لم نستطع احتواءه واستقصاءه تفصيلا نستطيع على اقل التقادير ان نحيط به إجمالاً، ويمكن تلخيص وجوه إكرامنا بسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه بثلاث مراحل هي كالتالي:

1- سورة النحل الآية رقم 18.

2- الصحيفة السجادية (ابطحي) للإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه ص 409 __ 410.

أولاً: إكرامنا بأصل نعمة الوجود بسببه صلوات الله وسلامه عليه وسبب بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

كثيراً ما نقرأ في الروايات الشريفة والأدعية المباركة والزيارات المقدسة ان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — ومن ضمنهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بل هو سيدهم — هم العلة والسبب الذي من أجله خلق الله سبحانه الخلق وكَوَّن الكون، ولولا هم لما وجدت سماء مبنية ولا ارض مدحية، ولا شمس مضيئة، ولا لأنعم الله بالوجود على كل موجود، وهذا ليس من الغلوفى شىء، أو من القول بلا دليل حاشا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من القول بغير دليل، ونستطيع من خلال بعض الخطوات الاستدلالية البسيطة إثبات هذه الحقيقة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهذه الخطوات هي كالتالى:

أولاً: من يدقق النظر والفكر فى أجزاء هذا الكون أولاً، وفى نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة ثانياً، يجد ان كل جزء من أجزاء الكون موجود لهدف وغاية، قد تصل إليها عقولنا تارة، وقد تغفل أو تسمى عنها تارات أخرى، فالغائية والهدفية متحققة وعلى أساسها قد وجد الوجود وكون الكون، وهو أمر يكاد يكون بديهياً ومستغنياً عن البرهان، لا سيما للمؤمنين بوجود الله سبحانه وتعالى وحكمته.

وثانياً: ان كل جزء من أجزاء الكون قد اوجد من اجل جزء آخر منه، وجميعها من اجل الإنسان، ومن تأمل آيات الكتاب العزيز يجد هذا المعنى واضحاً جداً، فحينما يتكلم عن الحيوانات والغاية من وجودها يقول سبحانه وتعالى ((وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ))⁽¹⁾، ثم يجمّل سبحانه وتعالى القول فى آية ثالثة ليجعل كل ما فى الأرض مخلوقاً للإنسان فيقول: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»(1)، وحينما يتكلم سبحانه وتعالى عن أجزاء الكون الأخرى كالشمس والقمر والليل والنهار يقول: ((وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)) (2)، إذن فالإنسان وبحسب هذه الآيات الشريفة سبب لخلق الأرض وما عليها، والشمس والقمر، والليل والنهار، وسائر الأنعام، وهو علة من أجله تم إيجادها، فهو علتها الغائية كما يقول الحكماء والفلاسفة، ولولاه لما خلقن ولا اوجدن.

ثالثا: والإنسان كما لا يخفى على احد مؤمن وكافر، ومن غير المعقول ان تخلق السماوات والأرض والشمس والقمر والبحار والجبال بما فيها من اجل الإنسان الكافر، فلا بد حينئذ ان تكون كل هذه الموجودات مخلوقة للإنسان المؤمن، دون الكافر، كما قال الله سبحانه وتعالى: ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) (3) فهي للذين آمنوا أصالة ويشاركهم الذين كفروا فيها بالتبع، أما يوم القيامة فليس للكافر في النعم نصيب، وهي للذين آمنوا خالصة.

رابعا: ان هؤلاء المؤمنين الذين خلق الله الكون وما فيه من أجلهم صنفان أيضا، فمنهم مأموم تابع، ومنهم إمام متبوع وهو المعبر عنه في بعض الروايات بالحجة، والإمامة منصب واسع يشمل الأنبياء والأوصياء، وما دونهم مأموم تابع، والإمام والحجة في كثير من الروايات الشريفة، هو سبب وعلة وجود غيره من بقية أصناف أهل الإيمان من المأمومين، ولولا وجوده المقدس لساخت الأرض وانمحت

1- سورة البقرة الآية رقم 29.

2- سورة ابراهيم الآية رقم 33.

3- سورة الأعراف الآية رقم 32.

من الوجود، فعن أبي حمزة قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت) (1).

وعن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لا، قلت: فإنما نروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا، لا تبقى إذا لساخت) (2).

وعن (أبي جعفر — الباقر — عليه السلام قال: لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله) (3).

وسبب ذلك يعود إلى أنه لولا وجود الحجج من الأنبياء والأوصياء لم يعبد الله سبحانه، وكان الناس أمة واحدة على الكفر والإلحاد، والكافر كما عرفنا سابقا ليس أهلا لأن توجد الأرض والسموات من أجله، ومع انحصار الإنسان بصنف الكافر لا يبقى هدف ولا غاية لأن تخلق الأرض وبقية أجزاء الكون، فتنمحي حينئذ وتقنى، فالإمام — بغض النظر عن كونه نبيا أو رسولا أو وصيا — هو الأمان لأهل الأرض من أن تزول ومن عليها، وهو سبب بقائهم ولأجله يرزقون، وهو سبب وجودهم وعلّة إنشائهم.

خامسا: كما هو معلوم فإن الإسلام هو دين الله سبحانه وتعالى في الأرض، وحجته البالغة على العباد، كما قال تعالى ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)) (4)، والإسلام دين

1- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 179.

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق.

4- سورة آل عمران الآية رقم 19.

تكامل وفقا لتكامل البشرية، حتى ختم على يد النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسبب اختيار النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لمهمة الخاتمية هو تلك المواصفات والقابليات الكمالية التي يتفرد بها عن سائر من سبقوه من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجميع أهل الأرض، فهو صلى الله عليه وآله وسلم إمامهم وخيرتهم وسيدهم، لأن مرتبة (خاتم الأنبياء والمرسلين) فوق كل الرتب التي يمكن ان يتمتع بها الأنبياء والمرسلون، فلا ضير ان يكون حاملها فوق كل الأنبياء والمرسلين، ولو لم يكن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أكملهم وأقدرهم على أداء الرسالة الخاتمة لما ختمت الشرائع على يديه الكريمتين، ولو لم تختم الشرائع لبقى الإسلام الذي هو دين الله سبحانه وتعالى ناقصا لا يحقق الغرض من تشريعه وتأسيسه، ولبقيت الناس على الشريعة اليهودية المحرفة والمسيحية المشركة، ولورث أهل الشرك والكفر الأرض ومن عليها، ولتخلف الهدف الذي من أجله خلق الكون، إذ ان الكون __ وكما عرفنا سابقا __ وما فيه مخلوق للمؤمن فإذا لم يكن هنالك مؤمن لم يكن هنالك سبب لبقائه واستمراره، بل لم يكن هنالك سبب لخلقه من الأساس، لان الله سبحانه وتعالى يعلم غيب السماوات والأرض قبل خلق السماوات والأرض، لأنه من غير المعقول ان يخلق الله الكون ليتكامل وليرث الذين آمنوا الأرض ومن عليها ويتمتعوا بخيراتها، ثم لا يتحقق الهدف، ويرثها الذين كفروا والمشركون، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووجوده وإكماله للشرائع السماوية وإرساله بالرسالة الخاتمة هو الذي حقق الهدف والغاية من الخلق، وبه استمر خط التوحيد واكتمل، وبسببه سيرث الذين آمنوا الأرض ومن عليها، فهو السبب الذي تفضل الله سبحانه وتعالى به على كل جزء من أجزاء الكون بنعمة الوجود.

سادسا: ان مبدأ الخاتمية كان مشروعا طويلا الأمد يمتد بامتداد عمر البشرية، ويستمر إلى آخر يوم من أيامها، وهو أمر يحتاج إلى أشخاص يحملون حمل الرسالة

ويستمررون في تبليغها وحفظها وصيانتها من التلاعب والتحريف والتزوير كما فعل بالشرائع السابقة والأديان السالفة، وهي مهمة لا يتسع لها العمر الطبيعي للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فكان ولا بد ان يكون له أوصياء وحجج يؤدون هذا الدور المكمل، فكان الأئمة الاثنا عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم الحجج الذين أكملوا مسيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وحفظوا شريعته.

فلولا وجود أشخاصهم المقدسة لبقيت الرسالة الخاتمة بلا راع ولا حفيظ، ولوقع المحذور الذي بيناه في النقطة السابقة، ولاستولى الباطل على أهله وعطلت حدود الإسلام وفروضة، ولضاعت جهود الأنبياء العظام والرسل الكرام والأوصياء والشهداء منذ أبينا آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وبذلك يضيع هدف الخلق وعلّة الإيجاد بالتقريب الذي تقدم في النقاط السابقة، فبوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منّ الله سبحانه وتعالى على الخلق بالخلق وعلى الكون بالكوين والإنشاء، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين علة غائية وسببية لإكرام العباد بنعمة الوجود بل بكل النعم الأخرى المتفرعة على ذلك.

سابعاً: الأئمة والحجج من أولاد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قضى الله سبحانه وتعالى وقدر ان يولدوا من سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، التي كما في الروايات الشريفة لم يكن لها كفو غير أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فهي صلوات الله وسلامه عليها سبب في وجودهم وهم سبب لإيجاد هذا العالم بكل تفاصيله، وسبب السبب سبب أيضاً، وعلّة العلة علة أيضاً.

وبهذا التقريب، استطعنا ان نثبت ان شاء الله، كون أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عموماً، والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه الذي هو مورد كلامنا في هذه الصفحات على وجه الخصوص، هم السبب الذي به منّ الله سبحانه وتعالى علينا وعلى كل ما في الوجود بنعمة الوجود.

ثانياً: إكرامنا بما لا يحصى من النعم الدنيوية المحضة، أو التي لها عوائد أخروية

مهما أراد العقل البشرى المحدود ان يحيط ببركات وجود سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وانعكاسات هذا الوجود على سائر الناس عموماً وعلى الموالين بوجه الخصوص فلن يستطيع إلى ذلك سيلاً، وقد مر فيما سبق جملة من هذه العوائد والمنافع، فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مفرغ للمكروبين، وملاذ للمحتاجين، وأمان للخائفين، لا يأتيه آت منهم إلا ورجع وله من كربته فرج عاجلاً أو آجلاً، ومن فقره غنى وسرور، ومن خوفه أمن وطمأنينة، فكم من عبد أمسى وأصبح خائفاً مرعوباً وحيداً وجلاً هارباً طريداً قد ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، لم يجد له حياً ولا لخوفه أمناً ولا لهروباً مأوى غير قبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، فأبدله الله بكرامة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه أمناً وطمأنينة وعافية وفرجاً من ذلك كله.

وكم من مؤمن وموالمٍ أودع في مطامير السجون ومضائق الحبوس وكربها، مغلولاً مقهوراً، ذليلاً بين حديدتها وزبانتها، لا يدري أى مثلة يمثل به، ولا أى قتلة يقتل، قد أبدل ببركة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وكرامته بالفرج بعد الشدة والعافية بعد البلاء والسعة بعد الضيق.

ولو أحصينا أولئك الذين من الله عليهم بسبب الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبواسطته بالفرج من كربتهم والغنى من فقرهم والأمن من خوفهم منذ ان استشهد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلى وقتنا هذا لفاق إحصاؤهم الحد ولتوقف دون بلوغ آخرهم العد، وكيف يحصيه المحصون وليس من الموالين شخص إلا ولحقته بركة وجوده المقدس يوماً من أيام عمره أو اغلب أيامه ان لم نقل كلها، والذي يخفى من

ألطاف سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ومننه الباطنة أكثر وأكثر.

ومن أنواع إكرامنا بسيد الشهداء إضافة إلى ما سبق، هو تلك الخاصية الإلهية الموجودة في تربته الطاهرة، فخاصية الشفاء من كل داء هي من أعظم بركات وجوده وكرامات الله سبحانه وتعالى ومننه التي وهبها الله لشيعته سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، فكل من عجز الأطباء والحكماء عن علاجه فإنه سيجد عند سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه بغيته، وكل من لم يجد له من مرضه راحة فإنه سيجد في تربة سيد الشهداء راحته بإذن الله سبحانه وتعالى، فكم من عبد سقيم مروع، له من آلامه أنين وعويل، يتقلب على فراش علته، لا يسبغ طعاما ولا يستعذب شرابا، قد أبدل ببركات تربة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه صحة في البدن، وسلامة في العيش، بمنّ الله ورحمته وبتوسط وكرامة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

ومن أنواع إكرامنا بسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه هو ذلك الأجر الذي يعطى لزيارته وقاصديه والباكين أو المتباكين على مصابه ورزاياه، حتى لمن يخرج من عينه قطرة دمع بقدر جناح البعوضة، وثواب التأليف والرثاء له وإقامة مجالس الندب والعزاء، وإقامة شعائره، فلو ألقت في هذه المسائل كتب ما استطاع احد استقصاء فضلها ولا إحصاء ما يتفضل به الله سبحانه على فاعليها ومقيميها.

كل هذا يخص الفرد بوصفه فردا، أما ما يخص المجتمع بوصفه مجتمعا، فمن أعظم درجات الإكرام الممنوحة له بتوسط سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه هو بقاء نعمة الإسلام الذي انزل من الله سبحانه وتعالى والذي لولا الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وثورته المباركة ونهضته الإلهية لعاد جاهلية جهلاء، ولحرفت آل أمية كل حكم من أحكامه، ولمزق كتاب الله سبحانه وتعالى وحرفت آياته وبدلت أصوله، ولصار الدين الذي بذلت من

أجله الدماء وأعطى الأنبياء العظام والأوصياء الكرام كل غال ونفيس العوبة بيد صبيان آل أمية يحلون منه ما يلائم شهواتهم ومصالحهم الجاهلية ويحرمون منه ما لا يتوافق مع جاهليتهم، ولصار شرب الخمر ونكاح المحارم واللعب بالقروود من الدين ولما عبد الله سبحانه وتعالى حق عبادته، فالأمة الإسلامية جمعاء مدينة لأبي الأحرار وسيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، فكما الأمة مدينة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى المعرفة ومن الكفر إلى الإيمان، ومن النار إلى الجنة، كذلك هي مدينة لسيد الشهداء على إبقاء هذه المسيرة وهذا الدين خالصا من تلاعب أهل الجاهلية، ونزيها من تحريف حكام الجور وأئمة الضلالة، وقد صدق من قال إن (الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء).

ومن أنواع الإكرام الشاملة لجميع أفراد المجتمع، لا سيما الموالى منه، هو إكرامنا بشتى أنواع العلوم والمعارف الإلهية والشرعية، بتوسط سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، فهو كما في كثير من الروايات الشريفة واسطة فيض لجميع ما يصدر وما ينزل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، شأنه في ذلك شأن بقية الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتوجد على هذه الحقيقة روايات كثيرة منها ما عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليهما قال: (قلت جعلت فداك كل ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أعطاه أمير المؤمنين بعده ثم الحسن بعد أمير المؤمنين عليه السلام ثم الحسين ثم كل إمام إلى أن تقوم الساعة قال نعم مع الزيادة التي تحدث في كل سنة وفي كل شهر أى والله وفي كل ساعة)(1).

وقد عقد الشيخ الكليني قدس الله روحه عدة أبواب تتكلم جميعها عن هذه الحقيقة منها الباب الذى عنونه باسم: (فى أن الأئمة عليهم السلام يزدادون فى ليلة

الجمعة(1)، ومنها (لولا أن الأئمة عليهم السلام يزدادون لنفد ما عندهم)(2)، ومنها (أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام)(3).

هذا ما يشارك به الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه سائر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أما ما يختص به صلوات الله وسلامه عليه فهو يفوق الإحصاء، فالعلوم التي خرجت على يديه أجلّ من ان يبينها هذا الإجمال، ولو ألفت موسوعات كاملة بخصوص دعاء عرفة فقط، وما يحتويه من علوم ومعارف عقلية وشرعية وأخلاقية وأدبية، لما أتى على كل ما فيه من غوامض وأسرار ومعارف يعجز عن الإتيان بها أو تصويرها غيره صلوات الله وسلامه عليه وغير من هو منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثالثاً: إكرامنا يوم القيامة بغفران الذنوب ورفع الدرجات بفضل سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه

ستبدأ يوم القيامة مرحلة جديدة من مراحل الإكرام والتكريم لشيعة الإمام الحسين ومحبيه وزائريه والباكين عليه ونادبيه ومن خط في سبيله كتاباً أو شعراً أو نثراً، وهذه المرحلة ذات عوائد أعظم بكثير من تلك التي كانت للمؤمنين في عالم الدنيا، فنعم الدنيا مهما بلغت درجة أهميتها، فإنها تبقى محدودة ووقتيّة وزائلة أما ما يعطى لشيعة الإمام الحسين ومحبيه ومواليه يوم القيامة فهو دائم باقٍ لا يزول ولا يضمحل.

إضافة إلى ان العالم الدنيوي ليس له قابلية استيعاب النعم الإلهية الحقيقية

1- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 253.

2- المصدر السابق ج 1 ص 254.

3- المصدر السابق ج 1 ص 255.

فليس للدنيا ان تسع مثلاً جنة أو بيتاً يعطى للمؤمن من ذهب أو من لؤلؤ، أما يوم القيامة فله هذه القابلية، فالكرم والإكرام الواقعي سيظهر في ذلك العالم بما لا يقاس مع عالم الدنيا.

وسيرى شيعة الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومحبه ان لله سبحانه وتعالى مع محبي الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه تعاملات خاصاً، وكما في بعض الروايات ان ما من احد من أهل المحشر إلا ويتمنى انه قد زار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لما يفعل بزواره وشيعته ومحبيه من الإكرام، وسيجنى المؤمنون بإمامة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقضيته ثمار أعمالهم التي أجهدوا فيها أبدانهم في سبيل الإمام الحسين وزيارته وإحياء شعائره، فكم من ذنب عظيم سيغفر وكم من امر مخوف مهول سيكفي وكم من درجة من درجات الجنة سترفع لمحبي الإمام الحسين وشيعته، وكم لله سبحانه وتعالى من عتيق من عتقاء ناره، اعتق بفضل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وسببه، جعلنا الله سبحانه وتعالى وسائر شيعة أهل البيت منهم، اللهم آمين يا رب العالمين.

أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ تَأْرِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

المبحث الثالث: ثار الإمام الحسين عليه السلام أهميته وبعض المسائل المتعلقة به

أولاً: هل يمكن لثار الإمام الحسين عليه السلام أن يكون مهماً؟ وما درجة أهميته؟

ثانياً: لماذا التأكيد على ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دون غيره من الأنبياء الأوصياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

ثالثاً: ما معنى كون النصر لطلب ثار الإمام الحسين رزقا من الله سبحانه وتعالى؟

رابعاً: هل يشترط وجود الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في مسألة أخذ الثار؟

خامساً: كيف يطلب المؤمن ان يرزق طلب الثار واغلب الظن انه سيموت قبله؟

المبحث الرابع: من هم أهل البيت المقصودون في آية التطهير

ألف: تحرير محل النزاع حول هذه الآية المباركة

باء: استعمال لفظ الأهل في القرآن الكريم واللغة

جيم: القرآن يجرّد البعض من صفة الأهل مع أنهم موصوفون بها لغة وعرفاً

دال: هل للسنة النبوية المطهرة إمكانية تخصيص عمومات القرآن الكريم؟

هاء: هل فسر النبي قدس الله روحه آية التطهير، وهل خصصها بفئة معينة دون أخرى؟

المبحث الخامس: الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وبعض ما يتعلق بها

أولاً: تخصيص النبي قدس الله روحه للصلاة عليه وتعليمه الأمة كيفية الصلاة عليه

ثانياً: هل يجوز للمسلم أن يقول: (على صلوات الله عليه)؟

ثالثاً: سبب رفضهم للصلاة على غير الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

رابعاً: حرموا الصلاة على علي عليه السلام وصلوا على أبي بكر وعمر وعلي الجوارى

أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ تَارِكٍ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

إشارة

فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث مهمة نستعرضها فيما يأتى:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

وردت روايات كثيرة عن الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تحدثت جميعها عن الشخص الذى ستوكل له مهمة الأخذ بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وقد أوضحت بعضها ان الذى سياتخذ بثاره صلوات الله وسلامه عليه وثار بقية أهل بيته وأصحابه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفى بعضها الآخر القائم أو قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والمقصود من كل ذلك هو الإمام المهدي الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومن هذه الروايات ما عن أبى عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه فى تفسير قوله تعالى: ((وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ

سُلْطَانًا فَلَا يُسْرَفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا)) (1)، قال صلوات الله وسلامه عليه: (ذلك قائم آل محمد، يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام، فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً، وقوله: ((فَلَا يُسْرَفُ فِي الْقَتْلِ)) لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً (2)، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: يقتل والله ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها (3).

وعن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه في قوله ((مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِوَالِيهِ سَلْطَانًا فَلَا يُسْرَفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا)) (4) قال: (هو الحسين بن علي عليهما السلام قتل مظلوما ونحن أولياؤه والقائم منا إذا قام طلب بثأر الحسين عليه السلام، فيقتل حتى يقال قد أسرف في القتل وقال: المقتول الحسين، ووليّه القائم والإسراف في القتل أن يقتل غير قاتله ((إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا)) فإنه لا يذهب من الدنيا حتى ينتصر برجل من آل رسول الله عليهم الصلاة والسلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً (5).

وفي الدعاء المعروف بدعاء الندبة المروى عن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ورد

1- سورة الإسراء الآية رقم 33.

2- ومعنى قوله صلوات الله وسلامه عليه (لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً) ان (لا) في الآية هي (لا النافية) وليس (لا الناهية) أى ان الإسراف منفي عن قتله لأعداء الله وقتله الحسين بالغاً ما بلغ عددهم وجمعهم. وقد يكون معنى العبارة ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه معصوم لا يصدر عنه السرف، إذ السرف والإسراف مثلبة وكبيرة لا يمكن أن تصدر عنه، وعليه فمهما قتل من أعداء الله وقتله الإمام الحسين فيكون بذلك مصيباً محققاً لا يخرج بذلك عن حد الاعتدال بالغاً ما بلغ عدد أولئك الذين سيقبض الإمام المهدي منهم ثارات جده الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

3- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 135 __ 136.

4- سورة الإسراء الآية رقم 33.

5- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 44 ص 218.

صريحاً قوله: (أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكر بلاء، أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى، أين المضطر الذي يجاب إذا دعا)(1).

وفى الزيارة المروية فى البحار: (السلام على الإمام العالم، الغائب عن الأبصار... الذى يظهر فى بيت الله الحرام ذى الأستار وينادى بشعار يا لثارات الحسين، أنا الطالب بالأوتار أنا قاصم كل جبار أنا القائم المنتظر بن الحسن عليه وآله أفضل السلام)(2).

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (... القائم إذا خرج يطلب بدم الحسين وهو قوله نحن أولياء الدم وطلاب الدية)(3).

إضافة إلى ذلك فإن المرتكز عند عامة المتشعبة من المؤمنين قديماً وحديثاً ان هنالك يوماً لا بد وان يأتي يوم يأخذ الله سبحانه وتعالى فيه بثارات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين قتلوا فى يوم عاشوراء على رمضاء كربلاء.

وقد ارتكز أيضاً عندهم أن أخذ الثار هذا سيكون على يد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه حين ظهوره وإعلاء كلمة الإسلام وجعلها العليا، وليس هذا الارتكاز عند المتشعبة بالأمر الحادث بل هو قديم متصل بأيام الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد صرحوا به أمامهم ولم ينهوا المؤمنين عنه فصار أمراً مفروغاً من شرعيته بإقرار نفس المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، وتائية دعبل الخزاعى رحمه الله التى

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 579.

2- بحار الأنوار ج 99 ص 193.

3- بحار الأنوار ج 24 ص 224.

ألقاها بمحضر ومسمع الإمام على بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه خير دليل على هذا الارتكاز الشرعي، فحينما يذكر دعبل الخزاعي مصائب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما جرى عليهم من قتل وسبي، يعقب موضحاً بان لهذه المصائب والآلام نهاية، وان لهذه الجرائم يوماً يقتص فيه من مرتكبيها، وان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو من سيقص ويأخذ بالثار منهم، فنراه يقول:

- ديار رسول الله أصبحن بلقعا *** وآل زياد تسكن الحجرات
 وآل رسول الله تدمى نحورهم *** وآل زياد ربة الحجلات
 وآل رسول الله يسبي حريمهم *** وآل زياد آمنوا السربات
 فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد *** تقطع نفسى إثرهم حسرات
 خروج إمام لا محالة خارج *** يقوم على اسم الله والبركات
 يميز فينا كل حق وباطل *** ويجزى على النعماء والتقمات(1)

وفي قصيدة السيد حيدر الحلبي رحمه الله التي قرأها بمحضر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه والتي جاء فيها:

- فأشحد شبا غضب له *** الأرواح مذعنة مطيعه
 واطلب به بدم القتيل *** بكر بلا في خير شيعه
 ماذا يهيجك إن صبرت *** لوقعة الطف الفظيعه
 أترى تجيء فجيعة *** بأمض من تلك الفجيعة
 حيث الحسين على الثرى *** خيل العدى طحنت ضلوعه
 قتله آل أمية *** ظام إلى جنب الشريعة

- ورضيعه بدم الوريد *** مخضب فاطلب رضيعه
- يا غيرة الله اهتفى *** بحمية الدين المنيعه
- ودعى جنود الله تملأ *** هذه الأرض الوسيعة
- واستأصلى حتى الرضيع *** لآل حرب والرضيعه
- ما ذنب أهل البيت *** حتى منهم أخلوا ربوعه (1)

ولم نسمع من الإمامين على بن موسى الرضا والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليهما اعتراضاً على محتوى القصيدتين ومضمونيهما، وهو ما يسمى فى علم الأصول بإقرار المعصوم وهو من الأقسام التى يمكن ان يركن إليها فى باب الحجية والإثبات، إذ لو كان فيهما خطأ عقائدى لا ينسجم مع خط وعقائد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لوجب على المعصوم تبيانہ والرد عليه وبما انه لم يرد ولم يبين خلافه فيكون داخلا قطعاً فى باب الصحيح الموافق للحق.

أما السؤال بالتوفيق لطلب ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مع الإمام المهدي صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه، فهو أمر على اقل التقادير مباح جائز، وإلا فهو من أعظم الأمور الراجحة، إذ ان مجرد الفوز بالمشاركة والانضمام تحت راية بقية الله فى أرضه، والانخراط فى جيشه المنصور، هو من أعظم النعم على المؤمن، والتى ينبغى على الموالى ان يدعوا الله سبحانه وتعالى صباحاً ومساءً للتوفيق إليها ونيلها، فكيف إذا انظم إلى هذا الشرف شرف آخر والتى هذه النعمة نعمة أخرى والتى هذا الرزق رزق آخر، وهو الفوز بالطلب بدم سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، هذا الشرف الذى تتمناه الملائكة قبل آدميين، والأولياء قبل غيرهم، جعلنا الله وجميع الموالين من الطالبين بثار الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: أَنْ يَرْزُقَنِي

(أَنْ) هنا مصدرية، ومعنى الرزق في (يَرْزُقَنِي) هو كل ما ينتفع به من العطاء النازل من الله سبحانه وتعالى، فكل عطاء مستمر يسمى رزقاً، قال الجواهرى فى الصحاح: (الرزق: ما ينتفع به والجمع الأرزاق. والرزق العطاء، وهو مصدر قولك: رزقه الله)(1).

وقال أبو هلال العسكري فى الفروق اللغوية: (إن الرزق هو العطاء الجارى فى الحكم على الإدرار ولهذا يقال أرزاق الجند لأنها تجرى على إدرار)(2).

والرزق كما يكون للأبدان كذلك يكون للأرواح والقلوب، فرزق البدن طعام وشراب ولباس وغير ذلك من النعم المتعلقة بالبدن، أما رزق الأرواح والقلوب فالعلم والحكمة وكل فيض تحيا به الروح ويتكامل به القلب، قال ابن الأثير: (والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم)(3).

وللإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه تقسيم آخر للرزق أوضحه فى أثناء حديثه للإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه قائلاً: (واعلم يا بنى أن الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك فإن أنت لم تأته أتاك)(4).

والرزق يكون من الله سبحانه وتعالى على نحوين فتارة يفعلُه ويوجدُه ويعطيه لعباده أو

1- الصحاح للجوهري ج 4 ص 1481.

2- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري ص 254.

3- النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج 2 ص 219.

4- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 100 ص 39.

لأحدهم مباشرة من دون واسطة، وأخرى مع الواسطة، قال الشيخ الطوسي في تفسير البيان: (وكل رزق فهو من الله تعالى إما بأن يفعله أو يفعل سببه)(1).

2: طَلَبٌ تَارِكٌ

(طَلَبٌ) قد يكون بمعنى محاولة وجدان الشيء، أو الشيء الذي يكون للإنسان عند آخر من حق يطالبه به، قال الخليل الفراهيدي: (طلب: الطلب: محاولة وجدان الشيء. والطلبية: ما كان لك عند آخر من حق تطالبه به. والمطالبة: أن تطالب إنسانا بحق لك عنده، ولا تزال تطالبه وتتقاضاه بذلك)(2).

وقال ابن منظور: (الطلب: محاولة وجدان الشيء وأخذه. والطلبية: ما كان لك عند آخر من حق تطالبه به. والمطالبة: أن تطالب إنسانا بحق لك عنده، ولا تزال تتقاضاه وتطالبه بذلك)(3).

و(تَارِكٌ) الضمير عائد إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، والثار كما مر في فقرة سابقة يطلق ويراد منه الدم، قال الزبيدي في تاج العروس: (الثار، بالهمز وتبدل همزته ألفا: الدم نفسه)(4).

وقد يطلق الثار ويراد به العدو، قال ابن منظور: (وفي حديث عبد الرحمن يوم الشورى: لا تغمدوا سيوفكم عن أعدائكم فتوتروا تارككم، الثار ههنا: العدو لأنه موضع الثار)(5).

1- التبيان للشيخ الطوسي ج 9 ص 360.

2- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 7 ص 430.

3- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 559.

4- تاج العروس للزبيدي ج 6 ص 138 فصل الثاء المثلثة مع الراء.

5- لسان العرب لابن منظور ج 4 ص 98.

3: مَعَ إِمَامٍ مَنصُورٍ

(مَعَ) ظرف مكان وهى هنا بمعنى المصاحبة.

(إِمَامٍ) والإمام لغة هو القدوة فكل من اقتدى به سمي إماما، قال الخليل الفراهيدي: (وكل من اقتدى به، وقدم فى الأمور فهو إمام، والنبى عليه السلام إمام الأمة، والخليفة: إمام الرعية. والقرآن: إمام المسلمين.. والمصحف الذى يوضع فى المساجد يسمى الإمام(1)).

والإمام سواء فى اللغة أو الشرع لفظ مشترك يطلق على إمام الحق والعدل، وكذلك على إمام الجور والضلالة، لان كلاً منهما قدوة يقتدى به أتباعه، ويقدموه فى أمورهم على غيره، قال الله سبحانه وتعالى فى وصف أئمة الحق والهدى: ((وَجَعَلْنَا لَهُمْ آيَاتٍ أَنْبَاءً يُوقِنُونَ)) (2).
فَعَلَّ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)) (2).

وقال سبحانه وتعالى أيضا: ((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)) (3).

وقال سبحانه وتعالى فى وصف أئمة الضلالة والكفر: ((وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)) (4)، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ((وَجَعَلْنَا لَهُمْ آيَاتٍ أَنْبَاءً يُوقِنُونَ)) (5).

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 8 ص 428 __ 429.

2- سورة الأنبياء الآية رقم 73.

3- سورة السجدة الآية رقم 24.

4- سورة التوبة الآية رقم 12.

5- سورة القصص الآية رقم 41.

وقال ابن منظور: (والإمام: كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين)(1).

و(مَنْصُورٌ) والنصر هو إغاثة المظلوم، قال الخليل الفراهيدي: (النصر: عون المظلوم)(2)، والمنصور هو المعان على عدوه قال ابن منظور: (وقد نصره ينصره نصرا إذا أعانه على عدوه وشد منه)(3).

والنصرة وان كانت معونة إلا أنها لا تكون إلا على العدو، قال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: (الفرق بين النصر والمعونة: النصر: يختص بالمعونة على الأعداء. والمعونة: عامة في كل شيء. فكل نصر معونة ولا ينعكس)(4).

والمقصود بالإمام المنصور هنا هو الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، والناصر له هو الله سبحانه وتعالى، والآيات التي ستظهر قبله وعلى يديه، والملائكة والمؤمنون من الإنس والجن وغيرهم.

4: مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(أَهْلُ) الأهل هم قرابة الرجل الأدين، قال أبو هلال العسكري: (إن الأهل يكون من جهة النسب والاختصاص فمن جهة النسب قولك أهل الرجل لقرابته الأدين)(5).

(بَيْتٍ) والبيت لغة قد أطلق على عدة معانٍ، فأطلق مثلا على الخيمة من

1- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 24.

2- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 7 ص 108.

3- لسان العرب لابن منظور ج 5 ص 211.

4- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 540.

5- المصدر السابق ص 84.

القصبة أو الشعر، قال ابن منظور: (وقد يقال للمبنى من غير الأبنية التي هي الأخبية بيت، والخباء: بيت صغير من صوف أو شعر)(1).

وأطلق على الدار والقصر قال ابن منظور: (وبيت الرجل داره، وبيته قصره، ومنه قول جبريل، عليه السلام: بشر خديجة ببيت من قصب)(2).

وأطلق على القبر، قال ابن منظور: (والبيت القبر، على التشبيه)(3).

وكثيراً ما يطلق على الأشخاص المنتمين لصاحب البيت قاصدين به أهل الشرف والسؤدد من أقارب الرجل الأذنين، قال ابن منظور: (وبيت العرب: شرفها، والجمع البيوت... والبيت من بيوتات العرب: الذي يضم شرف القبيلة... وقال العباس يمدح سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم: حتى احتوى بيتك المهيم من خندف، علياء تحتها النطق، جعلها في أعلى خندف بيتاً، أراد ببيته: شرفه العالى)(4).

(مُحَمَّدٍ) هو النبي الأعظم سيد ولد آدم وخير الخلق وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله عليه وعلى آله آلاف التحية والتسليم.

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ورد للفظ الصلاة معانٍ عدة، منها:

ألف: وردت بمعنى الدعاء، قال الفراهيدي: (وصلوات الرسول للمسلمين: دعاؤه لهم وذكرهم... وصلاة الناس على الميت: الدعاء)(5).

1- لسان العرب لابن منظور ج 2 ص 14.

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق ص 15.

4- المصدر السابق ج 2 ص 15.

5- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 7 ص 153__154.

وقال ابن سلام فى غريب الحديث: (قال أبو عبيد: كل داع فهو مصل وكذلك هذه الأحاديث التى جاء فيها ذكر صلاة الملائكة ... فهو عندى كله الدعاء)(1)، وقال الجوهري: (الصلاة: الدعاء)(2).

باء: وجاءت بمعنى الرحمة أو الترحم، قال الجوهري فى الصحاح: (والصلاة من الله تعالى: الرحمة)(3)، وقال ابن منظور: (وصلاة الله على رسوله: رحمته له وحسن ثنائه عليه)(4).

جيم: وجاءت بمعنى التعظيم والتشريف وإعلاء الشأن، قال ابن منظور: (وقيل: أصلها فى اللغة التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب _ تعالى وتقدس _ ... وأما قولنا: اللهم صل على محمد، فمعناه عظمه فى الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته وتضعيف أجره ومثوبته)(5).

وقال الطريحي فى مجمع البحرين: (قال بعض الأفاضل: «الصلاة» وان كانت بمعنى الرحمة لكن المراد بها هنا الاعتناء بإظهار شرفه ورفع شأنه، ومن هنا قال بعضهم: تشريف الله محمدا صلى الله عليه وآله بقوله: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))(6) أبلغ من تشريف آدم بالسجود)(7).

-
- 1- غريب الحديث لابن سلام ج 1 ص 178.
 - 2- الصحاح للجوهري ج 6 ص 2402.
 - 3- المصدر السابق ج 6 ص 2402.
 - 4- لسان العرب لابن منظور ج 14 ص 465.
 - 5- المصدر السابق ج 14 ص 466.
 - 6- سورة الأحزاب الآية رقم 56.
 - 7- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 2 ص 631.

دال: وجاءت بمعنى الاستغفار، قال ابن منظور: (والصلاة: الدعاء والاستغفار)(1)، وقال في موضع ثانٍ: (ومن الصلاة بمعنى الاستغفار حديث سودة: أنها قالت يا رسول الله، إذا متنا صلى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا، فقال لها: إن الموت أشد مما تقدرين، قال شمر: قولها صلى لنا أى استغفر لنا عند ربه)(2).

هاء: وجاءت بمعنى اللزوم، قال ابن منظور: (وقال الزجاج: الأصل فى الصلاة اللزوم. يقال: قد صلى واصطلى إذا لزم، ومن هذا من يصلى فى النار أى يلزم النار)(3).

وقال أيضا: (قال الأزهرى: والقول عندى هو الأول، إنما الصلاة لزوم ما فرض الله تعالى، والصلاة من أعظم الفروض الذى أمر بلزومه)(4).

وعليه يصبح معنى الآية المباركة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))(5)، هو الأمر بلزوم واتباع النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولزوم عترته وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم جعل من الصلاة عليهم جزءاً من الصلاة عليه ونهى عن ان يصلى عليه دون آله وسماها بالصلاة البتراء أى الناقصة.

واو: وجاءت الصلاة بمعنى تالى السابق، فكل من سبق فى سباق ما يسمى فائزاً، وكل من يتلوه ويأتى بعده مباشرة وبلا فصل يسمى مصلياً، قال الفراهيدى:

1- لسان العرب لابن منظور ج 14 ص 464.

2- المصدر السابق ج 14 ص 465.

3- المصدر السابق

4- المصدر السابق.

5- سورة الأحزاب الآية رقم 56.

(وإذا أتى الفرس على أثر الفرس السابق قيل: قد صلى وجاء مصليا لان رأسه يتلو الصلا الذى بين يديه)(1).

قال الجوهري:

(والمصلى: تالى السابق. يقال: صلى الفرس، إذا جاء مصليا، وهو الذى يتلو السابق، لان رأسه عند صلاة)(2).

فتكون الصلاة على النبى وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تستبطن معنى التتالى والتتابع ما بين النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الأطهار من آله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويكون هذا التتالى والتتابع بلا فصل بينهما، ويكون معنى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))(3) هو وجوب الإتيان والموالاة بين النبى صلوات الله وسلامه عليه وآله الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بلا فصل بينهما.

(وآله) هم أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنفسهم، قال أبو هلال العسكري: (وقال المبرد: إذا صغرت العرب الآل قالت أهل، فيدل على أن أصل الآل الأهل، وقال بعضهم: الآل عيدان الخيمة وأعمدتها وآل الرجل مشبهون بذلك لأنهم معتمده، والذى يرفع فى الصحارى آل لأنه يرتفع كما ترفع عيدان الخيمة، والشخص آل لأنه كذلك)(4).

وسياتى تفصيل لمعنى الصلاة على النبى وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ووجوبها وفضلها وأشياء آخر فى مبحث مستقل ان شاء الله.

1- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 7 ص 153.

2- الصحاح للجوهري ج 6 ص 2402.

3- سورة الأحزاب الآية رقم 56.

4- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري ص 84 ___ 85.

المبحث الثالث: ثار الإمام الحسين عليه السلام أهميته وبعض المسائل المتعلقة به

أولاً: هل يمكن ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أن يكون مهماً؟ وما درجة أهميته؟

يمكن لنا ومن خلال قرائن عديدة وأحاديث كثيرة أن نكتشف أهمية وقيمة وعظمة الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وفيما يأتي جملة من تلك الأحاديث والقرائن.

ألف: نستطيع ونتيجة للأخبار والروايات التي تقدمت في المبحث الأول ان نكتشف بأن واحدة من المهام الجسام والوظائف العظام التي سيحققها الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه حين خروجه هو الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وقد أكدت الروايات الشريفة عن الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على هذه المهمة تأكيداً ملفتاً للانتباه، مما يدل على ان المسألة أكثر من مجرد مسألة القرابة والنسب الذي يجمع ما بين الإمام الحسين والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليهما، وان جعل ثارات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والمطالبة به كشعار هو أكبر من كونه مسألة عاطفية أو مذهبية أو فئوية، وذلك لان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه لا يقوم ولا يخرج بهدف العاطفة والفئوية بل يخرج لإنقاذ الإنسانية جمعاء فلا بد أن تكون أهدافه وشعاراته إنسانية عامة لا تتقيد بفئة ولا تختص بطائفة، وعليه فحينما يرفع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه شعاراً له فان رزايا وهموم وآلام البشرية جمعاء في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ستتطوى تحته، فيكون رفعه رفعا لثارات جميع المؤمنين والمضطهدين والمحرومين.

فيكون دعاء الزائر في الزيارة وقوله (أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ تَارِكٍ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هو في حقيقته سؤال لطلب ثار كل الأنبياء العظام والأوصياء الكرام وسائر الأئمة وشيعتهم وجميع المحرومين والمستضعفين منذ آدم إلى حين قيام الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وسيأتي لاحقاً تفصيل أكثر لهذه الحقيقة.

باء: ويمكن استنتاج أهمية الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من خلال الشخص السائل، إذ ان السائل لطلب الثار مع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فأمر يتمناه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه لا بد أن يكون عظيماً، وإذا كان عظيماً في نظر المعصوم فلا بد ان يكون عظيماً عند الله سبحانه وتعالى، فيجب على عامة المؤمنين من شيعة أهل البيت وأسوة بأئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن يتمنوا ذلك ويطلبوا من الله سبحانه وتعالى أن يرزقهم إياه، ولو أن مؤمناً أفنى عمره في طلب هذه المرتبة، بالتركية والإعداد والتربية ما كان ملوماً، لأنه حينئذ قد أفنى عمره في رضا الله سبحانه وتعالى وطاعته.

باء: ويمكن استنتاج أهمية الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من خلال الشيء المسؤول به، لان السؤال بحق وشأن الشيء العظيم يستدعي ان يكون الشيء المطلوب عظيماً أيضاً، والإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه وقبل سؤال الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، سأل الله بمقام الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وكرامته عند الله سبحانه وتعالى، وسأل الله سبحانه وتعالى بالإكرام الذي جعله لموالي الإمام الحسين وشيعته، وقد عرفنا سابقاً أهمية ذلك وعظمة مرتبته، فلا بد والحال هذه أن يكون الشيء المطلوب يتناسب مع عظمة هذه المراتب، لقبح ان يسأل الشيء الصغير التافه بالشيء العظيم الأهمية والجليل المنزلة والمرتبة، وهو أمر يكاد يكون

بديهيًا، فلا بد ان يكون طلب ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه له من الأهمية والمنزلة ما يستدعى ان يسأل عنه بالشىء العظيم.

دال: ونستطيع ان نكتشف أهمية الطلب بثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من خلال أهمية صاحب الثار صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا الصدد يقول الميرزا محمد تقى الأصفهاني: (الفوز بثواب طلب ثار مولانا الحسين الإمام المظلوم الغريب الشهيد «عليه السلام»): وهذا أمر لا يقدر على إحصاء ثوابه أحد إلا الله العزيز الحميد جل شأنه، لأن عظمة شأن الثار بقدر عظمة صاحبه، فكما لا يقدر أحد على الإحاطة بالشؤون الحسينية إلا الله عز وجل، كذلك لا يقدر غيره على إحصاء ثواب طلب ثاره، فإنه الذى ورد فى زيارته: السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره ولو لم يكن فى الدعاء بتعجيل ظهور مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه سوى هذا الثواب، لكفى فضلا وشرفا وشأنًا فكيف وفيه من الفضل ما لا يحصى، ومن الثواب ما لا يستقصى(1).

ثانياً: لماذا التأكيد على ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دون غيره من الأنبياء الأوصياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

حينما سينطلق الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه بثورته المباركة ضد أهل الظلم فانه وكما ذكرنا من قبل سيرفح ثارات الإمام الحسين شعارا له كما ورد فى الزيارة المنقولة فى بحار الأنوار: (السلام على الإمام العالم، الغائب عن الأبصار... الذى يظهر فى بيت الله الحرام ذى الأستار وينادى بشعار يا لثارات الحسين، أنا الطالب بالأوتار أنا قاصم كل جبار أنا القائم المنتظر بن الحسن عليه وآله أفضل السلام)(2).

1- مكيال المكارم للميرزا محمد تقى الأصفهاني ج 1 ص 419-422.

2- بحار الأنوار ج 99 ص 193.

وان أول دم سينتصر له هو دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، كما فى الرواية التى عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه والتى جاء فيها: (... القائم إذا خرج يطلب بدم الحسين وهو قوله نحن أولياء الدم وطلاب الدية)(1).

والسؤال الذى يطرح نفسه هو: إذا كان دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو محور النهضة المهدوية وان ثار الإمام الحسين سيكون الهدف منها فأين يا ترى بقية ثارات الأنبياء والأوصياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟ ولماذا لا يكون شعار النهضة المهدوية المباركة أكثر شمولية وسعة، بحيث تدخل تلك الدماء العظيمة ضمن أهداف النهضة وشعاراتها؟.

ويمكن لنا تلخيص الإجابة عبر النقاط التالية:

ألف: ان النهضة المهدوية المباركة وان أخذت دماء الإمام الحسين وثارته شعارا لها حين انطلاق شرارتها الأولى، إلا ان هذا لا يعنى بان قائدها المعصوم قد نسى أو تناسى دماء الأنبياء والأوصياء وباقي الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حاشاه، فقد ورد فى دعاء الندبة المبارك قوله صلوات الله وسلامه عليه: (أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكر بلاء، أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى، أين المضطر الذى يجب إذا دعا)(2) فدماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأبناء الأنبياء من الأوصياء والصلحاء غير منسية ولا مهملة من الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وكيف ينساها وهو يأخذ بحقوق ودماء عامة المؤمنين صغيرها وكبيرها حتى من كان منهم مجهولا ولا يشار إليه بالبنان، فكيف بدماء الأنبياء وأوصيائهم ودماء الأئمة من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟!.

1- بحار الأنوار ج 24 ص 224.

2- المزار لمحمد بن المشهدى ص 579.

باء: أوضحنا إجمالاً فيما سبق ان انتصار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو انتصار لجميع الأنبياء والرسل وأخذه بثارات الإمام الحسين هو في واقعه أخذٌ لثارات الأنبياء وأولادهم، ومطالبته بدم الحسين وأهل بيته هو مطالبة بدماء جميع المظلومين، وذلك لان قضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هي قضية كل الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منذ خلق الله الأرض ومن عليها والى قيام الإمام المنصور المهدي بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد صرح مرات عديدة بأنه لم يخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً ولكنه خرج طلباً للإصلاح في أمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وان هدفه من النهضة هو رفع يد الظلم والظالمين عن المؤمنين وإعادةهم إلى الصراط المستقيم، وهذا هو نفس الهدف الذي كان يعمل جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على تحقيقه، وعليه فقضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هي قضية كل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما أن محنته هي محنة الأنبياء جميعاً وأوصيائهم وبقاى الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والقصاص من قتلته هو في الحقيقة قصاص من جميع القتلة والمتجبرين الذين أذاقوا الأنبياء والمؤمنين شديد العذاب، لان هؤلاء هم امتداد لأولئك .

فشعار (يا لثارات الحسين) هو المعبر عن آلام الإنسانية بشكل عام وعن معاناة الأنبياء والمصلحين بشكل خاص، لذلك سيتخذ الإمام المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه عنواناً لثورته الإنسانية، ويكون دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو محور التغيير الذي يمثل كل تلك الدماء والأرواح التي سفكت وأزهقت سواء كانت لأنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأولادهم، أو للقادة والمصلحين والشهداء إلى زمن قيام الإمام المهدي أرواحنا فداه .

ثالثاً: ما معنى كون النصره لطلب ثار الإمام الحسين رزقا من الله سبحانه وتعالى؟

الرزق كما يقول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (الرزق مقسوم على ضربين: أحدهما وإصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه. والآخر معلق بطلبه. فالذى قسم للعبد على كل حال آتية وإن لم يسع له، والذي قسم له بالسعى فينبغي أن يلتمسه من وجوهه) (1)، وكما يقول الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه رزقان، رزق يطلبك ورزق تطلبه، والذي يظهر من نص زيارة عاشوراء ان التوفيق لطلب ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو من مصاديق القسم الثاني من أقسام الرزق، أى من الرزق الذى تطلبه، لأنه لو كان من الرزق الذى يطلبك لما كان ضروريا ان يطلبه الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ويتوسل إلى الله سبحانه وتعالى لنيّله.

وكونه من الرزق الذى يجب على الإنسان طلبه يستتبع شيئين مهمين:

ألف: ان رزق التوفيق لنصرة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وطلب ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو ليس من الأمور الاستحقاقية اللازمة التى ينالها المرء بالاستحقاق الذاتى، بل هو من الأمور التفضيلية التى يمن بها الله سبحانه على من يشاء من عباده، فلو كانت النصره وطلب الثار بالاستحقاق لكان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولى الناس وأحقهم به، فلا داع حينئذ ان يسأله المعصوم من الله سبحانه وتعالى فى الزيارة، وهذا هو الظاهر من عبارة الزيارة.

والذى يخطر بالبال ان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين خارجون عن هذا الظاهر وهم أولى الناس بنصرة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وأحقهم بطلب ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وهم خارجون عن هذه القاعدة دون غيرهم من الناس، وتوسلهم

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وطلبهم من الله سبحانه وتعالى النصره وطلب الثار فى الزيارة لتبيان الأهمية من جهة ولتعليم الناس وتوجيههم من جهة ثانية ولايضاح ان هذا الشرف وهذه المنزلة لا تنال إلا بالدعاء والطلب والتوفيق الإلهى مهما كانت درجة الإنسان فى سلم الكمال، إذ قد تعطى لإنسان فقير معدم مغمور الذكر حامل النسب ويحرم منها عالم مشهور بورعه وعلمه وتقواه، نسأل الله أن يمن علينا ذلك بلطفه ورحمته.

باء: ان التوفيق لطلب الثار بمعىة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وان كان من الأمور التفضلية التى يمن الله سبحانه وتعالى بها على بعض عباده دون بعضهم الآخر، إلا ان هذا المنّ والتفضل والفيض ليس جزافيا، لان الله سبحانه وتعالى حكيم فى كل أفعاله وعطاياه، فلا- يفعل العبث ولا- يعطى جزافا، وعليه فلا بد ولكى يستحق الإنسان ان يمن عليه بالتوفيق لطلب الثار مع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ان يوجد فى نفسه شروط ذلك وأسبابه، شأنه شأن جميع الأمور والأرزاق التى يطلب من الإنسان السعى لتحصيلها، مثل الفلاح الذى فى سبيل جنى ثمرة التفاح أو غيرها من الثمار، فإن عليه ان يحرق الأرض ويزرع النبتة ويوصل إليها الماء والشمس ويمنع وصول الطير والآفات إليها ويصبر عليها الأيام والليالى وربما الأشهر والأعوام، حتى يجنى بعد كل ذلك التعب الثمرة المرجوة، وكل هذا الجهد والجهد والتعب فى سبيل تفاحة لذتها وفائدتها محدودة ووقتية وضيقة، فكيف بالذى يريد الوصول إلى هدف وثمره يتمنى نيلها والوصول إليها الملائكة الكرام والرسل والأنبياء العظام، فإن التعب سيكون أكثر والجهد أعظم بكثير من زارع نبتة التفاح، ومثل هذه المراتب لا ينالها إلا ذو حظ عظيم ولا يتوصل إليها العبد مهما أوتى من جهد وجد وطاقة إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى ومنّه ولطفه، نسأل الله سبحانه وتعالى ان يرزقنا وجميع الموالين طلب ثار الإمام الشهيد صلوات الله وسلامه عليه مع الإمام المهدي المنصور عجل الله تعالى فرجه الشريف.

رابعاً: هل يشترط وجود الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في مسألة أخذ الثار؟

والذى يظهر من عبارة الزيارة الشريفة ان حضور الإمام المعصوم المنصور صلوات الله وسلامه عليه شرط في طلب الثار المقصود في فقرة الزيارة، والإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في هذه الفقرة الشريفة لا يقصد كل طلب، وإنما يقصد طلباً خاصاً وهو الذى مع الإمام المنصور صلوات الله وسلامه عليه، لان طلب الثار مع الإمام المهدي له قيمة أخرى تختلف عن كل طلب، لان الجهاد مهما كانت درجة أهميته عظيمة، إلا انه مع الإمام المعصوم وتحت رايته أعظم وأعظم، لاسيما تحت راية الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه الذى ورد النص بعظيم أهميته، ولان نصرته وكما ذكرنا سابقاً هي نصره لجميع الشرائع والأنبياء والسنن.

إضافة إلى ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه يعلم بتعليم من الله سبحانه وتعالى أين يطلب الثار، وممن يطلب الثار، على نحو التحديد والدقة، لان طلب الثار ليس بالأمر الهين، لان الأمر يتعلق بالدماء والأعراض والأموال، وهو أمر عظيم لا يمكن الحكم به والتجرؤ عليه بغير نص وأذن قطعى، ولا يمتلك هذا النص والأذن غير الإمام المهدي المنصور صلوات الله وسلامه عليه.

إضافة إلى ان عملية اخذ ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هي عملية تحتاج إلى إمكانات مادية وعسكرية عظيمة، لان بعض من يطلب منه ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد يكون الآن حاكم دولة عظمى، أو قائداً من أولئك الذين تقف خلفه الجيوش الجرارة، أو غير ذلك، واخذ الثار من هؤلاء يستلزم إمكانات لا تخفى على المتأمل، وهذه الإمكانات لا تتحقق في غير عصر خروج الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

لذلك نرى أنّ جميع تلك الثورات التي خرجت للطلب بئار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عبر التاريخ لم تؤت ثمارها كاملة، لضعفها من الناحية المادية والعسكرية وغير ذلك من الشروط التي لها مدخلية في تحقيق النصر الكامل، وأوضح دليل على ذلك ثورة المختار فبالرغم من كل الجهود التي بذلها المختار وأتباعه للنيل من قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والأخذ بئاره، إلا أنه عجز عن الوصول إلى الكثيرين ممن اشتركوا في تلك الفاجعة، فيزيد بن معاوية لعنه الله وبطائه الكافرة من آل أمية لعنهم الله، وغيرهم الآلاف قد فروا من سيفه، أو لم يصل إليهم لسبب وآخر.

هذا فيما لو قلنا إنّ طلب الثار سيقصر على تلك الأمة التي ارتكبت فاجعة عاشوراء، ولم نذهب إلى أن الطلب بالثار يشمل — كما هو الصحيح — جميع الأمم التي أتت بعد تلك الأمة المنحوسة أو قبلها، فيشمل أمة رضى، وأمة مهدت، وأمة دافعت عن الجنة وصححت أفعالهم، وغير هذه الأمم ممن لا يحيط بعلمهم وخبرهم إلا الله سبحانه وتعالى والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

فيتين ونتيجة لهذا العرض، أن الثار الحقيقي لدم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لن يتحقق إلا في زمن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، وأن جميع الحروب والثورات التي قامت أو ستقام في يوم من الأيام بهدف الأخذ بئار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ستكون ناقصة من حيث الأثر وسيكتب لها عدم النجاح، أو النجاح الجزئي، لذلك ورد وصف الـ (مَنْصُور) في العبارة التي نحن بصدد شرحها، فالوحيد الذي سيكتب له النصر وتكون ثورته لأخذ الثار متكاملة هو الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه، فحري بالمؤمن أن يحافظ على نفسه ويدخرها للمشاركة مع صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه، ولا يسمح ببذل مهجته إلا تحت رايته، كما قال الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: (كأنى يقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق

فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء أما إنى لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسى لصاحب هذا الأمر(1).

وبناء على صحة هذا الحديث فإن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه مع انه يحكم على قتلاهم بأنهم شهداء، إلا انه صلوات الله وسلامه عليه يبين بان المرتبة الأفضل والأحسن والأكمل هي في عدم المشاركة واستبقاء النفس إلى صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه.

خامسا: كيف يطلب المؤمن ان يرزق طلب النار واغلب الظن انه سيموت قبله؟

وربما يقال: كيف يمكن أن نصحح ان يطلب الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه او سائر الزائرين بهذه الزيارة الشريفة أن يرزقه الله سبحانه وتعالى طلب نار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مع الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وهو يعلم يقينا بأن عمره لن يصل إلى ذلك اليوم، لان الغالب في ظن اغلب الداعين بهذا الدعاء __ ان لم يكن مقطوعا به __ هو عدم بلوغهم إلى ذلك اليوم الموعود، وعليه، أليس في هذا الدعاء نوع من العبثية وعدم الدقة في الطلب؟.

أقول: ان هذا الدعاء من الإمام صلوات الله وسلامه عليه ومن سائر شيعته الكرام هو على نحو الترجى والتمنى والالتماس لوجه من وجوه الخير، وهو أمر حسن ومستساغ شرعا وعقلا، وقد وردت نصوص عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تؤكد على أن العبد يستطيع أن يبلغ بنيته وقصده مراتب عالية من الكمال، حتى وان لم يوفق لفعل وتحقيق تلك النية وذلك القصد في الخارج، منها ما عن أبي بصير، عن الإمام

الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (إن العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير، فإذا علم الله ذلك منه بصدق نيته كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إن الله واسع كريم)(1).

وعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضا قال: (ما من مؤمن سن على نفسه سنة حسنة أو شيئا من الخير ثم حال بينه وبين ذلك حائل إلا كتب الله له ما أجرى على نفسه أيام الدنيا)(2).

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضا عن آبائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تمنى شيئا وهو لله عز وجل رضا لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه)(3).

وقد ورد في كثير من الأخبار ان الإنسان مع من أحب وله مثل أجره فان كان خيرا فخير وان كان شرافشا، كما روى عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (ان الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة)(4)، وروى المخالفون قريبا من هذا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (يحشر الناس على نياتهم)(5)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: (الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى)(6).

وربما شارك الإنسان أجر أناس عاشوا قبله أو بعده بمئات السنين بل وبآلاف السنين أيضا، لا لشىء إلا لأنه محب لعملهم، كما فى الحديث المروى عن أمير

1- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقى ج 1 ص 261.

2- المصدر السابق ص 28.

3- الأمالى للشيخ الصدوق ص 674.

4- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقى ج 1 ص 262.

5- سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزوينى ج 2 ص 1414.

6- صحيح البخارى ج 1 ص 20 كتاب الإيمان.

المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه لما فرغ من قتل الخوارج يوم النهروان (قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين طوبى لنا إذ شهدنا، معك هذا الموقف، وقتلنا معك هؤلاء الخوارج فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد شهدنا في هذا الموقف أناس لم يخلق الله آباءهم ولا أجدادهم بعد، فقال الرجل: وكيف يشهدنا قوم لم يخلقوا؟ قال: بلى قوم يكونون في آخر الزمان يشركوننا فيما نحن فيه، ويسلمون لنا، فأولئك شركاؤنا فيما كنا فيه حقا حقا(1).

وعن أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه: (إنما يجمع الناس الرضا والسخط، فمن رضى أمرا فقد دخل فيه ومن سخطه فقد خرج منه(2).

ويوجد توجيه ثانٍ وجواب آخر، وهو ان المشهور ان لم نقل المتواتر والمتسالم به عند أصحاب المذهب الحق مذهب أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان هنالك رجعة عند خروج الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه يحيى الله سبحانه وتعالى بها بعض المؤمنين وبعض الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو جميعهم على اختلاف الآراء في ذلك، لينعموا بنصرة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه والعيش في دولته الكريمة تلك الدولة التي كانت حلم جميع الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصالحين منذ ان خلق الله سبحانه وتعالى أبا البشر آدم صلوات الله وسلامه عليه، وقد وردت عدة نصوص شرعية عن الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلماء الطائفة الأبرار رحمهم الله توضح حقيقة الرجعة وإمكان وقوعها في زمن الإمام المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه، بل ووقوعها فعلا في الأمم السالفة.

وقد الفت في إثباتها واستقصاء مسائلها عشرات الرسائل والمؤلفات والمصنفات العلمية، وقد عد محقق كتاب (الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة) للحر

1- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج 1 ص 262.

2- المصدر السابق.

العامل (1) أربعة وأربعين مصنفاً في موضوع الرجعة وقد ذكر أسماءها وأسماء مصنفاتها تفصيلاً، وهذا الإكثار في التصنيف ان دل على شيء فإنه يدل على أهمية موضوع الرجعة ومدى اهتمام العلماء الماضين والمتأخرين والمعاصرين بهذا الموضوع لأنه يعد من إحدى عقائد الشيعة الإثني عشرية.

ومن تلك الأقوال التي حكت إجماع الشيعة الإثني عشرية على الاعتقاد بالرجعة وإمكانها هو قول الشريف المرتضى قدس الله روحه حينما سئل عن حقيقة الرجعة، لأن شذاذ الإمامية يذهبون إلى أن الرجعة رجوع دولتهم في أيام القائم عليه السلام من دون رجوع أجسامهم، فأجابهم قدس الله روحه بقوله: (إعلم أن الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه أن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام قوما ممن كان قد تقدم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته. ويعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق وعلو كلمة أهله. والدلالة على صحة هذا المذهب أن الذي ذهبوا إليه مما لا شبهة على عاقل في أنه مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، فإننا نرى كثيرا من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيلة غير مقدورة. وإذا أثبت جواز الرجعة ودخولها تحت المقدور، فالطريق إلى إثباتها إجماع الإمامية على وقوعها، فإنهم لا يختلفون في ذلك. وإجماعهم قد بينا في مواضع من كتبنا أنه حجة، لدخول قول الإمام عليه السلام فيه، وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال لا بد فيه من كونه صواباً) (2).

ومن الأحاديث الصريحة فيما نحن فيه ما روى عن المفضل بن عمر قال: (ذكرنا القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله عليه

1- الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملى تحقيق مشتاق مظفر.

2- رسائل المرتضى للشريف المرتضى ج 1 ص 125 _ 126، المسألة الثامنة، حقيقة الرجعة.

السلام: إذا قام أتى المؤمن في قبره فيقال له: يا هذا إنه قد ظهر صاحبك، فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم(1).

ومثله عن سيف بن عميرة، قال: (قال لي أبو جعفر «عليه السلام»): المؤمن ليخير في قبره، إذا قام القائم، فيقال له: قد قام صاحبك، فإن أحببت أن تلحق به فالحق، وإن أحببت أن تقيم في كرامة الله فأقم(2).

وقد زحرت الزيارات الشريفة بحقيقة أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سيرجعون، وكذلك سيرجع جمع من شيعتهم ومحبيهم لغرض النصرة والعيش تحت ظلهم ورعايتهم، ومن هذه الزيارات الشريفة زيارة الجامعة التي تسالمت صحة صدورها وعلو مضامينها، والتي جاء في بعض فقراتها المباركة: (أشهد الله وأشهدكم أني مؤمن بكم وبما آمنتم به كافر بعدوكم وبما كفرتم به، مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم، موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم، سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم محقق لما حققتم، مبطل لما أبطلتم، مطيع لكم، عارف بحقكم، مفر بفضلكم، محتمل لعلمكم، محتجب بدمتكم معترف بكم، ومؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم...)(3).

ومنها ما ورد في زيارة الإمام صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه: (مولاي فان أدركني الموت قبل ظهورك، فاني أتوسل بك وبآبائك الطاهرين إلى الله تعالى، واسأله ان يصلى على محمد وآل محمد وان يجعل لي كرة في ظهورك، ورجعة في أيامك، لأبلغ من طاعتك مرادى، وأشفي من أعدائك فؤادى)(4).

1- الغيبة للشيخ الطوسي ص 459.

2- دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري «الشيعة» ص 479.

3- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 2 ص 614.

4- المزار لمحمد بن المشهدى ص 588.

وفى زيارة أخرى جاء فيها: (وان حال بينى وبين لقائه الموت الذى جعلته على عبادك حتما وأقدرت به على خليقتك رغما، فأحبنى عند ظهوره خارجا من حفرتى، مؤتزرا بكفنى، حتى أجاهد بين يديه فى الصف الذى أثبت عليهم فى كتابك، فقلت: ((كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ))⁽¹⁾، اللهم طال الانتظار، وشمت بنا الفجار، وصعب علينا الانتصار، اللهم أرنا وجه وليك الميمون فى حياتنا وبعد المنون. اللهم إنى أدين لك بالرجعة بين يدي صاحب هذه البقعة، الغوث الغوث الغوث يا صاحب الزمان، قطعت فى وصلتك الخلان، وهجرت لزيارتك الأوطان)⁽²⁾ وتوجد زيارات أخرى يطول ذكرها قد تركناها روما للاختصار.

فيتحصل مما سبق ان سؤال الإمام صلوات الله وسلامه عليه وباقي المؤمنين الكرام صحيح موافق للموازين الشرعية حتى وان حال دون تحقق مرادهم الموت الذى جعله الله حقا على عباده، لان استجابة دعائه صلوات الله وسلامه عليه ودعاء شيعته الكرام سيكون فى الرجعة التى ستقع يقينا حين خروج الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

المبحث الرابع: من هم أهل البيت المقصودون فى آية التطهير

ألف: تحرير محل النزاع حول هذه الآية المباركة

آية التطهير هى قوله سبحانه وتعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))⁽³⁾، وهذه الآية المباركة هى جزء من آية نزلت مع مجموعة من الآيات الأخرى والتى تحدثت عن زوجات النبی الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، تبدأ من قوله

1- سورة الصف الآية رقم 4.

2- المصدر السابق ص 658.

3- سورة الأحزاب الآية رقم 33.

سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا)) (1)، وتنتهى عند قوله سبحانه وتعالى: ((وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيمًا خَبِيرًا)) (2)، وآية التطهير جاءت ضمن الآية الثالثة والثلاثين من هذه السورة وهو قوله سبحانه وتعالى: ((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) (3).

وبسبب وقوع جملة ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) فى ضمن هذه الآية والآيات التى تحدثت عن نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقع اختلاف قديم جديد — قديم حدوثا جديد استمرارا — حول دلالة هذه الجملة من الآية الشريفة، فأجمع أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم على أنها وان وردت فى سياق الحديث عن زوجات النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن سبب نزولها يتعلق بالخمسة أهل الكساء، وهم كل من النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، والسيدة الطاهرة فاطمة البتول صلوات الله وسلامه عليها، والإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، ولهم إضافة إلى إجماعهم أدلة وروايات عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مروية عن طريق مخالفيهم، سنتعرض إلى بعضها لاحقا.

أما باقى المذاهب الإسلامية فقد تشعبت كلمتهم وتفرقت على أقوال عديدة، فمنهم من خص هذه الجملة فى الآية المباركة بنساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدخل معهن غيرهن إلا النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من جعل من نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم

1- سورة الأحزاب الآية رقم 28.

2- سورة الأحزاب الآية رقم 34.

3- سورة الأحزاب الآية رقم 33.

جزءاً وفرداً من الأفراد المشمولين بهذه الآية المباركة، وادخل معهم الخمسة من أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومنهم من فتح الباب على مصراعيه ليدخل في ضمن الآية كل من حرمت عليه الصدقة، فيشمل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والخمسة أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وجميع آل عبد المطلب، فيدخل بنو العباس قاطبة، وآل الحارث بن عبد المطلب، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد عندهم لربيعة بن الحارث والعباس ابني عبد المطلب: (ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس)(1).

فيتحصل مما سبق ان الخمسة من أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مجمع على دخولهم عند الشيعة وغيرهم ولا يخالف ذلك إلا شاذ لا يعتد برأيه، أما الباقيون فمختلف فيهم، فالبحث إذن يجب ان يتمحور ليس في دخول أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشمولهم بآية التطهير، لان ذلك مسلم به ومجمع عليه كما عرفت، وإنما البحث حول دخول غيرهم معهم في حكم الآية الشريفة، وهو ما سيتضح في الفقرات اللاحقة إن شاء الله سبحانه وتعالى.

باء: استعمال لفظ الأهل في القرآن الكريم واللغة

قد أطلق لفظ الأهل ولفظ أهل البيت في القرآن الكريم وأريد به معانٍ عديدة منها :

1: قد أطلق لفظ الأهل على أتباع دين معين كتسمية القرآن الكريم اليهود والنصارى بأهل الكتاب، ويقصد بهم الذين يدينون باليهودية والنصرانية، قال سبحانه وتعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ))(2).

1- صحيح مسلم ج3 ص119، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة.

2- سورة آل عمران الآية 70.

وقال سبحانه وتعالى أيضا: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ)) (1).

وقال سبحانه وتعالى في آية الثالثة: ((وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) (2).

2: وأطلق لفظ الأهل على سكان مدينة معينة أو قرية معينة، نظير قوله سبحانه وتعالى: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (3).

وقال سبحانه وتعالى في آية ثانية: ((وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُدَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النَّفَقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعُدْبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَردُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ)) (4).

وقال سبحانه وتعالى: ((وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ)) (5).

3: وقد أطلق لفظ الأهل على أفراد ومجاميع يجتمعون في مكان واحد ويشتركون في نفس المصير كإطلاقه على أهل النار وأهل الجنة، أو كقوله تعالى ((فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)) (6) لتغرق أهلها أي أهل السفينة، وسموا أهلا لا اشتراكهم في نفس المصير ان غرقوا غرقوا بأجمعهم وان نجوا نجوا بأجمعهم أيضا.

1- سورة المائدة الآية 68.

2- سورة المائدة الآية 47.

3- سورة الأعراف الآية 96.

4- سورة التوبة الآية 101.

5- سورة الحجر الآية 67.

6- سورة الكهف الآية 71.

4: وقد أطلق في بعض الآيات الشريفة وأريد به الأم والأخت كما في قوله تعالى في قصة نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه: ((وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ)) (1)، ولم يكن في بيت نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه بحسب ما تتبعنا إلا أمه وأخته، وهو المقدار المتيقن من آيات القرآن الكريم لان الآيات الشريفة إنما تحدثت عن أمه صلوات الله وسلامه عليه وأخته فتكونان مشمولتين بلفظ أهل بيته قطعاً وغيرهم يحتاج إلى دليل إضافي.

5: وأطلق لفظ الأهل وأريد به الأخ كما في قوله تعالى: ((وَاجْعَلْ لِي وَاخِي مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي)) (2) فعبّر عن نبي الله هارون صلوات الله وسلامه عليه بأنه من أهل نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه.

6: وأطلق لفظ الأهل على الولد كما في قوله تعالى: ((وَدَاوُدَ ذُو الْجُنُودِ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ)) (3).

7: وقد أطلق لفظ الأهل على بنات الرجل من صلبه كما في قوله سبحانه وتعالى في قصة نبي الله لوط صلوات الله وسلامه عليه: ((قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ)) (4).

وقال سبحانه وتعالى: ((فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ)) (5)، والمعلوم تاريخياً ان لوطاً لم يكن له إلا بنتان أو ثلاثة حين خروجه من تلك القرية التي عذب أهلها

1- سورة القصص الآية 12.

2- سورة طه الآية 29-30.

3- سورة هود الآية 45.

4- سورة العنكبوت الآية 32.

5- سورة الأعراف الآية 83.

وهن المذكورات فى قوله تعالى: ((وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)) (1).

8: وقد أطلق لفظ الأهل على الزوجة أيضا قال أبو بكر الجصاص: (الأهل اسم يقع على الزوجة وعلى جميع من يشتمل عليه منزله (...)(2)، وفى معاجم اللغة: (الأهل الذى له زوجة. وعيال، وسار بأهله أى بزوجته وأولاده، وأهل الرجل وتأهل: تزوج، والتأهل: التزوج، وفى الدعاء: أهلك الله فى الجنة إيهالا أى زوجك فيها)(3).

وقد ورد هذا الاستعمال فى القرآن أيضا، نظير قوله سبحانه وتعالى: ((إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كَيْفُهَا مِنْهَا بَخْبِرٍ أَوْ أَنْتُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)) (4).

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ((قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)) (5).

وكقوله سبحانه وتعالى: ((وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (6).

9: وقد يطلق لفظ الأهل على العشيرة والأقرباء بصورة عامة كما فى قوله تعالى: ((وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا)) (7).

1- سورة هود الآية 78.

2- أحكام القرآن للجصاص 2 ص 277.

3- قاموس اللغة ج 3 ص 331.

4- سورة النمل الآية 7.

5- سورة هود الآية 73.

6- سورة يوسف الآية 25.

7- سورة مريم الآية 16.

فيتضح مما سبق أنّ القرآن الكريم أطلق لفظ الـ(أهل) على مصاديق عدة، فأطلقه على الواحد كما في نبي الله هارون صلوات الله وسلامه عليه، وابن نبي الله نوح صلوات الله وسلامه عليه، وأطلقه على الاثنين كابنتي نبي الله لوط صلوات الله وسلامه عليه، وأطلقه على الأخت وعلى الأم كما في أم وأخت نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه، وأطلقه على الزوجة كزوجتي نبي الله إبراهيم الخليل ولوط صلوات الله وسلامه عليهما، وأطلقه على الجماعة البالغة من العدد مبلغا عظيما، كأهل الكتاب وغيرهم، وأطلقه على الجماعة المحدودة والمتوسطة العدد كأهل السفينة وأهل القرية.

جيم: القرآن يجرد البعض من صفة الأهل مع أنهم موصوفون بها لغة وعرفا

لا يخفى على مسلم ان لله سبحانه وتعالى على الناس ولايتين، ولاية تكوينية وأخرى تشريعية، فمثلما انه سبحانه وتعالى يحيى من يشاء، ويعطى من يشاء، ويميت من يشاء، ويرزق من يشاء، بحسب المصلحة والحكمة، كما قال سبحانه وتعالى: ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ))⁽¹⁾، كذلك سبحانه يشرع ما يشاء ويحكم بما يشاء، ويفرض على عباده ما يشاء، على وفق ما يراه سبحانه وتعالى مناسبا، وله مدخلية في تكامل الإنسان وتنظيم مصالحه الفردية والاجتماعية، وبما يعود عليه بالخير والفائدة والصلاح، قال سبحانه وتعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ))⁽²⁾، وهذا الأمر لا يحتاج إلى دليل لبدايته عند كل معتقد بالدين الإسلامي، بل وحتى الأديان الأخرى ترى مثل هذا الحق لله سبحانه وتعالى.

ويتفرع على هذه الحقيقة البديهية، أنّ الله سبحانه وتعالى مثلما له حق التشريع،

1- سورة القصص الآية رقم 68.

2- سورة المائدة الآية رقم 1.

كذلك له سبحانه وتعالى حق توسيع ما يشاء من المفاهيم والحقائق الشرعية، أو تضيق وحصر ما يشاء من تلك المفاهيم، وله سبحانه وتعالى الحق في إضافة مصاديق معينة إلى مفهوم معين، أو نفيها عنه، كل ذلك خاضع للعلم الإلهي والحكمة والمصلحة، وهذا ما حصل في مصطلح (الأهل) في القرآن الكريم، إذ نراه سبحانه استخدم ولايته التشريعية فجرد ومحا صفة الأهل عن ابن نبي الله نوح صلوات الله وسلامه عليه، فقال سبحانه وتعالى: ((قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ))⁽¹⁾، فمع ان المعنى اللغوي والعرفي يجعل من ابن نبي الله نوح صلوات الله وسلامه عليه من اقرب وأوضح مصاديق الأهل، إلا انه سبحانه وتعالى أخرجه من ذلك لسبب كفره وعدم صلاحه.

ومثلما ان لله سبحانه وتعالى ولاية على نفى بعض الأفراد عن ان يشملهم وصف الأهل، كذلك له سبحانه الحق في تخصيص بعض أفراد الأهل بحكم من الأحكام التشريعية أو التكوينية، واستثناء البعض الآخر من هذه الأحكام، كما استثنى سبحانه وتعالى زوجة نبي الله لوط صلوات الله وسلامه عليه من حكم النجاة من العذاب، قال تعالى: ((فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ فَدَازَنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ))⁽²⁾، وكما في قوله تعالى: ((وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيبًا بِهَمٍّ وَصَدَاقٍ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ))⁽³⁾.

فيتين مما سبق شيان مهمان هما:

1: ان لله سبحانه وتعالى حق تضيق أو توسيع ما يشاء من المفاهيم والحقائق

1- سورة هود الآية رقم 46.

2- سورة الأعراف الآية رقم 83.

3- سورة العنكبوت الآية رقم 33.

الشرعية، حتى وان كان هذا التوسيع مخالفاً للمفهوم العرفي واللغوي، كما في مسألة ابن نبي الله نوح فمع ان المدلول العرفي واللغوي يتناوله إلا ان المدلول الشرعي لا يشملها، فإذا ما أردنا التعريف الشرعي لأهل بيت نبي الله صلوات الله وسلامه عليه فان ابنه وبحسب الشرع لا يدخل فيهم البتة.

2: ان لله سبحانه وتعالى حق تخصيص بعض أفراد العموم بحكم من الأحكام التشريعية أو التكوينية، واستثناء البعض الآخر من هذه الأحكام، كما في حكم النجاة من العذاب بالنسبة إلى زوجة نبي الله لوط صلوات الله وسلامه عليه، فمع ان القرآن اقر لها بصفة الأهل إلا انه استثنائها من حكم من الأحكام التكوينية.

دال: هل للسنة النبوية المطهرة إمكانية تخصيص عمومات القرآن الكريم؟

لا يخفى أن في القرآن الكريم أحكاماً عامة أو مطلقة كثيرة، وقد خصصت أو قيدت أكثرها، وهذا التقييد أو التخصيص تارة يقع بنص قرآني ثانٍ، كما مر في الآيتين اللتين تكلمتا عن ابن وزوجة نبي الله نوح ولوط صلوات الله وسلامه عليهما، وتارة يقع بنص من السنة النبوية المطهرة، التي اجمع الموالف والمخالف على ان لها قابلية التخصيص والتقييد لعمومات وإطلاقات القرآن الكريم، قال المحقق الحلبي: (المسألة الثانية: تخصيص الكتاب بالكتاب جائز، كقوله تعالى: ((فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ)) (1)، ثم قال في موضع آخر: ((حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ)) (2). وكذلك — يجوز — تخصيص الكتاب بالسنة قولاً، كتخصيص آية المواريث (3) بقوله عليه السلام: «القاتل

1- سورة محمد الآية رقم 4.

2- سورة التوبة الآية رقم 29.

3- آية المواريث هي قوله تعالى في الآية رقم 11 من سورة النساء: ((يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)).

لا يرث»، وفعلا(1)، كتخصيص آية الجلد(2) برجمه عليه السلام ماعزا(3). وبالإجماع(4)، كالتسوية بين العبد والأمة في تنصيف الحد، تخصيصا لآية الجلد(5).

وقال الآمدي: (المسألة الخامسة يجوز تخصيص عموم القرآن بالسنة. أما إذا كانت السنة متواترة، فلم أعرف فيه خلافا، ويدل على جواز ذلك ما مر من الدليل العقلي. وأما إذا كانت السنة من أخبار الآحاد، فمذهب الأئمة الأربعة جوازه(6).

وقال الخطيب البغدادي: (خبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم قال ثنا محمد بن إسحاق الصاغانى قال حدثنا روح بن عباد قال حدثنا الأوزاعي عن مكحول قال: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن(7).

وعن: (الفضل بن زياد قال سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذى

1- يعنى وكذلك يجوز تخصيص الكتاب العزيز بفعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

2- آية الجلد هى قوله تعالى فى الآية رقم 2 من سورة النور: ((الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَدَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)).

3- آية الجلد عامة فى جلد كل زانٍ، سواء كان محصنا أى متزوجا أم غير محصن، فلما رجم النبى صلى الله عليه وآله وسلم احد الصحابة والذى كان اسمه ماعزا وكان متزوجا، علمنا ان حكم الجلد الذى فى الآية خاص بالذى يزنى وهو غير متزوج، أما المتزوج فيرجم.

4- يعنى وكذا يجوز تخصيص الكتاب العزيز بالإجماع.

5- معارج الأصول للمحقق الحلى ص 95 _ 96.

6- الأحكام للآمدي ج 2 ص 322.

7- الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادي ص 30.

روى أن السنة قاضية على الكتاب قال: ما أجسر على هذا ان أقوله! ولكن السنة تفسر الكتاب وتعرف الكتاب وتبينه(1).

وعن: (حسان بن عطية قال كان جبرائيل ينزل على رسول الله صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن)(2).

ولتخصيص عموم القرآن الكريم بالسنة المطهرة أمثلة كثيرة جدا لا يتناسب ذكر جميع مصاديقها في مثل ما نحن فيه من الاختصار، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وسنأتي على عدة من الأمثلة التي ذكرها المخالف قبل الموالف، ونترك الباقي للكتب المختصة في هذا المجال، ومن هذه الأمثلة ما يأتي:

1: قال الخطيب البغدادي: (قال الله تعالى: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث، فكان ظاهر هذه الآية يدل على أن كل والد يرث ولده وكل مولود يرث والده حتى جاءت السنة بأن المراد ذلك مع اتفاق الدين بين الوالدين والمولودين وأما إذا اختلف الدين فإنه مانع من التوارث واستقر العمل على ما وردت به السنة في ذلك)(3).

2: قال الخطيب البغدادي أيضا: (وقال الله تعالى: والسارق والسارقة فاقطعوا

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق ص 27، وراجع أيضا ما قاله ابن حجر عند إيرادته للحديث: (وأخرج البيهقي بسند صحيح عن حسان بن عطية احد التابعين من ثقات الشاميين... ثم ذكر الخبر) راجع فتح الباري لابن حجر ج 13 ص 248.

3- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص 28 باب تخصيص السنن لعموم محكم القرآن وذكر الحاجة في المجمل إلى التفسير والبيان.

أيديهما، فكان ظاهر هذا القول يوجب القطع على كل سارق بسرقة كثر أو قلت حتى دلت السنة ان المراد به بعض السراق وهو من بلغت سرقة في القيمة ربع دينار فصاعدا واما من لم تبلغ قيمة سرقة هذا القدر فلا قطع فيه... ولما ذكرناه نظائر كثيرة في الكتاب والسنة اقتصرنا منها على ما أوردناه(1).

3: وعن (علي بن زيد عن الحسن ان عمران بن حصين كان جالسا ومعه أصحابه فقال رجل من القوم لا تحدثونا إلا بالقرآن قال فقال له ادنه فدنا فقال رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً وصلاة العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً نقرأ في اثنتين؟ رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعا والطواف بالصفاء والمروة؟ ثم قال: أي قوم خذوا عنا فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلن(2).

فيتمخض للباحث مما سبق الحقائق التالية:

- * ان السنة المطهرة لها قابلية التخصيص لعمومات القرآن الكريم، وهي كما قال احمد بن حنبل، تفسر الكتاب وتعرف الكتاب وتبينه.
- * وان السنة المطهرة خصصت كثيراً من عمومات القرآن الكريم وقد اتضح فيما سبق بعض النماذج المهمة لهذه الحقيقة. وان البعض قد صرح بأن القرآن بحاجة إلى السنة أكثر من احتياج السنة للقران.
- * وان السنة لاسيما التي تتعلق بتفسير القرآن وتوضيحه وتقييده أو تخصيصه شأنها في الأهمية والوجوب شأن القرآن الكريم، من حيث ان مصدرهما واحد فكلاهما كان ينزل بهما جبرائيل عليه السلام إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن

1- المصدر السابق ص 29 _ 30.

2- المصدر السابق ص 30 _ 31.

حيث الإلزامية والوجوب، لقوله سبحانه وتعالى: ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (1).

* وعليه يصبح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو المعبر الحقيقي والواقعي للمفاهيم الشرعية فإذا ما وسع مفهومها من المفاهيم الشرعية أو ضيقه فإننا نستدل على ان الله سبحانه وتعالى هو الذى أراد تضيق أو توسعة ذلك المفهوم، لقوله تعالى: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ)) (2).

وليس القول بتخصيص السنة المطهرة للقرآن الكريم وتفسيرها وتبيينها من القول الجزاف وبلا دليل يركن إليه، فقد وردت أحاديث كثيرة تقرر هذه الحقيقة وتشدد عليها، منها أحاديث الأريكة التي اخبر بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أمته عن قوم كانوا موجودين فعلا فى أيام حياته الشريفة، أو انهم سيأتون بعد ذلك، لا يرتضون السنة النبوية الشريفة، ولا يعتقدون بحرماتها وأهميتها، ويكتفون بالقرآن الكريم فقط، وهم المقصودون من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (بحسب امرئ قد شبع وبطن وهو متكئ على أريكته لا يظن أن لله حراما إلا ما فى القرآن وانى والله قد حرمت ونهيت ووعظت بأشياء انها لمثل القرآن أو أكثر) (3).

وعن عبيد الله بن أبى رافع عن أبى رافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا أعرفن الرجل يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول ما ادرى ما هذا، عندنا كتاب الله ليس هذا فيه) (4).

1- سورة الحشر الآية رقم 7.

2- سورة النجم الآية 3 _ 5.

3- الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادي ص 25.

4- المصدر السابق.

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا عسى رجل ان يبلغه عنى حديث وهو متكئ على أريكته فيقول لا أدري ما هذا عليكم بالقرآن فمن بلغه عنى حديث فكذب به أو كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)(1).

وعن الحسن بن جابر قال سمعت المقدم بن معد يكرب يقول: (حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشياء يوم خيبر ثم قال يوشك رجل متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما حرم الله عز وجل)(2)،(3).

1- (الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى ص 26.

2- (الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى ص 24.

3- وأقول مستفهما بعد معرفة هذه الأحاديث الأخيرة: إذا كان الصحابة قد سمعوا هذا الكلام من النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلموا يقينا ان القرآن لا يستغنى عن السنة المطهرة، وان من يستغنى بأحدهما دون الآخر فقد باء بالخسران المبين، فما معنى قول عمر بن الخطاب حينما كان النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على فراش موته: (ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله) والذى رواه البخارى فى صحيحه وغيره بقوله: (لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر: إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاخصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوموا قال عبيد الله وكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم) صحيح البخارى ج 7 ص 9 كتاب المرضى والطب.

هاء: هل فسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية التطهير، وهل خصصها بفئة معينة دون أخرى؟

ذكرنا في بداية البحث ان آية التطهير وهى قوله تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) قد نزلت ضمن مجموعة من الآيات التى تحدثت عن زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد جاء اللفظ فيها مطلقا، فلم يتقيد التطهير وإذهاب الرجس بفرد من أفراد أهل البيت، ومن حق الباحث عن الحقيقة ان يتساءل: هل قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتخصيص هذا العموم أم لا؟ لان التخصيص ان كان قد صدر من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيلزم على كل مسلم قبوله والخضوع له شاء أم أبى، فان لم يقبل عد من المتمردين ودخل فى زمرة المبشرين بالنار كما نصت عليه الأحاديث السابقة، أما إذا لم يرد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أى تخصيص لأفراد أهل البيت فسيبقى حينئذ لفظ أهل البيت على عمومهم، ويدخل فى أهل البيت كل من ينطبق عليه الوصف لغة وعرفا، ويكون حكم التطهير وإذهاب الرجس شاملا للزوجة والبنت والابن والأقارب الأدين والكثيرين من غير هؤلاء.

ونظرة بسيطة إلى الأحاديث الشريفة توصلنا إلى ان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك الآية المباركة على عمومها، ليدخل كل من هب ودب فى ضمنها، بل خصصها بأفراد معدودين، واتبع فى تخصيصها شتى الوسائل اللفظية منها والعملية، وفيما يأتى جملة من تلك الروايات الدالة على تخصيصها، وسنختصر على إيراد ما صححه المخالف قبل المؤلف تاركين عشرات الروايات الأخرى التى طعنوا فيها لغايات لا تخفى على لبيب.

1: فقد أخرج مسلم فى صحيحه: ((حدثنا) أبو بكر بن أبى شيبعة ومحمد بن عبد الله بن نمير «واللفظ لأبى بكر» قالا حدثنا محمد بن بشر عن زكرياء عن مصعب

ابن شيبية عن صفية بنت شيبية قالت: قالت عائشة خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) (1).

2: وعن الترمذى فى سننه: (حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا أبو أحمد الزبيرى، أخبرنا سفيان عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم جلى على الحسن والحسين وعلى وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى؛ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك على خير) (2).

وقال معلقا على هذا الحديث: (هذا حديث حسن صحيح. وهو أحسن شىء روى فى هذا الباب. وفى الباب عن أنس وعمر بن أبى سلمة وأبى الحمراء) (3).

3: وعن الترمذى أيضا قال: (حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عفان بن مسلم أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا على بن زيد عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) (4).

وقال معلقا: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه إنما نعرفه من حديث حماد بن سلمة. وفى الباب عن أبى الحمراء معقل بن يسار وأم سلمة) (5).

1- صحيح مسلم ج 7 ص 130.

2- سنن الترمذى للترمذى ج 5 ص 360 __ 361.

3- المصدر السابق.

4- المصدر السابق ص 31.

5- المصدر السابق.

4: وعن الحاكم النيسابورى فى كتابه المستدرک على الصحيحين: (حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد الدورى ثنا عثمان بن عمر ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ثنا شريك بن أبى نمر عن عطاء بن يسار عن أم سلمة رضى الله عنها انها قالت: فى بيتى نزلت هذه الآية ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى على وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى قالت أم سلمة يا رسول الله ما أنا من أهل البيت قال إنك أهلى خير وهؤلاء أهل بيتى اللهم أهلى أحق(1).

وقال الحاكم النيسابورى معقبا على هذا الحديث: (هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه)(2).

5: وعن الحاكم النيسابورى أيضا قال: (حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب أنبا العباس بن الوليد بن مزيد أخبرنى أبى قال سمعت الأوزاعى يقول حدثنى أبو عمار قال حدثنى واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال جئت أريد عليا رضى الله عنه فلم أجده فقالت فاطمة رضى الله عنها انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوه فاجلس فجاء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل ودخلت معهما قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله حسنا وحسينا فاجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوبه وأنا شاهد فقال ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) اللهم هؤلاء أهل بيتى).

ثم عقب عليه مباشرة بقوله: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم

1- المستدرک للحاكم النيسابورى ج 2 ص 416.

2- المصدر السابق.

يخرجاه(1).

6: وعن الحاكم أيضا قال: (حدثني أبو الحسن إسماعيل بن محمد بن الفضل ابن محمد الشعراني ثنا جدى ثنا أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك حدثني عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرحمة هابطة قال ادعوا لى ادعوا لى، فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال أهل بيتى عليا وفاطمة والحسن والحسين، فجىء بهم فألقى عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كساء ثم رفع يديه ثم قال: اللهم هؤلاء آلى فصل على محمد وعلى آل محمد وأنزل الله عز وجل ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) (2).

ثم علق عليه الحاكم النيسابورى بقوله: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

7: قال الذهبي فى سير أعلام النبلاء: (وقال شهر: عن أم سلمة: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جليل عليا وفاطمة وابنيهما بكساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيت بنتى وحامتى، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقلت: يا رسول الله أنا منهم؟ قال: إنك إلى خير(3).

وقال الذهبي معقبا على هذا الحديث: (إسناده جيد، روى من وجوه عن شهر. وفى بعضها يقول: «دخلت عليها أعزبها على الحسين»). وروى نحوه الأعمش، عن جعفر بن عبد الرحمن، عن حكيم بن سعد، عن أم سلمة(4).

1- المصدر السابق.

2- المستدرک للحاکم النيسابورى ج 3 ص 147 __ 148.

3- سير أعلام النبلاء للذهبي ج 3 ص 283.

4- المصدر السابق.

8: وقد صحح ابن تيمية __ على تعصبه ولجأته وعناده __ نزولها في كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وابنته وبعلمها وابنيها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث قال في كتابه منهاج السنة ما نصه: (وأما حديث الكساء فهو صحيح رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) وهذا الحديث قد شرکه (1) فيه فاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم (2).

9: وقال الثعالبي في تفسيره لآية التطهير: («الرجس» اسم يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت، قالت أم سلمة: نزلت هذه الآية في بيتي؛ فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كساء خيبرى، وقال: «هؤلاء أهل بيتي، وقرأ الآية، وقال اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: فقلت: وأنا يا رسول الله، فقال: أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنت إلى خير» (3).

ثم قال بعد إيراد هذا الكلام: (والجمهور على هذا، وقال ابن عباس وغيره: أهل البيت: أزواجه خاصة، والجمهور على ما تقدم).

1- يعنى بذلك الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه.

2- منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج 5 ص 13.

3- تفسير الثعالبي ج 4 ص 346.

تطبيق القواعد السابقة على هذه الروايات النبوية

الأحاديث التي مرت كانت جزءاً من كم هائل من تلك التي رواها علماء ورواة المذاهب الأخرى والتي صرحوا فيها بأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد خصص عموم آية التطهير بخمسة أشخاص تحديداً، ووفقاً لقاعدة ان السنة النبوية لها الحق في تخصيص عمومات القرآن الكريم، وانها بمنزلة المفسر والمعرف والمبين لحقائق آياته الشريفة، كما قال احمد بن حنبل، فيجب حينئذ رفع اليد عن ذلك العموم وإخراج كل من يشملهم وصف أهل البيت سواء كان هذا الشمول لغوياً أو عرفياً، وإبقاء هؤلاء الخمسة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقط من دون منازع.

وان هذا التخصيص النبوي لمصداق أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أوضحه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعدة أشكال وصور، منها لفظية ومنها فعلية، فجمعهم في بيت واحد وإخراج كل من هم خارج هذا البيت من أزواجه وغيرهن تخصيص، وجمعهم تحت كساء واحد تخصيص ثانٍ يضاف إلى ما سبق، وهذا التخصيص الثاني أراد منه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إخراج سائر من كان داخل البيت باستثناء من أدخلهم بنفسه تحت الكساء، ثم تلاوته للآية المباركة بعد دخولهم تخصيص ثالث، ثم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس...) تخصيص رابع وقاطع على ان المخصوصين بهذه الآية الشريفة هم فقط الموجودون تحت هذا الكساء، إذ لو كان غيرهم قد شاركهم بهذا الوصف لما صح من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول: (هؤلاء أهل بيتي) ولقال صلى الله عليه وآله وسلم: (هؤلاء من أهل بيتي) فيجعلهم جزءاً من مجموعة، وهذا بديهي لكل من عرف كلام العرب ومارسه، فكيف يخفى على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وهو أفصح من نطق بالضاد، ثم يختم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كل الشكوك ويغلق كل الأبواب التي

يمكن للآخرين استغلالها لإغراض شخصية أو سياسية فيرفض صلى الله عليه وآله وسلم دخول أم سلمة معهم داخل الكساء، حتى بعد أن طالبت هي بذلك في قولها: (يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟) أو (يا رسول الله أنا منهم؟) أو غير ذلك، فيجيبها بما يقطع عليها وعلى غيرها كل أمل بقوله: انك إلى خير أو على خير أو أنت من أزواج النبي أو غير ذلك، وهو تخصيص قاصم لظهر كل من قال بدخول زوجات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ضمن أهل البيت الذين تحدث عنهم آية التطهير.

والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة هو لماذا هذا الإصرار من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على تكرار التخصيص مرة بعد مرة؟ ولا أظن بأن الجواب يخفى على اللبيب العالم بما وقع بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ورحيله عن هذه الدنيا الفانية، وما جرى وصار على أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من غضب حقوقهم وإبعادهم عن منازلهم وإقصائهم عن مراتبهم التى رتبهم الله فيها، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضع كل تلك التخصيصات عسى أن يحول دون أن تسرق منهم هذه الصفة — صفة أهل البيت المطهرين والمنزهين عن كل رجس — أو يبقى الحقيقة واضحة للباحثين عنها فيما لو تجرأت السياسة والساسة التعدى على هذا الحق.

ووفقا لقاعدة ان السنة المطهرة لا سيما التى صدرت من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهدف تفسير القرآن وتبينه هي من أقسام الوحي الذى كان ينزل به جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليبلغها للأمة ويبين معناها وخصوصياتها ومن المقصود بها، فيكون تخصيص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الآية المباركة من قسم الوحي الذى نزل به جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمره بتبليغه لسائر أفراد الأمة، وبعبارة ثانية ان هذا التخصيص لعموم آية التطهير هو ليس أمرا شخصيا عاطفيا قام به رجل تجاه ابنته وزوجها وابنيها، بل هو أمر وإرادة إلهية

خارجة عن الدوافع الشخصية، حكم به الله وأراده وبلغه بصورة رسمية بواسطة جبرائيل عليه السلام إلى شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بوصفه نبيا لا بوصفه والدا أو غير ذلك من العناوين.

ويلزم وفقا لكون تخصيص آية التطهير بالخمسة من أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان هذا التخصيص وحى من الله سبحانه وتعالى وجوب الإقرار لهم بذلك من جميع المسلمين، ومن يرفض منهم هذا التخصيص أو يحاول ان يدخل معهم غيرهم فان أحاديث الأريكة التي مرت ستشملة لا محالة، وسيؤدى إدخال غيرهم معهم إلى إدخال أمر فى الدين ليس منه ويؤدى بالإنسان إلى ان ينصب نفسه كمشرع مع الله سبحانه وتعالى ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيدخل فى الضلالة من حيث يعلم أو لا يعلم.

لماذا ندخل باقى أفراد الأئمة المعصومين ضمن أهل البيت مع ان حديث الكساء لا يشملهم؟

ذكرنا سابقا ان واحدة من حقوق وصلاحيات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هى إمكان تخصيص أو توسعة المفاهيم والحقائق الشرعية على وفق ما يرضى الله سبحانه وتعالى، وقد عرفنا سابقا ان باقى المذاهب الإسلامية قبل الشيعة يعتقدون ويصححون روايات تخصيص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم آية التطهير بالخمسة أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو اعتقاد حق لا ريب فيه، لكن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتبعاً لهم شيعتهم على مر الأيام والأعوام، كانوا ولا يزالون يعتقدون بأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد خصص آية التطهير بأربعة عشر شخصا، هم كل من أهل الكساء الذين سبق ذكرهم فى الأحاديث السابقة، وتسعة من أولاد الإمام الحسين صلى الله عليه وآله وسلم أولهم الإمام على

ابن الحسين وآخرهم الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا التخصيص وان لم يرد عن طريق المخالفين، فهو لا يضر البتة، لأنهم لا ينقلون شيئاً يكون فيه حجة لخصومهم عليهم في أغلب الأحيان، فيصبح الاعتقاد بدخول الأئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمر مذهبي بل من ضروريات مذهب الشيعة الاثني عشرية، ومن لم يعتقد بذلك فليس منهم.

وفيما يأتي جملة من تلك الروايات الشريفة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التي تلحق الأئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين بأصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

منها ما عن علي بن الحسين بن محمد، قال: حدثنا هارون بن موسى التلعكبري، قال حدثنا عيسى بن موسى الهاشمي بسر من رأى، قال حدثني أبي، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي، عن أبيه علي عليه السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أم سلمة وقد نزلت هذه الآية ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي هذه الآية نزلت فيك وفي سبطي والأئمة من ولدك. فقلت: يا رسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: أنت يا علي، ثم ابناك الحسن والحسين، وبعد الحسين علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد جعفر ابنه، وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد علي ابنه، وبعد علي الحسن ابنه، والحجة من ولد الحسن، هكذا وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش، فسألت الله تعالى عن ذلك فقال: يا محمد هم الأئمة بعدك مطهرون معصومون وأعداؤهم ملعونون(1).

ومنها ما عن عبد الرحمان بن كثير قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما عنى الله تعالى بقوله: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) قال: نزلت في النبي صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة عليهم السلام. فلما قبض الله نبيه، كان أمير المؤمنين، ثم الحسن، ثم الحسين عليهم السلام.

ثم وقع تأويل هذه الآية: ((وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابٍ)) فكان على بن الحسين عليه السلام، ثم جرت في الأئمة من ولده الأوصياء، فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله(1).

وعن محمد بن علي الحلبي، (عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ((رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا)) يعني الولاية، من دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء عليهم السلام، وقوله: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) يعني الأئمة عليهم السلام وولايتهم، من دخل فيها دخل في بيت النبي صلى الله عليه وآله(2).

وقد ورد في الزيارة الجامعة: (السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرسالة وخزان العلم ومنتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الأمم وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأبواب الإيمان(3).

فوصف الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه بأنه (مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) صحيح وعليه إجماع الفرقة الناجية أعزها الله، بل ان وصف الإمام المهدي

1- الإمامة والتبصرة لابن بابويه القمي ص 47 __ 48.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 423.

3- عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج 1 ص 305.

صلوات الله وسلامه عليه بأنه من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد ورد حتى فى روايات باقى المذاهب الإسلامية، ففى مسند احمد بن حنبل عن أبى سعيد الخدرى قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتى أجلى أقتنى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً يكون سبع سنين)(1).

وعن أبى سعيد الخدرى أيضاً قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً قال ثم يخرج رجل من عترتى أو من أهل بيتى يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً)(2).

المبحث الخامس: الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وبعض ما يتعلق بها

أولاً: تخصيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة عليه وتعليمه الأمة كيفية الصلاة عليه

لا يخفى ان الصلاة على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أمر مفروغ من مشروعيته لان القرآن الكريم صرح بأن الله سبحانه وتعالى يصلى عليه صلى الله عليه وآله وسلم وأمر المؤمنين بالصلاة عليه والتسليم له بقوله: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))(3).

فمشروعية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر مجمع عليه، وكذلك أجمعت مصادر المسلمين وبمختلف مصادرهم الروائية على تحديد وتخصيص النبي الأعظم لصيغة هذه الصلاة التى أمر القرآن الكريم بأن يصلى عليه بها، ومصادر الشيعة

1- مسند احمد لأحمد بن حنبل ج 3 ص 17.

2- المصدر السابق ج 3 ص 36.

3- سورة الأحزاب الآية رقم 56.

الإمامية أعزهم الله سبحانه وتعالى نصوصها تفوق حد الإحصاء، وكذلك مصادر بقية المذاهب الإسلامية، وفيما يأتي جملة من تلك المصادر مقتصرين على ما جاء في اصح كتبهم عندهم، فمنها:

ما أخرجه البخارى فى صحيحه عن: (عبد الرحمن بن أبى ليلى قال لقينى كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبى صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم؟ فقلت: بلى، فأهدها لى، فقال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان الله قد علمنا كيف نسلم قال قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد)(1).

وعن أبى سعيد الخدرى قال: (قلنا يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلى عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم)(2).

وقال أبو صالح عن الليث: (على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم)(3)، وعن إبراهيم بن حمزة قال حدثنا ابن أبى حازم والدروردي عن يزيد وقال: (كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم)(4).

1- صحيح البخارى ج 4 ص 118 _ 119.

2- المصدر السابق ج 6 ص 27.

3- المصدر السابق.

4- المصدر السابق.

إذن فالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خصص وفسر كيفية الصلاة عليه بأنها مقرونة بالصلاة على أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووفقاً للقواعد التي أوضحناها في المبحث السابق يصبح هذا التخصيص من قبيل الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى على نبيه، فيجب على الأمة بمختلف طوائفها ومذاهبها التمسك بالحق آله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة ليمتثل بذلك الأمر الوارد في الآية المباركة، ومن تخلف عن ذلك أو بدل فقد بدل أمراً نبوياً ووحياً سماوياً ونصب نفسه في مقام التشريع مع الله سبحانه وتعالى ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

نعم قد ورد نص يتيماً ووحيداً يدخل أشخاص آخرين مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد أخرج البخاري عن أبي حميد الساعدي: (انهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد)(1).

وهو خبر معارض بعشرات بل بمئات الأخبار الأخرى التي خصت جميعها الصلاة بالآل من دون ذكر للزوجات ولا الذرية، والهدف من اختلاق هذه الأحاديث ونظائرها لا يخفى على العاقل وسيأتى تبيان للسبب الحقيقي من وراء إيجاد هذه الأحاديث.

ثانياً: هل يجوز للمسلم أن يقول: (على صلوات الله عليه)؟

اجتمعت كلمة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل شيعتهم في جواز ان يصلى المؤمن على غير الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فجوزوا الصلاة على سائر الأئمة

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى الصديقة السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها، بل وجوزوا الصلاة على غيرهم من الأولياء والصلحاء، والأحاديث المنقولة عنهم والزيارات التي وردت بحقهم وبحق بعض الأولياء والصلحاء كالعباس ابن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وكثير من أولاد الأئمة وأصحابهم كسلمان المحمدي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وغيره، كل هذا وغيره خير شاهد على جواز ذلك.

أما باقى مذاهب المسلمين فتكاد تجمع على عدم جواز ذلك، لان الصلاة بزعمهم كما يقول عبد الكريم الرافعى فى فتح العزيز: (قد صارت مخصوصة فى لسان السلف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما أن قولنا عز وجل صار مخصوصا بالله تعالى جده وكما لا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا لا يقال أبو بكر وعلى صلوات الله عليهما وإن صح المعنى)(1).

وقال محيى الدين النووى فى روضة الطالبين: (قال الأئمة: وينبغى أن لا يقول: اللهم صل عليه، وإن ورد فى الحديث، لان الصلاة صارت مخصوصة فى لسان السلف بالأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه. وكما أن قولنا. عز وجل. صار مخصوصا بالله تعالى. فكما لا يقال: محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا، لا يقال: أبو بكر، أو على، صلى الله عليه، وإن صح المعنى)(2).

وقال الألوسى فى تفسيره: (وقال القاضى عياض: الذى ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك. وسفيان، واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه يجب تخصيص النبى صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالصلاة والتسليم كما يختص الله سبحانه عند ذكره بالتقديس والتنزيه ويذكر من

1- فتح العزيز لعبد الكريم الرافعى ج 5 ص 529 ___ 530.

2- روضة الطالبين لمحيى الدين النووى ج 2 ص 69 ___ 70.

سواهم بالغفران والرضا(1).

وقال المقرئى: (الرابع: أن الصلاة صارت فى لسان الأمة مخصوصة بالنبى صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم تذكر مع ذكر اسمه لا يسوغ ذلك لغيره وكما لا يقال محمد عز وجل ولا محمد سبحانه وتعالى لئلا يعطى رتبة الخالق فهكذا لا ينبغى أن تعطى غير النبى صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم رتبته فيقال: فلان صلى الله عليه وسلم(2).

وخالف هذا الحكم بعض أئمتهم فذهب البعض إلى الكراهة وذهب آخر إلى الجواز لان الصلاة بمعنى الدعاء فتجوز لكل احد، قال الرافعى فى فتح العزيز: (وصرح ___ الصيدلانى ___ بنفى الكراهة فى العدة وقال أيضا الصلاة بمعنى الدعاء تجوز على كل أحد أما بمعنى التعظيم والتكريم يختص به الأنبياء عليهم السلام والمشهور ما سبق ___ وهو عدم الجواز(3).

وقال الأوسى: (وحمل البيهقى القول بالمنع على ما إذا جعل ذلك تعظيما وتحية وبالجواز عليها إذا كان دعاء وتبركا، واختار بعض الحنابلة أن الصلاة على الآل مشروعة تبعا وجائزة استقلالا وعلى الملائكة وأهل الطاعة عموما جائزة أيضا وعلى معين شخص أو جماعة مكروهة(4).

ثالثا: سبب رفضهم للصلاة على غير الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

وقد بين غير واحد من المخالفين سبب حكمهم بعدم جواز الصلاة على غير

1- تفسير الأوسى ج 11 ص 6.

2- إمتاع الأسماع للمقرئى ج 10 ص 373 ___ 374.

3- فتح العزيز لعبد الكريم الرافعى ج 5 ص 530.

4- تفسير الأوسى ج 22 ص 86.

الأنبياء والمرسلين، لان الصلاة على بعض الأولياء والأئمة قد أصبح شعارا للشيعة الإمامية ولكي يمنعوا أتباعهم من التشبه بشيعة أهل البيت منعوا عليهم ذلك ولم يجوزوه، قال الرافعي: (فقد ثبت نهى مقصود عن التشبه بأهل البدع وإظهار شعارهم والصلاة على غير الأنبياء مما اشتهر بالفئة الملقبة بالرفض)(1).

وقال محيي الدين النووي: (وهل ذلك مكروه كراهة تنزيه، أم هو مجرد ترك أدب؟ فيه وجهان. الصحيح الأشهر: أنه مكروه، لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم. والمكروه: هو ما ورد فيه نهى مقصود)(2).

وقال ابن عابدين: (فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر الأول، وإنما حدثه الرفضة في بعض الأئمة، والتشبه بأهل البدع منهى عنه فتجب مخالفتهم)(3).

وقال ابن كثير الشانئ لكل ما يرفع من مقام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: (لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم... وقد غلب في هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد على رضى الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه وهذا وإن كان معناه صحيحا ولكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فإن هذا من باب التعظيم والتكريم فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه)(4) أقول: بل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وسائر الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولى من هؤلاء وأولى، ولو

1- المصدر السابق.

2- روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج 2 ص 69__70.

3- تكملة حاشية رد المحتار لابن عابدين «علاء الدين» ج 1 ص 344.

4- تفسير ابن كثير ج 3 ص 524.

كان كلام هذا الشانئ صحيحا لضمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلاة عليه وعلى اله الأطهار فلما لم يفعل ذلك علمنا ان مرتبتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تفوق مرتبة من ذكرهم ابن كثير بل تفوق مراتب العالمين جميعا انسهم وجنهم على رغم انف ابن كثير وغيره من المتعصبين.

وقال الألوسى: (ولو قيل بتحريمها لم يبعد سيما إذا جعل ذلك شعارا له وحده دون مساويه ومن هو خير منه كما تفعل الرافضة بعلى كرم الله وجهه)(1).

وقال المقرئى: (إن الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد صارت شعار أهل البدع ذكره النووى ومعنى ذلك أن الرافضة إذ ذكروا أئمتهم صلوا عليهم ولا يصلون على غيرهم فاستحبوا مخالفتهم فى ذلك الشعار)(2).

ولرد هذه العصبية البغيضة لا نزيد فى القول على ما سطره المحقق البحرانى قدس الله روحه فى الحدائق الناضرة حيث قال: (ومن أفحش تعصباتهم أنهم مع رواية هذه الأخبار(3) أجمعوا على عدم جواز الصلاة على غيره «صلى الله عليه وآله» وغير الأنبياء بل صرح جملة منهم بالمنع من ضم آله فى الصلاة إليه كل ذلك عداوة وبغضا لهم «عليهم السلام» بل صرح بعضهم بالاعتراف بذلك وأنهم إنما تركوها مراغمة للشيعة حيث إنهم يضمون أهل بيته إليه «صلى الله عليه وآله» فى الصلاة عليه)(4).

1- تفسير الألوسى ج 22 ص 86.

2- إمتاع الأسماع للمقرئى ج 10 ص 373.

3- يقصد قدس الله روحه بالأخبار، أخبار تخصيص الصلاة بالآية الشريفة بالنبي الأعظم وآله الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

4- الحدائق الناضرة للمحقق البحرانى ج 8 ص 465 __ 466.

رابعاً: حرموا الصلاة على صلوات الله وسلامه عليه وصلوا على أبي بكر وعمر وعلى الجوارى

من الغريب ان نرى المخالفين والمانعين من صلاة الشيعة الإمامية أعزهم الله على أئمتهم، وبعد ان وصفوهم كما عرفنا فيما سبق بأهل الأهواء واهل البدع، وألزموا على أتباعهم مخالفتهم، نراهم فى كثير من كتبهم يصلون على أبى بكر وعمر ابن الخطاب وعائشة بنت أبى بكر، وفيما يأتى جملة من تلك الموارد:

فمنها ما فى كنز العمال قال: (من أهل حمص ذى ظليم الالهانى قدم على أبى بكر وقد كان النبى نعتة له فعرف أبو بكر صلى الله عليه وسلم...)(1).

وقال الضحاك: (حدثنا محمد بن المشى نا مسلم بن إبراهيم نا أشعث بن جابر عن الحسن قال ولى أبو بكر صلى الله عليه عشرين شهراً)(2).

قال الثعلبى فى تفسير قوله سبحانه وتعالى: ((قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))(3): (أى لا يخافون وقائع الله ولا يبألون نقمه، قال ابن عباس ومقاتل: نزلت فى عمر بن الخطاب صلى الله عليه وسلم)(4).

وقال محمد بن سعد: (أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب وأمه بشيرة بنت عبد الله من بنى عدى بن كعب أسلم يوم فتح مكة ومات بعد مقتل عمر بن الخطاب صلى الله عليه وسلم)(5).

1- كنز العمال للمتقى الهندى ج 1 ص 330 __ 331.

2- الآحاد والمثانى للضحاك ج 1 ص 85.

3- الجاثية الآية رقم 14.

4- تفسير الثعلبى ج 8 ص 359.

5- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 5 ص 450 __ 451.

وقال المزي: (العلاء بن عرار الخارفي الكوفي. روى عن: عبد الله بن عمر بن الخطاب صلى الله عليه)(1).

وقال المزي أيضا: (وقال الحسين بن محمد بن فهم: سمعت يحيى بن معين وذكر عنده حسن الجوارى. قال: كنت بمصر فرأيت جارية بيعت بألف دينار ما رأيت أحسن منها صلى الله عليها. فقلت يا أبا زكريا مثلك يقول هذا؟ قال: نعم. صلى الله عليها وعلى كل مليح)(2).

فسبحان الله العظيم! كيف يمنعون الصلاة على علي وبقية أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع ان الرواية صريحة في دخولهم ضمن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويصلون على الجوارى وعلى كل مليح!!!.

بعض فضائل وفوائد الصلاة على النبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

روى الشيخ الكليني قدس الله روحه في الكافي عن هشام بن سالم، عن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلى على محمد وآل محمد)(3).

وعن محمد بن مسلم، عن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (أن رجلا أتى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله إنى أجعل لك ثلث صلواتي، لا، بل أجعل لك نصف صلواتي، لا، بل أجعلها كلها لك، فقال: رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا تكفى مؤونة الدنيا والآخرة)(4)، وعن أبي بصير

1- تهذيب الكمال للمزي ج 22 ص 528.

2- تهذيب الكمال للمزي ج 31 ص 561.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 491.

4- المصدر السابق.

قال: (سألت أبا عبد الله «عليه السلام»): ما معنى أجعل صلواتي كلها لك؟ فقال: يقدمه بين يدي كل حاجة فلا يسأل الله عز وجل شيئاً حتى يبدأ بالنبى «صلى الله عليه وآله» فيصلى عليه ثم يسأل الله حوائجه(1).

وعن أبى بصير، عن الإمام أبى عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إذا ذكر النبى صلى الله عليه وآله فأكثرُوا الصلاة عليه فإنه من صلى على النبى صلى الله عليه وآله صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة فى ألف صف من الملائكة ولم يبق شيء مما خلق الله إلا صلى على ذلك العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته ولا يرغب عن هذا إلا جاهل مغرور وقد برئ الله منه ورسوله(2)).

وعن عاصم بن حمزة عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قال: (الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبى صلى الله عليه وآله أفضل من عتق رقاب، وحب رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من مهج الأَنْفُس أوقال ضرب السيوف فى سبيل الله(3)).

وعن عبد الله بن سنان، عن الإمام أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه سمعته يقول: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ارفعوا أصواتكم بالصلاة على فإنها تذهب بالنفاق(4)).

وعن عبد الله بن سنان، عن الإمام أبى عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه، قال:

1- المصدر السابق.

2- ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص 154.

3- ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص 154.

4- الكافى للشيخ الكلينى ج 2 ص 493.

(قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ذات يوم لعلى «عليه السلام»: ألا أبشرك؟ فقال: بلى بأبى أنت وأمى، فإنك لم تزل مبشرا بكل خير. فقال: أخبرنى جبرئيل أنفا بالعجب. فقال له على «عليه السلام»: وما الذى أخبرك يا رسول الله؟ قال: أخبرنى أن الرجل من أمتى إذا صلى على وأتبع بالصلاة على أهل بيتى، فتحت له أبواب السماء وصلت عليه الملائكة سبعين صلاة، وإن كان مذنباً خطأ، ثم تتحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر، ويقول الله تبارك وتعالى: لبيك يا عبدى وسعديك، ويقول الله لملائكته: يا ملائكتى، أنتم تصلون عليه سبعين صلاة، وأنا أصلى عليه سبعمائة صلاة. وإذا صلى على ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتى، كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً، ويقول الله جل جلاله: لا- لبيك ولا- سعديك، يا ملائكتى لا تصعدوا دعاءه إلا أن يلحق بنبى عترته، فلا يزال محجوباً حتى يلحق بى أهل بيتى(1).

وعن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً وقال: الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عز وجل التسييح والتهليل والتكبير(2).

إلى غير ذلك من الأخبار وفي ما ذكرناه كفاية لأولى الأفكار، نسأل الله الثبات على ولايتهم والحشر فى زميرتهم إنه القادر على ما يشاء.

1- الأمالى للشيخ الصدوق ص 675 _ 676.

2- عيون أخبار الرضا صلوات الله وسلامه عليه للشيخ الصدوق ج 2 ص 265.

خاتمة الكتاب

تم بحمد الله سبحانه الانتهاء من شرح عبارة (أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ تَارِكٍ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من هذه الزيارة الشريفة وبها ينتهى ما وفقنا الله سبحانه الى شرحه وإيضاحه من فقرات الزيارة الشريفة المشهورة والمعروفة باسم زيارة عاشوراء، راجين من الله سبحانه القبول والتجاوز عما فيه من خلل وسهو وخطأ، وان ينفعنى فيه ووالدى وجميع من يهمنى أمره ويهمه أمرى فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، وان يوفقنا لمثله ولما هو افضل منه آمين يا رب العالمين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

الشيخ وسام برهان البلداوى

من داخل حرم مولاي الحسين الشهيد صلوات الله وسلامه عليه

9 صفر الخير 1432 للهجرة النبوية الشريفة

14 كانون الثانى 2011 ميلادى

المحتويات

وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَاتَّبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ.. 5

وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَاتَّبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ.. 6

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 6

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 6

1: وَمِنْ... 6

2: أَشْيَاعِهِمْ.. 6

3: وَاتَّبَاعِهِمْ.. 8

4: وَأَوْلِيَائِهِمْ.. 10

المبحث الثالث: في أدلة البراءة ممن ذكر في هذه الفقرة 12

الدليل الأول: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآني أو روائي... 12

الدليل الثاني: من يقف مع أعداء أولياء الله فقد حارب الله سبحانه وتعالى... 13

الدليل الثالث: كل إنسان مع من يهوى ويشابهه ويوالي... 15

الدليل الرابع: من كثر سواد قوم كان منهم حتى وان لم يرض بأفعالهم.. 18

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سَلَّمْتُ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرَبْتُ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ 25

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 25

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة. 27

1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. 27

2: إِنِّي سَلَّمْتُ.. 27

3: لِمَنْ سَأَلَكُمْ.. 29

4: وَحَرَبْتُ لِمَنْ حَارَبَكُمْ.. 30

5: إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. 32

المبحث الثالث: حرمة المؤمن الشيعي وعظمته. 33

عظمة المؤمن وكرامته عند الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 35

وجوب نصره المؤمن والسعي في حوائجه ونصيحته. 37

وجوب موالاته أوليائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومعاداة أعدائهم.. 39

وَلَعَنَّ اللَّهُ آلَ زِيَادٍ. 45

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 45

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 46

1: وَلَعَنَّ اللَّهُ... 46

2: آلَ زِيَادٍ. 46

المبحث الثالث: آل زياد بين ضحالة النسب وعقدة الانتماء. 47

عقدة الحقارة والشعور بالنقص فى شخصية زياد بن أبيه. 48

الميزات الفريدة فى شخصية زياد بن أبيه. 49

استغلال معاوية لعقدة الحقارة والشعور بالنقص التى فى شخصية زياد. 52

استمرار عقدة النقص والحقارة حتى بعد إستلحاق معاوية إيّاه. 55

حكومة زياد على الكوفة إحدى أسباب حدوث فاجعة عاشوراء. 57

حكومة زياد سبب لإيجاد حكومة ابنه عبيد الله بن زياد. 61

المبحث الرابع: لماذا استعمل أمير المؤمنين زياداً وهو يعلم أصله وعاقبته. 62

وَأَلَّ مَرْوَانَ.. 69

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 71

المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة. 73

1: وَأَلَّ.. 73

2: مَرْوَانَ.. 73

المبحث الثالث: آل مروان من موقف العداء إلى مناصب الأمراء. 74

الحكم بن العاص وأذاه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على ارض مكة والمدينة. 74

دور عثمان بن عفان فى صناعة آل مروان وإعلاء نجمهم.. 77

مروان بن الحكم الحاضر في كل فتنة. 81

مواقف مروان قبل وبعد قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 86

الدولة الأموية كادت أن تندثر لولا أن مروان وآله أحيوها. 92

وَلَعَنَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةَ قَاتِلِيَّ. 101

المبحث الأول: إثبات هذه الفقرة الشريفة. 101

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 104

1: وَلَعَنَ اللَّهُ. 104

2: بَنِي أُمَيَّةَ. 104

3: قَاتِلِيَّ. 104

المبحث الثالث: هل يشمل عموم اللعن لبني أمية المؤمن منهم؟. 105

المبحث الرابع: نظرة عابرة إلى شخصية أمية بن عبد شمس... 108

كان أمية مضعوفا صاحب عهار وكان يسرق الحجيج... 108

أمية يزوج ابنه من زوجته فى حياته. 109

حسد أمية لهاشم جد النبى صلى الله عليه وآله وسلم.. 111

المبحث الخامس: عثمان يؤسس لسنة بنى أمية بدلا من سنة الشيخين.. 112

أولا: إلزامية أقوال وأفعال النبى صلى الله عليه وآله وسلم.. 112

ثانيا: ان السنة النبوية قد استوعبت جميع احتياجات الحياة. 113

ثالثا: لا يحق لأحد من الخلق ان يسن سنة أو يشرع حكما إلا بإذن الهى... 114

ظهور سنة جديدة بعد استشهاد النبى صلى الله عليه وآله وسلم اسمها سنة الشيخين... 116

محاولات عثمان تغيير سنة الشيخين وبناء سنة جديدة. 125

المبحث السادس: تشييد الأمويين لمذهب جديد اسمه المرجئة. 131

المبحث السابع: معلومات إضافية حول بنى أمية. 134

أولا: أبغض الأحياء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف.... 135

ثانيا: اهلك الله بنى أمية بعد إحراقهم زيد بن على بسبعة أيام. 135

ثالثا: لم يعط الله الملك لبنى أمية وإنما اغتصبوه. 135

رابعا: بقاء وجودهم بالشام إلى حين خروج القائم صلوات الله وسلامه عليه. 136

خامسا: ان فى كثرة لعن بنى أمية سببا من أسباب التقرب للإمام المهدي عليه السلام. 136

وَلَعَنَّ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ. 141

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 141

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 142

وَلَعَنَّ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ. 142

المبحث الثالث: ابن مرجانة تاريخ يندى له الجبين.. 143

أولاً: ابن مرجانة السفه السفاك للدماء. 145

ثانياً: تكذيب ابن مرجانة بأحاديث الحوض..... 146

ثالثاً: ابن مرجانة ووحشية الوقوف بوجه الثورة الحسينية. 147

رابعاً: ابن مرجانة يتقلب فى أحضان الظلمة. 153

خامساً: ابن مرجانة ضرب رأس الحسين بالقضيب ضرباً اثر فيه. 154

سادساً: ابن مرجانة يبنى أربعة مساجد يسب بها أمير المؤمنين... 156

سابعاً: خبر مقتله وقصة الحية التى كانت تدخل وتخرج فى رأسه. 156

وَلَعَنَّ اللَّهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ.. 161

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 161

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 163

1: وَلَعَنَ اللَّهُ. 163

2: عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ.. 164

المبحث الثالث: عمر بن سعد من حين الثورة إلى زمن مقتله. 164

عمر بن سعد يكتب ليزيد بأمر مسلم بن عقيل ينبهه ويحرضه. 165

عمر بن سعد يختار بلاد الرى على قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. 167

هل خرج عمر بن سعد لقتال الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه مكرهاً؟.. 169

زحف جيوش الضلالة ومحاصرة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 172

الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يتفاوض مع عمر بن سعد.. 176

عمر بن سعد لعنه الله يشارك فى القتال والسلب والنهب.... 185

عمر بن سعد يسبى النساء والأطفال إلى ابن مرجانة ثم إلى يزيد.. 191

هل يمكن بعد كل ذلك القول بان عمر بن سعد ثقة؟.. 195

عمر بن سعد يلاقى مصيره على يد المختار.. 202

وَلَعَنَ اللَّهُ شِمْرًا 207

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 207

المبحث الثانى: بيان المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة. 209

1: وَلَعَنَ اللَّهُ... 209

المبحث الثالث: شمر بن ذى الجوشن أموى الهوى خارجى الفعل.. 210

الملاحح الشخصية لشمر بن ذى الجوشن لعنه الله... 210

تخذيل الشمر لعنه الله للناس عن مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه.. 215

بعض جرائم الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله فى يوم عاشوراء.. 217

أمن الشيعة كان الشمر لعنه الله أم من أهل السنة؟.. 230

هل اشترك الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله فى معركة صفين؟.. 235

هل كان الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله شجاعا؟.. 240

هل كتب الشمر لعنه الله كتاب أمان للعباس وإخوته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟.. 242

هل اشترك أهل الشام فى حرب عاشوراء؟.. 244

هل كان الشمر لعنه الله من الخوارج؟.. 248

نهاية الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله على يد المختار الثقفى... 250

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِقِتَالِكَ 255

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 255

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 259

1: وَلَعَنَ اللَّهُ... 259

2: أُمَّةً أَسْرَجَتْ... 259

3: وَأَلْجَمَتْ... 261

4: وَتَنَقَّبَتْ... 261

5: وَتَهَيَّأَتْ... 266

6: لِقِتَالِكَ... 268

المبحث الثالث: لماذا لعنت هذه الأصناف مع أنها لم تباشر القتال؟. 270

القسم الأول: لو همّ المكلف بما يكون مشتركا ما بين الحلال والحرام من دون القصد إلى جهة الحرام فيه. 272

القسم الثاني: لو همّ المكلف بما هو محرم، أو همّ بما يكون مشتركا بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، مع عدم

إتيانه بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل 272

القسم الثالث: لو همّ المكلف بما هو محرم، أو همّ بما يكون مشتركا بين الحلال والحرام مع قصده ومنذ البداية لجهة الحرام فيه، ومع إتيانه

بمقدمة من مقدمات ذلك الفعل 275

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ..... 281

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 281

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 282

1: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي... 282

2: لَقَدْ... 284

3: عَظُمَ... 286

4: مُصَابِي... 287

5: بِكَ..... 287

المبحث الثالث: تأملات حول هذه العبارة الشريفة. 288

أولاً: لماذا هذا التأكيد على عظم المصاب والرزية؟.. 288

ثانياً: التأثر بالمصيبة يجب ان يكون منسجماً مع عظم المصاب.... 289

ثالثاً: الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عبرة أم عبيرة؟.. 292

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ..... 298

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 298

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 299

1: فَأَسْأَلُ اللَّهَ... 299

2: الَّذِي أَكْرَمَ. 300

3: مَقَامَكَ..... 301

4: وَأَكْرَمَنِي بِكَ..... 301

المبحث الثالث: أنواع الكرامة الممنوحة للإمام الحسين عليه السلام. 302

أولاً: المقامات التي أعطيت لسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستثناء مقام النبوة. 302

ثانياً: المقامات التي أعطيت للنبي الخاتم وباقي الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 303

ثالثاً: المقامات التي اشترك فيها مع بعض المعصومين واختلف فيها مع البعض الآخر... 304

رابعاً: المقامات التي انفرد بها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عن باقي المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 305

1: بركة التربة الحسينية وعظيم منفعتها. 307

2و3: فضل زيارته صلوات الله وسلامه عليه وكرامة زواره عند الله سبحانه وتعالى... 324

المبحث الرابع: إكرامنا بسيد الشهداء عليه السلام. 359

أولاً: إكرامنا بأصل نعمة الوجود بسببه صلوات الله وسلامه عليه وسبب بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 360

ثانياً: إكرامنا بما لا يحصى من النعم الدنيوية المحضّة، أو التي لها عوائد أخروية. 365

ثالثاً: إكرامنا يوم القيامة بغفران الذنوب ورفع الدرجات بفضل سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه. 368

أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ تَارِكٍ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ 373

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 373

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 378

1: أَنْ يَرْزُقَنِي ... 378

2: طَلَبَ تَارِكٍ..... 379

3: مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ.. 380

4: مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. 381

المبحث الثالث: ثار الإمام الحسين عليه السلام أهميته وبعض المسائل المتعلقة به. 386

أولاً: هل يمكن لثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أن يكون مهماً؟ وما درجة أهميته؟.. 386

ثانيا: لماذا التأكيد على ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه دون غيره من الأنبياء الأوصياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟.. 388

ثالثا: ما معنى كون النصر لطلب ثار الإمام الحسين رزقا من الله سبحانه وتعالى؟.. 390

رابعا: هل يشترط وجود الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في مسألة أخذ الثار؟.. 392

خامسا: كيف يطلب المؤمن ان يرزق طلب الثار واغلب الظن انه سيموت قبله؟.. 394

المبحث الرابع: من هم أهل البيت المقصودون في آية التطهير. 400

ألف: تحرير محل النزاع حول هذه الآية المباركة. 400

باء: استعمال لفظ الأهل في القرآن الكريم واللغة. 402

جيم: القرآن يجرد البعض من صفة الأهل مع أنهم موصوفون بها لغة وعرفا. 406

دال: هل للسنة النبوية المطهرة إمكانية تخصيص عمومات القرآن الكريم؟.. 408

هاء: هل فسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية التطهير، وهل خصصها بفئة معينة دون أخرى؟.. 414

تطبيق القواعد السابقة على هذه الروايات النبوية. 419

لماذا ندخل باقى أفراد الأئمة المعصومين ضمن أهل البيت مع ان حديث الكساء لا يشملهم؟.. 422

المبحث الخامس: الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وبعض ما يتعلق بها 424

أولا: تخصيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة عليه وتعليمه الأمة كيفية الصلاة عليه. 424

ثانيا: هل يجوز للمسلم أن يقول: (على صلوات الله عليه)؟.. 427

ثالثا: سبب رفضهم للصلاة على غير الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 429

رابعا: حرموا الصلاة على صلوات الله وسلامه عليه وصلوا على أبي بكر وعمر وعلى الجوارى... 431

بعض فضائل وفوائد الصلاة على النبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 432

خاتمة الكتاب.. 435

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

تأليف

اسم الكتاب

ت

السيد محمد مهدي الخرسان

السجود على التربة الحسينية

1

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية

2

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو

3

الشيخ علي الفتلاوي

النوران — الزهراء والحوراء عليهما السلام — الطبعة الأولى

4

الشيخ علي الفتلاوي

هذه عقيدتي — الطبعة الأولى

5

الشيخ علي الفتلاوي

الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي

6

الشيخ وسام البلداوى

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان

7

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء

8

الشيخ وسام البلداوى

ابك فينك على حق

9

الشيخ وسام البلداوى

المجانب يرّد السلام

10

السيد نبيل الحسنى

ثقافة العيدية

11

السيد عبد الله شبر

الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن

12

الشيخ جميل الربيعى

لييب السعدى

من هو؟

السيد نبيل الحسنی

اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟

15

الشيخ على الفتلاوى

المرأة فى حياة الإمام الحسين عليه السلام

16

السيد نبيل الحسنی

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم

17

السيد محمد حسين الطباطبائى

حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)

18

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الصغرى

19

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الكبرى

20

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ___ ثلاثة أجزاء

الشيخ وسام البلداوى

القول الحسن فى عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام

24

السيد محمد على الحلو

الولايان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة

25

الشيخ حسن الشمري

قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام

26

السيد نبيل الحسنى

حقيقة الأثر الغيبى فى التربة الحسينية

27

السيد نبيل الحسنى

موجز علم السيرة النبوية

28

الشيخ على الفتلاوى

رسالة فى فن الإلقاء والحوار والمناظرة

29

علاء محمد جواد الأعسم

التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمى (LC)

السيد نبيل الحسنی

الأثر و بولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام

السيد نبيل الحسنی

الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)

الدكتور عبدالكاظم الياسرى

الخطاب الحسينى فى معركة الطف — دراسة لغوية وتحليل

الشيخ وسام البلداوى

رسالتان فى الإمام المهدي

الشيخ وسام البلداوى

السفارة فى الغيبة الكبرى

السيد نبيل الحسنی

حركة التاريخ وسننه عند على وفاطمة عليهما السلام (دراسة)

السيد نبيل الحسنی

دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء — بين النظرية العلمية والأثر الغيبى (دراسة) من جزئين

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام — الطبعة الثانية

شعبة التحقيق

زهير بن القين

السيد محمد على الحلو

تفسير الإمام الحسين عليه السلام

الأستاذ عباس الشيباني

منهل الظمان في أحكام تلاوة القرآن

41

السيد عبد الرضا الشهرستاني

السجود على التربة الحسينية

42

السيد علي القصير

حياة حبيب بن مظاهر الأسدي

43

الشيخ علي الكوراني العاملي

الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميهما وشفيعهما

44

جمع وتحقيق: باسم الساعدي

السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري

45

نظم وشرح: حسين النصار

موسوعة الألو في نظم تاريخ الطقوف _ ثلاثة أجزاء

46

السيد محمد علي الحلو

الظاهرة الحسينية

السيد عبد الكريم القزويني

الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام

السيد محمد علي الحلوي

الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية

الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد

نساء الطفوف

الشيخ محمد السند

الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد

السيد نبيل الحسنی

خديجة بنت خويلد أمة جُمعت في امرأة - 4 مجلد

الشيخ علي الفتلاوي

السبط الشهيد - البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام

السيد عبد الستار الجابري

تاريخ الشيعة السياسي

السيد مصطفى الخاتمي

إذا شئت النجاة فزر حسيناً

عبد السادة محمد حداد

مقالات في الإمام الحسين عليه السلام

الدكتور عدى الحجّار

الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني

الشيخ وسام البلداوي

فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين

حسن المظفر

نصرة المظلوم

السيد نبيل الحسنی

موجز السيرة النبوية - طبعة ثانية، مزودة ومنقحة

الشيخ وسام البلداوي

ابك فانك على حق - طبعة ثانية

السيد نبيل الحسنی

أبو طالب ثالث من أسلم - طبعة ثانية، منقحة

السيد نبيل الحسنی

ثقافة العيد والعيدية - طبعة ثالثة

الشيخ ياسر الصالحی

نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام

السيد نبيل الحسنی

تكسير الأصنام - بين تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعتيم البخارى

65

الشيخ على الفتلاوى

رسالة فى فن الإلقاء - طبعة ثانية

66

محمد جواد مالك

شيعة العراق وبناء الوطن

67

حسين النصراوى

الملائكة فى التراث الإسلامى

68

السيد عبد الوهاب الأسترآبادى

شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق

69

الشيخ محمد التنكابنى

صلاة الجمعة - تحقيق: الشيخ محمد الباقرى

70

د. على كاظم المصلاوى

الطفيات - المقولة والإجراء النقدى

الشيخ محمد حسين اليوسفي

أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام

السيد نبيل الحسنی

الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية

السيد نبيل الحسنی

سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

السيد نبيل الحسنی

اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة

السيد نبيل الحسنی

المولود في بيت الله الحرام: على بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟

السيد نبيل الحسنی

حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية

السيد نبيل الحسنی

ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم

صباح عباس حسن الساعدي

علم الإمام بين الإطلاقيه والإشائية على ضوء الكتاب والسنة

الدكتور مهدي حسين التميمي

الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء

ظافر عيسى الجياشي

شهيد باخمري

الشيخ محمد البغدادي

العباس بن علي عليهما السلام

الشيخ علي الفتلاوي

خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة

الشيخ محمد البغدادي

مسلم بن عقيل عليه السلام

السيد محمد حسين الطباطبائي

حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) - الطبعة الثانية

ص: 459

الشيخ وسام البلداوى

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية

86

الشيخ وسام البلداوى

المجانب برد السلام - طبعة ثانية

87

ابن قولويه

كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)

88

السيد مصطفى القزوينى

Islam Inquiries About Shi`a

89

السيد مصطفى القزوينى

When Power and Piety Collide

90

السيد مصطفى القزوينى

Discovering Islam

91

د. صباح عباس عنوز

دلالة الصورة الحسينية فى الشعر الحسينى

حاتم جاسم عزيز السعدى

القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ حسن الشمري الحائري

قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر أباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩